

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي - الجزء الأول

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية
وأثرها في العالم الإسلامي

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي

تأليف

د. صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فإن هذه الرسالة "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي" كانت رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠٣هـ، ونوقشت في ذلك العام، ومنح صاحبها الدرجة بمرتبة الشرف الأولى، ثم أدخلت بعد فحص آخر ضمن مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة، وصدرت طبعتها الأولى عام ١٤٠٨هـ، ولكن توزيعها أصبح مقصوراً محدوداً على الخريجين والعلماء ونحوهم؛ فاشتدت حاجة طلاب العلم وسائر المسلمين وغيرهم ممن ينشد الدلالة على الصراط المستقيم إليها حاجة شديدة، وألح علي كثير من أهل النصح والصلاح في إعادة طبعتها بشكل يمكن من نشرها وتداولها على أوسع نطاق؛ تعميماً للفائدة، وإفاضة للخير، وبدا لي فيها مواطن تحتاج إلى زيادة أو حذف، أو تقديم أو تأخير، أو إصلاح وتصحيح، فاقترضت ذلك أن أستجيب لطلب إعادة طباعتها، وذلك يستلزم إعادة النظر فيها، وهو أمر يشق مع الأشغال والعوائق.

لكن؛ أعدت النظر إعادة سريعة عجلي؛ فما لا يدرك كله لا يترك
جله، وليقيني بأن في إعادة طبعها وتعميم نشرها خيرٌ كثيراً ونفعاً عظيماً
للناس عموماً، وللمسلمين خصوصاً، ولأهل السنة والجماعة علي الأخص؛
فعزمت على ذلك متكلاً على الله تعالى، وهو حسبي ونعم الوكيل.
وقد أضفت في هذه الطبعة فوائد لم تكن في الأولى، وحذفت زوائد
كانت في الأولى، وصححت بعض ما كان فيها من أخطاء؛ يتبين ذلك
بمقارنة هذه بالطبعة الأولى.

هذا؛ وأسأل الله الكريم أن ينفع بها كما نفع بأصلها وما نشأ عنه من
ثمار طيبة، وأن يجعلها من الأعمال الصالحة الخالصة لوجهه الكريم، وصلى
الله وسلم على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتبه الفقير إلى الله تعالى

صالح بن عبد الله العبد الرحمن العبود

في المدينة النبوية

في ٢٧ / ١٠ / ١٤١٣ هـ

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

[إن] الحمد لله؛ [نحمده و] نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا [ومن سيئات أعمالنا]، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله [وحدّه لا شريك له]، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۗ يُصْلِحْ لَكُمْ

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٢.

(٢) سورة النساء آية : ١.

أَعْمَلِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ (١) .

[أما بعد]:

فإن خير الحديث كتاب الله ﷺ وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة (٢).
ولا يدرك هذا الخير ويجتنب ذلك الشر إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى
لاتباع كتابه وهدي نبيه في العلم والعمل، وهذا هو منهج أهل السنة
والجماعة، و "يد الله على الجماعة" (٣).

(١) سورة الأحزاب آية : ٧٠ .

(٢) هذه تسمى خطبة الحاجة، كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، وهي مشروعة بين يدي الحاجة؛ كعقد النكاح، أو تقرير حق، ورد باطل، أو درس، أو مؤلف.. ونحو ذلك، وهي في: "مسند أحمد" (١/٤٣٢، ٣٩٢)، و "سنن أبي داود" (٢/٥٩١)، و "الترمذي" (٣/٤١٣) - وقال: "حسن" -، والنسائي (٦/٨٩)، وابن ماجه (١/٦٠٩)، والدارمي (٣٥٨)؛ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكلهم روه في (كتاب النكاح، باب خطبة النكاح)، وفي "صحيح مسلم" صدره عن ابن عباس (الجمعة، رقم ٤٦)، وآخره عن جابر (رقم ٤٣ و ٤٤، ج ١/٥٩٣). وقال الألباني: "ورد عن ستة من الصحابة"، وذكرهم. وانظر: "رسالة خطبة الحاجة". إلا أن السياق يزيد وينقص، وما أثبتته هنا سياق رواية ابن مسعود، وما بين القوسين زيادة ثابتة في بعض الروايات كما يقول الشيخ الألباني.

(٣) انظره حديثا مرفوعا عن رسول الله ﷺ في "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (ج ١/ ص ٤٠)، قال الألباني في "تخرجه": "حديث صحيح".

ونعني بالجماعة: الذين اجتمعوا على كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ مهيمنا على ما قبله وسنة رسوله ﷺ وهدية، لأنه ﷺ خاتم النبيين، الذي أرسل بكمال الدين وتمام النعمة والكتاب المهيمن والحكمة الجامعة إلى قيام الساعة وإلى الناس كافة، وبايعوا أميرا منهم على ذلك، واجتمع أمرهم عليه؛ فإنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة.

ولقد بعث الله محمدا على حين فترة من الرسل، وعلى حين تفرق بين الناس -خصوصا العرب- تفرقا شديدا، وكانوا في ضلال مبين؛ كما وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَيْفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(١).

قال ابن كثير: " (وإن كانوا من قبل)؛ أي: من قبل هذا الرسول. (لفي ضلال مبين)؛ أي: لفي غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد"^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمدا ﷺ إلى الخلق وقد مقت أهل الأرض عربهم وعجمهم؛ إلا بقايا من أهل الكتاب؛ ماتوا -أو أكثرهم- قبل مبعثه، والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي؛ معتصم بكتاب إما مبدل وإما منسوخ، أو بدين دارس بعضه مجهول وبعضه متروك، وإما أمة من عربي وعجمي

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٤ .

(٢) "تفسير ابن كثير" (١/٤٢٤) .

مقبل على عبادة ما استحسنته وظن أنه ينفعه من نجم أو وثن أو قبر أو تمثال أو غير ذلك، والناس في جاهلية جهلاء من مقالات يظنونها علما وهي جهل، وأعمال يحسبونها صلاحا وهي فساد، وغاية البارع منهم علما وعملا أن يحصل قليلا من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، مشوبا بأهواء المبدلين والمبتدعين، قد اشتبه عليهم حقه بباطله، أو يشتغل بعمل؛ القليل منه مشروع، وأكثره مبتدع، لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلا، أو أن يكدر بنظره كدح المتفلسفة، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق، حتى يصل إن وصل بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزر قليل مضطرب، لا يروي غليلا ولا يشفي عليلا ولا يغني من العلم الإلهي شيئا، باطله أضعاف حقه إن حصل، وأنى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله والاضطراب، وتعذر الأدلة عليه والأسباب"^(١).

فأنعم الله عليهم بأن بعث إليهم نبي الهدى ورسول الرحمة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأظهر الله دينه، وجمع عليه المسلمين أمة واحدة؛ اجتمعت قلوبهم على الصراط المستقيم، وألف الله بينهم بالإسلام على رسوله ﷺ ولو أنفق ما في الأرض جميعا ما ألف بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينها بهذه النعمة العظمى ورسوله ودينه.

قال الله تعالى يخاطب رسوله ﷺ :

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ تَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ

(١) "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" (ص ٢-٣).

وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَاللَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾^(١).

ولما قبض الله رسوله إليه وتوفاه؛ لم تنزل الأمة المسلمة مجتمعة على دينه
الباقي، واجتمعت على خليفته أبي بكر حين بين لهم الحق، وأزاح الإشكال
عنهم في موته ﷺ وأكد لهم بقاء دينه إلى يوم القيامة، وبايعوه خليفة لرسول
الله ﷺ وكانوا يرجعون إلى بيانه في ما يشكل عليهم؛ لأنه أعلم الأمة بميراث
نبيها، ولأنه صاحبه الأول، وصديق الأمة، ولذلك اجتمع الناس عليه^(٢).

ثم اجتمع الناس كذلك على الفاروق عمر بن الخطاب، حيث أوصى
به أبو بكر رضي الله عنهما، فواصل بهم مسيرة الهدى والرشاد؛ يبلغون دين
الله مجتمعين أمة واحدة، حتى قصروا قيصر، وكسروا كسرى.

وهكذا في بقية زمن الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم.
وبعد زمانهم والمسلمون يلتفون حول أهل السنة والجماعة منهم، وهم
سوادهم الأعظم، ومركز ثقلهم، وما زالوا على مسيرتهم في إبلاغ دين الله
ونشره للناس، حتى بلغوا به مشارق الأرض ومغاربها

(١) سورة الأنفال آية : ٦٢ .

(٢) انظر: "تاريخ ابن جرير الطبري" (ج ٣ / ص ٢٠٢-٢٠٣)، و "تاريخ ابن كثير"، وما أورد
من روايات صحيحة (ج ٥ / ص ٢٤١ - ٢٥٤).

تماماً؛ كما زوي لرسول الله ﷺ وأخبر أن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها.
فقد روى مسلم وغيره عن ثوبان؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ زَوَى
لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَلَكَهَا مَا زَوَى لِي
مِنْهَا... ﴾ (١) الحديث (٢).

ثم حدث ما أخبر به رسول الله ﷺ من الفتن وظهورها في الأمة؛ كما روى مسلم
في "صحيحه" عن حذيفة؛ قال: كنا عند عمر، فقال: أيكم سمع النبي ﷺ يذكر
الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا:
أجل. قال: تلك تكفرها الصلاة والصدقة، ولكن؛ أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي
تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا. قال أنت، لله أبوك. قال
حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ تَعْرِضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْدًا
عَوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا؛ نَكَتَ فِيهِ نَكْتَةُ سُودَاءَ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا؛ نَكَتَ فِيهِ
نَكْتَةُ بَيْضَاءَ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَيْضٍ مِثْلِ الصَّفَاءِ؛ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا
دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضَ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مِرْبَادًا كَالْكُوزِ مَجْخِيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا
وَلَا يَنْكُرُ مَنْكِرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ ﴾ (٣) (٤).

وافترقت الأمة المسلمة بسبب تلك الفتن إلى فريقين عظيمين، حتى أصلح
الله بينها بالحسن بن علي رضي الله عنهما؛ كما أخبر

(١) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩)، وسنن الترمذي: كتاب الفتن
(٢١٧٦).

(٢) "صحيح مسلم" (ج ٤/ ص ٢٢١٥-٢٢١٦).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٤٤).

(٤) "صحيح مسلم" (ج ١/ ص ١٢٨).

النبي ﷺ بقوله: ﴿إِنْ ابْنِي هَذَا سِيدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^{(١)(٢)} وذلك حين تنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما، واجتمع الناس على معاوية أميراً للمؤمنين بعد ذلك عام ٤٠هـ، وسمي ذلك العام عام الجماعة؛ لاجتماع المسلمين بعد فرقتهم.

وهكذا استقرت سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده في ثبوت الولاية وانعقادها.

ويتحصل من ذلك أن الولاية والإمارة تنعقد شرعا بإحدى ثلاث طرق

هي:

- ١- إما بالشورى والاختيار؛ كما انعقدت لأبي بكر رضي الله عنه.
- ٢- أو بالوصية؛ كما انعقدت لعمر رضي الله عنه بوصية من أبي بكر رضي الله عنه.
- ٣- أو بالغلبة؛ كما انعقدت لمعاوية رضي الله عنه عام ٤٠هـ بعد تنازل الحسن، وهو عام الجماعة؛ كما سبق بيانه.

أما عثمان رضي الله عنه؛ فقد انعقدت له بالشورى والوصية معا، وعلي رضي الله عنه انعقدت له بالاختيار والمغالبة، ومن بعده الحسن، لكنه تنازل لمعاوية؛ جمعا لكلمة المسلمين، وحقنا للدماء، وتركنا للمغالبة وسفك الدماء.

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلح (٢٧٠٤) وكتاب المناقب (٣٦٢٩، ٣٧٤٦) وكتاب

الفتن (٧١٠٩) ، و سنن الترمذي : كتاب المناقب (٣٧٧٣) ، و سنن النسائي : كتاب

الجمعة (١٤١٠) ، و سنن أبي داود : كتاب المهدي (٤٢٩٠) وكتاب السنة (٤٦٦٢) ،

ومسند أحمد (٣٧/٥، ٤٤/٥، ٤٩/٥، ٥١/٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) و ٣٦٢٩ و ٣٧٤٦ و ٧١٠٩ وغيره.

وهذه الطرق الثلاث التي تعتقد بها الإمارة والولاية كما سبق بيانها هي السنة النبوية التي أمر النبي ﷺ بالتمسك بها عند الاختلاف وحدوث التفرق، وأوصى بها ﷺ؛ كما في حديث العرياض بن سارية: ﴿أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم؛ فسيري اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة﴾ (١)(٢).

وكان من سنتهم أن من أتاهم وأمرهم جميع يريد أن يفرق جمعهم وينازع الأمر أهله: أن يدفعوه، وإن لم يندفع إلا بالمقاتلة؛ قاتلوه وقتلوه كائنا من كان؛ جمعا للكلمة، ودرءا للتفرق والفتن، وحفاظا على الجماعة، والتزاما للسمع والطاعة؛ فقد استقر لديهم أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة للأمير، وإن كان عبدا متأمرا.

غربة الإسلام

ولكن مع كثرة المحدثات وغلبة الجهل يصبح الإسلام غريبا، ويتفرق أمر المسلمين، فيصرون فرقا كثيرة بعد أن كانوا أمة واحدة؛ كما حصل ذلك في واقع المسلمين اليوم، وطريق العودة إلى وحدتهم

(١) سنن الدارمي: كتاب المقدمة (٩٥).

(٢) رواه: أحمد في "المسند" (٤/١٢٦-١٢٧)، وأبو داود في "السنن" (باب لزوم السنة، ح ٤٤٤٣)، والترمذي - وقال: "حديث حسن صحيح" - في (العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ٧/٤٣٨، ح ٢٨١٥)، وابن ماجه في (المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم ٤٢).

هو إعزازهم أهل السنة والجماعة منهم، ولزوم جماعتهم وإمامهم، ولا طريق غير ذلك.

وقد بدأت غربة الإسلام بعد مضي قرن الرسول ﷺ الذي هو خير القرون، ثم مضى القرن الذي يليه، ثم الذي يليه أيضا؛ كما روى البخاري في "صحيحه" في فضائل أصحاب النبي ﷺ عن عبد الله؛ أن النبي ﷺ قال: ﴿ خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته ﴾ (١)(٢).

وكلما جاء زمان؛ كان الذي بعده شرا منه، وكانت غربة الإسلام فيه أشد؛ كما أخبر رسول الله ﷺ فيما روى مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ؛ فطوبى للغرباء ﴾ (٣)(٤).

هذا في غالب الأحوال.

وقد جعل الله دين محمد ﷺ باقيا إلى قيام الساعة، فلم تخل الأرض من قائم له بحجته أبدا، كما روى مسلم في "صحيحه": ﴿ لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ﴾ (٥)(٦).

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٦٥١) وكتاب الأيمان والندور (٦٦٥٨).

(٢) (ج ٤ / ص ١٨٩).

(٣) مسند أحمد (٣٨٩/٢).

(٤) وكذلك رواه مسلم عن ابن عمر. انظر: (ج ١ / ١٣٠). ورواه غير مسلم من طرق عديدة.

انظر تخريجه في كتاب "غربة الإسلام" لابن رجب الحنبلي.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الإمارة (١٨٢٢)، ومسند أحمد (٨٩/٥).

(٦) (ج ٣ / ص ١٤٥٣).

وكما روى البخاري في "صحيحه" في المناقب عن معاوية رضي الله عنه؛ يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم؛ حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك ﴾^(١)(٢).

ومن يقيم الله بهم الحجة الأئمة المجددون، فكلما جاء قرن من القرون التي تنطمس فيها أكثر معالم الدين، ويكاد ينتقض حبله، وتتعطل معظم أصوله ودعائمه؛ من تلاعب الجهال به، وقبض العلم بموت العلماء، وارتفاع أهل الجهل وترؤسهم، بعث الله وعزك من يجدد لهم دينهم، ويردهم إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل القرون الفاضلة بالدعوة والتعليم وحسن القدوة والجهاد، وذلك مصداق الحديث الشريف الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: ﴿ إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها ﴾^(٣)(٤).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: "هذا الحديث إسناده جيد رجاله كلهم ثقات، وقد صححه الحاكم والحافظ العراقي والعلامة السخاوي وآخرون"^(٥).

وقال الألباني: "حديث صحيح، والسند صحيح، رجاله ثقات

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب (٣٦٤١).

(٢) (ج ٤ / ص ١٨٧).

(٣) سنن أبي داود : كتاب الملاحم (٤٢٩١).

(٤) "سنن أبي داود" (ح ٢، كتاب الملاحم، باب ١، ص ٤٢٤).

(٥) هامش (ص ١٠) من كتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... تأليف أحمد بن حجر آل

بوطامي.

رجال مسلم" (١).

وقال عبد المتعال الصعيدي: "قال السيوطي: اتفق الحفاظ على صحته، منهم: الحاكم في "المستدرک"، والبيهقي في "المدخل"، ونص الحافظ ابن حجر على صحته" (٢).

وقال الإمام أحمد في خطبة كتابه "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله" (٣) "الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم؛ يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويصرون بنور الله أهل العمى؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، [بذلوا دمائهم وأموالهم دون هلكة العباد] (٤) فما أحسن أثرهم على الناس! وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" (٥).

(١) انظر تحريج الألباني لأحاديث كتاب "إصلاح المساجد" للقاسمي (هامش ص ٦)، و "سلسلة

الأحاديث الصحيحة" (ج ٢/ ص ١٥٠، ورقمه ٥٩٩).

(٢) "المجددون في الإسلام" لعبد المتعال الصعيدي (ص ٨-٩).

(٣) تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية.

(٤) ما بين القوسين زيادة من كتاب "البدع والنهي عنها" لابن وضاح، وقد أسند هذه الخطبة

إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع اختلاف في بعض ألفاظها. انظر: (ص ٢-٣).

(٥) "الرد على الجهمية" (ص ١٣-١٤).

وليس من شرط المجدد أن يكون واحدا بعينه، أو صنفا خاصا من الناس، بل الأمر كما ذكر الشيخ ابن باز، أن الحافظ ابن كثير قال في "النهاية" لما ذكر هذا الحديث ما نصه: "وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر -والله أعلم- أنه يعم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء؛ من محدثين ومفسرين وفقهاء ونحاة ولغويين إلى غير ذلك من الأصناف، والله أعلم"^(١).

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمهم الله تعالى: "وليس من شرطه أن يقبل منه ويستجاب، ولا أن يكون معصوما في كل ما يقول؛ فإن هذا لم يثبت لأحد دون الرسول ﷺ"^(٢).

ويقول أيضا: "ولهذا المجدد علامة يعرفها المتوسمون وينكرها المبطلون، أوضحها وأجلها وأصدقها وأولها محبة الرعيل الأول من هذه الأمة، والعلم بما كانوا عليه من أصول الدين وقواعده المهمة، التي أصلها الأصيل وأسها الأكبر الجليل: معرفة الله بصفاته، بصفات كماله ونعوت جلاله، وأن يوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله؛ من غير زيادة ولا تحريف، ومن غير تكيف ولا تمثيل، وأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويكفروا بما سواه من الأنداد والآلهة. هذا أصل دين الرسل كافة، وأول دعوتهم وآخرها، ولب شعائهم، وحقيقتهم

(١) من تعليق ابن باز على كتاب "الشيخ محمد... للأحمد آل بوطامي (ص ١٠).

(٢) "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (ج ٣/ ص ١٥٣).

ملتهم، وفي بسط هذه الجملة من العلم به وبشرعه ودينه وصرف الوجوه إليه ما لا يتسع له هذا الموضوع، وكل الدين يدور على هذا الأصل ويتفرع عنه" (١).

ومن هؤلاء المجددين؛ الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد شهد له بذلك الجم الغفير من أكابر أهل العلم والدين.

يذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم أن أكابر أهل عصر الشيخ شهدوا له بالعلم والدين، وأنه من جملة المجددين لما جاء به رسول رب العالمين، وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين والهند وغيرهم، وتواتر عن فضلائهم وأذكيائهم مدحه، والثناء عليه، والشهادة له أنه جدد هذا الدين" (٢).

وقد ذكره الشيخ محمد رشيد رضا من المجددين (٣) وقال: "كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجددا للإسلام في بلاد نجد؛ بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة" (٤).

وقال أيضا بعد أن ذكر المجددين: "ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى

(١) "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (ج ٣/ ص ١٥٤).

(٢) "الدرر السننية" (ج ١٢/ ص ٩).

(٣) "تاريخ الإمام محمد عبده" (ج ١/ ص ح في التصدير، طبعة عام ١٣٥٠هـ).

(٤) "الوهابيون والحجاز" (ص ٦).

تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ وترك البدع والمعاصي، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرمانه المنتهكة المنهوكة"^(١).

وكذلك عبد المتعال الصعيدي عده من المجددين في كتابه "المجددون في الإسلام"، وترجم له في ذلك الكتاب^(٢).

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز بعدما أشار إلى أئمة الهدى الذين يمن الله بهم في الفترات ما نصه: "وكان من جملة هؤلاء الأئمة المهتدين، والدعاة المصلحين، الإمام العلامة، والخبير الفهامة، مجدد ما اندرس من معالم الإسلام في القرن الثاني عشر، والداعي إلى سنة خير البشر، الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي، طيب الله ثراه، وأكرم في الجنة مثواه"^(٣).

وقد شهد بذلك للشيخ محمد بن عبد الوهاب كثيرون من الثقات العدول غير من ذكرنا هنا، يطول المجال باستقصاء شهاداتهم. والمقصود: إقامة الشهادة بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المجددين، وقد قامت -ولله الحمد- قياما لا يدع شكاً في أنه من

(١) مقدمة الشيخ رشيد رضا للطبعة الثانية لكتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان"

لمحمد بشير السهسواني (ص ١١، الطبعة الخامسة عام ١٣٩٥هـ).

(٢) "المجددون في الإسلام" (ص ٤٣٧ - ٤٤١).

(٣) مقدمة الطبعة الثانية لكتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ عقيدته السلفية ودعوته

الإصلاحية وثناء العلماء عليه" بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي (ص ٣-٤).

المجددين؛ فإنه عالم عامل، ومن أولئك الذين يوجد لهم الله لإقامة حجته، ووصل جبل الإسلام الممتد من لدن رسول الله ﷺ إلى أن يأتي أمر الله، وكلما مات منهم علم؛ أبدل الله به علما آخر من أئمة الهدى، وأعلام الهداية، ومنارات الإرشاد، وزعماء الإصلاح.

ولقد تجرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدعوة إلى الله على حين غربة من الإسلام في القرن الثاني عشر، وكان على بصيرة، حيث كان عارفا بما عليه الصدر الأول من السلف الصالح، خبيرا بما انحل من عرى الإسلام لدى أهل عصره وتحولوا عنه، فقام مجاهدا ليرد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح في باب العلم النافع والعمل الصالح، والإيمان والإحسان، وترك التعلق بغير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم، والاعتقاد في الأحجار والأشجار، والعيون والغيران، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال، وهجر ما أحدثه الخلوف والأغيار.

وقيض الله له من آل سعود الذين وازروه على نصرته دين الله ورسوله، فأقبلوا على معرفة ما عنده من العلم والإرادة، حتى إذا عرفوا صدق موافقته للحق؛ نفذوا ذلك بالسلطان والإدارة، والسيف والعزيمة؛ يريدون ما عند الله تعالى، فصنع لهم من عظيم صنعه، وأظهر لهم من الدولة ما ظهرها به على سائر العرب، وكلما كان الأمر على السنة الإسلامية؛ كان في مزيد عز ونصر وظهور، ونحن لا نزال ولن نزال - إن شاء الله - نعم بوارف ظلال عقيدة السلف الصالح التي نشرها هؤلاء، ونصرها هؤلاء، تحت دوحتي العلم والوفاء، دوحه علماء

الدعوة من ورثة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودوحة أنصارها من ورثة الأمير الراشد محمد بن سعود، جزاهم الله خير الجزاء... والحمد لله العزيز الرحيم.

وقد اخترت أن يكون موضوع رسالتي للدكتوراه عام ١٣٩٩ هـ "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي"، لأهميتها، ولأنه من المجددين؛ فعقيدته عقيدة سلفية، وعقيدة السلف الصالح عقيدة تجديد حية، تواكب الإصلاح والرقى المشروع في كل عصر ومصر، وتسائر التقدم والنمو الخيري، وتزيده زكاء وبرا وشرعية، ولا تعوقه أو تؤخره أبدا... إنها الاعتقاد الجازم بأنه لا يصلح ولا يقبل سوى اتباع سبيل المؤمنين السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان في هذا الدين وفي تفسيره، فتفوقوا على الشرق والغرب، وسادوا العالم كله، وكانت كلمتهم هي النافذة، وقد:

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(١).

وقال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾^(١).

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠.

قال الإمام مالك: "قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاية الأمر من بعده سننا؛ الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها، من اقتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيرا".

قال مالك: "أعجبنى عزم عمر في ذلك"^(٢).

وقال وهب بن كيسان فيما رواه عنه الإمام مالك: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها"^(٣).

ومن يتأمل الواقع الذي نعيشه؛ يدرك أن ما نحن فيه من أمن يفوق ما فيه أهل عصرنا من الدول المجاورة وغير المجاورة هو من أثر عقيدة الشيخ السلفية التي دعا إليها، وناصره آل سعود عليها؛ كما يجد المتأمل المنصف إضاءة التاريخ الإسلامي بذلك، وأن عقيدة هذا شأنها لا ريب أن البحث عنها والدراسة فيها أهم موضوع لتحصيل العلم النافع والمعتقد الصحيح السليم، وأمن شيء هو العلم النافع والمعتقد الصحيح؛ لأن من استمسك بالعلم النافع والمعتقد الصحيح، عصم من ضلال الكفار وفسادهم الذي نغزى به من الشيوعيين وغيرهم، من الشرق والغرب، تحت شعارات زائفة ودعاوى

(١) سورة النساء آية : ١١٥ .

(٢) "كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ" للقيرواني (ص ١١٧).

(٣) "التمهيد" لابن عبد البر (١٠/٢٣).

باطلة، لا ينخدع بها إلا من فرغ قلبه وجوارحه من عقيدة السلف الصالح وسلوكهم.

ومما قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في أهمية هذا الموضوع: "هذا الأصل الأصيل والفقهاء الأكبر هو أولى ما كتب فيه الكتاتيون، وعني به دعاة الهدى وأنصار الحق، وهو أحق العلوم أن يعرض عليه بالنواجذ وينشر بين جميع الطبقات؛ حتى يعلموا حقيقته، ويتعدوا عما يخالفه..."

إلى أن قال في تعليل أهمية نشره: "لعظم شأنه، وشدة الضرورة إليه، ولما وقع بسبب الجهل به في غالب البلدان الإسلامية من الغلو في تعظيم القبور، ولا سيما قبور من يسمونهم بالأولياء، واتخاذ المساجد عليها، وصرف الكثير من العبادة لأهلها؛ كالدعاء، والاستغاثة، والذبح، والندب... وغير ذلك، ولما وقع أيضا بسبب الجهل بهذا الأصل الأصيل في غالب البلدان الإسلامية من تحكيم القوانين الوضعية والآراء البشرية، والإعراض عن حكم الله ورسوله الذي هو أعدل الأحكام وأحسنها"^(١).

لذلك كان موضوع عقيدة الشيخ محمد موضوعا مختارا، وفيما يلي أركز أسباب اختياري له في ثلاثة أسباب فحسب:

١ - أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدة تجديد

(١) "مجلة البحوث الإسلامية" (المجلد الأول، العدد الثاني، ص ٤٥٠-٤٥٥).

سلفية، اعتقدناها واعتمدناها في ديننا ودينانا، وهي أساس وحدتنا السعودية، اجتمعنا عليها بعد الفرقة، واهتدينا بها بعد الضلال، وكانت حال أهل نجد وأهل الجزيرة العربية قبيل ظهور هذا الإمام المجدد بعقيدته السلفية أسوأ الأحوال؛ فقد كانوا متفرقين ومختلفين، يبغى بعضهم على بعض، والإسلام بينهم غريب، والضلال ظاهر، والمنكر أصبح معروفا لديهم ومألوفاً، وسنبن ذلك في مبحث البيئة قبل ظهوره فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثم إن الله تعالى جمع أهل نجد بالتوحيد؛ كما دعا إليه الشيخ وبينه عن عقيدة سلفية سليمة، وأعزهم الله بعد ذلتهم بالنصر المبين، وأغناهم بعد فقرهم بالخير العميم، واستنارت بينهم سنن رسول الله ﷺ واختفت البدع، وزالت الفرقة تحت راية التوحيد التي يحملها أنصار الشيخ من آل سعود، وتظهر الحرمان الشريفان وما جاورهما من البناء على القبور ودعاء غير الله والطغيان والبدع والخرافات، ونودي في أرجائهما بالعدل والأمان، وبطلت سنن جاهلية وقوانين جائزة ما أنزل الله بها من سلطان، وبطلت جوائز القبائل التي يأخذونها على الحجاج إذا مروا بهم، واختفى قطاع الطرق وسراق الأعراب، فأمنت السبل، واطمأنت البلاد، واستقام العباد بتلك العقيدة السلفية التي أظهرها الشيخ وآل سعود، حتى أصبح السعودي علماً يعرف بهذه العقيدة في الغالب.

وهذا الظهور يدل على علم الشيخ وصدق أنصاره، ولقد كان علم

الشيخ علماً أصيلاً بميراث رسول الله ﷺ وخلفه لنا في مؤلفاته

ورسائله وردوده وأجوبته؛ جمعا وتأليفا، وبيانا واستنباطا، وميراثا نبويا ورثه لمن بعده كما ورثه هو عن من قبله، ويتوارثه العلماء إلى ما شاء الله تعالى؛ كما ورد "أن العلماء ورثة الأنبياء؛ ورثوا العلم، من أخذه؛ أخذ بحظ وافر"^(١).

وكان وفاء آل سعود وصدقهم موافقا لمراد الله ورسوله، فكانت الوحدة ونعمة الأمن والهداية والعيش والثروة في هذا العهد السعودي الميمون؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٢).

وقد نشأ جيل جديد، وجد نفسه في نعمة هذه الوحدة، ولم يكن يعرف ضدها، وأخشى أن يلهو ويغتر، وينسى سبب نعمته فلا يأخذ به، فتنقض عليه عرى أمنه وهدايته، وتحل عليه بديلاتها مما يغزوه عبر الأقمار الصناعية وغيرها من عقائد الكفار وأفكارهم...

فلذا رغبت في مشاركة وارثي هذا الإمام المجدد عقيدته السلفية وعلمه الأصيل وولائه لأنصار دين الله ورسوله من آل سعود الكرام، ومن ذلك أن أخصص بحثي للدكتوراه فيها وفي أثرها، عسى الله أن يهب لي حظا وافرا من هذا العلم النافع والمعتقد السلفي السليم

(١) انظر: "صحيح البخاري" (كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ج ١/ ص ٢٥).

(٢) سورة الأنعام آية : ٨٢.

الآمن، ونشره وإظهاره للناس عن علم واتباع، لا عن تقليد وابتداع، وأسأل الله أن لا يغير ما بنا من نعمة الأمن والهداية، والعيش والثروة، والاجتماع والوحدة، والله ذو الفضل والجلال والإكرام.

٢- الحاجة إلى كتابة عقيدة الشيخ وعرضها مجموعة ومرتبة ومنسقة في رسالة جامعية بأسلوب الدراسات العلمية المنهجية؛ لتيسيرها ونشرها والدعوة إليها بهذا الأسلوب المؤلف، سيما وقد تقاصرت المهتم وضعفت النفوس عن الصبر على مشقة البحث الطويل لكثرة المشاغل ونقص العلم. وعقيدة الشيخ مبنوثة في مؤلفاته ومراسلاته وردوده وأجوبته واستنباطاته ونبذه وسائر آثاره في شتى الفنون والعلوم، ولما جمعت مؤلفاته العامة؛ بلغت مجلدات كبيرة وكثيرة.

والشيخ رحمه الله إنما كان يؤلف بحسب ما تستدعيه حاجات الناس، وتقتضيه مصالحهم، ويلجئ إليه واقع حياتهم وحالتهم الاعتقادية والواقع المؤلم للتصحيح والإصلاح بعقيدة السلف الصالح في الأصول والفروع؛ فهذا جعله يهتم بما هو الأولى والأهم، وما يناسب أهل زمانه ويلائمهم، ولقد خاطبهم بما يعقلون ويفهمون بلهجتهم وأسلوبهم، على أتم وجه وأكمله، ونفع الله بعلمه وعمله.

وأردت أن أقوم في هذه الرسالة بكتابة عقيدة الشيخ وعرضها، عسى أن يكون ذلك من المناسب لأهل زماننا، فيستدعيهم قراءة وقبولاً.

وفي "صحيح البخاري" في (كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا): "وكان يجب التخفيف واليسر على الناس"^(١).

وفي "صحيح مسلم" في (كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة) عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من دعا إلى هدى؛ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه؛ لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا... ﴾^{(٢)(٣)}.

وفي "صحيح البخاري" في (كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتابة أهل العلم بالعلم إلى البلدان) عن أنس بن مالك؛ قال: ﴿ كتب النبي ﷺ كتابا (أو: أراد أن يكتب)، فقبل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا محتوما، فاتخذ خاتما من فضة نقشه: محمد رسول الله، كأني أنظر إلى بياضه في يده ﴾^{(٤)(٥)}.

وقد أورد الخطيب البغدادي في كتابه "تقييد العلم" مجموعة طيبة من الأحاديث والأخبار والأقوال والشواهد عن السلف؛ ترخص بكتابة العلم، وتبين فضلها في عرضه وحفظه ونشره وتحميل كتبه وتحسينه، وقال: قد أوردت من مشهور الآثار ومحفوظ الأحاديث والأخبار عن رسول رب العالمين وسلف الأمة الصالحين صلى الله عليه ورضي عنهم أجمعين في جواز كتب العلم وتدوينه، وتحميل ذلك

(١) "صحيح البخاري" (ج ٧/ ص ١٠١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب العلم (٢٦٧٤) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٦٠٩) ،
ومسند أحمد (٣٩٧/٢).

(٣) "صحيح مسلم" (ج ٤/ ص ٢٠٦٠).

(٤) صحيح البخاري : كتاب العلم (٦٥) ، وسنن النسائي : كتاب الزينة (٥٢٠١، ٥٢٧٨).

(٥) "صحيح البخاري" (ج ١/ ص ٢٤).

الفعل وتحسينه، ما إذا صادف بمشيئة الله قوي شك؛ رفعه، أو عارض ريب؛ قمعه ودفعه"^(١).

٣- بيان أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي عقيدة السلف الصالح. على الرغم من أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي عقيدة السلف الصالح، ولم يتدع في ذلك شيئاً خلاف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعهم بإحسان، لكن طالما حكم عليه وعلى ما ظهر به من هذه العقيدة بالبدعة بغير علم، وطالما جعلت عقيدته محل أخذ ورد كثير، ليس في العالم البعيد عن دائرة الإسلام، ولكن في ذات الدائرة الإسلامية، وفيما بين المسلمين أنفسهم.

فهل يا ترى ثم ثغرات مبتدعة في الإسلام فتحت على ابن عبد الوهاب وأتباعه في عقيدته، أم أنها محكمة البناء، صحيحة في الادعاء، أصيلة في الانتماء، لكن؛ دخل عليها هؤلاء من باب مخالفتها لما كانوا عليه وكان عليه آباؤهم وأجدادهم من تقاليد عمياء وعادات جهلاء في دينهم واعتقاداتهم كانت معروفة ومألوفة لديهم، وقد درجوا عليها؛ يعدونها ديناً يقربهم إلى الله، ويحسبونها قرية مسنونة، فما فجأهم إلا والشيخ يطلع عليهم بما لا يعهدون وبما لا يعرفون! فاستنكروا، ولقنهم الشيطان حجج أمثالهم السابقين؛ مثل: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون... فمن هنا؛ حكموا على

(١) (القسم الثالث، الفصل الرابع، ص ١١٥ - ١١٦، الطبعة الثانية عام ١٣٩٥هـ).

عقيدة الشيخ بالبدعة، أو من باب الحسد والبغي دخل عليه أقوام لديهم علم وجاه؛ كما قيل:
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

وهذا وذاك من الأبواب المفتوحة والسنن الجارية في هذه الدنيا؛
ليبلو الله أهلها أيهم أحسن عملا، وسنة الله في الذين خلوا من
قبل على امتداد التاريخ، والله هو العزيز الغفور.

هذا أيضا مما دفع بي إلى أن أستوعب مؤلفات الشيخ وآثاره في هذا
المبحث، ثم أستخلص منها عقيدته مباشرة، ليعلم من يقصد الحق أنها
عقيدة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، الذين رضي الله
عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وإن خالفت
ما عليه أكثر من يدعي الإسلام، وهم ليسوا من الإسلام في شيء. أما من
لا يريد الحق؛ فتقوم عليه الحجة بيسر ووضوح؛ ليهلك من هلك عن بينة،
ويجيا من حي عن بينة. نصيحة الله وكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين
وعامتهم، والدين النصيحة.

والله المستعان، عليه نتوكل وإليه المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم.

هذا ولقد كتب عن تاريخ الشيخ وحياته وفكره ودعوته ومؤلفاته وآثاره
وأقوال الناس فيه الشيء الكثير الجيد من قبل العلماء الباحثين والكتاب وقد
استفدت منها كثيرا، لكنني بالإضافة إلى الأسباب المتقدم

ذكرها أردت بهذا البحث أن أدلي بدلوي مع الدلاء، وأن أتطفل على العلماء، وأسهم بسهم مع الفضلاء؛ تشبها بهم، وحباً لهم ولنهجم وموضوع بحثهم، وإن لم أكن في مقامهم وسبقهم؛ فاللاحق يتبع السابق كما يتبعه من بعده؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا ^ط فَاسْتَبِقُوا ^ع الْخَيْرَاتِ ^ع أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ^ع إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ^ع خَبِيرٌ ^ع ﴾ (١) .

وأسأل الله تعالى أن يجزي عنا العلماء وورثة الأنبياء خير الجزاء....
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

خطة البحث

هذا؛ وقد جعلت موضوع البحث من: مقدمة، ومدخل، وبابين، وخاتمة:

فأما المقدمة؛ فتضمنت بيانا لأهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، والشكر، وخطة البحث.

وأما المدخل، فيشتمل على مبحثين:

- الأول: في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي.

(١) سورة البقرة آية : ١٤٨ .

والثاني: مبحث في حياة الشيخ، يتضمن ترجمته ونشأته ورحلاته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته وورثاءه.

وأما البابان:

فالباب الأول: هو في عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، ويتضمن أربعة فصول:

الفصل الأول: في منهج الشيخ رحمه الله تعالى في عقيدته ودعوته.

الفصل الثاني: في مجمل عقيدة الشيخ.

الفصل الثالث: في عقيدة الشيخ في التوحيد من مقاميه: المقام الخبيري، والمقام الطلبي.

الفصل الرابع: هو في التحذير من نقيض عقيدة السلف الصالح أو نقيض كمالها.

الباب الثاني: في أثر عقيدة الشيخ السلفية في العالم الإسلامي، ويتضمن خمسة فصول:

الفصل الأول: في ظهور دعوة الشيخ وأسباب ومبادئ تأثيرها.

الفصل الثاني: في أثرها في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها.

الفصل الثالث: في أثرها في الدور الثاني.

الفصل الرابع: في أثرها في الدور الثالث الحاضر.

الفصل الخامس: في أثرها في خارج سلطانها من العالم الإسلامي.
وأما الخاتمة؛ فهي تتضمن خلاصة البحث ونتيجته.

المدخل

ويشتمل على مبحثين :

- المبحث الأول: في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي.
- المبحث الثاني: في حياة الشيخ، ويتضمن: ترجمته، ونشأته، ورحلاته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته، وراثه.

المبحث الأول

في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي

لقد كانت البيئة من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلدان الإسلامية قد تحولت عن صبغتها الإسلامية في غالب أحوالها، سواء في العقيدة أو في السياسة، وقد حدث في أكثرها ما هو أشد من أحوال الجاهلية الأولى في العقيدة والسياسة، وما من شك أن المجتمع يفقد رشده وأمنه واستقراره إذا غلبت عليه عقيدة الجاهلية وظهرت فيه البدع والشركيات.

وهكذا كانت البيئة بصفة عامة التي واجهها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فزار بعض البلدان وشهد بيئتها، وبعض البلدان الأخرى التي لم يزرها سمع عنها.

وفيما يلي شيء من تفصيل ذلك في الأحوال السياسية والدينية:

أما الأحوال السياسية والدينية في ما سبق ظهور الدولة السلفية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتجاوب الأمير الراشد محمد بن سعود؛ فكانت كما يلي:

نجد وأحوالها :

أما نجد؛ فإنها منذ مدة طويلة قبل ظهور دعوة الشيخ محمد لم تشهد سلطانا قويا صالحا؛ يحكم وجوده على سير الحوادث داخلها، ويوحد أجزاءها، ويحدث فيها استقرارا سياسيا وأمنا شاملا؛ فقد كانت محكومة بغلبة الأخيضريين العلويين الذين أعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية، واستمر ملكهم على الإمامة حتى غلبهم القرامطة سنة ٣١٧هـ^(١).

ويذكر حمد الجاسر في كتابه "مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ" أن المؤرخين يكادون يجمعون على أنه في سنة ٢٥٣هـ تقريبا استولى الأخيضريون -أسرة علوية- على الإمامة، وكانوا سيئي السيرة، فلم يقتصر ضررهم على إضعاف تلك المدينة وتشتيت أهلها عند غزوهم إياها، بل شمل غيرها من مدن نجد في ذلك العهد، وانقشع أهلها من جورهم إلى أرض مصر، ولم ينتزع أحد منهم هذه الولاية؛ إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر، وهم ذوو شوكة، ومن فرقة الزيدية، يقولون في الأذان: محمد وعلي خير البشر، وحي على خير العمل.

ويقرر الجاسر أنه منذ أن حكم هؤلاء الأخيضريون الإمامة وما حولها من نجد إلى قيام الدولة السعودية بنصرة الدعوة الإصلاحية الدينية بعد منتصف القرن الثاني عشر الهجري والإمامة وما حولها

(١) "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني (ص٢٨)، و "تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد" تأليف حسين خلف الشيخ خزعل (ص٣٦).

تعيش فترة من التاريخ مجهولة إلا نتفا ضئيلة من بعض المؤرخين؛ لأن حكم الأخيضرين قضى على مدينة حجر قصبه اليمامة وشرد أهلها وأضعف شأنها، ثم بزوال الأخيضرين لم تحكم اليمامة حكما قويا، ولم تقم فيها أية دولة ذات شأن ليهتم المؤرخون بأمرها، وبلاد نجد أصبحت كلها مجزأة إلى إمارات متفرقة وأصبحت خاضعة للدويلات الصغيرة التي حكمت البحرين والأحساء مثل القرامطة والعيونيين والجبيريين الذين منهم أجود بن زامل الجبيري، وكل هؤلاء اتخذوا الأحساء قاعدة لحكمهم الذي امتد إلى بلاد نجد^(١).

وكانت الحروب بين البلدان النجدية قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة مستمرا وحادا وعنيفا، ولذا؛ كانت نجد متمزقة بين إمارات صغيرة متعادلة ومتفككة، في كل قرية أمير، وفي نفس الوقت يتهدده طامع في إمارته، وربما يكون أقرب أقربائه^(٢)؛ فهو خائف ومخيف، وسياسته انبثقت من هذه الحالة، وما كان بين أمراء القرى في الغالب وفاق، ولكن كل أمير يتربص بالآخر ويتحين فرص الوثوب عليه، وقد وصل الحال إلى أن القرية الواحدة تتمزق بين أميرين متعادين أو ثلاثة أو أكثر، كل منهم يدعي لنفسه الولاية، كما هو شأن حريملاء، حيث

(١) انظر: "مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ" بقلم حمد الجاسر (ص ٦٩-٧٩).

(٢) انظر: ابن بشر "عنوان المجد في تاريخ نجد..." (سابقة عام ١١١١هـ، ج ١/ ١٢٢-١٢٣)، وسوابق ابن بشر عموما تبين هذه الأحوال السياسية. وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." للدكتور العثيمين.

كانت منقسمة بين قبيلتين، كان أصلهما واحدا، ثم افترقوا إلى حزبين؛ كل منهم يدعي القول له وليس للآخر على الثاني قول، والبلد لا يرأسه رئيس واحد أو مجموعة متحدة في هدف واحد، فذلك يزع الجميع إن كان قويا^(١).

وذكر ابن بشر في سابقة سنة ١١٢٠هـ أن ناصر بن حمد غدر بفوزان أمير التويم أو رئيسه، فتولى في بلد التويم محمد بن فوزان، ثم تمالأ عليه رجال فقتلوه، منهم المفرع وغيره من رؤساء البلد، وهم أربعة رجال، فلم يستقم لأحدهم ولاية، فقسما البلد أرباعا؛ كل واحد شاخ في ربعها، فسموا المربوعة، أكثر من سنة.

قال ابن بشر: "وإنما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة، ولا نعرف الأشياء إلا بأضدادها؛ فإن هذه قرية ضعيفة الرجال والمال، وصار فيها أربعة رجال؛ كل منهم يدعي الولاية على ما هو فيه"^(٢).

نجد لم تشهد نفوذا عثمانيا :

ولم تشهد نجد على العموم نفوذا للدولة العثمانية، فما امتد إليها سلطانها^(٣) ولا أتى إليها ولاية عثمانيون، ولا جابت خلال ديارها حامية تركية في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

(١) انظر: ابن بشر "تاريخ نجد..." (٩/١).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد في تاريخ نجد" (ج ١٥٨/١).

(٣) "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني.

ومما يدل على هذه الحقيقة التاريخية استقرار تقسيمات الدولة العثمانية الإدارية، فمن خلال رسالة تركية عنوانها: "قوانين آل عثمان در مضامين دفتر ديوان"؛ يعني: "قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان"، ألفها يمين علي أفندي، الذي كان أميناً للدفتر الخاقاني سنة ١٠١٨ هـ الموافقة لسنة ١٦٩٠ م، ونشرها ساطع الحصري ملحقاً من ملاحق كتابه "البلاد العربية والدولة العثمانية"؛ من خلال هذه الرسالة تبين أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري كانت دولة آل عثمان تنقسم إلى (٣٢) إيالة، منها (١٤) إيالة عربية، وبلاد نجد ليست منها، ما عدا الأحساء، إن اعتبرناه من نجد^(١).

ثم إن نفوذ العثمانيين ما لبث أن ضعف في جزيرة العرب نتيجة لمشاكلهم الداخلية والخارجية^(٢) فاضطروا في نهاية الأمر إلى ترك اليمن بسبب ثورة أئمة صنعاء ضدهم، واضطروا إلى مغادرة الأحساء أيضاً أمام ثورة زعيم بني خالد براك بن غرير وأتباعه سنة ١٠٨٠ هـ^(٣).

أشرف الحجاز :

وأما الحجاز؛ فقد كان يحكمه الأشرف تحت سلطان الدولة

(١) انظر: "البلاد العربية والدولة العثمانية" ساطع الحصري (ص ٢٣٠-٢٤٠)، و "انتشار دعوة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية" محمد كمال جمعة (ص ١٣).

(٢) انظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور العجلاني (ص ٤٧).

(٣) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... للدكتور العثيمين (ص ١٠ و ١١)، و "عنوان

المجد... سابقاً (١٠٨٠ هـ).

العثمانية، وفي القرن الثاني عشر، ابتداء من أوله، كان هؤلاء الأشراف في منازعات بينهم وحروب كانت تقوم بين الأخ وأخيه والعم وابن أخيه، وتهدر فيها الدماء، وتستحل الحرمات، فكان معدل ولاية الأمير على مكة سنة أو سنتين؛ لكثرة الاغتيال والغدر والخلاف، وكان من هوانهم على السلطان العثماني أنه يوكل أمرهم أحيانا إلى واليه على مصر، وكان والي مصر يولي من يشاء ويعزل من يشاء باسم السلطان.

ولقد تعاقب على إمارة مكة خلال القرن الثاني عشر وحده نحو ثلاثين شريفا، لم ينعم واحد منهم بالاستقرار، وصارت السلطة مثار نزاع لا نهاية له، يفرض أقواهم على الآخرين، ويتدخل السلطان التركي أحيانا في النزاع ليجلس على كرسي الحكم أحد الأخصام، ولا يتورع هؤلاء الأمراء المتنازعون عن أن يصلوا بمعاركهم إلى قلب الأماكن المقدسة؛ مخالفين بذلك نصوص القرآن والسنة، وأهملت أمور الدين، حتى لم يعد الشريف محل ثقة بأمور الإسلام في نظر المسلمين.

هذه حالة شرفاء مكة في أول ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما كانوا قادرين على عدوانهم على أهل نجد - كما كانوا من قبل منذ القرن العاشر الهجري - أو على غير أهل نجد؛ لضعفهم وتخاذلهم وخوف بعضهم من بعض، ومع هذا؛ فقد اتخذوا تدابير عدائية في مكة ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح؛ فقد اعتبروه وأنصاره وهابية مبتدعة، فمنعواهم من

الحج، بل أطلقوا عليهم الكفر^(١)!

الدولة العثمانية في حكم الزوال :

ولقد كانت الدولة العثمانية بأجمعها وفيما امتدت إليه سلطتها منذ أوائل القرن الثاني عشر للهجرة النبوية في حكم الزوال قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ فقد انهزم سلاطين آل عثمان أمام النمسا وروسيا والبندقية وغيرها من دول النصرانية بتوقيعهم ما يسمى صلح كارلوفتسي عام ١١١٠هـ \ ١٦٩٩م، وهو وثيقة انهزمهم عن حماية بلادهم الإسلامية من هذه الدول النصرانية المعادية للإسلام والمسلمين، وبموجب تلك الهزيمة طمع الأوروبيون بإزالة الدولة نهائياً، وسعوا سلطان آل عثمان الرجل المريض، واتفقوا على اقتسام تركته، لكن؛ اختلفوا في نصيب كل منهم من هذه التركة التي هي البلاد العثمانية الإسلامية، فكان هذا الاختلاف هو الذي أحرهم عن إزالة شبح السلطان العثماني مدة من الزمن. وفي الحقيقة أن السلطان العثماني أصبح منذ ذلك الوقت ليس له من الأمر في الدولة شيء، وإنما لبعض الوزراء الذين كان أصلهم من عناصر أجنبية أوربية، ومن يهود الدونمة، وماسون سالونيكاً

(١) انظر: "تاريخ مكة؛ دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمارة" أحمد السباعي (ج ٢/ ص ٨٠ و ٩٣ و ٩٤-١٠١)، و "البدر الطالع" للشوكاني (ج ٢/ ص ٧)، وانظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني (ص ٣٠-٣٢).

المتظاهرين بالإسلام، ومن المعجبين بكفر النصارى وإلحاد القوميين والعلمانيين^(١)؛ حتى انقلبت الدولة العثمانية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال، وقام كثير من الولاة والأمراء بالخروج عليها وتكوين حكومات مستبدة وضعيفة لا تستطيع إخضاع من في حكمها، فكثر السلب والنهب، وفقد الأمن^(٢).

يقول محمد كمال جمعة: "وكانت قصور السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة مملوءة بالجواري والسبايا، وكان بعض أولئك السبايا أجنبيات من بلاد أجنبية، فكن عيوننا لدولهن على الدولة العثمانية"^(٣).

وقال أيضا: "وقد تعالی سلاطين هذه الدولة على الرعية، فإذا خاطبوا الرعية؛ كانوا لا يوجهون الخطاب إليها مباشرة، بل يقولون لولاتهم: بلغوا عبيد بابنا العالی"^(٤).

وكانت الدولة العثمانية تؤيد التصوف في مختلف طرائقه، وبصورته التي بعدت عن الإسلام بعدا شاسعا، وكانت قد دخلت فيه عادات؛ بعضها نصرانية، كالرهبانية، واللعب بذكر الله، وابتداع أساليب فيه كالرقص والغناء والصياح والأشعار والتصفيق والمدائح

(١) انظر: "انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية" لمحمد كمال جمعة (ص ١١-١٢)، وانظر: "فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام" لصالح بن عبد الله العبود، رسالة ماجستير (ص ٣٦-٥٦).

(٢) "حاضر العالم الإسلامي" تأليف لوثرروب الأمريكي، في تعليق شكيب أرسلان (ج ١ / ٢٥٩).

(٣) "انتشار دعوة الشيخ... " (ص ١٢).

(٤) "انتشار دعوة الشيخ... " (ص ١٣).

والموالد، وبعضها من الهندوسية، أو الفارسية، أو اليونانية، كدعوى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

والدولة العثمانية كانت ترى هذا اللون من صميم الدين الإسلامي، فكان السلاطين يخضعون لمدعي التصوف، ويبالغون في تعظيمهم، بل يغفلون فيهم، حتى غلب اعتقاد العامة فيهم على همم العلماء المصلحين، وهذا بالإضافة إلى القباب والقبور والمزارات التي يقصدها الناس بالذبح والنذر والقرب والدعاء، وهي منتشرة وكثيرة في ظل الدولة العثمانية وحماتها^(١) وهي الدولة التي كانت تعد أكبر الدول الإسلامية في أيامها، وكان سلاطينها يعدون خلفاء للمسلمين، وكانت تعد دولة سنية، ولا يوجد للمسلمين دولة أوسع منها في ذلك الزمان قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الدولة الصفوية الراضية :

أما الدولة الصفوية المعاصرة للدولة العثمانية في ذلك الزمان؛ فإنها وإن كانت تدعي الإسلام، فهي دولة راضية على مذهب الإمامية، وكانت تغالي في الرفض، حتى إنها تحارب الدولة العثمانية لأنها منسوبة إلى السنية أشد الحرب؛ بتحريض نصارى الإنكليز، ثم انتهت بمقتل نادر شاه عام ١١٦٠هـ، واضطرب أمر بلاد فارس، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سن الخامسة والأربعين رحمه الله^(٢).

(١) انظر: "انتشار دعوة الشيخ..." (ص ١٤-١٩).

(٢) انظر: "انتشار دعوة الشيخ..." (ص ١٩-٢٠).

الدولة المغولية في الهند :

وكان في ذلك الزمان يوجد في الهند الدولة المغولية^(١) لكنها كانت بقية ورثها أبناء ملك الهند المغولي أكبر خان، وقد قرب الشاعر الشيعي المسمى الملا مبارك وولديه: أبا الفائز (وكان شاعرا متصوفا)، وأبا الفضل (وكان فيلسوفا على طريقة الصوفية المنحرفة)، وجعل فتح الله الشيرازي من أكابر علماء الشيعة من فارس مستشاره الشرعي، وهو شديد الوطأة على علماء أهل السنة، وألغى اللسان العربي من بلاطه، وجعل الفارسي مكانه، وكان ميالا إلى التصوف المنحرف، ويراه أرقى طريقة إسلامية، وهو على طريق تصوف أهل وحدة الوجود، وله عقائد أخرى، منها تناسخ الأرواح؛ أخذه عن البراهمة^(٢) مما دعا أمثال الشاه ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) في نهاية هذا العصر المغولي أن يقوم بجهود تكسر الجمود وتطلق العقول لتتمشى مع صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان^(٣).

وعندما انتهت دولة المغول في الهند، وطمعت البرتغال الكافرة

(١) انظر: "الموسوعة العربية الميسرة"، فيها كلمة عن (مغول)، وأنهم ظهروا بزعامة جنكزخان، ثم ادعوا الإسلام كما هو معروف تاريخيا.

(٢) انظر: "حاضر العالم الإسلامي" تأليف لوثرروب الأمريكي (ج ٤/ ٣٠٠ - ٣٠٩)، و "موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمودودي (ص ٦٩-٧٩)، و "حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله الدهلوي في التجديد" لمحمد إسماعيل السلفي (ص ٥٦).

(٣) "حركة الانطلاق الفكري" (ص ٦، ص ٢٧٠-٢٧١)، "موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمودودي (ص ٧٩-٨٠).

في مسلمي الهند بسبب فساد ملوك هذه الدولة المغولية؛ قامت حروب داخلية كثيرة، وتغلب فيها الهندوس، واستعمرت مسلمي الهند شركة الهند الشرقية الإنجليزية حوالي سنة ١١٧٥هـ^(١).

وهذا يبين لنا كيف كان حال المسلمين في الهند قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

في المغرب الأقصى :

وكان في المغرب الأقصى دولة العلويين الذين بدأ حكمهم عام ١٠٧٥هـ، ومع أنها دولة مغربية اقتضرت على إقليم المغرب؛ فقد كانت غير سليمة بسبب الفتن بين العرب والبربر والصوفية المنحرفة المنتشرة -خصوصا الطريقة الشاذلية- والبدع في الدين.^(٢)

في غرب إفريقيا :

وكان في غرب أفريقيا مجموعة إمارات الهوسا التي كان أمراؤها قد انتسبوا إلى الإسلام، ولكن أكثرهم لم يكن ملتزما به، وكانت البدع والطرق الصوفية - خصوصا القادرية- منتشرة بين قبائل الهوسا من المسلمين، والكثير من رعايا إمارات الهوسا ما يزالون على الوثنية، ويسود الجميع روح العصبية للقبيلة، إلى جانب الفساد والمظالم في إمارات الهوسا، والحروب المستمرة بينها^(٣).

(١) انظر: "موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمودودي "انتشار دعوة الشيخ... (ص ٢٠-٢١).

(٢) انظر: موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمودودي (ص ٢١-٢٢).

(٣) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه" للمودودي (ص ٢٢-٢٣).

في أواسط آسية :

وفي أواسط آسية كانت روسيا النصرانية في عهد بطرس الأكبر قد استولت على من ينتسب إلى الإسلام في تركستان الشرقية، وكان هؤلاء المنتسبون إلى الإسلام في وادي نهر سيحون يكونون إمارات متفرقة، مما أدى إلى ضعفها أمام مطامع روسيا النصرانية، وكانت البدع والطرق الصوفية - خصوصا النقشبندية - منتشرة هناك.

في الصين :

وفي الصين شقي من ينتسب إلى الإسلام بحكم أسرة المانشو التي عملت على إرضاء البوذيين بمضايقة المسلمين.

في إندونيسيا :

وفي إندونيسيا لم يؤلف المنتسبون إلى الإسلام دولة قوية تلم شملهم، ولكن كونوا ممالك صغيرة، سادتها الخلافات الداخلية، وانتشرت فيها البدع ومخلفات جاهلية الهنود والصين والخرافات القديمة، وتغلبت على مقدراتهم الشركة الهولندية^(١).

وهكذا كان حال أهل البلدان الإسلامية في أول القرن الثاني عشر الهجري.

وبمقارنة شرك المشركين في زمان الشيخ بشرك مشركي أهل الجاهلية الأولى؛ فإننا نجد أن مشركي الجاهلية الأولى يشركون في

(١) "موجز تاريخ تحديد الدين وإحيائه" للمردودي (ص ٢٣-٢٥).

الرخاء ويخلصون الدعاء لله في الشدة، وأما مشركو هذا الزمان، فإنهم يشركون في الرخاء والشدة على حد سواء.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائما؛ في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾^(١) " اهـ. من "القواعد الأربع".

وكان الواقع المشهود والذي سجله أهل التاريخ هو أن كثيرا ممن يعبد الأولياء وأضرحة المشايخ والسادة إنما يفزعون في حال الشدة وحلول المصائب بهم إلى الاستغاثة بمعبوداتهم من دون الله؛ من جني وولي ومعتقد؛ فهو يهتف بدعاء غير الله إن قام وإن قعد؛ ترى الرافضي إن حمل شيئا ثقيلا هتف يستعين فيقول: يا علي! أو: يا حسين! ومثله من يعبد وليا أو غيره؛ كمن يهتف ويستهل بالبدوي أو عبد القادر أو رسول الله ﷺ. يدعوهم في حال الشدائد والكوارث راجيا منهم كشف ضره وشفاء مريضه.

هذا فضلا عن حال السرور والرخاء؛ فإنه في تلك الحال يتقرب إلى معبوداته بما لا يصلح إلا لله تعالى؛ يرجو مزيد رخائه ودوام سروره؛ فهو على الشرك، دائم في كل أحواله؛ بخلاف المشركين

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٥.

الأولين، الذين ذكر الله قصتهم في القرآن الكريم كما ذكرنا آنفاً.
ومن تتبّع آثار الشيخ القولية يمكن استبيان صورة للحالة التي واجهها
رحمه الله، ورآها منحرفة عن الدين الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ وقدمنا
قوله من "القواعد الأربع" في بيان الحد الذي وصل إليه شرك المشركين في
زمانه، وهو أمر واقع قد رصده أهل التاريخ، ولا يزال باقياً في البلدان التي لم
تستتر بالدعوة إلى توحيد الله بالعبادة؛ كما دعا رسول الله ﷺ؛ كالذي
يفعل عند البدوي بمصر، وعند مشاهد الرافضة بإيران والعراق وغير ذلك.
قال الشيخ في معنى (لا إله إلا الله) "إنها نفي الألوهية عما سوى الله
تعالى من المخلوقات، حتى محمد ﷺ حتى جبريل، فضلاً عن غيرها من
الأولياء والصالحين، وإن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا:
السر والولاية.

و (الإله)؛ معناه: الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسميه الفقهاء:
الشيخ، ويسميه العامة: السيد وأشباه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل
لخواص الخلق منزلة يرضى أن الإنسان يلتجئ إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم
ويجعلهم واسطة بينه وبين الله؛ فالذي يزعمه أهل الشرك في زماننا أنهم
وسائط هم الذين يسميهم الأولون الآلهة.

و (الواسطة): هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلا الله؛ إبطال للوسائط".

ثم إن الشيخ جعل يبين أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ (١).

قال: "ومع هذا الإقرار؛ يتصدقون، ويحجون، ويعتصمون، ويتعبدون، ويتزكون أشياء من المحرمات؛ خوفا من الله ﷻ. ومع هذا؛ لم يدخلهم في الإسلام، ولم يجرم دماءهم وأموالهم؛ لأنهم لم يشهدوا الله بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يدعى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره، ولا ينذر لغيره، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فمن استغاث بغيره، فقد كفر، ومن ذبح لغيره، فقد كفر، ومن نذر لغيره، فقد كفر".

والشيخ يبين ذلك ليشخص مشابهة جاهلية أهل زمانه في اعتقادهم لأولئك الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ وزيادتهم عليهم، فيقول: "فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحين مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم؛ نريد بذلك الوجاهة والشفاعة،

(١) سورة يونس آية : ٣١.

وإلا؛ فنحن نفهم أن الله هو المدبر. فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله، فإنهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك. كما قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (١).

وكما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٢).

إلى أن قال الشيخ رحمه الله: "إذا عرفت هذا وتأملتة تأملا جيدا؛ فقد تبين لك صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك ﷺ وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ ﴿ بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ﴾ (٣).

ثم يحث رحمه الله على الكفر بالطواغيت، ومعاداتهم، وبغضهم، وبغض من أحبهم وجادل عنهم ومن لم يكفرهم وقال: ما علي منهم؟ أو قال: ما كلفني الله بهم! فقد كذب هذا على الله وافترى؛ فقد كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم".

(١) سورة الزمر آية : ٣ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

(٣) مسند أحمد (٢/٣٨٩).

ثم قال الشيخ: "ولنختتم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه؛ تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا حَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (١).

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر؛ تركوا السادة والمشايخ، فلم يدعوا أحدا منهم، ولم يستغيثوا به، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده، فإذا جاء الرخاء، أشركوا. وأنت ترى المشركين من أهل زماننا - ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة - إذا مسه الضر؛ قام يستغيث، بغير الله؛ مثل: معروف، أو عبد القادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء؛ مثل: زيد بن الخطاب، والزيبر، وأجل من هؤلاء؛ مثل: رسول الله ﷺ؛ فالله المستعان. وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة؛ مثل: شمسان، وإدريس - ويقال له: الأشقر -، ويوسف، وأمثالهم" اهـ (٢).

(١) سورة الإسراء آية : ٦٧.

(٢) انظر نص هذا البيان في "روضة ابن غنام" (ج ١/ ١٧٥ - ١٧٨)، و "تحرير الأسد لروضة ابن غنام" (الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ، مطبعة المدني، ص ٤٦٧-٤٧١)، و "مجموعة التوحيد" (طبعة السلفية بمصر، ص ٢٥٠-٢٥٣)، و "الدرر السنينة" (الطبعة الثانية، ج ٢/ ص ٥٨-٦١)، وزيد رضي الله عنه مدفون بنجد، والزيبر رضي الله عنه مدفون بالبصرة؛ فكان أكثر المعاصرين للشيخ يستغيثون بهما وبالجيلاني، بل في نجد يستغيثون بأناس يدعون إلى عبادة أنفسهم؛ مثل: شمسان، وإدريس، ويوسف، كما ذكر الشيخ هنا وفي غيره.

ويقول الشيخ رحمه الله في رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة - وهو إذ ذاك مقيم في العيينة - بعد أن بين لهم معنى (لا إله إلا الله) كما سبق: (إذا عرفتم ذلك؛ فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل الخرج وغيرهم مشهورون عند الخاص والعام بذلك، وأنهم يترشحون له، ويأمرون به الناس؛ كلهم كفار مرتدون عن الإسلام، ومن جادل عنهم، أو أنكر على من كفرهم، أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلا؛ فلا يخرجهم إلى الكفر؛ فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لا يقبل خطه ولا شهادته، ولا يصلي خلفه، بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم".

ويقرر الشيخ رحمه الله تعالى وجود متصوفة اتحادية فيقول: "وكذلك أيضا من أعظم الناس ضلالا متصوفة في معكال وغيره؛ مثل: ولد موسى بن جوعان، وسلامة بن مانع... وغيرهما؛ يتبعون مذهب ابن عربي وابن الفارض، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفرا من اليهود والنصارى؛ فكل من لم يدخل في دين محمد ﷺ ويتبرأ من دين الاتحادية؛ فهو كافر، بريء من الإسلام، ولا تصح الصلاة خلفه، ولا تقبل شهادته".

ويبين الشيخ رحمه الله حالة علماء السوء الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له: "إذا رأوا من يعلم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم؛ قاموا يجادلون ويلبسون على الناس ويقولون: كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الأموات؟ آل فلان أهل ضيف، آل فلان أهل كذا وكذا... ومرادهم بهذا لئلا يتبين معنى (لا إله إلا الله) ويتبين أن الاعتقاد في الصالحين النفع والضرر ودعاءهم كفر ينقل عن الملة، فيقول الناس لهم: إنكم قبل ذلك جهال، لأي شيء لم تأمرونا بهذا؟!".

ويبين الشيخ أن من جهالتهم بمعنى (لا إله إلا الله)؛ أنهم إذا رأوا من يعلم الشيوخ والصبيان أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله؛ قالوا: قولوا لهم يتركوا الحرام.

قال الشيخ رحمه الله: "وهذا من عظيم جهلهم، فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال، وأما ظلم الشرك؛ فلا يعرفونه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه أو مدح الطواغيت أو جادل عنهم خرج من الإسلام ولو كان صائما قائما من الظلم الذي لا يخرج من الإسلام، بل إما أن يؤدي إلى صاحبه بالقصاص وإما أن

(١) سورة لقمان آية : ١٣.

يغفره الله؟! " اهـ.

وقد سجل تحتها عبد الله بن عيسى، فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله ﷺ "يقول العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن: إن أول واجب على كل ذكر وأنثى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

ثم مضى ابن عيسى يقرر شأنها، ويدلل عليها من كتاب الله تعالى، ويحث على معرفتها، ويبين حكم من أشرك فيها... إلى أن قال: "فالله الله عباد الله! لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله، وتلطخ بالشرك وهو لا يشعر؛ فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم؛ فله الحمد على ما علمنا من دينه، ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب"^(١).

إلى أن قال: "وأما الاتحادي ابن عربي صاحب "الفصوص" المخالف للنصوص، وابن الفارض الذي لدين الله محارب وبالباطل للحق معارض؛ فمن تذهب بمذهبهما؛ فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا، وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين".

إلى قوله: "فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما؛ وجب

(١) انظر الرسالة التي أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العيينة، وما سجله عليها الشيخ عبد الله بن عيسى قاضي الدرعية في "روضة ابن غنام" (١/ ص ١٤٥-١٥٠)، وفي "تحرير الأسد" (ص ٣٤١-٣٤٨). وانظر: "الدرر السنينة" (ج ٨/ ص ٧٠-٧٣).

هجره وعزله عن الولاية، إن كان ذا ولاية من إمامة أو غيرها؛ فإن صلاته غير صحيحة؛ لا لنفسه، ولا لغيره، فإن قال جاهل: أرى عبد الله توه يتكلم في هذا الأمر، فيعلم أنه إنما تبين لي الآن وجوب الجهاد في ذلك علي وعلى غيري؛ لقوله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ ﴾^(١) إلى أن قال: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ ﴾^(٢) " (٣) اهـ.

ويبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما عليه أكثر البوادي عنزة وآل ظفير وأمثالهم من عدم إقرارهم بالبعث، وعدم اتباعهم كتاب الله، وأنهم يقولون: إن كتاب الله عند الحضرة، وأنهم عايفينه ومتبعون ما أحدث أبائهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله، وفيهم من نواقض الإسلام أكثر من المئة ناقض، كسب الشرع، أو سب الأذان إذا سمعوه، ومع ذلك؛ صرح من يدعي العلم وأنه من العلماء أنه لا يوجد في الجزيرة رجل واحد كافر^(٤).

وقد بين الشيخ غلط الكثير في ستة أصول عظيمة من أصول الدين بينها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظنه الظانون؛ فقال ما خلاصته:
"أولاً: إخلاص الدين لله، قد أظهر الشيطان لهم أن الإخلاص

(١) سورة الحج آية : ٧٨.

(٢) سورة الحج آية : ٧٨.

(٣) الرسالة التي أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العيننة، وما سجله عليها الشيخ عبد الله بن عيسى قاضي الدرعية "روضة ابن غنام" (ص ١٥٠).

(٤) انظر الرسالة التي أرسلها الشيخ إلى محمد بن عبيد من مطاوعة ثرمداء في "روضة ابن غنام" (١٠٧/١)، وفي "تحرير الأسد لروضة ابن غنام" (٢٨٣-٢٨٩).

تنقص للصالحين، وتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم.

ثانيا: أمر الله بالاجتماع في الدين، ونهى عن التفرق... ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقهاء في الدين، وأن الأمر بالاجتماع لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

ثالثا: السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبدا حبشيا... ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم؛ فكيف العمل به!؟

رابعا: بيان العلم والعلماء ومن تشبه بهم وليس منهم... ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقهاء هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وأما العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه؛ لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وجد في التحذير عنه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

خامسا: بيان الله للأولياء، وتفريقه بينهم وبين المشتبهين بهم من أعدائه المنافقين والفجار... ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم، وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع، إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسول ﷺ ومن اتبعه، فليس منهم، ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد؛ فليس منهم، ولا بد من ترك الإيمان والتقوى، فمن تقيد بالإيمان والتقوى؛ فليس منهم.

سادسا: كشف شبهة الشيطان، وهي أن القرآن والسنة لا

يعرفهما إلا المجتهد المطلق الموصوف بكذا وكذا أوصافا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك؛ فليعرض عنهما فرضا حتما لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما؛ فهو إما زنديق، وإما مجنون؛ لأجل صعوبة فهمهما.

فسبحان الله وبحمده؛ كم يبين الله سبحانه شرعا وقدرًا، خلقتنا وأمرًا، في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى حد الضروريات العامة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون^(١).

وكان بعض الناس في عهد الشيخ يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلا وصفه الشيخ في إحدى رسائله بقوله: "إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه، وفر من قسمة الله؛ مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض، أو يريد أن يحرم نسل البنات...".

إلى أن قال: "ويفتي له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب إلى الله، ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله".
ووصف الشيخ هذا بالجنف والإثم، وشدد النكير على فاعله، وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه^(٢).

(١) انظر: "الدرر السنية" (ج ١/ ص ٩٩-١٠١).

(٢) انظر: فتوى الشيخ في إبطال وقف الجنف والإثم في "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٢، ص ٧٨-٨٥). وانظر: "روضة ابن غنم" (١/ ١٢٤-١٢٩). وانظر: حمد الجاسر "المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (ص ٢).

وقدمت هذه النقول التي احترتها مما كتبه الشيخ نفسه، وصدق على بعضها ابن عيسى قاضي الدرعية، أمثلة صادقة، تبين صورة واضحة لواقع البيئة من حول الشيخ، وحال الناس في زمانه رحمه الله من دين الله الذي بعث به رسوله محمد بن عبد الله ﷺ.

تصوير ابن غنام للواقع الديني :

ويذكر المؤرخ حسين بن غنام حالة الناس قبيل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة إلى الإسلام الذي أرسل الله به رسوله محمد بن عبد الله ﷺ وأورد هنا خلاصة لذلك:

في مطلع القرن الثاني عشر الهجري كان أكثر الناس قد انهمكوا في الشرك، وارتدوا إلى الجاهلية، وانظمت بينهم أنوار الإسلام والسنة؛ لذهاب أهل العلم والبصيرة، وغلبة أهل الجهل، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال؛ ظانين أنهم أدرى بالحق، وأعلم بطريق الهدى... عدلوا عن عبادة الله وحده إلى عبادة الأولياء والصالحين من الأموات والأحياء؛ يستغيثون بهم في النوازل والكوارث، ويقبلون عليهم في الحاجات والرغبات، ويعتقدون النفع والضر في الجمادات كالأحجار والأشجار، ويعبدون أهل القبور، ويصرفون لهم الدعاء والندور في حالي الضراء والسراء، زائدين على

مشركي الجاهلية الأولى، حيث كانوا إذا مسهم الضر لا يدعون إلا الله مخلصين له الدين، أما إذا نجاهم الله؛ فهم يشركون، لكن هؤلاء أحبوا أوثانهم من دون الله محبة أعظم من محبتهم لله؛ سرت في سويداء قلوبهم، وبدت على صفحات وجوههم وألسنتهم وجوارحهم، وبذلوا أعمارهم وحياتهم في دفع الحق ومن يديه.

وهذا ليس في قطر دون آخر، ولكنه في غالب الأقطار، كما أنه ليس في أول زمن الشيخ فحسب، بل كان بدؤه من قديم، حيث حدث التغيير والابتداع والاختلاف بعد زمان رسول الله ﷺ وزمان من بعده من أهل القرون الفاضلة، ثم تعاقبت العصور وتوالت السنون، والغى يزداد، والضلال ينتشر، حتى جاء من اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والبدع؛ لأنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم وأسلافهم عليه، فقالوا: إنا على آثارهم مقتدون. وقد نص على ذلك كثير من العلماء في كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث وما غير من منار الدين وشعائر الإسلام.

كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، يأتون عند قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة، فيدعون لتفريج الكرب وكشف النوب، وكان عندهم مشهورا بذلك ومذكورا بقضاء الحوائج.

وكانوا يزعمون أن في قريوة في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها، وصار أهل تربتها أعظم في صدورهم من الله. وفي شعيب غبراء، يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور، وهو

مكذوب، يأتون من المنكر عنده ما لا يعهد مثله.

وكان الرجال والنساء يأتون بليدة الفدا لفحل النخل الذي فيها، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به، ويعتقدون به، فكانت المرأة إذا تأخرت عن الزواج تأتيه فتضمه بيديها؛ ترجو أن يفرج عنها كرها، وتقول: يا فحل الفحول! أريد زوجا قبل الحول.

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية؛ يتبركون بها، ويعلقون الخرق عليها إذا ولدت المرأة ذكرا؛ لعله يسلم من الموت.

وفي أسفل الدرعية غار كبير، يزعمون أن امرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت، فانطلق لها الغار، وأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز، ويبعثون بصنوف الهدايا إليه.

وكان عندهم رجل يزعمونه من الأولياء اسمه تاج؛ سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذر، وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضرب، وكانوا يأتونه لقضاء شئوهم أفواجا، وكان هو يأتي إليهم من بلدة الخرج إلى الدرعية لتحصيل ما تجمع من النذور والخراج، وكان أهل البلاد المجاورة يعتقدون فيه اعتقادا عظيما، حتى خافه الحكام، وهاب أعوانه وحاشيته الناس، فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، ويدعون فيه دعاوى فظيعة، وينسبون إليه حكايات قبيحة، وكانوا لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها يصدقون ما فيها من مين وزور، زعموا أنه أعمى، وأنه يأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من

الحكايات والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم، وأعرضوا عن إخلاص الدعاء لله وحده رب العالمين.

وأما ما يفعل في الحرم المكي الشريف -زاده الله رفعة وتشريفًا-، فهو يزيد على غيره كثيرًا؛ ففي تلك البقاع المطهرة تأتي جماعات الأعراب من الفسوق والضلال والعصيان ما يملأ القلب أسى وحزنا؛ فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود، تظاهر بذلك جم غفير، ولم يكن لأهل العلم تغيير، بل صادموا الحق، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق.

فمن ذلك: ما يفعل عند قبة أبي طالب، وهم يعلمون أنه حاكم متعد غاصب، كان يخرج إلى بلدان نجد، ويضع عليهم خراجا، فإن أعطي ما أراد، انصرف، وإلا؛ عاداهم، وحاربهم، فصاروا يأتون قبره بالسماعات والعلامات، يستغيثون به عند حلول المصائب ونزول الكوارث.

وكذلك ما يفعل عند قبر المحجوب؛ يعظمون أمره، ويجذرون سره، ويطلبون عنده الشفاعة ومغفرة الذنوب.

وإن التجأ سارق أو متعد أو غاصب إلى أحد هذين القبرين؛ لم يتعرض له أحد بما يكره، ولا يخشى معاقبة، أما إن تعلق جان مهما تكن جنايته صغيرة بالكعبة، فإنه يسحب منها سحبا، لا يرعون للكعبة حرمة.

ومن ذلك أيضا: ما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم

المؤمنين رضي الله عنها في سرف، وعند قبر خديجة رضي الله عنها في المعلاة؛ من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عندهما بالدعاء والاستغاثة وتقديم الغدية، مما لا يسوغ لمسلم أن يبيحه، فضلا عن أن يراه قرية وعبادة.

وكذلك ما يأتونه عند قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالطائف من هذه الأمور التي تشمئز منها نفس الجاهل؛ فكيف بالعالم؟! يقف عند قبره المكروب والخائف متضرعا مستغيثا في حالة عبوديته، وينادي أكثر الباعة في الأسواق: اليوم على الله وعليك يا ابن عباس! ثم يسألونه ويستزقونه.

وأما ما يفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام من الأمور العظيمة المحرمة -كتعفير الخدود، والانحناء والسجود خضوعا وتذللا، واتخاذ ذلك القبر عيدا-؛ فهو أعم من أن يخفى، وأعظم من أن يذكر؛ لشهرته وشيوعه، وقد لعن الرسول ﷺ فاعله، وكفى بذلك زجرا ووعيدا، ونهى عما يفعل عنده الآن غالب العلماء، وغلظوا في ذلك تغليظا شديدا.

ويكل اللسان عن وصف ما يفعل عند قبر حمزة، وفي البقيع وقباء، ويعجز القلم عن بيانه، مهما يكتفي بذكر القليل منه:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما ما يفعل في جدة؛ فقد عمت به البلوى، وبلغ من الضلال والفحش الغاية؛ فعندهم قبر طوله ستون ذراعا، عليه قبة، يزعمون أنه

قبر حواء، وضعه بعض الشياطين من قديم وهياًه، فيجبي عنده السدنة من الأموال كل سنة ما يكاد أن لا يخطر بالبال، ولا يدخل إنسان ليسلم على أمه؛ إلا عجل بتقديم الدراهم، وكيف لا؟! أينخل أحد من اللئام فضلاً عن الكرام ببذل بعض حطام الدنيا في سبيل الدخول على أمه والسلام عليها؟! وعندهم معبد يسمى العلوي، فاقوا في تعظيمه جميع الخلائق، فلو دخل قبره سارق أو غاصب أو قاتل، لم يعترضه مؤمن ولا فاسق بمكروه، ولم يجزؤ أحد أن يخرج منه، فمن استجار بتربته؛ أجير، ولم ينله أحد من الحكام بأذى.

وفي سنة ١٢١٠هـ عشر بعد المئتين والألف اشترى تاجر من أهل جدة أموالاً من تجار الهند والحسا القادمين تزيد على سبعين ألف ريال، فانكسر بعد أيام، وأفلس، وتغيرت حاله، ولم يبق عنده ما يقابل نصف الذي عليه، فهرب إلى ذلك المعبد مستجيراً، فلم يتقدم إليه من الناس شريف ولا وضيع ولا كبير ولا صغير، وترك بيته وما فيه من مال ومتاع، ولم يرزأ بقليل ولا كثير، حتى اجتمع التجار، ورأوا أن ينظروه ويسروا عليه، وجعلوا المال عليه نجوماً في سنين، وكان بعض أهل الدين من المشيرين بذلك.

وأما ما يجري في بلدان مصر وصعيدها من الأمور التي ينزه الإنسان عن ذكرها، خصوصاً عند قبور الصلحاء والعباد، كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار وروايتها؛ فأكثر من أن يحصى.

فمنها أنهم يأتون قبر أحمد البدوي وقبور غيره من العباد والزهاد

والمشهورين بالخير، فيستغيثون ويندبون، ويسألونهم المدد ويستحثونهم على كشف المصائب، ويتداولون بينهم حكايات، وينسبون إليهم كرامات، ويحكون في محافلهم خرافات من أفحش المنكرات، فيقولون: فلان استغاث بفلان فسارع إلى إغاثته! وفلان شكّا لصاحب ذلك القبر حاله فأغاّته وكشف عنه ضره! وفلان شكّا إليه حاجته فأزال عنه فقره... وأمثال هذا الهديان المليء بالنزور والبهتان.

ويصدر هذا الكلام في تلك البلاد وهي مملوءة بالعلماء وذوي التحقيق والعرفان، ويبقى ذلك المنكر لا يزال، بل ربما تنشرح له صدورهم. وأما ما يفعل في بلدان اليمن من الشرك والفتن؛ فأكثر من أن يستقصى، فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادي، كانوا يغدون عليه جميعا ويروحون؛ يدعونه ويستغيثون به، فتأتيه المرأة إذا تعسر حملها أو كانت عقيما، فتقول عنده كلمة عظيمة قبيحة، فسبحان من لا يعاجل بالمعاقبة على الذنوب.

وأما أهل برع؛ فعندهم البرعي، وهو رجل يرحل إلى دعوته كل دان وقاص، ويؤتى إليه من مسيرة أيام وليال لطلب الإغاثة وشكاية الحال، ويقيمون عند قبره للزيارة، ويتقربون إليه بالذبائح؛ كما حقق أخباره من شاهدها.

وأما أهل الحجرية؛ فعندهم قبر يسمى علوان، وقد أقبل عليه

العامة في نوائب الزمان، واستغاث به منهم كل لهفان، ويسميه غوغاؤهم منجى الغارقين، وأغلب أهل البر والبحر منهم يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به، وإن لم يصلوا إلى قبره، وينذر له في البر والبحر وعند أهل بلده ندورا تزيد عن الحصر، ويفعلون عند قبره السماع والموالد، ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والمفاسد، وليس في أقطار اليمن مثله في الاشتهار، ولهم في حضرته أمور يفعلونها تدينا، كطعنهم أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، ويقولون وهم يرقصون طربين وقد مألأ الوجد ألباهم: يا سادتي قلبي بكم معنى.

وأما حال حضرموت والشحر ويافع وعدن، فقد ثوى فيهم الغي والضلال، عندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والشرك ما يكفي ذكر مجمله، يقول قائلهم: شيء الله يا عيدروس! شيء الله يا محيي النفوس!! وأما بلدان الساحل؛ فعندهم الكثير:

أهل المخا، عندهم الشاذلي، أكثرهم يدعو ويستغيث به، ولا تفتز ألسنتهم عن ذكره قعودا وقيامًا، ويتتابون تربته وحدانا وجمعا.

وأهل الحديدة عندهم الشيخ صديق، يعظمونه ويغنون فيه، إلى حد أنه لا يمكن أحد أن يركب البحر أو ينزل منه إلى البر حتى يجيء إليه ويسلم عليه ويطلب منه الإعانة والمدد فيما أراد.

وأما أهل اللحية، فعندهم الزيلعي، واسمه عندهم الشمس؛ لأن قبره ليس عليه قبة؛ يصرفون إليه جميع الندور، ويعظمونه،

ويدعونه أشد ما يكون ذلك عبادة وضراعة، ويحكي عنه أهل البادية منهم أنه كان رسولا في حاجة، فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلّية للغروب، فقال لها: قفي! فوقفت، وسمعت قوله وامثلت، فدخل بلده نهارا.

وعندهم قبر رابعة مشهور، لا يخلفون يمينا صادقا إلا بها.

وفي أراضي نجران الطامة المعضلة، وهو الرئيس المعروف عندهم بالسيد؛ فقد أتى أهل نجران وما يليهم من الأعراب والقبائل من تعظيمه والغلو فيه والاعتقاد الشركي ما أفضى بهم إلى الضلال والإلحاد، صرفوا له من أنواع العبادة سهما، وجعلوا فيه للألوهية قسما، حتى كادوا يجعلونه لله ندا، وكان عندهم بذلك الحال شهير، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وأما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه؛ فهو مما لا يوقف له على حد، ولا يمكن ضبط قدره؛ بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه، من العكوف على عبادة القبور، وصرف القربان إليها والندور، والمجاهرة بالفسوق والفجور، وأخذ المكوس، وإحلال الدستور الوضعي محل الشريعة الربانية، وتنظيم عمل البغايا، ووضع الخراج عليهن من مهورهن الخبيثة.

وفي الموصل وبلدان الأكراد وما يليها من سائر البلاد، وفي العراق عموما، وفي المشهد وبغداد خصوصا، ما لا يقدر على حصره وتعداده مما يفعل عند قبر الإمام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ

عبد القادر رضي الله تعالى عنهم من الدعاء والاستغاثة بهم والطلب منهم في سائر الأوقات والأزمان، ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع أعظم مما يصدر بين يدي الله في الصلاة، واشتهر عندهم أن كثيرا ممن فعل ذلك وجرب؛ وجد أنهم لقضاء الحوائج تريبا مجرب.

وأما مشهد علي عليه السلام؛ فقد صيرته الرافضة لعنها الله وثنا يعبد؛ يدعونه بخالص الدعاء من دون الله تعالى، ويصلون له في قبته، ويركعون ويسجدون، وليس في قلوبهم من تعظيم الله معشار ما فيها لعلي عليه السلام؛ يخلفون بالله الأيمان الكاذبة ولا يخافون، أما علي؛ فلا يخلف به أحدهم كاذبا أبدا، ويجزمون أن عنده مفاتيح الغيب، ولهذا يقولون: إن زيارته أفضل من سبعين حجة! ولقد غلوا فيه، وأتوا من الشرك أعظم مما فعل النصارى بالمسيح، سوى دعوى الولدية، وزخرفوا على قبره قبة مذهبة.

ومثل ذلك الشرك يفعل عند مشهد الحسين والكاظم.

ولقد شب فيهم على ذلك الكفر الرعاع والأطفال وشابوا عليه؛ فلا يسمع بينهم ذكر لله، وإنما ديدنهم ذكر علي والحسين وبقية الآل... وكفى بما ذكر حجة عليهم في خروجهم عن الإسلام.

وكذلك جميع قرى الشط والمجرة وما حول البصرة وما توسط فيها من تلك القبب والمشاهد؛ كقبر الحسن البصري والزيبر رضي الله عنهما؛ يطلبون منهما الفرج، ويصرفون لهما من العبادة الدعاء

والاستغاثة عند الشدائد، لا يجحد ذلك إلا مباهت مكابر.

وأما في القطيف والبحرين؛ فالبدع الرفضية الشركية والمشاهد الوثنية التي لا تكاد تحقى على أحد من الناس.

وعلى العموم؛ فإن من رأى أفعال الناس في بلاد المسلمين مما أشرنا إليه، وهو عارف بالإيمان، تبين له غربة الإسلام في ذلك الزمان، وصيرورة الحظوظ الدنيوية والشهوات النفسية غايتهم ومقصدهم وسرهم في الخلق والإيجاد.

وهذا في الغالب الأكثر، وليس عليه جميع المسلمين، حيث إن الله تعالى لا يجمع الأمة على ضلالة، ولا يعمها بالسفاهة والجهالة، كما ثبت ذلك في صحيح الأخبار عن النبي ﷺ وكما أخبر أيضا أن في أمته أناسا لا يزالون بهديه يستمسكون إلى قيام الساعة، كما أن أكثرهم في أزمنة الغربة مخطئون، وعن هدي الرسول ﷺ ومنهاجه منحرفون... وهذا مما زين الشيطان واقتضته الطباع الناقصة والنفوس البشرية، حتى إن ذلك يوجد من بعض العلماء المنتسبين إلى أحد المذاهب المتعصبين، فلا يقبلون من الدين رأيا ولا رواية إلا ما كان لأصحابهم به عمل أو دراية، فيرفض السنن النبوي واتباعه، ولو عرف أن الحق ليس مع مذهبه، وقد يحمله التعصب على الطعن في الأئمة وثلبهم، وكذلك من المتعبدة والمتصوفة من يرى طريقة العلم سفاهة وضلالا، ويدعي أن العلماء لم يشربوا من صافي الشريعة ومعينها؛ كبرت فرية وكذبة من هؤلاء المتصوفة".

وقال ابن غنام عن الذبح للجن تقربا إليهم وقصد الذابح أن يبرأ

مريضه من شكواه: "ومن العجب أن ذلك يفعل في بلدان العارض وغيرها، لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله، بل منهم من يفتي الجهال بذلك، ويقول: اذبحوا على هذا الصبي أو هذا المريض ذبيحة سوداء للجن، ولا تسموا عليها! وقصده بذلك أن الجن يزيلون ذلك المرض إذا ذبحت لهم تلك الذبيحة.

فلما أظهر الله هذا الشيخ، ونهى عن ذلك، وبلغ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم؛ أن ذلك كفر وردة؛ ينكر ذلك عليه من يزعم أنه من العلماء؛ فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن... نعوذ بالله من الطبع على القلب" (١).

انتهى ما أردت تلخيصه وتحريره من "روضة ابن غنام" في وصف البيئة التي كانت من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله زمانا ومكانا (٢).

وصف الشيخ عبد اللطيف غربة الدين :

ومثل ذلك ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في نبذته المفيدة عن حال جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حين أتى على وصف أهل عصره ومصره، وقرر أن غربة الإسلام قد اشتدت بينهم، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية من الجهل والتقليد، والإعراض عن السنة والقرآن، وقبول أحاديث الكهان

(١) "روضة... (١/١٣٧-١٣٨).

(٢) انظر: "تاريخ ابن غنام"، "روضة الأفكار" (ج ١/ ص ٥-٢٥، ١٣٧-١٣٨)، و "تحرير الأسد لروضة ابن غنام" (ص ١٠-١٩، و ص ٢٠-٢٦).

والطواغيت، والآثار الموضوعات، والحكايات المختلقة والمنامات؛ كما يفعله أهل الجاهلية، وكثير منهم يعتقد النفع والضرر في الأولياء والصالحين والأوثان والأصنام والشياطين والأحجار والجمادات، فيستغيثون بهم، ويتعلقون، ويتبركون بآثارهم وقبورهم في جميع الأوقات، حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

واستمر الشيخ عبد اللطيف في وصف البيئة على نحو ما وصف ابن غنام رحمهما الله تعالى^(١).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في نصيحة للإمام فيصل بن تركي: "ومن طاف البلاد وخبر أحوال الناس منذ أزمان متطاولة؛ عرف انحرافهم عن هذا الأصل الأصيل (ويعني به معرفة الله بصفات كماله ونعوت جلاله، ووصفه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وعبادته وحده لا شريك له، والكفر بما سواه من الآلهة والأنداد)، وبعدهم عما جاءت به الرسل من التفريع والتأصيل؛ فكل بلد وكل قطر وكل جهة فيما نعلم فيها من الآلهة التي عبدت مع الله بخالص العبادات وقصدت من دونه في الرغبات والرهبات ما هو معروف مشهور لا يمكن جحده ولا إنكاره، بل وصل بعضهم إلى أن ادعى لمعبوده مشاركة في الربوبية بالعطاء والمنع والتدبيرات، ومن أنكر ذلك عندهم؛ فهو خارجي ينكر الكرامات، وكذلك في باب الأسماء والصفات؛ رؤسائهم وأحبارهم معطلة، وكذلك يدينون بالإلحاد والتحريفات، وهم يظنون أنهم من أهل التنزيل والمعرفة

(١) انظر: "الرسائل والمسائل..." (ج ٣ / ٣٨١-٣٨٨).

باللغات، ثم إذا نظرت إليهم وسبرتهم في باب فروع العبادات؛ رأيتهم قد شرعوا لأنفسهم شريعة لم تأت بها النبوات، هذا وصف من يدعي الإسلام منهم في سائر الجهات"^(١).

كلام ابن بشر عن فشو الشرك :

وقال المؤرخ ابن بشر ما نصه: "وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشجار، والأحجار، والقبور، والبناء عليها، والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة بالجن، والذبح لهم، ووضع الطعام لهم، وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم، والحلف بغير الله... وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر.

والسبب الذي أحدث ذلك في نجد -والله أعلم- أن الأعراب إذا نزلوا في البلدان وقت الثمار، وصار معهم رجال ونساء يتطيبون ويداؤون، فإذا كان في أحد من أهل البلد مرض، أو في بعض أعضائه؛ أتى أهله إلى متطبية ذلك القطين من البادية، فيسألونهم عن دواء علته، فيقولون لهم: اذبحوا له في الموضع الفلاني كذا وكذا؛ إما خروفا بهيما أسود، وإما تيسا أصمغ، وذلك ليحققوا معرفتهم عند هؤلاء الجهلة، ثم يقولون لهم: لا تسموا الله على ذبحه، وأعطوا المريض منه كذا وكذا، وكلوا منه كذا وكذا، واتركوا كذا وكذا؛ فربما يشفي الله مريضهم فتنة لهم واستدراجا، وربما يوافق وقت الشفاء...

(١) "الرسائل والمسائل..." (ج ٣/١٥٧).

حتى كثر ذلك في الناس، وطال عليهم الأمد، فوقعوا بهذا السبب في عظام، وليس للناس من ينهاهم عن ذلك، فيصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورؤساء البلدان وظلمتهم لا يعرفون إلا ظلم الرعايا والجور والقتال لبعضهم بعضاً^(١).

قول الشيخ ابن باز عن الحالة الدينية :

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز: "كان أهل نجد قبل دعوة الشيخ على حالة لا يرضاها مؤمن، كان الشرك الأكبر قد انتشر في نجد، حتى عبدت القباب والأشجار، وعبدت الفيران، وعبد من يدعى بالولاية وهو من المعتوهين أو المجانين، واشتهر في نجد السحرة والكهنة وسؤالهم وتصديقهم، وليس هناك منكر إلا من شاء الله، وغلب على الناس الإقبال على الدنيا وشهواتها، وقل القائم لله والناصر لدين الله، وهكذا في الحرمين الشريفين، وفي اليمن اشتهر فيها ذلك الشرك، وبناء القباب على القبور، ودعاء الأولياء والاستغاثة بهم، وفي اليمن من ذلك ما لا يحصى، ما بين قبر وما بين غار وبين شجرة وبين مجذوب ومجنون يدعى من دون الله ويستغاث به مع الله، وكذلك مما عرف في نجد واشتهر دعاء الجن، والاستغاثة بهم، وذبح الذبائح لهم، وجعلها في الزوايا من البيوت؛ رجاء نجدتهم، وخوف شرهم"^(٢).

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (١/٦-٧).

(٢) "محمد بن عبد الوهاب، دعوته وسيرته" محاضرة للشيخ عبد العزيز بن باز، الدار السعودية للنشر، (ص ٢٣-٢٤).

كلام الشيخ ابن حميد عن الانحراف الواقع :

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد بعد أن تحدث عن أسباب رؤية الشيخ محمد بن عبد الوهاب للواقع من حوله: "كل ذلك قد أعطاه النظر الفاحص لما عليه قومه وبنو جلدته ومن جاورهم من البلدان من الانحراف عن طريق الإسلام الصحيح، يصل في بعض الحالات إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة، فقد رأى في تلك المناطق مرتعا للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين، فكان هناك قبور تنسب إلى بعض الصحابة؛ يقصدها الناس، ويطلبون منها حاجاتهم، ويستغيثون بها لرفع كربهم وقضاء حاجاتهم، ولقد وصلت الحال في بعضهم أن اتجهت العوانس من النساء إلى فحل من فحول النخل، يرددن بعبارة مسجوعة: يا فحل الفحول! أريد زوجا قبل الحول!! وكما انتشرت هذه الخرافات في نجد؛ رئي مثلها في الحجاز، وفي البصرة، والزيبر، وسمع مثلها في عدن، واليمن... فوزن هذه الأفعال المنكرة بميزان الوحيين كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وأصحابه المتقين، فرآهم في بعد عن منهج الدين وروحه، حيث رأى أنهم لم يعرفوا لماذا بعث الله الرسل؟ ولماذا بعث الله محمدا للناس كافة؟ رآهم غيروا أصول الدين وفروعه إلا القليل... هذه إشارة إلى وضعهم الديني"^(١).

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته" للشيخ عبد الله بن حميد، مطبوعة ضمن

"هداية الناسك" ومعهم مجموعة رسائل، (الطبعة السابعة عام ١٣٩٨هـ، ص ٩١-٩٢).

كلام الشيخ البسام :

ويذكر الشيخ البسام أن بيئة العالم الإسلامي من حول الشيخ محمد

بيئة جاهلة جافية متقاطعة متباعدة^(١).

وصف الأمير الصنعاني ظهور البدع وطغيان الضلال :

وإذا تجاوزنا علماء الدعوة من نجد، والتمسنا ما يقوله العلماء من

غيرهم، فإننا نجد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني يصف ظهور المبتدعات

وطغيان الضلال وغربة الدين في قصيدته البائية المشهورة فيقول:

طغى الماء من بحر ابتداع على الورى	فلم تنج منه مركب وركاب
وطوفان نوح كان في الفلك أهله	فنجاهم والغارقون تباب
فأنى لنا فلك ينجي وليته	يطير بنا عما نراه غراب
وأين إلى أين المطار وكل ما	على ظهرها يأتيك منه عجاب
نسائل من دار الأراضى سياحة	عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كل عن قبائح ما رأى	وليس لأهليها يكون متاب
لأنهم عدوا قبائح فعلهم	محاسن يرجى عندهن ثواب
كقوم عرارة في ذرا مصر ما علا	على عورة منهم هناك ثياب
يدورون فيها كاشفي عوراتهم	تواتر هذا لا يقال كذاب
يعدون في مصر من فضلائهم	دعائهم فيما يرون مجاب
وفيهما وفيها كل ما لا يعده	لسان ولا يدنو إليه خطاب

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٤٢/١).

وفي كل مصر مثل مصر وإنما ترى الدين مثل الشاة قد وثبت لها
لقد مزقته بعد كل ممزق وليس اغتراب الدين إلا كما ترى
فيا غربة هل يرتجى منك أوبة فلم يبق للراجي سلامة دينه
لكل مسمى والجميع ذئاب ذئاب وما عنه لمن ذهاب
فلم يبق منه جثة وإهاب فهل بعد هذا الاغتراب إياب
فيجبر من هذا البعاد مصاب سوى عزلة فيها الجليس كتاب

ويعني بالكتاب القرآن الكريم.

إلى أن قال يصف موقف أهل الأرض مما حواه القرآن الكريم:

ولكن سكان البسيطة أصبحوا كأنهم عما حواه غضاب
فلا يطلبون الحق منه وإنما يقولون من يتلوه فهو مثاب
فإن جاءهم فيه الدليل موافقا لما كان لآبآ إليه ذهاب
رضوه وإلا قيل هذا مئول ويركب في التأويل فيه صعاب
تراه أسيرا كل حبر يقوده إلى مذهب قد قررته صحاب

هذا ما يصف به الأمير الصنعاني أهل زمانه من بعدهم عن كتاب الله، وعدم رجوعهم إليه، ولكن يسخرونه في تقرير مذاهبهم التي جعلوها هي الأصول التي يزنون بها دينهم، أما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ففي غربة شديدة في أراضي المسلمين وبلدانهم وأمصارهم، وحل محلها في الظهور والاشتهار المبتدعات والعصية للمذاهب المخالفة.

والشيخ الصنعاني معاصر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه

الله، وزمانه هو زمانه، ولقد أثنى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقصيدة مطلعها:

سلام على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

وفي هذه القصيدة أيضا بيان صورة صحيحة للبيئة التي كانت في ذلك الزمان؛ كقوله يتحدث عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويصف ما لاقاه من ضلال الناس:

ويحمر أركان الشريعة هادما	مشاهد ضل الناس فيها عن الرشيد
أعادوا بها معنى سواع ومثله	يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة	أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل	ومستلم الأركان منهن باليد

إلى آخر ما أنشده رحمه الله من هذه القصيدة الجيدة.

وقد ذكر إنكاره للغلو الذي اشتمل عليه "دلائل الخيرات"، وقد نهي الرسول ﷺ عن الغلو، ولكن الجهال صيروا "دلائل الخيرات" أعظم من القرآن، فأقبلوا على تلاوته؛ هاجرين لكتاب الله القرآن العظيم.

ثم ذكر بدعة التعصب للمذاهب المخالفة للدليل حتى إن من خالفها لدليل من القرآن والسنة يناله من المتعصبين كل الأذى بأنياب الأفاعي والسباع، وأسواط الذم والغيبة والجفاء والتنقيص بلا حق ولا ذنب سوى أنه يتابع رسول الله ﷺ في الرد إلى وحي الله المنزل،

-هذا الذي عده الجهال ذنبا-؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
ثم ذكر بدعة التصوف وطريقة ابن عربي وضلالهم المنتشر... إلى أن قال
رحمه الله تعالى:

ومن يطلب الإنصاف يدلي بحجة	ويرجع أحيانا ويهدي ويستهدي
وهيهات كل في الديانة تابع	أباه كأن الحق في الأب والجد
وقد قال هذا قبلهم كل مشرك	فهل قدحوا هذي العقيدة من زند
كذلك أصحاب الكتاب تتابعوا	على ملة الآباء فردا على فرد
وهذا اغتراب الدين فاصبر فإنني	غريب وأصحابي كثير بلا عد
إذا ما رأوني عظموني وإن أغب	فكم أكلوا لحمي وكم مزقوا جلدي ^(١)

هذه شهادة من عالم أهل اليمن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني
الحسيني.

شهادة الشيخ حسين بن مهدي النعمي :

ومن اليمن أيضا نورد شهادة من أحد علمائها الموثوقين، وهو العالم
المحقق الشيخ حسين بن مهدي النعمي المتوفى سنة (١١٨٧هـ)، يصف لنا
البيئة وواقع الناس في زمانه فيقول:

"إن ما فشا في العامة ومن امتاز عنهم بالاسم فقط هو كون هجيراتهم
عند الأموات ومصارع الرفات: دعاءهم، والاستغاثة بهم، والعكوف حول
أجداثهم، ورفع الأصوات بالخوار، وإظهار الفاقة

(١) "ديوان الصنعاني" (ص ١٨-٢٢، ص ١٢٨-١٣٣).

والاضطرار، واللجأ في ظلمات البحر والتطام أمواجه الكبار، والسفر نحوها بالأزواج والأطفال، والله قد علم ما في طي ذلك كله من قبيح الخلائق والأفعال، وارتكاب ما نهى الله عنه وإضاعة حقوق ذي العزة والجلال، والالتجاء المحقق إلى سكان المقابر في فتح أرحام العقام، وتزويج الأراامل والأيامى من الأنام، واستنزال السحائب والأمطار، واستماحة المآرب والأوطار، ودفع المحاذير من المكاره والشدائد، والإناحة بأبوابها لنيل ما يرام من الحوائج والمقاصد، وبالجملة؛ فأى مطلب أو مهرب..

ترى هنالك ربع المشهد مأهولا، وقد قطعت إليه المهامه وعورا وسهولا، والنداء لساكنه أن يمنح أو يريح، والتأدب والخضوع والتوقير والرغبة ومشاعر الرهبة، وينضاف إلى ذلك -خصوصا في الزيارات في الأعياد والموالد- نحر الأنعام، وترك الصلاة وصنوف الملاهي وأنواع المعاصي للمليك العلام، وكثيرون لا طمع في حصرهم، ولعلمهم العموم؛ إلا من شاء الله.

إن لم تلد زوجة أحدهم، أو طال مرض مريض منهم، أو صاب امرأة التوق إلى النكاح، أو قحطت الأرض، أو دهمهم نازل من عدو أو جراد أو غيرهما، أو راموا أمرا عناهم تحصيله؛ فالولي في كل ذلك نصب العين، وإذا جرى المقدور بنفع أو دفع ضرر أو حصول مكروه؛ كان المركز في عقيدتهم التي لا يتحولون عنها: أن ذلك ثمرة الاستغاثة به والإنابة إليه في الأولين، ودليل ضعف الاعتقاد أو اختلال شرط من المنيب أو نحوهما في الثالث، فصار مدار التصرف والحصول

له خاصة، أو مع الله في شيء دون شيء.

وحاصل معتقدهم: أن للولي اليد الطولى في الملك والملكوت؛ كما سيأتي تحقيق هذا وشرح وقوعه في أفعال من على هذه العقيدة، وذكر ألفاظهم مبينة مفسرة مصرحة بما حكيناه عنهم، وأنهم قد ذهبوا هذا المذهب المشروح آنفا في سكان التراب، وأنزلوهم هذه المنزلة المحكية من مساواة رب الأرباب، وقد سردنا بعضها للبيان، ولئلا يتمكن الخصم من جحود، أو يقدر على مدافعة، وليعرف كل سامع لما نمليه أن القائل بأن العوام قد يقع منهم عبارات موهمة، وقصارى أمرهم التوسل! إما غالط، أو خالط، أو جاهل للدين، وإلا؛ فما بعد هذا".

ثم مضى يشرح أفراد وقائع هذا الشرك، وذكر ألفاظهم الصريحة في مقارفة الشرك والاعتقاد في المقبورين، إلى أن قال: "وشواهد هذا ظاهرة في حالاتهم تلك، بحيث إن جماهير من العامة لا يحصون في أقاليم واسعة وأقطار متباعدة ونواحي متباينة، لما كانوا قد نشئوا لا يعرفون إلا ما وجدوا عليه من قبلهم من الآباء والشيخوخ من هذه العقائد الوثنية والمفاسد، فتجدهم إذا شكى أحدهم على الآخر نازلة نزلت؛ فلعله لا يخطر له في بال؛ إلا: هل قد ذهبت إلى الولي؟ وقد يضرب له الأمثال بأن فلانا كان من أمره كذا، وفلانا كان من أمره كذا، حتى أنسوا بهذا الباب أكثر مما يصفه الواصف، ويقدر أنسهم به تناسوا ما رسمه لهم الرسول الحكيم الناصح الأمين، وجهلوه بالمرّة، وانطمست لديهم معالمه، وبعضهم قد يعرف شيئاً من ذلك، ولكنه يؤثر عليه ما

ذكر: إما لعدم وثوقه بذلك، وإما لغلبة انفعال نفسه لخاطر السوء، وإما لسلطان العادات والتقليد، وبعضهم -وهو أقلهم كفرا- يجعل البابين محلا صالحا مدخلا للدفع والنفع، حتى إنا شاهدنا ما لا يحصى قدره الآن، إذا سقطت دابة أحدهم، أو عثر هو، أو بغتته حادثة من هذا القبيل، نادى ببديهة الحس: يا هادياه! يا ابن علوان! يا جيلاني!".

ويقول: "ومن عجيب ما أتته العامة من طرائف هذا الباب وغرائبه الفاحشة التي زعم ذلك المخادع القائل: إنها مجرد توسل وعبارة موهمة! ما شاهدناه بالمعينة مكتوبا على راية مشهد من المشاهد "هذه راية البحر التيار، فلان بن فلان، به أستغيث وأستجير، وبه أعوذ من النار". وإلى هذا اللفظ زيادة تركتها؛ لأني لا استبثتها الآن، وهي من هذا النمط المستطرف.

ومن عجيب طرائفهم في هذا الباب قول بعضهم من قصيدة، وهي شيء يقشعر منه الجلد، وإنما حكيناه لما زعم شيوخهم المخادعون: إنها عبارة موهمة بمنزلة لغو اليمين.

يا سيدي يا صفي الدين يا سندي	يا عمدي بل ويا ذخري ومفتخري
أنت الملاذ لما أخشى ضرورته	وأنت لي ملجأ من حادث الدهر
امدد بمواد اللطف منك وكن	لي الكفيل بكشف الضر والظفر
وامنن علي بتوفيق وعافية	وخير خاتمة مهما انقضى عمري
وكف عنا أكف الظالمين إذا	امتدت بسوء وأمر مؤلم نكر
فإني عبيدك الراجي لودك ما	آمله يا صفي السادة الغرر
وقد مددت يد الرجوى على ثقة	مني لنيل الذي أملت من وطري

انتهى المراد نقله منها.

فلا ندري أي معنى اختص به الخالق بعد هذه المنزلة من كيفية مطلب أو تحصيل مأرب؟! وماذا أبقى هذا المشرك الخبيث لخالقه من الأمر؟! فإن كان هذا أو ما يعطي شيئاً منه عبارة موهمة بمنزلة لغو اليمين؛ فعلى السفسطة السلام؛ فإن المشركين أهل الأوثان ما يؤهلون كل ما عبده من دون الله لشيء من هذا، ولا لما هو أقل منه، كما سنشرح لك حالهم إن شاء الله تعالى" (١).

ومن غرائب شرك العامة في هذا الباب ما حدثنا به الثقات الأثبات عن حي من الأعراب، حضرت أحدهم الوفاة، فقيل له: قل: لا إله إلا الله. فقال: أين الله؟ قل: يا عمراه! كذا حدث أولئك ذلك سيد الحي بمجمع من أهل المحل على وجه اليقين المشهور عندهم.

ومن ذلك أن حياً من أهل البوادي إذا أرسلوا أنعامهم للمرعى؛ قالوا: في حفظك يا فلان! يعنون ساكن مشهدهم!! وأنهم إذا أرادوا السفر إلى جهة؛ استأذنوه! والعمل في الجواب على سادن المشهد، حتى إنه إذا اشتد المرض برجل من العامة؛ شد رحاله إلى قبر الولي يستجير به أو عنده من الموت. ومن ذلك أن امرأة كف بصرها، ومات ولدها، فنادت وليها: أما الله؛ فقد صنع ما ترى، ولم يبق إلا حسبك في.

(١) انظر: "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" (ص ١٨٥-١٨٩)؛ فقد شرح حالهم في ذلك الموضع.

ومن ذلك -وهو من أشهر عجائبهم المعلومة في نواحي من البلدان-
شراؤهم الأولاد بزعمهم من الولي بشيء معين، فيبقى ثمنه رسماً جارياً، يؤدي
كل عام لصندوق الولي، وإن كانت امرأة، فمهرها له، أو نصف مهرها؛ إذ
هي مشتراة منه، ولعله يفقد شيء من هذا في بعض النواحي؛ فكم له من
أخوات عند التصفح.

ومن ذلك -وهو من طرائفهم الشهيرة أيضاً- ترك أشجار ومراع حول
المشهد لمكان قريباً منه مع الحاجة الشديدة إليها؛ فتبقى على ممر الأزمان
سائبة.

ومن عجائبهم ما حدث به جمع من أهل الدين؛ أنه وقع في زيارة بعض
المشاهد اجتماع خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال، فكان هناك من
القبائح ما منه السجود للمعتقد، شاهد ذلك الجمع ما ذكر عياناً، فلعل
هذا عبارة موهمة بمنزلة اللغو في اليمين!!".

ثم يقول: "ولو كان المتكلم بهذا في غير مكة شرفها الله تعالى؛ لجوزنا:
أنه لم يبلغه، ولم ير شيئاً من هذه الضروب التي سردناها أو نظائرها.
ومن ذلك -وهو من غرائب الانحلال من الدين- أن جماعة من العامة
خرجوا من مسجد بجوار مشهد، بعد أن صلوا فريضة من المكتوبات،
فدخلوا المشهد، فرفعوا وضموا وركعوا إلى جدار القفص.

ومن ذلك -وهو أيضاً من طرائف ما يحكى- أن رجلاً سأل من

فيه مسكة من عقل، فقال: كيف رأيت الجمع لزيارة الشيخ؟ فأجابه: لم أر أكثر منه إلا في جبال عرفات، إلا أنني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط، ولا صلوا مدة الثلاثة الأيام فريضة، فقال السائل: قد تحملها عنهم الشيخ! قلت: وباب: "قد تحمل عنهم الشيخ": مصراعا ما بين بصرى وعدن، قد اتسع حرقه، وتتابع فتقه، ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد، وساكن البلد والمشهد، وهو أمر شهير في العامة، ولعل هذا عند هذا المخادع الخائن لنفسه وللناس عبارة موهمة؛ كما قال!!

فقل لي: أي ملة -صان الله ملة الإسلام- لا يمانعها كل ذلك ولا يدافعها؟!

قلت: ولقد أذكرني هذا ما سمعت بعض الأفاضل يحدث به؛ أن رجلين قصدا الطائف من مكة المشرفة، وأحدهم يزعم أنه من أهل العلم، فقال له رفيقه ببديهة الفطرة: أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس. فأجابه بأن معرفتهم لابن عباس كافية؛ لأنه يعرف الله.

ويضاهاها ما حكاه لنا بعض من جاور بالبلد الحرام؛ أن رجلا كان ببعض المشاهد بمكة، فقال لمن عنده: أريد الذهاب إلى الطواف، فقال له بعض كبرائها: مقامك هنا أكرم.

وما شئت بهذا الطغيان المجاوز!!

وبالله؛ لو ذهبنا ننقب عما يحادون الله به من هذه الجهالات،

وما يجترئ عليه السفهاء هنالك؛ لحصلنا على ما يفوت الطاقة ضبطه، إلا تكلفنا -إن كان-، وفي الناس من يخاف الله، ويستحي من معارضة الكتاب والسنة بالسماجة والقحة، وفي الناس من يتحاشى عن الإفراط، وإذا لم تستح، فاصنع ما شئت".

ويقول: "ومن طريف أخبارهم: أن منهم من يمرض فيلازم المشهد، يستجير به من ذلك المرض، ويتوصل إلى زوال ما به من الداء الذي أضناه، وخصوصا إذا كان من نوع المانيخوليا أو أمراض العقل؛ قائلا بلسان الحال والمقال أيضا: (وإذا مرضت فهو يشفين)".

ويقول: "ومنهم من يمكث في المشهد أياما محبوسا بلا صلاة قط، زاعما أنه في حبس الولي وقيده، ولا يطلقه إلا لحاجته، وما في عقله الذي تقوم به الحجة عليه اختلال، وإنما فسدت فطرة الأغلف بطارئ العوائد، حتى كأنه لا يعقل.

ومن طريف أقوالهم في أوليائهم: أنه يضرب من تظلم منه، أو شكى به إليه (بصيغة المبني للمفعول فيهما)، ويعزل الوالي إذا لم يزره، ويهب الولد إذا جمعت المرأة عند مشهده، ويسلب السلاح، ويقيد ويفك الأسرى والمحبسين، ويهدي الضالين، ويجير القوم، ويترك بنادقهم قسبا، وعائلهم خنثى لا أنثى ولا ذكر، ويعاقب من أخذ من ضريحه ورقة للتبرك بها في الحال، حتى صار في بعض الجهات: أن المرأة لا تدخل عند زوجها حتى تزور الولي، وأن رجلا زعم أن وليا نبه عليه في النوم: أن يني عليه قبة؛ قال: فبنيت خوفا منه.

قلت: وباب تنبيه الأموات -أي: بإضافة تنبيهه إلى فاعله- كباب: تحمل الشيخ الصلاة وغيرها في السعة والشيوع، والله يغلقها كلها بنصر دينه.

ومن عجيب أمرهم: أن امرأة جاءت قبراً، فجعلت تقول: يا سيدي! بعت مالي ورحلت إليك من مسافة كذا، سألتك بالله أن تشفي ولدي، فإني جارة الله وجارتك".

ويقول: "إن القوم قد سحبت عليهم العادات والخيالات، وتعفى في قلوبهم رسوم الفطر والأديان، وجر الشيطان أذياله عليها، ما هم بالمحل الذي يزعمه لهم الخاطبون.

ومن أذيال مصيبة المشاهد التي أصيب بها الإسلام وشعائره ما ظهر وانتشر في العامة في جهات كثيرة؛ كما هو معلوم مشاهد: أن المساجد ربما تكون متروكة مهجورة، وفيها من التراب والعيدان والأوساخ وزبل الأنعام وحراق التمباك وغير ذلك ما يجعلها مزابل، ومشاهد الأموات محترمة مكرومة، بحمرة بالظفر والعطور، مفروشة بالسجاد الفاخر، وعلى القبور ستور الحرير الثمينة، وبها الشمعدانات الفضية، ما جعلها مرعية مقامة متحامة".

وسرد أشياء كثيرة إلى أن قال: "فهذه قطرة سردناها ليعلم الأغبياء ما صار عليه الحال مما لا يحصى كثرة، وجميع سكان البسيطة إلا من أنقذ الله قد مسهم هذا المرض المضني، وعمهم هذا الداء العضال، وإن تفاوتوا في الإيغال والإغراق في هذه الضلالة؛ فكل -إلا من شاء

الله - قد أخذ بحظه، وشارك في أصل المعنى؛ من تعليق أمرهم بسكان القبور في جملة أمرهم، وأما تفاصيلها؛ فغير مقدورة؛ فلقد أحيوا هذه المشاهد بالتردد، والدعاء، والنداء، والعكوف، والمثول، والتأدب، والتوقير، والخضوع... مما لا يحصل بعضه في بيوت الله والصلاة المكتوبة؛ إلا ما لا نسبة بينه وبين ما في عرصات المشاهد؛ بحيث ينتابها، ويهبط إليها، ويحبها، ويسمح بالبذل الكثير لها، ويضيع لأجلها ولده وأهله!!

وكثير من الناس من لا يقوم في حق الله تعالى برائحة من ذلك، ولا يعرف الصلاة ولا المساجد، وهو اللائق بمن سلك تلك السبيل.

ثم يتكلمون بما يناسب حالاتهم هذه؛ من مثل: أكرمنا الشيخ، أو بين لنا إشارة، أو حصل لنا ما نطلب ونجنا مما نهرب، وشفى مريضنا، وأنزل الغيث لنا إذ قصدناه وسألناه".

ويقول: "هذا مذهب عامة المقابرين".

ويقول: "وأما الحاذقون بها؛ فهل أتتكم أنباؤهم؟ إنهم يقولون: هؤلاء المقربون هم المخصوصون من الله بالإمداد، والملقى إليهم مقاليد التصرف والتصريف في عالم الإيجاد، ومن حبي بهذه الحبوة؛ بذلنا له محض التأليه والصبوة، وما سألناه ودعواناه إلا أمرا مكن منه، وصرف فيه، وولي نظره وتدييره بولاية عامة تمكينية. فالسؤال والاستغاثة وما هو من واديهما، هو من ذي أهلية تامة قائمة صالحة لتأهيلنا إياها جميع ما أنكر منا من معاملتها، والواقف بنا على مجرد

التوسل فقط - كما قيل أيضا على عامتنا- هو في القضية عامي أو واهم، وللحقيقة التي نحن بها غير محقق ولا فاهم. انتهى.

فهذه الدسيسة هي -فيما علمنا- روح البحث، وسر المسألة عند حذاقهم السابقين في الصناعة، وقد شافهني بذلك أحد خواصهم الموسومين بالفقه والفتنة في هذا الباب؛ زعما منه أنه قد امتطى صهوة التحقيق، وارترقى ذروة التدقيق، أترى هذا من محاسن الكلام؟! ألا تقول: برأ الله عنه ملة الإسلام وقدسها عن وضر هذا العار والملام؟!".

ثم يقول: "وإذا فقهت هذا؛ انتقلت منه إن شاء الله تعالى إلى فهم ما يؤثر عن قوم ممن يدعي المحبة والقرب والولاية، ودعاويهم الطويلة العريضة المشروحة في مؤلفاتهم ومنظومهم ومنثورهم، وممن شرح عنهم بعضا مما أشرنا إليه ما نقله تقي الدين الفاسي في "تاريخ مكة"، والمحقق الأهدل في "شرح دعاء أبي حربة"، وقبله القاضي إسماعيل بن أبي بكر المقرئ الشاوري الشرحي الزيبي الشافعي وقصيدته الرائية مشهورة في هذا المعنى، وغير ما ذكرنا أيضا كثير يفوت حصرهم".

ويقول: "ولقد سمعنا في هذا المقام حكاية شنيعة، وهي: أن بعض كبراء الصوفية ركب البحر ومعه مریده، فهاجت ريح خيف منها، فجعل الأستاذ يقول: يا الله! فطفق المرید يقول كذلك، فكاد يغرق، فأشار إليه الأستاذ أن يهتف باسمه، ففعل، فنجا. وهي مشهورة عند

كثير من الناس، ولا أعرف الآن موضعها فأنقلها بصفتها"^(١).
ويقول: "إن هذا شيء لا يختص به الواحد والاثنان، ولا البلدة والبلدتان، ولا القطر ولا القطران، بل عم أمر المشاهد وعبادة الأموات البلاد من أقصاها إلى أقصاها، حتى آل الأمر إلى أن عاد غصن الشرك غضا طريا، ويبلغنا من ذلك الكثير الذي لا تحويه السطور، سوى ما سمعناه وشاهدناه، ونحن ببلد أقل شيء فيها هذا القبيل بحمد الله، بل يكاد يلتحق بالمعدوم بالنظر إلى ما سواها، وإلا؛ فمن سكن بفرس والمخا وصعدة وغيرها من قطرنا هذا خاصة - كيف سواه؟ - رأى العجب إن كان قلبه حيا. وبالجملة؛ فأمر العامة في هذا النحو غريب بالنسبة إلى الإسلام، فإن كل من عرف الحقيقة، ونظر إلى ما صاروا إليه من ذلك؛ وجد المضادة لله وتوحيده فاشية في كثير من أفعالهم وأقوالهم وتقليبهم وتصرفاتهم، والطمع في حصره طمع في محال؛ كضبط الريح والبحر، وهو ظاهر شهير على رءوس الخلائق، وإنما جهل قدره ومنافاته لما دعت إليه الرسل لما تعفت رسوم شرعهم عند الأكثرين، ولأنسهم بكثير من أضدادها، وبضدها تتبين الأشياء".

(١) وقال محمد حامد الفقي: "نقلها الشعراي في "الطبقات" عن الحنفي الذي ضمه بمصر، وأنه كان يذهب كل يوم بعد العصر؛ فيجتاز النيل من الشاطئ الشرقي إلى الغربي مشيا على الماء هو وتلاميذه، ويقول لهم: قولوا: يا حنفي! فقال واحد منهم: يا الله! فغرق، فأخرجه الحنفي وأنبه على أن دعا الله" (نفس المرجع، ص ١٨٤ هامش).

ويقول: "وما سقنا هذه الكلمات عن العامة إلا على سبيل المثال".
ويذكر أن هذا واقع وكثير جدا في البلدان الإسلامية، وتركت شيئا كثيرا
وهاما من وصفه وأخباره خشية الإطالة، وأحيل عليه.^(١)

شهادة الإمام الشوكاني :

وهذه شهادة ثالثة من عالم آخر، هو الإمام الشوكاني المشهور، من أهل اليمن، ومن أعلام أهل السنة الموثوقين، نقتطفها من مؤلفاته، كمؤلفه: "كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد"؛ يقرر وجود المعتقدين في الولي والقبر والمشهد ممن ينسب إلى الإسلام ويزعم أنه من المسلمين، وأن هذا هو الشرك بالله؛ لأن الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه الجاهلية، أو أطلق عليه اسما آخر^(٢) :

ويقول: "ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه: حجرا، أو شجرا، أو ملكا، أو شيطانا؛ كما كان يفعل ذلك أهل الجاهلية، وبين أن يكون إنسانا من الأحياء أو الأموات؛ كما يفعله الآن كثير من المسلمين، وكل عالم يعلم هذا ويقر به؛ فإن العلة واحدة، وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد، وللحي كما يكون للميت".

(١) انظر: "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" تأليف العلامة المحقق حسين بن مهدي

النعيمي، (ص ١٦٩-١٨٥).

(٢) "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" (ص ١٨).

إلى أن قال: "وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقاد أنها تضر وتنفع؛ فالاستغاثة بها عند الحاجة، والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور؛ فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون إلا لله سبحانه، بل ربما يترك العصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقد أنه قريباً منه؛ مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله، أو في مسجد من المساجد، أو قريباً من ذلك، وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذباً، ولم يحلف بالميت الذي يعتقدونه.

وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع، فلولا اشتغال ضمائرهم على هذا الاعتقاد؛ لم يدع أحد منهم ميتاً أو حياً عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر قائلاً: يا فلان! افعل لي كذا وكذا، وعلى الله وعليك، وأنا بالله وبك. وأما التقرب للأموال؛ فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات، ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله تعالى؛ لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء.

فإن قلت: إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله تعالى هو الضار النافع، والخير والشر بيده، وإن استغاثوا بالأموات؛ قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله سبحانه. قلت: وهكذا كانت الجاهلية؛ فإنهم كانوا يعلمون أن الله هو الضار النافع، وأن الخير والشر بيده، وإنما عبدوا

أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى؛ كما حكاها الله عنهم في كتابه العزيز.
نعم، إذا لم يحصل من المسلم إلا مجرد التوسل الذي قدمنا تحقيقه؛ فهو
كما ذكرناه سابقاً.

قلت: الشيخ الشوكاني هنا يخالف السلف الصالح، فيجيز التوسل
بذوات الصالحين، والصواب عدم جوازه، وقد يصل إلى البدعة، والله
أعلم^(١).

ونعود إلى كلام الإمام الشوكاني، فيقول: "ولكن؛ من زعم أنه لم يقع
منه إلا مجرد التوسل، وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده
في أحد من المخلوقين، وزاد على مجرد الاعتقاد، تقترب إلى الأموات
بالذبائح والندور، وناداهم مستغيثاً بهم عند الحاجة؛ فهذا كاذب في دعواه
أنه متوسل فقط، فلو كان الأمر كما زعمه، لم يقع منه شيء من ذلك،
والتوسل به لا يحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح، ولا تعظيم ولا اعتقاد؛ لأن
المدعو هو الله سبحانه، وهو أيضاً المحيى، ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط،
بل هو بمنزلة التوسل بالعمل الصالح^(٢)؛ فأبي جدوى في رشوة من قد صار
تحت أطباق الثرى بشيء من ذلك؟! وهل هذا إلا فعل من يعتقد التأثير
اشتراكاً أو استقلالاً؟!

ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الإنسان على بطلان ما ينطق

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٤، ص ٦٨-٦٩).

(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٤، ص ٦٨-٦٩).

به لسانه من الدعاوى الباطلة العاطلة، بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل، وهو يقول بلسانه: يا فلان! مناديا لمن يعتقد من الأموات؛ فهو كاذب على نفسه.

ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالا؛ فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الأقطار اليمينية من قولهم: يا ابن العجيل! يا زيلعي! يا ابن علوان! يا فلان! وهل ينكر هذا منكر أو يشك فيه شك؟ وما عدا ديار اليمن؛ فالأمر فيها أطم وأعم؛ ففي كل قرية ميت يعتقد أهلها وينادونه، وفي كل مدينة منهم، حتى إنهم في حرم الله ينادون: يا ابن عباس! يا محبوب! فما ظنك بغير ذلك، فلقد تلطف إبليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الإسلامية بلطفة تزلزل الأقدام عن الإسلام... فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وبعد أن يقرر الإمام الشوكاني أن ما يفعله القبوريون من الدعاء والاستغاثة والتقرب بأنواع القرب إلى غير الله تعالى من الأموات وغيرهم؛ أنه هو الشرك، ولا يتفطن له أهل العلم، لا لكونه خفيا في نفسه، بل لإطباق الجمهور على هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير وشب عليه الصغير وهو يرى ذلك ويسمعه ولا يرى ولا يسمع من ينكره، بل ربما يسمع من يرغب فيه، ويندب الناس إليه، وينضم إلى ذلك ما يظهره الشيطان للناس من قضاء حوائج من قصد بعض الأموات الذين لهم شهرة، وللعمامة فيهم اعتقاد، وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون الناس بأكاذيب يحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور، ويستدروا منهم الأرزاق، ويقتنصوا النحائر، ويستخرجوا

من عوام الناس ما يعود عليهم وعلى من يعولونه، ويجعلون ذلك مكسبا ومعاشا، وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات، ويجعلون قبره بما يعظم في عين الواصلين، ويوقدون في المشهد الشموع، ويوقدون فيه الأطياب، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة، يتجمع فيها الجمع الجهم، فيبهر الزائر، ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم على القرب من الميت والتمسح بأحجار قبره وأعواده، والاستغاثة به والالتجاء إليه، وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات، مع خضوعهم واستكانتهم وتقريبهم إليه نفائس الأموال ونخرهم أصناف النحائر.

فبمجموع هذه الأمور، مع تطاول الأزمنة وانقراض القرن بعد القرن؛ يظن الإنسان في مبادئ عمره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات وأفضل الطاعات، ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك، بل يذهل عن كل حجة شرعية تدل على أن هذا هو الشرك بعينه، وإذا سمع من يقول ذلك؛ أنكره، ونبا عنه سمعه، وضاق به ذرعه؛ لأنه يبعد كل البعد أن ينقل ذهنه دفعة واحدة في وقت واحد عن شيء يعتقد من أعظم الطاعات إلى كونه من أقبح المقبحات وأكبر المحرمات، مع كونه قد درج عليه الأسلاف، ودب فيه الأخلاف، وتعاودته العصور، وتناوبته الدهور، وهكذا كل شيء يقلد الناس فيه أسلافهم ويحكمون العادات والتقاليد المستمرة.

وبهذه الذريعة الشيطانية والوسيلة الطاغوتية، بقي المشرك من الجاهلية

على شركه، واليهودي على يهوديته، والنصراني على

نصرانيته، والمبتدع على بدعته، وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا، وتبدلت الأمة بكثير المسائل الشرعية وغيرها، وألفوا ذلك، ومرنت عليه نفوسهم، وقبلته قلوبهم، وأنسوا إليه، حتى لو أراد من يتصدى للإرشاد أن يحملهم على المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدلوا بها غيرها، لنفروا عن ذلك، ولم تقبله طبائعهم، ونالوا ذلك المرشد بكل المكروه، ومزقوا عرضه بكل لسان، وهكذا كثير موجود في كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم في غفلة" (١) .

كلام حافظ وهبة :

يقول: "كانت نجد من الوجهة الدينية كسائر الأمصار الأخرى: مرتعا للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة؛ فقد كان كثير من القبور التي تنسب إلى الصحابة، يحج الناس إليها، ويطلبون منها حاجاتهم، ويتوسلون بالمقبورين إلى دفع كربهم. فكانوا في الجبيلة يؤمون قبر زيد بن الخطاب لتحسين حالهم وإجابة ملتمسهم، كما كان أهل الدرعية - التي صارت فيما بعد معقل التوحيد ومقر حكم آل سعود - يضرعون إلى مثل هذه القبور لمثل هذه الأغراض. وأغرب من ذلك توسلهم بفحل النخل في بلدة منفوحة، واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس، تتزوج لعامها، فكات من تقصده

(١) كتاب "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" (ص ١٨-٢٠، ص ٢٦-٢٩).

تقول: يا فحل الفحول! أريد زوجا قبل الحول!!

وكان في الدرعية غار يقدسونه ويزعمون أنه كان ملجأ لإحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة، واتخذت في أحد الجبال الصخرية مأوى لها، فانشق لها الكهف بمعجزة لتأوي إليه. فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه نجد من العقيدة الدينية الفاسدة.

ومن حيث السياسة:

فقد كانت ولايات العرب منقسمة إلى ولايات عديدة، يحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجاره أية رابطة، ومن أشهر هؤلاء الأمراء: بنو خالد في الأحساء، وآل معمر في العيينة، والأشراف في الحجاز، وآل سعود في الدرعية، والسعدون فيما بين النهرين، وغيرهم. وقد كان سكان بلاد العرب - وهم الحضر - في حروب دائمة مع البدو سكان البادية، وكذلك الأمراء، على قدم الاستعداد عندما تسنح الفرص للتعدي على جيرانهم إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد.

أما من حيث الأحكام:

فلم يكن هناك قانون أو شريعة؛ إلا ما قضت به أهواء الأمراء وعمالهم^(١).

(١) "جزيرة العرب في القرن العشرين" (ص ٣١٩-٣٢٠).

كلام الكاتب الأمريكي لوثرروب ستودارد :

وإذا ما تجاوزنا أمثال هؤلاء من علماء المسلمين؛ فإننا نجد ما يقوله المنصفون من غيرهم مطابقا لهذه الأقوال الصادقة في وصف البيئة من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتي أسلفنا أمثلتها، ونسوق فيما يلي مثالا لأقوال المنصفين، هو ما يقوله لوثرروب ستودارد الأمريكي في كتابه "حاضر العالم الإسلامي" بترجمة الأستاذ عجاج نويهض، وتعليقات شكيب أرسلان.

ففي الجزء الأول في الفصل الأول تحت عنوان: "اليقظة الإسلامية" ما نصه:

"في القرن الثامن عشر الميلادي كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة؛ فأريد جوه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال؛ فليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين كسلطان تركيا... إلخ.

إلى أن قال: "وأما الدين؛ فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحداية التي علمها صاحب الرسالة سجفا من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عديد من

الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان؛ يحملون في أعناقهم التمايم والتعاويد والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبون في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرها من سائر مدن الإسلام، فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي^(١) على من استطاعه ضربا من المستهزآت.

وعلى الجملة؛ فقد بدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطا بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر، ورأى ما كان يدهى الإسلام، لغضب، وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان" اهـ.

وعند ذلك؛ علق الأمير شكيب أرسلان على وصفه هذا للعالم الإسلامي بقوله: "لو أن فيلسوفا نقريسا من فلاسفة الإسلام أو مؤرخا عبقريا بصيرا بجميع أمراضه الاجتماعية أراد تشخيص حالته في هذه القرون الأخيرة؛ ما أمكنه أن يصيب المحز وأن يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب الأمريكي ستودارد"^(٢).

(١) هكذا قال الكاتب الأمريكي: "والحقيقة أن الحج فرضه الله تعالى ورسوله ﷺ.

(٢) انظر: "حاضر العالم الإسلامي" (طبعة الحلبي عام ١٣٥٢هـ، ج ١/ ٢٥٩-٢٦٠).

إقرار خصوم الشيخ بالانحراف :

ثم إذا التفتنا إلى غير المنصفين، نجد أن خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ممن يزعمون أنهم علماء لا ينكرون حالة الناس الدينية السيئة ولا السياسية؛ لا ينكرون وجود القباب على القبور، ووجود تقديس أشجار وأحجار وغيران ونحوها، ووجود أولياء مزعومين، ووجود من يدعو مثل ذلك من دون الله، وينذر له ويدبح، ويتقرب إليه بأنواع من العبادة؛ لا ينكرون عموم البلوى بهذه المظاهر المنحرفة في نجد وفي غيرها، بل يؤكدونها، ويقررون أن السواد الأعظم عليها؛ تسويغا لها!! إنهم يحاولون التماس مشروعيتها وتسويغها وتخطئة الشيخ - بل تضليله - في إنكارها:

كقولهم: إن الصالحين لهم شفاعة تطلب منهم أمواتا وأحياء! وكقولهم: إن الرسول ﷺ هو الواسطة، فيدعونه ليتوسط لهم عند الله ويشفع، فيجيب دعاءهم ويقربهم!

وكقولهم: إن الشرك لا يتصور وقوعه في بلاد المسلمين، وإن المسلم لا يرتد مهما عمل، - فإذا قال: لا إله إلا الله، فهو مسلم، ولو دعا الأولياء واستغاث بهم في كشف الضر!

ومثل قولهم: المعين لا يكفر!

ونحو هذا من تسويغات فاسدة وتلبيسات قبيحة.

ولو كانت غربة الدين غير واقعة، وانحرافات الأكثر غير صحيحة؛ لكان

هؤلاء المعارضون أسرع الناس بيانا وتقريراً لشيوع

الإسلام وتاريخنا له، كيف لا وهم الحريصون على تفنيد أقوال الشيخ وتسفيه حركته؟ ! لكن الواقع بھتهم، والحال فضحهم؛ فراحوا يسوغون، ويؤولون، ويلتمسون المعاذير، ويحتجون بالآباء والأجداد، والتقاليد والعادات، وموضوعات الأحاديث وضعافها، ومشتبهات القضايا والمقولات؛ تاركين محكم الأدلة وواضح الآيات؛ لأغراض في نفوسهم، وشهوات في صدورهم، وأمراض في قلوبهم.

وكيف نذهب بعيدا، وقد أنكر علماء السنة العدول ما شهدوا عليه من حوادث حدثت في الدين ووقعت بين المسلمين، وبين أيدينا مصنفاتهم منذ القديم من الزمان؛ يفندون هذا الواقع المؤلم وينكرونه، ويعينونه بالإنكار والإبطال؛ مثل تعظيم القبور، وبناء القباب عليها والمشاهد، واتخاذها مساجد ومعابد، وعبادة أهلها من دون الله بأنواع من العبادة؛ كدعائها، والذبح لها، والتقرب إليها بأنواع القرابين والصدقات.

ومن هؤلاء الأئمة: محمد بن وضاح القرطبي (١٩٧-٢٨٦ هـ) في كتابه "البدع والنهي عنها"، ومحمد بن سحنون (٢٠٢-٢٥٦ هـ)، وأبو زكريا يحيى بن عون (ت ٢٩٨ هـ) في "الرد على أهل البدع"، وكذلك الأئمة الأربعة يردون على أهل البدع، وأتباعهم كذلك.

فهذا الإمام أحمد في "رده على الجهمية والزنادقة"، ومن أتباعه ابن تيمية وابن القيم الحنبلين، وردودهم شهيرة.

والشيخ قاسم بن قطلوبغا ولد سنة (٨٠٢ هـ) وتوفي سنة (٨٧٩ هـ)، ويعرف بقاسم الحنفي؛ كيف كان رده على أهل البدع

بدعهم؟ خصوصا في شرحه كتاب "درر البحار" للقونوي الحنفي في اختلاف المذاهب الأربعة^(١).

وهذا الإمام الطرطوشي المتوفى ما بين سنتي (٥٢٠ - ٥٢٥ هـ) من المالكية في كتابه "الحوادث والبدع" الذي نشر بتحقيق محمد الطالبي، وطبعته دار الأصفهاني بجدة.

وأبو شامة المتوفى سنة (٦٦٥ هـ) من الشافعية في كتابه "الباعث في إنكار البدع والحوادث"، والشاطبي في كتابه "الاعتصام"، ومحبي الدين البركوي الحنفي في رسالته التي ألفها في زيارة القبور....

وغيرهم من العلماء؛ ألفوا رسائلهم، وأنكروا ما وقع من الحوادث، واشتد نكيرهم على غلاة القبور، حتى نسبوا أعمالهم إلى الشرك الأكبر والكفر، وماتوا قبل أن يخلق الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد ذكر غالب هؤلاء العلماء وأمثالهم أن الشرك عم الابتلاء به في زمانهم، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريبا^(٢).

ولننظر ما قرره الفقهاء من كل مذهب من نواقض الإسلام في باب أحكام الردة مما يدل على أن هذه الناحية لها معنى واقعي، ليس

(١) انظر: "الضوء اللامع" للسخاوي (ج ٦/١٨٤ - ١٩٠)، و"الفوائد البهية في تراجم الحنفية"

للكنوي (ص ٩٩).

(٢) انظر: "روضة ابن غنم" (ج ١/ص ٧٤ - ٩٥، ص ١١٥ - ١٢١).

من باب الخيال بعيدا عن الأحداث الواقعة، لأن ذلك ليس من شأن فقهاء المسلمين، بل شأنهم مواجهة الأحداث بأحكام فقهية من الإسلام، وكل أولئك الفقهاء العلماء يعالجون ما حدث في زمانهم، ولا شك أن البلاء ازداد سوءا كلما مر الزمان من بعدهم، خاصة في أول القرن الثاني عشر الهجري.

وقد أطلت النفس في بيان صفة البيئة قبيل ظهور الشيخ؛ لبيان أن الشيخ رحمه الله ظهر على بيئة عاد الإسلام فيها غريبا، ومن يمارس أعمال الشرك هم الأكثر الغالب؛ خلافا لما يذهب إليه الدكتور العثيمين؛ من أن ابن غنام متحمس للدعوة، وابن بشر كذلك؛ فكان هذا التحمس من الأمور التي دفعتهما إلى إصدار أحكام على الحالة التي كان عليها النجديون من حيث العقيدة تنقصها الدقة، وأنه من المقارنة بين المصادر المختلفة يبدو أن الحالة الدينية التي كانت سائدة في نجد آنذاك لم تكن بالصورة التي أظهرتها بها المصادر المؤيدة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١)!!

وقال بالحرف الواحد: "ربما كان تحمس ابن غنام لهذه الدعوة المباركة من الأمور التي دفعته إلى تعميم حكمه على أهل نجد قبل ظهورها ليوضح مقدار فضلها"^(٢).

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور العثيمين تحت (الحالة الدينية

في نجد، باب العقيدة وأركان الإسلام، ص ١٩، ٢٠، ٢١).

(٢) "مجلة الدارة" (العدد الثالث، السنة الرابعة، شوال عام ١٣٩٨ هـ، ص ٤١).

وقال عن ابن بشر أيضا: "وابن بشر كما هو واضح من تأمل تاريخه كان أيضا من المتحمسين لدعوة الشيخ وأنصارها، وموقف كهذا قد يؤدي إلى إصدار أحكام تنقصها الدقة"^(١).

وهذا غير صحيح؛ فابن غنام وابن بشر لم يصدرا حكماً عاماً، وهذا واضح للقارئ من تاريخهما؛ كما بيناه في النقل عنهما آنفاً، ولم ينفردا بما ذكرناه عن حالة نجد وغيرها الدينية والسياسية قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ كما بيناه من كلام الصنعاني والبسام وغيرهما قبل قليل.

ولم ينكر أحد من ابن غنام وابن بشر أو غيرهما وجود علماء في الفقه ووجود مسلمين؛ غير أن وجودهم لم يقض على اعتقاد أكثر الناس بالطواغيت - أمثال تاج وشمسان وحسين وإدريس - وبالأشجار والأحجار والقبور والقبب وتقديس الصالحين والأولياء وعبادتهم كما قضى عليه وجود الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمناصرة الأمير محمد بن سعود في نجد وما حولها.

أما ما بعد؛ فلا يزال؛ كما هو الشأن في مصر وغيرها إلى يومنا هذا؛ فوجود العلماء فيها أهل الدراية والتحقيق لم يقطع المظاهر المنافية للإسلام من مجتمعهم.

وقد سبقني إلى هذه الملاحظة الأستاذ صالح محمد الحسن في تعقيبه حول مقال الدكتور العثيمين في "مجلة الدارة"؛ فقد لاحظ أن

(١) "مجلة الدارة" (العدد الثالث، السنة الرابعة، شوال عام ١٣٩٨ هـ، ص ٤١).

الدكتور العثيمين حين بحث الناحية العقديّة في ذلك الزمن في مقاله أنهى تحليله بأن هناك جهلة يمارسون أعمالاً شركية، لكن عدد هؤلاء كان فيما يظهر قليلاً ! وأن هذه النتيجة تشكيك في الدور الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب من محاربة مظاهر الشرك والعودة بالأمة إلا الكتاب والسنة عقيدة وسلوكاً ومنهاج حياة، وتظهر الشيخ محباً للزعامة؛ لأن الناس كانوا على العقيدة السليمة إلا النزر اليسير منهم^(١).

(١) "مجلة الدارة" (العدد الأول، السنة الخامسة، ربيع الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٥٢ -

المبحث الثاني

حياة الشيخ وخصوصا الناحية العلمية

المترجمون للشيخ :

ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كثير من المؤرخين والأدباء والكتاب وأصحاب التراجم والعلماء كثرة لم تقع إلا للأعلام المجددين، بل لو استقرأنا عدد التراجم للعلماء والأعلام في جميع الميادين الإسلامية من بعد عصره؛ لوجدنا أن ترجمة الشيخ تأخذ أعلى رقم من بين هذه التراجم، وقل أن تجد كتاب تاريخ أو تراجم لأهل عصره أو ليقظة المسلمين الحديثة وحاضر العالم الإسلامي، أو لآل سعود على الخصوص؛ إلا وتجد للشيخ ترجمة أو شيئا منها، وبين يدي ما يزيد عن خمسين كتابا وبحثا، لم يخل واحد منها عن ذكر شيء من ذلك، وسأذكر بعضها في هذا البحث بشيء من البيان، وأختار منها ما أعتبره من المراجع الأساسية لترجمة الشيخ.

أ- مراجع أساسية:

أولها: "روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، والغزوات البيانية والفتوحات الربانية"، للشيخ حسين بن غنام، المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ.

قال حمد الجاسر عنه وعن تاريخه هذا: "وكان أول من قام بذلك (يعني: تدوين تاريخ قيام الدعوة من نجد) عالم جليل من بلاد الأحساء، قدم الدرعية قاعدة تلك الحركة لينهل من معين علم الداعية الأول الإمام محمد، هو الشيخ حسين بن غنام، توفي (١٢٢٥ هـ)، فألف كتابه الذي يعتبر المصدر الأول لبيان حقيقة تلك الدعوة بما نشره من رسائل الشيخ وآرائه وكتبه، ولتصوير ما قام به حملتها من جهاد وكفاح"^(١).

وتقع هذه الترجمة من "تاريخ ابن غنام" في الصفحات من (ص ٢٥) إلى (ص ٥٠)، ط. الأهلوية عام (١٣٦٨ هـ)، وفي "تحرير الأسد لتاريخ ابن غنام" (ص ٧٥ - ٨٥).

والثاني: هو "عنوان المجد في تاريخ نجد"، تأليف المؤرخ عثمان بن عبد الله بن بشر المولود سنة (١٢١٠ هـ) والمتوفى سنة (١٢٩٠ هـ)^(٢).

قال ابن بسام عن المؤلف: "صار اتجاهه إلى التاريخ، لا سيما تاريخ نجد"^(٣).

وقال عن "تاريخه": (هذا التاريخ هو أنفوس وأجمع وأوثق وأعدل

(١) "مقدمة تاريخ ابن عيسى" (طبعة دار اليمامة، ص ٥-٦).

(٢) "مقدمة تاريخ ابن عيسى" (طبعة دار اليمامة، ص ٥-٦).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣/ص ٧٠١).

ما صنف من تواريخ نجد^(١).

وتقع ترجمة الشيخ من هذا التاريخ في (ج ١١ ص ٦-١٥ و ص ٨٩-

٩٦).

والثالث: هو "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية"، الجزء الثالث، تأليف

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، المولود عام (١٢٢٥ هـ)،

والمتوفى سنة (١٢٩٣ هـ)، والذي رتب هذه المسائل وبوبها هو تلميذه

سليمان بن سحمان المولود عام (١٢٦٦)، والمتوفى عام (١٣٤٩)، وقد

أخذ الشيخ عبد اللطيف عن أبيه، وأبوه أخذ عن جده الشيخ محمد المترجم

له، وكذلك أخذ عن الشيخ حسين بن غنام^(٢).

ولا شك أن الشيخ عبد اللطيف مصدر معتمد لهذه الترجمة، ولكل ما

يتعلق بالشيخ المترجم له؛ باعتبار موقعه من النسب والعلم.

وتقع ترجمة جده في (ص ٣٧٨ - ٣٨٩) من رسائله هذه.

والرابع: "الدرر السنية" في الجزء الثاني عشر جمع عبد الرحمن بن محمد

بن قاسم، ومن مشايخه الشيخ سليمان بن سحمان، وقد جمع واستوعب،

وهو ثقة ضابط، وكان مولده عام (١٣١٩ هـ)، وتوفي عام (١٣٩٢ هـ)^(٣).

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣/ص ٧٠١).

(٢) انظر تراجمهم في "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ١).

(٣) عبد الله البسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٢/ص ٤١٤).

وتقع ترجمة الشيخ في مجموعته في (ج ١١٢ ص ٣-٢٥).

ب- مراجع فرعية:

والبقية من هذه المراجع سأترك ذكرها هنا، وإن كنت قد استفدت منها، لكن؛ ليست هي الأساسية، وفي الغالب هي عيال على ما تقدم، وسأذكرها عند وضع الاستفادة منها إن شاء الله تعالى.

وقال حمد الجاسر: "إن سيرة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد عني تلاميذه وأبناؤه وأحفاده وتلاميذهم من علماء نجد بتدوينها تدوينا كاملاً"^(١).

وقال أيضا: "وهم في الحقيقة أدرى من غيرهم ب حياة هذا العالم الجليل؛ كما قيل: أهل مكة أدرى بشعابها"^(٢).

وعلى هذا الأساس بنيت اختياري للمراجع واعتباري للأساسي منها.

ج- مراجع أعرضت عنها:

وأعرضت عن مثل كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" لمؤلف مجهول طبع بيروت (١٣٨٧ هـ)، نشر بتحقيق أبي حاكم، وتلقاه كثير من الناس؛ أعرضت عنه للأسباب التالية:

(١) "مجلة العرب" (ج ١٠، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤١).

(٢) "مجلة العرب" (ج ١٠، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤٤).

١- أنه لمؤلف مجهول، ويظهر منه روح معادية لعقيدة السلف الصالح، والروح المعادية للحق تحمل صاحبها على ترويح الأكاذيب واختلاف الأخبار، ألف سنة (١٢٣٣ هـ)^(١) وهذا هو تاريخ حلول النكبة التي أصيب بها أهل الدرعية على يد طاغية مصر، ومن ورائه الترك وأعداء المسلمين من أوروبا والإنكليز، مما يدل على أن الكتاب ألف كجزء من حملة الباطل على الدرعية، ولكن الله رد كيدهم، وأبقى ميراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي والله الحمد؛ كما قال تعالى:

﴿ يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ ﴾^(٢).

٢- وما فيه من صدق؛ فهو قليل جدا، وموجود في غيره من المصادر الموثوقة؛ فنحن في غنى عنه، وما قصد بذكر المشتهر منه إلا لبس الحق بالباطل؛ كما هي طريقة أهل الكتاب المنحرفين والكهان والعرافين؛ يأتون بكلمة واحدة من الصدق مشهورة، ويضيفون إليها مئة كلمة من الكذب مجهولة؛ ليروجوا هذا الكذب، ويوهموا الناس أنه كله صدق، وعلى كل؛ فلا يعتمد على رواياته لكذبه الواضح وتزييفه وقائع تاريخية معلومة.

٣- ومصدق ذلك أن دارة الملك عبد العزيز قامت بطبعه مرة

(١) انظر صورة آخر صفحة من مخطوط "المع الشهاب" في (ص ي) من مطبوعته بتحقيق

وتعليق ابن عبد اللطيف ، و (ص ٢١٨) من نفس المطبوعة.

(٢) سورة الصف آية : ٨.

أخرى لتمحيص الأخطاء والتنبيه إلى تزييفه الوقائع والحقائق التاريخية بقلم محققه عبد الرحمن بن عبد اللطيف، وقد بسط الكلام حول هذا: عبد الواحد راغب في مقاله في "مجلة الدارة" (ع ٢، س ٢، ص ٢٣٨ - ٢٤٩).

٤- وكان حمد الجاسر قد سئل عن رأيه في هذا الكتاب، فقال:
"أرى أن كتاب "لمع الشهاب" ألف استجابة لرغبة المستر ريس، أو أحد موظفي الإنكليز في الخليج، ذلك أن هذا الكتاب يحوي ثناء على الإنكليز، ووصفا لأعدائهم من العرب في الشارقة وغيرها بأوصاف كان موظفو الإنكليز في ذلك العهد يطلقونها عليهم، وهي غير صحيحة.
وفي الكتاب كثير من التحريف والكذب في الأنساب وفي الوقائع التاريخية، مما يدل على أن كاتبه كان قد استوحى كثيرا مما فيه من مخيلته، وأضاف إلى ذلك وقائع وحوادث كانت معروفة ومشهورة في ذلك الوقت، وخلط بعضها بما لا يتفق مع الحقيقة، وأبرز الكتاب بصورة تجعله مقبولا عند القارئ؛ فهو برغم ما فيه من المعلومات الباطلة عن أنساب أهل نجد وعن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن نسب آل سعود وأخبارهم، مع ما في كل ذلك من الأباطيل؛ ففي الكتاب ثناء طيب، يحمل القارئ على أن يحسن الظن بالمؤلف، ويعتقد أنه يكتب بتجرد وإنصاف، لا أقول هذا متحيزا أو متأثرا بأية عاطفة، ولكنني أقوله مقرا لحقيقة تاريخية، هو أنه لا يصح التعويل على ما في هذا الكتاب ما لم توجد نصوص أخرى تؤيده، وكثير مما

فيه يخالف النصوص التاريخية المعروفة^(١).

والأمر هو كما قال الأستاذ المحقق حمد الجاسر من أن هذا الكتاب ونحوه لا يصح التعويل على ما فيه.

نسبه :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيح بن هثمل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أما والدة الشيخ محمد رحمه الله؛ فهي بنت محمد بن عزاز المشرفي الوهبي التميمي؛ فهي من عشيرته الأذنين^(٢)... إلخ.

وهناك اختلاف طفيف في نسب الشيخ إلى (مشرف)؛ ففي سرد ابن بشر^(٣) وعبد الرحمن المغيري^(٤) لنسب الشيخ يصير (مشرف) الجد

(١) "مجلة العرب" (الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤١). وانظر

نقدا لكتاب "المع الشهاب" بتحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة في "مجلة العرب"

(الجزء التاسع، السنة الأولى، ربيع الأول عام ١٣٨٧ هـ، ص ٩٥٣ - ٩٥٧).

(٢) "علماء نجد خلال ستة قرون" للبياسم (١/ ٢٦).

(٣) "عنوان الجحد" (١/ ٨٩، طبعة مكة).

(٤) "الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب" (ص ١٦٣).

السابع للشيخ؛ قالوا: "محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف"؛ فقد سقط اسمان من أسماء أجداده هما: (محمد) ثم (بريد) بين (بريد) الأول و (مشرف)، ويبدو أن عبد الله بن يوسف الشبل قد تبع ابن بشر في سرده لنسب الشيخ عندما ترجم له^(١).

أما عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتابه "مشاهير علماء نجد وغيرهم"^(٢) وفي كتابه علماء الدعوة^(٣) وعبد الله بن عبد الرحمن البسام في كتابه "علماء نجد خلال ستة قرون"^(٤) فقد زادا في سردهما لنسب الشيخ عن سرد ابن بشر والمغيري الجد السابع (محمد)، ونقص الجد الثامن (بريد)؛ كما هو الثابت في سرد المؤرخ الأقدم حسين بن غنام^(٥)، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن^(٦) والشيخ راشد بن علي الحنبلي^(٧) والمؤرخ إبراهيم بن عيسى^(٨) والفقير إبراهيم بن ضويان^(٩) والشيخ عبد الرحمن بن

(١) في كتابه "الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب؛ حياته ودعوته" (ص ١٦)، مطابع جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) الطبعة الأولى، ص ١٦ .

(٣) (ص ٦).

(٤) (1/ 25)؛ .

(٥) "روضة الأفكار" (١/ ٢٥).

(٦) "الرسائل والمسائل" (٣/ ٣٧٩).

(٧) "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد" (ص ٣١-٣٢).

(٨) "تاريخ بعض الحوادث" (ص ١٢٥-١٢٦).

(٩) "رفع النقاب" (مخطوط، لوحة ٧٤ عن "مجلة الدارة"، العدد الثاني عام ١٣٩٨ هـ، ص

٩٧).

قاسم^(١) والشيخ حمد الجاسر^(٢)؛ ففي سردهم جميعا لنسب الشيخ يصير (مشرف) الجد التاسع، فيقولون: "محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف". وعلى ما يبدو أن إبراهيم بن عبيد في تاريخه "تذكرة أولي النهى والعرفان"^(٣) ومحمد العقيلي في بحثه الذي قدمه لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٤) وغيرهما^(٥)؛ قد تبعوهم في سردهم لنسب الشيخ، وكذلك الدكتور عبد الله العثيمين ذكر أن (مشرفا) هو الجد التاسع للشيخ، ولكنه حين سرد نسب الشيخ؛ أسقط اسم جده الثالث (محمد)، ولعله أسقطه سهوا^(٦)؛ إلا أن يكون قد تبع الحيدري في كتابه "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد"؛ فالحيدري قد أسقط اسم جده الثالث (محمد)، واعتبر العد يبدأ من أبي الشيخ لا من جده.

(١) "الدرر السننية" (ج ١٢ / ص ٣).

(٢) "جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد" (١ / ٤٦٩).

(٣) (ج ١ / ١٣).

(٤) (ص ١٣).

(٥) انظر البحوث المقدمة لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنعقد في الفترة من ٢١ / ٤ / ١٤٠٠ هـ إلى نهاية ٢٧ / ٤ / ١٤٠٠ هـ، مجلد: "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية": بحث الشيخ إسماعيل الأنصاري وبحث الشيخ يوسف جاسم الحجري.

(٦) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" (ص ٢٣).

والذي أثبتته الشيخ حسين بن غنام ومن أتى بعده ممن ذكرنا هو الراجح، لأنهم أكثر عدداً، وفيهم من هو أتم ضبطاً وأقدم تاريخاً. وأما من (مشرف) إلى (ريس)؛ فإن ابن غنام لم يذكر ما بعد (مشرف) من نسب الشيخ، وإنما وقف في نسبه على (مشرف)^(١) وكذلك الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن^(٢). ولكن ابن بشر^(٣) وإبراهيم بن صالح بن عيسى^(٤) وعبد الرحمن بن قاسم^(٥) وحمد الجاسر^(٦) وعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ^(٧) وعبد الله بن عبد الرحمن البسام^(٨)؛ يتفقون على أنه هكذا: "مشرف بن عمرو بن معضاد بن ريس"، ويخالفهم عبد الرحمن المغيري^(٩) وتركبي آل ماضي^(١٠)؛ في اسم والد مشرف (عمر)؛ ففي مؤلفيهما أنه (عمرو)، والراجح (عمر) لا (عمرو)؛ لأنه هكذا في مؤلفات ابن بشر وابن عيسى وابن قاسم ومن معهم كما

(١) "روضة الأفكار" (١ / ٢٥).

(٢) "الرسائل والمسائل" (٣ / ٣٧٩).

(٣) "عنوان المجد" (١ / ٨٩).

(٤) "تاريخ بعض الحوادث..." (ص ٢٢٣، ٢١١).

(٥) "الدرر السنية" (ج ١٢ / ص ٣ - ٤).

(٦) "جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد". (١ / ٤٦٩).

(٧) "مشاهير علماء نجد" (ص ١٦).

(٨) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١ / ٢٥).

(٩) "الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب" (ص ١٦٣).

(١٠) "تاريخ آل ماضي" (ص ١٠).

ذكرنا، وهم أضبط وأكثر.

كما يخالف كل من سبق ذكره إبراهيم بن ضويان^(١) وصاحب "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق"^(٢)؛ في اسم (ريس) ففي مؤلفيهما أنه (إدريس)، والراجح أنه (ريس) لا (إدريس)؛ لأن من ضبطه (ريس) أضبط وأكثر.

وقال المؤرخ إبراهيم بن عيسى: "وأما المشارفة أولاد مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر؛ فمنهم آل الشيخ المعروفين في الرياض"^(٣).
وأما من (ريس) إلى (عقبة) ومن (عقبة) إلى (مر)؛ فيقول ابن عيسى:
"قال الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع: وهذا النسب من (ريس) إلى (عقبة) منقول من خط محمد بن أحمد بن محمد بن منيف ابن بسام [بن منيف القاضي، ومن خط علماء الوهبة المعروفين المعتبرين، مثل الشيخ أحمد بن محمد بن بسام، والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير، والشيخ سليمان بن علي (جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، والشيخ أحمد بن محمد البجادي، والشيخ عبد المحسن بن علي بن شارخ المشرفي وغيرهم.

(١) "رفع النقاب عن تراجم الأصحاب" (مخطوط لوحة ٧٤ عن "مجلة الدارة"، العدد الثاني،

رجب عام ١٣٩٨ هـ، ص ٩٧).

(٢) مطبعة العامرة الشرقية عام ١٣١٩ هـ، (ص ١٦).

(٣) "تاريخ بعض الحوادث" (ص ٢٢٣).

ومن (عقبة) إلى (مر) منقول عن ابن الكلبي وياقوت الحموي؛ قال ابن الكلبي: وكان عقبة شريفاً^(١)؛ أي: في قومه.

كما نقل ابن عيسى أن الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع يقول: "إن ابن منصور ليس بمأمون في نقله عن علماء الوهبة من أن أحدهم إذا وصل في نسبه إلى مسعود؛ قال: هو أخو غيلان ذي الرمة بن عقبة ابن بهيش بن مسعود بن حارثة... إلخ."

وينكر ذلك ويقول: "الذي وقفنا عليه ورأيناه بخطوطهم خلاف ما نقله عنهم ابن منصور، إنما هو: مسعود بن عقبة بن سنيح بن نهمشل ابن شداد... إلخ"^(٢).

وهناك اختلافات أخرى شاذة مثل السقط والتصحيفات التي وقعت في كتاب إبراهيم الحيدري المسمى: "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد"؛ فقد أسقط اسم جده الثالث (محمد)، وصحف اسم جده (بريد) إلى (بريز)، واسم جده (معضاد) إلى (بعضاد)، واسم جده (زاخر) إلى (ذاخر) (لوحه ٣١٤ - ٣١٥)، ومثل ما في "معجم المؤلفين" لعمر رضا كحالة؛ فقد قال: "محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن أحمد بن راشد بن يزيد بن محمد بن يزيد بن

(١) "تاريخ بعض الحوادث" (ص ٢١٢)، وانظر: "الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب" لعبد الرحمن المغيري (ص ١٦٤)، و"تاريخ آل ماضي" (ص ١٢ - ١٣) و"علماء نجد خلال ستة قرون" للبسام (١/ ٢٥).

(٢) "تاريخ بعض الحوادث" (ص ٢١٧ - ٢١٩)، وانظر: (مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد" تأليف راشد بن علي الحنبلي (ص ٢٨، ٣٠ - ٣٢).

مشرف التميمي النجدي"^(١)؛ فقد أسقط اسم (علي) ثم (محمد) بين (سليمان) و (أحمد)، وأبدل (بريدا) ب (يزيد) في الموضوعين، وهذا غير صحيح.

وبعض المترجمين أعرض عن تفصيل نسب الشيخ؛ كالزركلي في كتابه "الأعلام"، واقتصر على قوله: "محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي"^(٢).

وبالجملة التي لا خلاف عليها خلافاً معتبراً أن الشيخ ينسب، فيقال: (المشرفي) نسبة إلى جده مشرف وأسرته آل مشرف، ويقال: (الوهبي) نسبة إلى جده وهيب جد الوهبة، والوهبة يجتمعون في محمد بن علوي بن وهيب، وهم بطن كبير من حنظلة، وحنظلة بيت من بيوت بني تميم الأربعة الكبار؛ كما قال غيلان ذو الرمة:

يععد الناسون إلى تميم	بيوت المجد أربعة كبارا
يعدون الرباب وآل سعد	وعمرًا ثم حنظلة الخبارا

ويقال: (التميمي) نسبة إلى تميم أبي القبيلة الشهيرة^(١) والتي ورد فيها ما رواه: البخاري في "صحيحه" في كتاب العتق^(٢) في الباب

(١) ج ١٠ / ٢٦٩.

(٢) ج ٧ / ١٣٧ - ١٣٨.

الثالث عشر وفي كتاب المغازي^(٣) في الباب الثامن والستين، ومسلم في "صحيحه" في كتاب فضائل الصحابة^(٤) في الباب السابع والأربعين، ورقم الحديث (١٩٨)؛ عن أبي هريرة واللفظ هنا لمسلم: عن أبي زرعة؛ قال: قال أبو هريرة: لا أزال أحب بني تميم من ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿هم أشد أمتي على الدجال﴾. قال: وجاءت صدقاتهم، فقال النبي ﷺ "هذه صدقات قومنا". قال: وكانت سببية منهم عند عائشة، فقال رسول الله ﷺ "أعتقها، فإنها من ولد إسماعيل" (٥).

ويتضح من سرد نسب الشيخ المتقدم أنه يلتقي مع نسب الرسول ﷺ

في إلياس بن مضر.

أسرته العلمية :

إنه منذ القرن العاشر الهجري زمن أجود بن زامل ملك الأحساء ونواحيه تلمع أسماء علماء من آل مشرف؛ كالقاضي عبد القادر بن بريد المشرفي، وكان أحمد بن محمد بن مشرف في أشيقر ممن أخذ عن أحمد بن يحيى بن عطوة وعن أبي النجاء موسى الحجواوي مصنف "الإقناع" و "زاد المستنقع" وغيرهما^(٦).

(١) انظر: البسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/ ٢٥، ٢٦)، وعبد الرحمن المغيرة "الكتاب

المنتخب في ذكر قبائل العرب" (ص ١٦١، ١٦٣، ١٦٤)، وتركبي بن ماضي "تاريخ آل

ماضي" (ص ١١).

(٢) (ج ٣ / ص ١٢٢).

(٣) (ج ٥ / ص ١١٥، ١١٦).

(٤) (ج ٤، ص ١٩٥٧).

(٥) صحيح البخاري: كتاب العتق (٢٥٤٣)، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٥٢٥).

(٦) ابن بشر "عنوان المجد" (١/ ٢٢، ٢٣) في سابقة (٩٤٨)، وابن بسام "علماء نجد" (١/

٣١٠)، والدكتور العثيمين "الشيخ محمد بن عبد الوهاب...." (ص ٢٤).

جده :

وفي القرن الحادي عشر الهجري نجد أن جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو القاضي سليمان بن علي بن مشرف، أكبر عالم في نجد ذلك الزمن.

ويتحدث المؤرخ إبراهيم بن عيسى عن مكان ولادته ونشأته وأعماله وتنقلاته، فيقول: "ولد في بلدة أشيقر، ونشأ بها، وقرأ على علمائها، ولازم منهم أجلهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف، وبرع ودرس ومهر في الفقه، ثم طلبه أهل روضة سدير قاضيا لهم، فأجابهم إلى ذلك، فانتقل من أشيقر وسكن عندهم، فنشر العلم في الروضة، وحث الناس على التعلم ورغبهم فيه، وانتفع به خلق كثير، واتفق أنه حصل بينه وبين بعض رؤساء البلد كلام، فغضب الشيخ من ذلك، وانتقل إلى العيينة واستوطنها، وتولى قضاءها، وباشره بعفة وصيانة" اهـ (١).

ويصف ابن بشر مكانته العلمية، فيقول: "كان سليمان رحمه الله تعالى فقيه زمانه، متبحرا في علوم المذهب، وانتهت إليه الرئاسة في العلم، وكان علماء نجد في زمانه يرجعون إليه في كل مشكلة من الفقه وغيره، رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة، وصنف كتابا في المناسك، وذكر لي أنه شرح "الإقناع"، فلما علم أن منصورا البهوتي شرحه؛ أتلف سليمان شرحه" (٢).

(١) نقلا عن ابن بسام "علماء نجد" (١/٣١٠).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (١/٦٢).

وقال ابن بسام عن فتاوى الشيخ سليمان: "بلغ المحفوظ منها الآن أكثر من أربع مئة جواب مفرقة في بعض المطبوعات، وأكثرها لا يزال مخطوطاً"^(١) اهـ.

وقد رأيت في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" أجوبة له على مسائل من الفقه بلغت إحدى وثلاثين مسألة^(٢).

وقال البسام عن شرحه "الإقناع": "وقد شرح "الإقناع"، فلما حج سنة (١٠٤٩ هـ) تسع وأربعين وألف؛ وجد الشيخ منصور البهوتي حاجاً، فأطلعته على شرحه، فتأمله الشيخ سليمان، ثم قال: وجدته مطابقاً لما عندي؛ إلا في مواضع يسيرة، وأتلف شرحه عليه"^(٣).

ويزيد المؤرخ إبراهيم بن عيسى في وصف مكانته العلمية، فيقول: "وكتب بخطه الحسن المضبوط النير كتبا كثيرة من كتب الفقه وغيره، وحصل كتبا كثيرة نفيسة في كل فن، وعلى كل كتاب منها خطه بتهميش وتصحيح وإلحاق فوائد وتنبهات، مما يدل على أنه طالعها جميعها مطالعة تأمل وتفهم"^(٤) اهـ.

وقال الدكتور العثيمين: "يوجد خطه في مكتبة برلين. (ms-idbg. 4\22) لكتاب "جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام"، تأليف

(١) "علماء نجد" (١/ ٣١٢).

(٢) انظرها في ج ١ / ٥١٠ - ٥٢٠.

(٣) "علماء نجد" (١/ ٣١١).

(٤) نقلا عن البسام "علماء نجد" (١/ ٣١٠ - ٣١١).

شمس الدين الزرعي، وهو مكون من ٢٢٠ ورقة^(١).

توفي الشيخ سليمان بن علي في سنة تسع وسبعين وألف (١٠٧٩ هـ)^(٢) في بلدة العيننة^(٣).

وكان قد أخذ عنه العلم والفقہ جماعة، وتلمذ له خلق كثير تخرجوا على يديه وانتفعوا به، منهم ابنه عبد الوهاب وإبراهيم وغيرهما^(٤).

وقال الشيخ عبد الله البسام: "المعروف أن الشيخ سليمان بن علي لم يبق له عقب الآن؛ إلا من قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب"^(٥).

ولنا أن نقول: وكذلك ميراث الشيخ سليمان بن علي العلمي بقي في الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من ذريته وغيرهم، ومنهم انتشر؛ كما هي سنة الله تعالى في عباده المحسنين؛ يجيبهم إذا نادوه ودعوه، وينجيهم من الكرب، ويجعل البقاء في ذريتهم؛ قال تعالى:

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب...." (ص ٢٤).

(٢) ابن بشر، "عنوان المجد" (١/٦٢)، وابن عيسى "تاريخ...." (ص ٦١-٦٢).

(٣) ابن بسام "علماء نجد" (١/٣١٢).

(٤) ابن بشر "عنوان المجد" (١/٦٢-٦٣)، و"السحب الوابلة" عن "مجلة العرب" (السنة الثانية عشرة، ص ٦٧٠).

(٥) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/١١١).

﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعَمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾^(١).

والده :

وعبد الوهاب ابن الشيخ سليمان هو أبو الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب؛ ولد في العيينة، ونشأ بها على تربية أبيه بالعلم والفقہ من صغره، وكما أخذ عن والده الشيخ سليمان؛ فقد أخذ عن غيره أيضا من علماء العيينة، حتى أدرك في الفقہ كأبيه، وولي قضاء العيينة مكان أبيه^(٢).
وقد رأيت له جواباً في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" على سؤال وجهه إليه عبد الله بن أحمد بن سحيم عن أحوال منكرة من أناس يسمون أنفسهم فقراء يدخلون في النار ويضربون أنفسهم بالحديد ويقفزون من السطوح ويلعبون بذكر الله حيث يفعلونه كنبح الكلاب... فأجاب بأن هؤلاء فسقة شياطين منافقون، وأفعالهم منكرة، وبعضها كفر بلا ريب، يتعوذ المسلمون بالله من أفعالهم، وأن أهل حرمة وأضراهم الذين اتبعوهم وجادلوا عنهم لا يصلى خلف أحدهم ولا تقبل شهادته، ويحث على إنكار مثل ذلك باليد واللسان، واستدل بأدلة سديدة مما يدل على أصالة علمه وفقهه^(٣).

(١) سورة الصافات آية : ٧٥.

(٢) ابن بشر "عنوان المجدد" (١/ ٢٣٥).

(٣) انظر: "المسائل والمسائل النجدية" (١/ ٥٢٣ - ٥٢٥).

وفي هذه الأسرة العلمية من آل مشرف ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

مولده ونشأته العلمية ومواهبه :

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومئة وخمس عشرة (١١١٥ هـ) من هجرة المصطفى ﷺ^(١) على ما هو معروف^(٢) في بلدة العيننة على الصحيح^(٣) وكما ذكرنا في أسرة علمية.

تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، وكان حاد الفهم، وقاد الذهن، ذكي القلب، سريع الحفظ^(٤) قرأ على أبيه في الفقه، وكان رحمه الله تعالى في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه^(٥) وجد في طلب العلم، وأدرك وهو في سن مبكرة حظاً وافراً من العلم، حتى إن أباه كان يتعجب من فهمه ويقول: "لقد استفدت من ولدي محمد

(١) ابن غنام "روضة الأفكار" (١/ ٢٥)، وابن بشر "عنوان المجد" سابقة (١١١٥ هـ)، (ج ١٣٨/١).

(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز "محاضرة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (ص ١٩ - ٢٠)، وانظر: "البيان الواضح لأسرة الشيخ" تأليف عبد الله بن إبراهيم بن عبد العزيز آل الشيخ (ص ٥).

(٣) الدكتور العثيمين "الشيخ محمد... (ص ٢٥)، ومسعود الندوي "محمد بن عبد الوهاب... (ص ٣٦).

(٤) "روضة ابن غنام" (١ - ٢٥).

(٥) ابن بشر "عنوان المجد في تاريخ نجد" (١/ ٦).

فوائد من الأحكام"^(١).

وكتب أبوه إلى بعض إخوانه رسالة نوه فيها بشأنه وفهمه الجيد، وأنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثني عشرة سنة من عمره، ورآه أهلا للصلاة بالجماعة إماما لمعرفته بالأحكام، وزوجه بعد البلوغ مباشرة، ثم طلب من أبيه الحج إلى بيت الله الحرام، فأذن له، فحج وقصد المدينة، وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد ذلك إلى أبيه في العيينة، وأخذ يدرس الفقه على مذهب الإمام أحمد على والده، ورزق مع قوة الحفظ سرعة الكتابة؛ بحيث إنه يخط كراسا بخط واضح في الجلسة الواحدة بلا سأم ولا تعب مما يحير أصحابه^(٢).

ويقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: "وقد كتب بخط يده كثيرا من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، لا يزال بعضها موجودا بالمتحف البريطاني بلندن"^(٣).

وقال حفيده وتلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن: " لما قدم جده سليمان بن علي من الروضة ونزل العيينة؛ كان أفقه من نزل نجدًا في وقته، فتخرج عليه خلق كثير من أهل نجد، منهم ابنه عبد الوهاب وإبراهيم، وكان المتولي للقضاء في العارض أبوه عبد الوهاب، وكان عمه يسافر إلى ما حولهم من البلاد لحاجتهم إليه في الإفتاء وما يقع

(١) "روضة ابن غنام" (١ / ٢٥) .

(٢) "روضة ابن غنام" (ج ١ / ٢٥ - ٢٦) .

(٣) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ١٨)، وانظر: عبد الحليم الجندي "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي"، دار المعارف، (ص ٩١) .

بينهم من بيع العقارات، وكان عليه اعتمادهم فيما كتبه وأثبتته، وأكثر إقامته مع أخيه عبد الوهاب، فظهر شيخنا بين أبيه وعمه، فحفظ القرآن وهو صغير، وقرأ في فنون العلم، وصار له فهم قوي وهمة عالية في طلب العلم، فصار يناظر أباه وعمه في بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجه عن الأصحاب، فتخرج عليهما في الفقه وناظرهما في مسائل قرأها في "الشرح الكبير" و"المغني"، و"الإنصاف" لما فيها من مخالفة ما في متن "المنتهى" و"الإقناع" (١).

وقال ابن بشر: "وكان رحمه الله تعالى في صغره كثير المطالعة في التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه" (٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: "أمدده الله بكثرة الكتب، وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك، وعدم النسيان، سمع الحديث وأكثر في طلبه، وكتب ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصل غيره، برع في تفسير القرآن، وغاص في دقائق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ مثله، مع سرعة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين؛ بحيث إنه إذا أفتى؛

(١) "الدرر السنية" (٩ - ٢١٥).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (١ / ٦).

لم يلتزم بمذهب، بل بما يقيم دليله عنده، تمسك بأصول الكتاب والسنة، وتأيد بإجماع سلف الأمة"^(١).

وهكذا نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشأة علمية؛ فأبوه القاضي كان يحثه على طلب العلم ويرشده إلى طريق المعرفة، ومكتبة جده العلامة القاضي سليمان بن علي بأيديهم، وعمه إبراهيم أكثر إقامته مع أخيه عبد الوهاب، فيلتقي به ابن أخيه محمد بن عبد الوهاب ويأخذ عنه، وبعض أقارب الشيخ الآخرين من آل مشرف وغيرهم من طلاب العلم، وبيتهم في الغالب ملتقى طلاب العلم وخواص الفقهاء، سيما الوافدين، باعتباره بيت القاضي، ولا بد أن يتخلل اجتماعاتهم ولقاءاتهم مناقشات ومباحث علمية يحضرها محمد بن عبد الوهاب، والقضايا التي كان أبوه ينظر فيها؛ فإن قربه يمكنه من معرفة مجرياتها^(٢) وهو قد أنعم الله عليه بالإدراك العميق، والحفظ القوي، والذكاء الممتاز، والرغبة الطموح، والجد في اكتساب معالي الغايات وإن كانت بعيدة؛ فما له لا يدرك الحظ الوافر والبلغة العظيمة من العلم النافع والميراث النبوي الكريم؟!!

لقد أتم الله عليه نعمته، ورزقه إدراك بعض الأرب من العلم في بلده، وأخذ ما عند علماء نجد، ووصلوه بسندهم، ولكن همته العالية وطموحه الوثاب كان يحفزها على البحث الدائب، والدراسة

(١) "الدرر السنية" (١٢ / ٨).

(٢) انظر: الدكتور العثيمين "الشيخ محمد بن عبد الوهاب ..." (ص ٢٦-٢٧).

المتواصلة، والتفكير النافع، والمناقشة البناءة مع العلماء والطلبة وغيرهم؛ فلا يقنع بما اقتنع به سابقوه ويقتنع به معاصروه.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "وقد أخبر شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان في ابتداء طلبه للعلم وتحصيله في فن الفقه وغيره لم يتبين له الضلال الذي كان الناس عليه من عبادة غير الله؛ من جن، أو غائب، أو طاغوت، أو شجر، أو حجر... أو غير ذلك، ثم إن الله جعل له نعمة في مطالعة التفسير والحديث، وتبين له من معاني الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة؛ أن هذا الذي وقع فيه الناس من الشرك؛ أنه الشرك الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بالنهاي عنه، وأنه الشرك الذي لا يغفره الله لمن لم يتب منه؛ فبحث في هذا الأمر مع أهله وغيرهم من طلبة العلم؛ فاستنار قلبه بتوحيد الله الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه"^(١).

أثر البيئة في توجيه الشيخ علميا :

لقد أبصر الشيخ البيئة من حوله بواقعها، والناس في حياتهم ودينهم على الغالب في تناقض وتصادم مع ما نشأ عليه من علم وما عرفه من الحق على يد أبيه ومن خلال مطالعته لكتب المحققين من علماء السلف الصالح؛ فما يتعلمه من أبيه ومن ميراث العلماء في واد، والحياة الواقعة والعمل الجاري من الناس على العموم والغالب في واد

(١) "الدرر السننية" (٩ / ٢١٨)، وانظر: ابن بشر "عنوان المجد.." (٦ / ١).

آخر، بل في مصادمة ومناقضة مع حياته العلمية الخاصة التي ورثها من متصل إسناد العدول وحملة العلم النبوي من لدن رسول الله ﷺ إليه اتصالاً متيناً لا يتطرق إليه انقطاع ولا انفصام؛ ذلك أن البيئة في نجد على الخصوص كما هي في سائر البلاد الأخرى على العموم؛ بيئة جاهلية، بيئة خرافة وبدعة امتزجت بالنفوس، فأصبحت جزءاً من عقيدتها إن لم تكن هي عقيدتها، وقد بينا ذلك في المبحث السابق بفضل الله تعالى^(١).

ولا شك أن بيئة هذه عقيدتها؛ مناقضة لعقيدة السلف الصالح، مناقضة للإسلام الذي يتربى عليه الشيخ في محضن خاص من المحاضن التي يحفظ الله بها دينه، ويقيم على الناس بها حجته؛ استمراراً لرسالة خاتم أنبيائه ورسوله محمد بن عبد الله.

ولا بد أن يخرج الشيخ إلى هذه البيئة ويعاملها بمقتضى سنة الله في خلقه، الذي خلق الموت والحياة ليبلى الناس أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، والشيخ بين أمرين:

إما أن يستسلم للبيئة ويصبح مثل الآخرين؛ فتكون نفسه وقلبه وروحه ميداناً للمتناقضات وصراعاتها، واختلاط البدعة والوهم بعقيدته السليمة ودينه القيم وحياته الطيبة، وتصبح الجاهلية سائدة في نفسه كالأكثر الغالب من الناس.

وإما أن يصمم على محاربة الخرافة المنتشرة والبدعة الشائعة

(١) انظر: (١/ ٣٧) وما بعدها من هذا البحث.

والجاهلية الجاثمة الثقيلة، وما أثقلها من كابوس جاثم، إنها حياة أغلبية المجتمع من حوله، التي تضغط بقوة على من يحيا بالإسلام ونوره. ولكن قد اختار الشيخ رحمه الله وجزاه خيرا أن يقوم لله قومة انصدعت لها جبال الجاهلية وتقطعت بها غيوم الباطل وشبهاته، فعزم على تنحية البدع من الحياة التي حوله، وإيقاظ النائمين، وتنبيه الغافلين، والعمل على نشر الإسلام والنور من الكتاب والسنة وسيرة الصالحين.

توجه الشيخ للرحلة في طلب العلم :

قال ابن بشر: "فلما تحقق الشيخ معرفة التوحيد ونواقضه، وما كان وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة؛ صار ينكر هذه الأشياء، واستحسن الناس ما يقول، لكن لم ينهوا عما فعل الجاهلون، ولم يزيلوا ما أحدث المبتدعون"^(١) اهـ.

هنا توجه الشيخ للرحلة في طلب العلم؛ للتسلح بسلاح ماض قاطع؛ فإن إنكار الشيخ لهذه الأمور الشائعة جعلته في مواجهة للمعارضة من علماء السوء، وتلبيساتهم وشبهاتهم، وتأليب العامة عليه، وتهمتهم إياه بالانحراف والجهل؛ فكان كل ذلك يزيد تفكيره وحرصه على تحصيل العلم وإدراك الحق؛ فلا بد أن يرحل في طلب

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (١ / ٦ - ٧)، وانظر: "الرسائل والمسائل النجدية" الشيخ عبد اللطيف (٣ / ٣٣٩، ٣٤٠).

العلم وتحقيق ما شرح الله له صدره من حقيقة هذا الدين القيم على أيدي حملته العدول، الذين لن تخلو منهم الأرض ولن ينقطع منهم زمان إلى قيام الساعة... فليرحل إلى مظانهم في أقطار البلاد الإسلامية، حيث إنهم لا يحصرون في مكان دون آخر، ولا زمان دون زمان؛ فإن للعلماء بقايا، وفي الزوايا خبايا، وحجة الله قائمة، وذكره محفوظ، وميراث رسول الله ﷺ مضبوط في الكتب والصدور، يحمله من كل خلف عدوله، ويتوارثه جيل بعد جيل، ورب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه.. ليرحل الشيخ في طلب العلم والتسلح بسلاحه؛ فإن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يصير له سلاحا يقاتل به هؤلاء الشياطين الذين يصدون عن سبيل الله ويقطعون الطريق إليه؛ كما يقول الشيخ^(١).

لذلك قرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يرتحل من بلده العيينة؛ يطلب العلم والنصرة وإعداد العدة من النور والحكمة، ولعله يجد من يساعده على ما عرف من دين الإسلام^(٢).

وقال الشيخ: "كنت عند الشيخ ابن سيف يوما، فقال لي: تريد أن أريك سلاحا أعددتَه للمجموعة؟ قلت: نعم. فأدخلني منزلا عنده فيه كتب كثيرة، وقال: هذا الذي أعددتنا لها"^(٣).

(١) انظر: "كشف الشبهات" تقديم على الصالحى (ص ٢٠).

(٢) "الرسائل والمسائل النجدية" للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ج ٣ / ٣٤٠).

(٣) ابن بشر "عنوان المجد" (١ / ٧).

رحلاته العلمية (خط سيرها، والأماكن التي رحل إليها، وزمانها، وشيوخه،
وتحصيله، ونتيجة ذلك) :

قال المؤرخ ابن بشر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:
"فلما رأى أنه لا يغني القول، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول؛ تجهز من بلد
العينة إلى حج بيت الله الحرام، فلما قضى حجه؛ سار إلى المدينة على
ساكنها أفضل الصلاة والسلام"^(١).

يفيد كلام ابن بشر هذا أن الشيخ بدأ رحلاته العلمية من العينة إلى
الحجاز، فحج بيت الله الحرام أولاً، ثم سار إلى المدينة ثانياً.
وعلى ما يظهر من كلام ابن غنام وكلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد
الرحمن بن حسن؛ أن الشيخ كان قد حج قبل هذه الحجة التي ذكرها ابن
بشر بداية رحلة الشيخ في طلب العلم.

قال ابن غنام ينسب عن والد الشيخ أنه يقول عنه: " وقد تحققت
أنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتي عشرة سنة على الإتمام... وزوجته بعد
البلوغ في ذلك العام، ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبتة
بالإسعاف لذلك المرام، فحج وقضى ركن الإسلام، وأدى المناسك على
التمام، ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام، وأقام فيها شهرين، ثم رجع
بعد ذلك فائزاً بأجر الزيارة والمناسك"^(٢).

(١) "عنوان المجد" (١ / ٧)، وانظر: "الرسائل والمسائل النجدية" للشيخ عبد اللطيف بن عبد

الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ج ٣ / ٣٣٩-٣٤٠).

(٢) "روضة ابن غنام" (١ / ٢٦).

ثم ذكر ابن غنام أن الشيخ بعد رجوعه من المدينة إلى العيينة أخذ في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد، ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم إلى ما يليه من الأقطار، وزاحم فيه العلماء الكبار، فوطئ الحجاز والبصرة لذلك مرارا، وأتى الأحساء لتلك الأوطار^(١).

ويقول الشيخ عبد اللطيف أيضا: "وبعد بلوغ الشيخ سن الاحتلام؛ قدمه والده في الصلاة، ورآه أهلا للاهتمام، ثم طلب الحج إلى بيت الله الحرام، فأجابه والده إلى ذلك المقصد والمرام، وبادر إلى قضاء فريضة الإسلام وأداء المناسك على التمام، ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأقام بها قريبا من شهرين، ثم رجع إلى وطنه قرير العين، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله، ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم"^(٢).

فيتضح من كلام ابن غنام والشيخ عبد اللطيف أن حجته الأولى كان يدفعه إليها واجب أداء ركن الإسلام وفريضته لما توفرت شروطها ببلوغ الشيخ، ألا وهي حج بيت الله الحرام، أما هذه الحجة التي ذكرها ابن بشر بداية رحلاته العلمية؛ فواضح أنها كانت بعد أن قرر مغادرة العيينة لطلب العلم.

وينحو ما حررته يقول مسعود الندوي ما نصه: "وكان قد تشرف بحج بيت الله الحرام، وكانت مركزية الحجاز قد أثرت في نفسه،

(١) "روضة ابن غنام" (١/ ٢٦).

(٢) "الرسائل والمسائل النجدية" (٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠).

وحينما فكر في طلب العلم، قصد الحجاز".

إلى أن قال: "حج بيت الله وزار المسجد النبوي مرة ثانية، ثم حضر مجالس العلماء، وانقطع لطلب العلم"^(١).

وقال الدكتور العثيمين: "الواضح مما ذكره كل من ابن غنام وابن بشر أن الحجاز كانت أولى الجهات التي سافر إليها محمد بن عبد الوهاب في سلسلة رحلاته العلمية"^(٢).

وقال أيضا: "كانت ذكريات حجة الشيخ الأولى لا تزال عالقة في ذهنه، وكان ما شاهدته في الحرمين كافيا لإقناعه بأن تكون خطوته الأولى في أسفاره العلمية إلى الحجاز، وقد بدأ هذه الخطوة بالسفر إلى مكة المكرمة، حيث حج مرة ثانية"^(٣).

ولا مانع من أن يكون الشيخ قد تلقى عن بعض المشايخ في المدينة في حجته الأولى، وإن لم يكن قد أطل الإقامة فيها كما فعل في المرة الثانية، بل إننا لنجد ذلك في كتابات الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ في العدد الأول والثاني والثالث من "مجلة راية الإسلام"؛ ففيها أن الشيخ رحل إلى مكة وحج، ثم إلى المدينة، وتلقى فيها على بعض المشايخ، ثم عاد إلى العيينة، ثم رحل إلى مكة

(١) "محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم ومفتري عليه" تأليف مسعود الندوي (ص ٣٨).

(٢) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره" للدكتور عبد الله الصالح العثيمين (ص ٣٠).

(٣) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله الصالح العثيمين (ص ٣٠).

وأقام بها، وتلقى فيها عن بعض المشايخ، ثم إلى المدينة، وأطال المكث فيها، ورأى ما أفرعه من الأعمال المنافية للشرع عند حجرة النبي ﷺ ثم رحل إلى البصرة^(١).

والشيخ - على ما يروي ابن بشر من رحلته العلمية - خرج من المدينة - بعد أن أقام فيها ما شاء الله يطلب العلم - إلى نجد، ومن نجد تجهز إلى البصرة يريد الشام، فلما وصل البصرة؛ جلس فيها يقرأ عند عالم من أهل المجموعة (قرية من قرى البصرة) في مدرسة فيها.^(٢)

ويذكر حفيد الشيخ وتلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في معرض رده على ابن منصور الذي يفتخر برحلته إلى البصرة والزبير، ويقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتخرج على أشياخ في العلم؛ قال الشيخ عبد الرحمن:

"إن الشيخ أيضا سافر إلى البصرة غير مرة، كل مرة يقيم بين من كان بها من العلماء، فما الذي يخص ابن منصور بأخذ العلم منها دونه إذا كان الكل قد سافر إليها؟!"^(٣).

ويقول عبد الرحمن بن حسن: "ثم إن شيخنا رحمه الله تعالى بعد رحلته

إلى البصرة رحل إلى الأحساء، ثم رجع من الأحساء إلى

(١) انظر: "مجلة راية الإسلام" (العدد الأول، ص ٣٤).

(٢) "عنوان المجد... " (١/٧ - ٨).

(٣) "الدرر السننية" (٩/٢١٥).

البصرة" (١).

ويذكر ابن بشر أن الشيخ تجمع عليه أناس في البصرة من رؤسائهم وغيرهم، فأذوه أشد الأذى، وأخرجوه منها وقت الهجيرة، فلما خرج وتوسط في الدرب فيما بينها وبين بلد الزبير؛ أدركه العطش، وأشرف على الهلاك، وكان ماشيا على رجله وحده، فوافاه صاحب حمار مكاربي يقال له: أبو حميدان، فسقاه، وحمله على حماره حتى وصل الزبير" (٢).

وقال عبد الرحمن بن حسن: "إن الشيخ خرج من البصرة إلى نجد قاصدا الحج، فحج رحمه الله، فلما قضى الحج؛ وقف في الملتزم، وسأل الله أن يظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس، فخرج قاصدا المدينة مع الحجاج يريد الشام، فعرض له بعض سراق الحجيج، فضربوه وسلبوه وأخذوا ما معه وشجوا رأسه، وعاقه ذلك عن مسيره مع الحجاج، فقدم المدينة بعد أن خرج الحاج منها، ثم رجع إلى نجد، فقام فيهم يدعوهم إلى التوحيد" اه باختصار" (٣).

ويؤيد هذا الكلام كلام ابنه عبد اللطيف في "الرسائل والمسائل" (٤)

وكلام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في "الدرر السنية"

(١) "الدرر السنية" (٩ / ٢١٦).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (١ / ٨).

(٣) "الدرر السنية" (٩ / ٢١٥ - ٢١٦).

(٤) "الرسائل والمسائل النجدية" (٣ / ٣٤٠).

في ترجمته للشيخ^(١).

فكلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن هذا واضح وصريح في أن الشيخ خرج من البصرة إلى نجد قاصدا الحج، فحج ووقف في الملتزم، وسأل الله أن يظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس، ثم خرج من مكة قاصدا المدينة مع الحجاج ليسافر منها إلى الشام مع حاج الشام، ولكن؛ فاته ركب الشام بسبب ما تعرض له من لصوص البادية سراق الحجيج، وحين قدم المدينة لم يدركهم، وسواء بقي في المدينة أو لم يبق بها؛ فإنه رجع إلى نجد من المدينة، وقام يدعو أهل نجد إلى التوحيد؛ فلم لا تكون هذه حجة ثالثة، حيث كانت الثانية هي بداية رحلاته العلمية على ما قدمنا من رواية ابن بشر، ولم ينفها ابن غنام ولا ابن حسن؛ فكذلك تكون هذه على ما يروي ابن حسن ولم ينفها ابن بشر الحجة الثالثة.

ويؤيد هذا أن ابن غنام يذكر أن الشيخ وطئ الحجاز والبصرة لطلب العلم مرارا^(٢) والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن قال أيضا: رحل إلى البصرة والحجاز مرارا^(٣) فقولهما: "مرارا"؛ يدل على أكثر من مرتين. كما يؤيد هذا أيضا أن بعض المصادر تذكر أخذ الشيخ عن علي

(١) "الدرر السننية" (تراجم ٥/١٢).

(٢) "روضة ابن غنام" (١/٢٦).

(٣) "الرسائل والمسائل" (٣/٣٨٠).

الداغستاني وإجازة الداغستاني له^(١).

وعلى ما يقرر مسعود الندوي أن الداغستاني ولد سنة (١١٢٥ هـ)، واحتل مكانا عاليا في علماء دمشق، ورحل إلى المدينة ليروي عن الشيخ محمد حياة السندي، ورجع إلى الشام سنة (١١٥٠ هـ)^(٢) وأن الشيخ بدأ رحلته العلمية في العشرين من عمره^(٣)؛ أي: في عام (١١٣٥ هـ) تقريبا؛ فليس من المعقول أن يكون الشيخ أخذ عن الداغستاني ابن عشر فقط، ولكن؛ من المعقول أن يكون أخذ عنه بعد أن أمضى بضع عشرة سنة في طلب العلم راحلا إلى نجد والبصرة، وعائدا إلى الحجاز، وقد تم للداغستاني عشرين سنة ونيفا، وأمكته أن يحتل مكانا عاليا في علماء دمشق، وأن يأتي للمدينة ليروي عن شيخها السندي، فيلتقي به الشيخ في هذه المرة، ويأخذ عنه، ويستجيزه ما معه من علم أهل الشام؛ فهذا دليل على أن الشيخ ختم رحلته العلمية بالحج والزيارة بالإضافة إلى كلام ابن حسن الصريح بذلك، والمتقدم قبل قليل، والله أعلم.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن جده

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي (ص ١٧)، وقبله

ابن قاسم في "الدرر السنية" (٤/١٢)، وقبلهما صاحب التوضيح محمد بن علي بن غريب

في "التوضيح عن توحيد الخلاق..." (ص ١٦-١٧).

(٢) "محمد بن عبد الوهاب..." (ص ٣٩، هامش ٣).

(٣) "محمد بن عبد الوهاب..." (ص ٣٨).

الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "وكان قد عزم وهو بمكة أن يصل الشام مع الحاج، فعاقه عنهم عائق، فقدم المدينة وأقام بها، ثم إن العليم الحكيم رده إلى نجد رحمة لمن أراد أن يرحمه بمن يؤويه وينصره، وقدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حريملاء، فناداهم بالدعوة إلى التوحيد..."^(١).

وقال ابن بشر: "ثم إن الشيخ أراد أن يصل إلى الشام، فضاعت نفقته التي معه، فانثنى عزمه عن المسير إليه؛ لما أراد الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى أن يمضي أمره، ويعلي كلمته، ويجمع أهل نجد بعد تفرقهم على إمام واحد، يزيل عنها شعائر الكفر والبدع"^(٢).

وقال ابن قاسم: "ثم ارتحل يريد الشام، فحصل له عائق؛ لما اقتضته الحكمة الربانية من ظهور هذا الدين في البلاد النجدية، فقصد نجدا، ووجد والده قد ارتحل إلى بلدة حريملاء"^(٣).

وكل هذه النصوص تصرح بأن الشيخ انثنى عزمه عن الشام، وعاد إلى نجد؛ لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يرحمهم به.

وأما ما فهمه الدكتور عبد الله العثيمين من قول ابن بشر عن الشيخ:
"ثم إنه خرج من الأحساء وقصد بلد حريملاء"^(٤)؛ من أن

(١) "الرسائل والمسائل النجدية" (ج ٣ / ٣٤٠).

(٢) ابن بشر (١ / ٨).

(٣) "الدرر السنينة" (١٢ / ٥).

(٤) "عنوان المجد" (١ / ٨).

الأحساء كانت آخر المواطن لرحلات الشيخ، ولو للحج،. وأنه لم يرحل بعد رحلته العلمية إلى الحرمين، وأن عودته النهائية إلى حريملاء لم تكن من المدينة؛ فإن هذا المفهوم مرجوح لما قدمناه، والله أعلم.

وخلاصة ما تقدم أن الشيخ رحمه الله رحل إلى خارج وطنه لطلب العلم إلى الحجاز، ثم إلى البصرة وإلى الأحساء، ثم البصرة أيضا والزبير، ثم إلى الحجاز، ولم يتمكن من الرحلة إلى الشام، وعاد إلى نجد يدعوهم إلى التوحيد، وهذا ما نظمنا إليه.

ويذكر الدكتور محمد عبد الله ماضي، أن الشيخ سافر إلى بغداد^(١) وكذا يذكر الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم^(٢) وعبد الحلیم الجندي^(٣) وإبراهيم فصیح صبغة الله الحيدري^(٤) والله أعلم.

زمان رحلات الشيخ العلمية

أما الزمن لهذه الرحلات العلمية؛ فليس فيه بيان دقيق، وهو مجال اجتهاد.

فيرجح الدكتور العثيمين أن مغادرة الشيخ بلدته العيينة لطلب

(١) "النهضات الحديثة في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية" (ص ٤٣).

(٢) "الدولة السعودية الأولى" (ص ٣٣).

(٣) "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي" (ص ٩٢).

(٤) "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" (خ، لوحة ٣٢٧).

العلم تمت قبل بلوغه عشرين سنه من العمر^(١).

كما قرر نحوه مسعود الندوي في كتابه "محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه"^(٢).

وكذلك يرجح الدكتور العثيمين أن الشيخ كان في الأحساء في الزمن الذي بين عامي (١١٤٤ - ١١٤٨ هـ)؛ لأن ابن غنام أورد رسالة بعثها الشيخ أثناء إقامته الأخيرة في العيينة يدعو إلى الله إلى العالم عبد الله بن عبد اللطيف، ومما جاء فيها أن الشيخ اجتمع به من نحو عشر سنين؛ كما في المخطوطة لتاريخ ابن غنام بخط صالح المرشد^(٣) ومن المعلوم أن الشيخ كان في العيينة بين سنتي (١١٥٤ هـ - ١١٥٨ هـ).

وكذلك يرجح الدكتور العثيمين أن عودة الشيخ النهائية من رحلته العملية إلى حريملاء كانت بين سنتي (١١٤٤ - ١١٤٩ هـ)؛ لأن ابن بشر ذكر أن الشيخ بقي مع أبيه في حريملاء مدة سنين، ولعل صيغة الجمع هنا توحي بأن ذلك كان أكثر من ثلاث سنوات، وذكر ابن بشر أن أبا الشيخ توفي سنة (١١٥٣ هـ)^(٤)؛ أي أن الشيخ قضى ما بين

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور العثيمين (ص ٢٩).

(٢) (ص ٣٨).

(٣) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص ٢٥٠، هامش رقم ٢،

وص ٣)، وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." للدكتور العثيمين (ص ٤٠)، و

"تحرير الأسد لروضة ابن غنام" (ص ٢١٣، هامش ١).

(٤) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." للدكتور العثيمين (ص ٤٠).

إحدى عشرة وست عشرة سنة في السفر والترحال لطلب العلم وتحقيق مسائل عقيدة السلف الصالح.

وقبل هذه الرحلة وأثناءها أخذ الشيخ عن مشايخ فضلاء وعلماء أجلاء في نجد والمدينة والبصرة والأحساء، وحصل على إجازات منهم، وكتب كثيرا من كتب السنة وكتب ابن تيمية وابن القيم، وكان ينكر ما يراه مخالفا للإسلام إنكارا لفت الأنظار إليه وانفرد به انفرادا جعله مستهدفا بالأذى والإخراج؛ كما حصل له في البصرة.

وفيما يلي تفصيل هذه الحملة:

شيوخه وما أخذه عنهم من فنون العلم :

أولا: في نجد:

سبق أن ذكرنا أن الشيخ تلقى العلم في نشأته العلمية في بلدة العيننة على والده الشيخ عبد الوهاب قاضي العيننة وعلى عمه الشيخ إبراهيم، وهما أخذا عن أبيهما علامة الديار النجدية ومرجع علمائها الشيخ سليمان بن علي^(١) ولا يستبعد أخذه عن غيره والده وعمه، ولكننا نستطيع تسمية أبيه وعمه فحسب، فنجعل والده أول شيخ له نترجمه هنا فنقول:

١- الشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ سليمان بن علي.

ولد في مدينة العيننة قاعدة بلدان نجد إذ ذاك، وكان والده الشيخ

سليمان بن علي علامة نجد في زمنه هو قاضي العيننة، فشب

(١) انظر: (١ / ١٢١) من هذا البحث.

في بيت علم وفضل، واشتغل بالعلم من صغره، فأخذ عن والده وعن غيره من علماء العيينة ونجد كالشيخ محمد بن ناصر، حتى أدرك، لا سيما في الفقه؛ فإنه فقيه كأبيه، ودرس وأفتى وكتب عنه بعض المسائل الفقهية كتابات حسنة، وولي قضاء العيينة، فمكث فيه مدة طويلة.

قال عبد الله بن بسام: "وقد رأيت له أحكاما عام (١١٢٠ هـ) (١) ثم ترك قضاء العيينة حين عزله خرفاش بن معمر عام (١١٣٩ هـ)، وانتقل إلى حرملاء ونزلها، وتولى القضاء فيها حتى توفي عام (١١٥٣ هـ) رحمه الله تعالى، وقد ربي ابنه الشيخ محمد تربية علمية كما ذكرناه قريبا" (٢).

٢- والشيخ الثاني هو الشيخ إبراهيم ابن الشيخ سليمان بن علي.

ولد سنة (١٠٧٠ هـ) سبعين وألف في بلدة العيينة، وكان والده الشيخ سليمان بن علي قاضيها؛ كما ذكرنا في ترجمة أخيه الشيخ عبد الوهاب قبله، وأخذ عن أبيه وعن غيره من العلماء حتى حصل، خصوصا في الفقه، وكتب من كتب الفقه شيئا كثيرا بيده، وخطه حسن مضبوط، وقد ولي القضاء في بلدة أشيقر.

وقال البسام: "رأيت له حكما في بعض عقاراتها" (٣).

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣ / ٦٦٩).

(٢) انظر "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣ / ٦٦٩ - ٦٧٠، وص ٩٣) من هذا البحث.

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ١ / ١١٠ هـ).

وتوفي سنة (١١٤١ هـ) وخلف ابنه عبد الرحمن المتوفى سنة (١٢٠٦ هـ)، وانقطع عقبه^(١).

ثانياً: في الحجاز:

هل درس على علماء مكة؟

يذكر الشيخ عبد العزيز بن باز أنه أخذ عن بعض علماء الحرم الشريف^(٢).

ويقول الدكتور العثيمين: "وتشير بعض المصادر إلى أنه درس على علماء الحرمين، وهذا يعني أنه درس في كل من مكة والمدينة، ولكن عدم ذكر المصادر لأي عالم درس محمد بن عبد الوهاب عليه في مكة يرجح أنه لم يدرس فيها مدة تستحق العناية والبحث"^(٣).

ولكني وجدت في بعض المصادر أن الشيخ أخذ عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري، وهو مكّي^(٤).

وفيما يلي ترجمته وبيان أخذ الشيخ عنه:

٣- الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ص ١١١).

(٢) "محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته"، محاضرة، الدار السعودية للنشر (ص ٢٠).

(٣) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٠).

(٤) "المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن

الرابع عشر" (٢/ ٢٤٧)، و"فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦).

البصري أصلاً، المكي مولداً ومدفنًا، الشافعي، مسند الحجاز، عمدة المحققين^(١).
ولد سنة (١٠٥٠ هـ) أو (١٠٤٩ هـ) أو (١٠٤٨ هـ)، وتوفي سنة
(١١٣٤ هـ)^(٢).

الإمام المحدث الحافظ^(٣).

تأهل للعلم في مكة، ومات فيها، ترجم له العلامة الشيخ عابد السندي
الحنفي، فقال: "وأما إمام الحديث والمقدم في عصره الشيخ عبد الله بن سالم
البصري؛ فهو إمام عصره".

إلى أن قال: "جمع في علم الحديث بين الرواية والدراية، وبلغ من
التحقيق أكمل غاية، وصنف التصانيف الفاتحة، وقرأ في المسجد الحرام عدة
كتب، من جملتها "البخاري"، و"مسلم"، و"السنن" الأربع، وقرأ
"البخاري" أيضاً بتمامه في جوف الكعبة الشريفة^(٤). مرتين، وقرأ "مسند
الإمام أحمد" رحمه الله تعالى جميعه في الروضة الشريفة في ستة وخمسين مجلساً
سنة ألف ومئة وإحدى وثلاثين"^(٥).

وقال الكتاني: "قد اتفقوا على أنه حافظ البلاد الحجازية^(٦) وأخذ عن
عدة مشايخ، منهم العلامة محمد بن علاء الدين البابلي،

(١) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و"المختصر من كتاب نشر الروض والزهر" (٢/ ٢٤٦).

(٢) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و"المختصر" (٢/ ٢٤٦)، ولعله يريد بجوف الكعبة حجر
إسماعيل عليه السلام؛ فهو من الكعبة.

(٣) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و"المختصر" من كتاب نشر الروض والزهر (٢/ ٢٤٦).

(٤) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و"المختصر" (٢/ ٢٤٦)، ولعله يريد بجوف الكعبة حجر
إسماعيل عليه السلام؛ فهو من الكعبة.

(٥) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦)، و"المختصر" (٢/ ٢٤٦)، ولعله يريد بجوف الكعبة حجر
إسماعيل عليه السلام؛ فهو من الكعبة.

(٦) "فهرس الفهارس" (١/ ١٢٦ هـ).

وجل أخذه عنه^(١) ومن مناقبه تصحيحه للكتب الستة حتى صارت نسخه هي المرجع، وجمع "مسند الإمام" بعد أن فرقته الأيدي وصححه، وبمصر في خزانة الشيخ محمد بن محمد الأمير المالكي نسخه من "مسند الإمام أحمد" بخطه مصححة، وجمع من تفسير الكتب ما لا يوجد عند غيره^(٢) وتفرد بإقراء جميع الكتب الستة، وهو صاحب "الإمداد بمعرفة علو الإسناد"، اسم لفهرس جمع في أسانيد في نحو ثلاث كراريس، طبع بالهند من جمع ولده الشيخ سالم، متداول بين المشايخ^(٣) وقد أخذ عنه من أهل الحرمين والشام والمشرق واليمن ما لا يحصى عددهم^(٤) حدث عنه شيوخ العصر وشيوخ المشايخ، منهم المعمر محمد بن حياة السندي نزيل المدينة المنورة، ومنهم العلامة إسماعيل بن محمد العجلوني وغيرهما^(٥).

وهذا الشيخ يعتبر الشيخ الثالث للشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد شيخه الأول أبيه عبد الوهاب وشيخه الثاني عمه إبراهيم ابني الشيخ سليمان بن علي علامة نجد، وتقدمت ترجمتهما وبيان عن أسرته العلمية^(٦).

(١) "المختصر" (٢/ ٢٤٧).

(٢) "المختصر" (٢/ ٢٤٧).

(٣) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦) باختصار.

(٤) "المختصر... " (٢/ ٢٤٧).

(٥) "المختصر...." (٢/ ٢٤٨ - ٢٤٩) باختصار، و "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٩ - ١٤٠)

باختصار أيضا .

(٦) انظر: (١/ ١٢٠) من هذا البحث .

والدليل على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن هذا الشيخ المترجم هو ما جاء في "فهرس الفهارس للكتاني" عند ذكره ثبت: "حصر الشارد من أسانيد محمد عابد السندي" المتوفى سنة (١٢٥٧ هـ) بالمدينة، فقال الكتاني عن محمد عابد هذا: "وروى كتاب "القرى لقاصد أم القرى" عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي عن أبيه إمام الطائفة الوهابية النجدية عن البصري"^(١).

فهذا يدل بوضوح على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أخذ عن البصري.

وأما تعقيب الكتاني باستبعاده ذلك لأن ابن عبد الوهاب إنما عاصر البصري بنحو عشرين سنة وهو بنجد والبصري بمكة، ولأن المعروف لديه هو أن ابن عبد الوهاب إنما أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصري وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستاني الدمشقي وعبد اللطيف الأحسائي ومحمد العفالقيني^(٢)؛ فلا يتم؛ لأن الكتاني لم يذكر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حج وزار المدينة وأقام بها شهرين وهو في الثالثة عشرة من عمره؛ أي: في سنة (١٢٧ هـ) تقريبا، وهذه المدة كان الشيخ البصري فيها حيا يرزق يقوم بالتدريس؛ فقد كانت وفاته عام (١١٣٤ هـ) على ما يثبتها الكتاني^(٣) وهو الثابت في "تراجم

(١) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦).

(٢) "فهرس الفهارس" (١/ ١٣٦).

(٣) "فهرس الفهارس" (١/ ٢٧١).

أفاضل مكة"^(١) وسبق ذكره قبل قليل^(٢).

فإذا تذكرنا هذا علمنا إمكان لقاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتصاله بالشيخ البصري؛ فلا محل لتعقب الكتاني باستبعاد ذلك فيما يرى، فالحجة فيما روي.

ويكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب آخر تلاميذ البصري موتاً؛ لأنه توفي سنة (١٢٠٦)، وما يقوله الكتاني من أن آخرهم - فيما يحفظ - موتاً الشمس محمد بن عبد الله المغربي: غير صحيح؛ لأن المغربي مات سنة (١٢٠١ هـ)، والله أعلم^(٣).

في المدينة المنورة :

"كانت المدينة المنورة ملتقى العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية، كان بعض هؤلاء يأتي إليها فيستقر فيها، وكان بعضهم يأتي إليها فيقيم فيها فترة ثم يغادرها إلى وطنه، وقد ضمت في تلك الفترة بالذات علماء درس عليهم وتأثر بهم عدد ممن أصبحت لهم أدوار مهمة في بلدانهم"^(٤).

وكان المناخ التعليمي فيها كما هو في مكة مختلفاً عما ألفه

(١) "المختصر.." (٢/٢٤٦).

(٢) انظر: (١/١٤٥) من هذا البحث.

(٣) انظر: "فهرس الفهارس" (١/٢٧١)، وانظر للمقارنة: "بحث إسماعيل الأنصاري المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (ص ١٠ - ١١).

(٤) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله العثيمين (ص ٣٠ -

الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسقط رأسه العين، فبينما كان الاهتمام في بلده منصباً تقريباً على الفقه الحنبلي، كان في مكة والمدينة شاملاً لكثير من العلوم والفنون، وإذا كان العلماء في العين محصورين عدداً ونوعية؛ فإنهم في الحجاز كانوا كثيرين في عددهم، مختلفين في مشاربهم وأنواع علومهم، وكان الوضع الجديد فرصة عظيمة للوفاد الحاج ليدرس ما يجب من فنون المعرفة، ويحضر دروس من يختاره من المشايخ^(١).

وفيما يلي تراجم من أخذ عنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب من علماء بالمدينة المنورة:

٤ - الشيخ العالم عبد الله بن إبراهيم بن سيف، من آل سيف، رؤساء بلد الجمعة، والد إبراهيم مصنف "العذب الفاضل شرح ألفية الفرائض"^(٢).
قال ابن عيسى عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم هذا: "انتقل أبوه إبراهيم بن سيف بن عبد الله الشمري من بلد الجمعة بعد أن قام على بيته وجعل بعضه مسجداً، وهو المعروف اليوم بمسجد إبراهيم في بلد الجمعة، وبعضه حفر فيه بئراً لوضوء الناس، وبعضه بستانا للبئر المذكورة، وأوقف بعض عقاره على إمام المسجد المذكور،

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله العثيمين" (ص ٣٠).

(٢) طبع الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢ هـ، قال في "مقدمته" عن نفسه: "المشرفي أصلاً، والمدني

مولداً وداراً، والحنبلي مذهباً، والسلفي معتقداً" (ص ٣).

وسكن في المدينة المنورة"^(١).

وقال عبد الله بن بسام: "قرأ على الشيخ فوزان بن نصر الله

النجدي"^(٢).

وقال عنه صاحب "السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة": "من أفاضل

الفقهاء، قرأ على علماء المدينة المنورة، ثم ارتحل إلى الشام، فقرأ على

علامتها وشيخ الحنابلة بها أبي المواهب، وسكن في المدينة إلى أن مات،

وأخذ عنه جمع"^(٣).

وقال عنه عبد الرحمن الأنصاري المتوفى سنة (١١٩٧ هـ) في كتابه

"تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب": "له قصيدة

فريدة في ذم الدخان وشربه"^(٤) ذكر ابن بسام أن مطلعها:

يا مولعا بدخان النار تشربه وتدعي الحل فيه هات برهانا لا

أورد عليه دليلا كي تحلله فلسفات وتغليظا وبهتاناً^(٥)

وتوفي الشيخ عبد الله بن سيف في المدينة عام (١١٤٠ هـ)^(٦)

(١) ابن عيسى "تاريخ بعض الحوادث... " (ص ٣٣ - ٣٤) .

(٢) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٢ / ٥٠٢) .

(٣) نقلا عن "مجلة العرب" (ج ٩ و ١٠، السنة الثانية عشرة، عام ١٣٩٨ هـ، ص ٦٥٥) .

(٤) انظر بيت الفرضي من ذلك الكتاب (ص ٣٨٦-٣٨٧، طبعة تونس عام ١٣٩٠ هـ)، ابن

بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٢ / ٥٠٤) .

(٥) ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٢ / ٥٠٣) .

(٦) ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٢ / ٥٠٤) .

رحمه الله تعالى، وهو رابع شيخ من مشايخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وقد وجدت في كتاب "الحطة" لصديق حسن خان أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن عبد الله بن إبراهيم النجدي تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي^(١).

ولقد أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن المترجم كثيرا من العلم، وصارت بينهما محبة، وكان بمحمد بن عبد الوهاب حفيا، وبذل جهدا كبيرا في تثقيفه وتعليمه، وكان من أكبر عوامل توثيق الروابط بينهما وتمكين المحبة توافق أفكاره ومبدئه مع تلميذه في عقيدة التوحيد، والتألم مما عليه أهل نجد وغيرهم من عقائد باطلة وأعمال زائفة^(٢).

وقال الشيخ محمد عن شيخه هذا: "كنت عنده يوما، فقال لي: تريد أن أريك سلاحا أعددتَه للمجموعة؟ قلت: نعم. فأدخلني منزلا عنده فيه كتب كثيرة، وقال: هذا الذي أعددتنا لها"^(٣).

وقد ذكرنا ذلك قبل قليل^(٤).

(١) "الحطة في ذكر الصحاح الستة" (طبعة عام ١٣٩٧ هـ، لاهور، ص ١٦٦-١٦٨).

(٢) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... أحمد بن حجر آل بوطامي (ص ١٦).

(٣) ابن بشر "عنوان المجد في تاريخ نجد" (١/٧).

(٤) انظر: (١/١٣٢) من هذا البحث.

وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالأولية.

نقل ابن غنام من خطه ما نصه: "حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام أبي المواهب الحنبلي إجازة، قال: أخبرنا والدي تقي الدين عبد الباقي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به والدي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا صلاح محمد ابن محمد الحكري الصوفي الخازن، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به الصدر أبو الفتح الميدومي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به الحافظ إسماعيل بن صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به والدي أبو حامد صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا به أبو طاهر محمد ابن محمد بن محمش الزيادي، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال:

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه؛ قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمر بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله ابن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(١)؛ تفرد به سفيان، ولا يصح سنده عن فوق سفيان^(٢) والله أعلم.

وحدث الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف أيضا بالمسلسل بالحنابلة؛ قال رحمه الله: "حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلي بمنزله بظاهر المدينة النبوية، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي الحنبليان عفا الله عنهما، إجازة عن والده تقي الدين المذكور؛ قال: أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البهوتي الحنبلي؛ قال: أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتوحى صاحب "منتهى الإرادات"، أخبرنا والدي شهاب الدين أحمد قاضي القضاة الحنبلي، أخبرنا بدر الدين الصفدي القاهري الحنبلي، أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلي، أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله الرصافي؛ قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلي؛ قال: أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلي؛ قال:

(١) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة (١٩٢٤).

(٢) انظر البحث المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الشيخ إسماعيل الأنصاري

أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي؛ قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن الإمام أحمد الحنبلي؛ قال: حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلي، عن ابن [أبي] ^(١) عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ **«إذا أراد الله بعبده خيرا؛ استعمله»**. قالوا: كيف يستعمله؟ قال: **«يوقفه لعمل صالح قبل موته»** ^(٢) هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام أحمد رضي الله عنه ^(٣).

وقد أجازه أيضا الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف في كل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعلما؛ من "صحيح البخاري" بسنده إلى مؤلفه، و "صحيح مسلم" بسنده إلى مؤلفه، وشروح كل منهما، و "سنن الترمذي" بسنده، و "سنن أبي داود" بسنده، و "سنن ابن ماجه" بسنده، و "سنن النسائي

(١) الزيادة التي بين القوسين من شرح "ثلاثيات مسند الإمام أحمد" للسفاري (ج ١ / ٧٩٩).

(٢) سنن الترمذي: كتاب القدر (٢١٤٢)، ومسنند أحمد (١٠٦/٣، ٢٣٠/٣).

(٣) "روضة ابن غنام" (١ / ٢٦ - ٢٧)، وقد شرحه السفاري في كتابه "نفثات صدر المكمد

وقرة عين المسعد لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد" (١/٧٩٩)، وانظر: "الدرر السنوية"

للشيخ عبد الأحوذيلرحمن بن قاسم (١٢ / ٤)، وبحث إسماعيل الأنصاري (ص ٧).

الكبرى" بسنده، و"سنن الدرامي" ومؤلفاته بالسند، وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتب النووي كلها، و"ألفية العراقي"، و"الترغيب والترهيب"، و"الخلاصة" لابن مالك، و"سيرة ابن هشام"، وسائر كتبه، ومؤلفات ابن حجر العسقلاني، وكتب القاضي عياض، وكتب القراءات، وكتاب "الغنية" لعبد القادر الجيلاني، وكتاب "القاموس" بالسند إلى مؤلفه، و"مسند الإمام الشافعي"، و"موطأ مالك"، و"مسند الإمام الأعظم"، و"مسند الإمام أحمد"، و"مسند أبي داود"، و"معجم الطبراني"، وكتب السيوطي، وفقه الحنابلة وسلسلتها، وأصولهم^(١).

ثم إن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف وصل حبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحبل الشيخ المحدث محمد حياة السندي، وعرفه به وبأهله؛ فأقام الشيخ عنده وأخذ عنه^(٢).

٥- الشيخ الإمام العالم الكبير المحدث محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني، أحد العلماء المشهورين الربانيين وعظماء المحدثين، ولد في إقليم السند، ونشأ وقرأ العلم على الشيخ محمد

(١) "التوضيح عن توحيد الخلاق" (ص ١٧)، وانظر: مقال الشيخ عبد الله ابن حميد (ص ٩١)، وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... بقلم أحمد آل بوطامي (ص ١٦)، وقد خلط بين الرواية بالحديث المسلسل بالأولية وبين الإجازة من طريقين، وهما- أي: الرواية والإجازة- شيان منفصلان.

(٢) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." أحمد بن حجر آل بوطامي... (ص ١٦).

معين بن محمد أمين السندي، من تلامذة الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله، ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين، فحج، ثم توطن المدينة المنورة، ولازم الشيخ الكبير أبا الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المدني صاحب الحواشي على دواوين السنة الستة، وأخذ عنه، وجلس مجلسه بعد وفاته أربعاً وعشرين سنة^(١).

وفي كتاب "مشاهير علماء نجد وغيرهم" لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ؛ أن محمد حياة السندي المدني هو صاحب الحاشية المشهورة على "صحيح البخاري"^(٢) وكذلك في كتاب "تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد"، تأليف محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الأحسائي الأنصاري^(٣).

والصحيح أن صاحب الحاشية هو شيخ محمد حياة السندي لا هو كما قدمنا، وكما في حاشية السندي على البخاري المطبوع بكراحي من ترجمته^(٤).

وحصل الشيخ محمد حياة السندي على إجازة من الشيخ عبد

(١) مقدمة "تحفة الأنام في العمل بمحدث النبي عليه السلام" للشيخ السندي بقلم محمد عطاء الله حنيف (ص ٧٩).

(٢) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ١٧).

(٣) القسم الأول أشرف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشي حمد الجاسر (الطبعة الأولى عام ١٣٧٩ هـ، المكتب الإسلامي، ص ١٢٥).

(٤) "حاشية السندي على صحيح البخاري" المطبوع بكراحي عام ١٣٨١ هـ، نشر نور محمد (ص ٢).

الله بن سالم البصري المالكي صاحب "الإمداد في علو الإسناد"^(١) وأخذ عن الشيخ أبي الطاهر محمد بن إبراهيم الكردي والشيخ حسن ابن علي العجيمي وغيرهم، وأخذ عنه سوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الشيخ أبو الحسن بن محمد صادق السندي، والشيخ أحمد ابن عبد الرحمن السندي، والشيخ محمد سعيد صقر، والشيخ عليم الله بن عبد الرشيد اللاهوري المدفون بدمشق، والشيخ خير الدين بن محمد زاهد السورتي، والشيخ محمد فاخر بن محمد يحيى العباسي، وغلّام علي آ زاد البلجرامي، والشيخ علاء الدين السوري، وغيرهم^(٢).

قال ابن بشر: "كان له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله ومحبيه، وصنف مصنفًا سماه "تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام"، وله مصنفات غيرها، رأيت له مصنفًا عجيبًا، شرحا على الأربعين النووية، سماه "تحفة المحبين في شرح الأربعين"^(٣).

وله رسالة بعنوان "الإيقاف على سبب الاختلاف"، وقد طبعت ضمن

مجموع يضم ثلاث رسائل؛ رسالته هذه، ورسالة أخرى هي

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (١/ ٢٦، سابقة ١١٦٥ هـ)، وانظر: "مقدمة تحفة الأنام..." بقلم

محمد عطا الله حنيف (ص ٧٩، وص ١١١) من هذا البحث .

(٢) انظر: "مقدمة تحفة الأنام..." (ص ٧٩ - ٨٠)، وانظر: ابن بشر "عنوان للمجد" (١/

٢٦).

(٣) ابن بشر "عنوان المجد" (١/ ٢٥ - ٢٦).

"تحفة الأنام" التي أورد ذكرها ابن بشر، و"رسالة الاتباع" للقاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي تحت إشراف المكتبة السلفية ببلدهور^(١).
ويضيف عبد الغفور عطار إلى مؤلفاته "مقدمة في العقائد"^(٢) ويذكر له صاحب "سلك الدرر" محمد خليل المرادي "شرح الترغيب والترهيب" و "مختصر الزواجر" و "شرح الحكم العطائية والحكم الحدادية"، وشرح "الأربعين حديثاً" من جمع الملا علي القاري.

وتوفي رحمه الله يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين ومائة وألف، ودفن بالبقيع^(٣) وقيل: توفي سنة خمس وستين ومائة وألف... والله أعلم^(٤).

وكان الشيخ محمد حياة من المنكرين للبدع في الدين وللأعمال الشركية.
قال ابن بشر: "وحكي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقف يوماً عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي ﷺ فرآه محمد حياة، فأتى إليه، فقال الشيخ: ما تقول في هؤلاء؟

(١) طبعة أولى عام ١٤٠١ هـ.

(٢) "محمد بن عبد الوهاب" هامش (ص ٣٧).

(٣) "سلك الدرر" للمرادي (ج ٤ / ٣٤)، و"فهرس الفهارس" (١ / ٢٦٤ - ٢٦٥)، و "مقدمة تحفة الأنام ... " (ص ٨٠).

(٤) ابن بشر "عنوان الجهد" (سابقة ١١٦٥ هـ، ١ / ٢٥، ٢٦)، وانظر: مسعود الندوي "محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٩).

قال: إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون^(١).

وكان أيضا من المعارضين للتعصب للمذاهب الفقهية وترك الحديث الصحيح المحكم الذي لم ينسخ للالتزام بالمذهب.

قال الشيخ صالح بن محمد العمري الفلاني (١١٦٦ هـ - ١٢١٨ هـ):
"قال شيخ مشايخنا محمد حياة السندي: اللازم على كل مسلم أن يجتهد في معرفة معاني القرآن، وتتبع الأحاديث، وفهم معانيها، وإخراج الأحكام منها، فإن لم يقدر؛ فعليه أن يقلد العلماء من غير التزام مذهب؛ لأنه يشبه اتخاذه نبيا، وينبغي له أن يأخذ بالأحوط من كل مذهب، ويجوز له الأخذ بالرخص عند الضرورة، وأما بدونها؛ فالأحسن الترك، أما ما أحدثه أهل زماننا من التزام مذاهب مخصوصة، لا يرى ولا يجوز كل منهم الانتقال من مذهب إلى مذهب؛ فجهل وبدع وتعسف، وقد رأيناهم يتركون الأحاديث الصحاح غير المنسوخة ويتعلقون بمذاهبهم من غير سند.... إنا لله وإنا إليه راجعون"^(٢) اهـ.

هذا هو الشيخ محمد حياة السندي ومنهجه السلفي، والذي صار الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تلامذته الخواص، ومكث عنده زمنا^(٣) وأخذ عنه علما نبويا نافعا في المدينة المنورة على ساكنها

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (٧/١) .

(٢) "إيقاظ هم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار" (ص ٧٠).

(٣) انظر: "محمد بن عبد الوهاب...." لمسعود الندوي (ص ٣٩)، وابن بشر "عنوان المجد"

(٧/١).

أفضل الصلاة والسلام.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ:

"وكان له أكبر الأثر في توجيهه إلى إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة"^(١).

٦- الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي الشافعي.

ولد بعجلون سنة (١٠٨٧) سبع وثمانين بعد الألف للهجرة، وأخذ العلم عن الشيخ أبي المواهب مفتي الحنابلة بدمشق، وعن كثير من المشايخ الكبار، وأجازته الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، والشيخ أبو الحسن السندي ثم المدني وغيرهما، وألف المؤلفات المفيدة، منها "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس"، وله "حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكامل الرجال"^(٢) وكانت وفاته بدمشق في شهر المحرم الحرام سنة اثنتين وستين ومئة وألف (١١٦٢ هـ) رحمه الله^(٣).
وقد ذكره من مشايخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الشيخ عبد القادر بن أحمد المعروف بابن بدران الدمشقي في كتابه "المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل" في (ص ٢٣٠)، والشيخ عبد الرحمن

(١) "مصباح الظلام" تصحيح محمد حامد الفقي (ص ١٣٩).

(٢) "فهرس الفهارس" (١ / ٢٦٩).

(٣) ملخص من "سلك الدرر" للمرادي (١ / ٢٥٩ - ٢٧٢)، وانظر الجزء الأول من كتاب

"كشف الخفاء ومزيل الإلباس" للعجلوني (ص ٢ - ٦).

ابن قاسم في الدرر السنية" (١٢ \ ٤).

ولعله التقى به في مكة أو المدينة، وقد ثبت أن العجلوني رحل إلى الحجاز، وأخذ عن المشايخ بمكة كالبصري والقلعي مفتي مكة وغيرهما، وعن المشايخ بالمدينة كالسندي أبي الحسن صاحب الحاشية على "صحيح البخاري" والبرزنجي وغيرهما، وأقرأ "صحيح البخاري" في روضة المسجد النبوي، وأعاد له الدرس المرادي من تلاميذه^(١). والله أعلم.

٧- وأخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ علي أفندي ابن صادق بن محمد بن إبراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي الداغستاني^(٢) ولد في سنة (١١٢٥ هـ).

قال صاحب "التوضيح": "والشيخ الداغستاني هو شيخ مشايخ الشام بأجمعهم بعد الشيخ أبي المواهب والشيخ إسماعيل العجلوني"^(٣). اهـ ؛ فقد ورثهما في العلم والمكانة، وكان يحتل مكانا عاليا في علماء دمشق. أخذ عن الشيخ محمود بن عبد الله الأنطاكي، وعن الشيخ عبد

(١) انظر: ملخص من "سلك الدرر" للمرادي (١ / ٢٥٩ - ٢٧٢)، وانظر الجزء الأول من كتاب "كشف الخفاء ومزيل الإلباس" للعجلوني (ص ٢ - ٦).

(٢) "التوضيح عن توحيد الخلاق" (ص ١٦ - ١٧)، وابن بدران في "المدخل" (ص ٢٣٠)، والكتاني في "فهرس الفهارس" (١ / ٢٧١)، وانظر "الدرر السنية" (٤ / ١٢)، وانظر بحث إسماعيل الأنصاري (ص ٩) المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٣) "التوضيح عند توحيد الخلاق" (ص ١٦ - ١٧).

الكريم الأفندي، والشيخ أيوب الداغستاني، ثم رحل إلى الحجاز، وجاور بالمدينة، وروى عن الشيخ محمد حياة السندي، وطلب العلم، ومكث مدة، واستفاد منه عشرات من الناس، ثم رجع إلى الشام سنة (١١٥٠ هـ).

وقد أخذ عنه الشيخ لما اجتمع به في المدينة المنورة، وأجازه بمثل ما أجازه الشيخ عبد الله بن إبراهيم بما في "ثبت أبي المواهب"^(١).

وتقدم ذكر إجازة الشيخ عبد الله له^(٢) أصيب بالفالج سنة (١١٩٦ هـ)، وانقطع في داره، وتوفي سنة تسع وتسعين ومئة وألف (١١٩٩ هـ)^(٣) رحمه الله تعالى.

ولكن مسعودا الندوي يستبعد تتلمذ الشيخ محمد أو استفادته منه، ويعلل ذلك بأنه كان صغيرا جدا أثناء إقامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المدينة المنورة^(٤).

غير أننا إذا ذكرنا أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قرر بأن جده وشيخه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حج وزار المسجد النبوي بعد رحلته العلمية إلى البصرة والأحساء، وكانت عودته النهائية من هذه

(١) "التوضيح" (ص ١٦-١٧)، و"الشيخ محمد بن عبد الوهاب... بقلم أحمد آل بوطامي (ص ١٧).

(٢) انظر (١٥٥/١) من هذا البحث.

(٣) "سلك الدرر" (٣/٢١٥).

(٤) "محمد بن عبد الوهاب... (ص ٣٩).

الرحلة العلمية من المدينة المنورة^(١) وتذكرنا أن الدكتور العثيمين رجح أن عودة الشيخ إلى حريملاء كانت قبل سنة (١١٤٩هـ)^(٢)؛ فمن الجائز أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد لقي الشيخ علي الداغستاني في ذلك الزمن، حيث كان موجودا في المدينة قبل عام (١١٥٠ هـ)، وللشيخ الداغستاني من العمر ما يزيد على عشرين سنة، وهذا ليس سنا صغيرا جدا، بل سن من يمكن الأخذ عن صاحبه فيه، وإن كان الآخذ أكبر منه بنحو عشر سنوات؛ كالشيخ ابن عبد الوهاب في حرصه وتواضعه لطلب العلم؛ كما أن هذا الفارق في السن لا يمنع من تبادل المعرفة وأخذ أحدهم عن الآخر، سيما وأن الداغستاني قد أتى من الشام ليأخذ عن شيخ المدينة محمد حياة السندي، وفي الغالب أن طالب العلم مثله لا يرحل من بلده يطلب العلم حتى يستوفي ما عند علماء بلده، وقد ذكر بعلو مكانه بين علماء دمشق، واستفادة عشرات الناس منه، والله أعلم.

٨، ٩، ١٠ - وكذلك أخذ عن الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني، وهو ابن عم الشيخ علي أفندي المتقدم ذكره، وكذلك أخذ عن الشيخ محمد البرهاني، وعن الشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة، وحرر علي أيديهم علم التوحيد، وأمره عندهم فأقروه، وكذلك محمد السفاريني أرسل إليه وهو بالشام نسخة؛ فأقرها.

(١) انظر: (١٣٨/١) من هذا البحث.

(٢) انظر: (١٤٢/١) من هذا البحث.

ذكر ذلك صاحب "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق"^(١).

وقال مسعود الندوي: "وكذلك في بعض الكتب ذكر استفادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردي المدني المتوفى عام (١١٩٤ هـ)؛ إلا أن السنين والأحوال تشهد بعكس هذا، بالإضافة إلى سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة، حيث لم يذكر ابن غنام ولا ابن بشر تتلمذه عليه، وإنما تفرد بذكره أحمد زيني دحلان فقط في كتابه الذي سماه "الدرر السنية" (ص ٣٥ - ٤٢)، ولكن كتابه هذا وكذلك كتابه "خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام" مليء بالأخطاء، بل الافتراءات، حتى إن القلب لا يرضى أن يقبل هذه الرواية التي لا تضر شيئا. ثم إن السنين تشهد بخلافه؛ فمحمد بن سليمان الكردي توفي سنة (١١٩٤ هـ) عن عمر سبع وستين سنة؛ كما في "سلك الدرر" (٤/١١١)، (١١٢)، وهكذا تكون ولادته في سنة (١١٢٧ هـ) تقريبا، ويكون صغير السن أيام طلب الشيخ، وتتلمذه عليه بعيد"^(٢) اهـ بتصرف قليل. والقول بصغر سنه مبني على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأ رحلته العلمية عام (١١٣٥ هـ) تقريبا وهو في سن العشرين إلى

(١) (ص ١٩).

(٢) "محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم... " (ص ٤٠) بالإضافة إلى هامشها رقم (١).

الحجاز مكة والمدينة^(١) ثم لم يعد إليه بعد بضع عشرة سنة قضاها في رحلاته العلمية؛ أي: في حدود سنة (١١٤٩ هـ) تقريبا، ولكن كما قلنا بأن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قرر بأن جده وشيخه محمد بن عبد الوهاب حج وزار المسجد النبوي، وكانت عودته من رحلته العلمية نهائيا من المدينة المنورة، وإذا علمنا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاد إلى حريملاء حيث كان فيها أبوه، وبقي معه سنوات حتى توفي أبوه عام (١١٥٣ هـ)؛ فمعنى ذلك أن عودته النهائية من المدينة المنورة كانت في حدود سنة (١١٥٠ هـ)؛ فيمكن أن يكون التقى بالشيخ المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردي في هذا الزمن، وعمر الشيخ الكردي ينيف على عشرين سنة، وهذا سن لا يمنع الاستفادة منه، وإن يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يزيد عليه في السن؛ كما حررناه في شأن الشيخ علي أفندي الداغستاني قبل هذا.

وأما كون دحلان لا يطمئن القلب لخبره؛ فنعم لأنه صاحب وسوسة وافتراءات وعداوة للإسلام، وليست لديه أمانة في نقله ودينه^(٢).
وأما سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة كابن غنام وابن بشر عن ذكر أخذ الشيخ عن الكردي؛ فليس دليلا على عدم أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنه، ولعل سكوتهم عن ذكره بسبب ما نسبه أحمد زيني دحلان إليه؛ أنه من المعارضين لما يعتقدده الشيخ محمد

(١) "محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم... (ص ٨٣) بالإضافة إلى هامشها رقم (١).

(٢) "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان"، تأليف محمد بشير السهسواني (ص ١٢-

ابن عبد الوهاب من عقيدة السلف الصالح^(١) فإن صدق دحلان، وقد يصدق الكذوب، خصوصا إن كان الصدق موافقا لهواه؛ فإن الكردي ممن لا يختاره الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأخذ عنه؛ لأن في "صحيح مسلم" في المقدمة عن محمد بن سيرين؛ قال: "إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم"، وفيه عن ابن المبارك بنحوه، وعن ابن سيرين أيضا؛ قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة؛ قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"^(٢).

وقد بوب النووي لهذه الآثار وغيرها في شرحه في "صحيح مسلم": "باب بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز، بل واجب، وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرومة".

ولسنا نحكم على الكردي بمجرد خبر دحلان، ولكن نبين حكم افتراض أن دحلان صدق بخبره عنه على ضوء منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي في اختياره لمشايخه الذين يأخذ عنهم، ويجوز أن الكردي ترك ذكره لعدم اشتهار أخذ الشيخ عنه أو للاختصار أو لغير ذلك.... والله أعلم.

وذكر صاحب "التوضيح" أن الشيخ أخذ عن عبد اللطيف

(١) ما يسمى "الدرر السنية في الرد على الوهابية" تأليف أحمد بن زيني دحلان (ص ٣٥-

٣٩).

(٢) "صحيح مسلم" (ج ١، ص ١٤-١٥).

العفالقني الأحسائي، وأن عبد اللطيف أجاز الشيخ في كل ما حواه ثبت عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعلما من كتب السنة بأسانيدھا إلى مؤلفيھا والعربية والقراءات وفقه الحنابلة والشروح والأصول بمثل ما أجازھ كل من الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف والشيخ علي أفندي الداغستاني^(١).

وتقدم ذكر ذلك مفصلاً^(٢).

وكذلك ذكر الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، ونص على هذا في كتابه "الشيخ محمد بن عبد الوهاب...."^(٣).

وأيضاً؛ فقد ذكر كل من صاحب "التوضيح" والكتاني وأحمد بن حجر آل بوطامي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن محمد العفالقني الأحسائي، وقد عدّه أحمد بن حجر آل بوطامي وسابقه عبد اللطيف العفالقني من شيوخ الشيخ في المدينة^(٤) والله أعلم.

ولم أقف على ترجمة لعبد اللطيف العفالقني الأحسائي.

وكذلك محمد العفالقني الأحسائي؛ إلا أن يكون هو محمد بن عبد الرحمن بن عفالق؛ فهذا له ترجمة في "السحب الوابلة على

(١) "التوضيح عن توحيد الخلاق" (ص ١٦-١٧)، والكتاني في "فهرس الفهارس" (١/ ٢٧١).

(٢) انظر: (١/ ١٥٥، ١/ ١٦٣) من هذا البحث.

(٣) (ص ١٧).

(٤) "التوضيح" (ص ١٦-١٧)، والكتاني في "فهرس الفهارس" (١/ ٢٧١) و"الشيخ محمد...."

آل بوطامي (ص ١٧).

ضرائح الحنابلة" لمحمد بن عبد الله بن حميد، نشرتها "مجلة العرب" ضمن ما نشرت من تراجمه^(١) وترجم له عبد الله البسام في كتابه "علماء نجد خلال ستة قرون"^(٢).

وذكر ابن بسام أنه ولد سنة (١١٠٠ هـ)، ورحل إلى المدينة، وأخذ عن علمائها، ومنهم عبد الله بن إبراهيم بن سيف، توفي بالأحساء عام (١١٦٣ هـ)، وهو ممن عادى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح، وكتب له رسالة يتعنت فيها بأسئلة عن سورة العاديات؛ ماذا فيها من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من التعنتات التي ليست مما يدخل في تحقيق ما يجب لله تعالى على عباده من توحيده بالعبادة وإخلاصها له؛ هذا المقام الذي لم يصل إليه ابن عفالق وأشياعه^(٣).

ثالثاً: في البصرة:

١١ - ذكر الشيخ عثمان بن بشر في "عنوان المجد في تاريخ نجد" أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تجهز إلى البصرة يريد الشام، فلما وصلها؛ جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة؛ قرية من قرى البصرة في مدرسة فيها.

قال ابن بشر: "ذكر لي أن اسمه محمد المجموعي، فأقام مدة

(١) "مجلة العرب" (الجزء التاسع والعاشر، السنة الثانية عشرة، الربيعان عام ١٣٩٨ هـ، ص ٧١٩ - ٧٢٠).

(٢) (ج ٣ / ٨١٨ - ٨٢١).

(٣) (ج ٣ / ٨٢١).

يقرأ عليه وينكر أشياء من الشركيات والبدع، وأعلن بالإنكار، واستحسن شيخه قوله، وقرر له التوحيد، وانتفع به. وأخبرني شيخنا القاضي عثمان بن منصور الناصري؛ قال: أخبرني رجل في مجموعة البصرة بأن أولاد ذلك العالم الذي قرأ عليه الشيخ محمد هم أحسن أهل بلدهم بالصلاح ومعرفة التوحيد، وهذا - والله أعلم - بركة اجتماع الشيخ بوالدهم^(١).

وقد نقل ابن غنام أن الشيخ رحمه الله قد سمع الحديث والفقهاء من جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ بها النحو وأتقنه، وكتب الكثير من اللغة والحديث في إقامته تلك، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة، ومع ذلك؛ فقد كان يدعو إلى توحيد الله بالعبادة، ويزجر وينكر على من يدعو غير الله تعالى، ويبين أن دعاء الأولياء ليس من محبتهم الصالحة، وإنما محبتهم هي اتباع هديهم، وحصل بمجلسه أن رجلاً يذكر مشروعية دعاء الصالحين والأولياء، فأغلظ عليه الشيخ وزجره، فتغير وجه ذلك الرجل وجماله، واستغرب وقال: إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقاً؛ فالناس ليسوا على شيء من زمان!

ونقل ابن غنام قول الشيخ: وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إلي بشبهات يلقونها علي، فأقول وهم قعود لدي: لا تصلح العبادة كلها إلا لله. فبيهت كل منهم؛ فلا يتكلم^(٢).

وذكر حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن أنه جالس علماء

(١) "عنوان المجد... " (١/٧، ٨).

(٢) "روضة ابن غنام" (١/٢٧، ٢٨).

البصرة، وتميز بالأخذ عمن لا يتهم في حقه بالكذب والزور، وصنف في البصرة "كتاب التوحيد"؛ أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث^(١).

رابعاً: لقاءه شيوخ الإحساء:

ذكر كل من الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عثمان بن بشر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحل إلى الأحساء.

فذكر ابن حسن أنه وجد في الأحساء فحول العلماء؛ منهم: الشيخ عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سر به، وأثنى على عبد الله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد^(٢).

ولد سنة (١١٠٥ هـ)، ومن مشايخه الشيخ فوزان بن نصر الله، وخاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي، وهو ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتوفي سنة (١١٧٥ هـ)، وكان سلفي العقيدة^(٣).

أما ابنه محمد الكفيف؛ فهو من المعادين لعقيدة السلف الصالح التي دعا إليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(٤)؛ رغم أن

(١) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٥).

(٢) "الدرر السنية" (٩/ ٢١٦).

(٣) ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (٢/ ٦٢٧-٦٢٨).

(٤) ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (٣/ ٨٨٢).

محمد بن فيروز بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب أصرة القرابة في النسب وأصرة القرابة في الصهر، ولكن؛ فرقت بينهم العقيدة التي وفق للسلامة فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب دون الآخر^(١).

وذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عثمان بن بشر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حضر مشايخ الأحساء، ومن أعظمهم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي القاضي، فنزل عنده، فطلب منه أن يحضر الأول من "فتح الباري" على البخاري، ويبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان، وبين أن الأشاعرة خالفوا ما صدر به البخاري كتابه من الأحاديث والآثار، وبحث معهم في مسائل وناظر، وهذا مشهور يعرفه أهل الأحساء وغيرهم من أهل نجد^(٢) وذلك قبل أن يعلن الشيخ محمد إنكاره الشرك في نجد، وقبل أن تبرز معارضة أهل الأحساء للشيخ، ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف المذكور، وجرت بينه وبين الشيخ مكاتبات فيما بعد حول عقيدة السلف الصالح، لا شك أن الصواب كان مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٣).

(١) انظر: ابن بسام "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/ ٣١٣).

(٢) "الدرر السننية" (٩/ ٢١٦)، و"عنوان المجد" (ج ١/ ٨)، وانظر له ذكرا في كتاب "تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد" تأليف محمد بن عبد الله آل عبد القادر (قسم ١/ ١٢٥، ٢/ ٧٤).

(٣) انظر: "روضة ابن غنام" (١/ ٥٠ - ٦٠).

هل للشيخ مشايخ في بغداد والموصل؟

قال إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري: "إن والده أخبره أن الشيخ محمد قدم بغداد وأخذ أيضا عن جد جده صبغة الله الحيدري، ولذا؛ لما رجع جده أسعد الحيدري من مكة على طريق الدرعية؛ اجتمع بالشيخ، وجلس عنده في الدرعية ثلاثة أشهر"^(١).

وفي بحث قدمه اللواء الركن محمود شيت خطاب لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود بعنوان "الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل"؛ يحقق ما ذكره المؤرخ ياسين بن خير الله العمري الموصل في كتابه "غرائب الأثر"؛ أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قدم الموصل، وقرأ العلم على العلامة ملا حمد الجميلي، وأخذ عنه الكثير^(٢) ويقول: "لا يقلل من أهمية رحلة الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية إلى الموصل وأثرها في تكوينه العلمي واتجاهه الفكري إغفال المصادر والمراجع التي ترجمت وأرخت لدعوته لهذه الرحلة العلمية إلى هذه المدينة العلمية، ولعل أهم أسباب إغفالها هو نشر كتاب "غرائب الأثر" متأخرا في سنة (١٣٥٩ هـ) لمؤرخ غير متهم في صدقه وأمانته، وكان نشر هذا الكتاب بعد صدوره مجهولا بالنسبة للذين كتبوا بعد إخراجهم للناس، والواقع أن كتاب "غرائب الأثر" مجهول بالنسبة لأكثر الباحثين العراقيين؛ فلا

(١) "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" (لوحة ٣٢٧)، وانظر: "الشيخ محمد بن

عبد الوهاب" للدكتور العثيمين (ص ٣٨).

(٢) (ص ١) مجلد "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية".

عتب على الباحثين من غير العراقيين عربا وأجانب^(١).
ولكن الدكتور العثيمين - وهو لم يذكر هذا الكتاب من مراجعه، فلعله
من يجهله - يقول: "وعلى أية حال؛ فإن النتيجة التي يطمئن إليها الباحث
من مقارنة جميع المصادر السابقة - أي التي ذكرها حول أسفار محمد بن
عبد الوهاب خارج نجد - هي الأخذ برواية المؤرخين المؤيدين له"^(٢).
وكان الدكتور العثيمين قد قال: "إن المصادر المقربة من محمد ابن عبد
الوهاب لا تذكر أن رحلاته العلمية خارج نجد تجاوزت ثلاثة أمكنة:
الحجاز، والأحساء، والبصرة"^(٣).
قال: "السبب رئيسيين: أحدهما: أنهم أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم؛
كما قال الشيخ حمد الجاسر. والثاني: أنهم حرصوا كل الحرص على تدوين
جميع فضائله. ومن المعروف أن السفر في طلب العلم فضيلة، ولو كان
الشيخ محمد قد سافر إلى بلدان غير التي ذكروا؛ لما توانوا في تدوين ذلك
وتفصيله"^(٤) اهـ.
ولكن عدم ذكر المصادر المقربة على حد تعبير الدكتور العثيمين رحلة
الشيخ إلى ما سوى الحجاز والأحساء والبصرة لا يعني

(١) (ص ٣) مجلد "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية".

(٢) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٩).

(٣) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٦).

(٤) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٣٩).

عدمها، فمن الجائز أن الشيخ وصل بغداد والموصل، لا سيما وهما آنذاك أكبر مدن العراق، ويستقطبان قسما من علماء المسلمين وطلاب العلم؛ لأنهما من المراكز العلمية^(١).

وكون المؤرخين المؤيدين للشيخ أدري بتفاصيل حياته من غيرهم، وأنهم حرصوا كل الحرص على تدوين جميع فضائله، لا يحتم ذكرهم لجميع أسفاره في طلب العلم، وهم لم ينفوا سفره إلى ما سوى ذلك، ولم يحددوا سفره بما ذكروا، وإنما ذكروا ما يستحق الذكر، وهو المهم الذي حصل فيه الشيخ على بغيته من أسفاره، فاقترضوا على ذكره، وذكر من وقع عليهم اختياره من الشيوخ الفحول في علم أهل السنة والجماعة، أما المشايخ الآخرون في الأماكن الأخرى؛ كبغداد والموصل؛ فيجوز أنهم ليسوا ممن اختاره الشيخ للأخذ عنه والتلقي منه، ولذا؛ أهمل المؤرخون المؤيدون ذكرهم وذكر بلدانهم، واختيار العلماء يتطلب بحثا طويلا، وترحالا كثيرا، وصبرا جميلا، والله أعلم.

رحلات الشيخ لم تتجاوز الحجاز والعراق والأحساء :

أما ما تجاوز الحد من أنه سافر إلى الشام كما ذكره خير الدين الزركلي في الأعلام، وإلى فارس وإيران وقم وأصفهان كما يذكره بعض المستشرقين ونحوهم في مؤلفاتهم المعروفة بالأخطاء ومجانبة الحقيقة؛ كمرجليوث في "دائرة المعارف الإسلامية" وبرائجس،

(١) انظر: بحث "الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل" لمحمود شيت خطاب (ص ٥

وهيوجز، وزويمر، وبالغريف، وكتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد ابن عبد الوهاب"^(١) ومن تأثر به؛ فهو أمر غير مقبول؛ لأن حفيد الشيخ ابن حسن وابنه عبد اللطيف وابن بشر نصوا على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتمكن من السفر إلى الشام كما قدمنا^(٢).

وأما زعم أن الشيخ رحل إلى فارس وإيران وقم وأصفهان؛ فإن عبد الحلیم الجندي يذكر في كتابه "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي"؛ أنه ناقش في هذه الواقعة الشيخ عبد العزيز ابن باز في الرياض؛ فأنكر ما أورده المؤلفون من رحلة الشيخ إلى كردستان وإيران، وقرر أنه تلقى هذا عن أشياخه، ومنهم حفدة الشيخ، وبخاصة شيخه محمد بن إبراهيم^(٣).

ويلاحظ أن كثيرا ممن ذكر هذه البواطل عن رحلات الشيخ اعتمد على كتاب "لمع الشهاب"

قال حمد الجاسر: "ولا تفوت الإشارة إلى أن كثيرا ممن كتبوا عن الشيخ

محمد - رحمه الله - انخدعوا بما جاء في كتاب "لمع

(١) انظر: "محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم ومفتري عليه" لمسعود الندوي (ص ٤٠ -

٤١)، وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور العثيمين (ص ٣٦ -

٣٩)، وانظر: "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي" لعبد الحلیم الجندي

(ص ٩٢) و"جزيرة العرب" لحافظ وهبة (ص ٣١٩).

(٢) انظر: (١٣٧/١) من هذا البحث.

(٣) الإمام محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٩٢، هامش ١).

الشهاب"، ومن أولئك الأستاذ أحمد أمين في كتابه "زعماء الإصلاح في العصر الحديث"^(١) ومنهم الأستاذ حسين بن خلف ابن الشيخ خزعل الذي سرد في كتابه "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب"^(٢) كل ما جاء في ذلك الكتاب من ذكر رحلات الشيخ إلى بلاد الأكراد وإيران والشام ومصر؛ معولا على هذا الكتاب الذي لا يصح التعويل عليه.

وبالإجمال؛ فقد حرص مترجمو الشيخ محمد على تدوين كل ما يتصل برحلاته وبأسماء العلماء الذين تلقى العلم عنهم، وبذكر البلاد التي زارها، ويكادون يتفقون على عدم صحة ما ورد في كتاب "لمع الشهاب" من ذلك^(٣).

ويقول الدكتور منير العجلاني: "أخذت عن "اللمع" دائرة المعارف الإسلامية وطائفة كبيرة من المستشرقين، ثم نقل عن هؤلاء أحمد أمين والعقاد وغيرهم من الكتاب العرب"^(٤).

وقال في موضع آخر: "نقل عن هذا الكتاب أكثر المستشرقين،

(١) انظر: (ص ١٠) من كتاب "زعماء الإصلاح في العصر الحديث" تأليف أحمد أمين.

(٢) انظر: (ص ٥٦، وص ١٣٨-١٣٩، وص ١٤٣ - ١٤٤، وص ٤٠٥) من كتاب "تاريخ الجزيرة في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" تأليف حسين خلف الشيخ خزعل.

(٣) "مجلة العرب" (الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤٣-٩٤٤).

(٤) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ١٩٥).

ثم أخذ عنهم كثير من كبار المؤلفين العرب، ومن المؤسف أنهم تعلقوا بروايته الكاذبة عن رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العجم^(١).
وقال في موضع ثالث: "أما ادعاء "اللمع" أن الشيخ سافر إلى مصر ودرس في الأزهر؛ فخبير مختلق، ولم يأخذ به أحد".
ومما يكشف كذب صاحب "اللمع" ويضعف قيمة رواياته حساب التواريخ؛ فقد زعم أن الشيخ محمد خرج من نجد وله من العمر سبع وثلاثون سنة، وأعادته إلى نجد بعد عشرين سنة أو أكثر؛ فكانت عمره في زعمه سبعا وخمسين سنة، ونحن نعرف أن الشيخ ولد عام (١١١٥ هـ)، فتكون سنة عودته إلى نجد في رواية اللمع سنة (١١٧٢)؛ أي: بعد انقضاء خمس عشرة سنة على إقامته الثانية في الدرعية، وهذا وراء العقل^(٢).

الشيخ لم يدرس اللغتين الفارسية والتركية :

وأما زعم أن الشيخ درس اللغتين الفارسية والتركية، والحكمة الإشرافية، والفلسفة، والتصوف، ولبس جبة خضراء في أصفهان؛ فليس بثابت، بل إنه أمر باطل، ويستبعد أن يتعلم الشيخ لغة أعجمية ليس مضطرا لها، وقد استغنى بالعربية، وهي لغة السلف الصالح من المسلمين، والتي نزل بها القرآن، ودونت بها السنة، وفي "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية آثار عن بعض السلف الصالح تقتضي

(١) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٤٦).

(٢) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٢٠١).

كراهة ذلك من غير حاجة ولا مصلحة دينية^(١).

وليس في مؤلفات الشيخ وآثاره ما يدل علي شيء من هذا، بل إنها على المنهج السلفي، بعيدة كل البعد عن مخالفة طريقة الرسول ﷺ وأتباعه. ثم إن من ذكر ذلك عن الشيخ كان ممن انخدع بمثل كتاب "لمع الشهاب"^(٢) ومؤلف "لمع الشهاب" وأمثاله أرادوا من ذكر مثل هذه الأخبار الباطلة أن الشيخ جاء بما جاء به من أفكار فلسفية وبشرية لا تستند على الوحي المنزل من عند الله تعالى.

وقد بين هذه النقطة حمد الجاسر حيث قال: "ولو ساغ التعليل؛ لأمكن القول بأن مؤلف "لمع الشهاب" أراد من ذكر وصول الشيخ إلى أصفهان أمراً غير مطابق للواقع، وخاصة حينما يقول بأن الشيخ درس الحكمة الإشرافية، ذلك أن هذا المذهب الفلسفي يقوم على أساس أن المعارف والعلوم تكتسب بطرق رياضية بحتة، ولا تنال بطريق التعليم والممارسة، ولكي يستخلص أن الشيخ تأثر بهذه الفلسفة، فأتى بأشياء جديدة أراد أن يدخلها في مذهبه، والشيخ بريء من ذلك، فكل ما جاء به قد استقاه من منابعه العذبة الصافية: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وأقوال علماء السلف الصالح، وهو أبعد الناس عن الشطحات الصوفية والأفكار المادية الفلسفية، التي لا تقوم على

(١) "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٢٠٤-٢٠٧).

(٢) انظر: (١ / ١١٠) من هذا البحث.

أساس من النقل الشرعي الصحيح، وأنا أقرر هذا كقضية تاريخية مجردة، تقوم على أساس ما عرف عن الشيخ وآرائه التي لا يجهل كل مؤرخ أصولها؛ غير متأثر بأية عاطفة^(١).

ويذكر الدكتور منير العجلاني أن صلاح العقاد ينكر أقوال "اللمع" فيما يتصل بإقامة الشيخ في بلاد العجم ودرسه فيها الفلسفة والتصوف لسببين:
السبب الأول: جهل الشيخ التام باللغة الفارسية.

السبب الثاني: أننا لا نجد في كتابات الشيخ أثرا لهذه الدراسات المزعومة في الفلسفة والتصوف.

قال الدكتور العجلاني: "وهذا رأينا أيضا"^(٢).

وقال الدكتور العجلاني أيضا: "أما القول بأن الشيخ كانت له شخصية ثانية... اختفت تماما، كما يزعم صاحب "اللمع"، فنوع من الهذيان، تورط فيه صاحب "اللمع"، وورط فيه غيره"^(٣).

نتيجة رحلاته العلمية وأخذه عن المشايخ :

لقد كانت رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية وأخذه عن أهل العلم ومشايخه موفقة ومفيدة، وكانت على جانب كبير من

(١) "مجلة العرب" (الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الثاني عام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤٤).

(٢) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٢٠٠).

(٣) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٢٠٠).

الأهمية، وكان أثرها واضحا في زيادة معرفة الشيخ^(١) وتسليحه بسلاح العلم الغالب أهله بإذن الله تعالى، وتقوية يقينه، وزيادة إيمانه، وتوسيع مداركه وفهمه وثقافته العامة في الدين والدنيا، وقد حصل علم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وعلم ما يناقضه، أو يناقض كماله الواجب، أو يكون ذريعة إلى ذلك، وحرره كتابا وأمره عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر، منهم المشايخ الشاميون: الشيخ علي أفندي الداغستاني، وابن عمه الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني، والشيخ محمد البرهاني، والشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة، والشيخ محمد السفاريني نزيل نابلس؛ أرسل إليه نسخة فأمرها وأقرها، وهو من غير مشايخه الذين قد ذكروا، وكلهم أدركوا كلامه وأقروه وحرروه وأجازوه، ولكن عذرهم عدم المساعد من أمير أو غيره^(٢).

وبالجملة؛ فما إن أتم رحلاته إلا وقد فتح الله عليه بمحصيلة من العلوم الشرعية كبيرة.

قال ابن بدران: "امتلاً وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد"^(٣).

وحين رجع إلى أبيه بعد رحلته العلمية؛ كان في مستوى علمي

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله الصالح العثيمين (ص ٢٩).

(٢) "التوضيح عن توحيد الخلاق" (ص ١٩).

(٣) "المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل" (ص ٢٣٠).

لا يقل عن مستوى أبيه، إن لم يزد عليه، وإن كانت بعض المصادر تذكر أنه أخذ يدرس على والده بعد استقراره في حريملاء^(١)؛ فهذا من باب أدبه وتواضعه مع والده وشيخه الأول. وعلى كل؛ فإن الشيخ لم يعد من رحلاته إلا وقد اقتنع بأنه قد أخذ قدرا من العلم والبصيرة كافيا للدعوة بما علم إلى الله على بصيرة؛ كما هي سنة رسول الله ﷺ التي لا شك في اتباعه لها. هذا وقد أطلت النفس في هذه المباحث عن تحصيل الشيخ العلمي ورحلاته وشيوخه، واستطردت بتراجم بعضهم مما له صلة بمعلومات الشيخ، كل ذلك لبيان مكانته العلمية الأصيلة وتحصيله الكبير، وهو أمر لائق في هذا المدخل.

عودة الشيخ من رحلاته العلمية إلى حريملاء :

بعد أن أتينا في المباحث المتقدمة على ذكر رحلات الشيخ العلمية، وذكرنا خط سيرها، والأماكن التي رحل إليها، وزمانها، وشيوخه، وتحصيله؛ نذكر هنا عودته من هذه الرحلات العلمية المباركة. وكما تقرر في المباحث المتقدمة كانت عودته من المدينة المنورة إلى حريملاء^(٢) حيث كان والده قد انتقل إليها من العيينة،

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... "الدكتور العثيمين (ص ٤٠-٤١).

(٢) انظر: (١ / ١٤٠) من هذا البحث.

بسبب أن أمير العيينة الجديد الملقب خرفاش بن معمر لم يرق له بقاء الشيخ عبد الوهاب في القضاء، فعزله عنه، فغادرها الشيخ عبد الوهاب إلى حريملاء، وتولى قضاءها، وأقام بها. فأقام الشيخ محمد بعد عودته من رحلته العلمية في حريملاء مع أبيه، يدرس عليه، ويدعو إلى التوحيد، ويبين بطلان دعوة غير الله، وكانت دعوة غير الله من أشجار وغيران وقبور وحن ونحو ذلك منتشرة كثيرا في نجد وفي البلدان الإسلامية عموما في ذلك الزمان؛ كما بينا عن هذه البيئة في المبحث المتقدم، وسبقت الإشارة إلى ذكر أنها من العوامل الأساسية في دفع الشيخ إلى استكمال عدته من العلم النافع والرحلات الطويلة في سبيل تحصيله^(١).

ولما توفي والده عام (١١٥٣ هـ)؛ أعلن الدعوة إلى تصحيح العقائد السائدة بعقيدة السلف الصالح، لكن؛ لم تكن حريملاء صالحة لأن تكون منطلقا لدعوته.

فانتقل منها فيما يقارب عام (١١٥٥ هـ) إلى العيينة، وقد ناصره أميرها عثمان بن معمر أول الأمر، ثم خذله.

فانتقل الشيخ إلى الدرعية، والتقى بأميرها الراشد محمد بن سعود؛ فقام بنصرته، ووفى بعهدده، وأتم وعده؛ فأظهر الله عقيدة السلف الصالح، ونصر الله أهلها، وتوفر الشيخ لنشرها، وتدریس العلوم النافعة، وتأليف الكتب المفيدة في أصول الإسلام وفروعه على

(١) انظر: (١٢٩/١) من هذا البحث.

طريقة السلف الصالح، وانطلاقاً من العقيدة السلفية السليمة. وقد أخذ عن الشيخ جموع كثيرة، وخلف من تلاميذه العلماء الكبار الذين قاموا بأدوار مهمة عظيمة، وخلف أتباعاً وأنصاراً ودولة ملاً ذكرهم الأسماع في الخافقين وعظم شأنهم بين العالمين.

وسياًتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله في باب أثر عقيدة الشيخ السلفية في العالم الإسلامي.

تلاميذ الشيخ ومن أخذ عنه من العلماء :

في هذا المبحث لا نريد استقصاء كل من أخذ عن الشيخ واستفاد أي فائدة، إنما نقصد من أخذ عن الشيخ حتى تخرجوا على يديه، واستكملوا العلم النافع في مدرسته السلفية، وصاروا قضاة وعلماء ودعاة.

ولم نذكر مثل الإمام محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وحفيده سعود بن عبد العزيز؛ فهم وإن كانوا قد أخذوا عن الشيخ مباشرة، وحضروا مجالس دروسه، وأحيوا ما بينه لهم من السنة، وأقاموا ما أوضحه لهم من معالم الإسلام؛ فلشهرتهم وارتفاع مقامهم حتى صاروا أئمة في هذا الشأن؛ اكتفينا بما سبق من الإشارة، وما سياتي إن شاء الله في باب أثر عقيدة الشيخ في العالم الإسلامي، فلم ننظمهم هنا مع تلاميذ الشيخ والمتربين على يديه والمتخرجين في مدرسته. كذلك لم نذكر من استفاد من علم الشيخ عن طريق المراسلة وعن طريق كتبه وانتشار علمه ودعوته؛ فهذا النوع لا يضبط كثرة، ولا

يندرج تحت هذا المبحث، ولكن ربما يناسب ذكره في بحث أثر عقيدة الشيخ في العالم الإسلامي.

وفيما يلي بيان من وجدناه معدودا من تلاميذ الشيخ المباشرين، وصاروا من العلماء والقضاة وشيوخ العقيدة السلفية من بنيه وبني بنيه وغيرهم من علماء النواحي والأقطار^(١) مع ما سيأتي إن شاء الله تعالى عنهم في بيان أثر عقيدة الشيخ السلفية؛ باعتبارهم من المتأثرين بها، والحاملين لها، والناشرين لعقيدة السلف الصالح.

- ١- الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أخذ عن أبيه، واستكمل فنون العلم، وفاق بالمعرفة أقرانه، توفي سنة (١٢٢٤ هـ)^(٢).
- ٢- الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أخذ عن أبيه، فكان آية في العلم ومعرفته ومعرفة فنونه^(٣) ولد في الدرعية سنة (١١٦٥ هـ)، وتوفي بمصر سنة (١٢٤٢ هـ)^(٤).
- ٣- ومن تلاميذ الشيخ ابنه الثالث الشيخ علي: فكان عالما جليلا ورعا دينا فقيها يضرب به المثل في بلد الدرعية.

(١) انظر: ابن بشر "عنوان المجد... " (١/٩٢).

(٢) "الدرر السنية" (١٢/٤٦)، و"مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ٢٨).

(٣) "عنوان المجد في تاريخ نجد" (١/٩٣).

(٤) "الدرر السنية" (١٢/٤٥)، و"مشاهير علماء نجد" (ص ٤٩، هامش ٢١٢-٢١٣) من

"عنوان المجد" (ج ١، طبعة المعارف عام ١٣٨٧ هـ).

يقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف: "الغالب على الظن أن الشيخ علي توفي سنة (١٢٤٥ هـ) بمصر"^(١).

٤- ومن تلاميذه الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: وهو الابن الرابع.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: "ولم أقف له على وفاة، ولكنه موجود سنة (١٢٥١ هـ) في مصر، وتوفي فيها"^(٢).

٥- وممن أخذ عن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن عمر: فكان عالماً جليلاً، وتوفي في مكة المكرمة سنة (١٢٢٥ هـ)^(٣).

٦- وممن أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلم عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصيني الناصري التميمي: فقد أخذ عن الشيخ وعن أبنائه وغيرهم في الدرعية بعد أن سبق له أخذ الفقه أولاً عن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل في بلده شقراء، وتوفي رحمه الله في ١٢ رجب سنة (١٢٣٧ هـ)^(٤).

٧- ومن تلاميذ الشيخ سعيد بن حجي: رحل إلى الدرعية، فقراً

(١) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ٥١)، وانظر: "الدرر السنية" (١٢ / ٤٧).

(٢) "الدرر السنية" (١٢ / ٤٦).

(٣) "الدرر السنية" (١٢ / ٤٧)، وابن بشر في "عنوان المجد" (١ / ٩٤).

(٤) ابن بشر "عنوان المجد... " (١ / ٢٣٢ - ٢٣٤)، و "الدرر السنية" (١٢ / ٥٠).

على الشيخ، كما أخذ عن ابني الشيخ حسين وعبد الله، وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وغيرهم من علماء الدرعية، توفي عام (١٢٢٩ هـ)^(١).

٨- ومن تلاميذ الشيخ محمد بن سويلم^(٢) ولد في الدرعية ونشأ فيها، فأخذ يتلقى العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن ابنه العالمين حسين وعبد الله وغيرهما.

قال ابن بسام: "ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله"^(٣).

٩- ومن تلاميذ الشيخ عبد الرحمن بن خميس، الإمام في قصر آل سعود^(٤).

١٠- وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ عبد الرحمن بن نامي^(٥).

ولد في مدينة العيينة، ونشأ بها، ثم قرأ على علمائها، وكان ممن استجاب لدعوة الشيخ محمد إلى عقيدة السلف الصالح، فهاجر إليه في الدرعية، وقرأ عليه، واستفاد منه، كما قرأ على الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد، فأدرك إدراكا جيدا، وفي أول عام ١٢٣٤ هـ أرسل

(١) "عنوان المجد..." لابن بشر (١ / ٩٤)، و"علماء نجد خلال ستة قرون" لابن بسام (١ / ٢٧٣).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد..." (١ / ٩٤).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٣ / ٧٩٩).

(٤) ابن بشر "عنوان المجد..." (١ / ٩٤).

(٥) ابن بشر "عنوان المجد..." (١ / ٩٤).

إبراهيم باشا إلى الأحساء أمراءه السابقين آل عريعر، فقتلوا حتى أئمة المساجد، وقبضوا على الشيخ عبد الرحمن بن نامي، فأخذوا ماله، ثم قتلوه ضمن من قتلوا؛ ظلما وعدوانا، فانتقل إلى ربه شهيدا رحمه الله^(١).

١١- وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب محمد بن سلطان العوسجي^(٢).

ولد في بلدة ثادق، ونشأ فيها، ثم رحل إلى الدرعية، فشرع في القراءة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ثم على ابنه الشيخ عبد الله، وعلى الشيخ الفقيه حمد بن ناصر بن معمر، حتى حصل في التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم، وتوفي في الأحساء عام ١٢٢٣ هـ^(٣).

١٢- وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين^(٤).

ومما يقول البسام: "ولد في بلدة أشيقر؛ إحدى مدن الوشم، ونشأ بها، ثم رحل إلى الجمعية في طلب العلم، فأخذ الفقه عن قاضيها الشيخ أحمد بن محمد التويجري، ثم رحل إلى الدرعية،

(١) ابن بشر عنوان المجد... " (١ / ٢١٢-٢١٣)، و"علماء نجد خلال ستة قرون" لابن بسام (٤٣٢/٢).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد... " (١ / ٩٤).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٣ / ٨٠٩).

(٤) ابن بشر "عنوان المجد... " (١ / ٩٤).

وكانت آهلة بالعلماء الذين على رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وابنه العلامة الشيخ عبد الله، فتلقى العلم عنهما، ولازم دروسهما، حتى أدرك، ولم أقف على تاريخ وفاته^(١).

١٣ - وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ حسن ابن عبد الله بن عيدان^(٢).

قدم الدرعية في أوج عزها، فقرأ على الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى غيره من علماء الدرعية؛ كالشيخ عبد الله ابن الشيخ، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وغيرهما، توفي عام ١٢٠٢ هـ^(٣) رحمه الله تعالى.

١٤ - وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ العالم عبد العزيز بن سويلم العريني^(٤).

ولد في الدرعية، فلما شب وأخذ مبادئ الكتابة والقراءة؛ شرع في طلب العلم، فتلقاه عن الإمام محمد بن عبد الوهاب، وما زال مجدا في تحصيله عليه وعلى ابنه الشيخ عبد الله، حتى أدرك وتفقه، وتوفي في بريدة في ذي القعدة عام ١٢٤٤ هـ^(٥).

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٢ / ٣٩٨).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (١ / ٩٤).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١ / ٢١٤).

(٤) ابن بشر "عنوان المجد... " (١ / ٩٤).

(٥) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٢ / ٤٦٣)، و"روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد" لمحمد

القاضي (١ / ٢٥٤-٢٥٥).

١٥- وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ حمد ابن راشد^(١).

رحل إلى الدرعية لطلب العلم، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن غيره من علماء الدرعية، فأدرك في الأصول والفقه، والظاهر أنه توفي في آخر ولاية الإمام سعود في سدير^(٢).

١٦- وكذلك أخذ عن الشيخ ابن ابنه عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ في صغره^(٣) وكم يذكر الشيخ عبد الرحمن قراءته على جده ويعبر عنه بلفظ شيخنا^(٤) وتلمذ على الشيخ. وأخذ عنه خلق كثير ممن لم نذكرهم.

قال ابن بشر: "وأخذ عن الشيخ من القضاة ممن لا يحضرنى الآن عده عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الجم الغفير"^(٥).

ويقول الشيخ إبراهيم بن ضويان في مخطوطته "رفع النقاب عن تراجم الأصحاب": "وأخذ عنه خلق ممن لم ينصب للقضاء يبلغون

(١) ابن بشر "عنوان المجد..." (١/٩٤).

(٢) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/٢٢٣).

(٣) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (١/٩٣-٩٤).

(٤) سيأتي عن الشيخ عبد الرحمن بيان مفصل في باب أثر عقيدة الشيخ في الفصل الثالث باعتباره شيخ عقيدة السلف الصالح في الدور الثاني لدولة أنصارها؛ فاقصرنا هنا على ما ذكر.

(٥) "عنوان المجد في تاريخ نجد" (١/٩٤-٩٥).

مئتين، وأخذ عنهم أضعاف أضعافهم"^(١).

مؤلفات الشيخ :

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في ترجمته للشيخ في الجزء الثاني عشر

من "الدرر السنية" من مؤلفاته ما يلي:

١- "كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد".

٢- كتاب "كشف الشبهات".

٣- كتاب "أصول الإيمان".

٤- كتاب "فضائل الإسلام".

٥- كتاب "فضائل القرآن".

٦- كتاب "السيرة المختصرة".

٧- كتاب "السيرة المطولة".

٨- كتاب "مجموع الحديث على أبواب الفقه".

٩- كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير".

١٠- كتاب "مختصر الصواعق".

١١- كتاب "مختصر فتح الباري".

١٢- كتاب "مختصر الهدى".

(١) (اللوحة ٧٤ - ٧٥)، تصوير "مجلة الدارة" (العدد الثاني، رجب عام ١٣٩٨).

١٣- كتاب "مختصر العقل والنقل".

١٤- كتاب "مختصر المنهاج".

١٥- كتاب "مختصر الإيمان".

١٦- كتاب "آداب المشي إلى الصلاة".

"كتاب التوحيد":

أما كتاب التوحيد؛ فهو الموجود بين أيدينا بعنوان "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، والمصادر التاريخية تدل على أنه من أول "مؤلفات الشيخ^(١)".

فيذكر ابن غنام أن الشيخ صنف "كتاب التوحيد" في حرملاء أثناء إقامته الأولى فيها يدعو إلى التوحيد وينشر أعلامه^(٢).

بينما يذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن جده الشيخ صنف "كتاب التوحيد"، في البصرة، أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث^(٣).

ويمكن الجمع بين ما ذكره بأن ابن غنام كان أول علمه بهذا الكتاب مصنفًا حين قرئ على مؤلفه الشيخ في حرملاء، ولم يعلمه مصنفًا قبل ذلك، سيما وأن حرملاء هي أول ما نشر الشيخ منها أعلام

(١) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله بن صالح العثيمين

(الفصل الرابع، ص ٨١ - ١١٠).

(٢) "روضة ابن غنام" (١ / ٣٠).

(٣) "الدرر السنية" (٩ / ٢٢٥).

التوحيد الذي صنف من أجله هذا الكتاب، وقرئ عليه فيها، وانتشرت نسخه إلى سائر البلدان من حرملاء، وما نفى ابن غنام أن يكون الشيخ قد استفاد "كتاب التوحيد" من كتب الحديث في مدارس البصرة، ولا أن يكون الشيخ قد فكر في تأليفه قبل وجوده في حرملاء؛ إلا أنه يجوز اعتبار حرملاء آخر مكان تم فيه تأليف هذا الكتاب الهام والفراغ من تهذيبه حتى استوى على بنائه الذي بقي عليه إلى اليوم.

وأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن؛ فقد قال بما علم من جمع الشيخ لمادته من كتب الحديث بمدارس البصرة، وتخطيطه لبنائه ورسوم أبوابه، لا سيما والشيخ عبد الرحمن حفيد المؤلف وتلميذ له، وقد قرأ في مؤلفه هذا عليه من أوله إلى أبواب السحر^(١).

ويؤيد هذا أن صاحب "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق" يذكر أن "كتاب التوحيد" هذا قد حرر وأمر عند شيوخ الشاميين؛ كالشيخ علي أفندي الداغستاني، وابن عمه الشيخ عبد الكريم، والشيخ عثمان الديار بكري؛ نزيل المدينة المنورة، والشيخ محمد السفاريني؛ نزيل نابلس، أرسلت إليه نسخة منه.. وغيرهم من شيوخ الشيخ ومن غير شيوخه^(٢) وذلك أثناء رحلاته العلمية؛ فذلك يدل على أن "كتاب التوحيد" قد نشأ تأليفه لدى الشيخ منذ وقت مبكر، وما زال يتم وينمو حتى استتم في حرملاء.

وقد لقي الكتاب قبولا عظيما لدى العلماء والمتعلمين، واعتنوا

(١) "الدرر السنية" (١٢ / ١٨).

(٢) انظر: "التوضيح عن توحيد الخلاق... " (ص ١٩).

به وخدموه، فأولهم المعاصرون لمؤلفه؛ تلقوه عنه بلهف وشوق، فقرءوا أبوابه عليه، وحفظوها، واستمعوا شرحه منه وتقريره عليه مباشرة، واستمرت العناية به إلى يومنا هذا، استنسخه الناس وطبعوه مرارا عديدة، ولا تحصى كثرة نسخته المنتشرة في العالم.

وقد أثنى عليه العلماء ثناء جميلاً^(١).

ومن ذلك ما يقول ابن بشر: "ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه؛ فإنه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد"^(٢).

ووصفه الشيخ سليمان بن حمدان بقوله: "كتاب بديع الوضع، عظيم النفع، لم أر من سبقه إلى مثاله أو نسج في تأليفه على منواله؛ فكل باب منه قاعدة من القواعد يبني عليها كثير من الفوائد، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، واعتقدوه ديناً؛ فلا يتاب منه ولا يستغفر، فألفه عن خبرة ومشاهدة للواقع، فكان لذاك الداء كالدواء النافع"^(٣).

وكثر الشروح والتعليقات عليه:

فمنها "تيسير العزيز الحميد" للشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ إلا أنه لم يتم؛ فكان تمامه من

(١) انظر: "الدرر السنينة" (ج ٩ / ٢١٥).

(٢) "عنوان المجد... " (ج ١ / ٩٢).

(٣) "الدر النضيد على أبواب التوحيد" تأليف سليمان بن عبد الرحمن الحمدان، المقدمة (ص

"تهذيب الشيخ عبد الرحمن بن حسن" بدءاً من قوله: "باب ما جاء في المصورين"^(١)... إلى نهاية الكتاب.

ومنها "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد"، وهو تهذيب وتقريب وتكميل لـ "تيسير العزيز الحميد"، مع زيادة بعض النقول المستحسنة؛ تميماً للفائدة، وضعه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ. وغير ذلك من الشروح والتعليقات المستمرة إلى الآن.

ويوجد هذا الكتاب مخطوطاً بالمكتبة السعودية بالرياض تحت (رقم ٤٦٥ \ ١٦٦)، كما يوجد مخطوطاً بمكتبة الشيخ عبد الله الإبراهيم التويجري الخاصة ببريدة ضمن مجموع بخط الشيخ عبد الله بن رشيد بن فرج، وبالمكتبة العلمية الصالحية بمسجد أم خمارة بعنيزة والناسخ محمد بن منصور بتاريخ (٢٧ \ ٤ \ ١٣٠٢ هـ)^(٢).

"كشف الشبهات":

وأما "كشف الشبهات"؛ فهو رسالة عامة صنفها الشيخ جواباً لكثير من شبه المعارضين، التي أدلوا بها على الناس، وصدوهم بها عن الإسلام بألسنتهم وفي مصنفاتهم المنشورة^(٣).

(١) انظر: "تيسير العزيز الحميد" (ص ٦٣٢، الهامش).

(٢) انظر. "مجلة البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤١ و٣٤٢ و٣٥١ و٣٥٢).

(٣) "روضة ابن غنام" (١ / ٦١)، و"تحرير الأسد" (ص ٢٣٣)، و"الشيخ محمد بن عبد الوهاب... للدكتور العثيمين" (ص ٧٧).

أولها: "اعلم رحمك الله تعالى أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة... " يوجد لها نسخة مخطوطة عاصر كاتبها الشيخ المؤلف، وكان الفراغ من كتابتها وقت الظهر من يوم الخميس غرة شهر جمادى الأولى سنة (١٢١٦ هـ)؛ أي: بعد وفاة المؤلف بعشر سنوات، بخط أحمد بن عيسى بن بكري، وهي محفوظة في خزانة كتب دار المطبعة السلفية بالقاهرة برقم (٥١٣٨)^(١)، ويوجد لها مخطوطة أخرى بالمكتبة السعودية بالرياض برقم (٨٢ \ ٢٦٩)، ومخطوطات أخرى^(٢) وهي مطبوعة متداولة.

* وكتاب "فضائل الإسلام":

وهو كتاب "فضل الإسلام" الذي أوله: "باب فضل الإسلام"، ويدور على بيان الإسلام، وأنه سنة الرسل، وليس بدعة. يوجد مخطوطا من نسخ عديدة؛ منها برقم (٨٢ \ ٢٩٦) بالمكتبة السعودية بالرياض، ومنها بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية قسم المخطوطات تحت رقم (٢٩) ضمن مجموعة كتب أخرى ونسخ أخرى كثيرة^(٣).

(١) انظر طبعة السلفية لـ "مجموعة التوحيد" (ص ٢١٨ - ٢٣٤).

(٢) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤١، ٣٥٢، ٣٦١، والعدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤١، ٤٤٦، ٤٤٧).

(٣) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤٠، والعدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧).

وهو مطبوع متداول.

* وكتاب "أصول الإيمان" :

وقد زاد فيه بعض أولاده زيادة حسنة.

يوجد هذا الكتاب مخطوطا برقم (٤٥٩ \ ٨٦) بالمكتبة السعودية

بالرياض وفي غيرها^(١).

وهو مطبوع متداول.

* وكتاب فضائل القرآن:

يوجد له مخطوطتان؛ إحداهما تحت رقم (٤٦٠ \ ٨٦)، والأخرى تحت

رقم (٥١٦ \ ٨٦)؛ في المكتبة السعودية بالرياض. وهو عبارة عن مقدمة،

جعلت في أول ما جمعه ابن قاسم في تفسير القرآن من مجموعته "الدرر

السنية" (ج ١٠ ص ٣ وما بعدها)، وفي "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع/

التفسير) في أوله كمقدمة بلغت ٤٠ صفحة).

* "مختصر سيرة الرسول ﷺ" :

يوجد له مخطوطتان في المكتبة السعودية بالرياض: إحداهما بخط الشيخ

سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان رحمه الله تحت رقم (٥١٨ \ ٨٦)،

والثانية لم يسم كاتبها تحت رقم (٤٩ \ ٨٦).

(١) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤١، والعدد الثالث عام ١٤٠٠

هـ، ص ٤٤٣، ٤٤٤).

وهو مطبوع متداول.

ويلاحظ أن ابن قاسم ذكر من مؤلفات الشيخ كتاب "السيرة المختصرة" وكتاب "السيرة المطولة" تبعا لابن غنام، حيث ذكر أن من مؤلفات الشيخ كتاب "السيرة المختصرة" وكتاب "السيرة المطولة" نحو مجلد^(١)؛ فقول ابن غنام: "نحو مجلد"؛ كأنه يعني المختصرة والمطولة كلاهما نحو مجلد؛ سيما وأن الموجود بين أيدينا للشيخ هو بعنوان "مختصر سيرة الرسول ﷺ" المطبوع بمطبعة السنة المحمدية، وفي أوله مقدمة ذكرها الدكتور الضبيب بعنوان "قصص الأولين والآخرين وما فيها من العبر والفوائد"^(٢) وطبعت مفردة ضمن "الدرر السننية"^(٣).

"ومختصر سيرة الرسول ﷺ" يوجد مخطوطا بعنوان "مختصر سيرة ابن هشام"، والناسخ محمد بن سيف بن خالد، مفردا عن تلك المقدمة، في المكتبة العلمية العامة ببريدة، وفي المكتبة السعودية بالرياض. ويذكر الدكتور العثيمين أن هذه المقدمة موجودة في المتحف البريطاني^(٤).

ولم نطلع على كتابين للشيخ في اختصار السيرة، وإنما الموجود

(١) "روضة ابن غنام" (١ / ٥٠) .

(٢) الضبيب "سجل بيليجرافي" (ص ٤٨) .

(٣) (الطبعة الثانية، ج ٨ / ص ٣ - ٢٤) .

(٤) انظر: "الشيخ محمد... " للدكتور العثيمين (ص ٨٦ - ٨٨) .

هو "مختصر سيرة الرسول ﷺ"، هذا المطبوع الذي أوله: "الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اعلم رحمك الله...".

أما المختصر الأطول الموجود؛ فهو من تأليف عبد الله ابن الشيخ، وليس من تأليف الشيخ، والله أعلم.

* كتاب "مجموع الحديث على أبواب الفقه":

أوله: "بسم الله الرحمن الرحمن، وبه نستعين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

١- عن أبي سعيد؛ قال: ﴿ قيل: يا رسول الله ! أنتوضأ من بئر بضاعة- وهي يلقي فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن - ؟ فقال رسول الله ﷺ طهور لا ينجسه شيء ﴾^(١) حسنه الترمذي وصححه أحمد.

لقد ورد ذكر هذا الكتاب ضمن ما ذكره ابن غنام من مصنفات الشيخ^(٢) وطبع لأول مرة ضمن مؤلفات الشيخ التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمناسبة انعقاد مؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قسم الحديث، وشغل أربعة أجزاء كبار بتحقيق الدكتور خليل ملا خاطر، والدكتور محمود بن أحمد الطحان، عن مخطوطة واحدة حسب معرفة الأمانة العامة للأسبوع^(٣) ويوجد في

(١) سنن الترمذي: كتاب الطهارة (٦٦)، وسنن النسائي: كتاب المياه (٣٢٦).

(٢) انظر: "روضة ابن غنام" (ج ١، ص ٥٠).

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ (قسم الحديث، ج ١، ص ٥).

المكتبة السعودية بالرياض مخطوطة له تحت رقم (١٨٦ \ ٨٦)^(١).

والكتاب كبير الحجم، يقارب "كتاب المنتقى" لابن تيمية الجد، بلغت فيه الأحاديث المرفوعة والموقوفة حوالي ستة وأربعين ألف حديث، عدا الآثار من أقوال التابعين وفتاوى الأئمة المجتهدين، والكتاب واسع في ذكر أحاديث الأحكام وفتاوى التابعين والأئمة والإجماع والتصحيح والتحسين والتضعيف وما قيل في الرواة المختلف في الاحتجاج بهم^(٢).

* كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير":

أما كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير"؛ فيوجد له مخطوطات كثيرة بمكتبات القصيم وحائل^(٣) والرياض^(٤) وقد طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة في (٥١٢ ص)، ثم طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مؤلفات الشيخ في (٧٩٢ ص) طبعة أخرى.

* كتاب "مختصر الهدى":

هو مختصر "زاد المعاد" لابن قيم الجوزية، حوى خلاصة أصله، ووفى بمقصوده.

(١) انظر: "الشيخ محمد... لابن عثيمين، (هامش ص ٩٤)، وفيه وصف للمخطوطة.

(٢) انظر "مؤلفات الشيخ" (قسم الحديث، ١ / ٢-٤).

(٣) "مجلة البحث العلمي"، (عدد ٢ / ٣٣٢ - ٣٤٣، عدد ٣ / ٤٤٧).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثاني، الفقه، المجلد الأول، ص ٥).

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن شيخه وجدته الشيخ محمد ابن عبد الوهاب نسخ أصله "الهدى النبوي" في المدينة بيده^(١).

يوجد له مخطوطات اثنتان بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم (٤٨ \ ٨٦)، وتحت رقم (٨٦ \ ٤٩)^(٢) والثالثة بمكتبة مسجد أم خمار بعنيزة^(٣)، وأشار الدكتور عبد الله العثيمين إلى نسخة خطية هي الرابعة، كتبها محمد بن سيف بن خميس سنة (١١٩٧ هـ)، عنوانها "مختصر الهدى النبوي"، ولكن لم يذكر مكان وجودها^(٤) ومخطوطتان إحداهما للشيخ عبد الرحمن بن محمد آل الشيخ، والثانية مخطوطة بمكتبة زهير الشاويش^(٥).

وقد طبعه المكتب الإسلامي في بيروت عام (١٣٩١ هـ) في (١٢ + ٤٠٨ ص)، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع في ٣٥١ ص).

"آداب المشي إلى الصلاة":

أما "آداب المشي إلى الصلاة" فيوجد له خمس نسخ خطية: اثنتان منهما بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية تحت (رقم ١٦٣ \

(١) "الدرر السنينة" (٩ / ٢١٦) .

(٢) "مؤلفات الشيخ الإمام" (القسم الرابع) .

(٣) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ ص ٣٥١) .

(٤) "الشيخ محمد... " للدكتور العثيمين (هامش رقم ٢، ص ٨٩) .

(٥) الطبعة الأولى من "مختصر الهدى النبوي" بمطبعة المكتب الإسلامي (ص د، ط، ي) .

(٢٩)، و (رقم ١٤١ \ ٢٧)، والمكتبة السعودية تحت (رقم ٢٦٩ \ ٨٦)^(١) ومكتبة الشيخ عبد الله الإبراهيم التويجري ببريدة^(٢) ومكتبة الشيخ عبد الرحمن الملحق بجائل^(٣).

وطبع بالمطبعة السورتية ببمي (١٣٣٦ هـ)، وفي القاهرة بمطبعة المنار (١٣٤٠ هـ)، وضمن مجموعة متون بالمطبعة السلفية عام (١٣٤٥ هـ) (ص ٦٥-١٢٧)، وطبع بإشراف محمد بن مانع بمكة المكرمة المطبعة الماجدية (١٣٦٧ هـ)^(٤) وتوالت طبعاته المدرسية، حيث كان مقررا على تلاميذ المرحلة الابتدائية.

وهو مأخوذ من "شرح الإقناع" المسمى "كشاف القناع عن متن الإقناع" كما ذكره ابن بشر في "تاريخه" عند كلامه على مؤلفات الشيخ^(٥).

(١) انظر "مؤلفات الشيخ" (الفقه، غلاف آداب المشي إلى الصلاة).

(٢) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤١ - ٣٤٢).

(٣) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧).

(٤) "انظر: الضبيب" بيليوجراني " (ص ١١١، المواد ٥٥٣ - ٥٥٦).

(٥) "عنوان المجد..."، (١ - ٩٢)، و"مجلة البحث العلمي" (العدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ،

ص ٢٦)، وانظر للمقارنة: (ص ٣) من كتاب آداب المشي، طبعة جامعة الإمام، ضمن

"مؤلفات الشيخ"، القسم الثاني، الفقه و (ص ٣٧٨) من كتاب كشاف القناع، و (ص ٥)

من آداب المشي، و (ص ٣٨١) من الكشاف، و (ص ١٨) من الآداب، و (ص ٤٨١)

من الكشاف...

ويظهر هذا من المقارنة بين "آداب المشي إلى الصلاة" هذا، وبين "كشاف القناع عن متن الإقناع".

و "آداب المشي إلى الصلاة" عنوان لا يدل على كل مضمون الكتاب؟ فقد أفرد كتاب "آداب المشي إلى الصلاة" بهذا العنوان في نسخته المخطوطة والمطبوعة، وهو عنوان أول أبواب الكتاب، حيث إنه يبدأ بباب آداب المشي إلى الصلاة، ويثني بباب صفة الصلاة ... وهكذا حتى يتم عشرين باباً في الصلاة والزكاة والصيام، فأصبح مضمون الكتاب لا يقتصر على مدلول العنوان كما أن العنوان لا يدل على كل ما تضمنه الكتاب، فهل هذا من وضع الشيخ نفسه أم لا؟

والجواب: هو أن الذي يظهر عدم قصد الشيخ في اختصاره الكتاب أن يقتصر على مضمون هذا العنوان، ولكنه قصد أن يختصر جزءاً في فقه الصلاة والزكاة والصيام على المنهج الدراسي الجزأ؛ لتسهيل دراسته على طلاب العلم؛ كما هو الشأن من قديم في تقسيم الفقه إلى عبادات ومعاملات وغير ذلك، فأخذ هذا الجزء طابع الكتاب، وأخذ عنوان أول أبوابه فيما تعارف عليه طلاب العلم بينهم، وصار من باب تسمية الشيء باسم جزئه، وذلك من مجازات التسمية.

ويؤيد ما ذكرنا أن هذا الجزء يبدأ مباشرة بباب آداب المشي إلى الصلاة، مما يبين أنه يبنى على أبواب سابقة، وهي الأبواب التي احتوت عليها رسالة شروط الصلاة وكتاب الطهارة.

ولذا؛ فقد علق الشيخ محمد بن مانع على هذا العنوان "باب آداب

المشي إلى الصلاة" بقوله: "لم يذكر المصنف رحمه الله

كتاب أحكام الوضوء وشروط الصلاة قبل باب آداب المشي إلى الصلاة ؛
اكتفاء برسالة "شروط الصلاة" المتضمنة لذلك كله، وقد جرت العادة
بقراءتها قبل هذا الكتاب، فكأنها جزء منه "(١) اه .

كتاب " أحكام الطهارة":

قد تضمن أحكام الطهارة في المياه، والآنية، والاستنجاء، والوضوء،
والمسح، والغسل، والتيمم، والحيض، والنفاس... وما إلى ذلك .
طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود في (٤٣ ص) لأول مرة ضمن
مؤلفات الشيخ، بتصحيح الشيخ صالح الأطرم وزميله، ويقولان: إنهما
استندا في نسبته إلى الشيخ محمد إلى فهارس المكتبة السعودية المدون فيها
باسمه مخطوطاً تحت (رقم ٥٢٠ - ٨٦).

ويقولان: "إن أسلوب المخطوطة يتطابق تماماً مع أساليب كتابات
الشيخ وتصانيفه ورسائله رحمه الله تعالى، وخاصة كثرة الإشارة إلى اختيارات
شيخ الإسلام ابن تيمية"(٢).

رسالة " شروط الصلاة وأركانها وواجباتها":

يوجد لها مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض تحت (رقم ٢٦٩ - ٨٦).

(١) انظر: (ص ٣) من الطبعة التي نشرها محمد سعيد كمال لهذا الكتاب كمقرر على السنة

السادسة الابتدائية بتعليق محمد بن مانع مدير المعارف العام.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثاني، الفقه، المجلد الثاني، كتاب أحكام الطهارة، ص ٣).

وهي مطبوعة متداولة، ومن المقررات المدرسية.

وقد أحسنت جامعة الإمام محمد بن سعود صنعا في ترتيبها هذه الأجزاء الثلاثة حيث طبعتها هكذا: "كتاب الطهارة"، ثم "شروط الصلاة"، ثم (آداب المشي إلى الصلاة)، فكأن القائمين على إعدادها تنبهوا للمناسبة التي أرادها الشيخ، لولا أنهم طبعوا ملخصا لشروط الصلاة بعد آداب المشي إلى الصلاة معنونا بعنوان "أحكام الصلاة"، وكان حقه أن يقدم قبل "آداب المشي إلى الصلاة"، لأنه خلاصة موجزة لشروط الصلاة المذكورة قبله، ولعل ملاحظة العناوين فقط تسبب عنه هذا الخطأ .

أما ما ذكره الشيخ ابن قاسم من مؤلفات الشيخ الأخرى، وهي: "مختصر الصواعق"، و "مختصر فتح الباري"، و "مختصر العقل والنقل"، و "مختصر الإيمان"، و "مختصر المنهاج" فما وجدتها مخطوطة ولا مطبوعة؛ إلا أن يكون "مختصر المنهاج" هو رسالة في الرد على الرافضة التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود لأول مرة بتحقيق الدكتور ناصر الرشيد، وإنه ليحتمل أن يكون هو المراد ب "مختصر المنهاج" المنسوب للشيخ، حيث إن مباحثه شبيهة بمباحث "منهاج السنة" لشيخ الإسلام ابن تيمية، وجاء في أوله بعد المقدمة القصيره: "فهذا مختصر مفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب"، لكن هذه الرسالة مستخلص قصير جدا، لا نسبة بينها وبين "المنهاج"، وهذه الرسالة هي غير رد ابن الشيخ - الشيخ عبد الله - على الرافضة والزيدية .

"رسالة في الرد على الرافضة":

طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مطبوعاتها لمؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد، ويذكر المحقق أنه لم يسبق لها أن طبعت^(١) وطبعت طبعة ثانية مقردة بإشراف دار المأمون للتراث (١٤٠٠ هـ).

وجاء في أولها بعد مقدمة قصيرة بحمد الله والصلاة على رسوله قول هذا نصه: "فهذا مختصر مفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب".

فلعله هو "مختصر المنهاج" الذي ذكره ابن قاسم^(٢) وغيره من مؤلفات الشيخ، و"المنهاج هو" منهاج أهل السنة رد على الرافضة لابن تيمية . وهذا المختصر غير رد ابنه عبد الله على الرافضة والزيدية، وبلغ عدد صفحاته مطبوعا (٥٦ صفحة)، ويشمل مطالب أو مباحث هي: الوصية بالخلافة، وإنكار خلافة الخلفاء، دعوى الرافضة ارتداد الصحابة ونقص القرآن، والسب، والتقية، وسبهم عائشة، وتكفير من حارب عليا واستهانتهم بأسماء الصحابة، وانحصار الخلافة في اثني عشر، والعصمة، وخلافهم في خروج غيرهم من النار، ومخالفتهم لأهل السنة، والرجعة، ومشابھتهم اليهود والنصارى والمجوس...

(١) انظر: (مقدمته لمختصر سورة الأنفال، ملحق المصنفات، "مؤلفات الشيخ"، ص ٣).

(٢) انظر: "الدرر السننية" (ج ١٢، تراجم، ترجمة الشيخ).

وغير ذلك.

وقال عبد الرحمن بن قاسم: "وله (أي: الشيخ) رسائل وأجوبة في التوحيد والنصائح، وأجوبة في الفقه كثيرة ومفيدة، تقدمت في هذا الكتاب (أي: الدرر السنية) على حسب الترتيب، وله من المسائل المستنبطات من كتاب الله ما يقصر عنه فهم الفحول الأفاضل، ولا يقدر على إبرازه ذوو التدقيق من الأمثال، تكلم على غالب السور، واستنبط منها من الفوائد ما لم يسبق له^(١) اه .

وقد قمت بتتبع أجزاء "الدرر السنية" لمعرفة ما هو للشيخ من متفرقات الأجوبة والرسائل والفوائد، ثم قمت بتحديد مواضعها من هذا المجموع الكبير بأرقام الصفحات.

وفيما يلي بيان إحصائي بذلك مرتبا حسب ترتيب "جامع الدرر السنية" الطبعة الثانية عام (١٣٨٥ هـ)، مطابع المكتب الإسلامي:

١- الجزء الأول:

وهو في العقيدة، ويقصد التوحيد العلمي الخبري، فيه للشيخ أربعه وثلاثون جوابا، من (ص ٢٨ - ١١٠)، فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٨٢ صفحة).

٢- الجزء الثاني:

وهو في التوحيد، ويقصد بذلك توحيد القصد والطلب، الذي هو توحيد العبادة، فيه للشيخ خمسة وأربعون جوابا من (ص ٣ - ٧٣ +

(١) "الدرر السنية" (١٢ / ١٨ - ١٩).

ص ١٧٦)، فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٧١ صفحة).

٣- الجزء الثالث :

وهو في الأسماء والصفات، فيه للشيخ جواب واحد من (ص ٨١ - ٨٥) ؛ فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٤ صفحات).

٤- الجزء الرابع: وهو:

أ- في الأصول الفقهية فيه للشيخ أربعة أجوبة من (ص ٣ - ٦).

ب- وفي العبادات للشيخ أربعة وأربعون جوابا وموضوعا من (ص ٦٩ - ٧٢، ص ٧٨، وص ٧٩ - ٨٠، ص ٨٢، ص ٩٨، ص ١٠٥، ص ١٠٩ - ١١٠، ص ١١٤، ص ١٣١، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣ - ١٤٨، ١٤٩، ١٦١ - ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٣، ٢٢٨، ١، ٢٤، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٧٨ - ٢٧٩، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٢٥ - ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩ - ٣٣٠، ٣٣٩ - ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٨٥، ٣٩٤، ٤١٠، ٤١٤).

ومن أهم ما فيها رسالة "شروط الصلاة وأركانها وواجباتها"، التي نشرت في غير "الدرر السننية" كثيرا، وضمن مجموعات أخرى مختلفة^(١) فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٦١)

(١) انظر: الضبيب "بيبلوجرافي" (ص ١١٢ - ١١٤، المواد ٢٦٥ - ٥٨٠).

صفحة) تقريبا.

٥- الجزء الخامس:

وهو في البيع، والربا، والسلم، والقرض، والضمان، والحجر، والشركة، والمساقاة، والإجارة، والغصب، والشفعة، واللقطة، والوقف، والهبة أو العطية، والفرائض.

فيه للشيخ خمسة وخمسون جوابا تقع في:

ص ١٠، ١٢، ١٦، ١٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤١ - ٤٢،
٤٤، ٤٥، ٤٨، ٥٨، ٥٩، ٦١-٦٣، ٧٠، ٧٣، ٨٣، ٨٩، ١٠٢،
١٠٤، ١١٨، ١٢٠ - ١٢١، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١،
١٥٤، ١٥٦، ١٦٠، ١٦١، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٤،
١٨٥، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨،
٣٠٧ - ٣٠٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٥٦ - ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٧٩،
٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤.

ويساوي عدد صفحات ما كتبه الشيخ في هذا الجزء (٦٧ صفحة)

تقريبا .

٦- الجزء السادس:

وهو في النكاح، في: وليمة العرس، الطلاق، الظهار، العدد، الرضاع، النفقات، الجنائيات، الديات، الزكاة، القضاء، القسمة، الدعاوى والبينات، الشهادات.

فيه للشيخ ٢٨ جوابا تقع في:

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي - الجزء الأول

ص ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩،
٣٩٠، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٤٥،
٤٦٧، ٤٦٨، ٤٩١ - ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٠، ٥١٩، ٥١٥.

ويساوي مجموع ما للشيخ من الصفحات (٣١ صفحة) تقريبا في هذا

الجزء.

الجزء السابع:

وهو كتاب الجهاد، فيه للشيخ إثنا عشر موضعا، تقع في:

ص ٣، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٥٠ - ٥٦، ٥٧، ٢٣٩، ٣٠٥،
٣٠٦، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٨٨.

ويساوي عدد مجموع صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (١٩ صفحة)

تقريبا.

٨- الجزء الثامن:

وهو في حكم المرتد، فيه للشيخ تسعة وعشرون موضعا، أولها كتاب:

"مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد"، تقع في:

ص ٣ - ٤٩ - ٥١، ٥٢ - ٦١ - ٧٥، ٧٦ - ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨،
٨٩، ٩٠ - ٩٧، ٩٨ - ١٠٧، ٢٤٤، ٢٤٥.

ويساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء (٩٦ صفحة) تقريبا.

٩- الجزء التاسع:

وهو في مختصرات الردود، وليس فيه للشيخ شيء.

١٠- الجزء العاشر:

وهو في تفسير القرآن، فيه للشيخ ثمانية وسبعون موضعا، تقع في:

ص ٣ - ١٠، ٢٦، ٢٧ - ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٩ - ٤٠، ٤١، ٤٢،
٤٣، ٤٤، ٤٥ - ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤ - ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠ -
٦٢، ٦٣ - ٧٠، ٧١، ٧٢، ٨١ - ٨٦، ٩١ - ١٠٢، ١٠٤ - ١٦٠،
١٦٢ - ١٧٨، ١٨٣ - ٢٠٠. ويساوي مجموع صفحات ما للشيخ في هذا
الجزء (١٥٠ صفحة).

١١- الجزء الحادي عشر:

وهو في النصائح، وليس فيه للشيخ شيء.

١٢- الجزء الثاني عشر:

في التراجم، وفيه ترجمة الشيخ بقلم مؤلف وجامع " الدرر " الشيخ عبد
الرحمن بن قاسم.

ويصبح مجموع صفحات ما للشيخ في هذه الأجزاء كلها = ٧١ + ٨٢

+ ٤ + ٦١ + ٦٧ + ٣١ + ١٩ + ١٥٠ = ٤٨٥ صفحة.

وهذه تساوي مجلدا كبيرا لو جمعت وضمت مع بعضها.

وقد نبه جامع "الدرر السنية" أنه لم يتعرض إلا للفتاوى والرسائل، وما كان مختصراً نحو الكراستين فأقل، أما الردود والكتب الكبار المشهورة المتداولة؛ فهي مستقلة على حدتها، مستغنية عن إثباتها في هذا المجموع. هذا ومن مولفات الشيخ ورسائله الجديرة بالتنويه أيضاً ما يلي:

رسالة "ثلاثة الأصول وأدلتها":

ويظهر أن هذا العنوان هو أول ما عنونت به هذه الرسالة، فإذا لاحظنا طبعاتها الأولى؛ نجد أن عنوانها هكذا كما دون أعلاه، فمثلاً طبعتها ضمن مجموعة نشرها عيسى بن رميح سنة (١٣٣٨ هـ)، وطبعتها سنة (١٣٤٠ هـ) بمطبعة المنار، وطبعتها سنة (١٣٤٥ هـ) بالمطبعة السلفية بالقاهرة ضمن مجموعة متون^(١) كلها بهذا العنوان.

وكذلك إذا لاحظنا تعبيرات بعض المؤرخين والعلماء عنها فإنهم يعبرون عنها بهذا العنوان^(٢).

وقد عنونت هذه الرسالة بعناوين تختلف بترتيب ألفاظها، وبالألفاظ ذاتها وبالاختصار والطول، فمرة بعنوان: "ثلاثة الأصول"^(٣) وأخرى: "ثلاثة الأصول وأدلتها"^(٤) وثالثة: "الأصول

(١) انظر: الصبيب "ببليوجرافي" (الأصول الثلاثة، ص ٢٩).

(٢) انظر: "تاريخ ابن بشر" (طبعة مكة، ج ١ - ص ١٤).

(٣) انظر: "حاشية ثلاثة الأصول" الغلاف.

(٤) انظر: "المجموعة السعودية" تصحيح ابن حميد (ص ٢٢١).

الثلاثة وأدلتها"^(١) ورابعة: "الأصول الثلاثة الواجبة على كل مسلم ومسلمة"^(٢) وخامسة: "تلقين أصول العقيدة للامة"^(٣) وسادسة: "أصول الدين الإسلامي"^(٤) وسابعة: "مبادئ الإسلام"^(٥).

وهذه العناوين موضوعها واحد، وإن اختلفت محتوياتها طولاً وقصراً وبسطاً وإيجازاً.

يوجد لها مخطوطة تحت (رقم ٢٦٩ \ ٨٦) في المكتبة السعودية بالرياض، وتبدأ بعض نسخها ببيان الأصول الثلاثة بلا مقدمات، وبعض نسخها المطولة تبدأ بمقدمات قصار ثلاث مرتبطة، تستهل الأولى والثانية بقوله: "اعلم رحمك الله"، والثالثة بقوله: "اعلم أرشدك الله لطاعته".

"القواعد الأربع":

في تمييز المسلم من المشرك، مطولة ومختصرة، وأول المطولة: "أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركا أينما كنت...".

توجد مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض تحت (رقم ٢٦٩ \ ٨٦)، وبالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت

(١) انظر: "الأصول الثلاثة" الغلاف .

(٢) انظر: "مجموعة التوحيد" (ص ٢٦٢).

(٣) انظر: "مجموعة التوحيد" (ص ٢٥٧).

(٤) انظر: "أصول الدين" ترتيب الطيب، الغلاف .

(٥) انظر: "مبادئ الإسلام" الغلاف.

(١٤٢)، ورقم ١٦٣، مع المجموعة رقم ٢٩).

وهي مطبوعة متداولة في مجموعة التوحيد وغيرها.

كتاب "مسائل الجاهلية":

التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، يوجد مخطوطات بمكتبات خاصة^(١).

وهو مطبوع متداول بتعداد مختلف لهذه المسائل اختلافا سهلا في الزيادة والنقص، ولا يضر ذلك، لأن الكتاب صحيح النسبة إلى الشيخ، والزيادة والنقص إنما هو في تعداد المسائل، فبعض النساخ يجعل المسألتين والثلاث واحدة، والبعض الآخر يجعل لكل مسألة عدداً خاصاً؛ كما يفعل الشيخ الألوسي في الرابعة والخمسين والخامسة والخمسين وهكذا.

كتاب "مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد":

يوجد مخطوطا بالمكتبات الخاصة^(٢) وهو مطبوع متداول، وجعله جامع الدرر السنوية في أول جزء "حكم المرتد"، وما جعل له عنوانا.

(١) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤).

(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، هامش ص ٢٨٦ - ٢٩٤)، و "مجلة

البحث العلمي" (العدد الثاني عام ١٣٩٩ هـ، ص ٣٤١، والعدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ،

ص ٤٤١، وص ٤٤٤).

وابن غنام ذكر أن الشيخ أرسل هذا الكتاب لأهل العيننة، يبطل ما موه به سليمان بن عبد الوهاب في كتابه إليهم، وما جعل له عنوانا .

وكتاب " الكبائر ":

أوله: " كتاب الكبائر، وقول الله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَبُواْ كَبَابِرَ مَا تُهَوَّنْ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (١) الآية".

يوجد مخطوطا في ثلاث نسخ: مخطوطة مكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم، ومخطوطة محمد بن عبد اللطيف، ومخطوطة الحصين (٢) ونسخ أخرى (٣) وهو مطبوع متداول.

* "الخطب المنبرية" له ولبعض أحفاده:

هذا الكتاب مطبوع طبعت مختلفة، فطبعة أم القرى سنة (١٣٤٥ هـ) في (٨٣ ص)، وطبعة السلفية بلا تاريخ في (٩٠ + ٢ ص)، تحتوي على خمس وسبعين خطبة، وعنوانها: خطب إمام الدعوة الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأحفاده وبعض تلاميذه، وطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتحتوي على ثمان وثلاثين خطبة بعنوان الخطب المنبرية للشيخ محمد بن عبد الوهاب في (٦٦ ص).

(١) سورة النساء آية : ٣١.

(٢) انظر: (ص ٣ من كتاب الكبائر، طبعة رئاسة إدارات البحوث العلمية، وهامش ص ٣) من "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب الكبائر) .

(٣) "مجلة البحث العلمي" (العدد الثالث عام ١٤٠٠ هـ، ص ٤٤٢ - ٤٤٤).

كتاب بعنوان "هذه أحاديث في الفتن والحوادث التي أخبر النبي ﷺ أنها ستكون بعده جمعها محمد بن عبد الوهاب":

يوجد له مخطوطة في المكتبة السعودية بالرياض تحت (رقم ٥٢٥ \ ٨٦)، ذكر ناسخها أنه نقلها من خط المؤلف نفسه.

وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود لأول مرة ضمن مؤلفات الشيخ بتحقيق محمد محرز حسن سلامة وزميله في (٢٩١ صفحة)، ويذكر المحققان أن أصله المخطوط ضم أحاديث في موضوعات عدة بدون تبويب لها أو مراعاة لوحدة الموضوع، ولم يكن في أوله خطبة للكتاب، مما يغلب على الظن أنه كان مسودة في دور الإعداد، لم ينل حظه من التبويب أو التنسيق، وأنهما وضعها لها أبوابا تعين وحدة الموضوع، وأخرجها إخراجا حسنا ييسر الانتفاع بها... إلخ^(١).

"مختصر تفسير سورة الأنفال":

طبعته لأول مرة جامعة الإمام ضمن مؤلفات الشيخ ضمن ملحق المصنفات في (٢٨ صفحة) بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد من مخطوطة في مكتبة الأوقاف ببغداد، صورها مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة بمكة، ويظهر أنه مختصر من مجموعة تفاسير كابن كثير والطبري وابن الجوزي وغيرهما من تفاسير السلف الصالح^(٢).

(١) "مؤلفات الشيخ" (قسم الحديث، المجلد الثالث، ص ١٠).

(٢) انظر الصفحات: (١٠، ١١، ١٢) وما بعدها، طبعة جامعة الإمام.

كتاب بعنوان "هذه مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية":
أوله: " (١) إن قوله: ﴿ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ﴾ (٢) ؛ عام، خلافا لما عليه أكثر الشراح..."

وهو شامل لمسائل عديدة في التوحيد بجميع أنواعه، وفي الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه، وتبلغ هذه المسائل عدد مئة وخمس وثلاثين مسألة .
وهو أثر من آثار الشيخ، يبين لنا مدى تحصيل الشيخ العلمي ودراسته الجادة لمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتمائه الأكيد إلى مدرسته السلفية الجامعة للمعقول والمنقول ؛ كما هي روح الإسلام، فهو وثيقة تدل على مصدر عظيم من مصادر الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية.

ويوجد مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض برقم (٦٧٨ \ ٨٦)، وصورة من هذه المخطوطة في مكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ " (٣).

وقد طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود بمراجعة محمد بن عبد العزيز النمي وزميله في (١٩٩٩ صفحة) (٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، طبعة جامعة الإمام، ص ٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي (١) ، وسنن أبي داود : كتاب الطلاق (٢٢٠١) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد (٤٢٢٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، طبعة جامعة الإمام، ص ٩).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، طبعة جامعة الإمام، ص ٩).

"أربع قواعد تدور عليها الأحكام":

أولها: "قال الشيخ محمد رحمه الله: هذه أربع قواعد من قواعد الدين التي تدور الأحكام عليها..."

توجد مخطوطة ضمن مجموعة في المكتبة السعودية برقم (٨٦ / ٨٩)، قد طبعت ضمن "الدرر"، وضمن "مؤلفات الشيخ".

"مبحث الاجتهاد والاختلاف":

مختصر من كتاب "أعلام الموقعين" لابن القيم، (الجزء ٤ - ص ١١٩ - ١٦٢).

يوجد مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض تحت (رقم ٧٧٢ - ٨٨٦)، وقد طبعت ضمن "مؤلفات الشيخ".

"رسالة في إبطال وقف الجنف والإثم":

أولها: (هذه كلمات جواب الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والإثم، ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة، ثم نتكلم على الأدلة...).

طبعت بعنوان "فتوى لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مع مذكرة في قضية المحرومين لأحمد محمد شاكر"، طبعتها دار المعارف بالقاهرة، سنة (١٣٧٢ هـ)، وطبعت ضمن "روضة ابن غنام" (ج ١ - ص ١٢٤ - ١٣٨)، وضمن "مؤلفات الشيخ"، وطبعت أخرى^(١).

(١) انظر: الضبيب "آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب"، "سجل بيلوجرافي" (ص ١١١ -

وقد قام المسئولون بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع وطبع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره بمجموعة خاصة، انفردت بمؤلفات الشيخ فقط، وتميزت بذلك عن الجوامع الأخرى، وبسببها إلى طبع ونشر مؤلفات للشيخ لم تطبع من قبل. وعدد مجلدات هذه المجموعة التي سميت باسم "مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب" اثنا عشر مجلدا:

فالأول في العقيدة والآداب الإسلامية، مجلد واحد .

وخمس مجلدات في الحديث.

ومجلدان في الفقه.

ومجلد في التفسير و "مختصر زاد المعاد".

ومجلد في "مختصر سيرة الرسول ﷺ"، والفتاوى.

ومجلد في الرسائل الشخصية .

ومجلد في ملحق المصنفات.

فأما مجلد العقيدة والآداب الإسلامية، فهي القسم الأول، ويتضمن: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، والقواعد الأربع، وفضل الإسلام، وأصول الإيمان، وكتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ومجموعة رسائل في التوحيد والإيمان هي: مسائل الجاهلية، وشرح ستة مواضع من السيرة، وتفسير كلمة التوحيد، وتلقين أصول العقيدة للعامة، وثلاث مسائل، ومعنى الطاغوت، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، وبعض فوائد سورة

الفاحة، ونواقض الإسلام، ومسائل مستنبطة من قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١) وثمان حالات استنبطها الشيخ من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾^(٢) الآية، وستة أصول عظيمة مفيدة، ورسالة في توحيد العبادة، وكتاب الكبائر.

وأما مجلدات الحديث ؛ فهي تتضمن: مجموع الحديث في الأحكام على أبواب الفقه أربعة أجزاء، طبع لأول مرة في هذه المجموعة، وهو جيد مفيد واسع في ذكر الأحكام والآثار، ومجلدا في أحاديث الفتن والحوادث وأشراط الساعة وخروج الدجال وما جاء في المهدي ونزول عيسى عليه السلام وغير ذلك .

والمجلدان في الفقه ؛ فهما القسم الثاني: أحدهما: مختصر الإنصاف والشرح الكبير . والثاني: يتضمن نبذا في الأصول الفقهية، وكتاب الطهارة، وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وآداب المشي إلى الصلاة، وأحكام الصلاة، وأحكام تمني الموت، وأحوال الأرواح، والقبر والأهوال من السنة والآثر، وكان الأنسب أن يوضع في قسم الحديث، لأنه مجموعة أحاديث. ومجلد التفسير ومختصر زاد المعادة فهو القسم الرابع، في فضائل القرآن وتفسير آيات من القرآن الكريم من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، وهذا التفسير أشبه باستنباط فوائد من الآيات التي وقع عليها الاختيار، ويتضمن مختصر زاد المعاد في الهدي النبوي لابن القيم، اختصره الشيخ.

(١) سورة الجن آية : ١٨ .

(٢) سورة يونس آية : ١٠٤ .

ومجلد مختصر السيرة والفتاوى ؛ فهو القسم الثالث، يتضمن: مختصر سيرة الرسول ﷺ وفتاوى ومسائل للشيخ متفرقة.

ومجلد الرسائل الشخصية، فهي القسم الخامس، وتشتمل على رسائل الشيخ الشخصية في بيان عقيدته وحقيقة دعوته ورد ما ألصق به من التهم الباطلة، وبيان أنواع التوحيد، ومعنى لا إله إلا الله، وبيان ما يناقضها من الشرك في العبادة، وبيان الأشياء التي يكفر مرتكبها ويجب قتاله، والفرق بين فهم الحجة وقيام الحجة، وتوجيهات عامة للمسلمين في العقيدة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وآخر هذه المجلدات الاثني عشر مجلد ملحق المصنفات، يتضمن مسائل لخصها الشيخ من كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ومختصر تفسير سورة الأنفال، والرد على الرافضة، وبعض فوائد صلح الحديبية، والخطب المنبرية. هذا وقد قام بتصنيف لهذه المؤلفات وإعدادها للتصحيح الشيخ عبد العزيز بن زيد الرومي، والدكتور محمد بلتاجي، والدكتور سيد حجاب، وطبعت طبعة خاصة باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعد أن صححت وحققت بواسطة لجان علمية مكونة من العلماء المتخصصين ذوي الصلة الوثيقة بنوع وطبيعة ما يراجعونه من مؤلفات الشيخ ومن ذوي الخبرات في البحوث العلمية قدر الاستطاعة^(١).

(١) انظر: تقديم أمانة المؤتمر لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لـ "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص ٥ - ٦).

ولكن، عند تفقدي لمؤلفات الشيخ في هذه المجموعة القيمة لم أجد قليلا من آثار الشيخ ضمنها:

ك "مختصر تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين لابن القيم": وهذا يوجد مخطوطا بمكتبة الآثار العامة ببغداد تحت (رقم ٣٥١٧٩)^(١).

وكنبذ ومسائل ومسائل للشيخ هي موجودة في "الدرر السننية"، جمع ابن قاسم:

مثل "تفسير الاستعاذة"، وهي في "الدرر السننية" (ج ١٠ - ص ٣٥ - ٣٦).

و"تفسير أول سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢) والآيات"، وهي في "الدرر السننية" (ج ١٠ - ص ٣٩ - ٤٢، ج ١ - ص ٥٩ - ٦٢، ص ٧٨ - ٨٠، ص ٩٥ - ٩٩، ص ١٠٧، ص ١٠٢، ص ١٠٥).

و "مسائل في التوحيد" وهي في "الدرر السننية" (ج ٢ - ص ٣٨ - ٣٩، ص ٤٢ - ٤٦، ص ٥٠ - ٥٢، ص ٦٦، ج ٦ - ص ٤٩٥ - ٤٩٦، وج ٧ ص ٣٤٦-٣٤٧، وج ٨ - ص ٨٧).

وغير ذلك .

(١) "فهرس المصورات الميكروفيلمية" التابعة لمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية

الشريعة بجامعة أم القرى، (رقم ١٢٣).

(٢) سورة البقرة آية : ٢ .

ورسالة شخصية موجهة من الشيخ محمد إلى الشيخ عبد الله بن عيسى أولها: "من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى، وما ذكرت أن الحمولة زعلان من تلك الكلمة...."، وهي في "الدرر السننية" (ج ٧ - ص ٢٨ - ٢٩).

ورسائل في معنى لا إله إلا الله:

عنوان الأولى: "هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، وهي موجودة ضمن "الدرر السننية" (ج ٢ - ص ٥٢ - ٥٨).

والثانية أولها: "هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله"، وتوجد في "الدرر السننية" (ج ٢ - ص ٤٤ - ٤٨).

والثالثة بعنوان: "فرض معرفة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة والصوم"، وتوجد في "الدرر السننية" (ج ٢ - ص ٦١).

والرابعة: أن معنى لا إله إلا الله نفي وإثبات، تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع، وتوجد في "الدرر السننية" (ج ٢ - ص ٦٢).

والخامسة: "في كلمة التوحيد"، أولها: "اعلم أرشدك الله أن الله خلقك لعبادته"، وتوجد في "الدرر السننية" (ج ٢ - ص ٦٢ - ٦٥).

وجواب سؤال عن معنى أبيات أولها: "أول واجب على الإنسان معرفة الإله باستيقان"، وتوجد في "الدرر السننية" (ج ١ - ص ٦٩ - ٦٩).

(٧١)، وغير ذلك قليل.

ورسالة في التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح واتباع الدليل للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهي موجودة في "روضة ابن غنام" (ج ١ \ ص ٤٢ - ٤٦)، وهي مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان بالمغرب الأقصى، ونقلت صورة عن صورتها من الشيخ حماد الأنصاري .

وحصل في التصنيف قليل من الخطأ الفني ث كوضع كتاب "أحكام تمني الموت" - وهو عبارة عن مجموع أحاديث - في قسم الفقه. وكتكرار بعض آثار الشيخ:

كما وقع تكرار نبذة في اتباع النصوص، طبعته في (القسم الثاني \ الفقه \ المجلد الثاني \ ص ٣)، ثم كررت في (القسم الثالث \ الفتاوى \ ص ٩٧).

وما يوجد في (القسم الثاني \ الفقه \ المجلد الثاني \ ص ١١ - ١٢)، هو مكرر في (القسم الثالث \ الفتاوى \ في ص ٢٧ - ٤٠).

وكما وقع في تفسير سورة طه من (ص ٢٦٣-٢٦٨ في القسم الرابع)، هو بعينه الذي وقع في (القسم الثالث \ الفتاوى \ ص ٧٥ - ٧٩) .

وفي تفسير سورة هود من (ص ١٢٠-١٢٣ في القسم الرابع) هو بعينه الذي وقع في (القسم الثالث \ الفتاوى \ ص ٥ - ٨). وغير ذلك قليل.

ولم ينفرد شيء من المراجع الأخرى كـ "تاريخ ابن غنام" و"مجموعتي التوحيد والحديث" و"مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" بأجزائها الأربعة بذكر شيء من مؤلفات الشيخ ليس في مجموعتي "الدرر السنية" و "مؤلفات الشيخ"، وهما أشمل ما ظهر حتى الآن من مجاميع لمؤلفاته. تحقيق نسبه بعض الرسائل الشخصية من آثار الشيخ محمد ابن عبد الوهاب

يقول الدكتور عبد الله العثيمين: إن بعض الرسائل المضافة إلى ما ورد في "تاريخ ابن غنام" ليس فيها ما يرجح كونها من رسائل الشيخ نفسه، ويمثل بالرسالة التي أرسلها الشيخ إلى عالم من أهل المدينة، والرسالة التي بعثها الشيخ إلى عبد الله الصنعاني، والرسالة التي بعثها الشيخ إلى أهل المغرب، ورسالة رابعة جواب من الشيخ عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه. فيقول عن الأولى التي أرسلها الشيخ إلى عالم من أهل المدينة بأنها لم ترد إلا في "الدرر السنية"، ولم يذكر اسم العالم الذي أرسلت إليه، ولم ينص فيها أنها من الشيخ كما هي عادته؛ حيث يبدأ رسائله بعبارته: من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان.

وقال عن الثانية التي بعثها الشيخ إلى عبد الله الصنعاني مثلما قال عن الأولى، وزاد بأن فيها شبيها كبيرا بأجزاء من الرسالة التي كتبها عبد الله بن الشيخ محمد عند دخوله مكة المكرمة مع سعود بن عبد

العزیز من حیث الأسلوب والمضمون، ففعل فی هذا ما یرجح أن الذی کتب الرسالة إلى الصنعانی هو الشیخ عبد الله بن محمد ولس أباه.

وقال عن الثالثة الی بعثها الشیخ إلى أهل المغرب: إنه من الواضح عدم رجحان کونها له؛ لانفراد صاحب "الدرر السنیة" بإیرادها، وعدم النص فیها علی اسم مرسلها، ولأنه من غیر المحتمل أن یكون اهتمام زعماء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل استیلائهم علی الحجاز ملتقى الوافدين إلى بیت الله الحرام، وأن هذه الرسالة قد شاعت فی تونس زمن البای حمودة باشا، وقد ذكرت المصادر التونسیة وصولها إلى فلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور الی قام بها سعود ابن عبد العزیز فی الحجاز، وهذا یتلاءم مع القول بأن الاهتمام بالمغرب ناتج عن الوجود السعودی فی الحجاز، وعلی هذا الأساس؛ فإنه من المحتمل جدا أن تكون هذه الرسالة أيضا من كتابة الشیخ عبد الله بن محمد.

وكان الدكتور العثیمین قد قال عنها فی كتابه عن الشیخ: "والحقیقة أن هذه الرسالة كانت من الإمام سعود بن عبد العزیز إلى قادة المغرب بعد استیلائه علی الحجاز، وقد لقیة رسالة سعود هذه نوعا من التأيید فی المغرب الأقصى، لكنها لقیة معارضة فی تونس". "الشیخ محمد بن عبد الوهاب حیاته وفكره" للدكتور عبد الله العثیمین (ص ۹۹).

وقال عن الرابعة- وهي جواب الشیخ عن كتاب لم یقف علی اسم كاتبه-: إنه ورد فیها ما یشیر انتباه الباحث، ذلك أنه ورد فیها ما

يشير إلى أنها قد كتبت وعبد الله المويس لا يزال حيا، لكن ورد فيها ما نصه: " فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟! " ؛ قال: ولو فرض أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد حوالي سنة (١١٤٥ هـ) فإن الرسالة حسب العبارة السابقة تكون قد كتبت خطيا سنة (١١٨٥ هـ) تقريبا، ومن المعروف أن المويس قد توفي قبل هذا التاريخ بعشر سنين.

انتهى ما لخصته من ملاحظات الدكتور العثيمين على صحة ما ينسب للشيخ من بعض الرسائل الشخصية^(١).

والجواب عن هذه الملاحظات هو أن دعوى انفراد صاحب " الدرر السنية" - وهو الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - بإيرادها دعوى لا تتم، لا سيما وأنه جمع مجموع " الدرر السنية" عن مجموعات مشايخه: الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، وأعانه على ذلك الجمع شيخه محمد بن إبراهيم تحريرا وتهديا وإعادة وإبداء، وقرأ أكثره على شيخه محمد بن عبد اللطيف، وعلى شيخه سعد بن حمد ابن عتيق^(٢) فهو في " الدرر السنية " لم ينفرد بشيء، وإنما أثبت فيها ما وافق عليه عدد من العلماء كما ذكرنا أسماءهم، وقامت دار الإفتاء

(١) انظر بحثا بعنوان "الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب"، من إعداد الدكتور عبد

الله بن صالح العثيمين ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد

بن سعود لسنة ١٤٠٠ هـ، (ص ١ - ٥).

(٢) انظر: " الدرر السنية" (١ / ٢٠ - ٢١).

بطبع هذه "الدرر السنينة" مرتين، وتوزع على طلبة العلم من غير نكير، بل تقابل بالاستحسان والقبول .

ثم إن الدكتور العثيمين لم يبين لنا في الشيخ عبد الرحمن بن قاسم شيئاً يجعلنا نتوقف فيما ينفرد به لو حصل ذلك الانفراد، والذي نعلمه عن ابن قاسم أنه موثوق لدى علماء الدعوة وغيرهم ممن عاصره ولقيه وعرفه، فتبين بذلك أن قول الدكتور العثيمين بأن صاحب "الدرر السنينة" انفرد فيما لم يذكر في غيرها غير صحيح، وكذلك إضعافه صحة نسبة ما ينفرد به لو كان ذلك، فإن صاحب "الدرر" رجل موثوق.

وأما ما يفهم عن الدكتور العثيمين بأن الرسالة التي لم يذكر فيها اسم من أرسلت إليه، ولم ينص فيها أنها من الشيخ كما هي عادته، حيث يبدأ رسائله بعبارة: من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان ؛ أنه يتوقف في نسبتها إلى الشيخ ؛ فهذا لا يثير أدنى شك في نسبتها ما دامت تنسب إليه ؛ لأن عدم ذكر اسم من أرسلت إليه وعدم النص فيها من محمد بن عبد الوهاب لا يعني أن الشيخ لم يكتبها ويرسلها مفتوحة لينتفع بها العموم، ويجوز أن اسم المرسل والمرسل إليه حذفاً لدفع مفسدة ونحو ذلك بعد أن انتهى الغرض من ذكرهما .

وأما حكاية الشبه بين ما يكتبه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وما ينسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب من الرسالة إلى أهل المغرب، وأن هذا الشبه يشكك في النسبة، فإن الأمر بالعكس، وهو أن هذا الشبه يؤكد النسبة ؛ فالشيخ عبد الله هو ابن الشيخ محمد وتلميذه والآخذ عنه ؛ فلم لا يشبه أباه في كل من أسلوبه ومضمونه؟

أما قطع الدكتور بعدم احتمال أن يهتم الشيخ بالمغرب وغيره من بلاد المسلمين قبل الحجاز، فقد كانت بداية دعوة الشيخ في غير الحجاز، وكانت دعوته صالحة للجميع كيفما اتفق، من غير ترتيب بلد على بلد، أو جماعة دون أخرى؛ لأن الشأن هو قبولها، ولقد كان قبول دعوة الرسول - ﷺ في الضعفاء قبل الأشراف، ومن المدينة قبل مكة، وهذا ما يجعل الشيخ غير آبه بترتيب قطر على قطر، وإنما الذي يهمه أن يقبل منه.

وكون رسالة الشيخ إلى أهل المغرب شاعت في تونس زمن الباي حمودة باشا، وكون المصادر التونسية. ذكرت وصولها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التي قام بها سعود في الحجاز؛ فهذا لا يدل على أن الشيخ لم يكن قد كتبها وأرسلها إلى أهل المغرب في زمنه، وكونها لم تنتشر في تونس إلا متأخرة وبعد قيام الأمور السعودية في الحجاز؛ لا يثير الاستغراب، ولا يقدرح في نسبتها للشيخ، لأنه أمر طبيعي؛ فالناس يشيع بينهم أثر من عظم شأنه، ولو بعد وفاته بزمن طويل.

وقول الدكتور العثيمين: "والحقيقة أن هذه الرسالة كانت من الإمام سعود"؛ قول لم يحقق بأدلة كافية في الوصول إلى هذه الحقيقة ومخالفة الحقيقة المذكورة.

وما ذكره الدكتور العثيمين عن إجابة الشيخ على كتاب لم يقف على اسم كاتبه بأنه ورد فيها ما يدل على أنها كتبت والمويس لا يزال حيا، ثم ورد فيها ما يدل على أنها كتبت بعد وفاة المويس؛ فهذا غير

صحيح ؛ لأن ما ورد فيها من قوله: " فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟! " لا يدل على أن الرسالة كتبت بعد وفاة المويس حسبما استنتجه العثيمين ؛ بناء على حسابه أن سباب المويس للدين إنما بدأ حين بدأت دعوة الشيخ حوالي سنة (١١٤٥ هـ) ، والمويس مات سنة (١١٧٥ هـ) قبل تمام الأربعين ، فإن ما ورد من قول الشيخ في ذلك الجواب يعني المويس: " فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟! " لا يعني أن حساب الأربعين سنة ابتداء منذ بدء دعوة الشيخ ، بل ابتداء قبل ذلك ، ثم إن الشيخ كان قد ظهر له فساد ما عليه أكثر أهل عصره من علماء السوء وغيرهم منذ كان في العيينة ؛ أي: قبل سنة (١١٣٥ هـ) .

وبهذا يندفع ما أورده الدكتور العثيمين من ملاحظات اعتراضية حول صحة نسبة بعض الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

تحقيق نسبة رسالة في مبحث الاجتهاد والتقليد للشيخ:

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين كذلك: " وقد أظهر البحث أنها جزء من كتاب الإمام ابن قيم الجوزية "أعلام الموقعين" ؛ أي أنها نسبت إلى الشيخ وليست من عمله " (١) .

ولكن للشيخ أثره الواضح في اختصارها ، يتبين بأول مقارنة بينها

(١) " الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره " للدكتور عبد الله العثيمين (ص ٩٩) .

وبين أصلها في الكتاب المذكور، ومن المعلوم أن اختصار المطول غرض من أغراض التأليف ونوع منه، فلا وجه للاعتراض على نسبتها مختصرة من آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعدمة الفطنة إلى عمل الشيخ فيها.

تحقيق أن كتاب "أحكام تمنى الموت" ليس من مؤلفات الشيخ:

هو مجموعة أحاديث تتناول أموراً تتعلق بالموت والقبر وحالة الأرواح المقبوضة في البرزخ، ليست مبنية بعناوين، سوى الفهرس الذي هو من عمل المصحح، ويظهر أنه اختصار لكتاب "الروح" لابن قيم الجوزية، بل كتاب "شروح الصدور بشرح حال الموتى والقبور" للسيوطي.

أوله: "الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم، عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ..."^(١)

قال الشيخ صالح الفوزان: "ويشتمل الكتاب على أشياء تتعارض مع ما نقل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه، مثل الكلام في الروح، وتلقين الميت بعد الدفن، والقراءة على القبور، حيث إن الشيخ وتلاميذه يعتبرون هذه الأشياء من البدع المحرمة"^(٢).

(١) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٠).

(٢) إبطال نسبة كتاب أحكام تمنى الموت (ص ١٩، ٢٠).

طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لأول مرة عن نسخة مصورة من مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض برقم (١٧٧١ \ ٩٦) بتصحيح ومقابلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد السدحان وزميله، ضمن مؤلفات الشيخ، بقسم الفقه في (٧٨ صفحة).

ويذكر الدكتور العثيمين أنه يوجد له مخطوط في مكتبة لايدن بهولندا تحت رقم (٢٤٩٧)^(١).

وقد صنفه المصنفون في قسم الفقه، وهو عبارة عن مجموعة أحاديث في أمور تتعلق بالموت وما بعده إلى البرزخ!

وقد صدرت دراسة قيمة كتبها الشيخ صالح بن فوزان في رسالة صغيرة، طبعتها دار ابن خزيمة بالرياض للنشر والتوزيع عام (١٤١٢ هـ)، وقد أثبت فضيلته في هذه الدراسة عدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإنما التبس الأمر على من نسبها من جامعة الإمام بسبب ما ورد على ظهر المخطوطة بأنها كتبت بخط الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد بادرت جامعة الإمام محمد بن سعود بإصدار هذه الدراسة بيانا لحقيقة الأمر، وأن كتاب "أحكام تمنى الموت" ليس من مؤلفات الشيخ؛ فلا تسمح لأحد بالاحتجاج بما وقع من الخطأ^(٢).

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره" (ص ٩٣ - ٩٤).

(٢) انظر: "إبطال نسبة كتاب أحكام تمنى الموت إلى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب" لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء.

تحقيق أن كتاب "نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين" ليس
من مؤلفات الشيخ:

أما هذا الكتاب ؛ فقد نسبته الدكتور العثيمين للشيخ^(١) ؛ لأنه طبع
منسوباً إلى الشيخ ضمن مجموعة الحديث النجدية طبعة المنار والسلفية
وقطر، ويذكر من مؤلفات الشيخ كما في السجل البيبليوغرافي الذي عمله
الدكتور أحمد محمد الضبيب، وفي غيره كثير.

لكنه لم يطبع ضمن مجموعة جامعة الإمام محمد بن سعود لمؤلفات
الشيخ، وقد حقق نسبه الشيخ إسماعيل الأنصاري، فذكر أنه نص (كتاب
الأدب) من "مشكاة المصابيح" للخطيب العمري التبريزي، وأيد تحقيقه
هذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بجوابه له، وأنقل منه ما يختص بذلك
بنصه:

" نعيد إليكم تحقيقكم الجيد عن كتاب نصيحة المسلمين، ونفيدكم أنه
قد اتضح لنا من هذا التحقيق المرفق أن كتاب النصيحة الموجود في مجموعة
الحديث النجدية ليس من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه
الله، بل هو قطعة من "المشكاة" كما ذكرتم، وضعها بعض تلاميذه أو بعض
طلاب العلم عن حسن قصد ضمن المجموعة (يعني: كتاب مجموعة الحديث
النجديه) لقصد الفائدة " اهـ. ويمكن أن بعض أحفاد الشيخ وجده بخط
الشيخ، فظن أنه له .

(١) انظر: "إبطال نسبة كتاب أحكام تمني الموت إلى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب"

لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء (ص ٩٢) .

وكذلك رسالة في انواع التوحيد وأنواع الشرك والكفر:

وأولها: "الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى...".
نسبت للشيخ محمد بن عبد الوهاب في "مجموعة التوحيد" (ط الهند، ص ٢ - ٥)، و (ط مكة، ص ٩ - ١١)، و (ط دمشق، ص ٣ - ٩)،
وفي " الدرر السنية " (ج ١٢ - ٣٤ - ٣٧)، وفي "مؤلف الرويشد" (ج ١٢ - ٣٠ - ٣٥)، وفي "السجل البليوغرافي لمؤلفات الشيخ وآثاره" الذي أعده
الدكتور أحمد الضبيب .

ولكنها نسبت للشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ ضمن "مجموعة التوحيد" (ط. السلفية بمصر) وهي طبعة محققة، وقد قررت ضمن مقرر التوحيد للسنة الخامسة الابتدائية في معارف المملكة العربية السعودية بعنوان: "الرسالة المفيدة المهمة الجليلة للشيخ عبد الرحمن بن حسن"، قام بطبعها عمر عبد الجبار، ولم تذكر ضمن مؤلفات الشيخ التي قامت بجمعها وطبعها جامعة الإمام محمد ابن سعود.

ولذا؛ فمن المحتمل أنها من مؤلفات حفيده الشيخ عبد الرحمن ابن حسن.

وكذلك رسالة جوايبه بعنوان: "أوثق عرى الإيمان":

أولها: " الحمد لله رب العالمين، اعلم أولا أيديك الله تعالى بتوفيقه أن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله... ".

توجد في "مجموعة التوحيد" (ط. دمشق، ص ١٥٨ - ١٧٨) منسوبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وتوجد في "مجموعة التوحيد" (ط. السلفية، ص ٣٦٦ - ٣٧٦) منسوبة لحفيده سليمان بن عبد الله ابن الشيخ.

والتحقيق أنها ليست للشيخ محمد، بدليل ما ورد من استشهاد مؤلفها بما عزاه للشيخ محمد في نفس هذه الرسالة الجوابية في (ص ١٦٩) مق المجموعة المشتملة عليها (ط. دمشق)، وفي (ص ٣٧١ من ط. السلفية)، ونصه: "قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب... إلخ".

وفاته :

وفي عام ست ومئتين وألف من هجرة المصطفى ﷺ توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . قال ابن غنام: "كان ابتداء المرض به في شوال، ثم كانت وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر"^(١). وكذا قال عبد الرحمن بن قاسم^(٢).

أما ابن بشر؛ فيقول: "كانت وفاته آخر ذي القعدة من السنة المذكورة"^(٣).

(١) "روضة ابن غنام" (٢ / ١٥٤) .

(٢) "الدرر السنية" (١٢ / ٢٠) .

(٣) "عنوان المجد ... " (١ / ٩٥) .

وقول ابن غنام أرجح ؛ لتقدمه في الزمن على ابن بشر، ومعاصرته للشيخ، وشهوده زمن وفاته، وتدوينه لتاريخه، وقد رثاه، وابن بشر ينقل عن ابن غنام ؛ فلعله نقل ذلك وسها في نقله، والأمر سهل .
ولقد كان للشيخ من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة، على اعتبار أن ولادته كانت في سنة خمس عشرة ومئة وألف من الهجرة.

وتوفي ولم يخلف دينارا ولا درهما، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم^(١).

وقد رثاه الشعراء، وأثنى عليه العلماء.

قال ابن قاسم عن يوم جنازته: "وكان يوما مشهودا، وتزاحم الناس على سريره، وصلوا عليه في بلدة الدرعية، وخرج الناس مع جنازته ؛ الكبير والصغير"^(٢).

قال الإمام أحمد: "قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز"^(٣).

(١) "روضة ابن غنام" (٢ / ١٥٥) .

(٢) "الدرر السننية" (١٢ / ٢٠) .

(٣) نقل ذلك الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أحمد في مؤلفه "تاريخ الإسلام" التي أفردتها منه أحمد محمد شاكر ونشرها في جزء خاص (ص ٨١)، وقال ابن كثير: "وقد صدق الله قول أحمد في هذا". "البداية والنهاية" (ج ١٠ / ٣٤٢) ؛ يعني: كثرة مشيعي جنازة أحمد وعدم احتفال أحد بموت عيون مخالفيه كابن أبي دواد - وهو رئيس قضاة الدنيا-، والمريسي، وغيرهما.

ثناء العلماء ورثاؤهم :

قال الشيخ عبد الله البسام: " وقد رثاه الشعراء، وأثنى عليه العلماء، وتداول الرسائل فيه المسلمون"^(١).

وهذا صحيح، ولو ذهبنا نذكر ذلك، لطال المبحث، ولكن نكتفي ببعضه:

ولعل مرثية تلميذه ومؤرخه الشيخ حسين بن غنام خير ما يرسم لنا مشاعر الجمهور الكبير الذي شيع جنازته، ومشاعر المسلمون حوله لما أصيبوا بموته، ورحيله عن أتباعه وتلاميذه والآخذين عنه، فنوردها لذلك.

قال ابن غنام يرثيه :

إلى الله في كشف الشدائد نفع لقد	وليس إلى غير المهيمن مفرع فسالت
كسفت شمس المعارف والهدى إمام	دماء في الحدود وأدمع وطاف بهم
أصيب الناس طرا بفقده وأظلم أرجاء	خطب من البين موجه وحل بهم كرب
البلاد لموته شهاب هوى من أفقه وسمائه	من الحزن مقطع ونجم ثوى في الترب
وكوكب سعد مستنير سناؤه وصبح	واراه بلقع ^(٢) وبدر له في منزل اليمن
تبدى للأنام ضياؤه لقد غاض بحر العلم	مطلع فداجي الديداجي بعده متقشع
والفهم والندى	وقد كان فيه للبرية مرتع

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١ / ٤٤).

(٢) (البلقع): الأرض القفر التي لا شيء بها.

فأسماعهم للحق تصغى وتسمع
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقه
لقد رفع المولى به رتبة الهدى
أبان له من لمعة الحق لمحة
سقاها نخير الفهم مولاه فارتوى
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه
فأنوار صبح الحق باد سناؤها
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها
وشمر في منهاج سنة أحمد
وينفي الأعداء من حماه وسوحه
ي ناظر بالآيات والسنة التي
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها
وعاد به نهج الغواية طامسا
وجرت به نجد ذيول افتخارها
فآثاره فيها سوا م^(٥) سوافر

فأسماعهم للحق تصغى وتسمع
حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
بوقت به يعلى الضلال ويرفع
أزبل بما عنه حجاب ويرقع
وعام بتيار المعارف يقطع
وأقوى به من مظلم الشرك مهيع^(١)
ومصباحه عال ورياه ضيع^(٢)
سواه ولا حاذاه فيها سميدع^(٣)
يشيد ويحي ما تعفى ويرقع
ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
أمرنا إليها في التنازع نرجع
وأسمى محياها يضيء ويلمع
وقد كان مسلوكا به الناس تربيع^(٤)
وحق لها بالألمعي ترفع
وأنواره فيها تضيء وتسطع

(١) (أقوى): مبني للمجهول، ومعناه: أقفره وأخلاه. و (مهيع): طريق بين، والمعنى أن الشيخ

رحمه الله بسببه أقفر وأخلى طريق الشرك المظلم ؛ فلا يسلك.

(٢) ضيع على وزن صيب، من ضاع المسك ؛ أي: تحرك ؛ فانتشرت رائحته.

(٣) (السميدع) ؛ بفتح السين: السيد الموطأ للأكناف.

(٤) (تربيع) ؛ أي: تحل وتنزل.

(٥) (سوا م) ؛ أي: علامات يهتدي بها .

لقد وجد الإسلام يوم فراقه
وطاش ذوو الأحلام والفضل والنهى
وطارت قلوب المسلمين بيومه
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا
وفاضت عيون واستهلت مدامع
بكتة ذوو الحاجات يوم فراقه
فما لي أرى الأبصار يقلص دمعها
وما لي أرى الألباب تبدي قساوة
لقد غدرت عين تضمن بمائها
يحق لأرواح الخبين أن ترى
وتتلوا سريرا فوقه قمر الهدى
فما بالها قرت بأشباح أهلها
فيا لك من قبر حوى الزهد والتقى
لئن كان في الدنيا له القبر موضع
سقى قبره من هاطل العفو ديمة^(٣)
وأسكنه بمجوحة الفوز والرضا

مصابا خشينا بعده يتصدع
وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وظنوا به أن القيامة تفرع
وكادت قلوب بعده تنفجع
يخالطها مزج من الدم يهمع
وأهل الهدى والحق والدين أجمع
وليست على فقدها تهمي وتدمع
وليست على ذكره يوما توجع
عليه وكبد قد أبت لا تقطع
مقوضة لما خلت منه أربع
وشمس المعالي والعلوم تشيع
ولم تك في يوم الوداع تودع
وحل به طود من العلم مترع^(١)
فيوم الجزا يرجى له الخلد موضع
وباكره سحب من البر تهمع
ولا زال بالرضوان فيها يمتع^(٢)

(١) المعنى: حل بالقبر طود مترع من العلم. و (الطود): الجبل العظيم، و(المترع): الملائن.

(٢) "روضة ابن غنام" (٢/ ١٥٥، ١٥٦)، و"تاريخ ابن بشر" (١/ ٩٥ - ٩٦).

(٣) (الديمة): المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، أقله ثلث النهار أو ثلث الليل، وأكثره ما بلغ من العدة "مختار الصحاح".

وهناك مرثية لمحمد بن علي الشوكاني قاضي صنعاء، والعالم المشهور، يرثي بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهي مرثية بليغة مؤثرة، تبلغ أكثر من مئة بيت، وتعتبر من أصدق ما يصور مشاعر علماء أهل السنة، سيما الذين ليسوا داخل سلطان دولة الدعوة، وأفصحوا عن مشاعرهم وآرائهم من مكان بعيد عن المجاملة والمداراة، لا سيما بعد الموت، والله أعلم.

ونورد من هذه المرثية بعضا نكتفي به عن طولها؛ قال رحمه الله:
مصاب دها قلبي. فأذكى غلائي وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلي

إلى أن قال:

مصاب به ذابت حشاشة مهجتي وعن حمله قد كل متني وكاهلي

إلى أن قال:

مصاب به الدنيا قد اغبر وجهها وقد شمخت أعلام قوم أسافل

إلى أن قال:

به هد ركن الدين وانبت حبله وشيد بناء الغي مع كل باطل
وقام على الإسلام جهرا وأهله نعيق غراب بالمدلة هائل
وسيم منار الإتياع لأحمد هوان انهدام جاء من كل جاهل
وهبت ل نار الإبتداع سمائم بسم لنفس الدين مرد وقاتل

إلى أن قال:

فقد مات طود العلم قطب رحى العلا
وماتت علوم الدين طرا بموته
إمام الهدى ماحي الردى قامع العدا
ومركز أدواء الفحول الأفاضل
وغيب وجه الحق تحت الجنادل
ومروى الصدى من فيض علم ونائل

إلى أن قال:

إمام السورى علامة العصر قدوتي
محمد ذو المجد الذي عز دركه
إلى عابد الوهاب يعزى وإنه
وشيوخ الشيخ الحبر فرد الفضائل
وجل مقاما عن لحوق المطاول
ساللة أنجاب زكي الخصائل

إلى أن قال:

لقد أشرفت نجد بنور ضيائه
وقام مقامات الهدى بالدلائل

إلى أن قال:

ولم يأل جهدا في نصيحة مسلم
يجازي بإحسان إسائة غيره
تقمص بالتقوى وبالخشية ارتدى
ومن شأنه قمع الضلال ونصره
برأي وتديبر وحسن تعامل
وبالجاه عن مستوجه غير باخل
ولم يمض منه العمر في غير طائل
لمن كان مظلوما وليس بخاذل

إلى أن قال:

فقيم استباح أهل الضلال لعرضه
وليس له شيء عن الله شاغل
فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزا
ولا كان للتوحيد واضح لاحب
وما نكست أعلامه بالأراذل
ولا عن وصال الإعتبار بغافل
ولا اشتد للإسلام ركن المعائل
يقيم اعوجاج السير من كل عادل

فما هو إلا قائم في زمانه مقام نبي في إمامة باطل

إلى أن قال:

وآها على تحقيقه في دروسه
فمن للبخاري بعده ولمسلم
ومن ذا لتفسير الكتاب ومن ترى
ومن لمسانيد سميت ومعاجم
ومن للمعاني والبيان ومنطق
ومن لك بالأصلين واللغة التي
ومن بعده للصدع بالحق قائم
أفق يا معيب الشيخ ماذا تعيبه
نعم ذنبه التقليد قد جذ حبله
ولما دعا لله في الخلق صارخا
أفيقوا أفيقوا إنه ليس داعيا
دعا لكتاب الله والسنة التي

وتوضيحه للمعضلات المشاكل
يبين المخبا منهما للمحاول
لأحكام فقه الدين من الرسائل
وكشف لثام الحكم عند النوازل
وردع أخي الجهل الغوي الجادل
بها أنزل القرآن أشرف نازل
يجد ولا يخشى ملامة عاذل
لقد عبت حقا وارتحلت باطل
وفل التعصب بالسيف الصواقل
صرختم له بالقذف مثل الزواجل
إلى دين آباء له وقبائل
أتانا بها طه النبي خير قائل

إلى أن قال يخاطب أولاد الشيخ وآل سعود:

فيا سائر الأولاد للشيخ إنني
وأوصيكم بالصبر طرا وبالرضا
بتسليم أمر الله ثم احتساب ما
أعزيكم مع ذي انتساب ابن وائل
بجاري القضا في عاجل ثم آجل
لديه تعالى من أجور جزائل

إلى أن قال يخاطبهم:

وأنتم بحمد الله عنه خلائف
بعلم وفضل شامخ القدر شامل

وإنا لندرجوا أن تكونوا أئمة
وللخير والإحسان من كل وجهة
بكم يقتدي في دينه كل فاضل
تحث إليكم مضمرات الرواحل

إلى أن قال:

عليكم سلام الله ما هب ناسم
وأوفى الثنا مني عليكم مكررا
وأضعافها للمقربين فكلهم
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم
لقد جاهدوا في الله حق جهاده
وجمل زاكي ذكركم كل عاطل
وأزكى تحيات سوام كوامل
هداة الورى من محتدي فرع وائل
جميع بني الدنيا فما للمجادل
إلى أن أقاموا بالظبا كل مائل

إلى أن ختمها بقوله:

وأزكى صلاة الله ثم سلامه
محمد المختار من فرع هاشم
على المصطفى الهادي كريم الشمانل
وآل وأصحاب كرام أفاضل

وتبلغ أكثر من مئة بيت^(١).

رحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجزاه خيرا عن الإسلام
والمسلمين، وإنه شيخ الإسلام وإمام المسلمين من بعده بحق .

(١) "الدرر السنينة" (١٢ / ٢٠ - ٢٤)، "تذكرة أولي النهى والعرفان" لإبراهيم ابن عبيد (١ / ٥٠ - ٥٤)، وانظر: "أثر الدعوة الوهابية ... " لمحمد حامد الفقي، (ص ٧٨ - ٨٠)، و"الشعر يواكب الدعوة" لعبد الله بن خميس؛ بحث قدمه إلى أسبوع الشيخ (ص ٢)، و "الإمام الشوكاني مفسرا" رسالة دكتوراه أعدها محمد حسين الغماري بجامعة أم القرى (ص ٣٢) .

الباب الأول

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: في بيان منهج الشيخ في عقيدته ودعوته .
- الفصل الثاني: في مجمل عقيدته.
- الفصل الثالث: عقيدة الشيخ في التوحيد.
- الفصل الرابع: عقيدة الشيخ في نقيض العقيدة أو نقيض كمالها .

الفصل الأول

بيان منهج الشيخ رحمه الله تعالى في عقيدته ودعوته

توطئة:

لعل من المناسب هنا أن أمهد بذكر نبذة من منهج السلف الصالح في اعتقادهم السليم، وعلمهم النافع، وعملهم الصالح، والأصول التي يعتمدون عليها في ذلك ويرجعون إليها عند الاختلاف؛ حتى نرى على ضوءها منهج الشيخ رحمه الله تعالى، ونعلم أنه منهج السلف الصالح، وأن الشيخ متبع غير مبتدع، ناهج منهج العلماء المجددين المنصورين، ولم يأت بشيء من الدين ليس على منهج الأوائل المصلحين .

يذهب السلف الصالح رضي الله عنهم إلى أن أصل أصول العلم والهدى هو الوحي إلى النبي ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده ولا رسول.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ

بَعْدِهِ ۗ ﴾ (١) .

(١) سورة النساء آية : ١٦٣ .

وقال رسول الله وخاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ ﴿ مَا مِنْ أَنْبِيَاءَ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ آيَاتٍ مَا مِثْلُهُ أَوْ مِنْ (أَوْ آمَنَ) عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ؛ فَأَرْجُو أَنِي أَكْثَرُهُمْ تَابَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١)(٢) .

والوحي يشمل القرآن الكريم والسنة الشريفة.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ أَهْوَىٰ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٣).

ولذا- والله أعلم- بدأ الإمام البخاري " صحيحه " بذكر الوحي، وكيف كان بدؤه إلى رسول الله ﷺ. ونورد من هذا الوحي آيات وأحاديث تستمد منها أصول العقيدة السليمة:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٤) .

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٧٤).

(٢) رواه البخاري في "صحيحه" في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "بعثت بجوامع الكلم"، ج ٨، ص ١٣٨، وفي كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي، ج ٥، ص ٩٧). ورواه مسلم في "صحيحه" (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته). ورواه الإمام أحمد في "مسنده" عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢/ ٣٤١، ٤٥١)، واللفظ هنا للبخاري رحمهم الله تعالى.

(٣) سورة النجم آية : ٣.

(٤) سورة سبأ آية : ٦.

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٤).

(١) سورة الرعد آية : ١٩ .

(٢) سورة إبراهيم آية : ١ .

(٣) سورة الجمعة آية : ٢ .

(٤) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

وفي "صحيح البخاري" في (كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى)^(١) ورواه في مواضع أخرى من "صحيحه"، وفي "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام)^(٢)؛ عن ابن عباس؛ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن؛ قال له: ﴿إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ؛ تَتَّخِذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ، فَتَرُدُّ عَلَى فُقَيْرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ؛ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كِرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾^(٣). واللفظ للبخاري.

وفي "صحيح البخاري" في (كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ﴿مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمِثْلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا: فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبْلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسُكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَهَّمَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ﴾^(٤)(١).

(١) (ج ٨ / ١٦٤).

(٢) 1/ 50).

(٣) صحيح البخاري: كتاب التوحيد (٧٣٧٢).

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم (٧٩).

ورواه مسلم في "صحيحه"^(٢) في (كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم).

ورواه الإمام أحمد في "المسند"^(٣).

ما يبني على ذلك من أصول العلم

ويبني على ذلك من أصول العلم ما يلي:

١- أن الذين أوتوا العلم يرون أن الله تعالى بعث محمدا ﷺ رسولا يدعو إليه بإذنه جميع الثقلين؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، بعثه الله بالهدى ودين الحق الكامل الذي تمت به نعمة الله ورضيه دينا إلى قيام الساعة؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، وسراجا منيرا، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .

ويجب على الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم وعقيدتهم إلى ما بعث الله به رسوله وأنزله عليه من الكتاب والحكمة والسنة، بلا حرج ولا تردد ولا توقف، فمن تعارض عنده ما جاء به الرسول ﷺ وآراء الرجال، فقدمها عليه، أو توقف فيه، أو قدحت في كمال معرفته، فهو أعمى عن الحق^(٤) وليس ممن أوتوا العلم.

(١) (ج ١ / ٢٨).

(٢) (ج ٤ / ١٧٨٧).

(٣) (ج ٤ / ٣٩٩).

(٤) انظر: "مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة" (طبعة السلفية بمكة المكرمة سنة

١٣٤٨ هـ، ص ٦).

٢- وينشأ من هذا أصل آخر هو أن البصير العاقل يعلم قطعاً أن رسول الله ﷺ قد بلغ رسالته هذه وبينها أصولها وفروعها؛ البلاغ المبين، والبيان البليغ، وأدى أمانته خير أداء، ونصح لأمته أخلص النصح، وجاهد في سبيل الله حق الجهاد، وما قبضه الله إليه إلا وقد علم أمته جميع أبواب الاعتقاد والتعبد، وعلم أمته كتاب الله، ومثل كتاب الله معه من سنته المطهرة الشريفة، وعلم أمته كل شيء من دينهم، حتى آداب قضاء الحاجة^(١).

وبالجملة، فقد دلهم على الخير كله، وحذروهم عن الشر كله، حتى تركهم على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك^(٢)؛ من بدء الخلق حتى يدخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه^(٣).

وأمره الله أن يقول:

﴿ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٤).

(١) إشارة إلى ما رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه في (كتاب الطهارة)، وأحمد في "المسند" (٤٣٧/٥)؛ أن سلمان قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراء؛ فقال: أجل... الحديث.

(٢) انظر: "كتاب السنة" لابن أبي عاصم، و"تخریجات الألباني" (ج ١، ص ٢٦ - ٢٧).

(٣) "صحيح البخاري" (ج ٤، كتاب بدء الخلق، باب ١، ص ٧٣)، وانظر: "فتح الباري" (٦/ ٢٩٠ - ٢٩١)، وانظر: أول "الحموية" لابن تيمية.

(٤) سورة يوسف آية: ١٠٨.

ووصى أمته بكتاب الله وسنته ما إن تمسكوا بهما فلن يضلوا؛ فصلوات
الله وسلامه عليه.

وكان قد حث أمته على أن يبلغ الشاهد منهم الغائب^(١)؛ فرب مبلغ
أوعى من سامع^(٢) ودعا لمن سمع مقالته فوعاها وأداها كما سمعها أن يلبسه
الله النضرة ويوصله إلى نضرة الجنة^(٣).

٣- ولأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل إلى الناس كافة،
وتوفي بعد أن بلغ رسالته، ورسالته باقية إلى قيام الساعة لجميع الثقليين؛ فإن
العاقل البصير يعلم قطعا أن الذي ورث العلم عنه وخلفه في أمته هم
صحابته الذين معه، واختارهم الله لصحبته من السابقين الأولين من
المهاجرين والأنصار، ثم الذين اتبعوهم بإحسان، ثم أئمة الهدى وأعلام
الهداية الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم، ثم من يرثهم ويخلف
من بعدهم ويتبع سبيلهم بإحسان، وإن تكن أزمانهم أزمان فترات وغربة؛
فإن حجة الله لا تزال قائمة، ورسالة محمد ﷺ مسمتمة، يحملها من كل
خلف عدوله^(٤) إلى قيام الساعة؛

(١) انظر: " السنة " للمروزي (ص ٩ - ١٠).

(٢) انظر: " البخاري " (١/ كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: " رب مبلغ أوعى من سامع ").

(٣) انظر: " دراسة حديث "نضر الله امرأ سمع مقالتي ... " رواية ودراية"؛ بقلم عبد المحسن بن
حمد العباد (ص ١٨٤).

(٤) انظر: كتاب "البدع والنهي عنها" تأليف محمد بن وضاح القرطبي؛ ففيه أن رسول الله ﷺ
قال: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه انتحال المبطلين، وتأويل الجاهليين،
وتحريف الغالين" اهـ. وانظر تحريجه في الهامش (ص ١ - ٢)، تحقيق محمد أحمد دهمان،
الطبعة الثانية، دار البصائر - دمشق، سنة ١٤٠٠ هـ.

كما ذكر الإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من " صحيحه "، باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ؛ يقاتلون، وهم أهل العلم. ثم أورد حديث معاوية، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿ من يرد الله به خيرا ؛ يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله ﴾ (١)(٢).

وإذا كان هذا معلوما، فمن المعلوم امتناع أن يكون خير أمة رسول الله ﷺ وأفضل قرونها ومن تبعهم بإحسان قد قصروا في هذا الواجب، أو كانوا غير عالمين وغير قائلين بالحق المبين، ومن المعلوم كذلك عدم جواز أن يكون المخالفون لهم أعلم بالحق منهم، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء، الذين وهبهم الله من العلم بالكتاب والسنة وجودة الإسناد وصحته ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم (٣).

معنى السلفية :

إن المراد من التعبير بالسلفية هو اتباع طريقة السلف الصالح من

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١٢).

(٢) "صحيح البخاري" (ج ٨، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩٦، باب ١٠، ص ١٤٩).

(٣) انظر: "الحموية" لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢-٧).

هذه الأمة المسلمة، الذين هم أهل السنة والجماعة، ومعنى ذلك: هو الإجماع والاجتماع على اتباع سنة رسول الله ﷺ وآثاره، باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، واتباع وصية رسول الله ﷺ في ذلك، حيث قال: ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة﴾^(١) ويعتقدون بأن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد في أي زمان وأي مكان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا سما أهل الكتاب والسنة، وسما أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين"^(٢).

وقال أيضا في ختام "العقيدة الواسطية": "لما أخبر النبي ﷺ أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة وفي حديث عنه أنه قال: ﴿هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي﴾^(٣)؛ صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء

(١) مسند أحمد (٤/١٢٦).

(٢) "العقيدة الواسطية" (طبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧ هـ ص ٣٤)، وحديث: "عليكم بسنتي"، رواه الترمذي وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وأخرجه: أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وسكت عنه أبو داود، ونقل المنذري تصحيح الترمذي وأقره. "تحفة الأحوذى" (ج ٧، ص ٤٤٢).

(٣) سنن الترمذي: كتاب الإيمان (٢٦٤١).

والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصايح الدجى، أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة ﴾^(١) اهـ.

وقال ابن كثير: " هم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في "مستدرکه"؛ أنه سئل رسول الله ﷺ عن الفرقة الناجية من هم؟ فقال: ﴿ من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾^{(٢)(٣)} اهـ.

وفي " جامع الترمذي " في (كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة) أورد الترمذي تفسير رسول الله ﷺ للناجية عن عبد الله بن عمرو بقوله: ﴿ ما أنا عليه وأصحابي ﴾^(٤).

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب مفسر، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه".

وقال المباركفوري: "في سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف، فتحسين الترمذي له لاعتقاد بأحاديث الباب، وحديث عبد الله بن عمرو هذا أخرجه أيضا الحاكم، وفيه: ﴿ ما أنا عليه وأصحابي ﴾^{(١)(٢)}.

(١) سنن الترمذي: كتاب الفتن (٢٢٢٩)، ومسند أحمد (٢٧٨/٥، ٢٧٩/٥).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الإيمان (٢٦٤١).

(٣) "تفسير ابن كثير" (ج ٤، ص ٤٣٣).

(٤) سنن الترمذي: كتاب الإيمان (٢٦٤١).

وقال الألباني: "هذه الرواية فيها ضعف، وحسنها الترمذي في الإيمان^(٣) وقد أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتابه "السنة"^(٤) والآجري في كتابه "الشريعة" من طريقين، لكن عن عبد الرحمن بن زياد^(٥) وهو حسن كما قال الترمذي لتوجيه المباركفوري".

وقد أورد الشاطبي في كتابه "الاعتصام" أقوال الناس في معنى الجماعة المرادة بالنصوص، وحصرها في خمسة أقوال، وقال: "فهذه خمسة أقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع، وأنهم المرادون بالأحاديث؛ فلنأخذ ذلك أصلاً، ويبني عليه معنى آخر"^(٦).

وتلك الأقوال الخمسة نقلها عن السلف الصالح أمثال: ابن مسعود، وابن المبارك، وعمر بن عبد العزيز، والشافعي، والطبري.

وهي عند تأملها متفقة كما قال الشاطبي، دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع أنهم هم الجماعة الفرقة الناجية المرادون بالأحاديث الثابتة في كل زمان ومكان إلى أن يأتي أمر الله تعالى.

طريقة السلف الصالح في العلم والدين :

نجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار أصحابه وتابعيهم نصوصاً صحيحة صريحة تبين طريق الفرقة الناجية في العلم والدين، وتحث على لزومه

(١) سنن الترمذي : كتاب الإيمان (٢٦٤١).

(٢) "تحفة الأحوذى" (ج ٧، ص ٤٠٠).

(٣) تصحيح الألباني على هامش "شرح الطحاوية" (ص ٤٣٢).

(٤) (ص ١٥، ١٦).

(٥) (ص ١٨).

(٦) "الاعتصام" (ج ٢، ص ٢٦٠ - ٢٦٥).

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١).

قال محمد بن نصر المروزي في مؤلفه "السنة" يفسر هذه الآية: "أخبرنا الله أن طريقه واحد مستقيم، وأن السبل كثيرة، تصد من اتباعها عن طريقه المستقيم، ثم بين لنا النبي ﷺ ذلك بسنته، فحدثنا إسحاق ... (ثم ساق سنده إلى عبد الله ابن مسعود)؛ ﴿ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطأ، ثم قال: هذا سبيل الله. ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله، وقال: " هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ... " ﴿ (٢) الآية.

ثم ذكر المروزي روايات أخرى بهذا المعنى، وفيها زيادة تفسير الصراط المستقيم بالإسلام وبكتاب الله.

وعن أبي العالية؛ قال: (هو النبي ﷺ وصاحباؤه أبو بكر وعمر".

وقال الحسن: (صدق أبو العالية ونصح" (٣).

وقال ابن كثير في "تفسير": "قال علي بن أبي طلحة عن ابن

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١١) ، ومسند أحمد (٤٣٥/١ ، ٤٦٥/١ ، ٣٩٧/٣) ،

وسنن الدارمي : كتاب المقدمة (٢٠٢) .

(٣) "السنة" تأليف محمد بن نصر المروزي المتوفى عام ٢٩٤ هـ ، (ص ٥ - ٨) .

عباس في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١) وفي قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٢) ونحو هذا في القرآن ؛ قال: "أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله " . ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد".
ثم أورد ابن كثير عن الإمام أحمد بسنده إلى ابن مسعود رضي الله عنه ؛ قال: ﴿خط رسول الله ﷺ خطا بيده، ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيما". وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: " هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه " . ثم قرأ: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " ﴿^(٣) الآية. (٤).

وأورد ابن كثير رواية الحاكم من طريقين عن ابن مسعود، وتصحيح الحاكم إياه من الطريقين على شرط البخاري ومسلم. كما أورد ابن كثير رواية أبي جعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قيس ويزيد ابن هارون ومسدد والنسائي وابن حبان وابن جرير لهذا الحديث عن ابن مسعود كذلك، وقول الحاكم: " وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر من غير وجه معتمد". وأورده ابن كثير بتفصيل سنده، إلى أن قال: "والعمدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف إن كان

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٢) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٣) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١١) ، ومسند أحمد (٤٣٥/١ ، ٤٦٥/١ ، ٣٩٧/٣) ،

وسنن الدارمي : كتاب المقدمة (٢٠٢) .

(٤) انظر في "المسند" (١ / ٤٦٥) ، وهو في "سنن الدارمي" (ج ١ ، ص ٦٧-٦٨) .

مؤثرا"، ثم أورده موقوفا على ابن مسعود من روايتين لابن جرير وابن مردويه، ثم أورد نحوه من حديث النواس بن سمعان مرفوعا من رواية الإمام أحمد والترمذي والنسائي، وقول الترمذي: "حسن غريب" (١).

وهو في "سنن ابن ماجه" عن جابر (٢) وفي "سنن أبي داود" في (كتاب السنة، باب لزوم السنة) (٣) وفي "جامع الترمذي" في (أبواب العلم عن رسول الله ﷺ باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة) (٤) وفي "سنن ابن ماجه" في (المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) (٥) وفي "سنن الدارمي" في (باب اتباع السنة) (٦) وفي "المسند" للإمام أحمد (٧) وفي "كتاب السنة، لابن أبي عاصم (باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين) (٨) عن العرياض بن سارية، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ اتقوا الله، وعليكم بالسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، وإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة ﴾ (٩).

(١) "تفسير" ابن كثير (ج ٢، ص ١٩٠ - ١٩١).

(٢) (ج ١ - ٦).

(٣) (ج ٢ - ٥٠٦).

(٤) "تحفة الأحوذى" (ج ٧ / ٤٣٨ - ٤٤٢).

(٥) (ج ١، ص ١٥، ١٦، ١٧).

(٦) (ج ١، ص ٤٤، ٤٥).

(٧) (ج ٤، ص ١٢٦).

(٨) (ج ١، ص ٢٩ - ٣٠).

(٩) سنن الدارمي: كتاب المقدمة (٩٥).

قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"^(١).
وقال المباركفوي: "وسكت عنه أبو داود، ونقل المنذري تصحيح الترمذي وأقره"^(٢).
ونقل النووي تصحيح الترمذي مقرا له في "الأربعين النووية"، وكذلك شارح "الطحاوية".
وقال الألباني في الهامش: "صحيح كما قال الترمذي"^(٣).
وعن عمر؛ أن النبي ﷺ قال: ﴿عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بجوذة الجنة؛ فليلزم الجماعة﴾^(٤).
وعن أسامة بن شريك عن النبي ﷺ؛ قال: ﴿يد الله على الجماعة﴾^(٥).
أخرجهما ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" قي (باب ما ذكر عن النبي ﷺ من أمره بلزوم الجماعة وإخباره أن يد الله على الجماعة)،

(١) "تحفة الأحوذى" (ج ٧: ص ٤٤٢).

(٢) "تحفة الأحوذى" (ج ٧: ص ٤٤٢).

(٣) "شرح الطحاوية" (الطبعة الرابعة، ١٣٩٢ هـ، هامش ص ٤٣١)، وقال الألباني عنه أيضا:

"صحيح" في "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (رقم ٣١ - ٣٤، ج ١، ص ١٩ - ٢٠)، وفي

"إرواء الغليل" (ج ٨، ص ١٠٧، ورقم الحديث ٢٤٥٥)، وانظر من خرجه هناك .

(٤) سنن الترمذي: كتاب الفتن (٢١٦٥).

(٥) سنن النسائي: كتاب تحريم الدم (٤٠٢٠).

وصححهما الألباني^(١).

وفي "صحيح البخاري" في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) حديث موقوف، ونصه بعد سياق سنده إلى مرة الهمداني؛ يقول: (قال عبد الله (وهو ابن مسعود)^(٢) إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين"^(٣)).

وقد ورد أوله في (كتاب الأدب، باب الهدي الصالح) من "صحيح البخاري" أيضا^(٤) وفيه: "قال ابن عون: ثلاث أحبهن لنفسي وإخواني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه، ويدعوا الناس إلا من خير"^(٥).

وقد فسر الإمام البخاري قول الله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

إِمَامًا﴾^(٦) فقال: "أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا"^(٧).

(١) (ج ١ / ٣٩ - ٤٤).

(٢) انظر: "فتح الباري" (ج ١٣، ص ٢٥٣)، وانظر: (ص ١) من هذا البحث، فقد تقدم تخرجه في "صحيح مسلم" هناك.

(٣) (ج ٨ / ١٣٩).

(٤) (ج ٧ / ٩٥، ٩٦).

(٥) "صحيح البخاري" (كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج ٨ / ١٣٩).

(٦) سورة الفرقان آية : ٧٤.

(٧) (ج ٨ / ١٣٩) من "صحيح البخاري" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء

بسنن رسول الله ﷺ).

وبالجملة؛ نعلم أن طريقهم في العلم والدين هو الاتباع ومجانبة الابتداع يخلصون قصدهم لله تعالى، ويتعلمون العلم النافع، وهو العلم بالله ورسوله وبدينه الذي ارتضاه، ويقولون بما علموا، ويكلون علم ما لم يعلموا إلى عالمه، ولا يقولون بغير علم، يقفون من الأمور ثلاثة مواقف حسب انقسام هذه الأمور بالنسبة إليهم إلى ثلاثة أقسام:

أمر تبين أنه حق ورشد وحلال؛ فيأخذون به ويدعون إليه .

وأمر تبين أنه باطل وغي وحرام؛ فيجتنبونه، وينهون عنه. وهذا هو

المحكم .

والأخير هو الأمر المشتبه، فيتقونه، ويقفون فيه كما في حديث

النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ الحلال بين، والحرام بين،

وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات؟

استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، كراع يرمى حول الحمى

﴿(١)(٢)﴾ .

وكما قال الله تعالى:

(١) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٥٢).

(٢) رواه البخاري في "صحيحه" في (كتاب الإيمان في باب فضل من استبرأ لدينه وتمامه)، "

... يوشك أن يواقع الأوان، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه، ألا وإن في

الجسد مضغة: إذا صلحت؛ صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله، ألا وهي

القلب . "

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١).

وفي "صحيح البخاري" في التفسير "باب ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ (٢) وقال مجاهد: الحلال والحرام، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾ (٣) يصدق بعضه بعضاً، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٤) وكقوله جل ذكره: ﴿ وَجَعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥) وكقوله: ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ (٦) زيغ: شك، ابتغاء الفتنة: المتشابهات، والراسخون يعلمون يقولون آمنا به " .

ثم ساق بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾ (٧) آية.

قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿ فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمِيَ اللَّهُ ؛ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (١)(٢).

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٦ .

(٥) سورة يونس آية : ١٠٠ .

(٦) سورة محمد آية : ١٧ .

(٧) سورة آل عمران آية : ٧ .

وقال ابن كثير: "يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب ؛ أي: بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس ؛ انعكس، ولهذا قال تعالى: ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾^(٣) ؛ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه، ﴿ وَأُخْرٌ مُتَشَبِهَةٌ ﴾^(٤) ؛ أي: يحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد".

إلى أن قال: "نص عليه محمد بن إسحاق رحمه الله حيث قال: ﴿ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾^(٥) ؛ فهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه^(٦). وهذا هو الإحكام الخاص ببعض القرآن، والتشابه الخاص ببعضه الآخر، ويرد المتشابه إلى المحكم ؛ كما تقدم بيانه. أما الإحكام العام والتشابه العام الذي وصف الله به كل القرآن: كما قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾^(٧). وكما قال تعالى:

(١) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٥٤٧) ، وصحيح مسلم : كتاب العلم

(٢٦٦٥) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٥٩٨) ، ومسنند أحمد (٢٥٦/٦).

(٢) (ج ٥، ص ١٦٥، ١٦٦). رواه مسلم في (كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن

والتحذير من متبعه، والنهي عن الاختلاف في القرآن، ج ٤، ص ٢٠٥٣)، وأبو داود في "سننه" في

(كتاب السنة، باب النهي عن الجدل واتباع المتشابه من القرآن، ج ٢، ص ٥٠٤).

(٣) سورة آل عمران آية : ٧.

(٤) سورة آل عمران آية : ٧.

(٥) سورة آل عمران آية : ٧.

(٦) "تفسير ابن كثير" (ج ١، ص ٣٤٤ - ٣٤٥).

(٧) سورة هود آية : ١.

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾^(١).

فمعنى الإحكام: الإتقان، فالقرآن كله متقن يصدق بعضه بعضا ولا يتناقض، ومعنى التشابه: تماثله وتناسبه وتوافقه؛ فإذا أمر بأمر في موضع، ففي الموضع الآخر إنما يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته، وكذلك النهي، إذا لم يكن هناك نسخ، وإذا أخبر بثبوت شيء؛ لم يخبر بنقيضه، وإذا أخبر بنفي شيء؛ لم يثبتته.

وهذا يصدق على السنة الشريفة وعلى إجماع المسلمين، فإن شيئا من ذلك لا يناقض الآخر كما لا يناقض بعضه بعضا، ولكن؛ قد يشته منه شيء على كثير من الناس؛ فالموفق للصراط المستقيم يرده إلى المحكم المبين، وهذا هو حكمه.

أما ما عدا الوحي؛ ففيه القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضا، يثبت الشيء تارة وينفيه أخرى، أو يأمر به وينهى عنه في وقت واحد، ويفرق بين المتماثلين؛ فيمدح أحدهما، ويذم الآخر^(٢).

وجماع الأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن الكتاب والسنة يحصل منهما الكمال والهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته، ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا ألبتة^(٣)".

(١) سورة الزمر آية: ٢٣.

(٢) انظر: "التدمرية" (القاعدة الخامسة، ص ٣٨ - ٤٠) لابن تيمية.

(٣) "الحموية" (ص ٧٩)، تصحيح محمد عبد الرزاق، طبعة المدني.

وقال الشاطبي: " فإن الذي عليه كل موفق بالشرعية أنه لا تناقض فيها ولا اختلاف؛ فمن توهم ذلك فيها؛ فلم يمعن النظر ولا أعطى وحي الله حقه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾^(١).

فحضهم على التدبر أولاً، ثم أعقبه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٢).

فبين أنه لا اختلاف فيه، والتدبر يعين على تصديق ما أخبر به " (٣).

أصول السلف الصالح :

إن أصول السلف الصالح ؛ التي يصدرون عنها، ويرجعون إليها عند الاختلاف، ويردون إليها عند التنازع، وينزلون على حكمها، ويعتمدون عليها في العلم والدين ؛ تتلخص فيما يلي:

المصدر الأول: كتاب الله تعالى، وهو كلامه؛ أصدق الكلام، ولا أصدق منه.

المصدر الثاني: السنة الشريفة، وهي هدي محمد ﷺ ؛ خير الهدي، ولا هدي خير منه، وهي التي تفسر القرآن وتبينه، وهي مثل القرآن في الحجة، ولا تناقضه.

(١) سورة النساء آية : ٨٢ .

(٢) سورة النساء آية : ٨٢ .

(٣) "الاعتصام" (ج ٢، ص ٣١٧) .

المصدر الثالث: الإجماع (إجماع المسلمين)، وهم الجماعة، أهل السنة، الذين لا يجتمعون على ضلالة .

والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح من القرون الثلاثة الأولى، وأما بعدهم، فكثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

المصدر الرابع: فهذه الثلاثة هي موازين أهل السنة والجماعة؛ يزنون بها كل شيء، ولا يزنونها بشيء، وهذا هو معنى القياس؛ فإنهم يزنون بهذه الثلاثة المتقدم ذكرها طردا، وهو التسوية بين المتماثلات، وعكسا، وهو التفرقة بين المختلفات، يزنون بذلك جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال وأقوال وأحوال باطنه وظاهره مما له تعلق بالعلم والدين.

نصوص تبين أن الاختلاف واقع في الأمة :

ومما أخبر به رسول الله ﷺ أن أمته تتفرق إلى فرق كثيرة:

قال الإمام الشاطبي في كتاب "الاعتصام" (١) "صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ﴾ (٢) وخرجه الترمذي هكذا.

وفي رواية أبي داود؛ قال: ﴿ افترق اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة،

(١) (ج ٢ / ١٨٩).

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الفتن (٣٩٩١).

وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ﴿(١)(٢)﴾.

نصوص تبين ماذا يختلفون فيه وسبب الاختلاف وذمه وذم أهله

ومصيرهم :

في "صحيح البخاري" في كتاب التوحيد حديث فيه قول النبي ﷺ ﴿ لا يجوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لمن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ﴾ (٣)(٤) .

وهذا الحديث في مواضع كثيرة من "صحيح البخاري" وغيره .

وفي "صحيح البخاري" أيضا في (كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان) حديث أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة ﴾ (٥) وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية (٦).

وفي كتاب "السنة" لابن أبي عاصم، وصححه الألباني، عن معاوية بن وهب؛ قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوما فذكر: ﴿ إن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة،

(١) مسند أحمد (٢/٣٣٢).

(٢) انظره في "سنن أبي داود" طبعة الحلبي، (ج ٢ / ٥٠٣)، وانظر تصحيح الألباني له في هامش "شرح الطحاوية" (ص ٥٧٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التوحيد (٧٤٣٢).

(٤) (ج ٨ / ١٧٨).

(٥) صحيح البخاري : كتاب الفتن (٧١١٦).

(٦) (ج ٨ / ١٠٠)، وانظره في "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (ج ١ / ٣٨).

وهي الجماعة، ألا وإنه يخرج في أمتي قوم يهوون هوى، يتجارى بهم ذلك الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه ؛ لا يدع منه عرقا ولا مفصلا إلا دخله .

وأخرجه ابن أبي عاصم من طرق متعددة^(١)، ومثل ذلك في "سنن أبي داود" (كتاب السنة)^(٢).

وقال الإمام الشاطبي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾^(٣).

"وهي آية نزلت عند المفسرين في أهل البدع، ويوضحه من قرأ: " إن الذين فارقوا دينهم"، والمفارقة للدين بحسب الظاهر إنما هي الخروج عنه، وقوله: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آسَوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾^(٤) الآية، وهي عند العلماء منزلة في أهل القبلة، وهم أهل البدع، وهذا كالنص... إلى غير ذلك من الآيات. "^(٥).

وأورد ابن أبي عاصم أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى، منها عن سنان بن أبي سنان، أنه سمع أبا واقد الليثي يقول: ﴿ خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح . قال: فمررنا بشجرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما

(١) انظر: (ج ١، ص ٧-٩، ص ٣٢-٣٦).

(٢) انظر: (ج ٢، ص ٥٠٣-٥٤٦).

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٩.

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٦.

(٥) (ج ٢ / ١٩٥).

لهم ذات أنواط. فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال: الله أكبر، قلتهم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: " اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون "، لتركن سنن من قبلكم ﴿^(١) ورواه ابن عيينة ومالك أيضا.

قال الألباني: وإسناده حسناً، وصحح الحديث بشواهد أخرى (١١) ٣٦ - ٣٧).

ومنها ما رواه مسلم في (كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى)^(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب؛ لسلكتموه " قالوا: يا رسول الله! من؟ اليهود والنصارى؟ " قال: " فمن إذا؟ " ﴿^(٣)(٤).

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٥﴾ من الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٦﴾ ﴿^(٥).
"وهذه الأمة اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة"^(٦).

(١) مسند أحمد (٥/٢١٨).

(٢) انظره في (ج ٤ / ٢٠٥٤) ترتيب فؤاد عبد الباقي.

(٣) مسند أحمد (٢/٥١١).

(٤) انظر: "كتاب السنة" لابن أبي عاصم (ج ١ / ٣٦ - ٣٧).

(٥) سورة الروم آية: ٣١.

(٦) "تفسير ابن كثير" (ج ٤ / ٤٣٣).

مما تقدم نعلم أن الاختلاف والتفرق في الدين فتنة، وهو أمر واقع في أصل الدين، وفي توحيد الله بالعبادة، وفي معنى العبادة؛ كما اختلف الذين من قبل في ذلك، وهو أصل محكم فيما أنزل الله على النبي، وأرسله به ﷺ لا يتناقض ولا يختلف ولا يتضاد، ولكن الناس هم يختلفون...

وأقبح اختلاف ما كان بسبب الأهواء المخالفة لما جاء به رسول الله ﷺ وهي أصل المحدثات في الدين والبدع المذمومة التي يتعبد بها أصحابها، وكل واحدة من هذه المحدثات لها أتباع، هم فرقة من الفر الكثيرة التي أخبر الرسول ﷺ أنها تبلغ في أمته ثلاثا وسبعين فرقة، كلها في النار إلا الجماعة التي تمسكت بالكتاب والسنة في تعبدها لله تعالى، ولم تتعبد لربها بما ليس عليه أمر رسول الله ﷺ في باطنها وظاهرها؛ فهي الجماعة الناجية والفرقة الفائزة.

ومنهج الشيخ رحمه الله هو منهج السلف الصالح، ويوافق تماما ما ذكرناه في هذا التمهيد من منهجهم رضي الله عنهم.

الشيخ يرى أن الله سبحانه وتعالى نصب الأدلة، وبين الآيات الدالة عليه، وأعطى الفطر ثم العقول، ثم بعث الرسل وأنزل الكتب، كلها دالة عليه ومعرفة به سبحانه وتعالى.

ومن آياته القرآن الكريم الذي تحدى الله بسورة من مثله، فقال:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾^(١).

وقد ضرب الله في هذا القرآن الأمثال الجلية، وبين البيان الواضح، وحمد

نفسه على هذا البيان ومع وضوح الأدلة، فالأكثر جهال قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِجٍّ لَّهُمْ يَتَتَّقُونَ ضَبَّ اللَّهُ مَثَلًا رَّهَلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ جَلَّ سُلْطَانُ رِجْلِي هَلْ يَسْتَوِي بَيْنَ مَثَلِ الْحَمْدِ لِلَّهِ بِئِلَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَفْهَمُونَ ﴾^{(٢)(٣)}.

والله سبحانه قطع العذر، وأقام الحجة بإنزال هذا الكتاب وإرسال الرسول ﷺ وإبقاء دينه، لا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه، إلى قيام الساعة، والخير الذي دل عليه هو التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه هو الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه، بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع

(١) سورة البقرة آية : ٢٣.

(٢) سورة الزمر آية : ٢٧-٢٩.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٤٥، والزمر ص ٣٢٨، والأعراف ص ٧٦، والعلق ص ٣٧١، وملحق المصنفات، ومسائل ملخصة عن ابن تيمية، مسألة رقم ٥٢-٥٤، ص ٣٩-٤٠، ورقم ٦٠، ص ٤٣، والخطب المنبرية ص ١٣-١٤، وص ٢٢-٢٣، وص ٥١-٥٣، ٥٨-٦٠)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ٢، ص ١٧-١٨).

الثقلين: الجن والإنس^(١).

ويقول رحمه الله تعالى في جواب أفتى به حين سئل رحمه الله تعالى عن قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾^(٢) الآية.

فأجاب رحمه الله:

" اعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شيء، يعلم ما يقع على خلقه، وما يقعون فيه، وما يرد عليهم من الواردات إلى يوم القيامة، وأنزل هذا الكتاب المبارك الذي جعله تبياناً لكل شيء، وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم، كما جعله لأهل القرن الأول ومن بعدهم، ومن أعظم البيان الذي فيه بيان الحجج الصحيحة، والجواب عما يعارضها، وبيان بطلان الحجج الفاسدة ونفيها، فلا إله إلا الله ؛ ماذا حرمه المعرضون عن كتاب الله من الهدى والعلم؟! ولكن لا معطي لما منع الله.

وهذه التي سألت عنها فيها بيان بطلان شبهة يحتج بها بعض أهل النفاق والريب في زماننا هذا في قضيتنا هذه.

وبيان ذلك أن هذه في آخر قصة آدم وإبليس، وفيها من العبر والفوائد

العظيمة لذريتهما ما يجلب عن الوصف، فمن ذلك أن الله أمر

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٨، ص ٢٧١، والقسم الأول،

العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٤).

(٢) سورة طه آية : ١٢٥.

إبليس بالسجود لآدم، ولو فعل ؛ لكان فيه طاعة لربه وشرف له، ولكن، سولت له نفسه أن ذلك نقص في حقه إذا خضع لواحد دونه في السن ودونه في الأصل على زعمه، فلم يطع الأمر، واحتج على فضله بحجة، وهي أن الله خلقه من أصل خير من أصل آدم، ولا ينبغي أن الشريف يخضع لمن دونه، بل العكس، فعارض النص الصريح بفعل. الله الذي هو الخلق، فكان في هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئاً من أمر الله ورسوله واحتج بما لا يجدي، فلما فعل، لم يعذره الله بهذا التأويل، بل طرده، ورفع آدم، وأسكنه الجنة ؛ فكان مع عدو الله من الذكاء والفتنة ودقة المعرفة ما يجلب عن الوصف، فتحيل على آدم حتى ترك شيئاً من أمر الله، وذلك بالأكل من الشجرة، واحتج لآدم بحجج، فلما أكل، لم يعذره الله بتلك الحجج، بل أهبطه إلى الأرض، وأجلاه من وطنه، ثم قال: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا^ط بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تَيْنَكُم مِّتَى هُدَىٰ ﴾^(١).

يقول تعالى: لأجلينكم عن وطنكم ؛ فإن بعد هذا كلام، وهو أني أرسل إليكم هدى من عندي، لا أكلكم إلى رأيكم ولا رأي علمائكم، بل أنزل عليكم العلم الواضح الذي يبين الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، والنافع من الضار. ﴿ لَقَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ^ع ﴾^(٢).

(١) سورة طه آية : ١٢٣ .

(٢) سورة النساء آية : ١٦٥ .

ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن، فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، فقد كذب الله بخبره أنه هدى. فإنه على هذا القول الباطل لا يكون في حق الواحد من الآلاف المؤلفه، وأما أكثر الناس، فليس هدي في حقهم، بل الهدى في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء، فما أبطل هذا من قول ! وكيف يصح لمن يدعي الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن؟!!

ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجري عليها ما جرى على من قبلها من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة، وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة، وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق، لكن يعتذرون بالعجز وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموه لغموضه، قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُلَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(١) وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن السوء.

قال ابن عباس: " تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة".

وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء، واقتصروا على الوحي ؛ لم يهتدوا ؛ بسبب أنهم لا يفهمون ؛ كما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾^(٢) فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٣).

(١) سورة طه آية : ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ٨٨ .

(٣) سورة البقرة آية : ٨٨ .

فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضل من اتبع الرأي، فتجدهم في المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أو ستة ليس منها قول صحيح، والذي ذكره الله في كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه. والحاصل أنهم يقولون: لا نترك القرآن إلا خوفاً من الخطأ، ولم نقبل على ما نحن فيه إلا للعصمة، فعكس الله كلامهم، وبين أن العصمة في اتباع القرآن إلى يوم القيامة .

وأما قوله: ﴿ وَلَا يَشْقَى ﴾^(١)؛ فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم، ويشبههم عليه في الآخرة، ولو تركوه واتبعوا القرآن، لغلطوا وعوقبوا، فذكر الله أن من اتبع القرآن؛ أمن من المحذور الذي هو الخطأ عن الطريق - وهو الضلال -، وأمن من عاقبته، وهو الشقاء في الآخرة.

ثم ذكر الفريق الآخر الذي أعرض عن القرآن، فقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾^(٢) .

وذكر الله هو القرآن الذي بين الله لخلقه فيه ما يجب ويكره، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾^(٣) الآيتين.

فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين: إحداهما: المعيشة الضنك، وفسرها السلف بنوعين: أحدهما: ضنك الدنيا، وهو أنه إن كان غنياً، سلط عليه خوف الفقر وتعب القلب

(١) سورة طه آية : ١٢٣ .

(٢) سورة طه آية : ١٢٤ .

(٣) سورة الزخرف آية : ٣٦ .

والبدن في جميع الدنيا حتى يأتيه الموت، ولم يتهن بعيش. الثاني: الضنك في البرزخ، وهو عذاب القبر. وفسر الضنك في الدنيا أيضا بالجهل، فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما، فصار في هذا مصداق لقوله في الحديث عن القرآن: "من ابتغى الهدى من غيره، أضله الله"، فبان لك أن الله عاقبهم بصد قصدهم، فإنهم قصدوا معرفة الفقه، فجازاهم بأن أضلهم، وكدر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم؛ لخوف الفقر، وقلة غنى أنفسهم، وعذاب أبدانهم، بأن سلط عليهم الظلم والفقر، وأغرى بينهم العداوة والبغضاء، فإن أعظم الناس تعاديا هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة.

ثم قال تعالى: ﴿ وَحَشْرُهُ يُومَرُ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾^(١).

والعمى نوعان: عمى القلب، وعمى البصر؛ فهذا المعرض عن القرآن، لما عميت بصيرته في الدنيا عن القرآن، جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى. قال بعض السلف: أعمى عن الحجّة، لا يقدر على المجادلة بالباطل، كما كان يصنع في الدنيا. ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ

بَصِيرًا ﴾^(٢).

فذكر الله أنه يقال له: هذا بسبب إعراضك عن القرآن في الدنيا، وطلبك العلم من غيره.

(١) سورة طه آية : ١٢٤.

(٢) سورة طه آية : ١٢٥.

قال ابن كثير في الآية: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾^(١) ؛ أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غير هدايه، ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾^(٢) ؛ أي: في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعم، وظاهره أن قوما أعوضوا عن الحق، وكانوا في سعة من الدنيا، فكانت معيشتهم ضنكا، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخالفا لهم معاشهم، من سوء ظنهم بالله، ثم ذكر كلاما طويلا، وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك، والله سبحانه وتعالى أعلم " (٣) .

فبناء على هذا، فالشيخ رحمه الله تعالى يرى كما يرى السلف رضي الله عنهم ؛ أن أصل أصول العلم والهدى هو ما جاء به رسول الله ﷺ من العلم بالله والعلم برسوله ﷺ والعلم بدين الإسلام بأدلتها، لأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾^(٤)(٥) .

وقال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾^(٦) .

(١) سورة طه آية : ١٢٤ .

(٢) سورة طه آية : ١٢٤ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٦، ص ٧٥ - ٧٩، والقسم الرابع، التفسير، ص ٢٦٣ - ٢٦٨) .

(٤) سورة النساء آية : ١٦٣ .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٥ - ١٩٥)، و"مسائل الجاهلية" (ص ٣٣٣) .

(٦) سورة يوسف آية : ١٠٢ .

قال الشيخ: "فيه الرد على مخالفي الرسل في قولهم: (لولا يكلمنا الله) أو نحو ذلك ؛ لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحي" (١).

"وخاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ أوحى الله إليه هذا القرآن، وآتاه مثله معه من السنة، والله تعالى بين دلالة نبوة رسول الله ﷺ بالتحدي بأقصر سورة من القرآن الكريم، فقال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ ﴿٢﴾ (٣).

وبشهادة علماء أهل الكتاب ؛ كما في قوله: ﴿ أَوْلَمَ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ

يَعْلَمَهُرْ عُلْمَتُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ (٤).

وبكون أهل الكتاب يعرفونه كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٥﴾ الآية (٥).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٧٧).

(٢) سورة البقرة آية : ٢٣.

(٣) انظر: "مؤلفات الشيخ" القسم الخامس، الشخصية رقم ٢، ص ١٧).

(٤) سورة الشعراء آية : ١٩٧.

(٥) سورة البقرة آية : ٨٩.

وغير ذلك من الآيات التي تقطع الخصم، وتدل على أن محمدا ﷺ رسول الله يوحى إليه بالعلم والهدى كما أوحى إلى من قبله، وخص بالقرآن الذي قال الله فيه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

قال الشيخ في تفسير ذلك ما حاصله: "ذلك الكتاب الكامل الذي لا شك فيه، وأن الهداية به للمتقين خاصة، فمن لا يتبعه؛ ليس هو من المتقين، وفيه الرد على قول الشياطين من شياطين الإنس ممن يدعي العلم أن القرآن لا يفسر" (٢).

وأجاب الشيخ عن اختلافهم في الكتاب العزيز، وهل يجب تعلمه واتباعه على المتأخرين لإمكانه أو لا يجوز للمتأخرين لعدم إمكانه؟ بأن الكتاب العزيز حكم بينهم بالحكم الذي هو قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْوَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (٤).

(١) سورة البقرة آية : ٢ .

(٢) انظر: "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (ج ١٠، ص ٣٩ - ٤٠).

(٣) سورة طه آية : ١٢٤ .

(٤) سورة طه آية : ١٢٤ .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

قَرِينٌ ﴾^(١)^(٢).

وكذلك أمر رسول الله ﷺ هو مثل القرآن؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا

ءَاتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(٥).

فمن أراد أن يهتدي ويكون محبوبا عند الله ؛ فليقبل ما آتاه الرسول ﷺ

وينتهي عما نهي عنه ويطيعه فيما أمر .

قال ﷺ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد ﴾^(٦) رواه

البخاري ومسلم .

(١) سورة الزخرف آية : ٣٦ .

(٢) " الدرر السنينة " (ج ٤ ، ص ٦) .

(٣) سورة الحشر آية : ٧ .

(٤) سورة النور آية : ٥٤ .

(٥) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٦) صحيح مسلم : كتاب الأفضية (١٧١٨) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١٤) ،

ومسند أحمد (٦ / ٢٤٠ ، ٦ / ٢٧٠) .

وفي رواية مسلم: ﴿ من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد ﴾^{(١)(٢)}.
يقول الشيخ: "وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعته في
الاعتقادات والأقوال والأفعال، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما
وافق منها، قيل، وما خالف، رد على فاعله كائناً من كان؛ فإن شهادة أن
محمدًا رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به، وطاعته ومتابعته هي كل ما
أمر به.

وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي. قيل: ومن أبي؟ قال: "من أطاعني؛
دخل الجنة، ومن عصاني، فقد أبي ﴾^{(٣)(٤)}.

ويقول: "فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه بعده
والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل
الحديث والفقهاء، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، رضي
الله عنهم أجمعين، لكي تتبع آثارهم"^(٥).

ومن منهج الشيخ: أن طلب العلم فريضة على كل ذكر وأنثى وأنه
شفاء للقلوب المريضة؛ كما قال تعالى:

-
- (١) صحيح مسلم: كتاب الأفضية (١٧١٨)، ومسنند أحمد (١٨٠/٦، ٢٥٦/٦).
(٢) انظر: "صحيح البخاري" (ج ٣، كتاب الصلح، باب ٥، ص ١٦٧)، و"صحيح مسلم
(ج ٣، كتاب الأفضية، ص ١٣٤٣-١٣٤٤).
(٣) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠).
(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١٢، ص ٨٤، ورقم ٧، ص ٤٨، ورقم ١٦،
ص ١٠٦)، وانظر "صحيح البخاري" (ج ٨، كتاب الاعتصام، باب ٢، ص ١٣٩).
(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦، ص ١٠٦-١٠٧ من الرسائل
الشخصية).

﴿فَلَمَّا يَأْتِ بِكُم مِّنْ هَلَىٰ فَمَنْ تَبِعَ هُلَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾^(١)(٢).

وأن العلم قبل العمل، ومقدم عليه، وهو إمامه وسائقه والحاكم عليه^(٣).
ويريد بالعلم: العلم بما أمر الله به ونهى عنه ؛ أي: العلم بالتوحيد
والإيمان؛ أي: معرفة الله، ومعرفة نبيه محمد بن عبد الله ﷺ ومعرفة دين
الإسلام بالأدلة، والعمل بتلك المعرفة^(٤).

ومفتاح العلم في ذلك هو الدليل ؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ
عَلَيْهِمْ بِسُلْطَنٍ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٥) وأول الآية: ﴿هَتُوْلَاءِ قَوْمَنَا آخِذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً
لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَنٍ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٦).

(١) سورة طه آية : ١٢٣ .

(٢) "الدرر السننية" (ج ١، ص ٩٨، ج ٤، ص ١٦٨)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع،
التفسير، العلق، ص ٣٦٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣٦).

(٤) "الدرر السننية" (ج ٢، ص ٣-١٢)، و "مؤلفات الشيخ الإمام" (القسم الأول، ثلاثة
الأصول، ص ١٨٥-١٨٦، والرسالة الخامسة ص ٣٧٤-٣٧٥، والقسم الرابع، التفسير،
آل عمران ص ٥٠، ويوسف ص ١٥٣، ١٦٣، ١٦٤، ومختصر زاد المعاد، ص ٧٧) .

(٥) سورة الكهف آية : ١٥ .

(٦) سورة الكهف آية : ١٥ .

قال الشيخ: "فهذه المسألة مفتاح العلم، وما أكبر فائدتها لمن فهمها"^(١).

ويرى الشيخ أن اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة هدي الرسول ﷺ وما جاء به، فانه لا سبيل إلى الفلاح إلا على يديه، ولا إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهته، فأى حاجة فرضت وضرورة عرضت، فضرورة العبد إلى هدي الرسول ﷺ فوقها بكثير... وإذا كانت السعادة معلقة بهديه ﷺ فيجب على كل من أحب نجاة نفسه أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن خطة الجاهلين. والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم^(٢).

فهو لا يريد علما غير نافع، ولا علما مجردا من العمل، ولا يقصد غير ما أمر الله به ونهى عنه.

يقول رحمه الله: "إذا أمر الله العبد بأمر؛ وجب فيه سبع مراتب: الأولى:

العلم به، والثانية: محبته، الثالثة: العزم على

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٤٤)، وانظر: (ص ٢٨ - ٢٩، ص ٤٠ -

٤١، ص ٥٣ - ٥٤، وص ٥٩ - ٦٣، ص ٣٢٣، ص ١٣١، وص ٣٧١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٣).

الفعل، الرابعة: العمل، الخامسة: كونه يقع على المشروع خالصا صوابا، السادسة: التحذير من فعل ما يجبطه، السابعة: الثبات عليه ^(١). وفي كتاب "أصول الإيمان" للشيخ؛ عقد أبوابا في شأن العلم، هي: باب التحريض على طلب العلم وكيفية الطلب، وباب قبض العلم، وباب التشديد في طلب العلم للمراء والجدال، وباب التجوز في القول وترك التكلف والتنطع، أورد تحتها أحاديث مناسبة عن رسول الله ﷺ يتبين منها الحث على طلب علم ما أنزله الله على رسوله ﷺ من الهدى والعلم لوجه الله تعالى خالصا، وبيان كيفية طلب العلم، وما هو العلم، وما ينبغي أن يقصد به ^(٢).

ويعتقد الشيخ أن هذا أهم ما على الإنسان معرفته والعمل به قبل كل معرفة وعمل، فإنه أصل العلم وقاعدته، وأن هذا العلم والإيمان في مكانهما، من ابتغاهما؛ وجدها إلى يوم القيامة ^(٣).

فلا يزال العلماء بذلك يوجدون؛ فإن الحق لا ينقطع كلية، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته، إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، كما هي البشارة المحمدية، بأن الحق لا يزول بالكلية كما

(١) "الدرر السننية" (ج ٢، ص ٣٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٦٦ - ٢٧٦).

(٣) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٩٣، وص ٩٧)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٧٠، والقصص ص ٢٨١).

زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة، وأنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا مق خالفهم إلى قيام الساعة^(١).

ومن منهجه في إزالة الشبهة أن يتبع عادة السلف الصالح ؛ فمن عادتهم أنهم يزيلون الشبهة بسؤال العلماء، وأن العلماء يجيبون السائل بما يزيل شبهته، وذلك أنهم ينسبون الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط^(٢) لعمق علمهم^(٣).

ولا يخفى أن المقصود بالسلف الصالح وبالعلماء هنا أنهم الصحابة والتابعون، فإن هذه القاعدة التي اعتادها المسلم الصالح، وبينها الشيخ في مؤلفاته ؛ لينبه على أنها قاعدة منهجية، يتبعها المسلمون في سير حياتهم، وهي مستنبطة من الآثار الواردة عن الصحابة وعن التابعين، ولما حدث في نفوس بعض الناس إشكال في القدر، لبعدهم عن العلم النبوي، اتجهوا إلى صحابة النبي ﷺ كابن عمر، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، ونحوهم، فهم العلماء^(٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان، ص ٦٨ - ٧٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، " باب ما جاء في منكري القدر، ص ١٣٧، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٠ - ٢٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، باب من حقق التوحيد، ص ١٧).

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، باب من حقق التوحيد، ص ١٣٥ - ١٣٧).

ومن عادة هؤلاء السلف الصالح أنهم يبدءون بالأهم فالأهم، والتنبيه على التعليم بالتدرج؛ كما رسم ذلك رسول الله ﷺ حين بعث معاذًا إلى اليمن، فقال له: ﴿ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ﴾^(١) وفي رواية: ﴿ إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ... ﴾^(٢) الحديث متفق عليه، ونحوه من حديث بعث علي إلى خيبر ليفتحها، متفق عليه^(٣).

ويقول رحمه الله: "إذا أردت البحث عن هدى الله الذي جاء من عنده؛ فإنك تتبدىء بالأسهل فالأسهل، وأسهل ما يكون وأهمه القصص التي قص الله علينا عن الأنبياء وأمهم، وأول ما تتبدى به من القصص التي قص الله: قصة أبيك آدم وإبليس وما ذكر الله عنهم، وكون آدم لما اعترف بذنبه وتاب؛ تاب الله عليه، وأكثر الناس يظنون أن الاعتراف بالذنب مذلة، ويستهنئون بمن أقر بذنبه واعترف وتاب منه، وكون إبليس - لعنه الله - لما احتج بالقدر، ولم يعترف بذنبه، أن الله طرده وآيسه من رحمته، وكون أكثر الناس يظن أن فعل إبليس هو الذي يرضاه الله، ويزدري على من فعل فعل آدم، نعوذ بالله من سوء الفهم".

ويقول أيضا: "ينبغي للمعلم أن يعلم الإنسان على قدر فهمه،

(١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة (١٣٩٥)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٩)، وسنن الترمذي: كتاب الزكاة (٦٢٥)، وسنن النسائي: كتاب الزكاة (٢٥٢٢)، وسنن أبي داود: كتاب الزكاة (١٥٨٤)، وسنن ابن ماجه: كتاب الزكاة (١٧٨٣)، ومسنند أحمد (٢٣٣/١).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الزكاة (١٥٨٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٢٠ - ٢٣).

فإن كان ممن يقرأ القرآن أو عرف أنه ذكي . فيعلم أصل الدين وأدلته، والشرك وأدلته، ويقرأ عليه القرآن، ويجتهد أنه يفهم القرآن فهم قلب، وإن كان رجلا متوسطا ؛ ذكر له بعض هذا، وإن كان مثل غالب الناس ضعيف الفهم ؛ فيصرح له بحق الله على العبيد؛ مثل ما ذكر النبي ﷺ لمعاذ، ويصف له حقوق الخلق. مثل حق المسلم على المسلم، وحق الأرحام، وحق الوالدين، وأعظم من ذلك حق النبي ﷺ وأفضله شهادتك له. أنه رسول الله وأنه خاتم النبيين، وتعلم أنك لو ترفع واحدا من الصحابة في منزلة النبوة. صرت كافرا، فإذا فهم ذلك ؛ فقل: حق الله عليك أعظم وأعظم، فإذا سأل عن حق الله. فاذا ذكر له أنك تعبده، ولا تصير مثل البدوي، وأيضا تخلص له العبادة ؛ لا تكون مثل من يدعو ويدعو غيره، أو يذبح له ولغيره، أو يتوكل عليه وعلى غيره، وكل العبادات كذلك، وتعرفه أن من أدخل بهذا حرمت عليه الجنة، ومأواه النار، ولو ظن أنه ما يشرك، فإذا عرف التوحيد، ولا عمل به، ولا أحب وأبغض فيه ؛ ما دخل الجنة، ولو ظن أنه ما أشرك ؛ لأن فائدة ترك الشرك تصحيح التوحيد، ومن أعظم ما تنبهه عليه التضرع عند الله، والنصيحة، وإحضار القلب في دعاء الفاتحة إذا صلى" (١).

وينبغي للعالم إذا سأله العامي عما لا يحتاج إليه، أو سأله عما غيره أهم منه ؛ أن يفتح له بابا إلى المهم، ولا يحقر عن التعليم من يظنه أبعد الناس عنه، ولا يستبعد فضل الله عليه ؛ فإن الرجلين الذين مع يوسف في السجن من خدام الملوك الكفرة؛ بخلاف من يقول:

(١) "الدرر السنينة" (ج ١، ص ٩٨ - ٩٩) .

ليس هذا بأهل للعلم، وتعليمه إضاعة للعلم^(١).
فإن من يهتم بالعلم ويسأل عنه هو الذي ينتفع به ؛ فلا يعرض عنه،
أما من لا يهتم به، فهو الذي لا ينتفع^(٢).
وبيّن الشيخ أن من أساليب العلماء أنهم يخرجون المسألة للمتعلّم
بالاستفهام عنها؛ لقوله ﷺ ﴿ **أْتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ؟** ﴾^(٣) ؛ في حديث
زيد بن خالد، قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر
سماء كانت من الليل، فلما انصرف؛ أقبل على الناس، فقال: ﴿ **أْتَدْرُونَ
مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ؟** ﴾^{(٤)(٥)}.

ومن أسلوبهم أنهم يصنفون الكتب في بيان الحق والدعوة إليه وبيان ما
هو من عند الله على الحقيقة، ولا يصنفون الكتب الباطلة، ولا ينسبون إلى
الله الباطل؛ كما هو أسلوب الجاهلين^(٦).
ومن منهج الشيخ رحمه الله أنه يحدث الناس بما يعرفون، أخذا بقول
علي ﷺ ﴿ **حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟** ﴾^(٧)
رواه البخاري وقد أورده الشيخ في "كتاب التوحيد"^(٨).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٤٧ - ١٤٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٣١).

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي (٤١٤٧)، وموطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٤٥١).

(٤) صحيح البخاري: كتاب المغازي (٤١٤٧)، وموطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٤٥١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٨٥ - ٨٧).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، مسائل الجاهلية، ص ٣٤١).

(٧) صحيح البخاري: كتاب العلم (١٢٧).

(٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٠٦).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في " شرحه ": " وقد كان شيخنا المصنف، رحمه الله لا يجب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعبادتهم ومعاملاتهم، الذي لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي ؛ ك "المنعش" ، و"المرعش" ، و "التبصرة" ؛ لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغي اعتقاده، والمعصوم من عصمه الله" (١).

ومما استنبطه الشيخ من قصة آدم وإبليس، أن في القصة شاهدا لما ذكر في الحديث: ﴿ **إِن مِّنَ الْعِلْمِ جَهْلًا** ﴾ (٢) ؛ أي: من بعض العلم ما العلم به جهل، والجهل به هو العلم، فإن اللعين من أعلم الخلق بأنواع الحيل التي لا يعرفها آدم، مع أن الله علمه الأسماء كلها، فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل، وفي الحديث: ﴿ **إِن الْفَاجِرَ خَبَ لَيْمًا، وَإِنِ الْمُؤْمِنَ غَرَّ كَرِيمًا** ﴾ (٣) (٤).

وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة: ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**

﴾ (٥).

(١) "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (ص ٤١٤) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير ص ٩٤)، والحديث؛ رواه أبو داود عن بريدة، ويروى: "إن من البيان سحرا، وإن من العلم جهلا" .

(٣) مسند أحمد (٢/٣٩٤).

(٤) رواه: أبو داود (كتاب الأدب)، والترمذي (كتاب البر) كما رواه أحمد في "مسنده" (٣/٢٩٤).

(٥) سورة البقرة آية : ٣٠ .

فقليل لهم ما قيل، وعوتبوا، فكانت توبتهم أن قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾^(١).

فكان كما لهم ورجوعهم عن العتب وكمال علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل إلا ما علمهم سبحانه.

ففي هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى في الشريعة المنبه عليها في مواضع منها قوله ﷺ ﴿وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان؛ فلا تبحثوا عنها﴾^{(٢)(٣)}.

والشيخ يبين أن أهم وأنفع شيء هو معرفة قواعد الدين على التفصيل؛ فإن أكثر الناس يفهم القواعد ويقر بها على الإجمال، ويدعها عند التفصيل^(٤)؛ مثل من يقول: التوحيد زين والدين حق. فإذا تبين له أن من التوحيد والدين تكفير المشرك وقتاله على ذلك، ترك هذا

(١) سورة البقرة آية : ٣٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم (٩٢) وكتاب تفسير القرآن (٤٦٢٢) وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٩١، ٧٢٩٥)، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل (٢٣٥٩، ٢٣٦٠)، وسنن الترمذي: كتاب الحج (٨١٤) وكتاب تفسير القرآن (٣٠٥٥، ٣٠٥٦)، وسنن ابن ماجه: كتاب المناسك (٢٨٨٤)، ومسند أحمد (٢٠٦/٣).

(٣) راجع في هذا المعنى: الترمذي (كتاب اللباس)، وابن ماجه (كتاب الأطعمة)، و"صحيح البخاري" (كتاب الاعتصام)، و"صحيح مسلم" (كتاب الفضائل)، وراجع تفسير قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوَأٌ" في كتب التفسير الكبيرة، "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثاني، الفقه، المجلد الثاني، ص ١٠ - ١٥)، ومجموعة رسائل مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان المغرب، صورتها عند الشيخ حماد الأنصاري بعنوان "مسألة في رجل تفقه" (لوحة ٤)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣١).

الأمر؛ لأنه لا يوافق هواه^(١).

ويبين الشيخ أن الكلام ينحصر في مسألتين من العلم:

الأولى: أن الله بعث محمدا ﷺ لإخلاص الدين، لا يجعل معه أحد في العبادة والتأله؛ لا ملك، ولا نبي، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك.

الثانية: وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال. كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢).

وترك ابتداع ما ليس من سنته ﷺ في عبادة الله تعالى، لقوله ﷺ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد ﴾^(٣) رواه البخاري ومسلم وفي رواية مسلم: ﴿ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾^(٤).

فتوزن أقوال الناس وأفعالهم الباطنة والظاهرة في عبادة الله تعالى بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله، فما وافق منها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله؛ قبل، وما خالف؛ رد على فاعله كائنا من كان^(٥).

ويقول الشيخ بعد كلام له في تقرير طلب العلم بالسنة والعمل

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٧، ص ١٨٣).

(٢) سورة آل عمران آية: ٣١.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الأفضية (١٧١٨)، وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (١٤)، ومسند أحمد (٢٤٠/٦، ٢٧٠/٦).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الأفضية (١٧١٨)، ومسند أحمد (١٨٠/٦، ٢٥٦/٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٩٦، ص ١٠٦).

بها: "وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة، ومعرفة ما أراد بذلك؛ كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم، وكل ما يحتاج إليه الناس؛ فقد بينه الله ورسوله ﷺ بيانا شافيا كافيا، فكيف أصول التوحيد والإيمان؟! "

ثم إذا عرف ما بينه الرسول ﷺ؛ نظر في أقوال الناس وما أرادوا بها، فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه الميزان مع الكتاب؛ فهذا سبيل الهدى.

وأما سبيل الضلال والبدع والجهل، فعكسه: أن تبتدع بدعة بآراء رجال وتأويلاتهم، ثم تجعل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم تبعاً لها، وتحرف ألفاظه وتؤول على وفق ما أصلوه.

وهؤلاء تجدهم في نفس الأمر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ﷺ ولا يتلقون منه الهدى، ولكن ما وافقهم منه؟ قبلوه وجعلوه حجة لا عمدة، وما خالفهم منه؛ تأولوه؛ كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه، أو فوضوه؛ كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني" (١).

وليعلم طالب العلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل ونقل كلام العلماء.

وقد نوه ﷺ بأن دينه يصير بعده غريبا، فقال ﷺ ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة﴾ (٢).

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٨).

(٢) سنن أبي داود: كتاب السنة (٤٦٠٧)، ومسند أحمد (٤/١٢٦).

وأن أمة محمد ﷺ تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة.

ثم ذكر الشيخ أمثلة من ظهور البدع التي إنما تحدث في حال غربة الإسلام^(١)؛ ليحدد منهجه في مقاومة البدع وإبطالها.

كما يحدد الشيخ نوع من يكون معه الكلام في ذلك فيقول: "إنما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ويجب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، لكنه جاهل، قد لبست عليه الشياطين دينه، ويظن أن الاعتقاد في الصالحين حق، ولو يدري أنه كفر يدخل صاحبه في النار؛ ما فعله، ونحن نبين لهذا ما يوضح له الأمر، فنقول: الذي يجب علي المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه، والله سبحانه أنزل القرآن، وذكر فيه ما يحبه ويبغضه، وبين لنا فيه ديننا وأكمل، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء، فليس على وجه الأرض أحد أحب إلى أصحابه منه، وهم يحبونه أحب من أنفسهم وأولادهم، ويعرفون قدره، ويعرفون أيضا الشرك والإيمان، فإن كان أحد من المسلمين في زمن النبي ﷺ قد دعاه أو نذر له أو ندبه، أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته؛ يسأله، أو يندبه، أو يدخل عليه للالتجاء له عند القبر؛ فاعرف أن هذا الأمر صحيح حسن، ولا تطعني ولا غيري، وإن كان إذا سألت، إذا أنه تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين، وقتلهم، وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم، وحكم بكفرهم؛ فاعرف أن النبي ﷺ لا يقول إلا الحق، والواجب على كل

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسيم الخامس، الشخصية، رقم ٧، ص ٤٦ - ٤٨).

مؤمن اتباعه فيما جاء به.

أما من يصر على دعوة الصالحين، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، وصيرورة الإنسان فقيرا لهم، ويقول: إن هذا أمر حسن ولو ذكر الله ورسوله ﷺ أنه كفر؛ فهو مصر بتكذيب الله ورسوله، ولا خفاء في كفره؛ فليس لنا معه كلام" (١).

ومنهج الشيخ في الاستدلال على التوحيد وتفسيره بالبراهين القاطعة التي احتج بها على خلقه واستدل بها رسل الله. ومن تبعهم على التوحيد: فيستدل الشيخ بربوبية الله العامة لجميع العالمين، وبآثار صفات الله في مخلوقاته، وبصفة الإله واختصاص الله بها؛ فلا إله غيره، وبسائر صفات الكمال لله تعالى، التي انفرد بها، والدالة على وحدانيته.

ويستدل بنبوة محمد ﷺ وبعثته لبيان التوحيد، وبيانه البيان البليغ، وتمام رسالته، ونصرتة، وظهور دينه.

ويستدل بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ المعجز منه، وهو القرآن، والصحيح من السنة، قولاً وفعلاً وتقريراً.

ويستدل بمخلوقات الله تعالى وعبوديتها له طوعاً وكرهاً.

(١) "الدرر السنية" (ج ١ / ٥٢)، "مؤلفات الشيخ" (الشخصية، رسالة رقم ٨، ص ٥٢-٥٣،

ورقم ٧، ص ٤٨ - ٤٩).

وفي ذلك يسلك الشيخ طريقة القرآن في البرهنة على التوحيد التي هي عقلية وشرعية: عقلية حيث إن العقل يشهد بصحتها، وشرعية حيث إن الشرع جاء بها.

وما ترك الشيخ فيما علمت مسلكا من مسالك الاستدلال إلا وقد سلكه ؛ فالشيخ أحيانا يذكر الوجدانية، ثم يذكر دليلها، وأحيانا يذكر الدليل، ثم يذكر الوجدانية عقب ذكر الدليل، وأحيانا لا يذكر الوجدانية ولا دليلها، ولكن ؛ يذكر فقر المخلوقات وحاجتها وعدمها، وما إلى ذلك من صفاتها التي تشهد بعبوديتها، وعدم استحقاتها لشيء من العبادة، وأحيانا يذكر غنى الله سبحانه، وقدرته، وحكمته، وعلمه، وسائر صفات الكمال التي انفرد بها، وكلها تشهد باستحقاقه لكل العبادة بجميع أنواعها، واختصاصه سبحانه بهذا الحق.

وكل هذه المسالك يأخذها الشيخ من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والشواهد التاريخية، وكلام العلماء، إجماع أهل العلم.

ومما يسترعي الانتباه أن الشيخ في احتجاجه واستدلاله يسلك الطريقة المثلى في ذلك، فيستدل بالمعلوم إلى المجهول، وبالمسلم به إلى المنازع فيه، وبما أقر به الخصم على ما جحدته، وبالجمع عليه على المختلف فيه؛ فلننظر إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٠٠﴾ (١).

(١) سورة الزمر آية : ٣٨.

يقول الشيخ: "فيها بيان أن عندهم من العلم ما تقوم به الحجة، وأن المجمع عليه يدل على المختلف فيه، ومجادلة المبطل بالحق الذي يسلمه، وأنه تسليم لا يجحدونه، بل يقرون به للخصم، والتعجب من الإنكار مع هذا الإقرار، والإلزام الذي لا محيد عنه، وأن هذا كاشف لشبهتهم^(١).

إلى غير ذلك من ما سيأتي تفصيله في مبحث استدلال الشيخ على توحيد الألوهية إن شاء الله تعالى.

أما ما يسمى قضية إثبات وجود الله تعالى فإن الشيخ لم يشغل نفسه بذلك كما فعل من يتكلم في التوحيد من أهل الكلام وغيرهم، لأن وجود الله ثابت مشهود لا شك فيه ولا ريب، والخلق مفطورون على الإقرار بذلك، بل يقرون بتوحيد الله في الرواية؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللَّهِ﴾^(٣).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٣٠ - ٣٣١).

(٢) سورة لقمان آية : ٢٥.

(٣) سورة الروم آية : ٣٠.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾^(١).

قال الشيخ: "ليس المراد معرفة الإله الإجمالية ؛ يعني: معرفة الإنسان أن له خالقا ؛ فإنها ضرورية فطرية، بل المراد معرفة الإله، هل هذا الوصف مختص بالله ؛ لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، أم جعل لغيره قسطا منه؟

فأما المسلمون أتباع الأنبياء ؛ فإجماعهم على أنه مختص، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٥﴾﴾^(٢).

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، والمتكلمون ممن يدعي الإسلام أضلهم الله عن معرفة معنى الإله. ثم ذكر الشيخ أنهم يفسرون الإله بأنه القادر، وأن الألوهية هي

(١) سورة الأعراف آية : ١٧٢ .

(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

القدرة^(١).

وعلى كل ؛ فالشيخ يعد الإقرار بقدرة الله وبربوبيته أمراً فطرياً ضرورياً بدهياً، وهو الدليل القاطع ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ تَخْلُقُ كَمَنْ لَا تَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) (٣).

فهو الذي يستدل به على اختصاص الله تعالى بصفة الإله، فكيف يحتاج إلى دليل وهو الدليل؟! لا شك أن الدليل لا يحتاج إلى دليل. ولئن كانت ربوبية الله الظاهرة المشهودة بالمحسوس والمنظور والفترة تحتاج إلى دليل؛ فإنه لا يصح ثبوت شيء على الإطلاق؛ كما قيل: وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما ما يقوله الشيخ في افتتاحية رسالته له تشتمل على قواعد أربع يتميز بها المسلم من المشرك، ونصه: "الحمد لله الذي يستدل على وجوب وجوده ببدايع ما له من الأفعال، المنزه في ذاته وصقته عن النظائر والأمثال، أنشأ الموجودات؛ فلا يعزب عن علمه مثقال^(٤)."

فالشيخ ينبه على دلائل وحدانية الله بالألوهية من حسفاته وأفعاله

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٧٠).

(٢) سورة النحل آية: ١٧.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٠٤).

(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٣).

وربوبيته المشهودة؛ لأن الشيخ لا يقصد مجرد إثبات وجوده وربوبيته؛ بمعنى أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمور إلا الله، بل مقصوده كما ذكرنا الاستدلال بربوبيته على وحدانيته في الألوهية؛ بدليل أن هذه الرسالة تشتمل على قواعد أربع يتميز بهن المسلم من المشرك، وخلاصتهن:

١- بيان أن الله أبداع خلقنا.

٢- لنعبده.

٣- أن الشرك يفسد العبادة.

٤- أن العبادة على السنة^(١).

إذا تقرّر هذا؛ فمن العبث الاشتغال بإثبات الثابت، وتحصيل الحاصل، ومن الخطأ أن نتفقد هذا العبث في منهج الشيخ، الجاد في دعوته وعقيدته، أو إذا لم نجد؛ نحاول لي بعض الجوانب الأخرى؛ لتكون مقصود الشيخ بهذا الذي افتقدناه.

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يجيئوا أقوامهم ليثبتوا ثابتا ويعلموا معلوما، ولم يأمرؤا أهل ملتهم أن يقولوا: الله موجود، ولا موجود إلا الله. فهذا يفضي إلى وحدة الوجود الباطلة، وصفة الوجود ليست أخص وصفه كما هي ربوبيته للعالمين؛ فكونه رب العالمين هو من أخص وصفه سبحانه؛ لذا؛ فإن الرسل أمرؤا قومهم بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وبينوا لهم أن هذا القول بصدق هو المطلوب، واستدلوا

(١) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٣).

بربوية الله للعالمين التي هي معلومة من أخص وصفه سبحانه لديهم، واحتجوا على قومهم بذلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض﴾^(١).

فكانت حججهم عليهم لله بالغة؛ فالصلاة والسلام عليهم، ولا سبيل لأهل السنة والجماعة -والشيخ منهم- أن يعدلوا عن منهاجهم. ولذا؛ فالشيخ يذكر توحيد الربوبية ليستدل به -لأنه معلوم- على توحيد الله بالألوهية، وكم كرر في هذا الأمر وقرر.

وأما ما ينقل عن الملاحدة والشيوعيين؛ من أنهم لا يقرون بالربوبية، بل ينكرون وجود الله؛ فإن هذا الصنف من المخلوقات لا تنفع معهم أدلة، ولا تنجح فيهم حجة، ولا يصح ويثبت في أذهانهم أي علم؛ فمن العبث الاشتغال بأفكارهم والرد عليها؛ لأنهم مردوا على الجحود والكفر، فطبع الله على قلوبهم، وازدادوا كفرا بعد كفر، وظلمة فوق ظلمة، وفسادا فوق فساد؛ فالمنهج تجاههم هو: الإعراض عنهم، والإقبال على تقرير التوحيد على منهاج الرسل وكما قرروه، والمضي في هذا السبيل بكل قوة، ومن غير التفات إلى المعاندين المكابرين.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾^(٢).

وتقرير توحيد الله تعالى وإثباته على منهاج الرسل يفيد إثبات

(١) سورة إبراهيم آية : ١٠ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٢٥ .

وجود الله مع مزيد التأييد والقوة والوفاء بالمقصود، ولا أنفع علاجاً وداء لداء انحراف الفطرة وفسادها من تقرير التوحيد كما قرره الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان؛ فقد تعاملوا مع خلق الله بما أمر الله، وأرضوا الله فيمن أسخطه فيهم وفي غيرهم؛ فأقاموا حدود الله، وطبقوا شريعته على جميع الأحوال؛ فكانوا هم الغالبون بإذن الله.

ويقول الشيخ: "إن التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذراً لصاحبه؛ كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي أبدأها؛ كما يعذر من خالف النصوص متأولاً مخطئاً، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره، ومثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه، ويبينوا له الحق؛ كما يفعلون مع المخطئ المتأول، بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه، وإلا؛ أعرض عنه إن لم يقدر عليه؛ كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا؛ فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته؛ فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة في قيلهم؛ أبدى لهم شيئاً من حكمته، وتابوا.

وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزوته التي فتح الله له فيها مكة؛ فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم، ووجدت عليه الأنصار؛ عاتبهم، واعتذروا، وقبل عذرهم، وبين لهم شيئاً من الحكمة، ولما قال له ذلك الرجل العابد: اعدل! قال له كلاماً غليظاً، واستأذن بعض الصحابة في قتله، ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذر ذكره^(١).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٢).

ويزيد الشيخ ذلك أيضاً فيقول: "إن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان، لا عذر لصاحبها؛ فإن الخوض معه في إبطالها؛ تضييع للزمان، وإتعايب للحيوان، مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته، وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في رد باطلهم كما عليه المتأخرون، بل يعاقبونهم إن قدروا، والا؛ أعرضوا عنهم، وقال أحمد لمن أراد أن يرد على أحدهم: اتق الله، ولا تنصب نفسك لهذا، فإن جاءك مسترشداً؛ فأرشده" (١).

ويقول الشيخ: "إن في قول الله تعالى: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنَّ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾" (٢).

إن في هذا الكلام غاية إنصاف الخصم، وإن الذي لا ينقاد له؛ ليس داؤه جهالة بل مشاقة، وإنك إذا أنصفت وأصر؛ فهو سبب لانتقام الله منه" (٣).

ويستنبط الشيخ من قصة آدم وإبليس أنه لا ينبغي للمؤمن أن

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٣).

(٢) سورة البقرة آية : ١٣٦.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٩ - ٤٠).

يغتر بالفجرة، بل يكون على حذر منهم، ولو قالوا ما قالوا، خصوصا أولياء الشيطان، الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته؛ فإن اللعين حلف : ﴿ إِنِّي لَكُـمَّا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(١).

ومنها أن زحرفة القول قد تخرج الباطل في صورة الحق؛ كما في الحديث: ﴿ إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا ﴾^{(٢)(٣)}؛ فإن اللعين زحرف قوله بأنواع؛ منها تسمية الشجرة شجرة الخلد، ومنها تأكيد قوله: (إني لكما لمن الناصحين)، وغير ذلك مما ذكر في القصة؛ فينبغي للمؤمن أن يكون من زحرف القول على حذر، ولا يقنع بظاهره، حتى يعجم العود"^(٤).

وكما قدمنا أن منهج الشيخ هو منهج السلف الصالح؛ فإنه في إعراضه عن مبحث الوجود والاستدلال عليه؛ لأنه أمر مسلم به، ولأنه هو الدليل على توحيد العبادة المطلوب، والذي من أجله فقط أرسلت الرسل؛ فقد اتبع منهج كبار الأئمة في بيان التوحيد، وإقامة الأدلة عليه؛ مثل الإمام أبي حنيفة وغيره من أئمة المذاهب الأربعة الكبار.

قال ملا علي القاري في "شرح الفقه الأكبر" لأبي حنيفة: "وقد أعرض الإمام عن بحث الوجود؛ اكتفاء بما هو ظاهر في مقام الشهود؛ ففي التنزيل:

(١) سورة الأعراف آية : ٢١.

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح (٥١٤٦) وكتاب الطب (٥٧٦٧) ، وسنن أبي داود : كتاب الأدب (٥٠٠٧) ، وموطأ مالك : كتاب الجامع (١٨٥٠).

(٣) رواه: أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٣ - ٩٤).

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١).

﴿ وَإِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٢).

فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق؛ كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى:

﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيَّهَا ﴾^(٣).

ويومئ إليه حديث: ﴿ كل مولود يولد على الفطرة ﴾^(٤).

وإنما جاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لبيان التوحيد، وتبيان التفريد، ولذا؛ أطبقت كلمتهم وأجمعت حجتهم على كلمة: لا إله إلا الله، ولم يؤمروا بأن يأمرؤا أهل ملتهم بأن يقولوا: الله موجود، بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود؛ ردا لما توهموا وتخلوا؛ حيث قالوا: ﴿ هَتُؤُلَاءِ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٥).

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٦).

على أن التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد، ثم العقائد يجب

(١) سورة إبراهيم آية : ١٠ .

(٢) سورة لقمان آية : ٢٥ .

(٣) سورة الروم آية : ٣٠ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الجنائز (١٣٨٥) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٧١٤) ، وموطأ مالك : كتاب الجنائز (٥٦٩) .

(٥) سورة يونس آية : ١٨ .

(٦) سورة الزمر آية : ٣ .

أن تؤخذ من الشرع الذي هو الأصل^(١).

وقال ملا علي القاري: "حكى عن أبي حنيفة رحمه الله أن قوما من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلي من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فتترسى بنفسها، وتتفرغ بنفسها، وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟ فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة؛ فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟!". انتهى^(٢).

ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

فوا عجا كيف يعصي الإله	أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكه	وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد ^(٣)

وأما من بلي بشيء من وسوسة التسلسل في الفاعلين؛ فإن الشيخ يرشد إلى ما أرشد إليه رسول الله ﷺ حيث أرشد من بلي بشيء من وسوسة التسلسل في الفاعلين إذا قيل له: هذا الله خلق الخلق؛ فمن خلق الله؟ أن يستعذ بالله، وينتهي، ويقرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).

(١) "شرح ملا علي قاري للفقهاء الأكبر" لأبي حنيفة (ص ١٠).

(٢) "شرح ملا علي قاري على الفقهاء الأكبر" لأبي حنيفة (ص ٩).

(٣) نقلا من "شرح ملا علي قاري على الفقهاء الأكبر" لأبي حنيفة (ص ٩).

(٤) سورة الحديد آية : ٣.

وكذلك قال ابن عباس لأبي زميل وقد سأله: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قال: قلت: والله لا أتكلم به. فقال: أشيء من شك؟ قلت: بلى. قال: ما نجا من ذلك أحد، فإذا وجدت في نفسك شيئاً؛ فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

فأرشدهم بالآية إلى بطلان التسلسل ببيهة العقل، وأن سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي إلى أول ليس قبله شيء، كما تنتهي في آخرها إلى آخر ليس بعده شيء، كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء، وبطونه هو أنه ليس دونه واسطة؛ فليس دونه شيء سبحانه، ولو كان قبله شيء يكون مؤثراً فيه؛ لكان هو الرب الخلاق؛ فلا بد أن ينتهي الأمر إلى خالق غني عن غيره وكل شيء فقير إليه، قائم بنفسه وكل شيء قائم به، موجود بذاته، قديم لا أول له، وكل ما سواه فوجوده به بعد عدمه، باق بذاته وبقاء كل شيء به^(٢).

ثم يرشد الشيخ إلى أن ما يقع في القلب من خواطر الشيطان لا يضر، بل هو صريح الإيمان إذا كان مع الكراهة؛ أخذنا من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾^(٣) الآية^(١).

(١) سورة الحديد آية : ٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٥٢ - ١٥٣). وانظر: (ملحق

المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٤٠، ص ٢٩ - ٣٠).

(٣) سورة يوسف آية : ١١٠.

فسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، هو خالق كل شيء، وما سواه مخلوق. والشيخ حين يجعل أصله في علم التوحيد هو التمسك بالكتاب والسنة، ومجانبة الهوى والبدعة، ولزوم طريق أهل السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه السلف الصالحون؛ يكون متبعا للعلماء السابقين غير مبتدع.

وإذا قسم التوحيد إلى نوعين هما: توحيد الربوبية، ويدخل فيه إثبات الأسماء الحسنى وصفات الكمال على ما جاء في الشرع، وهو القسم العلمي الخبري من قسمي التوحيد، وتوحيد الألوهية أو توحيد العبودية الذي هو القسم الطلي الإرادي، وإذا بين أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية دون العكس في القضية؛ فليس هذا القول من الشيخ لمتابعته ابن تيمية أو علماء الحنابلة أو علماء أهل السنة من المالكية والشافعية فحسب، بل لمتابعته أيضا علماء الحنفية فيما حققوه من السنة النبوية الشريفة.

هذا الإمام أبو حنيفة رحمه الله بدأ مؤلفه المسمى ب"الفقه الأكبر" بقوله: "أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه يجب أن يقول:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٨٠).

آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والقدر خيره
وشره من الله تعالى" (١).

ويقول الشيخ علي البزدوي من الحنفية في "أصول الفقه": "العلم
نوعان: علم التوحيد والصفات، وعلم الفقه والشرائع والأحكام. والأصل في
النوع الأول: هو التمسك بالكتاب والسنة، ومجانبة الهوى والبدعة، ولزوم
طريق أهل السنة والجماعة، الذي كان عليه الصحابة والتابعون، ومضى عليه
السلف الصالحون، وهو الذي عليه أدركنا مشايخنا، وكان على ذلك سلفنا؛
أعني: أبا حنيفة، وأبا يوسف، ومحمدا، وعمامة أصحابهم رحمهم الله
تعالى" (٢).

وهذا أبو جعفر أحمد الطحاوي الحنفي المتوفى سنة (٣٢١هـ) قبل ابن
تيمية يذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة النعمان
بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله
محمد بن الحسن الشيباني؛ فيقول: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله:
أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله
غيره" (٣).

(١) "الفقه الأكبر بأعلى صحائف شرح ملا علي قاري" (ص ٩ - ١٣)، و"بأعلى صحائف

شرح أحمد المغنيساوي" (ص ٣١، الطبعة الثانية، الهند ١٣٦٧هـ).

(٢) نقلا عن "شرح الفقه الأكبر" لأحمد المغنيساوي ضمن مجموعة الرسائل السبع في العقائد

(ص ٣٠، الطبعة الثانية بمطبعة جمعية دائرة المعارف حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦٧هـ).

(٣) "العقيدة الطحاوية" (طبعة المكتب الإسلامي، ص ١٧ - ١٨).

فقاله: "لا شيء مثله"؛ في توحيد الصفات والأسماء، و "لا شيء يعجزه"؛ في توحيد الربوبية والقدرة، وكل ذلك في توحيد المعرفة والإثبات، "ولا إله غيره" في توحيد الألوهية، وذلك في توحيد الطلب والإرادة. قال شارح "الطحاوية" ابن أبي العز الحنفي المتوفي سنة (٧٤٦هـ): "ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد"^(١).

بل إن المتأخرين من الأحناف من يقرر ما قرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل أن يولد.

وهذا ملا علي بن سلطان القاري الحنفي المتوفي سنة (١٠١٤هـ) قبل ميلاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمائة سنة يقرر ما قرره الشيخ من نوعي التوحيد، فقال في شرحه "الفقه الأكبر" لأبي حنيفة: "أقول: فابتداء كلامه سبحانه وتعالى في الفاتحة بالحمد لله رب العالمين يشير إلى تقرير توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الألوهية المقتضي من الخلق تحقيق العبودية...". إلى أن قال: "والحاصل أنه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس في القضية، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾"^(٢).

(١) "شرح الطحاوية" (ص ٨٨).

(٢) سورة لقمان آية : ٢٥.

وقوله سبحانه حكاية عنهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾^(١).

بل غالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل القرآن من أوله إلى آخره في بيانهما وتحقيق شأنهما؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته؛ فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في العقبى؛ فهو جزاء توحيدهم، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب والسلاسل والأغلال؛ فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوق أهله وثوابهم، وفي شأن ذم الشرك وعقوق أهله وجزائهم.

ف ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢)؛ توحيد، ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(٣)؛ توحيد، ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(٤)؛ توحيد، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٥)؛ توحيد، ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٦)؛ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، (صراط الذين أنعمت عليهم). وهم أهل التوحيد، (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)؛ الذين فارقوا التوحيد عنادا وجهلا وإفسادا.

(١) سورة الزمر آية : ٣ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ١ .

(٤) سورة الفاتحة آية : ٤ .

(٥) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٦) سورة الفاتحة آية : ٦ .

وكذا السنة تأتي مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن؛ فلم يوجبنا ربنا سبحانه وتعالى إلى رأي فلان وذوق فلان ووجد فلان في أصول ديننا، ولذا؛ نجد من خالف الكتاب والسنة مختلفين مضطربين.

بل قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

فلا نحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة؛ كما قال الله تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَانَاكَمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤) " (٥).

(١) سورة المائدة آية : ٣.

(٢) سورة إبراهيم آية : ٥٢.

(٣) سورة العنكبوت آية : ٥١.

(٤) سورة الحشر آية : ٧.

(٥) "شرح ملا علي بن سلطان محمد القاري الحنفي المتوفى عام ١٠١٤ على الفقه الأكبر" لأبي حنيفة (ص ٩ - ١٠).

وأظنه نقل عن شارح "الطحاوية" ابن أبي العز الحنفي^(١).

وليس سبب الخلاف بين الشيخ وخصومه هو تقسيم التوحيد إلى نوعين، وبيان الفرق بينهما؛ كما يذهب إليه الدكتور العثيمين^(٢) وإنما الخلاف بينه وبين خصومه، هو أنه يقول: ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى في كتابه: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٣).

وقال في حق النبي ﷺ ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾^(٤).

ولما ذكر الشيخ لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهما، أنها على خلاف أمر الله ورسوله، وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذي قال فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾^(٥).

لما أظهر لهم هذا؛ أنكروه، وكبر عليهم، وقالوا: جعلنا مشركين؟ وقالوا:

هذا ليس إشراكا!

(١) انظر: "شرح الطحاوية" (ص ٨٨ - ٨٩).

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور عبد الله العثيمين (ص ١٠٨ - ١١٠).

(٣) سورة الجن آية : ١٨ .

(٤) سورة الجن آية : ٢١ .

(٥) سورة المائدة آية : ٧٢ .

هذا هو مرتكز الخلاف بين الشيخ وخصومه^(١).

ولو أن خصوم الشيخ أقروا بتوحيد الله في هذا، وتابوا مما كانوا عليه من دعاء غير الله؛ ما كان الشيخ ليطالبهم بالتفريق بين نوعي التوحيد؛ كيف والشيخ يرى أن لفظ الربوبية يأتي بمعنى الألوهية؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾^(٢).

قال الشيخ: "قولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)؛ هذه الربوبية هي الألوهية"^(٤).

والشيخ حين يفرق بين توحيد الربوبية والألوهية؛ إنما ليبين أن الربوبية عندما تفسر بأشهر معانيها الذي هو فعل الرب، وحين يؤتى بتوحيد الربوبية على هذا التفسير؛ أي: اعتقاد أن الله واحد في فعله؛ فإنه لا يكفي عن الإتيان بتوحيد الألوهية، والذي منه إفراد الله بالدعاء؛ لأن المشركين زمن الرسول ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية هذا، ومع ذلك؛ لم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم لم يأتوا بتوحيد الألوهية، على ما سيأتي بيانه بالتفصيل في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

وقد بين الشيخ منهجه في الأحكام في نبذة كتبها بعنوان: "أربع

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ٤، ص ٣٣).

(٢) سورة الكهف آية: ١٤.

(٣) سورة الكهف آية: ١٤.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٤٣).

قواعد تدور عليها الأحكام"، وتتلخص في الآتي:

- ١- تحريم القول على الله بلا علم.
- ٢- أن كل شيء سكت عنه الشارع؛ فهو عفو.
- ٣- أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بالمتشابه طريق أهل الزيغ؛ كالرافضة والخوارج.

٤- أن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، فمن لم يفتن لهذه القاعدة، ويريد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل؛ فقد ضل وأضل^(١).

والشيخ يرى أن الصواب في المسائل المشككة عدم الجزم بشيء بل يقول: الله أعلم؛ مثل ما قال أهل الكهف: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾^(٢).

وكما أمر الله بإسناد الأمر إلى علمه: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾^(٣).
فالسكوت عنها هو العلم، والمتكلم بلا علم ينكر عليه^(٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثاني، الفقه، المجلد الثاني، ص ٣-١٠، والقسم الرابع، التفسير،

الأعراف، ص ٧٧-٨٠).

(٢) سورة الكهف آية : ١٩.

(٣) سورة الكهف آية : ٢٢.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٤٥-٢٤٧).

والله تبارك وتعالى نهى عن افتراء الكذب عليه، والقول عليه بلا علم،
والمحاجة والمجادلة بغير علم، وقول ما ليس للقائل به علم مطلقاً؛ قال الله
تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١).

والذي يجب العلم به أن كل ما قال الرسول ﷺ حق يجب الإيمان به،
ولو لم يعرف الإنسان معناه، وأنه لا تضاد ولا تناقض في كلام الله وكلام
الرسول ﷺ؛ كما أنه ليس بين كلام الرسول ﷺ وكلام الله أي مناقضة^(٢).
والأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعض، لكن؛ قد
يكون أحدهما أخطأ في الدليل لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه
فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً.

وحاشا كلام الله وكلام رسوله ﷺ من التضاد، بل كله حق يصدق
بعضه بعضاً، والواجب على المؤمن في مثل هذا أن يحسن الظن بكلام الله
وكلام رسوله، ويقول كما أمر الله: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾^(٣).

فإذا تبين له الحق؛ فليقل به، وليعمل به، وإلا؛ فليمسك،

(١) سورة الإسراء آية : ٣٦.

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج٦، ص٤٩٥ - ٤٩٦)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث،
الفتاوى، ص٣٤ - ٣٥، وص٤٤ - ٤٥).

(٣) سورة آل عمران آية : ٧.

وليقل: الله ورسوله أعلم^(١).

نعم؛ قد يرد حديثان متضادان، ولكن أحدهما ليس بصحيح، وقد يكون أحدهما ناسخا، لكنه قليل جدا، ومع ذلك؛ لا يرد المنسوخ إلا قد يرد ما يبينه^(٢).

وينبغي لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة في الدليل الذي يدل عليها، ويحيل نظره في ذلك؛ فإن كثيرا من الأغاليط وقعت في مسألة واضحة جدا، ويستدل الغالط على غلطه بشيء من القرآن والسنة، وهو لا يدل على ذلك؛ كما فعل الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾^{(٣)(٤)}.

فينبغي رد المسألة المشككة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال، وللمفتي أن يستفصل إذا احتاج لذلك^(٥)؛ فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه كما ابتلاهم بالمحكم؛ ليعلم من يقف حيث وقفه الله، ومن يقول على الله بلا علم، ولو بلغ الإنسان من العلم ما بلغ؛ لكان ما

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٠)، و"مؤلفات الشيخ"

(القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣٤).

(٣) سورة آل عمران آية : ٧.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٠ - ٤١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٣٩).

علمه قليلا بالنسبة إلى ما لم يعلمه، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١)(٢).

وقد توقف الشيخ في الإفتاء عن معنى قوله: "الشؤم في ثلاث" إرخ، وقال: "لم يتبين لي معناه، والله أعلم بمراد رسوله ﷺ".

وفي جواب: هل المراد حفظ القرآن مع حفظ المعاني (في ما ورد من الفضل في حفظه)؟ قال الشيخ: "لا يحضرنى جواب يفصل المسألة".

وفي إغلاق الباب أيام الجذاذ ووقت الحصاد؛ قال: "فلا أجسر على الجزم بتحريمه"، وفي موضع قال: "فلا أتجرأ على الجزم بتحريمه". وفي معنى عقد اللحية؛ قال: "لا أعلمه".

وفي مقصود الحسن بتفسير الجبت برنة الشيطان، قال: "لا أعرف مقصود الحسن".

وفي الفرق بين الروح والرحمة؛ قال: "لا أعرفه".

وفي مسألة إذا لم يعرف هل هذا وقف على من يرث أم لا، ولكن الإفاضة على أنه ممن يرث؟ قال: "فأنا لا أدري عن هذه المسألة، لكن أرى لك التوقف عنها، ولا ينزع من يد من يأكله إلا بينة".

(١) سورة الإسراء آية : ٨٥.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣٤ - ٣٥).

وغير ذلك^(١).

ويرى أنه لا غنى للمسلم عن معرفة أمور أهل الجاهلية الكتابيين والأمين التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ؛ فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء، والحق لا يتبين إلا بالباطل^(٢) وأنه قد يكون لأهل الباطل والشرك علوم كثيرة وكتب وحجج، ويفرحون بما عندهم من العلم، ومن حكمة الله أن جعل منهم أعداء للرسول وأتباعهم، وهم شياطين الجن والإنس^(٣) يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

ومن أمورهم أن التقليد بالباطل هو القاعدة الكبرى لجميع أهل الجاهلية. أولهم وآخرهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٥).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣٨، ٣٩، ٥٣، ٥٤، ٧٣، ٩٠، ٩٧، ١٠٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٣٣، والقسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ١٥، ١٦).

(٣) مؤلفات الشيخ (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٩ - ١٦٠، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٢، ص ١٥٥ - ١٥٧).

(٤) سورة الزخرف آية : ٢٣.

(٥) سورة لقمان آية : ٢١.

فأتاهم رسول الله ﷺ بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَعَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ ﴾ (١).

وقول الله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢)(٣).

لذا؛ فالشيخ لا يرتضي مناهج الجاهلية، ولا قياساتهم واستدلالاتهم الفاسدة، ولا حججهم الباطلة؛ مثل استدلالهم على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء؛ كقوله تعالى حكاية عنهم ﴿ أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴾ (٤).

وقوله عنهم: ﴿ أَهْتُوا لِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنَاتٍ ﴾ (٥).

(١) سورة سبأ آية : ٤٦ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٣ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٣٦).

(٤) سورة الشعراء آية : ١١١ .

(٥) سورة الأنعام آية : ٥٣ .

فرد الله استدلالهم بقوله: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّكِرِينَ ﴾ (١).

ومثل اقتدائهم بفسقة العلماء والعباد أمثال من قال الله فيهم: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ

ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٣).

ومثل استدلالهم على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم.

ومثل استدلالهم بالقياس الفاسد، وإنكارهم القياس الصحيح، واستدلالهم على الحق بقوم ضالين؛ غير أنهم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والجاه والمال، فرد الله ذلك بقوله: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ بَيَاةَ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٤).

(١) سورة الأنعام آية : ٥٣.

(٢) سورة التوبة آية : ٣٤.

(٣) سورة المائدة آية : ٧٧.

(٤) سورة الأحقاف آية : ٢٦.

واعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين، واعتياضهم كتب السحر عما أتاهم من الله؛ كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴿١﴾.

ونسبتهم الباطل إلى الأنبياء، فرد الله عليهم بمثل قوله ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ (٢).

ومثل قوله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ (٣).

وقدحهم في الصالحين بفعل سيء من بعض المنتسبين إليهم كقدح اليهود في عيسى وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ (٤).

وتحريفهم كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وتصنيفهم الكتب الباطلة، ونسبتها إلى الله؛ كما قال الله عنهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (٥).

(١) سورة البقرة آية : ١٠١ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٠٢ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٦٧ .

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، رقم ٨ - ١٣ ، ١٦ -

٢٥).

(٥) سورة البقرة آية : ٧٩ .

ولا يقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم، ومع ذلك؛ لا يعملون بما تقوله طائفتهم^(١) ولكن؛ يثبتون أهواءهم وظنوتهم، ويعرضون عما جاءت به الرسل، فيصبحون على خلاف ما جاءت به الرسل من النفي والإثبات؛ يثبتون ما نفته الرسل، وينفون ما أثبتته الرسل، ويعتذرون عن إعراضهم عما جاءت به الرسل بعدم الفهم؛ كقولهم: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾^(٢).

﴿ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ﴾^{(٣)(٤)}.

ويلحدون في أسماء الله الحسنى وصفاته، ويعطلون الله من صفات الكمال والعظمة والجلال، وينسبون إليه النقائص سبحانه، وقد ينزهون أنفسهم عنها، ويجحدون القدر، أو يحتجون به على معارضة الشرع، ويسبون الدهر^(٥) ويعملون الحيل الظاهرة والباطنة

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٢٦ - ٢٩).

(٢) سورة البقرة آية : ٨٨.

(٣) سورة هود آية : ٩١.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ١ - ١٥).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٣٧ - ٤٦).

في دفع ما جاءت به الرسل، وقد يقرون بالحق ليتوصلوا بذلك إلى دفعه، ويلقبون أهل الهدى بالصباة والحشوية، وإذا غلبوا بالحجة؛ فزعوا إلى الشكوى إلى الملوك وأهل النفوذ؛ يرمون أصحاب الحجة الغالبة بالفساد في الأرض وانتقاص الملك وتبديل الدين^(١).

كما قال تعالى عن فرعون أنه قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾^(٢).

وقال عن قومه أنهم قالوا: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(٣).

ودعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم كمن ينتسب إلى إبراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه^(٤).

لقد كان الشيخ ينطلق من إسلامه وإيمانه ومن منهجه السلفي في كلامه على التوحيد، فلم يشغل نفسه بما شغل به أهل البدع أنفسهم، كالمتكلمين المعرضين عن طريقة الرسل واتباعهم من سلف

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٥٣، ٥٩، ٦٢، ٦٧).

(٢) سورة غافر آية : ٢٦.

(٣) سورة الأعراف آية : ١٢٧.

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ١٢٠، ١٨).

الأمة وأئمتها، فاشتغلوا ببدع من الكلام والاستدلال؛ كالجوهر والعرض، والتحيز والجهة... ونحو ذلك من الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها بالوحي.

وينقل الشيخ عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن سريج لما سئل عن التوحيد، ذكر توحيد المسلمين، ثم قال: "وأما توحيد أهل الباطل؛ فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في مواضعه، ومن ذلك ما ينقل من كلام أبي الوفاء بن عقيل؛ قال: أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا؛ ما عرفا الجوهر والعرض، فإن رأيت أن طريقة أبي علي الجبائي وأبي هاشم خير لك من طريقة أبي بكر وعمر؛ فبئس ما رأيت" (١) اهـ.

ولذا؛ فالشيخ يرى أن المتكلمين أهل شك وريب، ولم ينتهوا من مباحثهم إلى طمأنينة، وقضوا حياتهم وفارقوا الحياة وهم في حيرة واضطراب واختلاف وأمر مريب وقول مختلف.

وقال: "يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك؛ إما عند الموت، وإما قبل الموت، والحكايات في هذا كثيرة معروفة.

هذا أبو الحسن الأشعري: "نشأ في الاعتزال أربعين عاما يناظر

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٠، ص ١٣١-١٣٢).

عليه، ثم رجع عن ذلك، وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم. وهذا أبو حامد الغزالي، مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف؛ ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة، ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث، وصنف "إلجام العوام عن علم الكلام". وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي؛ قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج. الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة أهل القرآن، أقرأ في الإثبات:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١).

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢).

وأقرأ في النفي:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣).

﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِءَ عِلْمًا﴾^(٤).

(١) سورة طه آية : ٥ .

(٢) سورة فاطر آية : ١٠ .

(٣) سورة الشورى آية : ١١ .

(٤) سورة طه آية : ١١٠ .

﴿ هَلْ تَعَلَّمْ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (١).

ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي، وكان يتمثل كثيرا:
نهاية إقدام العقول عقاب وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمونا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وهذا إمام الحرمين ترك ما كان ينتحله ويقرره، واختار مذهب السلف،
وكان يقول: يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ
بي إلى ما بلغ؛ ما اشتغلت به.

وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام
وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل
لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أُمِّي (أو قال: عقيدة عجائز
نيسابور).

وكذلك قال أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: إنه لم يجد
عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم.

وكان ينشد:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

(١) سورة مريم آية : ٦٥.

وابن الفارض (من متأخري الاتحادية) صاحب "القصيدة التائية" المعروفة بـ "نظم السلوك"، وقد نظم فيها الاتحاد نظماً رائعاً اللفظ؛ فهو أحبث من لحم خنزير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها بـ "نظم الشكوك"،
الله أعلم بما وبما اشتملت عليه، وقد نفقت كثيراً، وبالغ أهل العصر في تحسينها والاعتداد بما فيها من الاتحاد، لما حضرته الوفاة أنشد:
إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بما زمنما اليوم أحسبها أضغاث أحلام

والخلاصة: أن أهل الكلام يردون باطلاً بباطل^(١).

ويقول الشيخ عن مناهج المخالفين من أهل الكلام للرسول في معرض رسالته إلى ابن عبد اللطيف: "ومما يهون عليك مخالفة من خالف الحق، وإن كان من أعظم الناس، وأذكاهم، وأعظمهم جاهاً، واتبعه أكثر الناس؛ تذكر ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في أصول الدين وصفات الله تعالى، وما وقع فيه من الجهل والمحدور غالب من يدعي المعرفة، وما عليه المتكلمون من التناقض والحيرة، وتسميتهم طريقة رسول الله ﷺ حشوا وتشبيهاً وتجسيماً، مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب أهل الكلام، مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١١٩، ص ١٢٧ - ١٤٠)، و"نقض المنطق" تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٦٠ - ٦٢)، وانظر: "شرح ملا علي بن سلطان محمد القاري الحنفي على الفقه الأكبر" للإمام أبي حنيفة (ص ٥ - ٨، الطبعة الثانية عام ١٣٧٥هـ، الحلبي).

أحد، وهو أصل الدين؛ تجدد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله ﷺ إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه، وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، ومعتزفون أنهم مخالفون للسلف في ذلك؛ مثل ما ذكر في "فتح الباري" في مسألة الإيمان على قول البخاري: "وهو قول وعمل ويزيد وينقص"، فذكر إجماع السلف على ذلك، وذكر عن الشافعي أنه نقل الإجماع على ذلك، وكذلك ذكر أن البخاري نقله، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يردده.

فإن نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح؛ فتأمل تلك التراجم، واقراً في كتب أهل العلم من السلف ومن أتباعهم من الخلف، ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى وتلقيها بالقبول، وأن من جحد شيئاً منها أو تأول شيئاً من النصوص؛ فقد افترى على الله، وخالف إجماع أهل العلم، ونقلهم الإجماع على أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البر: "أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء...".

قال الشيخ: "إنهم ابتدعوا كلاماً من عند أنفسهم، وكابروا به العقول أيضاً".

ويقول الشيخ: "إن أهل الكلام وأتباعهم من أحمق الناس وأفطنهم، ولهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب، وهم

وأتباعهم مقرون أنهم مخالفون للسلف مع هذا، وأيضا؛ فهم عاجزون عن الرد على الفلاسفة إفكهم وباطلهم؛ لكون مذهبهم فاسدا في نفسه، ومخالفا للعقول، مع مخالفته لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم، حتى إن بعض أئمتهم المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم آيات الأمر والنهي؛ مثل قولهم: المراد بالصيام كتمان أسرارنا، والمراد بالحج: زيارة مشايخنا، والمراد بجبريل: العقل الفعال، وغير ذلك من إفكهم؛ رد عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه مع أنه مذكور في الكتب على السنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل؛ فكيف يكون تأويلنا تحريفا وتأويلكم صحيحا؟! فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد".

ثم يخاطب الشيخ ابن عبد اللطيف؛ فيقول: "وأنا أدعوك إلى التفكير في هذه المسألة، وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في أصول الدين، وإبطال كلام المتكلمين وتفكيرهم، وممن ذكر هذا من متأخري الشافعية: البيهقي، والبعوي، وإسماعيل التميمي، ومن بعدهم، كالحافظ الذهبي، وأما متقدموهم؛ كابن سريج، والدارقطني، وغيرهما؛ فكلهم على هذا الأمر؛ ففتش في كتب هؤلاء، فإن أتيتني بكلمة واحدة أن منهم رجلا واحدا لم ينكر على المتكلمين؛ فلا تقبل مني شيئا أبدا، ومع هذا كله وظهوره غاية الظهور؛ راج عليكم، حتى ادعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون، والله

المستعان" (١).

وفي معرض رد الشيخ على بعض أهل الكلام تفسيرهم الإله أنه القادر على الاختراع، وأن الألوهية هي القدرة، فإذا أقروا بذلك؛ فهو معنى لا إله إلا الله، وفيهم الصفات بوجه أن التوحيد لا يتم إلا بنفيها، ومن أثبتها سموه مجسما؛ يقول الشيخ في سبب هذا الضلال:

"وأصل هذا؛ ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَسُ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ

نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٢).

وذكر الرحمن هو القرآن، فلما طلبوا الهداية من غيره؛ أضلهم الله، وقبض لهم الشيطان، فصدتهم عن أصل الأصول، ومع هذا؛ يحسبون أنهم مهتدون.

وبيان ذلك أنه ليس المراد معرفه الإله الإجمالية؛ يعني: معرفة الإنسان أن له خالقا؛ فإنها ضرورية فطرية، بل معرفة الإله؛ هل هذا الوصف مختص بالله لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل أو لغيره قسط منه؟ فأما المسلمون أتباع الأنبياء؛ فإجماعهم على أنه مختص؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٣).

(١) انظر: "مولفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٧، ص ٢٦٢ - ٢٦٥)

بتلخيص وتوضيح قليل، وانظر: "الدرر السنينة" (ج ١، ص ٦٩ - ٧١).

(٢) سورة الزخرف آية : ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٥.

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، والمتكلمون ممن يدعي الإسلام أضلهم الله عن معرفة الإله...".
وذكر الشيخ أن العجب العجاب ظنهم أن الألوهية هي القدرة، وأن معنى قولك: لا إله إلا الله؛ أي: لا يقدر على الخلق إلا الله.

إذا فهمت هذا؛ تبين لك عظم قدرة الله على إضلال من شاء مع الذكاء والفتنة، كأنهم لم يفهموا قصة إبليس، ولا قصة قوم نوح وعاد وثمود وهلم جرا؛ كما قال شيخ الإسلام في آخر الحموية: "أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأوتوا علوما وما أوتوا فهوما، وأوتوا سمعا وأبصارا وأفئدة؛ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء؛ إذ كانوا يجحدون بآيات الله، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون"^(١).

ولذا؛ لم يشغل الشيخ نفسه بمناهج أهل الكلام، وابتعد عن بدعهم المذمومة، واعتصم بمنهج السلف الصالح في اعتقاده وعلمه.

وهكذا يرفض الشيخ منهج أهل الكلام المبتدع في التوحيد والاعتقاد، ولا يعني ذلك أن الشيخ لا يعتبر العقل الصريح، بل العكس؛ فإن الشيخ رحمه الله - كما قدمنا - يعتبر القياس الصحيح ويثبته، ويرد على منكره، ويرفض منهجهم، فما دام القياس صحيحا؛ فالشيخ يثبته، سواء كان قياسا طرد، وهو التسوية بين المتماثلات، أو قياس عكس، وهو التفرقة بين المختلفات؛ فالشيخ

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٦٩ - ٧١).

يثبته ما دام صحيحا، والشيخ يستدل بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية^(١) ويعتبر القاعدة - التي هي خاصية العقل - هي ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما، وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما؛ من الأمور الشرعية^(٢).

وقد تقدم إيرادنا قول الشيخ رحمه الله تعالى: "ثم إذا عرف ما بينه الرسول ﷺ؛ نظر في أقوال الناس، وما أرادوا بها، فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول ﷺ؛ فإنه الميزان مع الكتاب؛ فهذا سبيل الهدى"^(٣).

ويقول الشيخ: "وما جئنا بشيء يخالف النقل ولا ينكره العقل"^(٤).

هذا وقد أشاع أعداء التوحيد عن الشيخ منهجا ليس من منهجه، وافتروا عليه مسلكا لم يسلكه، وحيث إن الشيخ نفسه قد أجاب عن افتراءات أعدائه عليه، وبين أنه لا أساس لها من الصحة، كما شخص أسباب هذه الافتراءات؛ فأذكرها هنا مكتفيا بأجوبة الشيخ، حيث إنها تعتبر جانبا من منهجه.

ويجدر بنا أن ننبه إلى أن جميع المفتريات والإشاعات التي

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٧٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (التفسير، البقرة، ص ٢٣).

(٣) انظر: (١ / ٢٩٤) من هذا البحث، و"الدرر السنية" (ج ٢، ص ٨).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٤، ص ٩٨).

أثيرت تنبثق من تلك المفتريات التي أجاب عنها الشيخ، مما يجعلنا نعتبر جواب الشيخ صالحا لكل ما قيل عنه من بعده أيضا.

وفيما يلي تلخيص لأجوبة الشيخ عما نسب إليه أنه انتهجه فالشيخ يقول: "أشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها"^(١).

ويقول الشيخ: "إذا تبين هذا؛ فالمسائل التي شنع بها؛ منها ما هو من البهتان الظاهر، وهي قوله: إني مبطل كتب المذاهب، وقوله: إني أقول إن الناس من ست مائة سنة ليسوا على شيء، وقوله: إني أدعي الاجتهاد، وقوله: إني خارج عن التقليد، وقوله: إني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وقوله: إني أكفر من توسل بالصالحين، وقوله: إني أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق! وقوله: إني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول ﷺ؛ لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة؛ لأخذت ميزابها، وجعلت لها ميزابا من خشب، وقوله: إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ وأنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، وإني أكفر من يحلف بغير الله.

فهذه اثنتا عشرة مسألة جوايي فيها أن أقول: (سبحانك هذا بهتان عظيم)، ولكن قبله من بهت محمدا ﷺ؛ أنه يسب عيسى بن مريم، ويسب الصالحين (تشابحت قلوبهم)، وبهتوه بأنه يزعم أن

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٦، ص ٤٠).

الملائكة وعيسى وعزيرا في النار، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١) الآية (٢). اهـ.

وأما مسألة التكفير؛ فالشيخ يجيب بأنه لا يكفر بالعموم، ولا يكفر جميع الناس ممن لم يتبعه، ولا يزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ولا يقول إن الناس من ست مائة سنة ليسوا على شيء (٣) ولا يكفر بالظن، فمن أظهر الإسلام، وما تيقنا أنه أتى بناقض؛ لا يكفر؛ لأن اليقين لا يرفع بالظن (٤) ولا يكفر الشيخ بالموالاة؛ يعني: أنه لا يقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندنا ويوالينا، بل مراده اتباع دين الله ورسوله ﷺ في أي أرض كانت، ولا يقول: إن الذي ما يدخل تحت طاعتي فهو كافر، بل يقول: نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله؛ فهو المسلم، في أي زمان وأي مكان (٥) ولا يكفر الجاهل

(١) سورة الأنبياء آية : ١٠١.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٦، ص ٤٠، ورقم ٦، ص ١٧، ص ١١٤، ورقم ١١، ص ٦٤، ورقم ٨، ص ٥٢، ورقم ١، ص ١٢، ورقم ٥، ص ٣٧، ورقم ٤٢، ص ٢٨٨، ورقم ٧، ص ٤٧ - ٤٩)، و "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص ٤١٢ - ١١٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥، ص ٣٧، ورقم ٧، ص ٤٨، ورقم ١٥، ص ١٠١، ورقم ١، ص ١٢، ورقم ١١، ص ٦٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص ٢٤ - ٢٥).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٠ و ٩ و ٣، ص ٦٠ و ٥٨ و ٢٥ - ٢٧).

الذي لم تقم عليه الحجة^(١) ولا يكفر من يحلف بغير الله، ولا يكفر من توسل بالصالحين^(٢) ولا يكفر ابن الفارض بعينه، ولا ابن عربي بعينه^(٣) ولا يكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق^(٤)!

ولقد بين الشيخ هذا أتم بيان؛ حيث قال: "وأما الكذب والبهتان. فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر^(٥) ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه"؛ يعني: زعمهم أنه يكفر من لم يقم عليه الحجة ونحو ذلك.

يقول الشيخ: "فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينههم؛ فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل؟ ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾^(٦)"^(١).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص ٢٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٦٤، ورقم ١، ص ١٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٢).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٦٤، ورقم ١، ص ١٢).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ١١)، و"روضة ابن غنام" (١/ ١٧٩ -

١٨١)، و"الدرر السنية" (١/ ٦٦)، وقوله: "لا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل"؛ أي: لا

نكفر من لم يكفر من كفرناه لعدم توفر دليل كفره لديه مثل توفره لدينا، والله أعلم.

(٦) سورة النور آية: ١٦.

وأما القتال؛ فيقول الشيخ فيه: "وأما القتال؛ فلم نقاتل أحدا إلى اليوم؛ إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكانا، ولكن؛ قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، وكذلك من جاهر بسبب دين الرسول ﷺ بعدما عرفه" (٢).

وقد أجاب الشيخ لما سأله الشريف عما يقاتلون عليه وعما يكفرون به الرجل بجواب خلاصته: "أن أول الأركان الخمسة للإسلام الشهادتان، وقد أجمع العلماء على كفر تاركها ووجوب قتاله، أما الأربعة الباقية؛ فإذا أقر الإنسان بها وتركها تهاونا؛ فالشيخ يقول: فنحن وإن قاتلناه على فعلها؛ فلا نكفره بتركها؛ لأن العلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلا من غير جحود" (٣).

والشيخ يكفر من كفر بإجماع المسلمين، وهو الذي قامت عليه الحجة، ولا يكفر من لم تقم عليه الحجة.

وفي بيان هذه النقطة من عقيدة الشيخ نقل ما لخصه الشيخ وارتضاه عن ابن تيمية رحمه الله، فيقول: "لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر؛ كقدامة وأصحابه؛ ظنوا أنها تباح لمن عمل صالحا على ما فهموا من آية المائدة؛ اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون، فإن أصروا على الاستحلال؛ كفروا،

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ١١)، و"روضة ابن غنام" (١/ ١٧٩ - ١٨١)، و"الدرر السننية" (١/ ٦٦)، وقوله: "لا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل؛ أي: لا نكفر من لم يكفر من كفرناه لعدم توفر دليل كفره لديه مثل توفره لدينا، والله أعلم.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥، ص ٣٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ٢، ص ٩)، و"روضة ابن غنام" (١/ ١٧٩ - ١٨١)، و"الدرر السننية" (١/ ٦٥ - ٦٧).

وإن أقروا بالتحريم؛ جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة، حتى يبين لهم الحق، فإن أصروا؛ كفروا.

ولهذا؛ كنت أقول للجهمية الذين نفوا أن يكون الله فوق العرش: أنا لو وافقتكم كنت كافرا، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال، ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأئمة أن يدعوا أحدا من الأحياء ولا الأموات ولا الأنبياء ولا غيرهم؛ لا بلفظ الاستغاثة، ولا بلفظ الاستعاذة، ولا غيرهما، كما أنه لم يشرع لهم السجود لميت، ولا إلى غير ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهي عن ذلك كله، وأنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين؛ لم يمكن تكفيرهم بذلك، حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل دين الإسلام، إلا تفتن له، وقال: هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذه أعظم ما بينته لنا^(١).

وفي موضع آخر يقول الشيخ في تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله: (كل من استفرغ وسعه؛ استحق الثواب، وكذلك الكفار ممن بلغته دعوة النبي ﷺ فأمن به وبما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشي وغيره، ولم تمكنه الهجرة، ولا التزام جميع الشرائع؛ لكونه ممنوعا من الهجرة ومن إظهار دينه، وليس عنده من

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠٥، ص ٩٩ - ١٠٠).

يعلمه الشرائع؛ فهذا مؤمن من أهل الجنة؛ كما كان مؤمن آل فرعون مع قومه، وكامرأة فرعون، بل وكما كان يوسف مع أهل مصر، فإنهم كفار، ولم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من الإسلام، فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان؛ فلم يجيبوه؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾^(١).

إلى أن قال الشيخ: "وكثيرا ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيا، بل وإماما، وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها؛ فلا يمكنه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وعمر بن عبد العزيز عودي وأوذي على بعض ما أقامه من العدل، وقيل: إنه سم على ذلك، فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة، وإن لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون عليه، بل يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها".

إلى أن قال الشيخ بعد أن ذكر أحكام الفوائت من الصلاة وغيرها: "إن الحكم لا يثبت إلا مع التمكن من العلم، وإنه لا يقضي ما لم يعلم وجوبه، وهذا يطابق الأصل الذي عليه السلف، وهو أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها؛ فالوجوب مشروط بالقدرة، والعقوبة لا تكون إلا على ترك أمور وفعل محظور، وبعد قيام الحججة"^(٢).

(١) سورة غافر آية : ٣٤ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٢١، ص ١٤٢ - ١٤٦).

وبذلك يتبين أن الشيخ لا يكفر أحدا بعينه إلا إذا قامت عليه الحجة؛ غير أنه يبين من هم الذين لم تقم عليهم الحجة، فيقول: "إن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، الذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية؛ مثل الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يعرف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه؛ فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه القرآن؛ فقد بلغته الحجة".

ويفرق الشيخ بين قيام الحجة وفهمها في جوابه لبعض من أشكل عليهم: هل قامت الحجة على من بلغه القرآن أو لا؟ فيقول: "ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة؛ فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١)".

وقيام الحجة وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم هو ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها".

ويقول الشيخ: "إن أشكل عليكم ذلك؛ فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: "أينما لقيتموهم؟ فاقتلوهم"، وقوله: "شر قتلى تحت أديم

(١) سورة الفرقان آية : ٤٤ .

(١) "الدرر السننية" (ج ٨، ص ٩٠ - ٩١). وانظر "صحيح البخاري" (ج ٨، ص ٥٢، ك ٨٨ / ب ٦) وفيه: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية؛ فأينما لقيتموهم؛ فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة". وفي "سنن ابن ماجه" (ج ١، ص ٦٢، المقدمة، باب ١٢)، ولفظه: "حدثنا سهل بن أبي سهل، ثنا سفيان بن عيينة عن أبي غالب عن أبي أمامة يقول: "شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء وخير قتيل من قتلوا كلاب أهل النار... قلت: يا أبا أمامة! هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ". قال الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله ثقات" بعد أن أورده مطولا عما في ابن ماجه. "مجمع الزوائد" (ج ٦، ص ٢٣٣ - ٢٣٤). وفي "مجمع الزوائد" للهيثمي أيضا: "... فاقتلوهم، هم شر البرية"؛ قال: "رواه أحمد ورجاله ثقات". وفي "صحيح البخاري" (ج ٨، ص ٥١، ك ٨٨ / ب ٦)؛ قال البخاري: "وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار؛ فجعلوها على المؤمنين". قال الحافظ ابن حجر في "الفتح": "وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار"، وقال: "سنده صحيح". وقال أيضا: "وقد ثبت في الحديث الصحيح المرفوع عن مسلم من حديث أبي ذر في وصف الخوارج: "هم شرار الخلق والخليقة". وعند أحمد بسند جيد عن أنس مرفوعا مثله، وعند البزار من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة؛ قالت: ذكر رسول الله ﷺ الخوارج؛ فقال: "هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي"، وسنده حسن. وعند الطبراني من هذا الوجه مرفوعا: "هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة". وفي حديث أبي سعيد عند أحمد: "هم شر البرية". وفي رواية ابن أبي رافع عن علي عند مسلم: "من أبغض خلق الله إليه". وفي حديث عبد الله بن حباب - يعني: عن أبيه - عند الطبراني: "شر قتلى أظلمت السماء وأقلمت الأرض". وفي حديث أبي أمامة نحوه. وعند أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي برة مرفوعا في ذكر الخوارج: "شر الخلق والخليقة؛ يقولها ثلاثا". وعند ابن أبي شيبة من طريق عمير بن إسحاق عن أبي هريرة: "هم شر الخلق". قال الحافظ ابن حجر: "هم قوم مبتدعون سموا بذلك؛ لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين". انظر: "فتح الباري" (ج ١٢، باب قتل الخوارج والملحدون بعد إقامة الحجة عليهم، ص ٢٨٣ - ٢٨٦).

قال الشيخ: "مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها، وكذلك قتل علي رضي الله عنه الذين يعتقدون فيه، وتحريقهم بالنار، مع كونهم تلاميذ أصحابه، مع عبادتهم وصلاتهم وصيامهم، وهم يظنون أنهم على حق، وكذلك إجماع السلف على تكفير غلاة القدرية^(١) وغيرهم، مع شدة عبادتهم،

(١) غلاة القدرية هم الذين ينكرون علم الله المتقدم وكتابه السابقة لمقادير الخلائق قبل أن يخلقهم. قال القرطبي: "ولا شك في تكفير من يذهب إلى ذلك؛ فإنه جحد معلوم من الشرع بالضرورة، لذلك؛ تبرأ منهم ابن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة، وكان أول من ظهر ذلك عنه بالبصرة معبد الجهني، فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء؛ تبرءوا منهم وأنكروا مقالتهم". انظر: "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (ص ٦٢١ - ٦٢٣).

وكونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل كونهم لم يفهموا؛ فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا"^(١).

ويقصد الشيخ بفهم الحجة؛ أي: عقلها، وعلى هذا؛ فالأنواع والأعيان ممن بلغه القرآن والسنة وقامت عليه بما الحجة، فلم يسلم؛ يكفر ببلوغ كلام الله إليه وكلام رسول الله ﷺ وخلوه من الموانع التي يعذر بها، أما كونه لم يعقل الحجة كعقل أبي بكر وعمر؛ فلا يعذر بذلك.

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: "فإذا كان المعين يكفر إذا قامت عليه الحجة؛ فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله ﷺ مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يعذر به، فهو كافر؛ كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾"^(٢).

وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا

يَعْقِلُونَ﴾"^(٣).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٦، ص ٢٤٤ - ٢٤٥، ورقم ٣٤،

ص ٢٣٢ - ٢٣٤)، " الدرر السنية" (ج ٨، ص ٩٠ - ٩١).

(٢) سورة الأنعام آية : ٢٥.

(٣) سورة الأنفال آية : ٢٢.

وقول الله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١)(٢).

وقال تعالى حكاية عن أهل جهنم: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (٤) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (٤).

وهكذا كل من بلغه الحكم الشرعي من المسلمين؛ فقد قامت عليه الحجة ببلوغ الحكم الشرعي إليه، وإن لم يعقل حكمته وأسارره ومعناه؛ فهو مسلم، عليه أن يلتزم الحكم الشرعي، والمرجع في الأحكام الشرعية هو علم علماء الإسلام المشهود لهم بذلك من قرآن وسنة وإجماع وقياس، ومرجع الحكم على أعيان الناس بتركهم الحكم الشرعي؛ كترك أحد المعينين الالتزام بالتوحيد، ومع ذلك؛ يكفر من التزم التوحيد ويصد الناس عن التوحيد بعد معرفته أنه دين الله ودين

(١) سورة الفرقان آية : ٤٤ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٣، ص ٢٢٠ - ٢٢١، ورقم ٣٦، ص ٢٤٤ - ٢٤٥)، و "الدرر السنينة" (ج ٨، ص ٩٠ - ٩١).

(٣) سورة الملك آية : ١٠ .

(٤) سورة الكهف آية : ١٠٣ .

رسوله ﷺ ولا يفرح به، ولا يحبه، ولا يحب أهله، ولا يتبرأ من الشرك وأهله؛ فهذا مرجعه إلى علم الخاص والعام ممن يقبل خبرهم وعلمهم"^(١).

ولما احتج بعض الناس على الشيخ في تكفيره من قامت عليه الحجة الرسالية بفهم فهمه على غير وجهه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ نقل الشيخ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بعينه، وبين أنه لا متعلق لأحد بشيء من كلام هذا الإمام؛ فقال الشيخ رحمه الله:

"وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زيغهم: قال رحمه الله تعالى: أنا من أعظم الناس نھيا عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى. انتهى كلامه.

وهذه صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه، لا يذكر عدم تكفير المعين؛ إلا ويصله بما يزيل الإشكال؛ أن المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة، وإذا بلغته؛ حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أو معصية.

وصرح ﷺ أيضا أن كلامه أيضا في غير المسائل الظاهرة، فقال في "الرد على المتكلمين" لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منه الردة عن الإسلام كثيرا، قال: وهذا إن كان في المقالات

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣١، ص ٢٠٤ - ٢١٠).

الخفية؛ فقد يقال: إنه فيهما خطئ ضال، لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها، لكن هذا يصدر عنهم في أمور يعلم الخاصة والعامّة من المسلمين أن رسول الله ﷺ بعث بها، وكفر من خالفها؛ مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم؛ فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل إيجاب الصلوات الخمس، وتعظيم شأنها، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر، ثم تجدد كثيرا من رءوسهم وقعوا فيها، فكانوا مرتدين، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين؛ كما فعل أبو عبد الله الرازي (يعني: الفخر الرازي)^(١)؛ قال: وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين. انتهى كلامه (يعني: ابن تيمية) .

ثم علق الشيخ على كلامه بقوله: "فتأمل هذا، وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداء الله، لكن من يرد الله فتنته، فلن تملك له من الله شيئا"^(٢).

ومن أراد مزيد بيان وإيضاح في منهج الشيخ في التكفير، فنحيله

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ص ٢٨٩ - ٢٩٠)، وانظر: "نقض المنطق" لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤٥ - ٤٧). وقال الذهبي عن الفخر الرازي: "رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عرى من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة...، وله كتاب "السر المكتوم في مخاطبة النجوم" سحر صريح؛ فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى". "ميزان الاعتدال" (ج ٣، ص ٣٤٠)، و "لسانه" (ج ٤، ص ٤٢٦).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ص ٢٨٩ - ٢٩٠)، وانظر: "نقض المنطق" لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤٥ - ٤٧). وقال الذهبي عن الفخر الرازي: "رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عرى من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة. . .، وله كتاب "السر المكتوم في مخاطبة النجوم" سحر صريح؛ فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى". "ميزان الاعتدال" (ج ٣، ص ٣٤٠)، و "لسانه" (ج ٤، ص ٤٢٦).

على كتاب "مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام"، تأليف الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، أمر بطبعه الأمير سعود بن عبد العزيز آنذاك الملك فيما بعد، وصححه وعلق عليه محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية.

قال الشيخ عبد اللطيف في أوله: "وقد رأيت لبعض المعاصرين كتابا يعارض به ما قرر شيخنا من أصول الملة والدين، ويجادل بمنع تضليل عباد الأولياء والصالحين، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركين، الذين أنزلوا العباد بمنزلة الله رب العالمين، وأكثر التشبيه بأئمة من الأمة، وأنهم يقولون: لا إله إلا الله، وأنهم يصلون ويصومون، ونسي في ذلك عهد الحمى^(١) وما قرره كافة الراسخين من العلماء، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهماء، ونص عليه الأكابر والخواص من اشتراط العلم والعمل في الإتيان بكلمة الإخلاص، والحكم بموجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والأشخاص، وسمى كتابه "جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة"^(٢) ومراده بالأمة هنا من عبد آل البيت وغلا فيهم، وعبد

(١) لم يصرح الشيخ عبد اللطيف باسم مؤلفه؛ لأن الكتاب وجد في تركة عثمان بن منصور وشهد عدلان أنه بخطه، ثم ظهر الكتاب في بريدة وزعم من وجد عنده أنه تصنيف عثمان بن منصور؛ فأخذه الشيخ محمد بن عمر آل سليم معه إلى الرياض عام ١٢٩١هـ؛ فرد عليه الشيخ عبد اللطيف بهذا الرد. انظر: "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣، ص ٦٩٨ -

٦٩٩). وقوله: "عهد الحمى"؛ يعني: حمى التوحيد كما حماها رسول الله ﷺ.

(٢) لم يصرح الشيخ عبد اللطيف باسم مؤلفه؛ لأن الكتاب وجد في تركة عثمان بن منصور وشهد عدلان أنه بخطه، ثم ظهر الكتاب في بريدة وزعم من وجد عنده أنه تصنيف عثمان بن منصور؛ فأخذه الشيخ محمد بن عمر آل سليم معه إلى الرياض عام ١٢٩١هـ؛ فرد عليه الشيخ عبد اللطيف بهذا الرد. انظر: "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٣، ص ٦٩٨ -

٦٩٩). وقوله: "عهد الحمى"؛ يعني: حمى التوحيد كما حماها رسول الله ﷺ.

الصالحين ودعاهم واستغاث بهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله؛ يدعوهم ويتوكل عليهم، هذا مراده، ولكنه أوقع عليهم لفظ (الأمّة) ترويجا على الأعمار والجهال، ولبسا للحق والباطل، وهو يعلم ذلك، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ سَيَنَالُهُمْ

غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ﴿١٥٢﴾^(١).

فلكل مفتر نصيب منها بحسب جرمه، وعلى قدر ذنبه، وقد رأيت على هذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هو ظاهر بين، يعرفه من عرفه. وقد بين الشيخ عبد اللطيف هذه المسألة في منهج الشيخ بيانا واسعا، ورد على من افتري عليه في هذه النقطة ردا كافيا، واستغرق رده ثلاث مائة وتسعا وخمسين صفحة من القطع الوسط.

وقد تناول هذه النقطة الشيخ حسين بن غنام في "تاريخه"، وقال: "إن الشيخ كان ملتزما بالمنهج السوي، ولم يتسرع لسانه بتكفير أناس أشربت قلوبهم بالمعاصي وبما كانوا عليه من القبائح الشركية، حتى نهضوا عليه وعلى جماعته، وصاحوا بتكفير من يدعو إلى دين الله ورسوله، وقالوا: إن كان الذي نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور من تلك الأزمان شرك وكفر؛ فنحن كفار، وخافوا أن يظهر أمره، فإذا ظهر؛ خافوا أن يحكم عليهم بما تسرعوا هم به عليه، فأشاعوا أن

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٢.

ابن عبد الوهاب يجعلكم كفارا، ويكفر كل الناس بقصد التنفير والتحذير"^(١).

والحقيقة أن منهج الشيخ يرتكز على أربع نقاط اشتهر بها :

الأولى: بيان التوحيد والدعوة إليه على حين غرته في أناس وزمان لم يكن قد طرق آذان أكثرهم هذا البيان، وأظهر لهم الشيطان أن الإخلاص وإفراد الله بالعبادة تنقص للصالحين وتقصير في حقوقهم، فصدق عليهم إبليس ظنه؛ فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين^(٢).

الثانية: بيان الشرك والبراءة منه والتحذير عنه، ولو كان في كلام وعمل من ينتسب إلى العلم والعبادة من دعوة غير الله أو قصده بشيء من العبادة، ولو زعم الزاعمون أنهم يريدون بذلك القصد شفاعة هؤلاء المدعويين أو المقصودين بشيء من العبادة عند الله في زمان وأناس يظن أكثرهم أن هذا أفضل القربات وأجل الطاعات؛ لأن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك في صورة محبة الصالحين واتباعهم، فأشربت قلوبهم هذا الشرك، والعياذ بالله^(٣).

الثالثة: تكفير من بان له التوحيد، وأنه دين الله ورسوله ﷺ ثم أبغضه ونفر الناس عنه، وجاهد في صد الناس عن الدخول فيه،

(١) انظر: "روضة ابن غنام" (ج ١، ص ٣٣ - ٣٦).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص ٢٤ - ٢٥، ورقم ٥، ص ٣٦)، وانظر: (القسم الأول، العقيدة، ص ٣٩٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص ٢٤ - ٢٥، ورقم ٥، ص ٣٦)، وانظر: (القسم الأول، العقيدة، ص ٣٩٣).

وكذلك من عرف الشرك وأن رسول الله ﷺ بعث بإنكاره وأقر بذلك، ثم مدحه وحسنه للناس، وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم.

الرابعة: الأمر بقتال هؤلاء المشركين خاصة، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ ائْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾^(١).

وفي الأنفال قال الله تعالى: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ ائْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^{(٢)(٣)}.

وهذا بعد إقامة الحجة عليهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح من الأئمة كما قدمنا.

قال الشيخ: "فلما اشتهر عني هؤلاء الأربعة؛ صدقني من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد ونفي الشرك، وردوا علي التكفير والقتال"^(٤).

(١) سورة البقرة آية : ١٩٣ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٣٩ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٥، ص ١٠٤، ورقم ١٦، ص ١٠٤،

١٠٧، ورقم ٥، ص ٣٦، ورقم ١٤، ص ٩٥، ورقم ٢٢، ص ١٥٠، ورقم ٣، ص ٢٤-٢٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣، ص ٢٤-٢٥).

ويقولون: التوحيد زين والدين حق؛ إلا التكفير والقتال. والشيخ يقول:
"اعملوا بالتوحيد ودين الرسول ﷺ؛ يرتفع حكم التكفير والقتال"^(١).
ومع أن الشيخ يجلب الإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن رجب،
والذهبي، وابن كثير... وغيرهم من أئمة السلف رضي الله عنهم؛ فليس
الشيخ رحمه الله إمعة يقلد شيخ الإسلام أو غيره تقليدا أعمى ويتعصب له،
ولكن؛ يلتزم طريق رسول الله ﷺ ويعتقد أن رسول الله ﷺ لا يقول إلا
الحق، وكل قوله يعمل به، ولا يطرح منه شيء، وأما ما عداه؛ فيؤخذ من
قوله ويترك، حتى شيخ الإسلام ابن تيمية؛ يترك قوله إذا غلط فيه.
يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك: "على أن الذي نعتقه
وندين الله به ونرجوا أن يثبتنا عليه؛ أنه لو غلط هو أو أجل منه في هذه
المسألة، وهي مسألة المسلم إذا أشرك بالله بعد بلوغ الحجة، أو المسلم الذي
يفضل هذا على الموحدين، أو يزعم أنه على حق، أو غير ذلك من الكفر
الصريح الظاهر الذي بينه الله ورسوله، وبينه علماء الأمة؛ أنا نؤمن بما جاءنا
عن الله وعن رسوله من تكفيره، ولو غلط من غلط؛ فكيف والحمد لله ونحن
لا نعلم عن واحد من العلماء خلافا في هذه المسألة، وإنما يلجأ من شاق
فيها إلى حجة فرعون (فما بال القرون الأولى)، أو حجة قريش (ما سمعنا
بهذا في الملة

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٧، ص ١٨٣).

الآخرة" (١).

ونقل عن الشيخ حسين بن مهدي النعمي الصنعاني شهادة بذلك، فقال رحمه الله: "قالوا: إن قائل تلك المقالة (وهي اتجاه وجوب تخريب المشاهد) قلد ابن تيمية في ذلك، ومن تدبر أصول القوم؛ وجدهم دلوا على أنهم من جملة العامة، ولا أدري من أين جاء لهم ذلك؟ نعم؛ هو نتيجة من نتائج الحكم بتعذر الاجتهاد، ومن حق الباحث أن يدلي بما يوافق خصمه على صحته، أو بحجة قاهرة تؤذن أن دفعها مكابرة، وأن التمسك بمعارضها قصور أو ضلال.

وكون من ذكروه قلد ابن تيمية؛ بطلانه معلوم غير موهوم؛ لما أنه ينهى عن التقليد وينادي بمنعه (٢) ولأن عامة مباحثه مبنية على تحرير المقام بمبلغ نظره، وإن كان لا سبيل إلى رفع الخطأ جملة في كل بحث، وذلك منه من دون تقليد لابن تيمية ولا غيره، ولا احتجاج بقول أحد قط، أو التدين به من دون استبانه منه حسبما علم، وليس معصوما كغيره أيضا، ولأنه في خصوص هذه المسألة أبرز حجته، وحرر من البرهان ما استطاع.

فأي معنى لقولكم: إنه قلد ابن تيمية؟ والحال أنكم لم تأتوا عن أنفسكم ولا فيما نقلتم بشيء يقابل بعض ما أقامه في هذه المسألة من

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد، ص ٩٠ - ٢٩١).

(٢) يقصد التقليد الذي يحمل على ترك ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة بعد

معرفة؛ لأن فلانا قال بخلافه؛ أي: تقليد شخص بلا حجة.

أدلة الكتاب والسنة، التي لا يردّها إلا مشاق لله ولرسوله، ولأنه قد ناقض ابن تيمية في كثير من المسائل التي ذهب إليها، لظهور ضعف كلامه عنده، فلو كان واقفا على تقليده كما وقفتم على رسوم "شرح المنهاج"^(١) وغيره؛ لما فعل؛ فما باله يسوغ لنفسه تقليد ابن تيمية في هذه المسألة دون غيرها؟! فلقد حكيتكم عجيا.

وقد قرأنا عليه وعرفنا مذهبه وأنتم لا تعرفونه، إنما يبلغكم عنه ما يبلغ، فتأخذون في مضاداته بلا بصيرة، ولا وازع لكم عن الرجم بالظنون والأوهام، ولا علم يهدي إلى تمييز الصحيح من ذي السقام.

فالتعب عليكم، أترضون أن يكون من خطاب ما لا يفهم؟

وكفى دليلا على تنكبكم الصواب ذكركم الأقوال من فروع المذهب في مقابلة مناهي صريحة صحيحة مشهورة في الصحاح وغيرها، ثم تعرضكم لشيخ من شيوخ الإسلام، وإمام من جلة الأئمة الأعلام - وهو ابن تيمية - بأنه ضال مضل، وما كان رحمه الله تعالى أهلا لهذا، والرجل أمره شهير، وأقواله ومذاهبه يتناقلها الجم الغفير، وما مثله يحتاج إلى كشف عن رفيع محله، وقد تعرض له وتلميذه الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي - هو ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى بعض القائلين، وهما إمامان جليلان لاحقان بأماثل السلف؛ كالشافعي، وأحمد، وإسحاق، وغيرهم، ومؤلفاتهما وتراجهما ونقل أهل العلم لأقوالهما ومذاهبهما ونفائس تحقيقهما

(١) "المنهاج": كتاب فقه معتمد عند الشافعية.

كافية شافية مقنعة لمن عدل وأنصف^(١).

والشيخ يرفض الاختلاف والتنازع في أمور ترجع كلها إلى الصواب، وما يحصل النزاع فيها والاختلاف؛ إلا لقلّة العلم، والجهل بتفاصيل المسائل وقواعد الأحكام الشرعية، وهو الذي يسمى اختلاف التنوع.

وأورد الشيخ بعض القواعد لذلك؛ مثل: إذا سن النبي ﷺ أمرين، وأراد أحد أن يأخذ بأحدهما ويترك الآخر؛ فإنه لا ينكر عليه؛ كالقراءات الثابتة، ومثل الذين اختلفوا في آية، فقال أحدهما: ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ وأنكر النبي ﷺ عليهم، وقال: "كل منكما محسن"؛ فأنكر الاختلاف، وصبوب الجميع في الآية^(٢).

ويبين الشيخ أن هذا المنهج الذي سار عليه ليس من عنده، أو من كتاب وجده ليس عليه عمل، أو عن أهل مذهبه، ولكنه أمر الله تعالى ورسوله ﷺ وإجماع العلماء في كل مذهب من المذاهب الأربعة. ومن يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لا ينبغي له أن يعرض عن هذا لأجل أهل زمانه أو أهل بلده، أو لأجل أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا

(١) "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" تأليف الشيخ حسين بن مهدي النعمي

(ص ١٠٣ - ١٠٤).

(٢) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٤ / ٦).

عنه^(١).

ويقول الشيخ في رسالته إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف:
"وأما ما ذكر لكم عني، فإني لم آت به بجهالة، بل أقول والله الحمد والمنة وبه
القوة: إنني هدايني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا مسلما
وما كان من المشركين، ولست - والله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفي أو
فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم، والذهبي،
وابن كثير... وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة
رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا
أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق؛
لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضرين الجدار بكل ما خالفها من أقوال
أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يقول إلا الحق، وصفة الأمر غير خاف
عليكم ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون وأتباعهم والأئمة؛
كالشافعي، وأحمد، وأمثالهما ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم، وكذلك ما
درج عليه من سبقت له من الله الحسنى من أتباعهم، وغير خاف عليكم ما
أحدث الناس في دينهم من الحوادث، وما خالفوا فيه طريق سلفهم،
ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل، وسادتهم وأئمتهم وأعلمهم
وأعبدتهم وأزهدهم مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ العماد ابن كثير
والحافظ ابن رجب قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم".

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٨، ص ٥٣).

ثم يستطرد الشيخ رحمه الله قائلاً: "فإذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم وإطباق الناس على طريقتهم؛ قالوا: هذا من أكبر الأدلة على أنه باطل؛ لأن رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب؛ لدخلتموه، وقد ذكر الله في كتابه أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وأنهم كتبوا الكتاب بأيديهم، وقالوا هذا من عند الله، وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به، وأقبلوا على ما أحدثه أسلافهم من الكتب، وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع، وأنهم لم يختلفوا لخفاء الدين، بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾^(١).

والزبر الكتب، فإذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق: "التبعن سنن من كان قبلكم"، وجعله قلة قلبه؛ تبين له أن هذه الآيات وأشباهاها ليست على ما ظن الجاهلون أنها كانت في قوم كانوا فبانوا، بل يفهم ما ورد عن عمر رضي الله عنه؛ أنه قال في هذه الآيات: مضى القوم، وما يعني به غيركم. وقد فرض الله على عباده في كل صلاة أن يسألوه الهداية إلى صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فمن عرف دين الإسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له؛ عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه"^(٢).

(١) سورة المؤمنون آية : ٥٣ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (الخامس، الشخصية، رقم ٣٧، ص ٢٥٢ - ٢٥٣).

وفي مخاطبته لابن عبد اللطيف يقول: "وإن أردت النظر في "أعلام الموقعين"؛ فعليك بمناظرة في أثناءه عقدها بين مقلد وصاحب حجة، وإن ألقى في ذهنك أن ابن القيم مبتدع، وأن الآيات التي استدل بها ليس هذا معناها؛ فاضرع إلى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتجرد إلى الله ناظرا أو مناظرا، واطلب كلام أهل العلم في زمانه؛ مثل الحافظ الذهبي، وابن كثير، وابن رجب، وغيرهم.

ومما ينسب للذهبي رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصيبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه

فإن لم تتبع هؤلاء؛ فانظر كلام الأئمة قبلهم؛ كالحافظ البيهقي في كتاب "المدخل"، والحافظ ابن عبد البر، والخطابي... وأمثالهم، ومن قبلهم؛ كالشافعي، وابن جرير، وابن قتيبة، وأبي عبيد؛ فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف... وتأمل ما في كتاب "الاعتصام"^(١) للبخاري، وما قال أهل العلم في شرحه، وهل يتصور شيء أصرح مما صح عنه ﷺ أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة، أخبر أنهم كلهم في النار إلا واحدة، ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول ﷺ

(١) يعني: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من "صحيح البخاري" (ج ٨، ص ١٣٧).

وأصحابه" (١).

ويقول الشيخ لمن خالفه: "الكتب عنكم؛ انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئاً، لكن؛ إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم؛ فاتبعوه، ولو خالفه أكثر الناس.

ويذكر أيضاً أن هذا الذي أنكروا عليه وأبغضوه وعادوه من أجله؛ إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم؛ يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن؛ ما أقدر أن أظهره في مكاني؛ لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره؛ لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق؛ اتبعه، هذا كلام العلماء" (٢).

وحاصل ما يقرره الشيخ أمران:

فالأمر الأول: هو قوله: لا تطيعوني ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله ﷺ الذي في كتبكم.

والأمر الثاني: أن كل عاقل مقرر به، لكن ما يقدر أن يظهره.

ويقول الشيخ: "فنحن والله الحمد متبعون غير مبتدعين" (٣) مقلدون

للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، على مذهب أهل السنة

(١) يعني: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من "صحيح البخاري" (ص ٣٥٨ - ٣٥٩).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٤، ص ٣٢، ورقم ٢٨، ص ١٨٩، ورقم ٨، ص ٥٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥، ص ٣٦، ورقم ٦، ص ٤٠ - ٤١).

والجماعة، الذي هو علي أمر الله ورسوله ﷺ وعليه الرسول ﷺ وصحابته والتابعون وأتباعهم وإجماع علماء المسلمين وأئمة الدين، ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم ودرابيتهم؛ مثل الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء؛ كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى ورضي عنهم أجمعين، وكذلك ما درج عليه الأعلام من اتباع هؤلاء الأئمة؛ فنحن على ذلك، وإن خالفنا غالب الناس في ما أحدثوا في دينهم من الحوادث؛ لأننا على ما كان عليه أهل السنة والجماعة، الذين هم الفرقة الناجية، وهم سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان، وإن صرنا غرباء؛ فطوبى للغرباء" (١).

ويخص الإمام أحمد بن حنبل بالذكر؛ لأنه إمام أهل السنة؛ فهو يعتقد اعتقاده جملة وتفصيلا، ويحمد الله على ذلك.

وكان كثيرا ما يتمثل بثلاثة أبيات هي:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٧، ص ٢٥٢ - ٢٥٩، ورقم ١، ص ١٢، ورقم ١٦، ص ١٠٦ - ١٠٧، ورقم ٢٨، ص ١٨٩، ورقم ٨، ص ٥٣، ٥٤، ٥٥، ورقم ١١، ص ٧٣ - ٧٤، ورقم ١٤، ص ٩٦، ٩٨، ورقم ١٧، ص ١١١، ورقم ٥، ص ٣٦، ورقم ٣٤، ص ٢٣٥ - ٢٣٧، ورقم ٢٢، ص ١٥٠، ورقم ٣٨، ص ٢٧٢ - ٢٧٣، ورقم ٤، ص ٣٢، ورقم ٣٩، ص ٢٧٧، ورقم ٧، ص ٤٨، ورقم ٤٧، ص ٣٠٨ - ٣٠٩)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣١ - ٣٥، ص ٨٨ - ٨٩)، و (القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٢٨٥، و ص ٣١١ - ٣١٤ - ٣٢٤)، و "مجموعة الرسائل النجدية" (ج ١، ص ٣٢).

بأي لسان أشكر الله إنّه
حباني بالإسلام فضلا ونعمة
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل
لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
علي وبالقرآن نور البصائر
عليها اعتقادي يوم كشف السرائر^(١)

ويقول الشيخ عبد الله ابن الشيخ في رسالته التي كتبها لما دخلوا مكة سنة (١٢١٨هـ): "مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم، بل والأعلم والأحكم؛ خلافا لمن قال طريق الخلف أعلم"^(٢).

وأما في الفروع؛ فهو أيضا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. يقول الشيخ: "وأما مذهبنا، فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها"^(٣).

ويقول الشيخ عبد الله ابن الشيخ في رسالته التي كتبها لما دخلوا مكة سنة (١٢١٨هـ) منتصرين: "ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد لدينا يدعيها؛ إلا أننا في بعض المسائل؛ إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة، غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة؛ أخذنا به، وتركنا المذهب؛

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (ج ١/٩١).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٢٦).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٧، ورقم ٦، ص ٤٠ -

(٤١).

كإرث الجد والأخوة؛ فإننا نقدم الجد بالإرث، وإن خالف مذهب الحنابلة" (١).

والشيخ يرى أن إطلاق القول بأنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد غير مسلم به، ولكن يلزم قيده ببعض مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، أما بعضها الآخر الذي تبين فيه الصواب؛ فلا يسوغ مخالفتها، بل ينكر على المخالف كائنا من كان (٢).

ويستنبط الشيخ من تعليم الرسول ﷺ لأمر الجيش أو السرية الذي أمره إذا حاصر أهل حصن، فأرادوه أن ينزلهم على حكم الله؛ فلا ينزلهم، ولكن ينزلهم على حكمه؛ فإنه لا يدري أيصيب فيهم حكم الله أم لا؟ رواه مسلم.

قال الشيخ: "فيه كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري؛ أيوافق حكم الله أم لا؟" (٣).

ويقول الشيخ عبد الله ابن الشيخ: "ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض؛ فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل؛ مخالفين للمذاهب الملتزمين تقليد صاحبه" (٤).

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٢٦).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٤، ص ٤ - ٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٣).

(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٢٧)، وانظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم

الخامس، الشخصية، رقم ٦، ص ٤١).

وأما كتب المتأخرين رحمهم الله، فإن الشيخ يذكر أنها عنده وعند أصحابه، ويعملون بما وافق النص منها، وما لا يوافق النص لا يعملون به^(١).
وأما المذاهب الأخرى، فإن الشيخ عبد الله ابن الشيخ يقول أيضا: "إن مذاهب غير الأربعة ليست منضبطة؛ كالرافضة، والزيدية، والإمامية، ونحوهم، ولا نقرهم ظاهرا على شيء من مذاهبهم الفاسدة"^(٢).
وهكذا؛ فإن الشيخ لا يتعصب للمذاهب من غير حجة، ولا يقلد أحدا من غير دليل، ولكنه ينشد الحق، ويدور معه حيث دار، ويتبع من اتبع الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة وقول جمهورها، ولا يعارض أمر الله ورسوله بالرأي^(٣) وينصف خصمه فيقول: "وأنا أشهد الله وملائكته، واشهدكم (يعني: علماء البلد الحرام)، على دين الله ورسوله؛ أي متبع لأهل العلم، وما غاب عني من الحق وأخطأت فيه؛ فبينوا لي، وأنا أشهد الله أني أقبل على الرأس والعين، والرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل"^(٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٥، ص ١٠٠).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٢٦).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، آدم وإبليس، ص ٨٥، القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣٦).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٦، ص ٤٢، رقم ٧، ص ٤٨، ورقم ١٥، ص ١٠٠، ورقم ١٩، ص ١٢٦ - ١٢٧، ورقم ٢٠، ص ١٣٠، ١٤٠ - ١٤١، ورقم ١١، ص ٧٢ - ٧٦، ورقم ٢٤، ص ١٦٧، ورقم ٢٢، ص ١٥٧ - ١٥٨، ورقم ٢١، ص ١٤٤ - ١٤٥، ورقم ٢٨، ص ١٨٩، ورقم ٣٢، ص ٢١٢، ورقم ٤٥، ص ٣٠١).

ويقول في رسالته إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى: "فأنا والله الحمد لم آت الذي أتيت بجهالة، وأشهد الله وملائكته أنه إن أتاني منه (يعني: والده عبد الله بن عيسى) أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق؛ لأقبلنها على الرأس والعين، وأترك كل قول إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يفارق الحق^(١)، ولا ينجي إلا اتباعه ﷺ"^(٢).

ويرد الشيخ على من يرى أن من سلك هذا المسلك؛ فقد نسب نفسه إلى الاجتهاد، وترك الاقتداء بأهل العلم؛ بأن هذا المسلك هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم؛ فإنهم قد وصوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلاما في ذلك؛ الإمام الشافعي، وإذا خالف الشيخ من أجل الدليل عالما من علماء الشافعية أو غيرهم؛ فإنه لم يخالفه وحده من غير إمام سابق قد خالفه من أجل الدليل، بل قد اتبع من هو مثل ذلك العالم الذي قد خالف واتبع الدليل والنص من الوحي، ويقول الشيخ:

"لم أستدل بالقرآن والحديث وحدي حتى يتوجه علي ما قيل من أني نسبت نفسي إلى الاجتهاد، ولا خلاف في أن أهل العلم إذا

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٩، ص ٢٧٦ - ٢٧٧)، وانظر: (رقم ٣٧، ص ٢٥٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٤، ص ٣٣، ورقم ١، ص ١٢، ورقم ٦، ص ٤٠).

أجمعوا؛ وجب اتباعهم، ولكن الشأن إذا اختلفوا؛ هل يجب قبول الحق ممن جاء به ورد المسألة إلى الله والرسول ﷺ مقتدين بأهل العلم؟ أو نتحل قول بعضهم من غير حجة، ونزعم أن الصواب في قوله؟!".

فالشيخ رحمه الله على المذهب الأول؛ يدعو إليه، وينظر عليه، وهو الحق كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ط فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٠٦﴾^(١)

ويقول في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي مذهبا من علماء الأحساء: "إني إذا خالفت قول عالم؛ فقد خالفت قوله لقول من هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل، ولم آت بشيء من عند نفسي، فإن سمعتم أبي أفئيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم؛ توجه علي القول"^(٢).

وفي جواب من الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابني الشيخ لما سئلا عن عقيدة الشيخ في العمل في العبادة؛ قال: "عقيدة الشيخ

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٦٢ - ٦٣، ورقم ٣٧، ص ٢٥٢ - ٢٦٢، والقسم الثالث، الفتاوى، ص ٢٧، وص ٣١ - ٣٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٧، ص ٢٦٥)، بتصرف قليل مع الحفاظ على المعنى.

رحمه الله تعالى التي يدين الله بها هي عقيدتنا وديننا الذي ندين الله به، وهو عقيدة سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وعرض أقوال العلماء على ذلك، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله؛ قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك؛ رددناه على قائله، وهذا هو الأصل الذي أوصانا الله به في كتابه؛ حيث قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ط فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (١) الآية.

أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، والأدلة على هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة، ليس هذا موضع بسطها، وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة، ثم رأى حديثا يخالف مذهبه، فاتبع الدليل وترك مذهبه؛ كان هذا مستحبا، بل واجبا عليه إذا تبين له الدليل، ولا يكون مخالفا لإمامه الذي اتبعه؛ فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل؛ أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؛ رضي الله عنهم أجمعين.

قال الإمام مالك رحمه الله: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول

الله ﷺ.

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

وقال الشافعي رحمه الله لأصحابه: إذا صح الحديث عندكم؛ فاضربوا بقولي الحائط. وفي لفظه: إذا صح الحديث؛ فهو مذهبي.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ تَخَالَفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك.

وقال لبعض أصحابه: لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعي، وتعلموا كما تعلمنا.

وكلام الأئمة في هذا كثير جدا، مبسوط في غير هذا الموضع. وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة يخالف القول الذي نص عليه العلماء أصحاب المذاهب؛ فترجوا أنه يجوز العمل به؛ لأن رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا، وإنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم، ولكن؛ لا ينبغي الجزم أن هذا شرع الله ورسوله ﷺ حتى يتبين الدليل الذي لا معارض له في المسألة، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديما وحديثا، والذي ننكر هو التعصب للمذهب، وترك اتباع الدليل، إذا تبين؛ فهذا الذي أنكرناه وأنكره العلماء في القديم

(١) سورة النور آية : ٦٣ .

والحديث^(١).

ويرى الشيخ أنه ينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله ﷺ في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم، ويوقرهم، ولو أخطئوا، لكن؛ لا يتخذهم أربابا من دون الله؛ هذا طريق المنعم عليهم، أما اطراح كلامهم وعدم توقيهم؛ فهو طريق المغضوب عليهم، وأما اتخاذهم أربابا من دون الله؛ إذا قيل: قال الله، قال رسوله؛ قيل: هم أعلم منا؛ فهذا هو طريق الضالين^(٢).

ويقول: "بالجملة؛ فمتى رأيت الاختلاف؛ فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق؛ فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت إلى العمل؛ فقلد من تثق بعلمه ودينه"^(٣).

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى في بعض رسائله التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح فقال: "وأما القول في التقليد واتباع الدليل، فإن الله سبحانه فرض علينا فرضين:

الأول: اتباع رسول الله ﷺ وترك ما خالفه في كل شيء، وأن

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٢٢ - ١٢٣)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٦٢ - ٦٣، ورقم ٣٧ ص ٢٥٩ - ٢٦٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٩٧، والقسم الثاني، الفقه، المجلد الثاني، ص ١٠ - ١٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣٣، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٦٢ - ٦٣).

الإنسان لا يؤمن حتى يحكمه فيما شجر بينه وبين غيره.

والفرض الثاني: أن الله فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها

إلى الله والرسول؛ كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾^(١).

وخاطب بها جميع المؤمنين؛ المجتهد وغيره.

ولكن نقول: الواجب عليك تقوى الله ما استطعت، وذلك أن تطلب

علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك، فما عرفت من ذلك؛ فاعمل به، وما لم تعرفه، واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم؛ قلدهم، وما أجمعوا عليه؛ فهو الحق، وما تنازعوا فيه؛ رد إلى الله والرسول، وأما أخذ الإنسان ما اشتهدت نفسه، ووجد عليه آباءه، وترك ما خالفه من كلام أهل العلم، وغفلته عن كلام الله ورسوله، واستهزاؤه بمن طلب ذلك؛ فهذا هو الضلال الذي أنكرنا، والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن تحصر... "

ثم أخذ يسوق كلام ابن رجب في "الطبقات" في ترجمته ابن هبيرة،

وقوله: إذا ذكرت لأحدهم الدليل؛ قال: ليس مذهبننا. وما قاله الشيخ تقي

الدين بن تيمية في جواب سؤال وجه إليه عن المقلد لبعض الأئمة إذا رأى

حديثا يخالف إمامه^(٢).

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) انظر: "روضة ابن غنام" (ج ١ ص ٤٢ - ٤٦)، وانظر: نص جواب شيخ الإسلام ابن تيمية

في "الفتاوى"، جمع ابن قاسم (ج ٢٠، ص ٢١٠ - ٢١٦).

وأجاب الشيخ عن اتباع بعض الناس للمذهب؛ أنه اتباع لبعض المتأخرين لا للأئمة، ومثل بالحنابلة - مع أنهم من أقل الناس بدعة -؛ قال: "فأكثر الإقناع" و"المنتهى" مخالف لمذهب أحمد ونصه، فضلا عن سنة رسول الله ﷺ ونصها^(١).

ومع ذلك؛ فالشيخ وأبناؤه وحملة الدعوة لا يفتشون على أحد في مذهبه، ولا يعترضون عليه؛ إلا إذا خالف نصا جليا، وفي مسألة يحصل بها شعار ظاهر من شعائر الإسلام؛ فإنهم يأمرونه بالتمسك بالنص.

يقول الشيخ عبد الله ابن الشيخ: "ولا نفتش على أحد في مذهبه، ولا نعترض عليه؛ إلا إذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب أحد الأئمة، وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر؛ كإمام الصلاة؛ فنأمر الحنفي والمالكي بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال، والجلوس بين السجدين؛ لوضوح دليل ذلك؛ بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة؛ فلا نأمره بالإسرار، وشتان بين المسألتين، فإذا قوي الدليل؛ أرشدناهم بالنص، وإن خالف المذهب، وذلك يكون نادرا جدا^(٢).

والشيخ يرى أن الموافقة أفضل، ولو كان على المفضل من المذاهب؛ مثل: إذا أم رجل قوما، وهم يرون القنوت، أو يرون الجهر بالبسملة، وهو يرى غير ذلك، والأفضل ما رأى؛ فموافقتهم أحسن،

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٤، ص ٦).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٢٦-١٢٧).

ويصير المفضل هو الفاضل^(١).

والشيخ وأتباعه إذا فسروا شيئاً من القرآن؛ إنما يفسرونه بكلام رسول الله ﷺ وكلام أصحابه، ليس لهم إلا النقل^(٢).

والشيخ وأصحابه وأتباعه يعتنون بكتب أهل العلم، ويحرصون على كتب أهل الحديث، ويحترمون علوم الأمة الإسلامية، ولا يأمرن بإتلاف شيء منها أصلاً؛ إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك، أو يحصل بسببه خلل في العقيدة الإسلامية، على أنهم لا يفحصون عن مثل ذلك؛ إلا إن تظاهر به صاحبه معانداً؛ أئلف عليه، وما حصل مما اتفق لبعض البدو في إتلاف بعض كتب أهل الطوائف؛ إنما صدر منه جهله، وقد زجر هو وأمثاله عن مثل ذلك^(٣).

والشيخ وأتباعه يستعينون على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتمدة، ومن أجلها لديهم: "تفسير ابن جرير الطبري"، و"تفسير ابن كثير الشافعي"، وكذا البغوي وغيرهم، وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين؛ كالعسقلاني والقسطلاني على "البخاري"، والنووي على "مسلم"، والمناوي على "الجامع الصغير"، ويحرصون على كتب الحديث، خصوصاً الأمهات الست وشروحها، ويعتنون بسائر الكتب في سائر الفنون أصولاً وفروعاً وقواعد وسيراً ونحوها وصرفاً وجميع

(١) "الدرر السنية" (ج ٤، ص ٦).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٢١).

(٣) "الدرر السنية" (ج ١، ص ١٢٧)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم

١، ص ١٢، ورقم ٥، ص ٣٧).

علوم الأمة^(١).

والشيخ نفسه يحذر من تفاسير المحرفين للكلم عن مواضعه؛ فإنها القاطعة عن الله وعن دينه^(٢).

وبالجملة، فلا ينكر الشيخ وأتباعه إلا ما خالف أمر الله ورسوله ﷺ وطريقة الصحابة وأتباعهم^(٣).

ويرون أن الإجماع حجة؛ لأدلة القرآن الكريم والسنة المطهرة^(٤)...

لكن؛ ينكر الشيخ على من يفسر الجماعة والسواد الأعظم الذين لا يجوز مخالفتهم والشذوذ عنهم بأنهم الكثرة على الباطل، كما يحدث في أزمان غربة الإسلام وفتراته، وكالذي حصل في زمان الشيخ، ويبين أن معنى الأحاديث التي فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم والتحذير من الشذوذ عنهم إنما هو بإجماع أهل العلم كلهم.

"الجماعة الذين كانوا على الحق في القرون الفاضلة، قبل أن يحدث الفساد؛ فأولئك هم الجماعة، فمن كان على مثل ما كانوا عليه؛ فهو مع الجماعة، وإن كان وحده؛ لأن الله أوضح بطلان الاحتجاج بالكثرة على القلة من أهل الحق في غير موضع من القرآن،

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص ١٢٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، "الدرر السنية"، ص ٢٥٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٣٦).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٨).

من ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَإِنْ تَطَعْتَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (١)

الآية.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (٢)(٣).

ولأن رسول الله ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريبا؛ فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس؟!

وكذلك الأحاديث الكثيرة؛ منها قوله ﷺ ﴿ ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة ﴾ (٤).

فهل بعد هذا البيان بيان؟!

وينقل الشيخ من كلام أهل العلم ما يوضح به هذا المنهج السلفي السليم، فيقول: "قال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين": واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض.

(١) سورة الأنعام آية : ١١٦ .

(٢) سورة ص آية : ٢٤ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٣٧).

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب الفتن (٣٩٩٣).

وقال عمرو بن ميمون: سمعت ابن مسعود يقول: عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة. وسمعتة يقول: سيلي عليكم ولاية يؤخرون الصلاة عن وقتها؛ فصل الصلاة وحدك -وهي الفريضة- ثم صل معهم؛ فإنها لك نافلة. قلت: يا أصحاب محمد! ما أدري ما تحدثون؟ قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة، ثم تقول: صل الصلاة وحدك! قال: يا عمرو بن ميمون! لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية؛ أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة؛ فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذ. وقال بعض الأئمة وقد ذكر له السواد الأعظم: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه.

فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، فجعلوهم عيارا على السنة، وجعلوا السنة بدعة، وجعلوا المعروف منكرا لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: من شذ؛ شذ في النار.

وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق، وإن كان عليه الناس كلهم؛ إلا واحدا؛ فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل؛ إلا نقرا يسيرا؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة

يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل ذلك عقول الناس؛ قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين! أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل وأحمد وحده على الحق؟! فلم يتسع علمه لذلك. فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل؛ فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة! انتهى كلام ابن القيم^(١).

قال الشيخ: "هذا كلام الصحابة في تفسير السواد الأعظم، وكلام التابعين، وكلام السلف، وكلام المتأخرين، حتى ابن مسعود ذكر في زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة، وأبلغ من هذا الأحاديث المذكورة عن رسول الله ﷺ من غربة الإسلام، وتفرق هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة؛ فأى شيء يرد على رسول الله ﷺ والعلماء بسنته؟!"^(٢).

وهكذا يرسم الشيخ رحمه الله منهجه في أصول الدين، والذي هو منهج السلف الصالح، الموافق للمعقول والمنقول وللإسلام والسنة والكتاب والرسول ﷺ ويبين منهج المخالفين ويرفضه، ويجذر عنه؛ لأنه بدعة، وضلالة، وفاسد في نفسه، ومخالف للمعقول ولدين

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، ص ٢٣٥ - ٢٣٧) بتصرف قليل، وانظر موضع ما لخص ونقل منه الشيخ في "إعلام الموقعين" (ج ٣ / ٤٠٩ - ٤١٠)، وقد أكملت ما يخل بالمعنى من سقط، وانظر: (القسم الرابع، التفسير، ص ١٤٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، ص ٢٣٥ - ٢٣٧) بتصرف قليل، وانظر موضع ما لخص ونقل منه الشيخ في "إعلام الموقعين" (ج ٣ / ٤٠٩ - ٤١٠)، وقد أكملت ما يخل بالمعنى من سقط، وانظر: (القسم الرابع، التفسير، ص ١٤٧).

الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم.

وبعد هذا الاستعراض لمنهج الشيخ يمكن إيجاز منهجه بالنقاط التالية:

١- العلم بالله وبرسوله ﷺ ودين الإسلام بأدلته كما هو الواجب على كل مسلم ومسلمة، والعمل بهذا العلم، والدعوة إلى ذلك، والصبر على الأذى في ذلك.

٢- اعتبار أن مصدر العلم بالدين -أصوله وفروعه، مسأله ودلائله، علومه وأعماله- هو الوحي إلى النبي ﷺ من قرآن أو سنة، وكذلك إجماع سلف الأمة من أهل السنة والجماعة يعتبر حجة يجب الأخذ بها.

٣- الإقبال على القرآن والسنة، وطلب الهدى منهما، واتباعهما، وتقديمهما على جميع ما خالفهما مهما كان أمره، وعدم الإعراض عنهما؛ بحجة أنه لا يفهمها إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا؛ أوصافا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، وليست الآراء المتفرقة والأهواء المختلفة والعقول البشرية ومناهج أهل الكلام والفلسفة والمعرضين عن الكتاب والسنة مصدر علم وهداية، بل هي مصدر ضلال وغواية.

٤- اتباع الرسول ﷺ في سنته، واتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، واحترام علماء الأمة وأئمتها المشهود لهم بالسنة والاستقامة؛ كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد

وغيرهم، والاستفادة من فقههم وعلمهم.

٥- ترك الابتداع، ومجانبة البدع، وإزالتها، وهجر أهلها، ورفض بدعهم، وبيان مساوئها، والتحذير منها.

٦- بيان ما هو العلم، ومن هم العلماء، ومن هم الأولياء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، كما بين الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ؛ نصيحة الله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، بعد أن صار العلم عند أكثر الناس هو البدع والضلالات، ومن بين العلم الصحيح يتهم بالزندقة والجنون.

٧- وزن جميع أقوال الناس وأعمالهم وإراداتهم وما يحدث من الحوادث بالقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة من أهل السنة والجماعة، فما لم يخالف ذلك؛ قبل، وما خالف، فهو البدعة المردودة، وهذا حسب منهج أهل السنة والجماعة؛ فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، وهو الميزان الذي أنزله الله مع الكتاب، وذلك صالح لكل زمان ومكان وحال.

والخلاصة: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يذهب مذهب أهل السنة، وينهج منهجهم، ويسلك طريقتهم في علمه وعمله، وقد وافق في منهجه وطريقته المنهج السلفي علما وعملا، والله أعلم.

ومن بيان منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عقيدته وميادين تطبيقها ننتقل إلى الفصل الذي بعده في بيان مجمل عقيدة الشيخ محمد السلفية.

الفصل الثاني

مجمل عقيدته

أصول الإيمان :

يقول الشيخ: "وأصول الإيمان ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره"^(١).

ويقول يخاطب جماعة كتب إليهم عما يعتقدونه: "أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره"^(٢) اهـ.

ويقول الشيخ يدعو إلى الإيمان: "وإذا قيل لك ما الإيمان؟ فقل: هو أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره؛ كله من الله.

والدليل قوله تعالى:

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٩١)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "تلقين

أصول العقيدة للعامة" (ص ٣٧٢ - ٣٧٣).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص ٨).

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ ﴾^(١).

ودليل القدر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^(٢)^(٣).

هذه العبارة التي عبر بها الشيخ بيانا واعتقادا ودعوة قد تضمنت أصول
الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل^(٤) وقد ألف الشيخ كتابا في أصول
الإيمان اشتمل على أبواب عديدة، يورد تحت كل باب ما يناسبه من
النصوص، وأكثرها من الحديث الشريف^(٥).

ويقول الشيخ: "إن الإيمان بالأصول الستة هو الإيمان الشرعي"^(٦).

الإيمان بالله تعالى :

إن الشيخ يؤمن بالله؛ يثبت وجوده، وأنه متصف بصفات الجلال
والعظمة والكمال، منزّه من كل عيب ونقص، وأنه المستحق

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥.

(٢) سورة القمر آية : ٤٩.

(٣) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٨٨).

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ١٩٢)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم
الرابع، التفسير، ص ٨٤ - ١٠٠).

(٥) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ٢٢٩).

(٦) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٠٤)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع،
التفسير، العلق، ص ٣٧٢).

للعبادة كلها، لا إله غيره، ولا رب سواه.

ويعتقد أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾^(١).

يقول الشيخ: "فتزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكيف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل؛ فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا، لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾^(٣)^(٤) والله أحد، وهو الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد"^(٥).

(١) سورة الشورى آية : ١١ .

(٢) سورة الصافات آية : ١٨٠ .

(٣) سورة الشورى آية : ١١ .

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ٨).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠، ص ١٢)، وانظر: "الدرر

السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٧ - ٢٦٢)، جواب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر،

وكان قد سئل عن اعتقاد الشيخ في بعض نصوص الصفات.

ويقول الشيخ: "التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية. أما توحيد الربوبية: فهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم، والإقرار بهذا حق لا بد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام، لأن أكثر الناس مقرون به.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١).

ويقول الشيخ: "إن هذا التوحيد هو الذي أقر به الكفار، ويستدل بالآية المذكورة".

ويقول الشيخ: "وأما توحيد الألوهية؛ فهو: إخلاص العبادة لله وحده عن جميع الخلق؛ لأن الإله في كلام العرب هو الذي يقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى؛ مثل الصالحين والملائكة وغيرهم؛ يقولون: إنالأحوذياالأحوذيلله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده.

فإذا عرفت هذا معرفة جيدة؛ تبين لك غربة الدين، وقد استدل

(١) سورة يونس آية : ٣١.

عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم؛ لأنه إذا كان هو المدبر وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة؛ فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا؟!^(١).

إذا؛ فتوحيد الألوهية هو أن لا يعبد العبد إلا الله وحده، ولا يشرك معه في العبادة أحدا؛ لا ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، فضلا عن من دونهما. وهذا هو الذي يدخل الرجل في الإسلام^(٢) وذلك أن من أتى به؛ فقد أتى بتوحيد الربوبية؛ لأنه متضمن له، وهو من نتائج توحيد الربوبية الواجبة^(٣).

أما توحيد الأسماء والصفات، وهو الإقرار بها كما وردت في الكتاب والسنة نفيا وإثباتا؛ من غير تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريف في اللفظ والمعنى عن ظاهره اللائق بالله تعالى ولا تكيف؛ فإن الشيخ يجعله مع توحيد الربوبية؛ بجامع أنهما نوع واحد، هو توحيد المعرفة والإثبات. ويقول الشيخ: "وأما توحيد الصفات؛ فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار أعقل

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، مسألة رقم ٧، ص ٤٢) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رسالة رقم ١١، ص ٦٤ - ٦٥، ورسالة رقم ٢٢، ص ١٥٠ - ١٥١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رسالة رقم ١٨، ص ١٢٠ - ١٢٢).

من أنكر الصفات^(١) ذلك أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أصل العلوم، وبمعرفة يستدل على التوحيد^(٢) وأن التوحيد لا يكون إلا عن العلم بأنه لا إله إلا الله بيقين، والشهادة بذلك نطقاً باللسان مع تصديق القلب وعمل الجوارح بمقتضاه، وهذا يعني المعرفة التامة بتفرد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته؛ كما عليه المسلمون من أهل السنة والجماعة، أتباع رسول الله ﷺ الذي هو أعلم الأمة برب العالمين ووحدانته.

وقد بين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله؛ فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال، فمن شهد أن لا إله إلا الله؛ لا بد أن يثبت الصفات؛ لأنه يشهد أن لا معبود بحق إلا الله، وكون الله تعالى هو المعبود وحده؛ يدل على علمه العظيم وقدرته العظيمة، وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات، ومن هنا يثبت جميع الصفات؛ بخلاف من ظن أن معنى لا إله إلا الله؛ أي: لا يقدر على الخلق إلا الله؛ فإن الأمر يؤول به إلى إنكار الصفات أيضاً^(٣)؛ لأن منكر الألوهية هو منكر لحقيقة الربوبية والأسماء والصفات، ولا يغلط في توحيد الألوهية إلا من لم يعط توحيد الربوبية حقه^(٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ٧، ص ٤٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٧٢).

(٣) انظر: "الدرر السنية" (ج ١، ص ٦٩ - ٧١)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٢ - ٤٣).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (الخامس، الشخصية، رقم ١٨، ص ١٢٠ - ١٢٢).

وأهل الجاهلية، وإن أقروا بتوحيد الربوبية؛ فإنهم لم يعطوه حقه، وهو توحيد العبادة؛ فلذلك كانوا مشركين، ولم ينفعهم توحيد الربوبية حيث لم يعطوه حقه^(١).

أما منكر الصفات؛ فإنه منكر لحقيقة الألوهية، فإن من شهد أن لا إله إلا الله صدقا من قلبه؛ لا بد أن يثبت الصفات والأفعال، ولذا؛ آل الأمر بمن ينكر الصفات إلى إنكار الرب تعالى^(٢).

ويقرر الشيخ أن الربوبية والألوهية يجتمعان في اللفظ فيفتقان في المعنى، ويفتقان في اللفظ فيجتمع المعنيان في لفظ كل واحد من اللفظين المفتقرين؛ أي: يفتقان إذا ذكرا معا:

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾^(٣).

وكما يقال: رب العالمين وإله المرسلين.

ويجتمعان عند الأفراد؛ كما في قوله: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ

حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾^(٤).

وقوله:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رسالة رقم ١٨، ص ١٢٠ - ١٢٢).

(٢) انظر: "الدرر السنينة" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٧٠ - ٧١).

(٣) سورة الناس آية : ١ .

(٤) سورة الحج آية : ٤٠ .

﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ رَبًّا ﴾^(١).

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾^(٢).

وكما في قولهم: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣).

وكما في قول القائل: من ربك؟ وقول الملكين في القبر: من ربك؟

ومعناه: من إلهك؟ لأن الربوبية التي أقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها؛

فالربوبية في هذا ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران.

قال: فينبغي التفطن لهذه المسألة، مثاله الفقير والمسكين نوعان في قوله:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾^(٤).

ونوع واحد في قوله: "افترض الله عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد

إلى فقرائهم"^(٥).

(١) سورة الأنعام آية : ١٦٤ .

(٢) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(٣) سورة الكهف آية : ١٤ .

(٤) سورة التوبة آية : ٦٠ .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢، ص ١٧، والقسم الرابع، التفسير،

الكهف، مسألة رقم ٧، ص ٢٤٣).

فعلى هذا؛ يقرر الشيخ أن الربوبية إذا قرن ذكر لفظها مع الألوهية تكون قسيمة للألوهية، وتفسر بأشهر معانيها، وهو أنها تعني فعل الرب؛ مثل: الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وتديير الأمور.

وكذا الألوهية تفسر بأشهر معانيها، وهو أنها تعني فعل العبد التعبدية؛ مثل: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرغبة، والرغبة، والنذر، والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادة^(١).

ويقول الشيخ في تلازم الربوبية والألوهية في جواب حين سئل رحمه الله: ما قول الشيخ في تسمية المعبودات أربابا؛ إذ الرب يطلق على المالك والمعبود على الإله، وكل اسم من أسمائه جل وعلا له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم؟

الجواب: "الرب والإله في صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفة، الرب من الملك والتربية بالنعم، والإله من التأله، وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبادة، ولذلك؛ صارت العرب تطلق الرب على الإله، فسموا معبوداتهم أربابا من دون الله لأجل ذلك؛ أي: لكونهم يسمون الله ربا؛ بمعنى: إله"^(٢).

"والإله: اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الرسالة الرابعة، تلقين أصول العقيدة للعامة،

ص ٣٧١، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٧، ص ٤٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ٨، ص ٤٣).

المعبود بحق، وهو الله تعالى، وهو الذي يخلق ويرزق ويدبر الأمور، والتأله: التعبد"^(١).

"وقول الله تعالى: ﴿إِلَهَ النَّاسِ﴾^(٢)؛ أي: معبودهم الذي لا معبود لهم غيره، فلا يدعى ولا يرجى ولا يخلق ولا يرزق إلا هو، فخلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم بربوبيته، وقهرهم وأمرهم ونهاهم وصرفهم كما يشاء بملكه، واستعبدهم بالإلهية الجامعة لصفات الكمال كلها"^(٣).

ويقرر الشيخ أن النهي عن الشرك والأمر ب(لا إله إلا الله) ليس أحدهما مكررا للآخر، بل هما أصلان كبيران، وإن كانا متلازمين.

والنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت، ولا إله إلا الله تستلزم الإيمان بالله، وقد قرن الأنبياء بين النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد^(٤).

والتوحيد مبني على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وهذا هو توحيد الربوبية، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وهذا هو توحيد الألوهية.

وهذه الأنواع على ترتيبها متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٦).

(٢) سورة الناس آية : ٣.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٨٧ - ٣٨٨).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٣، ص ١٦٣).

الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر؛ فما ذاك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب؛ فهي وحدة مترابطة. وبهذا يتبين المراد بتنويع التوحيد، وأنه ليس كل نوع يمكن أن يؤتى به منفصلا عن الآخر.

وإن شئت قلت: التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة؛ كما فعل الشيخ رحمه الله تعالى؛ تبعا لشيخ الإسلام ابن تيمية^(١).

ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا؛ لم يكن الرجل مسلما. فإن عرف التوحيد ولم يعمل به؛ فهو كافر معاند؛ كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس.

وإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يعتقد به بقلبه؛ فهو منافق خالص، وهو شر من الكافر: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾^(٢).

(١) انظر: "التدمرية" أولها، و"إبطال التنديد" للشيخ حمد بن عتيق (ص ٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ٦٤ - ٦٥، ورقم ١٨، ص ١٢٠ - ١٢٢، ورقم

٢٢، ص ١٥٠ - ١٥١).

(٢) سورة النساء آية : ١٤٥.

وهذا كثير أيضا^(١).

وهكذا يقرر الشيخ التلازم بين توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية، ويقول بأن الله تعالى يعرف عباده بتقرير ربوبيته، ليرتقوا بها إلى معرفة إلهيته التي هي مجموع عبادته على مراده؛ نفيا وإثباتا، علما وعملا، جملة وتفصيلا.

ويقول: "فاعلم أن أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله رب كل شيء ومليكه ومدبره بإرادته، فإذا عرفت هذا؛ فانظر ما حق من هذه صفاته عليك؛ بالعبودية، بالمحبة، بالإجلال، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره ونهيه"^(٢)؛ "فإن الله قد استعبد الناس بالإلهية الجامعة لصفات الكمال كلها"^(٣).

ويقول الشيخ: "وفي سورتي الإخلاص بيان العقيدة السلفية الصحيحة^(٤) وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد^(٥) وسميتا بسورتي الإخلاص؛ لأن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٦) خلصت قارئها من الشرك العلمي، كما خلصته

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٧٩ - ١٨٠، والقسم

الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٩٦، والقسم الخامس، الشخصية رقم ١٦، ص ٩٦)، و "الدرر

السنية" (ج ٢، ص ٦٢، ٦٣، ج ٨ ص ٨٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٥، ص ١٧٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، الناس، ص ٣٨٧ - ٣٨٨).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٨).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣٥).

(٦) سورة الإخلاص آية : ١.

﴿ قُلْ يَتَّيِبُوا أَلْسِنَتَهُمُ الْكٰفِرُونَ ﴾^(١) من الشرك العملي، ولما كان العلم قبل العمل، وهو إمامه وسائقه والحاكم عليه؛ كانت ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٢) تعدل ثلث القرآن، و ﴿ قُلْ يَتَّيِبُوا أَلْسِنَتَهُمُ الْكٰفِرُونَ ﴾^(٣) تعدل ربع القرآن^(٤).
وقد جعل السلف سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٥) أصلاً في الرد على المشبهة والمعطلة وفي التمييز بين مثبتي الرب الخالق الأحد الصمد وبين المعطلين؛ من قوله: ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٦) ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾^(٧).
ف " ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٨) السورة متضمنة لما يجب إثباته له تعالى من الأحادية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد المقرر لكمال صمديته وغناه وأحديته، ونفي الكفاء المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير؛ فتضمنت إثبات كل كمال، ونفي كل نقص، ونفي إثبات شبيه له أو مثيل في كماله، ونفي مطلق الشرك، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك^(٩).
"كما جعلوا سورة ﴿ قُلْ يَتَّيِبُوا أَلْسِنَتَهُمُ الْكٰفِرُونَ ﴾^(١٠) أصلاً في التمييز بين من يعبد الله وبين غيره، وإن أقر كل منهما بأن الله رب كل شيء ومليكه، والتمييز بين المخلصين وبين المشركين؛ من قوله:

- (١) سورة الكافرون آية : ١ .
- (٢) سورة الإخلاص آية : ١ .
- (٣) سورة الكافرون آية : ١ .
- (٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣٥، ٣٦).
- (٥) سورة الإخلاص آية : ١ .
- (٦) سورة الإخلاص آية : ١ .
- (٧) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠، ص ١٢، ورقم ٩٢، ص ٨٠ - ٨١).
- (٨) سورة الإخلاص آية : ١ .
- (٩) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣٥، ٣٦).
- (١٠) سورة الكافرون آية : ١ .

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ (١) " (٢).

" والتوحيد أعظم الفرائض، أعظم من فريضة الصلاة والزكاة والصوم، كما أن الشرك أعظم المحرمات، أعظم تحريماً من الزنى والسرقه والكبائر، والتوحيد رأس أعمال أهل الجنة، كما أن رأس أعمال أهل النار الشرك بالله تعالى" (٣).

والشيخ يعتقد أن الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهل الشرك (٤).

فالتوحيد هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

(١) سورة الكافرون آية : ٢ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، مسألة (رقم ٨٢، ص ٥٧، ورقم ٩٢، ص ٨٠ - ٨١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص ٣٠)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٧٢، وص ٣٨١، ومعنى الطاغوت ص ٣٧٦، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٨، ص ١٨٩)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٠ - ٢٢)، وشرح ستة مواضع من السيرة (ص ٣٥٣ - ٣٥٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩).

(٥) سورة الروم آية : ٣٠ .

وهو الصراط المستقيم؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(١)(٢).

وهو شهادة الحق، والعمل بمقتضاها؛ كما في "الصحيح" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك^(٣).

وهو الذي بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ

الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَخَيْنَا مِنْهُمْ﴾^(٤).

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، فضل الإسلام، ص ٢٠٣ - ٢٢٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩ - ١٩١، فضل الإسلام، ص ٢٠٩).

(٤) سورة هود آية : ١١٦ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ﴿ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ؛ فطوبى للغرباء ﴾^(١) رواه مسلم.

ورواه أحمد من حديث ابن مسعود، وفيه: ومن الغرباء؟ قال: "النزاع من القبائل". وفي رواية: "الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس". وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده: "طوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي"^(٢).

وفي حديث عمرو بن عبسة السلمي الذي في "صحيح مسلم"، (المجلد الأول، ص ٥٦٩، باب: إسلام عمرو بن عبسة)؛ ﴿ أنه لما جاء إلى رسول الله ﷺ بمكة؛ قال له: وما أنت؟ فقال رسول الله ﷺ "أنا نبي". فقال له: وما نبي؟ فقال رسول الله ﷺ "أرسلني الله". فقال: بأي شيء أرسلك؟ قال: "أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء". فقال له: ومن معك على هذا؟ قال: "حر وعبد"^(٣).

قال الشيخ في هذا الحديث: "إن عمرو بن عبسة فهم المراد من التوحيد، وأنه توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان، ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف، وأن هذا أمر كبير غريب، ولأجل هذا، قال: من معك على هذا؟ قال: "حر

(١) مسند أحمد (٢/٣٨٩).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ٢٢٣، وص ١٥ - ١٧، وأصول

الإيمان، ص ٢٧١ - ٢٧٢)، و"مفيد المستفيد" (ص ٢٨٤ - ٢٨٥).

(٣) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٨٣٢).

وعبد". فأجابه أن جميع العلماء والعباد والملوك والعامّة مخالفون له، ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر؛ فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون مع أقل القليل، وأن الباطل قد يملأ الأرض، والله در الفضيل بن عياض رحمه الله حيث يقول: لا تستوحش من الحق لقلّة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين، وأحسن منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِيْلَيْسُ ظَنُّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)(٢).

وهو ملة إبراهيم الذي كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين. وهو الأسوة الحسنة التي أخبر بها الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ (٣).

وقد سفه نفسه من رغب عن هذه الملة؛ فلا خير إلا فيها، ولا شر إلا فيما خالفها، حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، إلى قيام الساعة، ووسعت جميع الناس؛ فأمروا باتباعها.

(١) سورة سبأ آية : ٢٠ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "مفيد المستفيد" (ص ٢٨١ - ٢٨٥).

(٣) سورة الممتحنة آية : ٤ .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾^(١) .

وأمر رسول الله ﷺ باتباعها؛ كما قال تعالى: ﴿ تُمْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن لكل نبي ولاية من النبيين، وإن وليي أبي وخليل ربي ﴾ ثم قرأ: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين" ^(٣) .

رواه الترمذي^(٤) في التفسير، والإمام أحمد في "المسند"^(٥) .
ويقول الشيخ: "وتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعادة أهل الشرك، وإن لم يعادهم؛ فهو منهم، وإن لم يفعله"^(٦) .

ويزيد الشيخ هذا المعنى إيضاحاً في ثمان حالات استنبطها من

(١) سورة البينة آية : ٥ .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٣ .

(٣) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن (٢٩٩٥) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، فضل الإسلام، ص ٢١٩) .

(٥) انظر: "تحفة الأحوذى" (ص ٣٤٤)، و "مسند أحمد" (١ / ٤٠١ ، ٤٣٠) .

(٦) "مؤلفات التوحيد" (القسم الأول)، "مفيد المستفيد" (ص ٢٩٧) .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤) وَأَنْ أَقْمَرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ ﴿١﴾.

قال رحمه الله: "فيه ثمان حالات:

الأولى: ترك عبادة غير الله مطلقا، ولو جادله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة؛ كما جرى لسعد رضي الله عنه مع أمه.

الحالة الثانية: أن كثيرا من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لا يفتن لما يريد الله من قلبه من إجلاله ورهيبته، فذكر هذه الحالة بقوله: ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ ﴾ (٢).

الحالة الثالثة: إن قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل؛ فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت الذين يبلغون الغاية في العداوة، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم.

الحالة الرابعة: إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث؛ فقد لا يبلغ

(١) سورة يونس آية : ١٠٤ .

(٢) سورة يونس آية : ١٠٤ .

الجد في العمل بالدين، والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين.

الحالة الخامسة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع؛ فلا بد له من مذهب ينتسب إليه، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية، ويترك كل مذهب سواها، ولو كان صحيحاً؛ ففي الحنيفية عنه غنية.

الحالة السادسة: أنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس؛ فلا بد أن يتبرأ من المشركين فلا يكثر سوادهم.

الحالة السابعة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست؛ فقد يدعو من غير قلبه نبياً أو غيره لشيء من مقاصده، ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا، خصوصاً عند الخوف؛ أنه لا يدخل في هذا الحال.

الحالة الثامنة: إن ظن سلامته من ذلك كله، لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض: هل يصدق الله أن هذا -ولو كان أصلح الناس- قد صار من الظالمين؟ أو يقول: كيف يكفر وهو يجب الدين ويغض الشرك؟ وما أعز من يتخلص من هذا! بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به! بل ما أعز من لا يظنه جنونا!"^(١).

ومن ذلك يستنتج الشيخ أن أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب (أشركون ما لا يخلق

شيئاً)، ص ٤٧، والرسالة الحادية عشرة، ص ٣٩٠ - ٣٩٢، والقسم الرابع، التفسير، يونس،

ص ١١٣ - ١١٤، وتبت، ص ٣٨١).

ذلك، والموالاتة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعادة فيه، وتكفير من فعله^(١) وهذا هو الذي بعثت به الرسل إلى أممهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ^ط_{(٢)(٣)}.

الإيمان بالملائكة :

والشيخ يؤمن بالملائكة، ويصدق بوجودهم، ويعتقد أنهم عباد لله مكرمون، لا يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون، والله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشية الله مشفقون^(٤).

وقال الشيخ في كتاب "أصول الإيمان": "باب ذكر الملائكة والإيمان بهم".

(١) "الدرر السنية، (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ١٢).

(٢) سورة النحل آية : ٣٦.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧، ١١).

(٤) (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٨٤، وتفسير آيات، ص ٣٧٧، والقسم الأول،

مسائل الجاهلية، ص ٣٥٠، وأصول الإيمان ص ٢٤٨ - ٢٥٥)، وانظر: "تفسير ابن كثير" (ج

٣، ص ١٧٦).

ثم يستدل على الإيمان بهم بقول الله تعالى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (١)(٢).

ويستدل الشيخ بقول الله تعالى:

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (٣)(٤).

ويؤمن الشيخ بكل ما ورد من وصفهم وذكرهم وأصنافهم وأعيانهم في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

قال في "كتاب التوحيد": "باب قول الله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٥).

ثم أورد الشيخ حديثاً من "صحيح البخاري" (٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه؛ قال: ﴿ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ؛ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سَلْسَلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، يَنْقُذُهُمْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ؛ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا:

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٨).

(٣) سورة النجم آية : ٢٦.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٥١).

(٥) سورة سبأ آية : ٢٣.

(٦) "صحيح البخاري" (ج ٥، ص ٢٢١).

الحق، وهو العلي الكبير... ﴿^(١) الحديث.

قال الشيخ: "فيه تفسير الآية، وسبب سؤالهم في ذلك، وأن الغشي يعم أهل السماوات كلهم" ^(٢).

ويقول الشيخ في كلامه على الفوائد من قصة آدم وإبليس: "ومن فوائدها: الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم" ^(٣).

وذكر الشيخ من صفاتهم أنهم يتنزلون على الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، بأن لا يخافوا ولا يحزنوا ويبشروا بالجنة التي كانوا يوعدون، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ^(٤).

ومنهم مقربون، ومع ذلك هم عبيد لله تعالى، لا يستنكفون من ذلك، كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ^(٥).

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن (٤٨٠٠) وكتاب التوحيد (٧٤٨١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٤٨-٥٠).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٨٤-٩١).

(٤) سورة فصلت آية: ٣٠.

(٥) سورة النساء آية: ١٧٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾^(١).

وجعلهم الله رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، قال تعالى: ﴿

جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا ﴿٢١﴾﴾^(٢).

ومنهم حملة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به

ويستغفرون للذين آمنوا، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿٢٢﴾﴾^(٣).

وقد خلقوا من نور، كما في الحديث عن عائشة رضي الله عنها، قالت:

قال رسول الله ﷺ ﴿خلقت الملائكة من النور، وخلق الجنان من مارج من

نار، وخلق آدم مما وصف لكم﴾^(٤) رواه مسلم وغيره^(٥).

وهم كثيرون.

قال الشيخ: لما ثبت في بعض أحاديث المعراج أنه ﷺ رفع له

(١) سورة الأنبياء آية : ١٩ .

(٢) سورة فاطر آية : ١ .

(٣) سورة غافر آية : ٧ .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق (٢٩٩٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، باب ذكر الملائكة عليهم السلام

والإيمان بهم، ص ٢٤٨)، وانظر: "البداية والنهاية في التاريخ" لابن كثير (ج ١، ص ٥٨)،

ورواه مسلم في (الزهد، ج ٤، ص ٢٢٩٤) .

البيت المعمور، الذي هو في السماء السابعة، وقيل: في السادسة، بمنزلة الكعبة في الأرض، وهو بجبال الكعبة، حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿ ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد، أو ملك قائم، فذلك قول الملائكة: " وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون " . ﴾

قال الشيخ: "رواه: محمد بن نصر، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وأبو الشيخ^(٢).

وقد وصف بعضهم بعظمة خلقه، كما في الحديث عن جابر رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أذن لي أن أحدث عن ملك

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ٢٤٨، وص ٢٤٩)، وانظر: "صحيح البخاري" (ج ٤، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ص ٧٧، ٧٨)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (ج ١، ص ٤٤، ٤٥)، و"تفسير ابن كثير" (ج ٣، ص ٢-٢٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٩)، وانظر: "تفسير ابن جرير الطبري" (ج ٢٣، ص ١١٢)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (ج ١، ص ٤٦)، وقال البخاري: "قال ابن عباس: "(لنحن الصافون)؛ الملائكة". "صحيح البخاري" (ج ٤، ص ٧٧).

من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام ﴿^(١) رواه: أبو داود، والبيهقي في "الأسماء والصفات"، والضياء في "المختارة" ^(٢) .

ومن سادتهم جبريل عليه السلام، قد وصفه الله تعالى بالأمانة وحسن الخلق والقوة، فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿١﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٢﴾﴾ ^(٣) .

ومن شدة قوته رفع مدائن قوم لوط عليه السلام- وكن سبعا- بمن فيهن من الأمم، وكانوا قريبا من أربع مئة ألف، وما معهم من الدواب والحيوانات، وما لتلك المدائن من الأراضي، على طرف جناحه، حتى بلغ بهن عنان السماء، حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديكتهم، ثم قلبها، فجعل عاليها سافلها؛ فهذا هو شديد القوى، وقوله: (ذو مرة)؛ أي: ذو خلق حسن وبهاء وسناء وقوة شديدة؛ قال معناه ابن عباس رضي الله عنهما. وقال غيره: (ذو

(١) سنن أبي داود: كتاب السنة (٤٧٢٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ٢٤٩)، وانظر: "سنن أبي داود" (ج ٢، ص ٥٣٤)، وانظر: "مختصر سنن أبي داود" للمنذري (ج ٧، ص ١١٧، رقم ٤٥٦٠)، وفي: "عون المعبود حاشية سنن أبي داود"، قال: "والحديث؛ إسناده صحيح..."، ثم قال: "والحديث،؛ أخرجه أيضا المقدسي في "المختارة"، والبيهقي في "كتاب الأسماء والصفات"، وسكت عنه المنذري (ج ٤، ص ٣٧٣)، وذكره ابن كثير في "البداية والنهاية" (ج ١، ص ٤٦ و ١٣)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": رواه الطبراني في "الأوسط"، ورجاله رجال الصحيح (ج ١/٨٠).

(٣) سورة النجم آية : ٥ .

مرة)، أي: ذو قوة .

وقال تعالى في صفته: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٣﴾ ﴾^(١).

أي: له قوة وبأس شديد، وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذي العرش المجيد، ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾^(٢) ؛ أي: مطاع في الملأ الأعلى، ﴿ أَمِينٍ ﴾^(٣) أي: ذي أمانة عظيمة .

ولهذا كان السفير بين الله وبين رسله.

وقد كان يأتي إلى رسول الله ﷺ في صفات متعددة، وقد رآه على صفته التي خلقه الله عليها مرتين، وله ست مئة جناح. روى ذلك البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله رضي الله عنه قال: ﴿ رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في صورته، له ست مئة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم ﴾^(٤).

قال الشيخ: "إسناده قوي"^(٥).

(١) سورة التكوير آية : ١٩ .

(٢) سورة التكوير آية : ٢١ .

(٣) سورة التكوير آية : ٢١ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٨٥٥) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (١٧٤).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٠)، وانظر: "تفسير ابن كثير" (ج ٤، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠)، و " البداية والنهاية" له أيضا (ج ١، ص ٤٧)، و " تفسير ابن جرير الطبري " (ج ٢٧، ص ٤٢-٤٣، ج ٣٠، ص ٨٠)، و "صحيح البخاري" (ج ٤، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ص ٨٠-٨٤).

وللبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ
لجبرائيل: ﴿ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟﴾. فنزلت: "وما ننزل إلا بأمر
ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا" ﴿(١)(٢)﴾.

ومن ساداتهم ميكائيل عليه السلام، وهو موكل بالقطر والنبات^(٣).
ومن ساداتهم إسرافيل، وهو صاحب الصور؛ أي: الذي ينفخ في
الصور.

وروى الترمذي وحسنه الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال:
قال رسول الله ﷺ ﴿كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن،
وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر متى يؤمر فينفخ؟﴾. قالوا: فما
نقول يا رسول الله؟ قال: "قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله
توكلنا" ﴿(٤)(٥)﴾.

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن (٤٧٣١) وكتاب التوحيد (٧٤٥٥)، ومسند أحمد
(٢٣٣/١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥١)، وانظره في "صحيح
البخاري" (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج ٤، ص ٨٠).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٢)، وانظر: "البداية
والنهاية" لابن كثير، (ج ١، ص ٤٩-٥٠).

(٤) مسند أحمد (٣٢٦/١، ٧/٣).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٢، وانظر "مسند أحمد"
(٧٣/٣)، و"الترمذي في أعلى صحائف تحفة الأحوذى" (ج ٧، ص ١١٧-١١٨)،
وقال صاحب "تحفة الأحوذى": "وأخرجه الحاكم وصححه" (نفس الجزء والصفحة).

وجبرائيل وميكائيل وإسرافيل من المختارين المصطفين من الملائكة؛ كما قال النبي ﷺ ﴿اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل! فاطر السموات والأرض! عالم الغيب والشهادة!﴾^(١)^(٢).

قال: "ومن ساداتهم ملك الموت، ولم يجيء مصرحا باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحيحة، وقد جاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل، والله أعلم. قاله الحافظ ابن كثير".

وقال: "إنهم بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام؛ فمنهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش، وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة، وهم المقربون، كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٣).

ومنهم سكان السموات السبع، يعمرونها عبادة دائمة ليلا ونهارا؛ كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٤).

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨)، وانظر: "صحيح مسلم" (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ج ١، ص ٥٣٤).

(٣) سورة النساء آية: ١٧٢.

(٤) سورة الأنبياء آية: ٢٠.

ومنهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور".

قال الشيخ: "قلت: الظاهر أن الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور سكان السماوات".

ومنهم موكلون بالجنان، وإعداد الكرامات لأهلها، وتهيئة الضيافة لساكنيها؛ من ملابس، ومآكل، ومشارب، ومصاغ، ومساكن، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومنهم الموكلون بالنار - أعادنا الله منها-، وهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر، وحازنها مالك، وهو مقدم على الخزنة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ عَلَيَّهَا مَلَتِكُمْ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٣) (٤).

(١) سورة غافر آية : ٤٩ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٧٧ .

(٣) سورة التحريم آية : ٦ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٣)، وانظر: "البداية والنهاية" (ج ١، ص ٥٠).

وقال تعالى: ﴿ عَلِيمًا تَسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۖ

﴿^(١) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۗ ﴿٢﴾ ۖ

ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم، كما قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ ۗ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ ﴿٣﴾ ۖ

قال ابن عباس: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء أمر

الله، خلوا عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا وملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من

الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريد؛ إلا قال له: وراءك؛ إلا

شيء يأذن الله تعالى فيه فيصيبه.

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد؛ كما قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى

الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٤﴾ ۖ

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿٥﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ مَا

تَفْعَلُونَ ﴿٧﴾ ۖ

(١) سورة المدثر آية : ٣٠ .

(٢) سورة المدثر آية : ٣١ .

(٣) سورة الرعد آية : ١١ .

(٤) سورة ق آية : ١٧ .

(٥) سورة الانفطار آية : ١٠ .

قال الحافظ ابن كثير: "ومعنى إكرامهم: أن يستحي منهم فلا يملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها؛ فإن الله خلقهم كراما في خلقهم وأخلاقهم".

ثم قال ما معناه: "إن من كرمهم أنهم لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب ولا تمثال ولا يصحبون رفقه معهم كلب أو جرس" (١).

وروى مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال: ﴿ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون ﴾ (٢) وفي رواية أن أبا هريرة، قال: ﴿ اقرءوا إن شئتم: "وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا" ﴾ (٣).

وروى الإمام أحمد ومسلم حديث: ﴿ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله؛ يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله؛ لم يسرع به نسبه ﴾ (٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٤)، وانظر: "البداية والنهاية في التاريخ" لابن كثير (١/ ٥٤-٥٥).

(٢) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة (٥٥٥)، وسنن النسائي: كتاب الصلاة (٤٨٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان (٦٤٩) وكتاب تفسير القرآن (٤٧١٧)، وسنن النسائي: كتاب الصلاة (٤٨٦).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩).

وفي "المسند" و "السنن" حديث: ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَاءً بِمَا يُصْنَعُ﴾^(١).

والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جدا.^(٢)

الإيمان بكتب الله :

والشيخ يؤمن بكتب الله، ويصدق بأنها كلام الله، وأنها حق ونور وهدى، وما سمي الله منها كالتوراة والإنجيل والزيور يؤمن بها بأسمائها، كما يؤمن بأن الله كتبها أخرى لا يعلم أسماءها وعددها إلا الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِي الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣).
وإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٣﴾ فَإِنَّ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦٤﴾^(٣).

قال الشيخ رحمه الله: "فيها أمر الله أن نقول ما ذكر في الآية، وليس

هذا من إظهار العمل الذي إخفاؤه أفضل، والإيمان بجميع

(١) مسند أحمد (٤/٢٣٩، ٤/٢٤٠، ٤/٢٤١)، و سنن الدارمي : كتاب المقدمة (٣٥٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٥)، وانظر: "تاريخ ابن

كثير البداية والنهاية" (ج ١، ص ٥٣-٥٨) حيث اقتبس منه الشيخ كثيرا مما هنا، و"صحيح

البخاري" (ج ٤، ص ٨١)، و"صحيح مسلم" (ج ٤، ص ٢٠٧٤).

(٣) سورة البقرة آية : ١٣٦.

المنزل، وعدم التفريق بين أحد منهم، والتصريح بالإسلام، وبإخلاص ذلك لله، وليس هذا من الثناء على النفس، بل من بيان الدين الذي أنت عليه، ولهذا، قال بعض السلف: ينبغي لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه، وفيها التصريح بأن الإيمان هو العمل^(١).

ويعتقد الشيخ أن القرآن هو الكتاب لا ريب فيه، كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ^(٢).

وأنه الكتاب الكامل الشامل على الكتب السابقة، لا ريب فيه، هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله.

وقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ

قَبْلِكَ ﴾^(٣).

قال الشيخ: "هذا من عطف الخاص على العام"^(٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٩-٤٠، والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٥٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ٩).

(٣) سورة البقرة آية : ٤.

(٤) "الدرر السننية" (ج ١٠، ص ٣٩-٤٠).

وفي قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢ ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ٣ ﴿ ١﴾.

يقول الشيخ: "في ذلك وصف القرآن بأنه كتاب منزل إلى النبي ﷺ والنهي عن الحرج بفاء التفریع: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ ٢﴾.

وذكر الحكمة في ذلك، وهي الإنذار العام والذكر الخاص، والأمر باتباعه، والتحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ٣﴾.

والنهي عن اتباع ما سواه ٤﴾.

وقول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ١ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ٢ ﴿ خُنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ٣ ﴿ ٥﴾.

يستنبط الشيخ من هذه الآيات أن القرآن كاف عما سواه من

(١) سورة الأعراف آية : ٢ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٢ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٣ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٦).

(٥) سورة يوسف آية : ١ .

الكتب، وأنه المراد بأحسن القصص، لا قصة يوسف وحدها، وأن قوله: ﴿ تَلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾^(١) أي: هذه آيات الكتاب المبين الواضح الذي يوضح الأشياء المبهمة. وقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٢) ؛ أي: تفهمون معانيه، والقصص مصدر قص الحديث يقصه قصصا، أي: أي بإيجازنا إليك هذا القرآن، وقوله: ﴿ لَمَنْ الْغَافِلِينَ ﴾^(٣) ؛ أي: الجاهلين به . وهذا مما يبين جلاله القرآن؛ لأن فيه دلالة على أن علمه ﷺ من القرآن، وفيه دلالة على جلاله الله وقدرته، ودلالة على عظيم نعمته على نبيه ﷺ وفيه دلالة على كذب من ادعى أن غيره من الكتب أوضح منه^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ تَلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾^(٥).

يقول الشيخ ما معناه بأن فيها الترغيب في القرآن بجمعه بين الوصفين: (الكتاب) و (قرآن مبين)؛ فقوله: (الكتاب): معرف بالألف واللام؛ لاستغراقه معنى (الكتاب وقرآن مبين)^(٦).

والذكر هو القرآن، وقد حفظه الله عن شياطين الجن والإنس، حفظا كافيا في تصديق الرسول ﷺ عن إنزال الملائكة كما يقترح

(١) سورة يوسف آية : ١ .

(٢) سورة يوسف آية : ٢ .

(٣) سورة يوسف آية : ٣ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٢٧ - ١٢٨).

(٥) سورة الحجر آية : ١ .

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٨٣).

المعاندون، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦١﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلْئِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٢﴾ مَا نُزِّلُ الْمَلْئِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١)(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (٣).

قال الشيخ: "فيها المنة بإيتاء السبع المثاني والقرآن العظيم، وفيه التعزية عما أصابه وعما صرف عنه" (٤).

والقرآن الكريم تبيان لكل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٥).

فمن ابتغى الهدى من غيره ضل؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٦٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (١)(٢).

(١) سورة الحجر آية : ٦ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٨٤ - ١٨٥) .

(٣) سورة الحجر آية : ٨٧ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٩٥) .

(٥) سورة النحل آية : ٨٩ .

ويقول الشيخ: "وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿ تَبَيَّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَدُثْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^(٣) .
فلا يأتي صاحب باطل بحجة؛ إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها،
كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾^(٤) .

قال بعض المفسرين: "هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة"^(٥) .

ويبين الشيخ موقف المؤمن من متشابه القرآن، فيقول: "إن الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾^(٦) .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ سَمِيَ اللَّهُ بِأَحْذَرِهِمْ ﴾^(٧)، وهو عن

- (١) سورة الزخرف آية : ٣٦ .
- (٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، فضائل القرآن، ص ٢٢) .
- (٣) سورة النحل آية : ٨٩ .
- (٤) سورة الفرقان آية : ٣٣ .
- (٥) "مؤلفات الشيخ" (الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٦٠-١٦١) .
- (٦) سورة آل عمران آية : ٧ .
- (٧) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٥٤٧) ، وصحيح مسلم : كتاب العلم (٢٦٦٥) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٥٩٨) ، ومسنند أحمد (٢٥٦/٦) .
- (٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، أصول الإيمان، ص ٢٥٨ ، والقسم الرابع، التفسير، فضائل القرآن، ص ٢٧) .

عائشة رضي الله عنها، متفق عليه.

ففي هذا نعلم أن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ... ونقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ...

فالشيخ يرد المتشابه إلى المحكم، ويؤمن بالجميع ويعلم أن المتشابه لا يناقض المحكم.

ويستدل الشيخ بما رواه ابن جرير عن سعد بن أبي وقاص، قال: ﴿ أنزل الله على النبي ﷺ القرآن، فتلاه زمانا، فقالوا: يا رسول الله ! لو حدثتنا، فنزل: "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد" ﴿^(١).

ويقول الشيخ: "ومما يدل على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب، أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب فقرأه عليه، فغضب فقال: ﴿ أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده؛ لقد جئتكم بها

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٢٧). والحديث؛ أخرجه ابن حبان كما في "موارد الظمان" (ص ٤٣٢)، وابن جرير في "التفسير" (ج ١٢، ص ١٥٠)، والحاكم في "المستدرک" (ج ٢، ص ٣٤٥)، وقال: "صحيح الإسناد"؛ ووافقه الذهبي .

بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء؛ فيخبروكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيا، ما وسعه إلا اتباعي^(١) رواه أحمد. وفي لفظ: أنه استكتب جوامع من التوراة وقال: ﴿ألا أعرضها عليك؟﴾^(٢) وفيه: ﴿لو أصبح فيكم موسى حيا، ثم اتبعتموه وتركتموني؛ لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين﴾^(٣).

قال الشيخ: "وقد انتفع عمر بهذا، فقال للذي نسخ كتاب دانيال: المحه بالحميم والصفوف الأبيض؛ وقرأ عليه أول هذه السورة، وقال: "لئن بلغني أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس، لأهكنك عقوبة"^(٤).

وقال الشيخ في حديث نحو حديث قصة عمر هذه عن أبي هريرة: "رواه: الإسماعيلي في "معجمه"، وابن مردويه".

وقال الشيخ في حديث آخر تضمن قصة عمر بأسلوب آخر عن عبد الله بن ثابت بن الحارث الأنصاري: "رواه: عبد الرزاق، وابن سعد، والحاكم في "الكنى"^(٥).

(١) مسند أحمد (٣/٣٨٧).

(٢) مسند أحمد (٣/٤٧٠، ٤/٢٦٥).

(٣) مسند أحمد (٣/٤٧٠، ٤/٢٦٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٢٧ - ١٢٨).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٨ - ٢٥٩). وانظر:

"تفسير ابن كثير" (ج ٢، ص ٤٦٦ - ٤٦٨)؛ فقد خرج الروايات هناك، و"مسند أحمد"

وفي كتاب "أصول الإيمان" عقد الشيخ بابا سماه باب الوصية بكتاب الله ﷻ وقوله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

وأورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ منها ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب، فحمد الله

(ج ٣ / ٣٨٧) عن جابر، وروى نحوه البيهقي والديلمي وأبو نصر السجزي في "الإبانة" عن جابر أيضا، ورواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس، وروى نحوه ابن عساكر عن ابن مسعود وعن أنس ("كنز العمال" ج ١، ص ٢٠٠ - ٢٠١)، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن هذا الحديث أخرجه أحمد والبخاري من حديث جابر بنحوه، ولأحمد أيضا وأبي يعلى من وجه آخر عن جابر بنحوه، وأخرجه الطبراني عن أبي الدرداء، وأخرجه أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن ثابت، وأخرج أبو يعلى من طريق خالد بن عرفطة؛ قال: كنت عند عمر فذكر قصة إنكاره على من نسخ كتاب دانيال (وذكر الحديث)، ثم قال الحافظ ابن حجر: "وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به؛ لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلا" "فتح الباري" (ج ١٣، ص ٥٢٥). ومع ذلك؛ فالحافظ ابن حجر لم يذكر من هذه الطرق ما أخرجه الشيخ من كتاب "معجم الإسماعيلي"، ومن كتاب ابن مردويه عن أبي هريرة، وما أخرجه الشيخ رحمه الله من "مصنف عبد الرزاق"، و"طبقات ابن سعد"، و"الكنى" للحاكم عن عبد الله بن ثابت كما ذكرنا. ولم يذكر تخريج مؤلف "كنز العمال" عند البيهقي والديلمي وأبو نصر السجزي في "الإبانة" عن جابر، وتخريج مثله عند أحمد وابن ماجه عن ابن عباس، وتخريج نحوه عند ابن عساكر عن ابن مسعود وعن أنس، وتخريجات أخر. انظر: "كنز العمال" (ج ١، ص ٢٠٠ - ٢٠١). والقصة بهذا لها أصل كما قال الحافظ ابن حجر ذلك رحمه الله، فيستدل بما على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب السابقة السماوية، مع دلالة الواقع الواضحة والأدلة الأخرى من القرآن والسنة، وقدما ذكر بعضها قبل قليل، وسيأتي ذكر بعض آخر.

(١) سورة الأعراف آية : ٣.

وأثنى عليه، ثم قال: ﴿أما بعد أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله؛ فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله، وتمسكوا به (فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال:) وأهل بيتي، وفي لفظ: "كتاب الله، هو حبل الله المتين، من اتبعه، كان على الهدى، ومن تركه؛ كان على الضلالة" ﴿^(١) رواه مسلم^(٢).
وله في حديث جابر الطويل، أنه ﷺ قال في خطبة يوم عرفة: ﴿وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني؛ فما أنتم قائلون؟". قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس: "اللهم اشهد"؛ ثلاث مرات ﴿^(٣)(٤).

وقد ألف الشيخ في فضائل القرآن الكريم كتابا طبع مقدمة لما جمع من تفسيره، فذكر الشيخ فيه: باب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه، وباب ما جاء في تقديم أهل القرآن وإكرامهم، وباب وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه والتعليق على من ترك ذلك، وباب الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين، وباب قول الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾^(٥) وباب إثم من فجر بالقرآن، وباب إثم من تأكل بالقرآن، وباب الجفاء عن القرآن،

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٦، والقسم الرابع، فضائل القرآن، ص ٢٢، ٢٤)، وانظر: "صحيح مسلم" (ج ٢، ص ٨٩٠، وج ٤ / ١٨٧٣، ١٨٧٤).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الحج (١٢١٨).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٦، والقسم الرابع، فضائل القرآن، ص ٢٢، ٢٤)، وانظر: "صحيح مسلم" (ج ٢، ص ٨٩٠، وج ٤ / ١٨٧٣، ١٨٧٤).

(٥) سورة البقرة آية: ٧٨.

وباب من ابتغى الهدى من غير القرآن، وباب الغلو في القرآن، وباب ما جاء في اتباع المتشابه، وباب وعيد من قال في القرآن برأيه وبما لا يعلم، وباب ما جاء في الجدل في القرآن، وباب ما جاء في الاختلاف في القرآن في لفظه أو معناه، وباب إذا اختلفتم فقوموا، وباب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾^(١) وباب ما جاء في التغني بالقرآن^(٢).

وقد ذكرنا في منهج الشيخ أنه يعتبر القرآن المرجع الأصلي الذي يجب الرجوع إليه ولا يجوز الإعراض عنه، لقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾^(٣) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾^(٤).
وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾^(٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهم مُّهْتَدُونَ ﴾^(٥)^(٦).

(١) سورة الكهف آية : ٥٧ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، أوله من ص ١ - ٤٠).

(٣) سورة طه آية : ٩٩ .

(٤) سورة طه آية : ١٢٤ .

(٥) سورة الزخرف آية : ٣٦ .

(٦) "الدرر السنينة" (الطبعة الثانية، ج ٤ / ٦).

والحاصل أن الشيخ يؤمن بكتب الله المنزلة، ويصدق بأنها كلام الله حقيقة، ويصدق بأسماء ما سمى منها، ويخص القرآن الكريم بالتعبد بتلاوته وقراءته وتدبره، واتباع ما فيه، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وتحليل ما أحل، وتحريم ما حرم، لأنه بيان لكل شيء، وخاتم لكل كتاب، ومهيمن عليه، وصراط مستقيم، وأحسن الحديث، وحبل الله المتين، فالاعتصام به عصمة. وهو كلام الله الذي لا نظير له من الكلام في دفع الشر، وأنه صالح لكل زمان ومكان^(١).

الإيمان بالرسول :

ويؤمن الشيخ بالرسول الذين أرسلهم الله، والأنبياء الذين نبأهم الله، ومن الإيمان بهم معرفة مراد الله في بعثهم، كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٢) الآية.

وأما الحكمة الأخرى، فذكرها أيضا في غير موضع، منها قوله

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات رقم ٤٧، ص ٣٤، وص ٧٢، ٧٣ - ٧٥، والقسم الرابع، التفسير ص ٣٣٧، وص ٣١٧، وص ٣٢٤، وص ٥٠، وص ٧٤٩، وص ٦٨، وص ١٨١-١٨٢، وص ٢٤٠، وص ٢٢٨، وص ٣٢٦-٣٢٧، وص ٣٣٢، وص ٢٠٠، وص ٢٤٩، وص ٢٨١، وص ٢٢٧، وص ٢٩١، وص ٢٢٤، وص ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، والقسم الأول، العقيدة، ستة أصول عظيمة، ص ٣٩٦-٣٩٧، ومسائل الجاهلية، ص ٣٤١-٣٤٤، والقسم الثالث، الفتاوى، ص ٧٥، ٧٦، وص ٢٤).

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٣.

تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ ﴾^(١) إلى

قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ ﴾^(٢).

فقوله: ﴿ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾^(٣) وقوله: ﴿ لَعَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ ﴾^(٤) هما حكمة الله في إيجاد الخليفة، وإليهما ترجع كل حقيقة^(٥).

ويعتقد أنهم صادقون فيما أخبروا به، وأنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، وأنه يجب احترامهم، وعدم التفريق بينهم، وأن من كذب واحدا منهم؛ فقد كذب جميع الرسل.

ويؤمن الشيخ بمن سمى الله منهم في كتابه باسمه، كإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى، ومن قبلهم نوح، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا، وكل من صرح باسمه في القرآن الكريم والسنة يؤمن به باسمه، وما لم يصرح باسمه؛ فيؤمن به على الإطلاق كما ورد.

وأول الرسل نوح، وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى:

(١) سورة النساء آية : ١٦٣.

(٢) سورة النساء آية : ١٦٥.

(٣) سورة النساء آية : ١٦٥.

(٤) سورة النساء آية : ١٦٥.

(٥) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٠٤).

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۗ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ۗ ﴾ (١٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۗ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴿١﴾ (٢).

وأن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، وجعله الله للناس إماما في التوحيد، وما كان من المشركين (٣).

وقد أعطى موسى عليه الصلاة والسلام قوة في جسمه؛ أخذها من قصته في القرآن، وبطشه بالعدو، وقدرته على السقاية للمرأتين من ماء مدين، ومن خصوصياته التي اشتهر بها تكليم الله إياه، ولذلك يذكرها إبراهيم عليه السلام حين يحيل إذا طلبت منه الشفاعة، وقد أرسل إلى فرعون وقومه بتسع آيات بينات، ولأصحابه فضيلة على من سواهم من قومه (٤).

(١) سورة النساء آية : ١٦٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٥، وثلاثة الأصول وأدلتها، ص ١٩٣-١٩٥)، و " الدرر السنية" (ج ١، ص ٨٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٩٤، وص ٢٣٤-٢٣٥، وص ٢٣٧).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٩-٤٠، وص ١٩٤-١٩٥، ص ٢٥٣، ٢٨٦، ٢٨٨، وص ٢٩٧، ٣٠٢، ص ٢٩١، ٢٩٢، والقسم الأول؛ العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٥٠-٣٥١)، و "كتاب التوحيد" (ص ١٧)، وانظر: "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٤).

وأن يوسف جميل الظاهر بالحسن، وجميل الباطن بالعفة، وهو كريم عارف، صرف الله عنه السوء والفحشاء، وكان من المخلصين^(١).
وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه^(٢).
وأن الأنبياء يتفاوتون في الفضل، وأنهم أشد الناس بلاء^(٣).
وأن قصص الرسل ممدوح، وفيه عبرة لا يفهمها إلا أولو الأبواب^(٤).
ولا نبي إلا رعى الغنم، ورعى الغنم صفة كمال^(٥).
وأن الرسل من البشر، كلهم رجال، وليس في الجن ولا في

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٢٩ - ١٣٠، وص ١٤٣، وص ١٣٧،

وص ١٤١، وص ١٤٥، وص ١٥١، وص ١٧٦-١٧٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٦٦، وص ١٣١، وص ١٦٢، وص

١٦٩، وص ١٧١).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٨١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٩٠).

النساء رسل، وأنهم من أهل القرى^(١).

وأنه يجوز عليهم الخطأ والنسيان فيما لا تعلق له بتبليغ الرسالة، ولا تنكر إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدر في النبوة، وأنهم على بشرتهم وإن كانوا أنبياء، وهذا من أدلة التوحيد^(٢) وهم يحتاجون إلى التنبيه على فضل لا إله إلا الله؛ كما في قصة موسى حين قال: يارب! علمني شيئاً أذكرك به... الحديث^(٣).

وأن دينهم التوحيد، وأن الدعوة إلى توحيد الله سبيلهم وسبيل من اتبعهم^(٤) وبذلك أرسلوا، ورسالتهم حق^(٥).

وخلاصة رسالتهم: هي أن يدعو المخالفين إلى أن يوحدوا الله تعالى، ويتركوا الشرك به. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^{(٦)(٧)}.

-
- (١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع؛ التفسير، ص ١٧٩، وص ٢١١ - ٢١٢، وص ٢٥٣).
- (٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٥٣).
- (٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٣).
- (٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٤٤؛ والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٩).
- (٥) "مؤلفات الشيخ" (ص ١١٧ و ١٠١ - ١٠٣ و ١٠٧ و ٨٤ و ١٨٠).
- (٦) سورة النحل آية : ٣٦.
- (٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول؛ العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧، ٩، وثلاثة الأصول، ص ١٩٥).

وأن رسالة الرسل عمت كل أمة من بني آدم، وكل أمة لها رسولها الذي يخصصها، وأن الله يثيب من أطاع الرسل بالجنة، ويعاقب من عصاهم بالنار^(١).

وأرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٢)^(٣).
وأنهم ما أتوا أممهم إلا بالوحي^(٤).

ويرى أن الله سبحانه اختار الأنبياء من ولد آدم، واختار الرسل من الأنبياء، واختار من الرسل أولي العزم منهم، وهم الخمسة المذكورون في سورتي الأحزاب والشورى^(٥).

والشيخ يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ط وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٦).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٠٩، وص ١٨٠، وص ١٨٥، وص

٣٤٢، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧، ٩).

(٢) سورة النساء آية : ١٦٥.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٧٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨).

(٦) سورة الأحزاب آية : ٧.

وإلى قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۗ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١).

ويقول الشيخ: "واختار من أولي العزم الخليلين: إبراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وعليهما أجمعين" (٢).

وأن الله أخذ الميثاق الشديد على الرسل لئن بعث فيهم رسول الله محمد ﷺ ليؤمنن به ولينصرنه، فأقروا بذلك، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۗ قَالَ ۚ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا ۚ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَآشْهَدُوا ۗ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۗ ﴾ (٣) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤).

ويقول الشيخ في كلامه على قصة آدم وإبليس: ومن فوائدها

- (١) سورة الشورى آية : ١٣ .
- (٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨) .
- (٣) سورة آل عمران آية : ٨١ .
- (٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٤٦ - ٤٧) .

أنها من أدلة الرسل عامة، ومن أدلة نبوة محمد ﷺ خاصة^(١).

ويؤمن بأن نبينا محمدا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين وأنه لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، والدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)(٣).

ويقول الشيخ: "والدليل على أنه رسول الله ﷺ من العقل والنقل: أما النقل، فواضح. وأما العقل؛ فنبه عليه القرآن، من ذلك ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهي لا يناسب في حق الله، ونبه عليه في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ (٤).

ومنها أن قول الرجل: إني رسول الله. إما أن يكون خير الناس،

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٨٤)، و"الدرر السننية" (ج ١، ص ٩٧-٩٨).

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٨.

(٣) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٢٩، وص ٩٥)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، والقسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٠).

(٤) سورة الأنعام آية : ٩١.

وإما أن يكون شرهم وأكذبهم، والتمييز بين ذلك سهل يعرف بأمر كثيرة،
ونبه على ذلك بقوله: ﴿ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيْطِينُ ﴾ ﴿٣٠﴾ تَنْزَلُ عَلَيَّ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴿١﴾ الآيات.

ومنها شهادة الله بقوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ
عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٢﴾.

ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم؛ كما في الآية.

ومنها- وهي أعظم الآيات العقلية- هذا القرآن الذي تحداهم الله
بسورة من مثله، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية؛ فنحن نعلمها
من معرفتنا بشدة عداوة أهل الأرض له؛ علمائهم وفصحائهم، وتكريره
هذا، واستعجازهم به، ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه،
وإدخال الشبه على الناس.

ومنها تمام ما ذكرنا، وهو إخباره سبحانه أنه لا يقدر أحد أن يأتي
بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر، مع كثرة أعدائه في كل عصر،
وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم .

ثم استمر الشيخ يذكر الأدلة العقلية فيقول: "ومنها نصره من

(١) سورة الشعراء آية : ٢٢١ .

(٢) سورة الرعد آية : ٤٣ .

اتبعه، ولو كانوا أضعف الناس، ومنها خذلان من عاداه وعقوبته في الدنيا، ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم.

ومنها أنه رجل أُمي لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن العلماء ولا ادعى ذلك أحد من أعدائه - مع كثرة كذبهم وبهتانهم - ومع هذا أتى بالعلم الذي في الكتب الأولى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلِينَ ﴾ (١) (٢).

ومن ذلك ما استدلت به خديجة من صفاته الكريمة؛ حيث قالت: أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا. ثم استدلت بما فيه من الصفات على أن من كان كذلك، لم يخزه الله أبدا، فعلمت بفطرتها وكمال عقلها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة تناسب كرامة الله وإحسانه ولا تناسب الخزي (٣).

وقد عصم الله رسوله ﷺ من الناس، فاجتهدت قريش في قتله،

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٨ .

(٢) "الدرر السنينة" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٤٦ - ٤٨)، وانظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، ص ١٧، ٢٢، ٣٤، ٧٠ - ٧١، والقسم الرابع، التفسير ص ٤٦، ١٢٤، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ٣٣١، ٣٣٢، ٢٤٣، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨١، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ١٠١ - ٢١٨، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢، ص ١٧ - ١٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٦٧).

وأخفاه الله عنهم، وحفظه وصاحبه في الغار^(١).

وفي معرض إيراد الشيخ أدلة تحت باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان، أورد حديث ثوبان رضي الله عنه لمسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: ﴿ إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد! إذا قضيت قضاء، فإن لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضا ﴾^(٢) رواه البرقاني في "صحيحه"^(٣) وزاد: ﴿ وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٨٥-١٨٧).

(٢) "صحيح مسلم" (كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج ٤، ص ٢٢١٥، ٢٢١٦).

(٣) قوله: البرقاني، قال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه "تيسير العزيز الحميد": "هو الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمئة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمئة، قال الخطيب: كان ثبنا ورعا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفاً بالفقه، كثير التصنيف، صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة، وكان حريصا على العلم، منصرف الهمة إليه". ثم قال الشيخ سليمان: "قلت: وهذا المسند الذي ذكره الخطيب هو صحيحه الذي عزا إليه المصنف " انتهى. "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (ص ٣٢٥).

وقع عليهم السيف؛ لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق
حي من أمي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمي الأوثان، وإنه سيكون
في أمي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي
بعدي، ولا تزال طائفة من أمي على الحق منصوره، ولا يضرهم من
خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ﴿^(١) .

قال الشيخ: "فيها من الآيات العظيمة إخباره بأن الله زوى له المشارق
والمغرب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر؛ بخلاف الجنوب والشمال،
وإخباره بأنه أعطي الكتزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين،
وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع،
وإخباره بظهور المنتبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة، وكل
هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول^(٢) .

ويقول الشيخ رحمه الله في قوله تعالى في آخر سورة يوسف

(١) سنن أبي داود: كتاب الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، ومسنند أحمد (٢٧٨/٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧٠ - ٧١). ويقصد
الشيخ أن هذه الأخبار غيبية لا تدركها العقول وإن كانت لا تحيلها، لكنه بعد أن يأتي
الشرع بالخبر عن مغيب؛ فلا بد من اعتقاد أن ذلك سيقع وفقا لما أخبر به، وقد حصل من
المؤمنين.

خطاباً لرسول الله ﷺ .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ

وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢﴾ (١) إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ (٢).

" فيه تنبيه الله على آية الرسالة؛ بأن هذه القضية غيب لا يتوصل إليه الرسول ﷺ إلا بالوحي؛ لكونه لا يقرأ ولا يخط ولا يأخذ عن عالم، وتقرير هذه الحجة بقوله: (وما كنت لديهم)، لأن هذا لا سبيل إلى العلم به إلا بالوحي أو بحضوره، وأن مكرهم خفي، حتى لو حضرهم أحد؛ لخفي عليه".

ويقول الشيخ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي

إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ (٣)

يقول الشيخ: "فيها رد شبهتهم في كونه بشرا، وذلك واضح؛ لأنهم إن كانوا ممن يقر بالرسالة في الجملة؛ كأهل الكتاب والمشركين؛ فواضح، وإن أنكروها كالجوس؛ فالنكال الذي أوقع الله بمن خالف الرسل الذي سمعوه وشاهدوه حجة عليهم، وفيها الرد عليهم في قولهم: (لولا يكلمنا الله) أو نحو ذلك؛ لأن الرسل ما أتوا

(١) سورة يوسف آية : ١٠٢ .

(٢) سورة يوسف آية : ١٠٧ .

(٣) سورة يوسف آية : ١٠٩ .

الأمم إلا بالوحي، وفيها استجها ل الله إياهم؛ حيث لم يسيروا في الأرض فيعتبروا بمن قبلهم، فدل ذلك على أن فهم ذلك مقدور لهم" (١).

ويذكر الشيخ أن رسول الله ﷺ اقتصر من الأدلة على الوحي؛ ففيه كفاية، وتبرأ من دعوى أن عنده خزائن الله، أو أنه يعلم الغيب، أو أنه ملك، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۗ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْنَا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢).

ويقول الشيخ: "إن الذي يقتصر على الوحي هو البصير، وضده الأعمى" (٣).

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله هي: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وأن محمدا عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع، وهو خيرة الله من خلقه، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، وكل ما قاله حق، وكل ما أخبر عنه صدق .

وتتضمن هذه الشهادة الإيمان بأن خاتم الرسل هو محمد بن

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٧٧ - ١٧٩).

(٢) سورة الأنعام آية : ٥٠.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٥٦).

عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، [انتقل إلى الرفيق الأعلى] وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيا رسولا، نبيء ب (اقرأ)، وأرسل ب (المدثر)، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالندارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، فلما أخذ على هذا عشر سنين؛ عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة، أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل: الزكاة، والصوم، والجهاد، والحج، والأذان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر... وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين أيضا، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق؛ لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، والخير الذي دل عليه التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرنا منه الشرك؛ وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

بعثه الله إلى الناس كافة، وكل ما قاله حق، وافترض الله طاعته على جميع الثقيلين الجن والإنس، ودعوته عامة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وهذه من فضيلته على الأنبياء، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا

النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١).

وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى:

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٨.

﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١) .

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(٢) ثُمَّ إِنَّكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾^(٣) .

وهو يوم القيامة صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، أول شافع
وأول مشفع، ولا ينكر شفاعته إلا أهل البدع؛ فله الشفاعة الكبرى، وهي
المقام المحمود، وأسعد الناس بها أهل التوحيد الخالص، ولا تكون لمن أشرك
بالله^(٣).

وطريق رسول الله ﷺ هو صراط الذين أنعم الله عليهم،

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

(٢) سورة الزمر آية : ٣٠ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٥١ - ٥٣، وص ٦٧، وكشف
الشبهات، ص ١٦٦، وثلاثة الأصول، ص ١٩٠، ١٩٢ - ١٩٥، وتلقين أصول العقيدة
للعمامة، ص ٣٧٣ - ٣٧٤، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٥١، وص ٨٠ - ٨١، وص
١٤٢، والفتاوى، رقم ٩، ص ٤٤، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٩، ص ١٩٦، ورقم
٢٢، ص ١٥٤، ورقم ١٧، ص ١١٣ - ١١٤، ورقم ١٩، ص ١٢٤، ورقم ١، ص ٩ -
١٠، ورقم ١٤، ص ٩٤، والقسم الرابع، التفسير، ص ٢٢٣، ص ٢٥٣ - ٢٥٤، وص
١٩٧، ١٩٦، ص ٤٦ - ٤٧، وص ٣٥٣، وص ١٧٨، ومختصر زاد المعاد، ص ١٦٣ -
١٦٤، ص ١٧٧ - ١٧٩، وص ١٨٠ - ١٨٧، وص ٢٩٩).

فالمنعم عليهم هم رسول الله ﷺ وأصحابه، والمسلم في كل ركعة من صلاته يسأل الله أن يهديه طريقهم، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة؛ فليس بمستقيم^(١).

ويعتقد الشيخ أن الإيمان به ﷺ حقيقة يقتضي نصرته وطاعته والهدى في ذلك، فإن من حقوقه ﷺ طاعته؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^{(٣)(٤)}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله ﷻ﴾^(٥). رواه مسلم.

ولهما عن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ثلاث من كن فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ١٧).

(٢) سورة النساء آية : ٥٩.

(٣) سورة الحشر آية : ٧.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٤٧، ص ٢٧٩).

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢١).

يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ﴿^(١)﴾ .
ولهما عن أنس مرفوعا: ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من
ولده ووالديه والناس أجمعين ﴾ ^(٢) .

وعن المقدم بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال: ﴿
يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بمحدث من حديثي فيقول: بيننا
وبينكم كتاب الله صلى الله عليه وسلم فما وجدنا فيه من حلال؛ استحللناه، ومما وجدنا
فيه من حرام، حرمانه، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله
﴿^(٣)﴾ رواه الترمذي وابن ماجه ^(٤) .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم وعدل وتواضع، يعرف ذلك حتى
أعداؤه ^(٥) .

وكان صلى الله عليه وسلم أشرح الخلق صدرا، وأطيبهم نفسا، لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من
الكرم العظيم، بالإضافة إلى ما خصه الله به من شرح صدره بالرسالة
وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حسا، وإخراج حظ الشيطان منه ^(٦) .

(١) مسند أحمد (١٠٣/٣) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٤٤) ، وسنن النسائي : كتاب الإيمان وشرائعه (٥٠١٣) ،
٥٠١٥ ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٦٧) ، ومسند أحمد (٢٧٥/٣) .

(٣) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١٢) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، باب حقوق النبي صلى الله عليه وسلم ، ص
٢٦٠ - ٢٦١) .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٤٦ ، والقسم الأول، كتاب التوحيد، ص
١٧ ، وص ١١) .

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٧٦ ، والقسم الثالث، مختصر
السيرة، ص ٦٤ - ٦٨ ، وص ١٤٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤) .

وله ﷺ الفضائل العظيمة، وقول الحق الذي لا يقدر غيره أن يقوله^(١).
وهو الرسول النبي الأمي، حبيب الله وصفيه من خلقه ﷺ^(٢) وأقرب
الخلائق منزلة عند الله تعالى^(٣).

ويقول في قول الله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ
وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٤)
"فيها أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام، كما أن
رسول الله ﷺ لا نظير له في الأشخاص في دفع ذلك^(٥) وهو سيد
المرسلين^(٦) وسيد ولد آدم على الحقيقة من غير افتخار"^(٧).
وقد أكرمه الله بالخلعة، وهي أعلى من المحبة، كما كان إبراهيم^(٨).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٨١، وص ٢٥٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦، ص ١٠٤، ١٠٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٣٩).

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠١.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٤٩).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٣٥).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (ص ١٧٠).

(٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، ص ٦٣).

ولا بد من الأدب مع رسول الله ﷺ وتعظيم حرمة، وعدم التقدم بين يديه، وقد نزل تغليظ في ذلك في أول سورة الحجرات، ووصف الله الذين ينادون رسول الله ﷺ من وراء الحجرات بأن أكثرهم لا يعقلون^(١).

وكان ﷺ في حياته يسأله المسلمون الاستسقاء، ويتوسلون بدعائه ويستشفعون^(٢) وهو ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته من الصلاة والسلام عليه^(٣).

وهو ﷺ أفضل جميع الخلائق والأنام، وسيد ولد آدم عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام^(٤).

ويرى الشيخ فضيلة أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم بالكمية والكيفية^(٥) وأن الله سبحانه اختار ولد إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة، ثم اختار من ولد كنانة قريشا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمدا ﷺ؛ كما في "المسند" عن معاوية بن حيدة مرفوعا: "أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله"^(٦) فهم أفضل

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٥٠ - ٣٥١، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٢٣٨ - ٢٤١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٦٧).

(٤) انظر: "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٣-٤٤).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٧).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨، ٩).

الأمم، واختار لهم أفضل القبل، كما اختار لهم أفضل الرسل، وأفضل الكتب، وأخرجهم من خير القرون، وخصهم بأفضل الشرائع، ومنحهم خير الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض^(١).

ويؤمن بأن أفضل أمة محمد ﷺ أبو بكر الصديق وفي قول النبي ﷺ ﴿ ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً ﴾^(٢)؛ يرى الشيخ في هذا التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة، وفيه الإشارة إلى خلافته^(٣).

ويقول الشيخ في "تلخيصه" عن ابن تيمية رحمه الله: "ذكر غير واحد الإجماع على أن الصديق أعلم الأمة، وهذا بين، فإنهم لم يختلفوا في مسألة في ولايته؛ إلا فصلها بحجة من الكتاب والسنة؛ كما بين لهم موته ﷺ وموضع دفنه، وقتال مانعي الزكاة، وأن الخلافة في قريش، واستعمله ﷺ على أول حجة حجت من مدينته، وعلم المناسك - أدق العبادات -، ولولا سعة علمه بها؛ لم يستعمله، ولم يستخلف غيره، لا في حج، ولا في صلاة، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ أخذه أنس من أبي بكر، وهو أصح ما روي فيها، وفي الجملة، لا يعرف مسألة غلط فيها، وعرف لغيره مسائل كثيرة، وتنازعوا بعده في مسائل الجد والإخوة والعمرتين والعول وغير

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٩٤، ١٩٥).

(٢) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٦١، ٦٣).

ذلك من مسائل الفرائض، ومسألة الحرام، والطلاق الثلاث بكلمة، والخلية، والبرية، والبتة، وغير ذلك من مسائل الطلاق، وفي مسائل صارت نزاعاً إلى اليوم، لكنه في خلافة عمر نزع محض، وقوي النزاع في خلافة عثمان، حتى حصل كلام غليظ من بعضهم لبعض، وفي خلافة علي صار النزاع بالسيف، ولم يعلم أنه استقر بينهم نزاع في خلافة أبي بكر في مسألة واحدة، وذلك لكامل علمه، ثم التي حولت فيها بعد موته قوله فيها أرجح^(١).

ويشرح الشيخ مثلاً من ذلك، وهو أنه لما مات رسول الله ﷺ؛ ارتد غالب من أسلم، وحصلت فتنة عظيمة ثبت الله فيها من أنعم عليهم بالثبات بسبب أبي بكر الصديق ﷺ؛ فإنه قام فيها قياماً لم يدانه فيه أحد من الصحابة، ذكرهم فيه ما نسوا، وعلمهم ما جهلوا، وشجعهم لما جنبوا، فثبت الله به دين الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

يقول الشيخ: "قال الحسن: هم والله أبو بكر وأصحابه"^(٣)

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، ملخصة، رقم ٧٦، ص ٥٣-٥٤).

(٢) سورة المائدة آية: ٥٤.

(٣) قال ابن كثير: "رواه ابن أبي حاتم". انظر: "التفسير" (٢/ ٧٠).

ويقول: "جعلنا الله من أتباعه وأتباع ما حمّله وأصحابه" (١).

ثم عمر الفاروق رضي الله عنه فهو الثاني بعد أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة والفضل (٢) وهو المحدث الملهم الذي أمرنا باتباع سنته، وله الفضائل المشهورة، والسوابق المأثورة (٣).

ثم عثمان ذو النورين، هو ثالث الخلفاء في الخلافة والفضل، رضي الله عنه (٤) كان من ذوي السابقة والشرف والعلم، هاجر الهجرتين، وصلى القبلتين، وزوجه رسول الله صلّى الله عليه وآله ابنتيه، لما توفيت الأولى معه، وزوجه الأخرى، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقدمه ويستحي منه (٥).

ثم علي المرتضى، رابع الخلفاء الراشدين في الخلافة والفضل، ومن فضائله قتل الخوارج رضي الله عنه (٦) ومن فضيلته

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٦ - ٣٧، وص ٢٥٦ - ٢٥٩، وص ٢٦١ - ٣٠٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٠٢ - ٣٠٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (الفتاوى، ص ٣٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٠٩ - ٣١٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٩).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣١٦ - ٣٢٢، والقسم الأول،

العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢٢)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٣٦).

ما ورد في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد رضي الله عنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم؛ أيهم يعطاها؟ فلما أصبحوا، غدوا على رسول الله ﷺ ؛ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: "أين علي بن أبي طالب؟". فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ﷺ ^(١) قال الشيخ: (فيه فضيلة علي رضي الله عنه) ^(٢).

ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم ^(٣) طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وهو أمين الأمة ^(٤).

ثم أهل بدر رضي الله عنهم ^(٥) ثم أهل الشجرة أهل بيعة

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير (٣٠٠٩) وكتاب المناقب (٣٧٠١) وكتاب المغازي

(٢١٠)، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، ومسنند أحمد (٣٣٣/٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢١ - ٢٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١، ص ١٠).

(٤) انظر: "الطحاوية" وشرحها لابن أبي العز الحنفي (ص ٥٤٩ - ٥٥٣).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، والقسم الثالث، مختصر

السيرة، ص ١٩٧).

الرضوان^(١) رضي الله عنهم، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم^(٢).
ويترضى عن أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ المطهرات من كل سوء،
ويعتقد فضلهن على مراتبهن^(٣).

ويقول في "تلخيصه" عن ابن تيمية رحمه الله: "لآله صلى الله عليهم
وسلم على الأمة حق لا يشركهم فيه غيرهم ويستحقون من زيادة المحبة
والموالاة ما لا يستحق سائر قريش، وقريش يستحقون ما لا يستحق غيرهم
من القبائل، كما أن جنس العرب يستحقون من ذلك ما لا يستحقه سائر
أجناس بني آدم، على هذا دلت النصوص، وتفضيل الجملة على الجملة لا
يقتضي تفضيل كل فرد؛ كالقرن الأول على الثاني، والثاني على الثالث، وأما
نفس ترتيب الثواب والعقاب على القرابة، ومدح الله للمعين وكرامته عنده،
فهذا لا يؤثر فيه النسب، وهذا لا ينافي ما ذكرنا قبله، كما قال: "الناس
معادن... إلخ؛ فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة، فالأول
خير، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين، فإن تعطل ولم يخرج ذهباً؛ كان ما
يخرج الفضة أفضل منه، ولهذا، كان في بني هاشم النبي ﷺ الذي لا يماثله

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١، ص ١٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، والقسم الأول، العقيدة،
كتاب التوحيد، ص ١١، وص ١٧، والقسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٧٨، ٧٩،
ص ٢٦٠ - ٢٦١، وص ٣٢٢ - ٣٢٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، والقسم الثالث، مختصر
السيرة، ص ٦٤، ص ٧٨، وص ١٦٧ - ١٧١، وص ٣٢٢).

أحد في قريش، وفي قريش الخلفاء وغيرهم ما لا نظير له في العرب، وفي العرب من السابقين الأولين ما لا نظير له في سائر الأجناس... فالأصل المعتر هو الإيمان والتقوى، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقاً، ودون من ظن أن الله مفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله في التقوى، وكلا القولين خطأ، وهما متقابلان، فالفضل بالنسب للمظنة والسبب وبالتقوى لليقين والتحقيق والغاية؛ فالأول سبب وعلامة، والثاني يفضل به، لأنه تحقيق وغاية، والثواب يقع على هذا، لأن الحقيقة قد وجدت، فلم يعلق الحكم بالمظنة، ولأن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه، ولهذا كان رضى الله عن السابقين أفضل من الصلاة على آل محمد، لأن الأول إخبار بما حصل، والثاني سؤال ما لم يحصل، ومحمد أخبر الله تعالى أنه يصلي عليه وملائكته، فالفضيلة بنوع لا يستلزم الأفضلية مطلقاً، ولهذا كان في الأغنياء من هو أفضل من جمهور الفقراء^(١).

وعلى العموم، فالشيخ يعتقد في الآل والأصحاب ومن تبعهم بإحسان ما ورد به الكتاب والسنة، والأصل المعتر هو الإيمان والتقوى، فيؤمن بفضائل الصحابة الواردة، وشمائلهم المروية، وعمق علمهم على مراتبهم، ويترضى عن كل واحد منهم لأنه صحابي من صحابة رسول الله ﷺ ويرفض مسلك الرافضة في الصحابة، لما في قصة الحديبية؛ فلقد ذكر الله رسوله وحزبه ومدحهم بأحسن المدح، فقال تعالى:

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، رقم ٧٤، ص ٥١ - ٥٢).

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ
ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ
فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾ .

قال الشيخ: "والرافضة تصفهم بضده" (٢).

ويرفض مسلك الخوارج أيضا، ويتبرأ منهم، ويقول رحمه الله في وقعة
الجمل: "إن مقصود الصحابة الإصلاح بين الناس، وإجماع الكلمة، ولكن،
كان في العسكرين ناس من الخوارج، فخافوا من تمالؤ العسكرين عليهم،
فتحيل الخوارج حتى أثاروا الحرب بينهما من غير رأي، فكانت وقعة الجمل
المشهورة".

وقال في الحكمين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما: "لم يتفق
الحكمان على شيء".

وقال الشيخ في الحسن لما ترك الأمر لمعاوية مراعاة لمصلحة المسلمين:
لقد جرى مصداق ما صح عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال في الحسن: ﴿ إِنْ
ابْنِي هَذَا سِيدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٢٥٧، والتفسير، ص ٢٢، والقسم
الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٧، وص ٢٢)، وانظر: "تاريخ نجد" للألوسي (ص
٤٤ - ٤٥).

عظيمتين من المسلمين ﴿(١)(٢)﴾.

ثم أورد الشيخ ما صح عن النبي ﷺ ؛ أنه قال في الخوارج: ﴿ يخرجون على حين فرقة بين الناس، تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق ﴾ (٣)(٤).

وأورد أنه صح عنه ﷺ في أحاديث كثيرة؛ أنه نهي عن القتال في الفتنة وأخبر ﷺ بوقوعها، وحذر منها (٥).

قال الشيخ: "فحصل بمجموع ما ذكرنا أن الصواب مع سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وأكثر الصحابة الذين قعدوا واعتزلوا الطائفتين، وأن علي بن أبي طالب وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه، وأن الفريقين كلهم لم يخرجوا من الإيمان، وأن الذين خرجوا من الإيمان إنما هم أهل النهروان".

ثم قال الشيخ: "وأجمع أهل السنة على السكوت عما شجر بين

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلح (٢٧٠٤) وكتاب المناقب (٣٦٢٩، ٣٧٤٦) وكتاب الفتن (٧١٠٩) ، وسنن النسائي : كتاب الجمعة (١٤١٠).

(٢) هو في "صحيح البخاري" (ج ٨، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" ص ٩٨ - ٩٩).

(٣) مسند أحمد (٨٢/٣).

(٤) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي". انظر: "المستدرک" مع "التلخيص" (ج ٢ / ١٥٤، ١٥٥)، وانظر: "صحيح البخاري" ج ٧، ص ١١١، ك ٧٨ / ب ٩٥، وج ٨، ص ٥١ - ٥٣، ك ٨٨ / ب ٦ - ٧؛ ففيه صفة الخوارج، وأنهم يخرجون على حين فرقة من الناس.

(٥) انظر ما في "صحيح البخاري" مثلاً، (ج ٨، كتاب الفتن، ص ٨٦ - ٩٩).

الصحابة رضي الله عنهم، ولا يقال فيهم إلا الحسنی، فمن تكلم في معاوية أو غيره من الصحابة؛ فقد خرج عن الإجماع"^(١).

والخلاصة: أن الشيخ يتولى أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً، ويذكر محاسنهم، ويترضى عنهم، ويستغفر لهم، ويكف عن مساوئهم، ويسكت عما شجر بينهم، ويعتقد فضلهم؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢).

ويقول الشيخ في "تلخيصه" عن ابن تيمية رحمه الله: "إذا تكلم فيمن دون الصحابة، كالملوك المختلفين، وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل، فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال، والظلم محرم مطلقاً لا يباح بحال، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾^(٣).

وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان هذا قد نهي صاحبه أن يظلم من أبغضه؛ فكيف في بغض

(١) مؤلفات الشيخ (القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص ٣١٦-٣١٨، ٣٢١، ٣٢٢).

(٢) سورة الحشر آية : ١٠.

(٣) سورة المائدة آية : ٨.

مسلم بتأويل أو شبهة أو هوى؟! والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه،
والظلم مما اتفقوا على ذمه.

والله أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط، وأخبر أنه لا يكلف نفسا إلا
وسعها، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة، ودعا المؤمنون بقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾^(١).

فقال: قد فعلت. فدلّت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسا إلا
وسعها، وأن المخطيء والناسي لا يؤاخذ.

وقال: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيَرٍ مَا
أَكْتَسَبُوا ﴾^(٢).

فمن آذى مؤمنا حيا أو ميتا بغير ذنب يوجب ذلك؛ دخل في الآية،
ومن كان مجتهدا لا إثم عليه، فأذاه مؤذ؛ فقد آذاه بغير ما اكتسب، ومن
أذنب وتاب أو غفر له بسبب آخر، فأذاه مؤذ؛ فقد آذاه بغير ما
اكتسب^(٣).

ويقر الشيخ بكرامات الأولياء والصالحين وما لهم من

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٨ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٧٥، ص ٥٢-٥٣).

المكاشفات، وهم على صلاحهم رضي الله عنهم، وهم كما قال الله فيهم:
﴿الْأَبْرَارُ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وهم بريئون ممن أشرك بالله كبراءة عيسى من النصارى، وموسى من اليهود، وعلي من الرافضة، وكذلك عبد القادر الجيلاني رحمه الله بريء من أتباع الشيطان الذين ينتسبون إليه ويتسمون بالفقراء الجيلانية.

ثم يبين الشيخ أن هؤلاء الذين يزعمون حب الصالحين، وهم يخالفونهم، ويشركونهم مع الله في الدعاء والنذر والذبح وغير ذلك من العبادة التي لا تصلح إلا لله، إن هؤلاء في الحقيقة أعداء الصالحين، أما من هداه الله، فلم يدع إلا الله؛ فهو والله الذي يحبهم، لأن من أحب قوما أطاعهم، فمن أحب الصالحين حقيقة يطيعهم، فلا يعتقد إلا في الله كما في طريقتهم^(٢).

ويقول الشيخ في استنباطاته من قصة آدم وإبليس في خوارق

(١) سورة يونس آية : ٦٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ٢١، ص ١٤٧، ورقم ٨، ص ٥٢، و ٥٤ - ٥٥، ورقم ١٥، ص ١٠١)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٢٩٦)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٨٢ - ٢٨٣)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٦٩، وستة الأصول عظيمة، ص ٣٩٥ - ٣٩٦).

العادة وما هو منها كرامة وغير كرامة: "إنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بخوارق العادة إذا لم يكن مع صاحبها استقامة على أمر الله، فإن اللعين أنظره الله تعالى، ولم يكن ذلك إلا إهانة له وشقاء له وحكمة بالغة يعلمها الحكيم الخبير، فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها، ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة، ومن ذلك يعلم أن الأمور التي يحرص عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة، والجاهل يظنها نعمة؛ مثل المال والجاه وطول العمر؛ فإن الله أعطى اللعين من النظرة ما أعطاه، وكذلك الفاجر؛ قد يعطيه الله سبحانه كثيرا من القوى والإدراكات في العلوم والأعمال، حتى في صحة الفراسة؛ كما ذكر عن اللعين حين تفرس فيهم أن يغويهم إلا المخلصين، فصدق الله فراسته في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

فإن قيل: في الحديث: ﴿اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله﴾^(٢)؟ فلا يناقض ما ذكرناه، بل يدل على أن المؤمن أتم في هذه الخصلة من غيره وأصدق؛ كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك، ولو كان للفجار شيء من ذلك^(٣).

(١) سورة سبأ آية : ٢٠ .

(٢) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن (٣١٢٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٥ - ٩٨)، والحديث؛ رواه: الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامة، وأخرجه الترمذي أيضا من حديث أبي سعيد، وراجع تخريجه في "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" للشيخ إسماعيل العجلوني (ج ١، ص ٤١ - ٤٢).

ويذكر القول الفصل في عطاء الدنيا بعد أن ذكر خطأ كثير من الناس في نظره إلى ذلك، فقال: "بعضهم يظن أن هذا كله نقص أو مذموم، وأن التجرد من المال مطلقاً هو الصواب، وبعض يظن أن عطاء الدنيا يدل على رضى الله، وكلاهما على غير الصواب، وذلك أن من أنعم الله عليه بولاية أو مال، فجعلها طريقاً إلى طاعة الله، فهو ممدوح، وهو أحد الرجلين الذين يغبطهما المؤمن، وإن كان غير هذا، فلا" (١) "فإن العطاء ما أغنى أصحاب الحجر: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿ فَأَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾" (٢) .

ما أغنى عنهم ذلك وقت البلاء كما أغنت الأعمال الصالحة عن أهلها برحمة الله تعالى (٣) .

ولا يشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ ولكنه يرجو للمحسن، ويخاف على المسيء، ولا يكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا يخرج به من دائرة الإسلام (٤) .

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٥٧)، وقوله: "أحد الرجلين

الذين يغبطهما المؤمن"؛ إشارة إلى حديث: "لا حسد إلا في اثنتين"؛ متفق عليه.

(٢) سورة الحجر آية : ٨٢ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٩١، ١٩٤) .

(٤) "الدرر السنية" (ص ٣٠، وص ١١) من "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس)، و"مؤلفات

الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٨، ص ٥٢، وص ٥٤، وص ٥٥، ورقم ١٥،

ويرى أن الفرقة الناجية وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبورية، وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج^(١).

ويرى الجهاد ماضيا مع كل إمام، برا كان أو فاجرا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة والجهاد ماضياً منذ بعث الله محمدا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل.

ويرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة؛ وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه^(٢).

ويقول الشيخ في "تلخيصه" عن ابن تيمية: "مذهب أهل السنة أن الأمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة لله؛ فيصلى خلفهم، ويجاهد معهم، ويستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن حكم منهم بعدل؛ نفذ حكمه، وإن أمكن تولية بر؛ لم يجز تولية فاجر، فيجتهدون في الطاعة بحسب الإمكان؛ كما قال الله:

ص ١٠١، ورقم ٢١، ص ١٤٧، والقسم الرابع، التفسير، البقرة، ص ٢٥، والأعراف، ص ٩٥ - ١٠٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" "الدرر" (ص ٣٠)، و"مؤلفات الشيخ" (ص ١١).

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾^(١)(٢).

ويعلمون أن الله بعث محمدا ﷺ بصلاح العباد، فإذا اجتمع صلاح وفساد، رجحوا الراجح منهما، وقل من خرج على سلطان؛ إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم من الخير؛ فلا أقاموا ديناً، ولا أبقوا ديناً، وإن كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، وهذا مما يبين أن ما أمر به ﷺ من الصبر على جور الأئمة هو الأصلح، فالشارع أمر كلا بما هو أصلح له وللمسلمين، فأمر الولاية بالعدل والنصح لرعيتهن، وأمر بالصبر على استيثارهم، وعدم منازعتهم الأمر، والفتن في كل زمان بحسب رجاله، والفتنة تمنع معرفة الحق وقصده والقدرة عليه، ففيهما من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل حتى لا يتميز لكثير من الناس، ومن الشهوات ما يمنع قصد الحق، ومن قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير، ولهذا يقال: "فتنة عمياء صماء".

ويرى أن الإمام نائب عن المسلمين يتصرف في مصالحهم وقيام الدين، فإن تعين للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته استجلاب أعداء الإسلام إليه ليأمن شرهم؛ ساغ ذلك، بل تعين، ومبنى الشريعة باحتمال أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين^(٣).

(١) سورة التغابن آية : ١٦ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، ملخصة، رقم ٧٣، ص ٥٠-٥١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٢٦٧-٢٦٨، والتفسير البقرة، ص

ويرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، ويحكم عليهم بالظاهر، ويكل سرائرهم إلى الله، ويعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة، ويرى خلع جميع البدع^(١)؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه أكمل الدين، وأتمه على لسان رسول الله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

وقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥).

(١) "مؤلفات الشيخ" الدرر" (ص ٣٠)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية،

رقم ١، ص ١١، ورقم ١٦، ص ١٠٧).

(٢) سورة المائدة آية : ٣.

(٣) سورة الأعراف آية : ٣.

(٤) سورة آل عمران آية : ٣١.

(٥) سورة يوسف آية : ١٠٨.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

فَأَنْتَهُوا﴾ (٢)(٣).

ويرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة

المحمدية الطاهرة (٤).

ويؤمن بكل ما أخبر به النبي ﷺ من أخبار الفتن والحوادث وأشراط

الساعة، وما جاء في المهدي، وخروج الدجال، ونزول عيسى، وأنه لا يزال

حيا، وسكنى المدينة وعمارتها، وخروج الدابة، ونحو ذلك، وقد ألف الشيخ

في ذلك كتابا بعنوان: "هذه أحاديث في الفتن والحوادث التي أخبر النبي ﷺ

أنها ستكون بعده" (٥).

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣.

(٢) سورة الحشر آية : ٧.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٧، ص ١١٠ - ١١١).

(٤) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١ ص ٣٠)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس،

الشخصية، رقم ١، ص ١١، ورقم ١٧، ص ١١٤).

(٥) مؤلفات الشيخ " (قسم الحديث، المجلد الثالث من أوله إلى آخره في هذه الموضوعات).

الإيمان باليوم الآخر :

والشيخ يؤمن بالبعث بعد الموت، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، وقيام الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا يوم تأتي الساعة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ (١) .

وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْهَا مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ (٢)(٣)(٤) .

قال الشيخ ما مضمونه فيها ذكر الإيمان باليوم الآخر بعد ذكر الإيمان بالله تعالى مما يبين أنه علة للإيمان بالله فمن لم يؤمن باليوم الآخر لا يؤمن بالله تعالى ولا يؤمن بلقائه يوم القيامة^(٥) .

ويقول الشيخ في صدر سورة هود فيه من العلوم علم الإيمان باليوم الآخر وذكر أنه إلى الله المرجع كما قال تعالى :

(١) سورة الحجر آية : ٨٥ .

(٢) سورة طه آية : ١٥ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٩٥، وص ٥١، وص ٢٩٥ - ٢٩٦)، "الدرر السننية" (ج ١، ص ٩٧) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٩٥، وص ٥١، وص ٢٩٥ - ٢٩٦)، "الدرر السننية" (ج ١، ص ٩٧) .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٩٥ - ٢٩٦، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٥٠ .

﴿ وَلَيْسَ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (١) الآيات.

يقول الشيخ: " فيها ذكر الجنة والنار، وذكر العرض على الله، وكلام

الأشهاد، وأن افتراء الكفار ضل عنهم، وكانوا هم الأخسرون في الآخرة. (٢)

وفي قول الله تعالى: ﴿ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى

كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهَمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

قال الشيخ: "فيها تعظيم ذلك اليوم، وذكر الأمر الهائل في كل نفس،

ونفي الظلم، ولو عن الأشرار". (٤)

وفي قوله تعالى: ﴿ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْرُّجَىٰ ﴾ (٥) .

قال الشيخ: "فيها الإيمان باليوم الآخر، والوعظ بذلك عن الطغيان،

وتسليية المطغي عليه بذلك، وكونه إلى رب محمد ﷺ ففيه

(١) سورة هود آية : ٧.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١١٦).

(٣) سورة النحل آية : ١١١.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، ص ٢٣١).

(٥) سورة العلق آية : ٨.

الجزء على الأعمال".^(١)

ويقول الشيخ: "والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾^(٣) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا

وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾^(٤).

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى:

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾^(٥).

ومن كذب بالبعث؛ كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ۗ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۗ

وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^{(٦)(٧)(٨)}.

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧١، وص ٢٤٩، وص ١٩٥، وص

٣٣٧، القسم الخامس، الشخصية، رقم ٤، ص ٣٣ .

(٢) سورة طه آية : ٥٥ .

(٣) سورة نوح آية : ١٧ .

(٤) سورة النجم آية : ٣١ .

(٥) سورة التغابن آية : ٧ .

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٤ - ١٩٥، وتلقين

أصول العقيدة للعامة، ص ٣٧٣).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٤ - ١٩٥، وتلقين

أصول العقيدة للعامة، ص ٣٧٣).

ويقول الشيخ في كلامه على قصة آدم وإبليس وفي القصة فوائد عظيمة وعبر لمن اعتبر بها؛ منها: أن خلق آدم من تراب من أبين الأدلة على المعاد كما استدل عليه سبحانه في غير موضع وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وعقوبته وإنعامه وكرمه وغير ذلك من صفاته التي تدل على البعث^(١)

وفي قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾^(٢) الآية .

قال الشيخ فيها: "إن الإعتار عليهم لحكمة ومعرفة المؤمن إذا أعثر عليهم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها؛ كما رد الله موسى إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق، فتأمل هذا العلم ما هو؟ وقوله: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾^(٣) ؛ أي: لما وقع بينهم النزاع، وذلك أن بعض الناس زعم أن البعث للأرواح خاصة، فأعثر عليهم؛ ليكون دليلا على بعث الأجساد^(٤). ومن قصة موسى والخضر عليهما السلام يستنبط مسائل في الأصول؛ منها: الدليل على اليوم الآخر، لأن من أعظم الأدلة إحياء الموتى في دار الدنيا.^(٥)

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٨٤).

(٢) سورة الكهف آية : ٢١ .

(٣) سورة الكهف آية : ٢١ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٤٥ - ٢٤٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٥٣).

ومن دليل المعاد المبدأ؛ كما قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾^(١).

قال الشيخ: "فيه ذكر المعاد، والاستدلال عليه بالمبدأ^(٢) أي: لا بد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة"^(٣).

ومن الإيمان باليوم الآخر يؤمن الشيخ بما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمن بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، وحالتها في البرخ، وحالة الأموات ... ونحو ذلك.

فأما الفتنة؛ فالناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

يقول الشيخ: "فمن لم يعرف ربه بمعنى معبوده ودينه ورسوله الذي أرسله الله إليه بدلائله في الدنيا، ولم يعمل به، سئل عنه في القبر، فلم يعرفه، ومن لم يعرفه في القبر؛ ضربته الملائكة بمرزية من حديد، لو اجتمع عليها الجن والإنس، ما أطاقوا حملها، ومن عرفه بدليله وعمل به في الدنيا ومات عليه، سئل في القبر، فيجيب بالحق؛ فإنه ذكر في الحديث: أن العبد المؤمن أو الموقن إذا وضع في قبره؛ سألته الملائكة عن ربه وعن دينه وعن نبيه؟ فيقول: ربي الله، وديني

(١) سورة الأعراف آية : ٢٩ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٧٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ص ١٠٠).

الإسلام، ونبيي محمد، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وصدقنا واتبعنا. فيقال له: نم صالحا، قد علمنا أنك مؤمن. وأعظم البينات الذي جاء به الرسول كتاب الله.

كما قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ (١).

وأما المنافق والمرتاب، إذا سئل عن ذلك، يقول: هاه هاه، لا أدري،

سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. فتعذبه الملائكة. (٢)

ويؤمن الشيخ بالحساب، وأن الحساب متوقف على الرسالة، وأنه عام

حتى المرسلين.

كما قال تعالى:

(١) سورة البقرة آية : ٢٣.

(٢) "الدرر السننية" (ج٢، ص٤٢، وج١، ص٩٧)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٨٣، والقسم الثالث، الفتاوى، مسألة رقم ١٦، ص ٧٨)، وانظر: "شرح الطحاوية" (ص ٤٤٩).

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾^(١) .

قال الشيخ: " وفي ذلك أن الله يقص عليهم ما فعلوا بعلمه، وأنه شهيد على الجزئيات ".

كما يؤمن الشيخ بالميزان، وأنه الحق، وأن له كفتان، وأن الفلاح بسبب ثقله، والخسارة بسبب خفته، وأن سبب الخفة الظلم بآيات الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴿٦﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِغَايَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾^(٢) .

ويؤمن بالحوض المورود^(٣).

وأن الناس يرون أعمالهم كلها يوم القيامة، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾^(٤) .

وقد أشار الشيخ إلى أن هذه الآية " الآية الجامعة الفادة " .

(١) سورة الأعراف آية : ٦ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٨ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٧٠ - ٧١، وص ٣٧٨)، و "مؤلفات الشيخ

" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٤) .

(٤) سورة الزلزلة آية : ٧ .

ويقرر الشيخ أن الجزء من جنس العمل^(١).

وأن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها^(٢).

ومن مشاهد القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾ .^(٣)

يقول الشيخ: "فيها صعق أهل السماوات والأرض إلا من استثنى الله، وفيها النفخة الثانية، فإذا هم قيام ينظرون، ويلاحظ (إذا) الفجائية، وفيها إتيان الرب سبحانه، وإشراق الأرض بنوره، وإضافة الأرض إليه، ووضع الكتاب، والإتيان بالنبيين والشهداء، والقضاء بينهم بالحق، وتوفية كل نفس عملها، وبيان أنه لا يقع في الخصومات شيء مما وقع في الدنيا؛ لكونه سبحانه وتعالى أعلم"^(٤).

وفي شأن الجنة والنار يؤمن الشيخ بهما، وأتخما موجودتان الآن، وأن

للإيمان بهما فضل عظيم، وأن الدور ثلاث: فدار أحلصت

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٧، وص ٣٧٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ١٧).

(٣) سورة الزمر آية: ٦٨.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٤٠ - ٣٤١).

للطيب، ودار أخلصت للخبث، ودار امتزج فيها الخبيث بالطيب، وهي هذه الدار الدنيا، فإذا كان يوم المعاد؛ ميز الله الخبيث من الطيب، فجعل الطيب بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار، فعاد الأمر إلى دارين فقط^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(٢) الآيات.

قال الشيخ: " فيها سياقة الكفار، وكونهم زمرا، وفتح أبوابها وقت مجيئهم، وتقرير الخزنة لهم، وكون كل رسول يتلو الآيات وينذر بذلك اليوم، وكون الرسالة عمت، واعترافهم، وأن الذي منعهم كون كلمة العذاب حقت على من كفر، وقول الخزنة: ادخلوها خالدين، وبيان أن التكبر سبب الكفر، وفيها سوق أهل الجنة وكونهم زمرا، وفتح الأبواب لهم، وتسليم الملائكة، وقولهم: طبتم فادخلوها خالدين، وقولهم: الحمد لله... إلخ؛ حمدوه على صدق الوعد، وعلى أنه أورثهم الأرض يتبوؤن منها حيث شاؤوا، وإثبات دخولها بالعمل، وأنها أجر العاملين، ورؤية الملائكة حافين من حول العرش، والقضاء

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ١٤، وص ٣٧، وص ١٨ - ١٩، وص ١٤٤)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، والقسم الرابع، التفسير، ص ١٨٩، وص ٣٢٩، وص ٣٧٦ - ٣٧٧، ٣٨٠، ومختصر زاد المعاد، ص ١١).

(٢) سورة الزمر آية : ٧١.

بالحق، وقول الخلائق كلهم: الحمد لله رب العالمين.^(١)

وبالجملة؛ فإن الشيخ يؤمن بكل ما أخبر النبي ﷺ به مما يكون بعد الموت، فيؤمن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا، وتدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه، فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، وتنشر الدواوين؛ فأخذ كتابه يمينه، وأخذ كتابه شماله. ويؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرضة القيامة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، من شرب منه شربة؛ لم يظمأ بعدها أبدا. ويؤمن بأن الصراط منصوب على شفيع جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم. ويؤمن بشفاعته النبي ﷺ وأنه أول شافع، وأول مشفع. ويؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان. وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضمامون في رؤيته.^(٢)

الإيمان بالقدر :

يقول الشيخ: "وأؤمن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٤١-٢٤٣، وص ١١٧ وص ١١٩ وص

١٨٣ وص ١٩٠).

(٢) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٢٩)، ("مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس؛

الشخصية، رقم ١، ص ٩-١٠، والقسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٤، والقسم الرابع، التفسير،

القصص؛ ص ٣١٣، والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٥١).

إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور".^(١)

والصبر على أقدار الله من الإيمان بالله، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾^(٢).

قال علقمة: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله؛ فيرضى ويسلم"^(٣).

ويذكر الشيخ كيفية الإيمان بالقدر، وهي أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الإيمان بذلك فرض، ولا يجد أحد طعم الإيمان، ولن يبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ومن لم يؤمن به؛ أحرقه الله بالنار، ولو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله، ما قبل الله منه؛ حتى يؤمن بالقدر؛ بدليل قول النبي ﷺ ﴿ **الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره** ﴾^(٤) وأن رسول الله ﷺ تبرأ ممن لم يؤمن به؛ أخذنا من حديث عبادة ابن الصامت؛ أنه قال لابنه: يا بني! إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك،

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، ص ٩).

(٢) سورة التغابن آية : ١١ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٩٦ - ٩٧)، وقول علقمة في

"صحيح البخاري" (ج ٦، ص ٦٧).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٨)، وسنن أبي داود: كتاب السنة (٤٦٩٥).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ إِن أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ! وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ يَا بَنِي! سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَيَّ غَيْرَ هَذَا، فَلَيْسَ مِنِّي ﴾^(١) (٢).

وفي كتاب "أصول الإيمان" للشيخ بعد أن ذكر باب الإيمان بالله ومعرفته أردفه مباشرة بباب الإيمان بالقدر قبل ذكر الملائكة والرسل والكتب، مما يشير إلى أن القدر من شأن الله تعالى ومن صفته، ولأن الإيمان بالقدر من حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى.^(٣)

يذكر الشيخ في "كتاب الإيمان" أدلة القدر من القرآن الكريم، مثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾^(٥).

وقوله تعالى:

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة (٤٧٠٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في منكري القدر، ص ١٣٥ - ١٣٧، وأصول الإيمان، باب الإيمان بالقدر، ص ٢٤٧، والقسم الرابع، مختصر

زاد المعاد، ص ٣٠٦، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢، ص ١٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٧).

(٤) سورة الأنبياء آية : ١٠١.

(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٨.

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٢) .

ويذكر أدلته أيضا من السنة المطهرة؛ مثل:

قوله في "صحيح مسلم" عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدَرٌ مَقَادِيرِ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (٣) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعِ الْعَمَلَ؟ قَالَ: "اعْمَلُوا، فَكُلٌ مَيْسِرٌ لِمَا خَلَقَ لَهُ، أَمَا مِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيِّسَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَا مِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيِّسَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ (ثم قرأ: "فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيْرَهُمْ لَهُ لِي سِرَى" (٤) متفق عليه (٥) .

ومثل حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله

(١) سورة الصفات آية : ٩٦ .

(٢) سورة القمر آية : ٤٩ .

(٣) صحيح مسلم : كتاب القدر (٢٦٥٣) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٩٤٩) .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٣) .

ﷺ وهو الصادق المصدوق: ﴿ إِنْ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَظْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ؛ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ؛ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا ۚ (١) متفق عليه.

ومثل حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ ۚ (٢) رواه مسلم (٣).

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۗ (٤) .

قال: "يقضي فيها ما يكون في السنة إلى مثلها". رواه عبد الرزاق وابن جرير. وقد روي معنى ذلك عن ابن عباس والحسن وأبي عبد الرحمن السلمي وسعيد بن جبير ومقاتل. (٥)

وفيما يروى عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى:

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٣٢)، وصحيح مسلم: كتاب القدر

(٢٦٤٣)، وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (٧٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب القدر (٢٦٥٥)، ومسند أحمد (١١٠/٢)، وموطأ مالك: كتاب

الجامع (١٦٦٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان؛ ص ٢٤٤-٢٤٥).

(٤) سورة القدر آية: ٤.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٥).

﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (١) .

قال: " يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويدر، ويفعل ما يشاء ". رواه عبد الرزاق وابن المنذر والطبراني والحاكم (٢).
ثم نقل الشيخ كلام ابن القيم لما ذكر هذه الأحاديث وما في معناها، ومحصله أن الأدلة دلت على تقدير يومي، وتقدير حولي، وتقدير عمري؛ عند تعلق الروح، وعند أول تخليقه، وتقدير سابق على وجوده، لكن بعد خلق السماوات والأرض، وتقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل واحدة من هذه المقادير كالتفصيل من التقدير السابق.

وينقل الشيخ تفصيلاً لقدر الله السابق، فيقول ما حاصله: " وتقدير الله السابق هو ثبوت الشيء في العلم والتقدير، وليس هو ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويكتبه ويتكلم به، وليس لذاته في الخارج وجود، وهذا العلم والكتاب هو الذي ينكره القدرية الذين كفرهم الأئمة حين ناظروهم بالعلم فجحدوه، أما من أقر به؛ فقد خصم، وقد بينه الكتاب والسنة، وأجاب النبي ﷺ عن السؤال الوارد عليه، وهو: أنترك العمل لأجله؟ فقال: ﴿ اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له ﴾ (٣) (٤) .

(١) سورة الرحمن آية : ٢٩ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٩٤٩) ، وصحيح مسلم : كتاب القدر

(٢٦٤٧) ، وسنن الترمذي : كتاب القدر (٢١٣٦) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة

(٧٨) ، ومسنند أحمد (١/٨٢ ، ١/١٥٧ ، ٣/٣٠٤ ، ٤/٦٧ ، ٤/٤٣١).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٢٩، ص ٢٥).

وسياتي مزيد بيان لموضوع القدر من الله تعالى في فصل التوحيد الجانب العلمي إن شاء الله تعالى.

من مباحث الإيمان :

ويعتقد الشيخ أن حقيقة الإيمان هو التصديق، وأنه قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان؛ كما قال الحسن البصري: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما قر في القلوب، وصدقته الأعمال"^(١) وأن الأعمال من الإيمان^(٢) والإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق^(٣).

ويقول الشيخ: "إن الله سبحانه قد أمرنا أن نقول: آمنا؛ كما قال

تعالى:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٥)، وانظر: "اقتضاء العلم العمل" للبيهقي ضمن رسائل أربع مجموعة بتحقيق الألباني (ص ١٧٧)، و (الفتاوى، مسألة رقم ١١، ص ٥١، من القسم الثالث) من "مؤلفات الشيخ".

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، النحل، ص ٢٢٦، والحجرات، ص ٣٥٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١١، ورقم ١٤، ص ٩٦ - ٩٧، ورقم ١٨، ص ١٢٢، وملحق المصنفات، ص ١١، وص ٧٠ - ٧١، وص ١٣٩ - ١٤٠)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، القصص، ص ٢٨٣، ومختصر زاد المعاد، ص ٢٥٦، القسم الثالث، الفتاوى، مسألة رقم ١١، ص ٥١، والمسألة الخامسة عشر، ص ٧٣ - ٧٤).

وهل يكتفى في مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لا بد من اليقين؟ وهل يشترط في الواجب النطق بالشهادتين أو يصير مسلماً بالمعرفة؟ وهل الإيمان قول باللسان من غير عقيدة بالقلب؟ وهل الأعمال من الإيمان يزيد وينقص بها؟

وفيما يلي السؤال والجواب:

سئل الشيخ عن معنى هذه الآيات:

أول واجب على الإنسان معرفة الإله باسـتـيقان

فأجاب: تمام الكلام يعين على فهم معناه:

أول واجب على الإنسان معرفة الإله باسـتـيقان
والنطق بالشهادتين اعتباراً
لصحة الإيمان مما قدرا
إن صدق القلب والأعمال
يكون ذا نقص وذا إكمال

فذكر في هذا الكلام خمس مسائل من مسائل العقائد التي يسمونها أصول الدين:

الأولى: اختلف في أول واجب: فقيل: النظر. وقيل: القصد إلى النظر.

وقيل: المعرفة.

الثانية: هل يكتفى في مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لا بد

من اليقين؟ فذكر أن الواجب في معرفة الله هو اليقين.

الثالثة: هل يشترط في الواجب النطق بالشهادتين أو يصير بالمعرفة؟
فذكر أنه لا يصير مسلماً إلا بالنطق للقادر عليه، والمخالف

في ذلك جهم ومن تبعه، وقد أفتى الإمام أحمد وغيره من السلف بكفر من قال: إنه يصير مسلماً بالمعرفة، وتفرع على هذه مسائل؛ منها: من دعي إلى الصلاة فأبى مع الإقرار بوجوبها؛ هل يقتل كفراً أو حداً؟

الرابعة: أن ابن كرام وأتباعه يقولون: إن الإيمان قول باللسان من غير عقيدة القلب، مع أنهم يوافقون أهل السنة أنه مخلد في النار. فذكر أنه لا بد مع النطق بتصديق القلب.

الخامسة: المسألة المشهورة: هل الأعمال من الإيمان ويزيد وينقص بها أم ليست من الإيمان؟ والمخالف في ذلك أبو حنيفة ومن تبعه، الذين يسمون مرجئة الفقهاء، فرجح الناظم مذهب السلف: أن الأعمال من الإيمان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

إذا ثبت هذا؛ فكل هذه المسائل واضحة، إلا المسألة الأولى المسؤول عنها، وهي معرفة الإله؛ ما هي؟ فينبغي التفطن لهذه، فإنها أصل الدين، وهي الفارقة بين المسلم والكافر، وبيان ذلك أنه ليس المراد معرفة الإله الإجمالية؛ يعني: معرفة الإنسان أن له خالقاً؛ فإنها ضرورية فطرية، بل معرفة الإله؛ هل هذا مختص بالله لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، أو لغيره قسط منه؟ فأما المسلمون أتباع الأنبياء؛ فإجماعهم على أنه مختص، كما قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١)

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى، تشفع عنده، وهذا باطل. (١)

وفي تفاوت الإيمان ومراتبه وعلو إيمان بعض المؤمنين على بعض يقول الشيخ في جوابه عن سؤال استفتي به: "وأما قوله: (رب أريني كيف تحيي الموتى)، فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه، حتى الأنبياء، فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمناً، فإذا كان محتاجاً إلى الأدلة التي توجب الطمأنينة، فكيف بغيره، ولذلك قال رسول الله ﷺ في "الصحيح": ﴿ نحن أحق بالشك من إبراهيم ﴾ (٢).

وأما قوله في كلام البقرة والذئب: "آمنت به أنا وأبو بكر وعمر"، وليس في ذلك المكان، فكان هذا من الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة، وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم، فلما أخبر النبي ﷺ أن هذا جرى فيما مضى، تعجبوا من ذلك، مع إيمانهم، فقال: "آمنت به أنا وأبو بكر وعمر"، فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ليطمئن قلبه مع كونهما ليسا في المجلس، دل ذلك على أن إيمانهم أعلى من إيمان غيرهما، خصوصاً لما قرنهما بإيمانه ﷺ (٣).

ويعتقد الشيخ أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها (٤) للحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أنس؛ قال: قال

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٦٩-٧٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٧٢) وكتاب تفسير القرآن (٤٥٣٧)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٥١)، وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن (٤٠٢٦)، ومسنند أحمد (٣٢٦/٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، رقم ١٥، ص ٧٣-٧٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٨٩).

رسول الله ﷺ ﴿ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ﴾^(١)

وفي رواية: " لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى... " إلى آخره.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: ﴿ من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلواته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً ﴾ رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾^(٢) .
قال: "المودة".

قال الشيخ: "فيه أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها".^(٣)

ويفسر الإيمان والتقوى في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا

يَتَّقُونَ ﴾^(٤) .

(١) مسند أحمد (١٠٣/٣).

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٦ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ص ٨٨ - ٨٩).

(٤) سورة يوسف آية : ٥٧ .

فيقول: "الإيمان يدخل فيه الدين كله، وأيضا يدخل كله في التقوى، وأما إذا فرق بينهما كما هنا؛ فالإيمان الأمور الباطنة، والتقوى الأمور الظاهرة، وإذا قلت: الإيمان فعل الواجبات، والتقوى ترك المحرمات؛ فقد أصبت"^(١).

ثم يذكر أن تفسير التقوى جاء في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٢).

وأن هذا أحسن ما فسرت به؛ فالمتقي يأتي بالصدق إن كان مخبرا، ويصدق بالصدق إن كان سامعا، وهذا هو الإحسان، كما تبين بالآية بعده:

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾^{(٣)(٤)(٥)}.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٦).

الجمع بين التقوى والإيمان، ومعرفة الفرق بينهما، وأن من جمع بينهما؛ فهو من المحسنين، لقوله تعالى:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٥٨، ص ١٧٢).

(٢) سورة الزمر آية: ٣٣.

(٣) سورة الزمر آية: ٣٤.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٢٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٢٩).

(٦) سورة يوسف آية: ٩٠.

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)(٢)(٣) .

ويعتقد أن الإيمان بجميع شعبه حق وما ناقضه باطل فمن آمن بالإيمان كله ولم يلبس إيمانه بشرك كان من أهل الأمن في الآخرة والاهتداء في الدنيا لقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (٤)(٥)(٦) .

ويدخل الإسلام في الإيمان فإذا أفرد كقوله في الجنة ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ ﴾ (٧) .

فيدخل فيه الإسلام، وإذا ذكر الإسلام والإيمان؛ كقوله: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (٨) فالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان في القلب.

والإيمان أعلى من الإسلام، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى

(١) سورة يوسف آية : ٩٠ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٥٨، وص ١٧٢) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٥٨، وص ١٧٢) .

(٤) سورة الأنعام آية : ٨٢ .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢، وص ٢١٣ - ٢١٤،

وص ٣٤٢، ٣٥١) .

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢، وص ٢١٣ - ٢١٤،

وص ٣٤٢، ٣٥١) .

(٧) سورة الحديد آية : ٢١ .

(٨) سورة الأحزاب آية : ٣٥ .

الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا الكفر، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه وإن كان ناقصاً؛ كما في آية الحجرات: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً﴾^(١).

وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعاً، وأما الإسلام؛ فقد يستلزم الإيمان وقد لا يستلزمه^(٢). ويعتقد الشيخ أن الإيمان بجميع شعبه وأركانه مرتبة عالية من مراتب دين الإسلام^(٣) ودين الإسلام وسط بين طرفين، وهدى بين ضاللتين، وحق بين باطلين^(٤) وإذا لاح واتضح؛ لم يضره كثرة المخالف، ولا قلة الموافق^(٥).

وأن الإيمان يزيد بالطاعة والأعمال الصالحة، وينقص بالمعصية، وهو يتجزأ، ولا يلزم إذا ذهب بعضه أن يذهب كله، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان.

قال الشيخ فيما لخصه عن شيخ الإسلام ابن تيمية: "تواترت

(١) سورة الحجرات آية : ١٤ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، المسألة رقم ١٣، ص ٥٦ - ٥٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩١).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٦٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٨٨ - ٨٩).

الأحاديث بخروج من قال: لا إله إلا الله من النار إذا كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها، وتواترت أنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، لكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين، ويموت عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقيل، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك؛ يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، وغالبهم إنما يقولها تقليداً أو عادة، وغالب ما يفتن عند الموت أو في القبر أمثال هؤلاء؛ كما في الحديث: ﴿ سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ﴾^(١) وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم، وهم أقرب أقرب الناس من قوله:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾^(٢) .

فلا منافاة بين الأحاديث؛ فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين ومات عليها؛ امتنع أن ترجح سيئاته، فإن كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر؛ فهو غير مصر على ذنب، وإن كان على وجه خلص به من الأكبر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فترجح بها الحسنات؛ كما في حديث البطاقة، وهذا خلاف من رجحت سيئاته، لأنه معه الشرك الأصغر، وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك، فترجح سيئاته، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم أو من يحسن صوته بآية من القرآن من

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم (٨٦) وكتاب الوضوء (١٨٤) وكتاب الجمعة (١٠٥٣)

وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٧) ، ومسند أحمد (٣٥٢/٦) ، وموطأ مالك :

كتاب النداء للصلاة (٤٤٧).

(٢) سورة الزخرف آية : ٢٢ .

غير ذوق طعم ولا حلاوة، فالذي قالها بيقين وصدق تام: إما ألا يكون مصرا على سيئة، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته، والذين دخلوا النار، فاتهم أحد الشرطين.^(١)

ويرى أن قلب الإنسان يجتمع فيه الضدان: المعرفة والإنكار، والعلم والجهل، والإيمان والكفر، والحكم للغالب منهما^(٢) فقد يكون في الرجل مادتان، فأيهما غلبت عليه، كان من أهلها، فإن أراد الله بعبده خيرا؛ طهره قبل الموافاة، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، وحكمته تعالى تأتي أن يجاوره العبد في داره بخبائثه، فيدخل النار طهرة له، وإقامة هذا النوع فيها على حسب سرعة زوال الخبائث وبطئها، ولما كان المشرك خبيث الذات؛ لم تطهره النار؛ كالكلب إذا دخل البحر، ولما كان المؤمن الطيب بريئا من الخبائث؛ كانت النار حراما عليه، إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره، فسبحان من بهرت حكمته العقول^(٣) !

ويفرق بين الكفر الأكبر المخرج من الملة والكفر الذي هو دونه ولا يخرج من الملة، وكذلك الشرك، ويقول: "كيف تعجبون من كلامي في رجل من المتأخرين غلط في قوله: يا أكرم الخلق ! ولا

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، ص ٧٠ - ٧١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٠٨، والقسم الخامس،

الشخصية، رقم ١٨، ص ١٢٢، والقسم الرابع، التفسير، البقرة، ص ٢٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢).

تفطنون لمثل قول أنس بن مالك في أهل زمانه: ما أعرف فيهم شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت؟ هل تظنون هذا المتأخر خيرا وأعلم من أولئك؟ ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها، وتظنون أن من وصف شركا أو كفرا، أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة.^(١)

ويعتقد الشيخ أنه لا بد من استدامة حال الإيمان حتى يموت عليه، كما

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٢) (٣) (٤) .

فإن الأعمال بالخواتيم^(٥) والعبرة بكمال النهاية لا نقص البداية^(٦)

ونسأل الله حسن الختام .

هذا ومن خلال ما مر بنا في هذا الفصل عن مجمل عقيدة الشيخ

السلفية تبين لنا أنها الإيمان بأركان الإيمان الستة وهذا هو الإيمان

الشرعي .

ونظرا لأهمية الإيمان بالله تعالى بأنه الله الذي لا إله إلا هو

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية رقم ١١، ص ٦٦، وص ٧١، والقسم

الثالث، الفتاوى، المسألة رقم ١٣، ص ٥٦ - ٥٧).

(٢) سورة الحجر آية : ٩٩ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٤٩، والحجر، ص ١٩٧، والزمزم،

ص ٣٢٢).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٤٩، والحجر، ص ١٩٧، والزمزم،

ص ٣٢٢).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٥٥).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٧٠).

وحده لا شريك له بشيء من التفصيل؛ لأن ذلك أصل الأصول فقد آن لنا أن ننتقل إلى التعرف على عقيدة الشيخ في توحيد الله من مقاميه مقام الخبر ومقام الطلب .

وإلى ذلك في الفصل التالي .

الفصل الثالث

عقيدة الشيخ في التوحيد

حيث إن الكلام - في التوحيد يكون من مقامين:

مقام الخبر، وهو الذي يترتب عليه توحيد المعرفة والإثبات؛ أي: التوحيد العلمي.

ومقام الطلب، وهو الذي يترتب عليه توحيد القصد والإرادة، أي: التوحيد العملي.

والعلم قبل العمل، وهو إمامه وقائده، ويقدر نفع العلم يكون صلاح

العمل، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١).

وقال الشيخ: "قال البخاري رحمه الله تعالى: باب العلم قبل القول

والعمل. واستدل بهذه الآية".

(١) سورة محمد آية : ١٩ .

ثم قال الشيخ: "فبدأ بالعلم قبل القول والعمل".^(١)

ولذا، فقد بدأنا هذا الفصل بالجانب الخبري العلمي من جانبي التوحيد، وهذا الجانب العلمي هو توحيد المعرفة والإثبات، وهو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات، والصدق والكذب؛ كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.^(٢)

توحيد المعرفة والإثبات :

يعتقد الشيخ في هذا الباب أن توحيد الله تعالى هو المبني على اعتقاد أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وهذا هو توحيد الربوبية، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له^(٣) وهذا هو توحيد الأسماء والصفات. وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات كلاهما من باب واحد، هو توحيد المعرفة والإثبات، وهو التوحيد العلمي الخبري، وهذا التوحيد هو الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه.^(٤) وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو، وهذا حق.^(٥)

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٥) وانظر: "صحيح

البخاري" (ج ١، ص ٢٥)، وانظر: (١/ ٢٨٤) من هذا البحث .

(٢) انظر أول "التدمرية" لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) "إبطال التنديد" للشيخ حمد بن عتيق (ص ٦).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٨، ص ١٢١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢١، ص ١٤٥).

وهو الذي أقر به الكفار، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١)

ولكنهم كفروا حيث لم يعبدوا الله وحده، كما هو مقتضى شهادتهم بالربوبية؛ كما قال تعالى:- ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (٢).

وتوحيد الربوبية ثابت مشهور، لا يحتاج إلى دليل، بل هو الدليل على توحيد الطلب؛ كما أنزل الله في محكم كتابه يحتج به على من كفر من خلقه، وتقدم ذكر قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ ﴾ (٣).

أما توحيد الأسماء والصفات، فيقول الشيخ: "وأما توحيد الصفات؛ فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، والكفار أعقل ممن أنكر الصفات (٤) ذلك أن الكفار

(١) سورة يونس آية : ٣١.

(٢) سورة الزمر آية : ٣.

(٣) سورة يونس آية : ٣١.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، رقم ٧، ص ٤٢).

يزعمون أن الله هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، فهم أثبتوا أن الله يتصف بأنه معبود، لكن نازعوا في توحيد العبادة، فقالوا: (أجعل الألهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)، ولم يرضوا أن يقولوا هذه الكلمة، لأنهم عرفوا أنها تعني توحيد العبادة، والمتكلمون أضلهم كلامهم عن معرفة الإله، فقالوا: إنه القادر على الاختراع، وإن الألوهية هي القدرة، فإذا أقررنا بذلك، فهي معنى قوله: لا إله إلا الله، ثم استحوذ عليهم الشيطان، فظنوا أن التوحيد لا يتأتى إلا بنفي الصفات، فنفوها، وسموا من أثبتها مجسما، ورد عليهم أهل السنة بأدلة كثيرة، منها أن التوحيد لا يتم إلا بإثبات الصفات، وأن معنى الإله هو المعبود، فإذا كان هو سبحانه متفردا به عن جميع المخلوقات، وكان هذا وصفا صحيحا لم يكذب الواصف به، فهذا يدل على الصفات، فيدل على العلم العظيم والقدرة العظيمة، وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات.^(١)

"فمن أنكر الصفات؛ فهو معطل، والمعطل شر من المشرك، ولهذا كان السلف يسمون التصانيف في إثبات الصفات كتب التوحيد، وختم البخاري "صحيحه" بذلك؛ قال: (كتاب التوحيد"، ثم ذكر الصفات بابا بابا، فنكتة المسألة أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات! فقال أهل السنة: لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات، وتوحيدكم هو التعطيل، ولهذا آل القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى.^(٢)

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٧٠).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٧٠).

"ومن المعلوم لدى المسلمين أن الله تعالى أعلم بنفسه من غيره، فإذا سمي نفسه ووصفها؛ فذلك هو الفيصل في المسألة، وكذلك رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ أعلم بالله الذي أرسله من غيره، فيصار إلى ما بينه من أسماء الله وصفاته، ولا يعدل عنه، هذا مع شهادة العقل الصريح لما ثبت بالنقل الصحيح عن الرسول ﷺ؛ فإن العقل الصريح هو الموافق لرسول الله ﷺ وهذا هو الميزان مع الكتاب^(١).

وبناء على ما قدمنا، فإن الشيخ يعتقد أن ما دل عليه القرآن الكريم من الأسماء الحسنى التي سمي الله بها نفسه في كتابه وتعرف بها إلى خلقه ما يلي: هو الله، الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباريء، المصور... إلى آخر ما ورد في القرآن منها.

وله الأسماء الحسنى، سبحانه وتعالى عما يشركون^(٢) وأن الله أمرنا بأن ندعوه بها، ونترك من عارض من الجاهلين الملحدين؛ كما قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٨).

(٢) انظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٢٠)، و"مؤلفات الشيخ" (ملحق

المصنفات، الخطب المنبرية، مطالع الخطب يستفتحها بالأسماء الحسنى، ويختتم بها).

(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٠.

والإلحاد فيها هو الإشراك، حيث سمو اللات من الإله، والعزى من العزيز، وأدخلوا فيها ما ليس منها؛ كما ورد عن ابن عباس وعن الأعمش^(١).

ومن بيان الله سبحانه وتعالى في كتابه أن وصف نفسه، فذكر من صفاته الألوهية والربوبية والملك في أول سورة في المصحف (الفاحة) كما ذكرها في آخر سورة في المصحف (قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس)؛ فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى، ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن، فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضوع، ويبدل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينها في أول القرآن ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفة الله بها، وأنه إلههم الذي لا إله إلا هو، وربهم الذي لا رب سواه، وأنه ملكهم المتصرف فيهم، وهم عبيده المدبر لهم كما يشاء، الذي له القدرة والسلطان، يخفض ويرفع، ويصل ويقطع، ويعطي ويمنع، لا شريك له، ولا لهم ملك من دونه يهبون إليه إذا دهمهم أمره، ولكن إليه المصير، فهو (ملك

(١) المرجع السابق (باب قول الله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى))، ص ١٢٤، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٣، ص ٢٢٢، ٢٢٣).

الناس)^(١).

وفي سورة الفاتحة معرفة الله على التمام، ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى، وفيها معرفة الإنسان ربه، ومعرفة نفسه، فإنه إذا كان هنا رب؛ فلا بد من مريب، وإذا كان هنا راحم، فلا بد من مرحوم، وإذا كان هنا مالك، فلا بد من مملوك، وإذا كان عبداً؛ فلا بد من معبود، وإذا كان هنا هاد؛ فلا بد من مهدي، وإذا كان هنا منعم، فلا بد من منعم عليه، وإذا كان هنا مغضوب عليه، فلا بد من غضب، وإذا كان هنا ضال؛ فلا بد من مضل، فهذه السورة تضمنت الألوهية والربوبية ونفي النقائص عن الله ﷻ^(٢).

وفي مقارنة يعقدها الشيخ بين أول سورتي اقرأ والمدثر؛ فيقول: "في أول اقرأ: معرفتك بنفسك وبربك، وأول المدثر: فيه العمل المختص والمتعدي. وفي أول اقرأ: الربوبية العامة، وأول المدثر: الربوبية الخاصة. وفي أول اقرأ: فضل الله عليك، وأول المدثر: حقه عليك. في أول اقرأ: ذكر بدء الخلق، وأول المدثر: ذكر الحكمة فيه. وفي أول اقرأ: فيه أصل الأسماء والصفات، وهي العلم والقدرة، وأول المدثر فيه أصل الأمر والنهي، وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك"^(٣).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١١ - ١٥، ص ٣٨٧، مختصر الزاد، ص ٣٠٦، وملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٥٨ - ٦٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثامنة، ص ٣٨٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، مقارنة ص ٣٦٦، ٣٦٧).

وفي سورة هود ذكر الله في صدرها من العلوم علم معرفة الله بأنه حكيم خبير وأنه قدير، ثم ذكر الله شيئاً من تفصيل العلم بأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون، وأنه عليهم بذات الصدور، وإن ثنوا صدورهم ليستخفوا منه واستغشوا ثيابهم.

وذكر شيئاً من تفصيل القدرة في قوله: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا آَلَى اللَّهِ رِزْقَهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١) .
ومن معرفة الله ذكر خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكون عرشه على الماء.

ومن بيان حكمته سبحانه قوله: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٢) .

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث عن أنس رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ
﴿ لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح ﴾ (٣) .

(١) سورة هود آية : ٦ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١١٥ - ١١٦) .

(٣) صحيح مسلم : كتاب التوبة (٢٧٤٧) .

أخرجاه (يعني: البخاري ومسلم).

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي، لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَ بِي، لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتَ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾^(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وغير ذلك من نصوص صفات الله تبارك وتعالى التي وردت في السنة الطاهرة، وأورد الشيخ كثيرا منها في مؤلفه "أصول الإيمان"، ولم يضمنها بتفسير ولا استنتاج، بل أورد النصوص معزوة إلى مصادرها، وبوب واختار وقسم، واكتفى بذلك؛ لوضوحها، فيمرها كما جاءت على ظاهرها، من غير تحريف ولا تكليف، ومن غير تعطيل ولا تمثيل^(٢).

ويرى الشيخ أنه لا بد في معرفة الله وأسمائه وصفاته من الإثبات والنفي معا؛ كما جاء في القرآن وعن سيد المرسلين صلوات الله عليهم وعن المرسلين

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق (٦٥٠٢).

(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٢ - ٢٤٢، والقسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٤)، و " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٧ - ٢٠٨، و ص ١٨٥ - ١٨٦)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٠، ص ١٣٠ - ١٣٥).

قبله عليهم الصلاة والسلام، وهذا شأن أهل السنة والجماعة، يثبتون ما أثبتته الرسل، وينفون ما نفتته الرسل، فلا يتبعون الهوى والظن، ولا يعرضون عما جاءت به الرسل، بل يأخذون به، ويعملون به، ويهدون، ويعدلون.^(١) ويرى الشيخ أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته، وأنه يستدل بها على لازمها، وهو عبادته، كما قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

ففي هذه الآية أمر بتقوى الله، وهي المسألة المطلوبة والقضية المستدعاة، ثم استدل على هذه القضية بأن الله سميع عليم، فهذا دليل من أسماء الله يقتضي تقواه.

وكما قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وكذا الاستدلال بالأسماء والصفات على الأفعال، وتعليل الأفعال بها، كقوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأنعام، ص ١٠٦، الأعراف، ص ٧٧-٧٨، والنحل، ص ٢٠٩، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٩٣، ص ٨٢، والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ٣٣٩).

(٢) سورة الحجرات آية : ١.

(٣) سورة المائدة آية : ٨.

(٤) سورة الزمر آية : ٥٣.

وفي قوله: ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾^(١).

والاستدلال بالقدرة على ما يستشكل وما لا يظن وقوعه أيضا، وتنزيه الله عن مضاد الحكمة في جميع أفعاله، كما قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^{(٢)(٣)(٤)}.

وإذا نظرنا إلى مطالع خطب الشيخ يتضح استدلاله بالأسماء الحسنى والصفات العلية والأفعال الحكيمة لله تبارك وتعالى على ما تدل عليه من المعاني الشريفة الكثيرة^(٥).

مثل قوله الحمد لله الكريم الذي أسبغ نعمه علينا باطنه وظاهرة الرحيم الذي لم تزل لطفه على عباده متواليه متظاهرة العزيز الذي خضعت لعزته رقاب الجبابرة والقوي المتين الذي أباد من كذب رسله من الأمم الطاغية الكافرة^(٦).

(١) سورة البقرة آية : ١٠٩ .

(٢) سورة الحجر آية : ٨٥ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥٠، والبقرة، ص ٢٧، والزمزم، ص ٣١٩، ٣٣٦، والحجر، ص ١٩٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥٠، والبقرة، ص ٢٧، والزمزم، ص ٣١٩، ٣٣٦، والحجر، ص ١٩٥).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ١٥).

وقوله: "الحمد لله اللطيف الذي بلطفه تنكشف الشدائد الرؤوف الذي برأفته تتواصل النعم والفوائد وبحسن الظن به تجري الظنون على أحسن العوائد وبالتوكل عليه يندفع كيد كل كائد".

وقوله الحمد لله الكريم المنان العزيز ذي السلطان خلق الإنسان من تراب ثم قال له كن فكان يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويصل ويقطع ويشتت ويجمع كل يوم هوفي شان يجيب المضطر إذا دعاه ويغفر للمسيء إذا تاب مما آتاه ويجبر المنكسر إذا لاذ بحماه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فينادي هل من سائل فيعطى سؤله هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له ما جناه .
وهكذا .

وليس استدلاله هذا مقصورا على خطبه بل هو يستدل بأسماء الله وصفاته وأفعاله وأحكامه في عقيدته السلفية وعلومه النافعة وأعماله الإصلاحية كلها .

يقول الشيخ حمد بن ناصر بن معمر في جوابه لما سئل عن عقيدة الشيخ إن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه فلا يقال هي ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يعرف المراد منها فيكون ذلك

مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى بل هي آيات بينات دالة على أشرف المعاني وأجلها قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك فكان الباب عندهم بابا واحدا قد اطمأنت به قلوبهم وسكنت إليه نفوسهم^(١).

فهو يثبت لله تعالى الأسماء الحسنى وصفات الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه مشارك وينزهه عن النقص والعيب والسوء والمسبة وينفي أن يكون له شبيه أو مثل أو نظير وينفي خصائصه عما سواه كما ينفي عنه ما لا يجوز عليه ولا يلحد في صفات الله ولا في أسمائه بل يثبت ما أثبت الله لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ وينفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ كما ورد في القرآن والسنة ويرى أن الاختصار على الوحي هو البصيرة في الاعتقاد والعمل والندارة^(٢).

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٨).

(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ٨، ورقم ٢٠، ص ١٣٠-١٣٥، ورقم ٣٣، ص ٢٢٢-٢٢٣، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد، ص ١٤، وباب قول الله تعالى: (حتى إذا فرغ عن قلوبهم)، ص ٥٠، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٠، وباب قول الله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى)، ص ١٢٤، وباب لا يستشفع بالله على خلقه، ص ١٤٥، ورسالة رقم ١، مسائل الجاهلية، ص ٣٣٩، ٣٤٣، ورسالة رقم ٨، ص ٣٨٤، والقسم الرابع، التفسير، الأنعام، ص ٥٦-٥٧، الأعراف، ص ٧٧، ٨٨، الحجر، ص ١٩٥، والنحل، ص ٢٠٩، والقصاص، ص ٢٩١، والزمر، ص ٣١٨، والحجرات، ص ٣٥٤، ومختصر زاد المعاد، ص ٣٥-٣٦،

ويرى أن كل ما ورد في القرآن والسنة من الأسماء والصفات كله حق وفي غاية الحسن والكمال وأن إثبات ذلك كله توحيد وإيمان وأن جحد شيء منه هلاك كما ورد عن ابن عباس وعدم للإيمان .

وأن احترام أسماء الله وصفاته وتغيير الاسم لأجل ذلك كما ورد عن أبي شريح وترك التحديث بما لا يفهم السامع حتى لا يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ﷺ كل ذلك من تحقيق التوحيد .

أما الاستهزاء بشيء منها فهو كفر ونفاق كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

وكما ورد عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة؛ أن سبب نزولها مقولة رجل في غزوة تبوك. (٢)
وأما الألفاظ التي لم يرد إثباتها ولا نفيها في الكتاب والسنة؛

وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٩٣، ص ٨٢؛ ورقم ١٠٢ - ١٠٣، ص ٩٥ -

٩٦، ورقم ١٠٩، ص ١٠٤ ورقم ١١٦ ص ١١٩ - ١٢١).

(١) سورة التوبة آية : ٦٥ .

(٢) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب من جحد شيئاً من

الأسماء والصفات، ص ١٠٦ - ١٠٧، وباب التسمي بقاضي القضاة ونحوه، ص ١١٥،

وباب احترام أسماء الله، ص ١١٦، وباب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

ﷺ، ص ١١٧ - ١١٨، والقسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥٤، و "الدرر السننية"

(الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٨٥ - ١٨٦، وص ٢٠٧ - ٢٠٨، وج ١، ص ١٢٦).

كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة... ونحو ذلك؛ فهذه الألفاظ يرى الشيخ أنه لا يطلق إثباتها ولا نفيها، وينقل الشيخ عن ابن تيمية قوله: ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد، فذكر توحيد المسلمين؛ قال: وأما توحيد أهل الباطل؛ فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضوع، والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره لما ذكر لهم أهل البدع الألفاظ المجملة؛ كلفظ الجسم والجوهر والحيز؛ لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي؛ فالصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت عما سكت الله وسكت رسوله ﷺ عنه؛ من أثبت بدعوه ومن نفى بدعوه.

وينقل الشيخ كلام أبي الوفاء بن عقيل؛ قال: أنا أقطع أن أبا بكر وعمر مات ما عرفا الجوهر والعرض، فإن رأيت أن طريقة أبي علي الجبائي وأبي هاشم خير لك من طريقة أبي بكر وعمر؛ فبئس ما رأيت^(١)

ويعتقد الشيخ رحمه الله تعالى في باب توحيد المعرفة والإثبات بأن الله: هو الإله، الذي لا إله إلا هو، رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين، رب الناس، ملك الناس، إله الناس، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد؛ كما في سورة الإخلاص؛ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

﴿١﴾ وهو معبود الرسول محمد ﷺ^(٢)

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٠، ص ١٣١، ١٣٢).

(٢) سورة الإخلاص آية : ١.

ومن تبعه، وليس معبود الكافرين المخالفين؛ كما في سورة ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا
الْكَافِرُونَ ﴾^(١) .

ف (الله): علم على ربنا تبارك وتعالى، والإله المعبود بحق؛ كما في قوله
تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾^(٢) .

أي: المعبود في السماوات والمعبود في الأرض؛ مثل قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي
فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ ﴾^(٣) والإلهية هي الجامعة لصفات الكمال
كلها.

و(الرب): هو المعبود، الخالق، الرازق، المالك، المدبر للأمر، والمتصرف
فيه، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.

و(العالمين): اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى، فكل ما سوى الله
من ملك ونبي وإنسي وجني وغير ذلك مربوب، مقهور يتصرف فيه، فقير
محتاج إليه.

(الرحمن الرحيم): اسمان لله تعالى، مشتقان من الرحمة، أحدهما أبلغ من
الآخر؛ مثل العلام والعليم؛ قال ابن عباس: "هما اسمان رقيقان أحدهما أرق
من الآخر؛ أي: أكثر من الآخر رحمة".

و(مالك يوم الدين)، وفي قراءة أخرى: (ملك يوم الدين):

(١) سورة الكافرون آية : ١ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٣ .

(٣) سورة الزخرف آية : ٨٤ .

خصص الملك بذلك اليوم، مع أنه سبحانه مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره؛ لأن ذلك اليوم هو يوم الجزاء والحساب والدينونة، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله؛ فالتخصيص لهذه المسألة الكبيرة؛ ففي الدنيا عمل بالتوحيد أو عمل بضده، وفي الآخرة لا عمل، ولكن جزاء، كل يجازيه مالك يوم الدين بعمله، ويدينه به، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر^(١).

(رب الناس)؛ أي: الذي خلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم برؤييته.

(ملك الناس)؛ أي: الذي قهرهم وأمرهم ونهاهم وصرّفهم كما يشاء بملكوته. (إله الناس)؛ أي: الذي استعبدهم بالإلهية الجامعة لصفات الكمال كلها^(٢) و(الأحد)؛ الذي لا نظير له؛ فقوله: (أحد): نفي النظير والأمثال. و(الصمد)؛ الذي تصمد الخلائق كلها إليه في جميع

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثاني، الفقه، المجلد الثاني، ص ٧-٨، والقسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ١١-١٥، والناس، ص ٣٨٧-٣٨٨، والقسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٦، ١٨٧، ٣٧٠، ومعنى الطاغوت، ص ٣٧٦، والقسم الثالث، الفتاوى، المسألة رقم ١٣، ص ٥٦، وملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٦٠، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٧، ص ٤٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الناس، ص ٣٨٧ - ٣٨٨).

الحاجات، وهو الكامل في السؤدد؛ فقلوه: (الصمد)؛ فيه إثبات صفات الكمال.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(١) نفي الصاحبة والعيال. وفي قوله:

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢) نفي الشركاء لذي الجلال^(٣).

ومعنى أنه معبود الرسول ﷺ وليس معبود المشركين؛ كما قال تعالى: ﴿

قُلْ يَتَّبِعُوا آلَ الْكُفْرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ

﴿٣﴾﴾^(٤).

فنفي عنهم عبادة معبوده؛ لأنهم إذا أشركوا؛ لم يكونوا عابدين معبوده، وأيضا لو عينوا الله بما ليس هو، وقصدوا عبادة الله؛ معتقدين أنه هو؛ كأصحاب العجل، والذين عبدوا عيسى والدجال، والذين يعبدون أهواءهم، ومن عبد من هذه الأمة غير الله؛ فهم عند أنفسهم إنما يعبدون الله، لكن هذا المعبود ليس هو الله، وإن قصد العابد الله، وأيضا إذا وصفوه بما هو بريء منه؛ كالصاحبة والولد، وعبدوه كذلك؛ فهو بريء من هذا المعبود؛ فإنه ليس هو الله، وتنصرف عبادتهم إلى غير الله كما ينصرف سب قريش عن الرسول ﷺ:

(١) سورة الإخلاص آية : ٣.

(٢) سورة الإخلاص آية : ٤.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الإخلاص، ص ٣٨٣، ومختصر زاد المعاد، ص

٣٥ - ٣٦).

(٤) سورة الكافرون آية : ١.

﴿ ألا ترون كيف يصرف الله عني سب قريش؛ يسبون مذمما؟ ﴾^(١) ورسول الله ليس مذمما، ولكن هو محمد ﷺ كذلك عبادة أمثالهم واقعة على موصوفهم أيضا، ومن لم يؤمن بما وصف به الرسول ﷺ ربه؛ فهو في الحقيقة لم يعبد ما عبده الرسول، وقس على هذا^(٢).

ويثبت الشيخ أن الله تعالى سميع بصير؛ يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، وقد أحاط سمعه بجميع المسموعات، ويرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وقد أحاط بصره بجميع المبصرات^(٣).

ويثبت الشيخ أن الله تعالى الوصف بأنه عالم الغيب والشهادة^(٤) له غيب السماوات والأرض^(٥) قد تفرد بعلم الغيب^(٦) وسع علمه كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء^(٧) أحاط علمه

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب (٣٥٣٣) ، وسنن النسائي : كتاب الطلاق (٣٤٣٨) ، ومسند أحمد (٣٤٠/٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة عن ابن تيمية، مسألة رقم ٨٢، ص ٥٧).

(٣) "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٢)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٧٢).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات)، الخطب المنبرية، ص ٢١-٢٢.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٤٨).

(٦) المصدر السابق (النحل، ص ٢٢٠).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٥٣، ٥٤، والقسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٥، والكهف، ص ٢٥٢، والبقرة، ص ٢٢).

بالجزئيات والكليات^(١) وبالسر والجمهور^(٢) وبالحد والمحدود^(٣) يعلم خفيات السرائر^(٤) ويحصى خطرات الفكر^(٥) لا ينسى ولا يضل^(٦) وهو معلم كل علم وواهبه^(٧) فتح على عباده من حقائق المعارف ولطائف العلوم ما هداهم به إلى صراطه المستقيم^(٨) وهو الأعلم سبحانه على الإطلاق^(٩) ؛ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولم يابس ولا متحرك ولا ساكن إلا وهو يعلمه على

-
- (١) المصدر السابق (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٧٠)، و"الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٣).
- (٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، النحل، ص ٢٠٤).
- (٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٦٣-٦٤).
- (٤) المرجع السابق (ص ٦٤-٦٦).
- (٥) المرجع السابق (ص ٣٠-٣٢).
- (٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، قصة موسى وفرعون، ص ٢٩٩).
- (٧) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٣٥، ص ١٩٦-١٩٧، ورقم ١٣٣، ص ١٨٣-١٨٤).
- (٨) المصدر السابق (الخطب المنبرية، ص ٢٥-٢٧، ومسائل ملخصة رقم ٧٩، ص ٥٥، والقسم الأول، التوحيد، ص ٥٥، والقسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٧).
- (٩) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ١٥١، ١٨١، ١٩٦، ٣٢٩، ٣٥٢، ٣٦٩، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩٢).

حقيقته؛ يعلم السر وأخفى، إنه حكيم عليم^(١).

والشيخ يعتقد أن العلم والقدرة هما أصل الأسماء والصفات لله تعالى^(٢) ويثبت الشيخ لله تعالى القدرة التامة^(٣) المطلقة العظيمة على كل شيء، فلا يستبعد الإنسان معها شيئاً.^(٤)

ويقول الشيخ: "إن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥) فيه

إعلام بعموم قدرته سبحانه مع عدله"^(٦).

وفي "كتاب التوحيد" للشيخ باب ما جاء في المصورين أورد الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلوات الله عليه ﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يُخْلِقُ كَخَلْقِي؛ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة ﴾^(٧) أخرجاه (يعني: البخاري ومسلم).

قال الشيخ: "فيه التنبيه على قدرته وعجزهم؛ لقوله: ﴿ فليخلقوا

(١) "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٢)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير الحجر، ص ١٨٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٦٦-٣٦٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٥، والفاحة، ص ١٨، والأنعام، ص ٥٨).

(٤) المصدر السابق (النحل، ص ٢٢٠، والقصص، ص ٢٨٢).

(٥) سورة البقرة آية : ٢٠.

(٦) المصدر السابق (مختصر زاد المعاد، ص ٢٤٣-٢٤٤).

(٧) صحيح البخاري : كتاب التوحيد (٧٥٥٩).

ذرة أو حبة أو شعيرة ﴿ (١) (٢) .

ويعتقد أن الله سبحانه هو القادر على تنفيذ ما قدره وأراده^(٣) وأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تديره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور^(٤) وأن أول ما خلق الله القلم، وأنه جرى بالمقادير في تلك الساعة بما هو كائن إلى قيام الساعة^(٥).

قال الشيخ: "وفي ذلك دليل على كمال علم الرب^(٦) وقدرته وحكمته وزيادة تعريفه الملائكة وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه".

وقال الشيخ: "قال ابن القيم: فاتفتت هذه الأحاديث ونظائرها

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد (٧٥٥٩) ، وصحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة (٢١١١) ، ومسنند أحمد (٢/٢٣٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٣٨-١٣٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٢١-٢٢).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب ما جاء في منكري القدر، ص

١٣٥-١٣٦، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٣، وأصول الإيمان، باب

الإيمان بالقدر، ص ٢٤٧، والقسم الرابع، التفسير، البقرة، ص ٢٢، والأعراف، ص ٧٣،

٧٨، وص ٨٤-٨٥، والزمر، ص ٣٢٥، وص ٣٢٧، والحجر، ص ١٨٥).

(٦) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، المسألة السادسة عشر، ص ٧٥).

على أن القدر السابق^(١) لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجِد والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك؛ قال ما كنت بأشد اجتهادا مني الآن، وقال أبو عثمان النهدي لسلمان: لأنا بأول الأمر أشد فرحاً مني بآخره، وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة وهياًه ويسره للوصول إليها؛ كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بها^(٢).

ولا يجوز أن يظن بقدر الله ما لا يليق بالله ولا يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق وعدله الكامل، فمن أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، وزعم أن ذلك لمشيئة مجردة، وأنه يضع الأشياء في غير مواضعها، ويصيب بأقداره من لا يستحقها وليس لها بأهل؛ فذلك ظن الذين كفروا.

قال الشيخ: "وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده، وعرف نفسه؛ فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت؛ لرأيت عنده تعنتا على القدر، وملازمة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٢٩، ص ٢٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٦-٢٤٧).

سالم؟ فإن تنح منها؛ تنج من ذي عزيمة، وإلا فإني لا أخالك ناجيا"^(١).
ولذا؛ لا يجوز أن يعترض ب(لو) على قدر الله؛ كما فعل الذين قال الله
عنهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾^(٣).

ولأن رسول الله ﷺ نهي عن ذلك نهيا صريحا؛ كما في الحديث الذي
رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿احرص
على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء؛ فلا تقل:
لو أني فعلت؛ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن
(لو) تفتح عمل الشيطان﴾^{(٤)(٥)}.

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يظنون بالله غير

الحق)، ص ١٣٣-١٣٤، وملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ١٠٥، ٦٠، ٦١).

(٢) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٦٨.

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٧٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في اللو، ص

١٣٠، وأصول الإيمان، باب الإيمان بالقدر، ص ٢٤٧)، وانظر: "صحيح مسلم" (القدر،

ج ٤ / ٢٠٥٢).

قال الشيخ: في "كتاب التوحيد" وكتاب "مختصر زاد المعاد": "فيه النهي الصريح عن قولة (لو) إذا أصابك شيء؛ لأن ذلك يفتح عمل الشيطان، وأرشده إلى ما هو أنفع منها، وهو أن يقول: "قدر الله وما شاء فعل"، وذلك لأن قوله: لو فعلت كذا؛ لم يفتني ما فاتني، أو لم أقع فيما وقعت فيه؛ كلام لا يجدي عليه فائدة؛ فإنه غير مستقبل لما استدبر، وغير مستقبل عشرته ب(لو)، وفي ضمنها أن الأمر لو كان كما قدره في نفسه؛ لكان غير ما قضاه الله، ووقوع خلاف المقدر محال؛ فقد تضمن كلامه كذبا وجهلا ومحالا، وإن سلم من التكذيب بالقدر؛ لم يسلم من معارضته ب(لو)، فإن قيل: فتلك الأسباب التي تمنّاها من القدر أيضا. قيل: هذا حق، ولكن هذا ينفع قبل وقوع القدر المكروه، فإذا وقع؛ فلا سبيل إلى دفعه أو تخفيفه، بل وظيفته في هذه الحال أن يستقبل الفعل الذي يدفع به أو يخفف، ولا يتمنى ما لا مطمع في وقوعه؛ فإنه عجز محض، والله يلوم على العجز، ويجب الكيس، وهو مباشرة الأسباب؛ فهي تفتح عمل الخير، وأما العجز؛ فيفتح عمل الشيطان؛ فإنه إذا عجز عما ينفعه؛ صار إلى الأمانى الباطلة، ولهذا استعاذ النبي ﷺ من العجز والكسل، وهما مفتاح كل شر، ويصدر عنهما الهم والحزن، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال، فمصدرها كلها عن العجز والكسل، وعنوانها (لو)؛ فإن المتمني من أعجز الناس وأفلسهم، وأصل المعاني كلها العجز؛ فإن العبد يعجز عن أسباب الطاعات، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي، وتحول بينه وبينها، فجمع في هذا الحديث

الشريف أصول الشر وفروعه، ومبادئه وغاياته، وموارده ومصادره، وهو مشتمل على ثمان خصال، كل خصلتين قرينتان، فقال: "أعوذ بك من الهم والحزن"، وهما قرينان؛ فإن المكروه الوارد على القلب إما أن يكون سببه أمرًا ماضيًا؛ فهو يحدث الحزن، وإما توقع مستقبل؛ فهو يورث الهم، وكلاهما من العجز؛ فإن ما مضى لا يدفع بالحزن، بل بالرضى والحمد، والصبر والإيمان بالقدر، وقول العبد: "قدر الله وما شاء فعل"، وما يستقبل لا يدفع بالهم، بل إما أن يكون له حيلة في دفعه؛ فلا يعجز عنه، وإما أن لا يكون له حيلة، فلا يجزع منه، ويلبس له لباسه من التوحيد والتوكل والرضى بالله ربا فيما يجب ويكره، والهم والحزن يضعفان العزم، ويوهنان القلب، ويجولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه، فهما حمل ثقيل على ظهر السائر. انتهى بتصرف قليل" (١).

ويعتقد أنه ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله، ومن يؤمن بالله يهد قلبه، والله بكل شيء عليم.

ويقول: "قال علقمة بن قيس النخعي في معنى ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (٢) هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم" (٣).

وهذا الأثر قال عنه مؤلف "تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في اللو، ص ١٣٠-١٣١، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢٤-١٢٥).

(٢) سورة التغابن آية : ١١.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٩٦).

التوحيد" للشيخ: "رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علقمة وهو صحيح" (١)

ويعتقد أن رسول الله ﷺ - كما في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة - قال: ﴿ اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت ﴾ (٢).

وللبخاري ومسلم عن ابن مسعود مرفوعاً: ﴿ ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية ﴾ (٣) (٤).

ويعتقد أن الله تعالى إذا أراد بعبده الخير؛ عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر؛ أمسك عنه بذنبه، حتى يوافي به يوم القيامة، وأن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وأن الله إذا أحب قوماً؛ ابتلاهم، فمن رضي؛ فله الرضى، ومن سخط؛ فله السخط (٥).

ويفرق الشيخ بين إرادة الله القدرية وإرادته الشرعية والجعل القدري والجعل الشرعي، فيقول: قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٦) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (٦).

(١) "تيسير العزيز الحميد" (ص ٤٥٣).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٦٧)، ومسند أحمد (٤٩٦/٢).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنائز (١٢٩٧، ١٢٩٨) وكتاب المناقب (٣٥١٩)، وسنن

النسائي: كتاب الجنائز (١٨٦٢، ١٨٦٤)، ومسند أحمد (٣٨٦/١، ٤٤٢/١).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٩٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٩٦-٩٧)، وانظر: "تيسير

العزيز الحميد" (ص ٤٥٧-٤٦٠).

(٦) سورة القصص آية: ٥.

هذه الإرادة القدرية.

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾^(١) هذا الجعل القدري

أيضا.

أما الإرادة الشرعية؛ فهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرِّجْسَ ﴾^(٢) وأمثالها؛ وقوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ نَجْدٍ ﴾^(٣) وأمثالها؛

فهذا الجعل الشرعي.^(٤)

ويعتقد أن الاحتجاج بالقدر على إبطال الشرع وارتكاب المعاصي هو

من هدي الكفار؛ قال تعالى:

(١) سورة القصص آية : ٤١ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٣) سورة المائدة آية : ١٠٣ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، القصص، ص ٢٨٢، وص ٢٩٤).

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ (١) (٢) .

وهو من طريقة إبليس والعياذ بالله، حيث قال محتجا على ربه: ﴿

فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٣) .

وليس له في ذلك حجة ولا لأتباعه، وإنما الحق هو قول آدم: ﴿ رَبَّنَا

ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ (٤) (٥) .

قال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا

وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ

هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

تَخْرُصُونَ ﴾ (٦) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٦) .

قال ابن كثير: "قال الضحاك: لا حجة لأحد عصى الله، ولكن

(١) سورة النحل آية : ٣٥ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، النحل، ص ٢٠٨) .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٦ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٢٣ .

(٥) المصدر السابق (الأعراف، ص ٧٣ و ص ٨٥)، وانظر: "مؤلفات الشيخ" (ملحق

المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٥٠، ص ٣٤-٣٥) .

(٦) سورة الأنعام آية : ١٤٨ .

لله الحجة البالغة على عباده" (١) .

وهؤلاء في هذه الآية يزعمون أن الله لما لم يحل -وهو القادر- بينهم وبين الكفر والشرك؛ دل على أن هذا الكفر والشرك بإرادته الشرعية ورضاه، وهي حجة داحضة باطلة.

ومما استنبطه الشيخ من قصة آدم وإبليس في هذا المعنى قوله: "إنها تفيد المعنى العظيم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (٢) وما في معناه من النصوص، وذلك مستفاد من صنع اللعين؛ فإنه مع علمه بجزوت الله وأليم عذابه، وأنه لا محيص له عنه، ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم، ومع ذلك؛ لم يتب، ولم يرجع، بل أصر وعاند، وطلب النظرة لأجل المعصية، مع علمه بعقابه وعدم مصلحته من فعله، وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته، وتقليبه القلوب كيف يشاء، وتيسيره كل عبد لما خلق له؛ فيفعله باختياره (٣).

والله لا يرضى كفرهم وشركهم، وإن كان سبحانه قادر على الحيلولة بينهم وبينه، وقادر على هدايتهم أجمعين، فليس لهم في قدرته سبحانه حجة، وإنما الحجة البالغة له على من عصى بسبب عصيانه، ومخالفته ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهُ شَرْعًا، وقد عصى وخالف بهواه ورضاه وعلمه بأن عاقبة عصيانه العذاب الأليم؛ كما أن عاقبة الطاعة المغفرة والرحمة والرضى.

(١) "تفسير ابن كثير" (طبعة الاستقامة ١٣٧٣هـ، ج ٢، ص ١٨٦-١٨٧).

(٢) سورة الأنفال آية : ٢٤ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩٦).

ومع أنه سبحانه غني عن طاعة المطيع؛ فهو يرضاها لعبده، ويسخط عليه معصيته، وهي لا تضر إلا العاصي^(١).

والله غني بذاته؛ لا تزيده طاعة المطيع، ولا ينقصه العطاء على سعة جوده، ولا تضره المعاصي، يطعم ولا يطعم، ولا تأخذه سنة ولا نوم، وهو القدوس السلام، المبرأ عن كل عيب وآفة ونقص^(٢).

وهو العدل الحكيم، لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين، ولا يحب المسرفين، ولا يحب كل مختال فخور، ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون، وهو لا يظلم، ولا يريد الظلم، بل يتنزه عن أن يظلم عبده، أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب أخذه؛ لأنه منزّه عن الفقر والحاجة والجهل والخساسة؛ لكونه الغني القوي الحكيم، ويستجيب دعوة المظلوم، وليس بينه وبينها حجاب^(٣).

ومعنى مكر الله بالعبد هو أن العبد إذا عصاه وأغضبه؛ أنعم عليه

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٠)، وانظر: (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٥، ص ٣٤-٣٩، والقسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٦٥، ١١٨، ١٤٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٥٠، والزمر، ص ٣٢٥)، و"تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤١-٤٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٧٩، ويوسف، ص ١٥٤، وقصة موسى وفرعون، ص ٣٠٩، والكهف، ص ٢٥٠، وآل عمران، ص ٥١، والقسم الأول، التوحيد، ص ٢٠، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، ص ٣٤).

بأشياء يظن أنها من رضاه عليه^(١) وهذا عدل يحمل عباده على سعة النظر ومراقبة العواقب في إعطاء الله النعم من الدنيا؛ كالمال، والولد، والبيت الرفيع، وعدم الاغترار بالرتبة، وغزارة العلم، وصلاح العمل، والكرامات، وإجابة الدعوات؛ فلا يأمن العارف مكر الله إن هو اغتر بذلك؛ كما فعل أبو لهب، والذي آتاه الله آياته فانسلخ منها^(٢).

وأنه سبحانه لا يعجل لعجلة أحد، حتى ولو كان رسولا؛ فكيف يستعجله من يزعم أنه متبع، وهو سبحانه يمهّل ولا يهمل، ولا يضيع أجر المحسنين^(٣) وهو سبحانه جميل يحب الجمال، وطيب يحب الطيب، ولا يقبل من العمل إلا الطيب^(٤).

والله رحيم، لا يقنط من رحمته إلا القوم الخاسرون، ومن ذلك رحمته سبحانه بعبده فيما حجره عليه، وجعله العقوبات من رحمته بعباده، وقد يغفر للرجل بسبب يهيئه له، وهو من أكره الأمور إليه، ذلك أن طبع الإنسان الطغيان إذا استغنى، ولا يخرج عن طبعه إلا بفضل

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، مسألة رقم ١٢، ص ٥٢-٥٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، تبت، ٣٨٢، والأعراف، ص ٨٦، ١١١، ١١٢).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٨٠، والبقرة، ص ٢٧، ٣٠، ويوسف، ص ١٥٧-١٥٨).

(٤) المرجع السابق (مختصر زاد المعاد، ص ١٠، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، ص ١٢١، ١٦٠، ١٦٣).

الله ورحمته^(١)؛ فإنه هو الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم^(٢) وحبب الإيمان إلى المؤمنين، وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان^(٣) ووعد الذين اتقوا بهم بأن لهم غرفا، من فوقها غرف مبنية، تجري من تحتها الأنهار، وعد الله، لا يخلف الله الميعاد؛ فهذا وعد لا نظير له في القرآن^(٤).

وهو الغفور الرحيم^(٥) رءوف بالعباد^(٦) إنما يدخلون الجنة برحمته^(٧) لطيف بهم^(٨) رقيق يحب الرفق^(٩) بلطفه تنكشف الشدائد، وبرأفته تتواصل النعم والفوائد، وبحسن الظن به، تجري الظنون على أحسن العوائد^(١٠).
ويثبت لله الحكمة التامة؛ فهو الحكيم، وجميع أفعاله وثوابه

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٧٥، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١١٨، ص ١٢٤، والتفسير، العلق، ص ٣٧١، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٩٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٦٩).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥٣).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٥).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٣٦).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجرات، ص ٣٥١).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٢ - ٣٤٣).

(٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، آل عمران، ص ٤٩).

(٩) "مؤلفات الشيخ" (قصة موسى وفرعون، ص ٢٩٧).

(١٠) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٤٦ - ٤٧).

وعقابه على قانون العدل والإحسان^(١)؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٢)^(٣) وقال تعالى: ﴿كَتَبَ
أُحْكَمَتَّ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٤).

ومعنى أنه سبحانه حكيم؛ أي: لا يضع الأشياء إلا في مواضعها؛ فمن
ذلك؛ أنه ما جعل إبراهيم إماماً إلا بعد ما أتم ما ابتلاه به.

قال الشيخ: "وسئل بعضهم أيما [أفضل] الابتلاء أو التمكين؟ فقال:
الابتلاء ثم التمكين، وإذا كان يتلى الأنبياء هل يفعلونه أو لا؛ فكيف
بغيرهم؟!"^(٥).

وكان في تحويل القبلة حكم عظيمة ومحنة للمسلمين والمشركين واليهود
والمنافقين: فأما المسلمون؛ فقالوا: (آمنا به كل من عند ربنا)، وهم الذين
هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم. وأما المشركون؛ فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا
يوشك أن يرجع إلى ديننا. وأما

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٥١، ص ٣٥، وص ٣٧ -
٣٨).

(٢) سورة ص آية : ٢٧.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، مسائل الجاهلية، ص ٣٤٤).

(٤) سورة هود آية : ١.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، البقرة، ص ٣٠، والأعراف، ص ١١٢)، وانظر:
"مختصر زاد المعاد" (ص ٢٩٧).

اليهود؛ فقالوا: خالف قبلة الأنبياء. وأما المنافقون؛ فقالوا: ما يدري أين يتوجه؟ إن كانت الأولى حقا؛ فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق؛ فقد كان على الباطل، وكثرت أقاويل السفهاء من الناس.

ولما كان شأن القبلة عظيما؛ وطأ قبلها سبحانه بأمر النسخ، وقدرته عليه، وأنه يأتي بخير من المنسوخ أو مثله، ثم عقبه بالتوبيخ لمن تعنت على الرسول ﷺ ولم ينقد له، ثم أخبر أن له المشرق والمغرب، وهو الواسع العليم؛ فلعظمته وسعته وإحاطته فأينما ولى عباده وجوههم، فثم وجه الله، وغير ذلك من الموطئات.

وبين سبحانه أن تحويل القبلة إلى البيت الذي بناه إمام الناس؛ فكذلك البيت إمام لهم، وهو أفضل القبل، وهم أفضل الأمم، كما اختار لهم أفضل الرسل، وأفضل الكتب، وخصهم بأفضل الشرائع، والله ذو الفضل العظيم، وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة، وليتم نعمته عليهم، وليهديهم، وليرى من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه^(١).

ومن حكمته سبحانه في تزيين ما على الأرض ليلو عباده أيهم أحسن عملا^(٢) والمبتلي هو أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، لم يبتل عبده ليهلكه، بل ليمتحن إيمانه، وليسمع تضرعه، وليراه طريقا

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٩٣ - ١٩٥) باختصار.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٤١، والأنعام، ص ٥٥، ٥٨).

ببابه، وليمنع الأدواء المهلكة؛ كالكبر، والعجب، والقسوة^(١).
ومن حكمة العزيز الحكيم في تسليطه الهم والحزن على القلوب المعرضة
عنه؛ ليردها عن كثير من معاصيها، ولا تزال هذه القلوب في هذا السجن،
حتى تخلص إلى فضاء التوحيد، والإقبال على الله، ولا سبيل إلى خلاص
القلب إلا بذلك، ولا بلاغ إلا بالله وحده؛ فإنه لا يصل إليه إلا هو، ولا
يدل عليه إلا هو، وإذا قام العبد في أي مقام كان؛ فبحمده وحكمته أقامه
فيه، ولم يمنع العبد حقا هو له، بل منعه ليتوسل إليه بمحابه فيعطيه، وليرده
إليه، وليعزه بالتدلل له، وليغنيه بالافتقار إليه، وليجبره بالانكسار بين يديه،
وليولييه بعزله أشرف الولايات، وليشهده حكمته في قدرته، ورحمته في عزته،
وأن منعه عطاء، وعقوبته تأديب، وتسليط أعدائه عليه سائق يسوق إليه،
والله يعلم حيث يجعل مواقع عطائه، وأعلم حيث يجعل رسالته.

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَذَا لَآءِ مَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾^(٢) فهو سبحانه أعلم بحال
التخصيص، فمن رده المنع إليه؛ انقلب عطاء، ومن شغله عطاؤه عنه؛
انقلب منعا.

وهو سبحانه وتعالى أراد منا الاستقامة، واتخاذ السبيل إليه، وأخبر أن
هذا المراد لا يقع حتى يريد من نفسه إعانتنا ومشيعتنا له؛ كما

(١) "مؤلفات الشيخ" (مختصر زاد المعاد، ص ٣٠٧).

(٢) سورة الأنعام آية : ٥٣.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١).

فإن كان مع العبد روح أخرى نسبتها إلى روحه كنسبة روحه إلى جسده، يستدعي بها إرادة الله من نفسه أن يفعل به ما يكون به العبد فاعلا، وإلا؛ فمحلله غير قابل للعطاء، وليس معه إناء يوضع فيه العطاء، فمن جاء بغير إناء؛ رجع بالحرمان؛ فلا يلومن إلا نفسه^(٢).

ومن حكمة الإدالة على المسلمين في غزوة أحد تعريف الله للصحابة عاقبة المعصية والفشل والتنازع؛ ليستيقظوا، ويحذروا من أسباب الخذلان، وأن حكمة الله جرت بأن الرسل يدالون مرة، ويدال عليهم أخرى، لكن يكون لهم العاقبة، فلو انتصروا دائما؛ دخل معهم المؤمن وغيره، ولم يتميزوا، ولو انتصر غيرهم دائما؛ لم يحصل المقصود.

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ

الْحَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ ﴾^(٣) أي: ما كان الله ليذركم على هذا من التباس

المؤمنين

(١) سورة التكوير آية : ٢٩ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢٥ - ١٢٦).

(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٩ .

بالمنافقين حتى يميزهم، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾^(١)؛ الذي يميز به بينهم، بل يريد سبحانه أن يميزهم تمييزاً مشهوداً، وقوله: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَجَتَّى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٢)؛ استدراك لما نفى من اطلاعهم على الغيب؛ أي: سوى الرسل؛ فإنه يطلعهم على ما يشاء؛ كما في سورة الجن؛ فسعادتهم بالإيمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله، فإن آمنتم به واتقيتم؛ فلکم أعظم الأجر.

ومنها استخراج عبودية الأولياء في السراء والضراء، فإذا ثبتوا على الطاعة فيما أحبوا وكرهوا؛ فهم ليسوا كمن يعبد على حرف. ومنها أنه لو بسط لهم النصر دائماً؛ لكانوا كما يكونون لو بسط لهم الرزق، فهو المدبر لهم كما يليق بحكمته، إنه بهم خبير بصير. ومنها أنهم إذا انكسروا له؛ استوجبوا النصر، فإن خلعة النصر مع ولاية الذل؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾^(٣)

وفي مقابل ذلك قال: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾^(٤)

ومنها أنه هياً لعباده منازل لا تبلغها أعمالهم، ولا يبلغونها إلا

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٩.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٣.

(٤) سورة التوبة آية : ٢٥.

بالبلاء، فقيضه لهم؛ كما وفقهم للأعمال الصالحة.
ومنها أن العافية الدائمة والنصر والغنى يورث ركونا إلى العاجلة، ويثبط النفوس، ويعوقها عن السير إلى الله، فإذا أراد الله كرامة عبد؛ قيض له من البلاء ما يكون دواء لهذا.
ومنها أن الشهادة عنده من أعلى المراتب، وهو سبحانه يجب أن يتخذ من أوليائه شهداء.
ومنها أنه سبحانه إذا أراد هلاك أعدائه؛ قيض أسبابا يستوجبون بها الهلاك؛ مثل بغيهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، فيمحص به أوليائه من ذنوبهم، ويكون من أسباب محق أعداء الله، وذكر سبحانه ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾^(١) إلى قوله: ﴿وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾^(٢).
ومنها أن هذه الواقعة -أحد- مقدمة بين يدي موته صلى الله عليه وسلم، وهذا عادته سبحانه شرعا وقدرًا أن يوطئ بين يدي الأمور العظام بمقدمات، والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل لهم العاقبة، ثم أخبر أنه جعل لكل نفس أجلا، ثم أخبر أن كثيرا من الأنبياء قتلوا وقتل معهم أتباع لهم كثيرون، فما وهن من بقي منهم أو ما وهنوا عند القتل، والصحيح أنها تناول الفريقين.
ثم أخبر سبحانه عما استنصر به الأنبياء وأمهم من اعترافهم وتوبتهم، واستغفارهم، وسؤالهم التثبيت لأقدامهم والنصر على أعدائهم، فقال:

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٩.

(٢) سورة آل عمران آية : ١٤١.

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(١) .

... علموا أنه سبحانه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم؛ لم يقدرُوا، وعلموا أنه إنما يدال عليهم بذنوبهم؛ من تقصير في حق، أو تجاوز في حد، فوفوا المقامين حقهما: المقام المقتضي، وهو التوحيد والالتجاء إليه، ومقام إزالة المانع من النصر، وهو الذنوب والإسراف.

وأشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران إلى أمهات هذه الحكم من قوله: ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾^(٢) إلى تمام الستين آية من آية ١٢١ إلى آية ١٨٠ .

ففي هذه الآيات ذكرهم الله في هذه المحنة بما هو من أعظم نعمه عليهم، التي إن قبلوا بها كل محنة؛ تلاشت، وهي إرسال رسول من أنفسهم، فكل بلية بعد هذا الخير العظيم أمر يسير جدا، فأعلمهم أن المصيبة من أنفسهم ليحذروا، وأنها بقدره ليوحدوا ويتكلموا، وأخبرهم بما له من الحكم لئلا يتهموه في قدره، وليعرف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته، وذكرهم بما هو أعظم من النصر والغنيمة، وعزاهم عن قتالهم لينافسوهم ولا يحزنوا عليهم؛ فله الحمد كما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله^(٣) .

(١) سورة آل عمران آية : ١٤٧ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٢١ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٢٣٤ - ٢٤٤، وص ٢٥٦،

٢٦٤، وص ٢٦٦ - ٢٦٧).

وابن آدم يؤذي الله إذا سب الدهر؛ لأن الدهر هو قلب الليل والنهار بأمر الله تعالى؛ فهو سبحانه بيده الأمر يقلب الليل والنهار؛ يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، وسخر الشمس والقمر، ويجيي ويميت، ويفني قوما، ويأتي بآخرين؛ بخلاف الضرر؛ فقد أخبر سبحانه أن العباد لا يضرونه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾^(١).

قال الشيخ: "والأذى في اللغة: هو لما خف أمره وضعف أثره من الشر والمكروه، ذكره الخطابي. قال شيخ الإسلام: وهو كما قال". اهـ، ويعني شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد عقد الشيخ في "كتاب التوحيد" باب من سب الدهر فقد آذى الله، وساق قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٢). وما في "صحيح البخاري" عن النبي ﷺ؛ قال: ﴿قال الله تعالى: يؤذي ابن آدم؛ يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار﴾^(٣) وفي رواية لمسلم وغيره: ﴿لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر﴾^(٤).

قال الشيخ: "فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر،

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٦.

(٢) سورة الجاثية آية : ٢٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التوحيد (٧٤٩١)، وصحيح مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦)، ومسند أحمد (٣٩٥/٢) ٤٩١/٢، ٤٩٩/٢، ٢٩٩/٥، ٣١١/٥.

والثانية: تسميته أذى لله، **والثالثة:** التأمل في قوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ ﴾^(١)، **والرابعة:** أنه قد يكون سابا، ولو لم يقصده بقلبه^(٢).
وأنه ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ يدعون له الولد، ثم يعافيههم ويرزقهم^(٣).

ويثبت الشيخ المثل الأعلى لله سبحانه وهو العزيز الحكيم^(٤)؛ فهو الذي ليس كمثلته شيء لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله، وثبوتها على وجه الكمال الذي لا يماثله فيه شيء، فالمثبت هو الذي يصفه بأنه ليس كمثلته شيء، وقد وصف نفسه بأن له المثل الأعلى، المتضمن إثبات الكمال كله له، وبهذا كان المثل أعلى، وهو أفعال تفضيل، ومثل السوء لعدم صفات الكمال، ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوحيده؛ لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملا، وهي: الإيمان، والعلم، والمعرفة، واليقين، والإخلاص، والتوكل، والإنابة... وغير ذلك التي من اتصف بها كان ممن آمن بالآخرة.

ومثل السوء هو العدم وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، ولما كان الرب هو الأعلى، ووجهه هو الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب (٦١٨٢)، وصحيح مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب

وغيرها (٢٢٤٦، ٢٢٤٧)، ومسنند أحمد (٢٧٢/٢، ٣٩٥/٢، ٤٩١/٢، ٤٩٩/٢،

٢٩٩/٥، ٣١١/٥)، وموطأ مالك: كتاب الجامع (١٨٤٦).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١١٤، وأصول الإيمان، ص

٢٤٢)، وانظر: "تيسير العزيز الحميد" (ص ٥٤٢ - ٥٤٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٦).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، النحل، ص ٢١٥).

الأعلى، وسائر صفاته هي العليا؛ كان له المثل الأعلى، وهو أحق به من كل ما سواه.

ويستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان؛ لأنهما إن تكافئا؛ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافئا؛ فالموصوف بالأعلى أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع من إثبات المثل الأعلى على استحالة التمثيل.

والمثل الأعلى متضمن أربعة أمور:

- ١- ثبوت الصفة العليا لله سبحانه في نفس الأمر.
 - ٢- وجودها في العلم والتصور.
 - ٣- الخبر عنها وذكرها وتنزيهها عن النقائص.
 - ٤- محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه.
- وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل؛ كان الحب والإخلاص أقوى، وعبارات السلف تدور حول هذه المعاني الأربعة لا تتجاوزها^(١).
- ويعتقد الشيخ أن عظمة الله أجل من أن يحيط بها عقل^(٢)؛ كما

(١) ملخص من آخر مجلد لمصورة عن مخطوطة بعنوان: "مبحث الاجتهاد والخلاف" للشيخ

محمد بن عبد الوهاب رقمها في المكتبة السعودية بالرياض (١٦/٧٧٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، هود، ص ١٢٥، والزمر، ص ٣٤٦ - ٣٤٧).

قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١)(٢).

وكما بين ﷺ في تصديقه للحبر الذي قال له: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ (٣)(٤).

وأن رسول الله ﷺ قرأها على المنبر، وقال: ﴿ إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماوات بيمينه، ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه، وأنه يقول: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم. قال ابن عمر: فرجف برسول الله ﷺ حتى قلنا ليخن به ﴾ (٥).

(١) سورة الزمر آية : ٦٧.

(٢) و (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٨).

(٣) سورة الزمر آية : ٦٧.

(٤) المصدر السابق (ص ١٤٨)، وانظر: "صحيح البخاري" (كتاب التوحيد، ص ١٧٤).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٤٥ - ٣٤٦)، والحديث في

"صحيح البخاري" (ج ٨، كتاب التوحيد، ص ١٧٣)، ومسلم في (كتاب صفة القيامة

والجنة والنار، ص ٢١٤٧ - ٢١٤٩).

وقد عقد الشيخ بابا في هذا الموضوع في "كتاب التوحيد"، هو باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١) وأورد تحته أحاديث وآثارا عن السلف الصالح تناسبه.

وكذلك في كتاب "أصول الإيمان"؛ إلا أنه زاد ونقص عما أورد في "كتاب التوحيد"، وكلها دلائل مناسبة ونصوص دالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ومجده وجلاله وعلوه وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه^(٢). ويستنتج من عظمة مخلوقات الله أنها دلائل على عظمة الله؛ فالسماوات على سعتها في اليد اليمنى مطوية، والأرضين جميعا في اليد الأخرى، وأنها جميعا في كف الرحمن كخردلة في كف أحدنا، وأن الكرسي عظيم بالنسبة إلى السماء؛ فالسماوات في الكرسي كسبعة دراهم ألقيت في ترس، (وسع كرسيه السماوات والأرض)، وكذلك العرش أعظم بالنسبة للكرسي؛ فالكرسي في العرش كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراي فلاة من الأرض، وأن العرش غير الكرسي والماء، وأن بين السماء والأرض خمس مئة عام، وكثف كل سماء خمس مئة سنة، وأن البحر الذي فوق السماوات أسفله وأعلاه خمس مئة سنة، وبين كل سماء إلى سماء خمس مئة عام، وكذلك بين السماء

(١) سورة الزمر آية : ٦٧.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٨ - ١٥٠، وأصول الإيمان، ص ٢٤٠ - ٢٤٢)، وانظر: "القول السديد" للشيخ ابن سعدي آخره.

السابعة والكرسي، وبين الكرسي والماء، وأن العرش فوق الماء، وأن الله فوق العرش.

وهذه خلاصة أحاديث أوردها الشيخ رحمه الله في آخر باب من أبواب كتابه "كتاب التوحيد"، وهو باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾^(١) أوردها الشيخ عن ابن عباس موقوفا وعن ابن زيد عن أبيه مرفوعا وعن أبي ذر مرفوعا وعن ابن مسعود موقوفا.

وقال الشيخ في حديث ابن مسعود: "أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله، قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى؛ قال: وله طرق. وهو عن العباس بن عبد المطلب أخرجه أبو داود وغيره.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "وهذا الحديث له شواهد في "الصحيحين" وغيرهما، مع ما يدل عليه صريح القرآن؛ فلا عبرة بقول من ضعفه"^(٢).

واعتماد الشيخ أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** أعظم من كل عظيم وأكبر، وهو رب العرش العظيم وفوقه، بائن من خلقه، لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده، ولا يحل بشيء من مخلوقاته، ولا يحل في ذاته شيء

(١) سورة الزمر آية : ٦٧.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٨ - ١٥١)، وانظر:

"قرة عيون الموحدين" للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص ٣١٤).

منها، بل هو بائن عن خلقه بذاته، والخلق بائون عنه، وأنه أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، وفوق كل شيء، وعال على كل شيء ألبتة، ولا يعجزه شيء يريد، بل هو فعال لما يريد^(١) الشاهد الذي لا يغيب، ولا يستخلف أحدا على ملكه، ولا يحتاج من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه أو يستعطفه عليهم أو يسترحمه لهم؛ فلا له وزير، ولا مشير، ولا ظهير، ولا شافع إلا من بعد إذنه، ولا ند، ولا ضد، ولا شريك، بل الكل عبيده تحت تصرفه وتدييره، وهو العزيز الحكيم العلي العظيم^(٢).

وقال الشيخ في واحدة من خطبه يعظم الرب بصفاته العظيمة: "الحمد لله فاطر الأرض والسموات، عالم الأسرار والخفيات، المطلع على الضمائر والنيات، أحاط بكل شيء علما، ووسع كل شيء رحمة وعلما، وقهر كل مخلوق عزة وحكما، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون به علما؛ لا تدركه الأبصار، ولا تغيره الدهور والأعصار، ولا تتوهمه الظنون والأفكار، وكل شيء عنده بمقدار، أتقن ما صنعه وأحكمه، وأحصى كل شيء وعلمه، وخلق الإنسان وعلمه..."

ويقول في خطبة أخرى: "الحمد لله المتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيما وتكبيرا، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديرا وتدييرا، المتعالي بعظمته ومجده، الذي

(١) "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٢).

(٢) انظر: "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤١ - ٤٢).

أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، أطلع شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً، ومن بها على أهل الأرض، فيا لها نعمة لا يستطيعون لها شكورا، فجر ينابيع الهداية في قلوب من سبقت لهم منه الحسنى تفجيراً"^(١).

ويقول الشيخ: "إن ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعله، وهو قدر ما تحتمله العقول، وإلا؛ فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل"^(٢).

ويقول الشيخ: "فمن هذا بعض عظمته وجلاله كيف يجعل في رتبة مخلوق؟!"^(٣).

وبين الشيخ أنه من أجل عظمته لا يستشفع به على خلقه^(٤) وأنه يعاذ من استعاذ به؛ فإنه هو المستعاذ به وحده، فهو رب الفلق، ورب الناس، ومملك الناس، وإله الناس، لا يستعاذ إلا به، وقد أخبر الله عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادتة رهقا، وهو الطغيان، فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ

الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٥).

(١) مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ١٤ ، ٤٨).

(٢) مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٤٦).

(٣) مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٦٥).

(٤) و(القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ١٤٥).

(٥) سورة الجن آية : ٦.

أما من عاذ به؛ فقد عاذ بمعاذ^(١).
ويعطي من سأل به^(٢) لعظمته، وتعظم الرغبة فيما عنده^(٣) والخوف من
عقابه، والهيبة من عظمته^(٤).
وبالجملة؛ يجب تعظيمه علما وعملا^(٥)؛ فما عرفنا من عظمته لا يمثله
فيها شيء؛ كيف بما لم نعرف منها تعالى وجل؟ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾
﴿٦﴾ .

والله تعالى يملك ما في السماوات وما في الأرض^(٧) والعبد وماله ملك
لله، جعله الله عنده عارية^(٨) والمخلوق ليس له من الأمر شيء، ولو كان نبيا
مرسلا؛ فهذا نوح عليه السلام لم يملك هداية ابنه، بل هو المتفرد بالهداية
والإضلال^(٩).

-
- (١) "مؤلفات الشيخ" (الرابع، التفسير، الفلق، الناس، ص ٣٨٥، ٣٨٧) .
(٢) "مؤلفات الشيخ" (الرابع، التفسير، الفلق، الناس، ص ١٢٨) .
(٣) "مؤلفات الشيخ" (الرابع، التفسير، الفلق، الناس، ص ١٢٦) .
(٤) "مؤلفات الشيخ" (ص ١٤٥، القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ٨٤، ٩٦، وهود،
١٢٤، ويوسف، ص ١٣٧) .
(٥) "مؤلفات الشيخ" (الرابع، التفسير، المدثر، ص ٣٦٥) .
(٦) سورة الأنعام آية : ٩١ .
(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، آل عمران، ص ٥١) .
(٨) "مؤلفات الشيخ" (مختصر زاد المعاد، ص ٣٠٦) .
(٩) "مؤلفات الشيخ" (الأعراف، ص ١١٠، هود، ص ١٢٤، والزمر، ص ٣٢٦، ٣٣٠،
والقسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب قول الله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت)، ص
٥٤) .

وقد نفى الله أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين الله أن الشفاعة جميعاً له، ولا تنفع إلا لمن أذن له الرب؛ قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ (١)(٢).

وخزائن كل شيء عنده سبحانه، ولا تنفذ على كثرة الإنفاق (٣) له مقاليد السماوات والأرض؛ فهو على كل شيء وكيل (٤) ولكمال ملكه وكمال علمه وكمال قدرته؛ فهو يحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (٥) ويخلق ما يشاء ويختار، وهو المتفرد بذلك، لا شريك له؛ قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ الْمَنبَرِيِّ، ص ٥٧.)

(١) سورة سبأ آية : ٢٢ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الشفاعة والذي قبله، ص ٤٨ - ٥٣، وكشف الشبهات، ص ١٦٥، ومسائل الجاهلية، ص ٣٥١، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٧، ص ١١٢ - ١١٣، والقسم الرابع، التفسير، الكهف، ٢٤٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٨٧، وملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٥٧).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٣٩).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (الزمر، ص ٣٣٤).

اللَّهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ (١) (٢).

وهو الملك الحق، ملك الناس، مالك يوم الدين، مالك الملك، تفرد بالإحياء والإماتة، وتفرد بأنه الوارث، وتفرد بحشر الجميع (٣) وتفرد بالرفع والضر (٤) وتفرد بالعزة والمجد (٥).

ويعتقد الشيخ أن من صفات الله الثابتة صفة الكلام (٦) وليس كتكليمه سبحانه وتعالى تكليم أحد (٧).

قال أبناء الشيخ وحمد بن ناصر بن معمر: "واعلم أن صفة الكلام لله تعالى قديمة أزلية، لا ابتداء لها، كسائر صفات الله تعالى من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وسائر الصفات؛ لأنه تبارك وتعالى هو الأول؛ فليس قبله شيء بجميع صفاته، لم تتجدد بوصفه كما يقوله بعض أهل الأهواء والبدع من الكرامية ومن سلك سبيلهم، وأما أهل السنة والجماعة، فمجمعون على ما ذكرنا من أن الله تعالى قديم بجميع صفاته الكلام وغيره. قال الإمام أحمد رحمه الله في كتابا "الرد على الزنادقة": لم

(١) سورة القصص آية : ٦٨ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (مختصر زاد المعاد، ص ٧ - ٨) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (التفسير، الحجر، ص ١٨٧) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (التفسير، النحل، ص ٢٠٠) .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (التفسير، الزمر، ص ٣٣٠) .

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٥) .

(٧) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٩) .

يزل الله تعالى متكلمًا إذا شاء ومتى شاء، ولا نقول: إنه كان لا يتكلم حتى خلقه... إلخ.

وهذا الذي قاله إمام السنة والجماعة هو الصواب الذي لا يجوز غيره، والقرآن تكلم به سبحانه بمشيئته وقدرته، وذلك أن أهل السنة والجماعة يثبتون الأفعال الاختيارية من الكلام وغيره من الصفات؛ كما أنه سبحانه كلم موسى بمشيئته وقدرته، ويكلم من شاء من خلقه بمشيئته وقدرته إذا شاء ومتى شاء بلا كيف^(١).

ويعتقد الشيخ أن كلام الله يتفاضل؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢)^(٣).

وأن تكليم الله للعباد على ثلاثة أوجه:

- ١- من وراء حجاب؛ كموسى.
 - ٢- وبإرسال رسول؛ كما أرسل الملائكة إلى الأنبياء.
 - ٣- وبالإيحاء، وهذا للأولياء فيه نصيب.
- والمرتبتان الأوليتان للأنبياء خاصة^(٤).

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٨٧).

(٢) سورة الزمر آية: ٥٥.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٣٧).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٨، ص ٢٩).

والرؤيا قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام^(١).

وأن الله تعالى كلم موسى تكليما، وناداه تعالى من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من جانب الطور ﴿ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) الآيات، وقربه نجيا؛ فناده وناجاه^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾^(٤) الآية: الرد على مخالف الرسل في قولهم: (لولا يكلمنا الله)، أو نحو ذلك؛ لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحي^(٥).

وإذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر؛ تكلم بالوحي؛ أخذت السماوات منه رجفة شديدة خوفا من الله **رَجَجْنَ** فإذا سمع ذلك أهل السماوات، صعقوا، وخرروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء؛ سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثلما قال

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١١٣).

(٢) سورة القصص آية : ٣٠.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، القصص، ص ٢٩١)، و "الدرر السنية" (ج ٣، ص ٢٠٩)، و "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٨٩، ص ٩٢-٩٥).

(٤) سورة آل عمران آية : ٤٤.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٧٧، و ص ١٧٩).

جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله وَعَلَّكَ.
وأن الملائكة تضرب بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم؛ قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض (وصفه سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه)، فيسمع الكلمة، فيلقياها إلى من تحته، ثم يلقياها الآخر إلى من تحته، حتى يلقياها على لسان الساحر أو الكاهن، فرما أدركه الشهاب قبل أن يلقياها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟! فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.
وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (١)(٢).

ويثبت الشيخ لله تعالى صفة الوجه الكريم، وأنه لا يسأل بوجهه إلا غاية المطالب، وأن حجاب النور، لو كشفه؛ لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وأنه ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن (٣).

(١) سورة سبأ آية : ٢٣ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٤٨ - ٥٠، أصول الإيمان، ص ٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، ص ١٢٩، وأصول الإيمان، ص ٢٣٢، ٢٣٧، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، ص ٢٨) .

ويعتقد الشيخ أن المؤمنين يرون رهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضمامون في رؤيته^(١) بلا كيف ولا إحاطة^(٢).

وأن الرؤية تكون عامة وخاصة:

أما العامة؛ فيراه عموم الخلق.

وأما الخاصة التي يفهم منها الكرامة؛ فيراه المؤمنون خاصة^(٣).

وقال أبناء الشيخ وحمد بن ناصر: "وأما رؤية الله تعالى يوم القيامة؛ فهي ثابتة عندنا، وأجمع عليها أهل السنة والجماعة، والدليل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾^(٤).

وقال المفسرون: معنى أنها تنظر إلى الله **عَجَلًا** كرامة لهم من الله، وهي

أعظم ما يتنعم به أهل الجنة يوم القيامة؛ كما ورد ذلك

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١، ص ١٠، والقسم الأول، العقيدة،

أصول الإيمان، ص ٢٣٦).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٢٦).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٢٢، ص ٢٠ - ٢١).

(٤) سورة القيامة آية : ٢٢.

في الأحاديث عن رسول الله ﷺ^(١).

وأما قوله: (لا تدركه الأبصار)؛ أي: لا تحيط به.

وأما قوله تبارك وتعالى لموسى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾^(٢) الآية؛ فذكر العلماء أن المراد: لن تراني في الدنيا. وأيضا الآية دليل واضح على جوازها وإمكانها؛ لأن موسى عليه السلام أعلم بالله من أن يسأله ما لا يجوز عليه أو يستحيل، خصوصا ما يقتضي الجهل، ولذلك رد بقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾^(٣)؛ دون: لن أرى ولن أرىك، ولن تنظر إلي؛ فبذلك تبين أنها دالة على مذهب أهل السنة والجماعة القائلين بإثبات رؤية الله يوم القيامة^(٤).

كما يثبت أن الله يدين، كما ورد في القرآن والسنة، على ما يليق بجلاله؛ كما قال تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥).

فله يدين، وليس كيديه يدا مخلوق؛ قال تعالى:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٦).

وقال تعالى:

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٩٣ - ١٩٤).

(٢) سورة الأعراف آية: ١٤٣.

(٣) سورة الأعراف آية: ١٤٣.

(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٩٣ - ١٩٤).

(٥) سورة الشورى آية: ١١.

(٦) سورة المائدة آية: ٦٤.

﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ^ط ۖ ﴾^(١) .

فقوله: (خلقت بيدي): يدل على إثبات اليمين لله تعالى كما يليق به، ولو كان المراد منه مجرد الفعل؛ لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى؛ فكيف وقد دخلت الباء؟! فالفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد، والمراد الإضافة إليه؛ كقوله: ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾^(٢) .

وأما إذا أضيف إليه الفعل، ثم عدي بالباء إلى يده مفردة أو مثناة؛ فهو ما باشرته يده، ولو كانت اليد هي القدرة؛ لم يكن لها اختصاص بذلك، ولا كانت لأدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة^(٣).

ولفظ اليد في القرآن جاء على ثلاثة أنواع:

مفرد؛ كقوله: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(٤) .

وكقوله: ﴿ بِيَدِهِ الْمَلِكُ ﴾^(٥) .

(١) سورة ص آية : ٧٥ .

(٢) سورة الشورى آية : ٣٠ .

(٣) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٢١ - ٢٢٢).

(٤) سورة الفتح آية : ١٠ .

(٥) سورة الملك آية : ١ .

وجاء مثني؛ كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(١).

وكقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْهِ﴾^(٢).

وجاء مجموعا؛ كقوله: ﴿عَمِلْتَ أَيَّدِينَا﴾^(٣).

فحيث ذكر اليد مثناة؛ أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد، وعدي الفعل بالباء إليها، فقال: (خلقت بيدي)، وحيث ذكرها مجموعة؛ أضاف العمل إليها، ولم يعد الفعل بالباء؛ فلا يحتمل (ما خلقت بيدي) من المجاز ما يحتمل (عملت أيدينا)؛ فإن كل أحد يفهم من قوله (عملت أيدينا): ما يفهمه من قوله: عملنا، وخلقنا؛ كما يفهم من قوله: (بما كسبت أيديكم)^(٤).

ولو كان قوله: (خلقت بيدي)؛ مثل قوله: (عملت أيدينا)؛ لكان آدم والأنعام سواء، وأهل الموقف لما يقولون له: "أنت أبو البشر، خلقك الله بيده"؛ يعلمون لآدم تخصيصا وتفضيلا بكونه مخلوقا باليدين.

(١) سورة المائدة آية : ٦٤ .

(٢) سورة ص آية : ٧٥ .

(٣) سورة يس آية : ٧١ .

(٤) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٢١ - ٢٢٢).

وقد ثبت في "الصحيح" عن النبي ﷺ : ﴿ يقبض الله سماواته بيده اليمنى، والأرض بيده الأخرى ﴾ .

ثم ذكر أحاديث كثيرة في إثبات اليمين لله تعالى بالتثنية والإفراد، وإثبات الأصابع بالجمع والتثنية والإفراد، وإثبات الكف والقبض واليمين والشمال والإمساك والبسط وغير ذلك مما لا يحتمل تأويلاً عن ظاهره الدال على إثبات يدي الله حقيقة كما يليق بجلاله، ليس كمثل يدي أحد^(١).

وفي جواب للشيخ حمد بن ناصر بن معمر لما سئل عن اعتقاد الشيخ في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(٢) وغيره... نجد أن الشيخ رحمه الله تعالى يعتقد أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه^(٣) بائن من خلقه، والعرش وما سواه فقير إليه، وهو غني عن كل شيء، لا يحتاج إلى العرش ولا إلى غيره^(٤).

قال الشيخ حمد بن ناصر: " وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره،

(١) انظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٧، ٢٢١ - ٢٢٣)، و"مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٦، ص ٢٨)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره... الآية، ص ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، وأصول الإيمان، ص ٢٤٠، ٢٤١).

(٢) سورة طه آية : ٥ .

(٣) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ١٤٩ - ١٥١).

(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢١٠).

وهذه سنة رسول الله ﷺ وهذا كلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة؛ قد دل ذلك بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه فوق العرش، مستو على عرشه، ونحن نذكر من ذلك بعضه:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢).

وقد أخبر سبحانه باستوائه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه، فذكر

في سورة الأعراف ويونس والرعد وطه والفرقان وتنزيل السجدة والحديد إلى

غير ذلك من الآيات الدالة على علو الله سبحانه وتعالى؛ كقوله: ﴿إِذْ قَالَ

اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ نَبِيًّا وَإِنِّي مُؤَيَّدُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾^(٣).

وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(٤).

(١) سورة طه آية : ٥ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٥٥ .

(٤) سورة النساء آية : ١٥٨ .

وإخباره عن فرعون أنه قال: ﴿يَنْهَمْنُنْ أَبْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ
الْأَسْبَبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ
كَذِبًا ﴿١﴾ .

فرعون كذب موسى في قوله: إن الله في السماء.

وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٣٧﴾﴾ (٢) .

إلى غير ذلك " (٣).

قال الشيخ محمد بن ناصر: "وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴿٤﴾﴾

يتضمن إبطال قول المعطلة الذين يقولون: ليس على العرش سوى العدم،
وإن الله ليس مستويا على العرش، ولا ترفع إليه الأيدي، حيث أخبر
سبحانه أنه على عرشه، وأنه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها، ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴿٥﴾﴾ معناه أنه
لا يخفى عليه خافية بعلمه، وليس معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا
كُنْتُمْ ﴿٦﴾﴾ (٦)؛ أنه مختلط بالخلق؛ فإن هذا لا توجهه اللغة، وهو خلاف ما
أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، وهو
سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع عليهم، إلى
غير ذلك من معاني ربوبيته،

(١) سورة غافر آية : ٣٦ .

(٢) سورة فصلت آية : ٤٢ .

(٣) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢١٠) .

(٤) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

(٥) سورة الحديد آية : ٤ .

(٦) سورة الحديد آية : ٤ .

وأخبر أنه ذو المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه، وأنه القاهر فوق عباده، وأن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم.

فكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق عباده على عرشه، وأنه معنا؛ حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصاب عن الظنون الكاذبة، وهو سبحانه قد أخبر أنه قريب من خلقه؛ كقوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾^ط (١) الآية.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسِوسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾^ط وَحُنُّ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٥﴾ (٢).

وقال النبي ﷺ ﴿إِن الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ

﴾ (٣) (٤).

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا

هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^ط (٥).

(١) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

(٢) سورة ق آية : ١٦ .

(٣) مسند أحمد (٤/٤٠٢) .

(٤) "صحيح البخاري" (التوحيد، ١٣ / ٣٧٢) .

(٥) سورة المجادلة آية : ٧ .

وكل ما في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته؛ فإنه سبحانه علي في دنوه، قريب في علوه، وقد أجمع سلف الأمة على أن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته على عرشه، وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون.

وقال حنبل بن إسحاق: قيل لأبي عبد الله: ما معنى (وهو معكم أينما كنتم)؟ قال: علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة".
قال الشيخ حمد بن ناصر: " وأما الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب؛ فكثيرة جدا:

منها ما رواه مسلم في "صحيحه" وأبو داود والنسائي وغيرهم:
عن معاوية بن الحكم السلمي؛ قال: ﴿ لطمت جارية لي، فأخبرت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، فقلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: "بلى، ائتني بها". فجئت بها إلى رسول الله ﷺ فقال لها: "أين الله؟". فقالت: في السماء. فقال: "فمن أنا؟". قالت: أنت رسول الله ﷺ. فقال: "أعتقها فإنها مؤمنة" ﴿^(١).

وفي الحديث مسألتان: أحدهما: قول الرجل لغيره: أين الله؟ وثانيهما: قول المسئول: في السماء. فمن أنكر هاتين المسألتين، فإنما ينكر على الرسول ﷺ^(٢).

(١) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧)، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (٩٣٠) وكتاب الأيمان والنذور (٣٢٨٢)، ومسند أحمد (٤٤٧/٥)، وموطأ مالك: كتاب العتق والولاء (١٥١١).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢١١ - ٢١٢)، وحديث الجارية رواه مسلم في (المساجد، ج ١، ص ٣٨٢).

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لما خلق الله الخلق؛ كتب كتابا؛ فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي ﴾^(١) وفي لفظ: ﴿ فهو مكتوب عنده فوق العرش ﴾^(٢) وهذه الألفاظ كلها في "صحيح البخاري"^(٣).

قال الشيخ حمد بن ناصر: "وفي "صحيح مسلم" عن أبي موسى؛ قال: ﴿ قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: "إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" ﴾^(٤)^(٥).

قال الشيخ حمد بن ناصر: "وفي "الصحيحين" في قصة المعراج، وهي متواترة: وتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم السماوات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى، فقربه وأدناه وفرض عليه خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه؛ ينزل من عند ربه إلى موسى، فيسأله: كم فرض عليك؟ فيخبره، فيقول: ارجع إلى ربك؛ فسله التخفيف.

ثم ذكر الشيخ حمد بن ناصر بن معمر أحاديث كثيرة في استواء

(١) مسند أحمد (٢/٢٥٩).

(٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد (٧٥٥٤).

(٣) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٤)، وانظر: "صحيح البخاري" (ج ٨ / ١٧١، كتاب التوحيد، باب ١٥).

(٤) سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (١٩٥).

(٥) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٢)، والحديث في "صحيح مسلم" (الإيمان، ج ١، ص ١٦١). وانظر: "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٥، ص ٢٨).

الله على عرشه، وعلوه على مخلوقاته...

إلى أن قال: "والمقصود أن نصوص الكتاب والسنة قد نطقت، بل تواترت، بإثبات علو الله على خلقه، وأنه فوق سماواته، مستو على عرشه، استواء يليق بجلاله، لا يعلم كيفيته إلا هو، كما لا يعلم كيفية ذاته إلا هو، وذاته المقدسة تبارك وتعالى حقيقة ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، وكذا استواؤه ونزوله وكلامه ثابت في نفس الأمر، لا يشابه فيها استواء المخلوقين وكلامهم ونزولهم، فإنه ليس كمثل شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات؛ فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات؛ فإن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات".

إلى أن قال: "وبالجملة؛ فمن قال: إن الله في السماء، وأراد أنه في جوف السماء؛ بحيث تحصره وتحيط به؛ فقد أخطأ وضل ضلالاً بعيداً، وإن أراد بذلك أن الله فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه؛ فقد أصاب، وهذا اعتقاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، ومن لم يعتقد ذلك؛ كان مكذبا الرسل، متبعا غير سبيل المؤمنين"^(١).

ويثبت الشيخ إتيان الرب ومجيئه وإشراق الأرض بنوره يوم النسخ

(١) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢١٤-٢١٧) بتصرف قليل.

في الصور؛ كما في القرآن الكريم^(١).

ويثبت النزول كما وردت بذلك السنة الصحيحة.

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر؛ يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفري فأغفر له؟ ﴾^(٢) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٣).

والشيخ يثبت النزول كما يثبت غيره من الصفات الواردة في الكتاب والسنة على قاعدة الإمام مالك، فيقول في النزول أيضا:
النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، ونحن لا نعلم كيفية نزوله، ولكن نزوله ثابت في نفس الأمر، لا يشابهه نزول المخلوقين :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٤)^(٥).

وهكذا يقر الشيخ جميع آيات الصفات وأحاديثها، مع اعتقاد حقائقها، وإثبات العلم بها، وما دلت عليه من صفات الرب تبارك

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٤١) .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجمعة (١١٤٥) وكتاب الدعوات (٦٣٢١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٧)،
"الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٩٢، ١٩٨، وص ٢١٥).

(٤) سورة الشورى آية: ١١ .

(٥) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٨٥، وص ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧).

وتعالى وأسمائه؛ من غير تكييف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تحريف، بل كما قال ربيعة ومالك: "الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"^(١).

وعلى هذا اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جميع الأسماء والصفات^(٢).

وقال أبناء الشيخ والشيخ حمد بن ناصر بعد ذكرهم لكلام الإمام مالك: "وهذا الجواب من مالك في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات؛ مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها، فيقال في النزول: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهذا يقال في سائر الصفات الواردة في الكتاب

(١) قال الحافظ الذهبي في "كتاب العلو": "هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجعلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل؛ لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه، ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً". انتهى كلام الحافظ الذهبي. "مختصر العلو" للذهبي، اختصار الألباني (ص ١٤٢، ١٤٣).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٤)، و"الدرر السنينة" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٣، ج ٣، ص ٢٠٧ - ٢٦٢، وص ١٩١، ١٩٢)، و"مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٨ - ١١، ٢٧، ٢٨).

والسنة" (١).

وكتب بعض تلامذة الشيخ عبد الرحمن بن حسن إليه يهنيه بقدم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر، وتوسل إلى الله في دعائه بصفاته الكاملة التي لا يعلمها إلا هو، فكتب إليه، وفيما كتب قال: "قلت: "أتوسل إليك بصفاتك الكاملة، التي لا يعلمها إلا أنت"؛ فاعلم أن الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة، وأما الصفة؛ فيعلمها أهل العلم بالله؛ كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. ففرق هذا الإمام بين ما يعلم منه معنى الصفة على ما يليق بالله، فيقال: استواء لا يشبه استواء المخلوق، ومعناه ثابت لله؛ كما وصف به نفسه، وأما الكيف؛ فلا يعلمه إلا الله؛ فتنبه لهذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف" (٢).

كان الشيخ حمد بن ناصر بن معمر قد سئل عن اعتقاد الشيخ فيما قد يتوهم بعض الناس التشبيه في ظاهره من نصوص الوحي من الكتاب والسنة الواردة في صفات الرب تبارك وتعالى، مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٣) ومثل قوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (٤) وقول النبي ﷺ ﴿يَنْزِلُ رَبَّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾ (٥) وقوله ﷺ ﴿قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ﴾ (٦) ونحو ذلك.

وقال السائل: أفيدونا عن اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١) " الدرر السنينة" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ١٩٨).

(٢) " الدرر السنينة" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٩٩)، وانظر: (عنوان المجد" ج ٢، ص ٢٢ -

٢٣)، والذي كتب إليه هو ابن بشر.

(٣) سورة طه آية : ٥ .

(٤) سورة الفتح آية : ١٠ .

(٥) سنن أبي داود : كتاب السنة (٤٧٣٣).

(٦) صحيح مسلم : كتاب القدر (٢٦٥٤) ، وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (١٩٩) وكتاب

الدعاء (٣٨٣٤) ، ومسند أحمد (١٦٨/٢).

رحمه الله تعالى في ذلك؟ وكيف مذهبه ومذهبكم من بعده؟ هل تمرّون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه؟ أم تؤولون؟ وابتسطوا الكلام على ذلك، وأجيبوا جوابا شافيا؛ تغتنموا أجرا وافيا.

فأجاب بما نصه: الحمد لله رب العالمين، قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك ما قاله الله ورسوله وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين؛ فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل نؤمن بأن الله سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)؛ فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته، ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا)؛ فهو سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ؛ من غير تكييف ولا تمثيل؛ خلافا للمشبهة، ومن غير تحريف ولا تعطيل؛ خلافا للمعطلة.

فمذهبنا مذهب السلف: إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام؛ كمالك والشافعي والثوري والأوزاعي وابن المبارك والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم؛ كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل

ابن عبد الله التستري، وغيرهم؛ فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة رضي الله عنه؛ فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لا يتجاوز القرآن والحديث. وهكذا مذهب سائرهم؛ كما سننقل عباراتهم بألفاظها إن شاء الله تعالى.

ومذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون؛ فإنه يصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين، الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن؛ نفيًا وإثباتًا، وهم أشد تعظيمًا لله، وتنزيهاً له عما لا يليق بجلاله" ^(١) انتهى.

ثم إن الشيخ حمد بن ناصر رحمه الله أطال في هذا الموضوع إطالة وافية، ونقل عبارات السلف بألفاظها، وأفاض في نقل الأدلة وشرحها عن السلف الصالح، وفي كل ذلك يقول: (هذا اعتقاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب" ^(٢) ويقع جوابه في خمس وخمسين صفحة من القطع الوسط وبالحرّف المعتاد" ^(٣) وهو جواب مفيد، وفي

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٧ - ٢٠٨).

(٢) انظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، ص ٢٠٨، ٢١٧، ٢٣٥).

(٣) يقع في "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٣، من ص ٢٠٧ - ٢٦٢).

غاية الأهمية؛ على طوله وبسطه؛ أسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته أن ييسر إفراده بالطبع والنشر مع الدراسة والتخريج لينتفع به المسلمون عاجلاً غير آجل.

والخلاصة أن الشيخ رحمه الله يعتقد أن الله تعالى واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، له الأسماء الحسنى وصفات الكمال، لا سمي له ولا مثيل، الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فعال لما يريد، وهو رب العالمين، لا شريك له ولا معين، ولا ظهير ولا شفيع، لا يشفع عنده أحد إلا من أذن له وارتضى شفاعته.

وبهذا القدر يتم هذا الجانب من عقيدة الشيخ فيما يثبت لله تعالى من الأسماء والصفات، وما ينزه الله عنه من العيوب والنقص ومماثلة المخلوقات، وهذا هو المقام الخبري العلمي، أحد مقامي الكلام على التوحيد، وهو البرهان والدليل والمستلزم للمقام الثاني، مقام الإنشاء العملي الطلي، والذي هو إفراد الله بالعبادة بجميع أنواعها.

وفيما يلي بيان ذلك من عقيدة الشيخ رحمه الله تعالى في التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

توحيد الإلهية والعبادة :

الكلام في توحيد الإلهية من باب الطلب والإرادة، الدائر بين

المحبة والكرهية؛ نفيا وإثباتاً^(١).

وفي هذا الباب يعتقد الشيخ رحمه الله: أن التوحيد ينبني على أن الله واحد في ألوهيته، لا إله حق إلا هو، وألوهية الله تعالى هي مجموع عبادته على مراده نفيا وإثباتا، علما وعملا، جملة وتفصيلا^(٢).

وحاصل ما يقول الشيخ في تعريف هذا التوحيد: أن التوحيد اسم لفعل العبد المأمور به، فإن كانت أعماله التعبديّة كلها لله وحده؛ فهو موحد، وإن كان فيها شرك للمخلوق؛ فهو مشرك^(٣).

فالتوحيد هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة، لا يشركه فيها أحد، ولا يستحق العبادة أحد إلا الله؛ فعبادة الله خالصة له، لا يستحق شيئا منها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

ويقول الشيخ في "تلخيصه" عن ابن تيمية رحمه الله: "إذا كان الكلام في سياق التوحيد ونفي خصائص الرب عما سواه؛ لم يجوز أن يقال: هذا سوء عبارة في حق من دون الله من الأنبياء والملائكة؛ فإن المقام أجل من ذلك، وكل ما سوى الله يتلاشى عند تجريد توحيد، والنبي ﷺ كان من أعظم الناس تقريرا لما يقال على هذا الوجه، وإن كان هو المسلوب؛ كما قالت عائشة لما أخبرها ببراءتها: "والله لا أقوم إليه ولا أحمد ولا أحمد إلا الله"، وفي لفظ: "بحمد الله لا

(١) انظر: أول "التدمرية" (الصفحة الأولى) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٥، ص ١٧٤).

(٣) "الدرر السنينة" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٩٧، ج ٢، ص ٤٢-٤٣) .

بحمدك"، فأقرها ﷺ وأبوها على ذلك؛ لأن الله سبحانه الذي أنزل براءتها بغير فعل أحد؛ قال حيان: قلت لابن المبارك: إني لأستعظم هذا القول. قال: ولت الحمد أهله. وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد قول الأسير: اللهم إني أتوب إليك، ولا أتوب إلى محمد. قال: "عرف الحق لأهله". وكان يعلم أصحابه تجريد التوحيد، فقال: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد"، وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: "أجعلتني لله ندا؟! بل ما شاء الله وحده"، وما أحدثه الله بغير فعل منه أضافه إلى الله وحده؛ كما قال لكعب بن مالك لما قال له: أمن عندك أم من عند الله؟ قال: "بل من عند الله". ومعلوم أنه لو كان من عند النبي ﷺ؛ لكان من عند الله؛ بمعنى أنه خلقه، فجميع الحادثات من عنده بهذا الاعتبار، ولكن المقصود أنه ﷺ لم يصدر عنه فعل في هذه التوبة إلا أنه بلغ الرسالة^(١).

ويعتقد الشيخ أن الله أمر جميع الناس بتوحيد الله في العبادة والإلهية بجميع أنواعها، ونهاهم عن ضد هذا التوحيد، والدليل قوله تعالى:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٢).

وقال تعالى:

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠٩، ص ١٠٤).

(٢) سورة النساء آية: ٣٦.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾^{(١)(٢)}.

وهو أعظم ما أمر الله به وفرض وأوجب؛ كما أن أعظم ما حرم الله ونهى عنه هو ضده الشرك؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾^(٣).

قال ابن مسعود: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه؛ فليقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾^(٤) إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾^(٥) الآية". وهذا الأثر رواه الترمذي، وحسنه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني؛ بنحوه.

قال الشيخ: "فيه عظم شأن الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف"^(٦).

وكذلك الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها اثنتا عشرة مسألة، بدأها الله بقوله:

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخَذُولًا ﴾^(٧).

(١) سورة الإسراء آية : ٢٣ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٧ - ١١، وثلاثة الأصول، ص

١٨٦ - ١٨٧، ثلاث مسائل، ص ٣٧٤) .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد، ص ٨ - ٩) .

(٧) سورة الإسراء آية : ٢٢ .

وفيها قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^(١) .
وختمها بقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾^(٢) .

ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾^(٣) .

ولحديث معاذ: ﴿ كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: "يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟". قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً". قلت: يا رسول الله! أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلموا" ^(٤) أخرجاه في "الصحيحين" .

قال الشيخ: "وفي هذا أن العبادة هي التوحيد، وأن من لم يأت به؛ لم يعبد الله؛ ففيه معنى قوله: ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾^(٥) .
ويقرر الشيخ أن إفراد الله بالعبادة هو التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو أصل الدين، وهو الذي خلق الله الثقلين الجن والإنس من أجله؛ كما قال تعالى:

(١) سورة الإسراء آية : ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٣٩ .

(٣) سورة الإسراء آية : ٣٩ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير (٢٨٥٦) .

(٥) سورة الكافرون آية : ٣ .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) .

وهو الذي أرسل الله به الرسل، وأنزل من أجله الكتب، وفرض من أجله الجهاد، وشرع منه شريعة الإسلام؛ قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ ﴾^{(٢)(٣)} .

ويقول رحمه الله: "اعلم رحمك الله أن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل التوحيد، فإذا لم يفعله الإنسان ويجتنب الشرك؛ فهو كافر، وكل أعماله حابطة، ولو كان من أعبد هذه الأمة، يقوم الليل ويصوم النهار؛ قال الله تعالى في الأنبياء:

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤) .

وتصير عبادته كلها كمن صلى ولم يغتسل من الجنابة، أو كمن يصوم في شدة الحر وهو يزني في أيام الصوم"^(١).

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٣) "مؤلفات الشيخ"، (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧-٩، ١٤، ٢٠-٢٢، ثلاثة الأصول، ص ١٨٦، ومفيد المستفيد، ص ٢٩٢، وستة أصول، ص ٣٩٣، وكشف الشبهات، ص ١٧٢، وص ٣٨١، ومعنى الطاغوت، ٣٧٦، ٣٥٣-٣٥٥، والقسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص ٣٠، والفتاوى رقم ١٢، ص ٥٢-٥٣، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٨، ص ١٨٩) .

(٤) سورة الأنعام آية : ٨٨ .

أما فضله ؛ فهو فضل عظيم، وثواب كثير، ويكفر الذنوب، كما روى الأحوذى وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ قال الله تعالى: يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا؛ لأتيتك بقرابها مغفرة ﴾^(٢) وكما في حديث عتبان: ﴿ فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله ﴾^(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

قال الشيخ : "إذا عرفت حديث أنس؛ عرفت أن قوله في حديث عتبان: ﴿ فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله ﴾^(٤) ؛ أنه ترك الشرك؛ ليس قولها باللسان"^(٥).

ويقول الشيخ في "تلخيصه مسائل عن ابن تيمية" رحمه الله: "تواترت الأحاديث بخروج من قال: لا إله إلا الله من النار إذا كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها، وتواترت أنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، لكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين و [أن] يموت عليها؛ فكلها مقيدة بهذه القيود الثقيل، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك؛ يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، وغالبهم إنما يقولها تقليدا أو عادة، وغالب ما يفتن عند الموت أو في القبر أمثال

(١) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٦٩ - ٧١، وص ٩٢ - ٩٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧، ٩، وص ١٨٦، وص ٣٧٠، ٣٧١، وص ٣٧٤ - ٣٧٥، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢، ص ١٦، ورقم ٥، ص ٣٦، ورقم ٢٢، ص ١٥٠ - ١٥٦).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الدعوات (٣٥٤٠).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٤٢٥) وكتاب الجمعة (١١٨٦) وكتاب الأطعمة (٥٤٠١)، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٣).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٤٢٥) وكتاب الجمعة (١١٨٦) وكتاب الأطعمة (٥٤٠١)، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٣).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤).

هؤلاء، كما في الحديث: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(١) الآية.

فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين ومات عليها؛ امتنع أن ترجح سيئاته، فإن كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر، فهو غير مصر على ذنب، وإن كان على وجه خلص به من الأكبر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك؛ فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات، فترجح بها الحسنات؛ كما في حديث البطاقة، وهذا خلاف من رجحت سيئاته؛ لأن معه الشرك الأصغر، وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك، فترجح سيئاته؛ فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلم بها كالهادي أو النائم أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق ولا طعم ولا حلاوة، فالذي قالها بيقين وصدق تام؛ إما ألا يكون مصراً على سيئة، أو يكون توحيد المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته، والذين دخلوا النار؛ فاتهم أحد الشرطين"^(٢).

وعلى هذا؛ فمن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب؛ كما

(١) سورة الزخرف آية : ٢٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ"، (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٨٧، ص ٧٠ - ٧١).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

وكما في حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في عرض الأمم على النبي ﷺ ومنهم أمته، وفي أمته سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم الذين حققوا التوحيد؛ بتركهم الاسترقاء، والاكتواء، والتطير؛ متوكلين على الله تعالى، والحديث رواه البخاري مطولا ومختصرا ومسلم والنسائي والترمذي (٣).

ولهذا يبين الشيخ أهمية هذا التوحيد، وأن معرفته أهم من معرفة العبادات كلها، حتى الصلاة (٤) وهو متضمن للتوحيد كله. فمن أتى بهذا التوحيد، فوحد الله في ألوهيته وعبادته؛ فقد وحد الله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وربوبيته؛ لأن الله استعبد خلقه

(١) سورة النحل آية : ١٢٠.

(٢) سورة المؤمنون آية : ٥٩.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، وباب فضل التوحيد، وباب من حقق التوحيد، ص ٧-١٧، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٧٨، والقسم الرابع، التفسير، آخر الكهف، ص ٢٦٠، والأنعام، ص ٥٨، ومختصر زاد المعاد، ص ٧٦، ٧٧، ص ٣٧٧، والقسم الثالث، الفتاوى، ص ٥٠).

(٤) "الدرر السننية" (ج ١، ص ٩٣).

بالألوهية الجامعة لصفات الكمال، فمن شهد أن لا إله إلا الله بصدق، فقد وحد الله تعالى التوحيد كله، أما من أقر بوحدانية الله تعالى في ربوبيته، وعبد الله وتألوهه، لكن لم يوحد الله في التأله والعبادة؛ أي أنه يعبد الله ويعبد معه غيره؛ فهو لم يأت بتوحيد الألوهية، ولم يشهد أن لا إله إلا الله؛ فهو وإن دعاها وتلفظ بها؛ فهو كاذب، بدليل شركه في العبادة والألوهية.

يقول الشيخ في تفسير قوله الله تعالى: ﴿مَنْ نَقَضَ عَلَيْهِمْ ذَبًا أَلَّهْم بِالْحَقِّ

إِنَّهُمْ فِي يَدَيْهِ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَابَلُوكَ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوكَ مِنْ نُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا هَؤُلَاءِ لِقَوْمٍ اخْتَلَفُوا مِنْ نُونِهِ إِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كُنُوزًا ذَاتَ عُرْسٍ وَمَا يُعْجِبُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأُتُوا إِلَى الْكَهْفِ يَشْرِكُكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ زَهْمَتِهِ وَيَهْتِكُكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١﴾ .

"فيه مسائل". ثم ذكرها، ومنها الثامنة والتاسعة؛ قال: "الثامنة: المسألة

الكبرى: أن من ذبح لغير الله أودعا غيره؛ فقد كذب بقول: لا إله إلا الله،

وقد دعا إلهين اثنين، واتخذ ربين. التاسعة: المسألة العظيمة المشكلة على

أكثر الناس؛ أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا

(١) سورة الكهف آية: ١٣-١٦.

حقا كارها لموافقته؛ فقد كذب في قول: لا إله إلا الله، واتخذ إلهين اثنين، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها"^(١).

وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ للحديث الذي رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ من مات وهو يدعو من دون الله ندا؛ دخل النار ﴾^(٢).

قال الشيخ: " فيه تفسير لا إله إلا الله؛ كما ذكره البخاري"^(٣).

فإن هذه الكلمة (لا إله إلا الله) نفي وإثبات: نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المخلوقات، حتى من المرسلين البشر، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وحتى من الملائكة وجبريل عليهم وعلى جميع المرسلين الصلاة والسلام، فضلا عن غيرهم من الأنبياء والصالحين وسائر المخلوقات، وإثباتها بجميع أنواعها كلها لله وَعَزَّ وَجَلَّ وحده لا شريك له^(٤).

فإن (لا) في قولك: "لا إله إلا الله": هي النافية للجنس؛ تنفي

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الكهف، ص ٢٤٣).

(٢) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن (٤٤٩٧).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٨-١٩، و ص ٢٢)، و "الدرر السنية" (ج ٢، ص ١٦-١٧).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد، ص ٣٦٣-٣٦٤، ومعنى الطاغوت، ص ٣٧٨)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٤٥، و ص ٥٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٨، ص ١٨٧)، "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تلقين أصول العقيدة للعامة، ص ٣٧١).

جميع الآلهة.

و (إلا) حرف استثناء يفيد حصر جميع العبادة على الله عز وجل؛ كما أنه لا شريك له في ملكه.

و (الله) هو المعبود، هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، وهو المقصود المدعو المرجو المخوف.

و (الإله): اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، وهو الله تعالى، الذي لا تصلح العبادة إلا له.

ومعنى (التأله): التعبد.

و(الإلهية): العبودية.

وإلهية الله: هي مجموع عبادته على مراده؛ نفيًا وإثباتًا، علما وعملا، جملة وتفصيلا^(١).

وتوحيد الإلهية : هو إخلاص جميع العبادة لله؛ من المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والدعاء، وجميع العبادات؛ ظاهرها وباطنها، لله تعالى وحده، لا شريك له، وأن لا يجعل شيء من العبادات لغير الله؛ لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلا عن

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٥-١٠٦)، ورقم ١٩، ص ١٢٤-١٢٥، والقسم الرابع، التفسير، ص ١٢، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٥، ص ١٧٤، ورقم ٢٨، ص ١٨٧، ورقم ٢٤، ص ١٦٧)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٧، وثلاثة الأصول، ص ١٩٠)، و "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٣).

غيرهما^(١).

قال الشيخ: " اعلم رحمك الله أن معنى لا إله إلا الله نفي وإثبات، (لا إله): نفي، (إلا الله): إثبات؛ تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع؛ النفي: الآلهة والطواغيت والأنداد والأرباب؛ فالإله: ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضرر، وما قصدته كذلك؛ فأنت متخذه إلهًا، والطواغيت: من عبد وهو راض، أو ترشح للعبادة، والأنداد: ما جذبك عن دين الإسلام من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال؛ فهو ند؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾^(٢).

والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته؛ لقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٣).

وتثبت أربعة أنواع: القصد: كونك ما تقصد إلا الله، والتعظيم والمحبة؛ لقوله ﷻ

(١) انظر: "إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد" تأليف الشيخ حمد بن عتيق (الطبعة الثالثة، ص ٧).

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٥.

(٣) سورة التوبة آية : ٣١.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾^(١) .

والخوف والرجاء؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ^ط وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ^ج يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ^ج وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٢) .

والبراءة من الشرك وأهله؛ كما فعل إبراهيم؛ كسر الأصنام، وتبرأ من عبادة؛ قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ ﴾^(٣) .

هذا ما تنفيه وتثبته كلمة لا إله إلا الله^(٤).

فلا إله إلا الله تجمع الدين كله، والأعمال الصالحة الخالصة كلها من لا إله إلا الله^(٥) ولذا كانت لا إله إلا الله: كلمة التوحيد،

(١) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(٢) سورة يونس آية : ١٠٧ .

(٣) سورة الممتحنة آية : ٤ .

(٤) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٦٢)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٩، ص ١٢٤، ورقم ٧، ص ٤٤، ٤٦، والقسم الأول، التوحيد، ص ٣٣).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٨، ص ١٢٢، ورقم ٢٢، ص ١٥٤، والقسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٩٦).

وكلمة الفرقان؛ الفارقة بين الكفر والإيمان، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، وشعار الحنيفية ملة إبراهيم، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، والتي خلقت لأجلها المخلوقات، وبها قامت الأرض والسموات، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب. فمن قالها؛ لا بد أن يأتي بحقها، وهو العمل بمقتضاها، ومعاداة من خالفها، وإن كانوا من القرابة؛ فإن أبا طالب لم يمتنع من قول لا إله إلا الله؛ إلا من أجل ملة عبد المطلب؛ لأنه لو قالها؛ لكان معنى ذلك البراءة من آبائه.

ولذا؛ يقول الشيخ في المسائل من باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(١) من "كتاب التوحيد": (فيه المسألة الكبرى، وهي تفسير قوله: "قل لا إله إلا الله"؛ بخلاف ما عليه من يدعي العلم"^(٢)). يشير بذلك إلى أن من يدعي العلم وهو ليس عالما يرى أن قول: لا إله إلا الله: ولاء من غير براء، وهذا خلاف مراد النبي ﷺ منها وفهم أبي طالب لها.

ولذا كان أصل ديننا وأوله وآخره وأسه ورأسه هو شهادة أن لا إله إلا الله، ومعرفة معناها، ومحبة أهلها، وجعلهم إخواننا، ولو كانوا

(١) سورة القصص آية : ٥٦ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت . . .)، ص ٥٥).

بعيدين، والكفر بالطواغيت، وهم الذين يناقضونها، ومعاداتهم، وبغضهم، وبغض من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال: ما علي منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم؛ فقد كذب هذا على الله وافترى؛ لأن الله تعالى كلفه بهم، وافترض عليه الكفر بهم، والبراءة منه، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم^(١).

نعم؛ فليس المراد من قوله: لا إله إلا الله: قولها باللسان مع الجهل بمعناها؛ فالمنافقون يقولونها، وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته؛ كما قال النبي ﷺ **﴿ من قال: لا إله إلا الله؛ مخلصا ﴾**^{(٢)(٣)} وفي رواية: **﴿ خالصا من قلبه ﴾**^{(٤)(٥)} وفي رواية: **﴿ صادقاً من قلبه ﴾**^{(٦)(٧)} وفي حديث آخر:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد، ص ٣٦٣، ٣٦٨)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٢ - ٥٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٤، ص ٩٦، ووقم ٢٣، ص ١٦٣، والقسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٧، ومسائل الجاهلية، ص ٣٤٢، ٣٥١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم (٩٩) وكتاب الصلاة (٤٢٥) وكتاب الجمعة (١١٨٦) وكتاب الأطعمة (٥٤٠١) وكتاب الرقاق (٦٥٧٠)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٣) وكتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٣)، وسنن الترمذي: كتاب الدعوات (٣٤٣٠)، ومسند أحمد (٣٧٣/٢، ٤٦٦/٣، ٤١١/٤، ٣٩١/٥).

(٣) رواية: "مخلصاً": هي في "مسند الإمام أحمد" (ج ٢/٣٠٧ و ٥١٨، ج ٤/٤٤، ج ٥/٢٣٦).

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم (٩٩).

(٥) رواية: "خالصاً من قلبه أو نفسه": هي في "صحيح البخاري" (ج ١، كتاب العلم، باب ٣٣، ص ٣٣).

(٦) سنن الترمذي: كتاب فضائل الجهاد (١٦٥٤)، ومسند أحمد (١٦/٤، ٤٤/٤).

(٧) ٢٢٩/٥، وسنن الدارمي: كتاب الجهاد (٢٤٠٧).

(٧) رواية: "صادقاً من قلبه": هي في "مسند أحمد" بلفظ: "صادقاً بها" (ج ٤/٤٠٢، ٤١١).

﴿ من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله ﴾^(١)... إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على المراد منها رغم جهالة أكثر الناس بذلك^(٢). والعجب أن الكفار الجهال على زمن رسول الله ﷺ يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه، واتباع رسول الله ﷺ بذلك؛ فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾^(٤).

والإله عندهم هو الذي يقصد لأجل الدعاء أو النذر أو الذبح أو الاستغاثة أو غير ذلك من أنواع العبادة؛ يريدون بذلك شفاعاة المقصود، والتقرب إلى الله بهذا العمل التعبدية؛ فالإله عند هؤلاء العرب هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا، ولم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر؛ فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده؛ كما تقدم.

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٣).

(٢) رواية: "من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله": هي في "صحيح مسلم"، (كتاب الإيمان، ج ١، ص ٥٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد، ص ٣٦٣)، وانظر: (كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، ص ١٢ - ١٤، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٠ - ٢٣، وباب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٤ - ٢٦، وباب ما جاء ص ٩٨، وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ص ١٠٠، وباب من حقق التوحيد، ص ١٥ - ١٧، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٣، ص ١٦٢).

(٤) سورة ص آية : ٥.

وأعجب العجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله؛ فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله^(١).

وتقدم قبل قليل إشارة إلى هذا^(٢).

يقول الشيخ بعد أن ذكر قصة موت أبي طالب على ملة عبد المطلب وحضور أبي جهل: ذلك أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: ﴿ قل: لا إله إلا الله ﴾^(٣) فبجح الله من أبي جهل أعلم منه بأصل الإسلام^(٤).

وبعقد الشيخ بابا كبيرا في "كتاب التوحيد" ترجمته: "باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله"، أورد تحته نصوصا من الوحي يفسر بها ترجمة الباب، ثم قال: "وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب"، فجعل ما بعده من أبواب - وتبلغ واحدا وستين بابا - هي في بيان شيء من أفراد التوحيد، وبيان ضده، وشيء من أفراد ضده أو ضد كماله، وبراهين بطلان الشرك، وإمكان وقوعه، وأسبابه؛ شرحا لهذه

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٧، ١٥٨)، و "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٦٩ - ٧١) .

(٢) انظر: (٥٧٢/١).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنائز (١٣٦٠) وكتاب المناقب (٣٨٨٤) وكتاب تفسير القرآن (٤٦٧٥، ٤٧٧٢) وكتاب الأيمان والنذور (٦٦٨١) ، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٤، ٢٥، ٢٥، و سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن (٣١٨٨) ، و سنن النسائي: كتاب الجنائز (٢٠٣٥) ، ومسنند أحمد (٤٣٤/٢، ٤٤١/٢، ٤٣٣/٥).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت. . .)، ص ٥٥).

الترجمة.

ومن النصوص المفسرة للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله التي أوردتها الشيخ تحت هذا الباب قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾^(١).

وفي هذه الآية بين الله تعالى فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين بأن دعاءهم إياهم هذا هو الشرك الأكبر؛ حيث قال سبحانه قبلها: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴿٥٧﴾﴾^(٢).

وأورد الشيخ تحت ذلك الباب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾﴾^(٣).

وقال الشيخ: "قول الخليل للكفار: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾﴾ إِلَّا

الَّذِي فَطَرَنِي ﴿٦٧﴾﴾^(٤) فيه أنه استثنى من المعبودين الله ربه، وذكر الله

(١) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٥٦ .

(٣) سورة الزخرف آية : ٢٦ .

(٤) سورة الزخرف آية : ٢٦ .

سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاتة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١).

وأورد الشيخ تحت الباب أيضا قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ

أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ (٢).

ثم يقول: "في هذه الآية بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم".

وكذلك أورد الشيخ في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٣).

قال الشيخ: "إن هذه في الكفار الذين قال الله فيهم: (وما هم بخارجين من النار)؛ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما، ولم يدخلهم في الإسلام؛ فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟!".

(١) سورة الزخرف آية : ٢٨ .

(٢) سورة التوبة آية : ٣١ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

وأورد الشيخ من نصوص تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ما في "صحيح مسلم" عن النبي ﷺ؛ أنه قال: ﴿ من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ ﴾^(١) صحيح مسلم (كتاب الإيمان، ج ١، ص ٥٣).

قال الشيخ: "قوله ﷺ ﴿ من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ ﴾^(٢) هذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف؛ لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه ! وحجة ما أقطعها للمنازع !"^(٣) انتهى.

وفي "ثلاثة الأصول" أضاف في تفسير لا إله إلا الله قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَأْتِهَلَّ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، ص ٢٤ - ٢٦، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٢، ص ١٥٤)، و "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٤٤)، "هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٠).

مَنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ (٢).

ومن عبد شيئاً غير الله؛ فقد اتخذها إلهاً من دون الله.

فإن بني إسرائيل لما اعتقدوا في عيسى بن مريم وأمه؛ قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيٰ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَال سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّٖٓ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عٰلَمُ الْغُيُوبِ ﴿٣﴾ .

ففي هذا دليل على أن من اعتقد في مخلوق لجلب منفعة أو دفع مضرة؛ فقد اتخذها إلهاً، فإذا كان الاعتقاد في الأنبياء هذا حكمه؛ فما دونهم أولى، وأيضا؛ فإن من تبرك بحجر أو شجرة أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بأصحابها أو بالحجر والشجر؛ فقد اتخذها آلهة، والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبي ﷺ ﴿ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؛ يريدون بذلك التبرك؛ قال: الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: " اجعل لنا إلهة كما لهم إلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبعيكم إلهها وهو فضلكم على العالمين " ﴿ .

(١) سورة آل عمران آية : ٦٤ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ١٩).

(٣) سورة المائدة آية : ١١٦ .

فمثل قول الصحابة في ذات أنواط بقول بني إسرائيل، وسماه إلهًا؛ ففي هذا دليل على أن من فعل شيئًا مما ذكر؛ فقد اتخذ إلهًا، وجميع ذلك باطل؛ إلا إله واحد، وهو الله وحده تبارك وتعالى علوا كبيرا، كما هو معنى لا إله إلا الله^(١).

وقال الشيخ: "إذا فهمت ذلك؛ فتأمل الألوهية التي أثبتها الله لنفسه، ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال ذرة من خردل، فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية، والإله معناه الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقير، والشيخ تسميه العامة السيد، وأشبه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله؛ فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم هم الذين يسميهم الأولون الآلهة، والواسطة هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلا الله: إبطال للوسائط...

إذا عرفت هذا، عرفت معنى: لا إله إلا الله، وعرفت أن من دعا نبيا أو ملكا أو جنيا أو ند به أو استعاث به أو نذر له أو ذبح، فقد خرج

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٦٣ - ٦٥) بتصرف قليل وتقديم وتأخير، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٢).

من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ^(١).
ويفسر الشيخ قوله: "والإله معناه الولي الذي في السر"، فيقول في جواب له عن سؤال وجه إليه رحمه الله تعالى: "إن الإله الذي فيه السر؛ فمعلوم أن اللغات تختلف؛ فالمعبود عند العرب والإله الذي يسميه عوامنا السر؛ لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضرر، وكونه يصلح أن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه، فإذا قال رسول الله ﷺ ﴿ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ﴾^(٢) وسأل بعض العامة: ما فاتحة الكتاب؟ ما فسرت له إلا بلغة بلده، فتارة تقول هي فاتحة الكتاب، وتارة تقول: هي أم القرآن، وتارة تقول: هي الحمد... وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد، ولكن إن كان السر في لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم؛ فهذا وجه الإنكار، فبينوا لنا"^(٣).

ويقول رحمه الله: "ومن أفرض عبادته عليك معرفة لا إله إلا الله علما وقولا وعملا، والجامع لذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾^(٤)".

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد، ص ٣٦٤ - ٣٦٦،
والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٩، ص ١٢٥، ورقم ٧، ص ٤٤، ٤٦)، و "الدرر
السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٦١)، "فرض معرفة الشهادة" (ص ٦٣ - ٦٤، اعلم
أرشدك الله).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان (٧٥٦)، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة (٣٩٤)،
وسنن الترمذي: كتاب الصلاة (٢٤٧)، وسنن النسائي: كتاب الافتتاح (٩١٠، ٩١١)،
وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (٨٢٢)، ومسند أحمد (٣١٤/٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٧٦).

(٤) سورة آل عمران آية: ١٠٣.

وقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾^(١) .
فاعلم أن وصية الله لعباده هي كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام؛ فعند ذلك افترق الناس؛ سواء جهلا أو بغيا أو عنادا، والجامع لذلك اجتماع الأمة على وفق قول الله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾^(٢) .

وقوله: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُحَّانَ لِلَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣) .

فالواجب على كل أحد إذا عرف التوحيد وأقر به: أن يحبه بقلبه، وينصره بيده ولسانه، وينصر من نصره ووالاه، وإذا عرف الشرك وأقر به: أن يبغضه بقلبه، ويخذله بلسانه، ويخذل من نصره ووالاه باليد واللسان والقلب؛ هذه حقيقة الأمرين؛ فعند ذلك يدخل في سلك من قال الله فيهم: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾^(٤) .

(١) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٢) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٣) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

وفيما قدمنا يتبين أن المراد من قول: لا إله إلا الله: هو قولها باللسان وبالقلب وبالأركان؛ تطبيقاً لمعناها، وعملاً بمقتضاها، وهذا ما يقرره الشيخ^(١).

ويقرر الشيخ أن الخلاف بين الرسل وأعدائهم ليس في أصل العبادة، ولكن في توحيد العبادة، وذلك في مثل قولهم: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾^(٢)^(٣).

ولذلك عادى المشركون رسول الله ﷺ؛ كما هي سنة الله تعالى الحكيمة.

قال الشيخ: "اعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد؛ إلا جعل له أعداء؛ كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾^(٤).

(١) انظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٦٢ - ٦٣)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، قصة موسى وفرعون، ص ٢٩٥، والقسم الأول، مسائل الجاهلية، ص ٣٤١، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٩، ص ١٢٤، ورقم ٢٠، ص ٣٦ - ١٣٩)، و "الدرر السنية" (ج ٢، ص ٤٤ - ٤٥، وص ٥٣).

(٢) سورة الأعراف آية : ٧٠.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ١٠٤).

(٤) سورة الأنعام آية : ١١٢.

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب، وحجج؛ كما قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾^(١).

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج؛ فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك وَعَجَلٌ : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٢) ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ^ط وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾^(٣).

ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبياناته؛ فلا تخف، ولا

تحزن:

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾^(٤).

والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين؛

كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾^(٤).

(١) سورة غافر آية : ٨٣.

(٢) سورة الأعراف آية : ١٦.

(٣) سورة النساء آية : ٧٦.

(٤) سورة الصافات آية : ١٧٣.

فوجد الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله: ﴿ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً وَنُذِرَى لِّلْمُسلِمِينَ ﴾^(١).

فلا يأتي صاحب باطل بحجة؛ إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾^(٢).

قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة"^(٣).

ويقرر الشيخ أن هذا التوحيد لا يدرك إلا بالتعلم والتفقه في الدين عن طريق الرسول محمد بن عبد الله ﷺ المتصل بالتواتر أو بالرواية الصحيحة والحجة؛ فهو من العلم الذي لا يدرك إلا بالوحي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ والبصيرة في ذلك من أعظم الفرائض؛ كما قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَا سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُجَّانَ لِلَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^{(٤)(٥)}.

(١) سورة النحل آية : ٨٩ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٣٣ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٩ - ١٦٠) .

(٤) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٥) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢٠ - ٢١) .

ولا بد من التحرز العظيم من ضده؛ لأن فائدة ذلك تصحيح التوحيد، ولذا؛ فإن رسول الله ﷺ كان يحقق التوحيد، ويعلمه أمته، وجاء بحماية جناب التوحيد، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك بالأدب والعلم والتحفظ في الأقوال والأعمال والاعتقاد، حتى أبعد أمته عن هذا الحمى غاية البعد، ونهاهم عن كل قول يفضي إلى الغلو:

كما في حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه؛ قال: ﴿ انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا؟ قال: "السيد الله تبارك وتعالى". قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظما طولاً؟ فقال: "قولوا بقولكم (أو ببعض قولكم)، ولا يستجرينكم الشيطان" ^(١) رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه؛ ﴿ أن ناسا قالوا: يا رسول الله ! يا خيرنا وابن خيرنا! وسيدنا وابن سيدنا! فقال: "يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله عزوجل" ^(٢) رواه النسائي بسند جيد ^(٣).

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب (٤٨٠٦).

(٢) مسند أحمد (٢٤٩/٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا

الله، ص ٢١، وباب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، ص ١٤٦ - ١٤٧)، و"مفيد

المستفيد" (ص ٢٩٢ - ٢٩٣).

ونهى ﷺ أن يقول قائل: عبدي وأمتي؛ كما في "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لا يقل أحدكم: أطمع ربك، وضئ ربك. وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي ﴾^(١) وهذا من تحقيق التوحيد، حتى في الألفاظ^(٢).
﴿ وقال ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت: "أجعلني لله ندا؟! بل ما شاء الله وحده" ﴾ رواه النسائي .

وقد أمر النبي ﷺ من أراد أن يحلف أن يقول: ورب الكعبة؛ بدلا من الحلف بها، وأن يقول: ﴿ ما شاء الله ثم شئت؛ بدلا من أن يقول: ما شاء الله وشئت. ﴾^(٣) رواه النسائي وصححه .

ونهى عن الحلف بغير الله.
وقال: ﴿ من حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك ﴾^(٤) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم^(٥).

ونهى رسول الله ﷺ عن الأعمال التي تفضي إلى الشرك؛ مثل

(١) صحيح البخاري : كتاب العتق (٢٥٥٢) ، وصحيح مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٩) ، ومسنند أحمد (٣١٦/٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب لا يقول عبدي وأمتي ، ص ١٢٧ ، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢٢ - ١٢٤ ، وص ١٥٦ - ١٥٧).

(٣) سنن النسائي : كتاب الأيمان والنذور (٣٧٧٣) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الكفارات (٢١١٧) ، ومسنند أحمد (١/٢٢٤ ، ٥/٣٨٤ ، ٥/٣٩٤ ، ٥/٣٩٨) ، وسنن الدارمي :

كتاب الاستئذان (٢٦٩٩).

(٤) سنن الترمذي : كتاب النذور والأيمان (١٥٣٥).

(٥) القسم الأول، العقيدة، باب قول ما شاء الله وشئت، ص ١١٢ - ١١٣ ، وباب قول الله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا)، ص ١٠٩ ، (١١٠)، و"مفيد المستفيد" (ص ٢٩٢).

ما رواه أبو داود بإسناد حسن - قال الشيخ: "ورواته ثقات" - عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ﴾^(١).

وهذا من تحقيق التوحيد في الأعمال.

وقال صلى الله عليه وسلم في مرض موته: ﴿ لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾^(٢)؛ يحذر ما صنعوا.

وقال: ﴿ اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ﴾^(٣).

وقال الشيخ فيما نقله عن ابن تيمية: "ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره؛ أنه لا يتمسح بحجرته، ولا يقبلها؛ لأنه إنما يكون ذلك لأركان بيت الله؛ فلا يشبه بيت المخلوق بيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه، ولا يغفر لمن تركه؛ كما قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٤) الآية.

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم...)، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة ﴾^(٥) والإله:

(١) سنن أبي داود: كتاب المناسك (٢٠٤٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز (١٣٣٠، ١٣٩٠)، وكتاب المغازي (٤٤٤١)، وصحيح مسلم

: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٩، ٥٣٠)، وسنن النسائي: كتاب الجنائز (٢٠٤٧)،

ومسند أحمد (٢١٨/١، ٢٨٤/٢، ٣٦٦/٢، ٤٥٣/٢، ٥١٨/٢، ١٨٤/٥، ١٨٦/٥، ٢٠٣/٥،

٣٤/٦، ١٢١/٦، ٢٥٥/٦)، وموطأ مالك: كتاب الجامع (١٦٥٠).

(٣) مسند أحمد (٢٤٦/٢)، وموطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٤١٦).

(٤) سورة النساء آية: ٤٨.

(٥) سنن أبي داود: كتاب الجنائز (٣١١٦).

هو الذي تأله القلوب عبادة له، واستغاثة به، ورجاء له، وخشية وإجلالا" (١) .

ويقرر الشيخ أن من عرف أحوال المشركين القدامى (٢) والأمر الذي صاروا به مشركين، وهو دعاؤهم غير الله؛ طلبا للزلفى والشفاعة عند الله، وعرف حالة أكثر الناس؛ تبين له صفة الإسلام الذي دعا إليه نبينا محمد ﷺ وتبين له أن كثيرا من الناس عنه بمعزل، وتبين معنى قوله ﷺ : ﴿

بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ﴾ (٣) .

لذلك كان تعلم هذه المسألة العظيمة من أعظم الواجبات الشرعية؛ كيف لا وهي حق الله على العبيد، أهم الأمور؟!
والصحابا رضي الله عنهم لم يعرفوا هذه الكلمة إلا بعد التعلم، ومن الشرك أشياء ما عرفوها إلا بعد سنين، بل إن الأنبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى.

قال الله تعالى لأعلم الخلق محمد ﷺ : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، ص ٦٦ - ٦٧)، و"مفيد المستفيد" (ص ٢٩٢، و ص ٢٩٣)، وانظر: "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية" جمع ابن قاسم (ج ٣، ص ٣٩٧ - ٤٠٠).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، تفسير، كلمة التوحيد، ص ٣٦٧).

(٣) مسند أحمد (٢/٣٨٩).

(٤) سورة محمد آية : ١٩ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (١) .

فإذا كان هذا نبينا ﷺ؛ فكيف بمن دونه؟ !

وما بال الخليل صاحب الملة الحنيفية وما كان من المشركين يخاف على نفسه علي بنيه وهم أنبياء؛ حيث قال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ (٢) .

وها هو يوصي أولاده وهم أنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) (٤) .

وهذا موسى عليه السلام لما قال: ﴿ يَا رَبِّ ! عَلِمَنِي شَيْئًا أَذْكَرُ وَأَدْعُوكَ بِهِ؛ قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: يَا رَبِّ ! كُلَّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ: يَا مُوسَى ! لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي

(١) سورة الزمر آية : ٦٥ .

(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٥ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٣٢ .

(٤) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٦)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٠، والقسم الرابع، التفسير، ص ٣٤٥) .

والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة ؛ مالت بهن لا إله إلا الله"
﴿ رواه: ابن حبان، والحاكم وصححه .

قال الشيخ: "فيه أن الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله،
والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه^(١)؛
لأنه لم يعمل بمقتضاها، وعمل بنقيضها.

وهؤلاء أهل الكتاب؛ يدعون أول ما يدعون إلى أن يوحدوا الله، وفي
رواية: إلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ كما في "الصحيحين" عن ابن عباس
وسهل بن سعد رضي الله عنهم، وهذا يدل على أنهم - وهم أهل الكتاب
- لا يعرفونها، أو يعرفونها ولا يعملون بها"^(٢).

كل هذا يؤكد أهمية تعلم التوحيد، لا سيما أن التوحيد له أعداء من
الشياطين؛ يصدون عنه ويجادلون؛ كما تقدم بيانه، وهذا كله يؤكد أهمية
تعلم التوحيد وضده، والعمل بالتوحيد وترك ضده؛ أهمية بالغة، وبالنسبة
لكل إنسان مهما كان، ويؤكد عدم الالتفات لقول من يقول: التوحيد
عرفناه وفهمناه وأمره سهل، . وليس للشرك وجود ولا خطر^(٣) بل

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد وما يكفر من
الذنوب، ص ١٢ - ١٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا
الله، ص ٢٠ - ٢٣، وباب قول الله تعالى: (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون)، ص ٤٧،
والقسم الرابع، التفسير، آيات من الزمر، ص ٣٤٥، والأحوذيلقسم الخامس، الشخصية، رقم
١١، ص ٦٧، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٩٢، ص ٧٩ - ٨٢).

(٣) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٦)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول،
العقيدة، كتاب التوحيد، - باب الخوف من الشرك، ص ١٨ - ١٩، وكشف الشبهات، ص
١٥٨ - ١٦٠، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٢، ص ١٥٦ - ١٥٧، والقسم الرابع،
التفسير، البقرة، ص ٢٨ - ٢٩، وص ٤٠ - ٤٤، والأنعام، ص ٥٣ - ٥٤، وص ٥٩ -
٦٣، وص ٦٣ - ٦٨).

إذا عرف الإنسان أن الله أمر بهذا التوحيد ونهى عن ضده؛ وجب عليه أن يعلم المأمور به ويسأل إلى أن يعرفه، وأن يعلم المنهي عليه ويسأل إلى أن يعرفه، وأن يجبه ويعزم ويعمل، ولو تغيرت دنياه أو عارضه أحد من المعظمين، وأن يخلص ذلك لله، وأن يجعله صوابا على سنة رسول الله ﷺ وأن يخشى من محبطات عمله، وأن يثبت عليه ويخاف من سوء الخاتمة^(١).

وبعد أن بينا تفسير التوحيد عند الشيخ والمراد من قول: لا إله إلا الله، وفرضه، ومكانته، وأهميته، وفضله؛ نبين أن الشيخ رحمه الله يستدل على التوحيد وتفسيره وعلى أن هذا التوحيد هو المطلوب الذي يرضاه الله ولا يرضى ضده بالبراهين العظيمة التي احتج الله بها على خلقه واستدل بها رسل الله ومن تبعهم على الأمم المخالفة؛ فاستدل بربوبية الله العامة للعالمين، وبآثار صفات الوحدانية لله تعالى؛ بالقدرة والغنى والعلم على وجه الكمال في مخلوقاته، واستدل بنبوة محمد ﷺ ورسالاته، وبالوحي المنزل عليه المعجز، وبسنته الصحيحة من أقواله وأفعاله وتقريره، واستدل بمخلوقات الله تعالى وعبوديتها له وفقرها وحاجتها إليه طوعا وكرها.

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٣٨ - ٣٩) بتصرف قليل، و "مؤلفات الشيخ"

(القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٣، ص ١٦٢) .

ويقدر الشيخ تقريب الله التوحيد بالعقل والنقل والأئمة والأدلة المصرفة؛
يقول الشيخ:

"فأما العقل؛ فكون الإنسان الذي في عقله أنك تلجأ إلى الحي ولا
تلجأ إلى الميت، وتطلب الحاضر ولا تطلب الغائب، وتطلب الغني ولا
تطلب الفقير.

وأما النقل؛ ففي القرآن أكثر من أربعين مثلاً.

وأما الأئمة؛ فمثل ما يعرف أن الناس متعلقة قلوبهم بالعلماء، ويقال:
من أكبر الأئمة؟ ومعلوم أنه محمد وإبراهيم عليهما السلام:

فأما إبراهيم؛ فكما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(١).

ولما جعله الله إماماً؛ معلوم أنه في التوحيد، وما جرى عليه من قومه؛
أوقدوا له نارا إذا مر الطير من فوقها سقط فيها.

ومحمد ﷺ؛ فأى شيء هو مرسل به؛ دعوة الصالحين هو مرسل يهدمها
أو يقيمها أو ساكت عنها لا قال شينة ولا زينة؟ ومعلوم أنه ما تفارق هو
وقومه إلا عندها.

وأما الأدلة المصرفة؛ فبحر لا ساحل له، كل ما رأيت؛ فهو يدل على
الوحدانية^(٢).

(١) سورة البقرة آية : ١٢٤ .

(٢) "الدرر السننية" (ج ٢، ص ٤٠).

وكم كان استدلال الشيخ برؤية الله تعالى وصفاته على التوحيد؛ فلقد قرر وأكد الاستدلال بالآيات والبراهين الكثيرة في مواضع شتى من آثاره ومؤلفاته رحمه الله، ولا أدل على ذلك من المبحث المتقدم في الربوبية والأسماء والصفات الذي هو توحيد المعرفة والإثبات؛ فهو توحيد العلم، وقدمناه لأنه برهان توحيد الطلب؛ فليراجع.

ونزيد ذلك إيضاحاً بما نذكره هنا من الإشارة إلى وجه الاستدلال، فنقول: إن الشيخ رحمه الله يرى أن توحيد الربوبية هو الإقرار برؤية الله، والإقرار بصفاته - صفات الكمال - دليل عظيم وبرهان ساطع على توحيد الإلهية.

فربوبية الله للعالمين من أخص صفاته سبحانه وتعالى، وهذا أمر مسلم به، حتى من الكفار؛ فإن الكفار الذين كانوا على زمن رسول الله ﷺ يقولون بتوحيد الربوبية.

قال الشيخ: "توحيد الربوبية هو الذي أقر به الكفار؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١).

هذا الإقرار بتوحيد الربوبية يلزم منه أن يقولوا بتوحيد الإلهية، وأن

(١) سورة يونس آية : ٣١.

لا يعبدوا إلا الله تعالى، ولكنهم لم يقرؤا باللائم، بل نازعوا فيه، وأعلنوا استنكارهم له؛ فقالوا: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (١).

يعنون رسول الله ﷺ حين قال لهم: "قولوا: لا اله إلا الله"؛ لأن الإله في كلام العرب هو الذي يقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى؛ مثل الصالحين والملائكة وغيرهم؛ يقولون: إن الله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده، فكذبوا رسول الله ﷺ بأن الله سبحانه يستدل عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم هذا؛ لأنه إذا كان هو المدبر وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة؛ فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا؟" (٢).

وكذلك المنازعون للشيخ في التوحيد هم يقرون بتوحيد الربوبية، لكنهم قد أضافوا على اقتصارهم في التوحيد على الربوبية دون الإلهية دعوى أنهم إذا قالوا: لا يخلق ولا يرزق ولا يضر ولا ينفع إلا الله؛ فقد قالوا بمقتضى لا إله إلا الله؛ كما يقولونها بألسنتهم، ومن هنا؛ صار الشيخ يبين التوحيد، والفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأنه لا نزاع في توحيد الربوبية. قال الشيخ مستدلا على منازعيه بما أقروا به: "فإذا قيل: لا

(١) سورة ص آية : ٥ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ٧، ص ٤٢)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع، ص ٢٠٠ - ٢٠٢) .

خالق إلا الله؛ لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا قيل: لا يرزق إلا الله؛ فكذلك، فإذا قيل: لا إله إلا الله؛ فكذلك".

ثم قال الشيخ يخاطب بعض من يرأسهم: "فتفكر رحمك الله في هذا، واسأل عن معنى الإله كما تسأل عن معنى الخالق والرازق، واعلم أن معنى الإله هو المعبود، وهذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً؛ فقد اتخذها إلهاً من دون الله، وجميع ذلك باطل؛ إلا إله واحد، وهو الله تبارك وتعالى علواً كبيراً"^(١).

ويقول الشيخ في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِ ۗ قَالَ

أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾^(٢).

"فيه أن إبراهيم استجاب لله فيما أمره به، وهو الإسلام، الذي هو سبب الكلام والخصومة، وأن إبراهيم وصف ربه سبحانه بما يوضح المسألة، وهو الربوبية للعالم كله؛ فانظر رحمك الله تعالى إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام"^(٣).

وقال الشيخ في ذكر بعض ما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ

وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾^(٤) إلى قوله: (يعملون)^(١) من بيان الحق وإبطال

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٣ - ٥٤).

(٢) سورة البقرة آية: ١٣١.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٥).

(٤) سورة البقرة آية: ١٣٩.

الباطل:

"الأولى: إذا كانت الحاجة في الله سبحانه من أقرب ما يكون إليه من المختلفين في مسألة التوحيد، فإذا كان الله رب الجميع، وأنه عدل لا يظلم بإقرار الجميع، ثم افترقنا في كوننا قاصدينه مخلصين له الدين، وأنتم قصدتم غيره؛ فكيف يساوي بيننا وبينكم، أو يخص بكرامته من أعرض عنه دون من قصده؟ ! هذا لا يدخل عقل عاقل.

وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه، ومعرفة حالنا وحالكم في المسألة، وذلك أنا مجتمعون على استوائنا وإياكم في العبودية؛ بخلاف ملوك الدنيا؛ فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها، ونحن مجتمعون أيضا أنه لا يظلم أحدا من عبيده، بل كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت؛ بخلاف ملوك الدنيا؛ فإنهم يأخذون مال هذا ويعطون هذا.

فإذا كان الأمر كذلك؛ فكيف تدعون أنكم أولى بالله منا، ونحن له مخلصون، وأنتم به مشركون؟ ! وكيف يظن به أنه يساوي بين من قصده وحده لا شريك له، ومن قصد غيره وأعرض عنه؟! وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بني آدم- خصوصا إذا كان كريما- أن من قصده وضاف عنده يكرهه ولا يضيفه، ويخص بالرضى والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره؛ مع استواء الجميع في

(١) قال تعالى: قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَهُمْ أَطْلَقُوا مِنْ كَذِّبَاتِهِمْ شَهَادَةً عِنْدَ مَنْ لَدُنْهُ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ تَلِيكٌ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

القرب منه والبعده؟ ! هذا لا يظن في الآدمي؛ فكيف يظن برب العالمين؟ !
فتبين بقضية العقل: أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق
للعقل، وما فعل المشركون هو العجائب المخالف للعقل؛ فيا لها من حجة ما
أعظمها وأبينها، لكن لمن فهمها كما ينبغي^(١).

ويستدل الشيخ بمفهوم الإله عند العرب وعند أهل العلم، وأنه المعبود،
وأن صفة الله بالإله صفة يختص بها، لا يشركه فيها غيره، ولذا؛ كان قول لا
إله إلا الله، والعمل بمقتضاها؛ هو الدخول في التوحيد المطلوب، والتحقق
به؛ لأن الله تعالى هو الإله الحق، الذي لا إله حقيقة إلا هو، ومعنى أنه
الإله؛ أي: المألوه، والمألوه هو أعلى الغايات عند المسلم والكافر؛ إلا أن
الكافر يزعم أن الله هو الإله الأكبر، لكن معه آلهة أخرى تشفع عنده،
والمتكلم ممن يدعي الإسلام جنى عليه إعراضه عن الوحي، وإقباله على
معقولات البشر، فضل عن معرفة معنى الإله، فظن أن معنى الإله هو القدرة
على الخلق، ثم قال: التوحيد لا يتم إلا بنفي الصفات؛ فنفاها، فصار
الكافر أعقل منه.

أما المسلمون حقاً؛ فأجمعوا مع الأنبياء في إجماعهم على أن الإله
وصف يختص الله به، وهو الجامع لصفات الكمال؛ فإنه يدل

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٢٨ - ٢٩)، وانظر: (ص ٤٠ - ٤١).

على العلم العظيم والقدرة العظيمة، وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات؛ كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١) إلى آخرها.

وقال الشيخ: "فمن أنكر الصفات؛ فهو معطل، والمعطل شر من المشرك، ولهذا؛ كان السلف يسمون التصانيف في إثبات الصفات كتب التوحيد، وختم البخاري. "صحيحه" بذلك؛ قال: "كتاب التوحيد"، ثم ذكر الصفات بابا بابا، فبين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله عن جميع المخلوقات؛ فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال، فتبين أن منكر الصفات منكر لحقيقة الألوهية. لكن لا يدري، وتبين لك أن من شهد أن لا إله إلا الله؛ صدقا من قلبه؛ لا بد أن يثبت الصفات والأفعال"^(٢).

فنكتة المسألة أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات، فقال أهل السنة: لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات، وتوحيدكم هو التعطيل، ولهذا؛ آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى.

ثم يقرر الشيخ أن أكابر أهل العلم قد يغلطون في مفهوم الإله،

(١) سورة الطلاق آية : ١٢ .

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٧٠ - ٧١).

ومن ثم يغلطون في مسمى التوحيد، وينقل عن الشيخ تقي الدين بن تيمية قوله: "قد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ومن أهل الإرادة والعبادة، حتى قلبوا حقيقته، فطائفة ظنت أنه نفي الصفات، وسموا أنفسهم أهل التوحيد، وطائفة ظنت أنه ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية، وأطالوا الكلام في تقرير هذا الموضوع: إما بدليل أن الاشتراك يوجب نقص القدرة واستقلال كل من الفاعلين بالفعل محال، وإما بغير ذلك، ولم يعلموا أن مشركي العرب مقرون بهذا التوحيد؛ قال الله تعالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعملون...)." .

وهذا من التوحيد الواجب، لكن؛ لا يخلص من الشرك بالله، الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين، فيكون دينه لله، والإله هو المألوه، وكونه يستحق ذلك مستلزما لصفات الكمال؛ فلا يستحق أن يكون معبودا ومحبوبا لذاته إلا هو؛ فكل عمل لا يراد به وجهه؛ فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١) .

وقد بينا أن الآية لم يقصد بها دليل التمانع؛ فإنه يمنع وجود المفعول لإفساده بعد وجوده"^(٢) .

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٢ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١١، ص ٦٧، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٩٢، ص ٧٩-٨٢) .

ويستدل الشيخ رحمه الله على التوحيد بنبوته محمد ﷺ أيضا، فيقول:
"ولما أراد الله سبحانه إظهار توحيده، وإكمال دينه، وأن تكون كلمته هي
العليا، وكلمة الذين كفروا هي السلفى؛ بعث محمدا ﷺ خاتم النبيين وحبیب
رب العالمين^(١) إلى الناس كافة، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد،
وهي: لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها"^(٢)؛ كما
قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾^(٣)^(٤).

ففي هذه الآية دليل على أن الله أوحى إلى رسله جميعا أنه مختص
بالإلهية، وفي هذه الآية كما في غيرها من الآيات الخبر عن أكبر المسائل
على الإطلاق، وهي تفرد الله بالإلهية، وهذا هو التوحيد^(٥) وفي الآية
التعقيب المباشر بالأمر بلازم التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة، وذلك مثل
قوله تعالى لموسى عليه وعلى محمد الصلاة والسلام:

(١) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٤٦).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٧).

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٥.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأنعام، ص ٦٤).

(٥) "الدرر السننية" (الطبعة الثانية، ج ١ من كلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٦٩ -

(٧١).

﴿ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدْنِي ﴿١﴾ .

ذكر الشيخ أن فيه أمره بالاستماع لما يوحى، وأن أول ذلك كبر المسائل على الإطلاق، وهو تفرده بالإلهية، وأمره بلازم التوحد، وهو إفراده بالعبادة. (٢).

ومثله قول الله تعالَى: ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٣) إلى آخرها.

وينبه الشيخ إلى طريقة القرآن في الاستدلال والبرهنة على التوحيد، وهي الطريقة العقلية الشرعية، فهي عقلية، حيث إن العقل يشهد بصحتها، وشرعية؛ حيث إن الشرع جاء بها.

ومن ذلك ما قاله الشيخ في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥١﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٢﴾ قَالَ يَنْقُومِ لَيْسَ بِي ضَالُّنَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾

(١) سورة طه آية : ١٣ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٥٢٩).

(٣) سورة الكهف آية : ١١٠ .

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ وَأَغْرَقْنَا
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايِنِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴿١﴾.

قال الشيخ: "فيه تعريفهم أن هذا الذي استغربوا ونسبوا من قاله إلى
الجهالة والجنون هو الواجب في العقل، وهو أيضا حظهم ونصيبيهم من الله ؛
لأنه سبب الرحمة ؛ ففي هذا الكلام من أوله إلى آخره من تحقيق الحق،
وذكر أدلته العقلية على تحقيقه، وإبطال الباطل، وذكر الأدلة العظيمة على
بطلانه، ما لا يخفى على من له بصيرة" (٢).

ومن ذلك ما نبه إليه الشيخ في قوله تعالى في سورة الأنعام عن محاجة
إبراهيم لقومه.

قال الشيخ رحمه الله في تفسيره: "ومن قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

لَأَبِيهِ أَزْرَأُ ﴾ (٣) إلى قوله: ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٤) (٥).

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأعراف، ص ١٠١-١٠٢).

(٣) سورة الأنعام آية : ٧٤ .

(٤) سورة الأنعام آية : ٩٠ .

(٥) أورد كامل الآيات بنصها من المصحف الكريم لتبين إشارات الشيخ في استنباطه، فهو
رحمه الله يشير إشارات موجزة لا تفهم إلا بعد قراءة الآيات التي أشار إليها، وذلك لأن
المفروض هو استحضر الآيات عن ظهر قلب. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَأُ اتَّخَذُ
أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلِي الْكُرْونِ مِمَّنْ فَلَمَّا جَنَّ عِندَهُ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا مَّا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا
أُحِبُّ الْآفَلَ لِمَ رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَنْ لَّمْ يَهْلِكِ بِي لَأَكُونَنَّ

فيه مسائل:

الأولى: قوله: ﴿ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءِإِلَهَةً ۖ ﴾^(١) السؤال عن معنى الآلهة،

فإنها جمع إله، وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر، فكيف يتخذ جمادا، وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضيا؛ لأن الحيوان أكمل من الجماد، فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص

مِنَ التَّوَعُّمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بِأَرْزَاقِهِ قَالَ هَذَا بِي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا مَعْ قَوْمِ
إِنِّي بِرِيءٍ مِّمَّا تَشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِذِي الْإِلَهَةِ فَقَدْ هَدَانِي وَإِلَّا أَن تَشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن
الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَإِلَّا أَن تَشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن
يَشَاءَ إِيَّايَ شَيْءًا وَسِعَ بِي كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَدُوًّا لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ
أَنْتُمْ تَشْرِكُونَ لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ أَنْتُمْ تَشْرِكُونَ لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ أَنْتُمْ تَشْرِكُونَ لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا
إِبْرَاهِيمَ عِندَ قَوْعِ بَدْعَاتِهِ إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الْحُرْمَةَ إِنَّ رَبَّكَ خَكِيمٌ عَالِمٌ غُيُوبٍ وَيَقُولُ
كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَرَكَبْنَا يُحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا مَا عَمِلُوا مِنَ الْعَمَلِ وَمِنَ الْعَمَلِ مَا نَجْمِيهِمْ وَذُرِّيَّتَهُمْ وَأَجْرُهُمْ فِي يَدَيْهِمْ هَلْ يُهْتَدُونَ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هَلَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ فَمَن يُشَاءُ مِن عِبَادِنَا وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ التَّوْبَةَ وَالْحُكْمَ وَالتَّوْبَةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا
بِهَا قَوْمًا لِيَكْفُرُوا بِهَا كَمَا كَفَرُوا بِهَا فَمَنْ يَتَّخِذْ إِلَهًا مِّمَّنْ خَلَقَ فَإِنَّهُ يَسْتَكْبِرُ
إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ .

(١) سورة الأنعام آية : ٧٤.

الله؛ فكيف بمن اتخذ فاسقا لها ؛ مثل نمرود وفرعون، فإن كان اتخذ بعد موته ؛ فأعجب وأعجب .

الثانية: القدح في حجّتهم، لأن السواد الأعظم ليس لهم حجة إلا هي، فيدل على الرسوخ في مخالفتهم بالأدلة اليقينية ؛ لقوله: ﴿ إِنِّي أَرْكَأُ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٢) ؛ فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل، لأن من رأى نخلا كثيرا لا يخالجه شك أن المدبر له ليس نخلة واحدة منه، فكيف بملكوت السماوات والأرض؟! .

الرابعة: أن هذا النفي إنما نقي لأجل الإثبات.

الخامسة: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (٣) ؛ فلم يكمل غيره حتى كمل.

السادسة: عظم مرتبة اليقين عند الله، لجعله التعليم علة لإيصاله إليه.

السابعة: براءته من شركهم؛ نفى أولا كونها تستحق، ونفى ثانيا عن نفسه الالتفات إليها .

الثامنة: نفي النقائص عن ربه .

التاسعة: ذكر توجهه الذي هو العمل.

العاشر: ذكر الدليل الذي دله على النفي والإثبات .

الحادية عشرة: تحقيقه ذلك بكونه حنيفا، وهذه المسألة التي

(١) سورة الأنعام آية : ٧٤ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٧٥ .

(٣) سورة الأنعام آية : ٧٥ .

قال الله في ضدها: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١).

الثانية عشرة: تصريجه لهم بما ذكر، ولم يدار مع كثرتهم ووحدته .

الثالثة عشرة: تصريجه بالبراءة منهم، بقوله: ﴿ وَمَا أَنَا مِنْ

الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

الرابعة عشرة: قوله: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾ (٣) ولم يذكر حجتهم، لأن

كلامه كاف عن كل ما يقولون.

الخامسة عشرة: أنهم لما خصموا؛ رجعوا إلى التخويف، كفعل أمثالهم،

فذكر أنه لا يحاف إلا الله، لتفرده بالضر والنفع، بخلاف آلهتهم، فذكر النفي

والاثبات .

السادسة عشرة: سعة العلم وما قبله سعة القدرة، وهاتان هما اللتان

خلق العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا بهما.

السابعة عشرة: أن من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد؛ فعجب،

ولذلك قال: ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

الثامنة عشرة: قوله: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ﴾ (٥) إلى آخره:

يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم.

التاسعة عشرة: قوله: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦) يدل على أن من

(١) سورة يوسف آية : ١٠٦ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٧٩ .

(٣) سورة الأنعام آية : ٨٠ .

(٤) سورة الأنعام آية : ٨٠ .

(٥) سورة الأنعام آية : ٨١ .

(٦) سورة البقرة آية : ١٨٤ .

أشكلت عليه هذه الحجة؛ فليس له علم.

العشرون: البشارة العظيمة والخوف الكثير في فصل الله هذه الخصومة،

إذا عرف ما جرى للصحابة، وما فسرهما لهم به النبي ﷺ.

الحادية والعشرون: تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه،

وأنه الذي أعطاها إبراهيم عليه السلام عليهم .

الثانية والعشرون: أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله

به المؤمن درجات.

الثالثة والعشرون: معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء في

مواضعها.

الرابعة والعشرون: كونه عليم بمن هو أهل لها، كما قال تعالى:

﴿كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾^(١) .

الخامسة والعشرون: ذكر نعمته على إبراهيم بذريته التي أنعم عليهم

بالهداية .

السادسة والعشرون: أن العلم والهداية أفضل النعم، لقوله: ﴿وَنُوحًا

هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) .

السابعة والعشرون: هداية المذكورين أصولهم وفروعهم ومن في

درجتهم.

(١) سورة الفتح آية : ٢٦ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٨٤ .

الثامنة والعشرون: ذكره الذي هداهم الله إليه، وهو الصراط المستقيم، وهو المقصود من القصة.

التاسعة والعشرون: التنبيه على الاستقامة .

الثلاثون: القاعدة الكلية أن هذا الطريق هو هدى الله، يهدي به من يشاء من عباده ؛ ليس للجنة طريق إلا هو .

الحادية والثلاثون: التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته، ليظهر العجب، وتشكر النعمة .

الثانية والثلاثون: العظيمة التي لم يعرفها أكثر من يدعي الدين، وهي مسألة تكفير من أشرك، وحبوط عمله، ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم .

الثالثة والثلاثون: ذكره أنه أعطاهم ثلاثة أشياء: الكتاب، والحكم، والنبوة؛ فلا يرغب عن طريقهم إلا من سفه نفسه .

الرابعة والعشرون: ما في قوله ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَتُّوْلًا ﴾^(١) إلى آخره من العبر، والتحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم، وما فيه من النفور من الجهل وتقسيمه .

الخامسة والثلاثون: قوله: ﴿ فَبِهَدْيِهِمْ أَفْتَدِرَهُ ﴾^(٢) أن دينهم واحد، وأن شرعهم شرع لنا .

السادسة والثلاثون: النهي عن البدع؛ فإن في التحريض عليه نهي عن ضده .

(١) سورة الأنعام آية : ٨٩ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٩٠ .

السابعة والثلاثون: كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد في ذلك لم يطلب منا أجرا عليه.

الثامنة والثلاثون: كونه ذكرى؛ ففيه الرد على من يقرأ بلا تدبر .

التاسعة والثلاثون: قوله: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾^(١) فيه تكذيب من قال:

لا يعرفه إلا المجتهد .

الأربعون: الحصر فيما ذكر، والله سبحانه أعلم^(٢).

ومن ذلك ما قرره من مسائل على آيات من سورة يوسف؛ قال تعالى:

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيَهٗ إِلَّا نَبَأٌ تَكْمَا بِتَأْوِيلِهٖ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِ رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ يَصْصِحِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾^(٣) .

(١) سورة الأنعام آية : ٩٠ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الأنعام، ص ٦٣ - ٦٨).

(٣) سورة يوسف آية : ٣٧ .

"يقول عليه السلام: إني عليم بتعبير الرؤيا هذه وغيرها، " فلا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل إتيانه"، فكيف بغير ذلك؟!
ففيه مسائل:

الأولى: ذكر العالم أنه من أهل العلم عند الحاجة، ولا يكون من تركية النفس .

الثانية: إضافة هذه النعمة العظيمة إلى معطيها سبحانه وتعالى، لا إلى فهم الإنسان واجتهاده.

الثالثة: ذكر سبب إكرام الله له بهذا الفضل، وهو الترك والفعل؛ فترك الشرك الذي هو مسلك الجاهلين، واتبع التوحيد الذي هو سبيل أهل العلم من الأنبياء وأتباعهم.

الرابعة: ذكره أنه من هؤلاء الأكرمين، فانتسب إلى البيت الذي هو أشرف بيوت أهل الأرض، وهذا جاز على غير سبيل الافتخار، خصوصا عند الحاجة.

الخامسة: أنه صرح لهم بأنهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

السادسة: أن الجدد يسمى أبا؛ كما ذكر ابن عباس، واحتج بالآية على زيد بن ثابت.

السابعة: قوله: ﴿ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١) قيل: معناه: إن الله عصمنا، وهذه الفائدة من أكبر الفوائد وأنفعها لمن عقلها، والجهل بها أضر الأشياء وأخطرها .

الثامنة: قوله: ﴿ مِّنْ شَيْءٍ ﴾^(٢) عام كل ما سوى الله، وهذه

(١) سورة يوسف آية : ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٩١ .

المسألة هي التي غلط فيها أذكاء العالم وعقلاء بني آدم، كما قال تعالى: ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾^(١).

التاسعة: ذكر سبب معرفتهم بالمسألة، وعلمهم بها، وثباتهم عليها، وهو مجرد فضل الله فقط عليهم .

العاشرة: أن فضله سبحانه ليس مخصوصا بنا، بل عام للناس كلهم، لكن منهم من قبله ومنهم من رده، وذلك أنه أعطى الفطرة، ثم العقول، ثم بعث الرسل وأنزل الكتب.

الحادية عشرة: إزالة الشبهة عن المسألة التي هي أكبر الشبهه، وذلك أن الله إذا تفضل بهذا كله، خصوصا البيان؛ فما بال الأكثر لم يفهم ولم يتبع؟ ! فما أكثر الجاهلين بهذا ! وما أكثر الشاكين فيه ! فقد ذكر تعالى أن السبب أن جمهور الناس لم يشكر، فأما من عرف النعمة، فلم يلتفت إليها، فلا إشكال فيه، وأما من لم يعرف، فذلك لإعراضه، ومن أعرض فلم يطلب معرفة دينه، فلم يشكر.

الثانية عشرة: دعوته إياهما عليه السلام إلى التوحيد في تلك الحال، فلم تشغله عن النصيحة والدعوة إلى الله، فدعاها أولا بالعقل، ثم بالنقل، وهي الثالثة عشرة .

الرابعة عشرة: قوله: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

﴿١﴾؛ فهذه حجة عقلية، شرحها في قوله تعالى:

(١) سورة الشورى آية : ١٣ .

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلَّ
يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾^(١) .

الخامسة عشرة: أن الذي في الجانب الآخر هو الذي جبلت القلوب
وأقرت الفطر أنه ليس له كفو.

السادسة عشرة: أنه هو القهار، مع كونه واحدا، وما سواه لا يحصيهم
إلا هو، فهذا قوله، وهذا عجزهم؛ فكيف يعدل به واحد منهم أو عشرة أو
مئة.

السابعة عشرة: بيان بطلان ما عبدوا من دونه بأنها أسماء لا حقيقة
لها.

الثامنة عشرة: التنبيه على بطلانها بكونها بدعة ابتدعتها من قبلكم
فتبعتموهم.

التاسعة عشرة: بيان الواجب على العبد في الأديان السؤال عما أمر
الله به ونهى عنه، وهو السلطان المنزل من السماء، لا يعبد بالظن وما تهوى
الأنفس.

العشرون: القاعدة الكلية التي تفرع عنها تلك الجزئية، وهي أن أحكام
الدين والدنيا إلى الله لا إلى آراء الرجال؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ
مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾^(١) .

(١) سورة الزمر آية : ٢٩ .

الحادية والعشرون: إذا ثبت أن الحكم له وحده دون الظن وما تهوى الأنفس، فإنه سبحانه حكم بأن العبادة كلها محصورة عليه، ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء.

الثانية والعشرون: أن هذه المسألة هي الدين القيم، وكل ما خالفها أو ليس؛ منها، فليس بقيم، بل أعوج، فعلامة الحق أن العقول السليمة تعرف اعوجاج غيره بالفطرة، ومع هذا أنزل الله السلطان من السماء بتحقيق هذا والإلزام به، وتبطل ذلك وتغليظ الوعيد عليه .

الثالثة والعشرون: المسألة الكبيرة العظيمة التي لو جعلها نصب عينيك ليلا ونهارا؛ لم يكن كثيرا، وأيضا تبين لك كثيرا من المسائل التي أشكلت على الناس، وهي أن الله بين لنا بيانا واضحا أن الأكثر والجمهور الذي يضيقون الديار ويغنون الأسعار من أهل الكتاب والأميين لا يعلمون هذه المسألة مع إيضاحها بالعقل والنقل والفطرة والآيات النفسية والأفقية^(٢).

وفي استنباطات الشيخ من سورة النحل يشير إلى الأدلة والمدلول عليه؛ قال الله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا ۗ﴾

(١) سورة الشورى آية : ١٠ .

(٢) "مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، ص ١٤٤ - ١٤٧).

لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٠﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْحَوْنَ
 وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١١﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
 الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا
 وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ
 لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ
 وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٥﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
 وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦﴾
 وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ
 فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
 أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ
 لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَىٰ الْفَلَكَ
 مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٩﴾ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ
 رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ وَعَلَّمَتِ
 وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن
 تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ
 وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ
 يُخْلَقُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُهُ
 وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مَُّنكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿١﴾ .

قال الشيخ: "فيها ذكر الحكمة في إنزال الروح، وهو إنذار الخلق عن الشرك، وفيها الاستدلال بخلق السماوات والأرض، وأنه بالحق، والاستدلال بخلق الإنسان، فذكر أولاً الخلق العام ثم الخاص، وفيها الاستدلال بخلق الأنعام على اختلافها، وأن ذلك لنا، وذكر الخيل والبغال والحمير في الاستدلال، والتنبيه على خلق ما لا نعلم، وفيها الاستدلال بإنزال المطر، والاستدلال بخلق الليل والنهار والعلويات وتسخيرها لنا بأمره، وأنها آيات مخصوصة بالذين يعقلون، وفيها الاستدلال بخلق ما في الأرض لنا على اختلافه وكثرته، والآيات في ذلك، وتخصيص المتفكرين بفهمها، وتسخير الله البحر، وأنه الذي فعله لا غيره، والاستدلال بخلق الجبال.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤﴾^(١):

الدليل القاطع البديهي الفطري الضروري، وأن الذين يدعون من دون الله ليس لهم قدرة ولا لهم علم، فلا يخلقون شيئاً، ولا يدرون متى يبعثون، وأنهم أموات غير أحياء، وذكر المدلول عليه، وهو توحيد الإلهية، وأنه مع تكاثر هذه الأدلة ووضوحها أنكرته قلوب هؤلاء، وسببه عدم الإيمان بالآخرة لإخفاء الأدلة، وأن الشرك وعدم الإيمان بالآخرة متلازمان^(٢).

ومن ذلك أيضاً ما ورد في سورة الزمر، قال الله تعالى:

(١) سورة النحل آية : ١٧ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٩٩ - ٢٠٥) .

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴿٥﴾ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٧﴾ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٨﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۗ أَزْوَاجٍ تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ ﴿٩﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۗ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۗ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ۖ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۗ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿١١﴾ ۗ ﴾

قال الشيخ في مسائله المستنبطة من هذه السورة:

(١) سورة الزمر آية : ١ .

"الآية الأولى: فيها منته بالكتاب. الثانية: إنزاله من السماء. الثالثة: منه سبحانه. الرابعة: ذكر عزته في هذا الموضوع. الخامسة: ذكر حكمته فيه

والآية الثانية: فيها الأولى والثانية (يعني: منته بالكتاب، وإنزاله من السماء). الثالثة: إنزاله بالحق، فيفيد الرد على أكثر الناس في مسائل كثيرة. الرابعة: تخصيصه الرسول ﷺ بإنزاله، فالنعمة عليه أكبر، وعليه من الشكر أكثر، وكذلك من خص بما يشابه ذلك. الخامسة: نتيجة إنزاله بالحق، ونتيجة الإنعام به، وهي عبادة الله بالإخلاص، وهذه الخامسة هي الدين كله، وجعلها بين الرابعة والسادسة، وهي أن الدين الخالص لله، وغير الخالص ليس له، وهما قاعدتان عظيمتان.

الآية الثالثة: فيها إبطال اتخاذ الأولياء من دونه. والثانية: إبطال ما غرهم به الشيطان أن قصدهم وجه الله لا غير، وما أجلها من مسألة. الثالثة: الوعيد الشديد على ذلك. الرابعة: ذكره تكفر من فعل ذلك. الخامسة: تكذيبه. السادسة: ذكره أنه لا يهدي هذا، وهي من مسائل الصفات.

الآية الرابعة: فيها نفي اتخاذ الولد على سبيل الاصطفاء. الثانية: ذكر خطئهم في القياس؛ لأنه لو يفعله لم يكن مما قالوا. الثالثة: أنه مسبة لله بقوله سبحانه. الرابعة: ذكره الوجدانية في هذا. الخامسة: ذكره القهر فيه. السادسة: الاستدلال بالأسماء والصفات

على النفي والإثبات، وهي مسائل كبيرة عظيمة .

الآية الخامسة: فيها ذكر البراهين على ما تقدم من الدين الحق وضده، وهذه البراهين هي: الأولى: خلق السماوات والأرض.

الثانية: أنه بالحق. الثالثة: تكوير المكورين. الرابعة: تسخير النيرين.

الخامسة: ذكر عزته في هذا. السادسة: ذكر مغفرته.

الآية السادسة: في البراهين أيضا: الأولى: خلقنا من نفس واحدة مع هذه الكثرة. الثانية: خلقه منها زوجها . الثالثة: إنزاله لنا من الأنعام هذه النعم العظيمة. الرابعة: خلقنا في البطون . الخامسة: أنه خلق من بعد خلق. السادسة: أنه في الظلمات الثلاث. السابعة: كلمة الإخلاص. الثامنة: التعجب من الغلط في هذا مع كثرة هذه البراهين ووضوحها.

الآية السابعة: فيها سبع جمل كل واحدة مستقلة .

الآية الثامنة: فيها ذكر حال الإنسان مع ربه . والثانية: هذه المسألة العجيبة من حاله. الثالثة: برهان التوحيد . الرابعة: حلمه. سبحانه.

الخامسة: أن الكافر ممر بتوحيد الربوبية. السادسة: أنه يخلص لله وينيب في الضر. السابعة: أن الإجابة في هذا لا تدل على المحبة. الثامنة: تدل على أن الحق عليه أكبر. التاسعة: ومعرفة قدر الدنيا . العاشرة: شدة الوعيد على هذا. الحادية عشرة: أن الحججة عليه أكبر. الثانية عشرة: ما ابتدع قوم بدعة؛ إلا نزع عنهم من السنة مثلها. الثالثة عشرة: ما كفاه النسيان حتى جعل الشكر جعل الأنداد.

الرابعة عشرة: أمر المؤمن أن يعظ الفاعل" (١).

ويستدل الشيخ بعبودية ما سوى الله طوعا وكرها، وفقر المخلوقات مهما كانت إلى الله تعالى، ويبين أن كل ما سوى الله عبد مريب مخلوق محتاج للإله الحق، وليس له في الألوهية حق. كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجْدِلًا عَنِ نَفْسِهَا ﴿٤﴾﴾ (٤) وإذا

كان الله قد أنكر عبادة من لا يملك لعباده نفعاً ولا ضراً؛ كما قال تعالى:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر (ص ٣١٧ - ٣٢١، وص ٣٢٥ - ٣٢٦)

(٢) سورة مريم آية : ٩٣ .

(٣) سورة النبأ آية : ٣٨ .

(٤) سورة النحل آية : ١١١ .

(٥) " الدرر السنينة" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥٣) .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ تَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ ﴾ (٢) .

فمعلوم أن هذا يستلزم علمه بحاجة العباد؛ ناطقها وبهيمها، ويستلزم القدرة على قضاء حوائجهم، ويستلزم الرحمة الكاملة واللطف الكامل وغير ذلك من صفات الكمال ونعوت الجلال (٣) .

وهذا معنى الإله، والإله هو الجامع لصفات الكمال؛ فهو أعلى الغايات، المعبود، المحبوب، المطلوب لهذه المخلوقات .

ويرى الشيخ أن مخلوقات الله من أظهر الآيات الدالة على التوحيد (٤) ويقول: "إذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) وكل ما سوى

(١) سورة يونس آية : ١٨ .

(٢) سورة النمل آية : ٦٢ .

(٣) انظر: " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ٦٩ - ٧١)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٢) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٦٩) .

(٥) سورة الفاتحة آية : ٢ .

الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم. فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟

فقل: بآياته ومخلوقاته^(١).

ومن آياته أن خلق وصور وشق السمع والبصر ووهب جميع الحواس^(٢).

والخلق أظهر آياته سبحانه، خاصة خلقه للإنسان:

﴿ أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾^(٣)^(٤).

ومن آياته المخلوقة التي خلقها وسخرها - وهي دالة عليه - الليل

والنهار، والشمس والقمر، والسموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما

بينهما^(٥) والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا

تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴾^(٦).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٥٨ - ٦٠، ٤٨، ٤٧).

(٣) سورة العلق آية : ١.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٦٩، والنحل، مسألة رقم ١٥،

ص ٢٠٤، وقصة موسى وفرعون، ص ٢٩٩، ٣٠٥، والزمر، ص ٣٣٩، والقسم الأول،

العقيدة، كتاب التوحيد، باب ١٤، ص ٤٥).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٨٦ - ١٨٩).

(٦) سورة فصلت آية : ٣٧.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ (١)(٢) .

ويستدل الشيخ بمثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعِبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١٦﴾﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ (٣) .

"قال ابن كثير رحمه الله: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة" (٤).

ويقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمُّ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٢﴾﴾ (٥) .

(١) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٦ - ١٨٧، وص ٣٧٠).

(٣) سورة البقرة آية : ٢١ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٧) .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٣ .

يقول الشيخ: "بعد أن أورد هذه الآية، ثم ذكر الدليل، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾^(١) (٢).

هذا وقد عقد الشيخ بابا في "كتاب التوحيد"، ترجم له بقوله:

"باب قول الله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا تَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾^(٣)
أورد فيه من براهين التوحيد بيان عجز المخلوقات وكل ما سوى الله عن الخلق، وفقر العالمين جميعا إلى الله تعالى بالعقل والشرع؛ كما وردت في النصوص الموحى بها إلى رسول الله ﷺ مثل قول الله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا تَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٦٤﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٦٥﴾﴾^(٤).

(١) سورة البقرة آية : ١٦٤ .

(٢) " مؤلفات الشيخ " (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٦).

(٣) سورة الأعراف آية : ١٩١ .

(٤) سورة الأعراف آية : ١٩١ .

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۚ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ۗ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝ ﴾ (١).

وفي "الصحيح" عن أنس؛ قال ﴿ شج النبي الله ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته؛ فقال: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: " ليس له من الأمر شيء " ﴾ .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما، ﴿ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم العن فلانا وفلانا، بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: " ليس لك من الأمر شيء... " ﴾ (٢) الآية.

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (٣)

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: ﴿ قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه " وأندر عشيرتك الأقربين "، فقال: يا معشر قريش (أو كلمة نحوها) ! اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس ابن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله

(١) سورة فاطر آية : ١٣ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي (٤٠٧٠) وكتاب تفسير القرآن (٤٥٥٩).

(٣) سورة آل عمران آية : ١٢٨ .

ﷺ! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً ﴿١﴾ .

قال الشيخ في مسألة قوله للأبعد والأقرب: " لا أغني عنك من الله شيئاً " : " فإذا صرح- وهو سيد المرسلين- بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم؛ تبين له التوحيد وغربة الدين " (٢).

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في "القول السديد" الله الذي علق به على "كتاب التوحيد" تحت هذه الترجمة: باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُّشْرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

هذا شروع في براهين التوحيد وأدلتها؛ فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره، فتقدم أن التوحيد بن (توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات) من أكبر براهينه وأضحماها، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه، هو الذي لا يستحق العبادة سواه.

وكذلك من براهين التوحيد: معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله ؛ فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله عاجزون، ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، ولا يملكون ضراً ولا نفعاً،

(١) صحيح البخاري : كتاب الوصايا (٢٧٥٣) وكتاب تفسير القرآن (٤٧٧١) ، وصحيح

مسلم : كتاب الإيمان (٢٠٦) ، وسنن النسائي : كتاب الوصايا (٣٦٤٦، ٣٦٤٧) ،

وسنن الدارمي : كتاب الرقاق (٢٧٣٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٥ - ٤٧) .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٩١ .

ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلها، الضار، النافع، المعطي، المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء؛ فأبي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ!

فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله، وأنه الحق، وعلى بطلان الشرك.

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسهم به رحما؛ فكيف بغيره؟.

فتبا لمن أشرك بالله وساوى به أحدا من المخلوقين، لقد سلب عقله بعدما سلب دينه.

فنعوت الباري تعالى وصفات عظمته وتوحدته في الكمال المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو.

وكذلك صفات المخلوقات كلها، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها في كل شؤونها، وأنه ليس لها من الكمال إلا ما أعطها ربها: من أعظم البراهين على بطلان إلهية شيء منها .

فمن عرف الله وعرف الخلق؛ اضطرت هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والثناء عليه، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه، وانصرافه عن التعلق بالمخلوقين خوفا ورجاء وطمعا^(١) .

(١) "القول السديد بhamش كتاب التوحيد" (ص ٦١ - ٦٤).

اه بتصرف قليل.

والشيخ رحمه الله كثيرا ما يورد النصوص من الوحي الدالة على التوحيد؛ مثل قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۗ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣).

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ (٤) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (٥).

وقوله: ﴿ أَمَّنْ تَحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ ﴾ (٦) (٤) (٥).

(١) سورة يونس آية : ١٠٦ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ١٧ .

(٣) سورة الأحقاف آية : ٥ .

(٤) سورة النمل آية : ٦٢ .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٢ - ٤٤) .

هذا؛ ومن الأبواب التي عقدها الشيخ وتعد بيانا لبراهين التوحيد في كتاب التوحيد هي:

١- باب قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ^ط قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢١﴾ (١)(٢).

٢- باب الشفاعة (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ^ط حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ^ط قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ (٤).

قال الشيخ "فيه الحجة على إبطال الشرك، خصوصا ما تعلق

(١) سورة سبأ آية : ٢٣ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٨ - ٥٠) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٥١ - ٥٣) .

(٤) سورة سبأ آية : ٢٢ .

على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق الشرك من القلب".
٣- باب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)(٢).

٤- باب لا يستشفع بالله بالله على خلقه (٣).

٥- باب في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد (٤).

٦- باب قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (٥)(٦).

٧- باب ماجاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ -

﴿ (٧)(٨) .

وغير ذلك من الأبواب التي يطرقها الشيخ في مؤلفاته للدلالة

(١) سورة القصص آية : ٥٦ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٥٤-٥٥) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٤٥) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٦٦-٦٧، ١٤٧-١٤٨) .

(٥) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٢٤) .

(٧) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٤٨-١٥١) .

على التوحيد.

ومن أدلة الشيخ التاريخية على معنى التوحيد استعراضه لما جرى بين رسول الله ﷺ وبين قومه ؛ فمن ذلك يقول الشيخ:

"و جرى بينه وبينهم ما يطول وصفه، وقص الله سبحانه بعضه في كتابه، ومن أشهر ذلك قصة عمه أبي طالب؛ لما حماه بنفسه وماله وعياله وعشيرته، وقاسى في ذلك الشدائد العظيمة، وصبر عليها، ومع ذلك ؛ كان مصدقا له، مادحا لدينه، محبا لمن اتبعه، معاديا لمن عاداه، لكن ؛ لم يدخل فيه، ولم يتبرأ من دين آبائه، واعتذر عن ذلك بأنه لا يرضى بمسبة آبائه، ولولا ذلك، لاتبعه، ولما مات وأراد النبي ﷺ الاستغفار له، أنزل الله عليه: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١) (٢) ويذكر الشيخ عن أبي محمد بن قدامة أن أبا طالب كان يقر بنبوة النبي ﷺ وله في ذلك أشعار منها:

ألا أبلغا عني على ذات بيننا	لؤيا وخصما من لؤي بني كعب
بأنا وجدنا في الكتاب محمدا	نبيا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة	ولا خير ممن خصه الله بالحب (٣)

(١) سورة التوبة آية : ١١٣ .

(٢) " مؤلفات الشيخ " (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٠ - ٣١).

(٣) ولا خير؛ أي: لا أخير .

ومنها:

تعلم خيار الناس أن محمدا وزير لموسى والمسيح ابن مريم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم

ولكنه أبي أن يدين بذلك خشية العار، ﴿ ولما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبوجهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال: "يا عم! قل: لا إله إلا الله؛ كلمة أحاج لك بها عند الله". فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل ﷺ يرددتها عليه، وهما يرددان عليه، حتى كان آخر كلمة قالها: هو على ملة عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ "لأستغفرن لك ما لم أنه عنك". فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٣٦﴾. ونزل الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

وقصة وفاة أبي طالب أخرجها البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه، ورواها أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة (١).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٦١ - ٦٢، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ص ٥٤ - ٥٥).

وقصة أبي طالب يتضمنها الحديث الثاني من عشرين حديثاً من " صحيح مسلم"، قام بدراسة أسانيدھا وشرح متونها الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد^(١).

ويعلق الشيخ على هذه القصة فيقول: "فيا لها من عبرة ما أبينها ! ومن عظة ما أبلغها ! ومن بيان ما أوضحه !" ^(٢).

ومن أدلة الشيخ على التوحيد أيضا ما وقع في التاريخ الإسلامي : من "ذلك قصة الردة المشهورة وموقف أبي بكر منها، وقصة أناس من بني حنيفة وموقف ابن مسعود منهم في الكوفة، وموقف علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ممن اعتقد فيه الإلهية، وقصة المختار بن أبي عبيد الثقفي لما زعم أنه يوحى إليه وموقف عبد الله بن الزبير منه ومن امرأته لما لم تتبرأ منه، وقصة الجعد بن درهم - وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة - وموقف خالد بن عبد الله القسري منه حين قتله، وإجماع العلماء على استحسان قتله، كما ذكر ابن القيم، وقصة بني عبيد القداح، وقد كانوا مظهرين لشرائع الإسلام، فلما أظهروا كفرهم؛ أجمع أهل العلم أنهم كفار، وأن دارهم دار حرب، مع

(١) "عشرون حديث" من صحيح مسلم، دراسة أسانيدھا وشرح متونها" (ص ٤٤ - ٥٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣١، والقسم الأول، العقيدة، شرح

سنة مواضع من السيرة، الموضع الرابع، ص ٣٥٧ - ٣٥٨).

إظهارهم شعائر الإسلام، وقصة التتار لما أسلموا ولم يعملوا بما يجب عليهم من شرائعه، ومع هذا كفرهم العلماء وغزوهم، حتى أزالهم الله عن بلدان المسلمين .

قال الشيخ: " وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله، وأما من أراد الله فتنته ؛ فلو تناطحت الجبال بين يديه ؛ لم ينفعه ذلك، ولو ذكرنا ما جرى من السلاطين والقضاة من قتل من أتى بأمر يكفر بها- ولو كان يظهر شعائر الإسلام- وقامت عليه البينة باستحقاقه للقتل، مع أن في هؤلاء المقتولين من كان أعلم الناس وأزهدهم وأعبدهم في الظاهر . مثل الحلاج وأمثاله".
ويكتفي الشيخ بذكر هذه الأمثلة، ويقول: "فلو ذكرنا قصص هؤلاء؛ لاحتمل مجلدات، ولا نعرف رجلا واحدا بلغ كفره كفر البدو- الذين يقول عنهم من يزعم إسلامهم: إنه ليس معهم من الإسلام شعرة ؛ إلا قول: لا إله إلا الله " .

أي: باللسان فقط، مع إظهارهم نقيضها؛ فهم لم يقولوها في الحقيقة، ولم يعتقدوا التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ولم يعملوا بمقتضاها، بل أظهروا- كما يقول الشيخ- إنكارهم للإسلام واستهزؤوا به على عمد، وأظهروا كفرهم بالقرآن ودين الرسول ﷺ كله، وكذبوا بالبعث، وأنكروا الشرع الذي شرعه الله، وزعموا أن شرعهم الباطل الذي أحدثته لهم آباؤهم هو حق الله.

ويتعجب الشيخ من بعض من يدير العلم والكتب بأيديهم،

والتي يزعمون أنهم يعرفونها ويعملون بها، وفيها مسائل الردة؛ يفتون بمحاربة التوحيد الذي أقروا أنه دين الله ورسوله ﷺ وبمناصرة الشرك وهم يقرون بأنه الشرك، ولكن يقول: إنها من أكبر آيات الله^(١).

ولا يقتصر استدلال الشيخ رحمه الله على التوحيد بما ذكرنا، بل إنه يستدل بكلام أهل العلم من جميع المذاهب الأربعة، فيقول: "وها أنا أذكر مستندي في ذلك من كلام أهل العلم من جميع الطوائف؛ فرحم الله من تدبرها بعين البصيرة، ثم نصر الله ورسوله وكتابه ودينه، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم:

فأما كلام الحنابلة:

فقال الشيخ تقي الدين رحمه الله لما ذكر حديث الخوارج: فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضا، وذلك بأمر؛ منها: الغلو الذي ذمه الله تعالى؛ كالغلو في بعض المشايخ، كالشيخ عدي، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه؛ فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعا من الإلهية، مثل أن يدعو من دون الله، بأن يقول: يا سيدي فلان! أغثنى، أو أجرني، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك؛ فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب، وإلا قتل، فإن الله

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ٣٦ - ٥٠).

أرسل الرسل ليعبد وحده، لا يجعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة، أو المسيح، أو العزير، أو الصالحين، أو غيرهم، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق وترزق، وإنما كان يدعونهم، يقولون: "هؤلاء شفعاؤنا عند الله" فبعث الله الرسل تنهى أن يدعي أحد من دون الله؛ لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة. انتهى.

وقال في "الإقناع" أول باب حكم المرتد: إن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر إجماعا.

وأما كلام الحنفية:

فقال الشيخ قاسم في "شرح درر البحار": النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصالحاء قائلا: يا سيدي! إن رد غائبي، أو عوفي مريض، أو قضيت حاجتي، فلك من الذهب أو الطعام أو الشمع كذا وكذا؛ باطل إجماعا بوجوه منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: أنه ظن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر. إلى أن قال: وقد ابتلي الناس بذلك، ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي.

وقال الإمام البزازي في "فتاويه": إذا رأى رقص صوفية زماننا هذا في المساجد، مختلطا بهم جهال العوام، الذين لا يعرفون القرآن والحلال والحرام، بل لا يعرفون الإسلام والإيمان، لهم نهيق يشبه نهيق الحمير، يقول: هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم هوا ولعبا، فويل للقضاة والحكام حيث لا يغيرون هذا مع قدرتهم.

وأما كلام الشافعية:

فقال الإمام محدث الشام أبو شامة (أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم) في كتاب "الباعث على إنكار البدع والحوادث": "لكن نبين من هذا ما وقع فيه جماعة من جهال العوام، النابذين لشريعة الإسلام، وهو ما يفعله الطوائف من المنتسبين إلى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من مؤاخاة النساء والأجانب، واعتقادهم في مشايخ لهم... وأطال رحمه الله الكلام إلى أن قال: وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها، ومن هذا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحدا ممن شهر بالصلاح، ثم يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي ما بين عيون وشجر وحائط، وفي مدينة دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة... ثم ذكر رحمه - الله الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لما قال له بعض من معه: اجعل لنا ذات أنواط . قال: "الله أكبر قلتُم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة". انتهى كلامه رحمه الله ."

ويعلق الشيخ بقوله: "وقال (أي: شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم") : إذا كان هذا كلامه ﷺ في مجرد قصد شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها، فكيف بما هو أعظم منها الشرك بعينه بالقبور ونحوها؟!".

"وأما كلام المالكية ؛ فقال أبو بكر (الطرطوشي) في كتاب " الحوادث والبدع " لما ذكر حديث الشجرة ذات أنواط: فانظروا رحمكم الله أين ما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء لمرضاهم من قبلها، فهي ذات أنواط، فاقطعوها ... وذكر حديث العرباض بن سارية الصحيح، وفيه قوله ﷺ ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَعِشْ مِنْكُمْ ﴾؛ فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة ﴿ (١) .

قال في " البخاري": عن أبي الدرداء؛ ﴿ أَنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ ! مَا أَعْرَفُ مِنْ أَمْرٍ مُحَمَّدٌ شَيْئاً إِلَّا أَنَّهُمْ يَصِلُونَ جَمِيعاً ﴾ (٢) .

وروى مالك في "الموطأ" عن بعض الصحابة؛ أنه قال: ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة .

قال الزهري: دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي ... فقال: ما أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت .

قال الطرطوشي رحمه الله: فانظروا رحمكم الله، إذا كان في ذلك الزمن طمس الحق، وظهر الباطل، حتى ما يعرف من الأمر القديم إلا القبلة؛ فما ظنك بزمانك هذا؟! والله المستعان".

قال الشيخ: "وليعلم الواقف" على هذا الكلام من أهل العلم أعزهم الله أن الكلام في مسألتين:

الأولى: أن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ لإخلاص الدين لله،

(١) سنن الدارمي : كتاب المقدمة (٩٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان (٦٥٠) ، ومسند أحمد (٤٤٣/٦).

لا يجعل معه أحد في العبادة والتأله ؛ لا ملك، ولا نبي، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك، وأن من عظم الصالحين بالشرك بالله ؛ فهو يشبه النصارى، وعيسى عليه السلام بريء منهم.

الثانية: وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ وترك البدع، وإن اشتهرت بين أكثر العوام، وليعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم ؛ من تحقيق هذه المسائل، ونقل كلام العلماء، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه ولم تأخذه في الله لومة لائم^(١).

وهكذا، فالشيخ رحمه الله ينقل كلام العلماء من أهل المذاهب الأربعة، مما يدل على أن الشيخ في كل أمره - خصوصا مسألة التوحيد - لم يخرج عن إجماعهم، فضلا عن أن يخرج عن مذهب أي أحد منهم، وهي التي اعتبره بعض الناس فيها مبتدعا مذهباً خامساً، فاعجب لذلك إن تعجب، والله المستعان.

والمقصود بيان أن الشيخ رحمه الله سلك مسالك متعددة في البرهنة على التوحيد والاستدلال عليه، يمكن أن نحمل بعضها فيما يلي:

١ - أنه يستدل بالدليل، ويورده، ثم يعقب علي ذلك بذكر المدلول عليه ؛ كالدليل الذي أورده من سورة النمل: ﴿ أَمَّنْ تُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٌ ﴾^(٢) (٣).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٦، ص ١٧٧ - ١٨٠، ورقم ١١ ص

٦٨ - ٧٠)، وانظر: (رقم ٢٨، ص ١٨٩ - ١٩٠).

(٢) سورة النمل آية : ٦٢.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، ص ٤٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١)(٢) .

ونحو ذلك من الأدلة.

ومن هذا الباب استدلال الشيخ بربوبية الله وأسمائه وصفاته على التوحيد، فانظر مثلاً تفسير سورة الفاتحة^(٣) وانظر مبحث توحيد المعرفه والإثبات^(٤).

٢- أنه يذكر المدلول عليه، ثم يعقب بذكر دليله، كالدليل، الذي أورثه من سورة البقرة، وهو قول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١٢) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٥)(٦) .

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ " (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٧) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ١١ - ١٣) .

(٤) انظر: (١-٤٨٨) من هذا المبحث .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٣ .

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٦) .

٣- الاكتفاء بذكر عجز وفقر العالمين، وهم كل ما سوى الله، وأنه ليس من صفاتهم شيء من الألوهية، ولا لهم شيء من الملك ولا النفع ولا الضر، كالدليل الذي أورده الشيخ في باب قوله تعالى:

﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا تَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (١)(٢) .

والحاصل أن الشيخ طرق المسالك الثلاثة التي وردت في القرآن للدلالة على التوحيد، ولم يقتصر الشيخ على واحد منها. وهكذا يقرر الشيخ التوحيد، ويبين لازمه، ويستدل عليه بما استدل به الله ورسله وأتباع رسله من البراهين اليقينية الظاهرة الجلية؛ يمثل ربوبية الله للعالمين، واختصاصه بها سبحانه، وبصفات الكمال، والتي تجمعها صفة الألوهية، ويمثل عبودية جميع من سوى الله من العالمين وفقرها وحاجتها عبودية عامة وخاصة طوعا وكرها، ويمثل نبوة رسول الله ﷺ والوحي المنزل عليه، الذي أعجز الله به من خاصم وفجر إلى يوم القيامة. بكل ذلك وبنحوه استدل الشيخ على أن حق الله على العبيد أن

(١) سورة الأعراف آية : ١٩١ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٥ .

يفردوه بجميع أنواع العبادة، وأن يوحدوه بها، فهي حقه الخاص، لا شريك له على الإطلاق، ولو غلط في ذلك من غلط، وأعرض عن تعلمه من أعرض. فتبين من هذه الأدلة والبراهين أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وأن العبادة هي التوحيد، فمن لم يأت بالتوحيد، لم يعبد الله، كما قال تعالى:

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (١).

العبادة وأنواعها :

والعبادة اسم جنس لها أنواع^(٢) وهي ما أمر به شرعا من غير اطراد عرقي ولا اقتضاء عقلي^(٣).

ومعنى التوحيد: أن تصرف جميع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده؛ لا يجعل فيها شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل^(٤).

والعبادة لا تسمى عبادة لله إلا مع توحيده بجميع أنواع العبادة، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة^(٥) وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها؛ لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن

(١) سورة الكافرون آية : ٣.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٣، ص ٩٠).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٣، ص ٨٨).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع، ص ١٩٩).

الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۗ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۗ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۗ ﴾ (١).

فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصا لوجهه، وأخبر إن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار، فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۗ ﴾ (٢)(٣).

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۗ ﴾ (٤).

يقول الشيخ: "فلم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه، ولا يتبغي به بديلا لحسنه وسهولته، ومن حسنه أنه

(١) سورة الزمر آية : ٢ .

(٢) سورة الزمر آية : ٣ .

(٣) (مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٧، ص ١١١ - ١١٢، والقسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣١٨).

(٤) سورة البينة آية : ٥ .

تنزيه لله عن المسبة، كما أن من قبح ضده أنه مسبة لله تعالى" (١).
وما من شك أن معنى لا إله إلا الله هو إخلاص القصد والنية والإرادة
في العبادة المشروعة لوجه الله تعالى، وأن المألوه هو المقصود المعتمد عليه (٢)
ولذا؛ كان الإخلاص شرطاً في صلاح التعبد وقبوله.
وقد عقد الشيخ رحمه الله في (كتاب التوحيد" بابين هما: باب ما جاء
في الرياء، وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ يوضح فيهما هذا
الجانب الهام، ووفى هذين البابين بما يناسبهما من أدلة الكتاب والسنة، لأنه
يعالج بهما القصد والنية والإرادة؛ لتستقيم على إخلاصها لله تعالى، وما من
شك أن إخلاص القصد والنية والإرادة في العبادة المشروعة هو شرط
صلاحها.

وأورد تحت الباب الأول قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ
إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٣).

وعن أبي هريرة مرفوعاً؛ قال تعالى: ﴿ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ،
مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي، تَرَكْتَهُ وَشْرَكَهُ ﴾ (٤) رواه مسلم.

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٦ - ٣٨١، والقسم الأول، العقيدة،

كتاب التوحيد، باب الدعاء إليه، ص ٢١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٩، ص ١٢٤).

(٣) سورة الكهف آية: ١١٠.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرفائق (٢٩٨٥).

وعن أبي سعيد مرفوعاً: ﴿ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟﴾ . قالوا: بلى يا رسول الله ! قال: " الشرك الخفي؛ يقوم الرجل، فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل" (١) . رواه أحمد.

قال الشيخ : " فيه مسائل: الأولى: تفسير آية الكهف . الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله . الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى . الرابعة: أن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء (٢) . الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء . السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها، لما يرى من نظر رجل إليه .

وأورد الشيخ تحت الباب الثاني - قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿١٦﴾ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ (٣) .

وما في "الصحيح" عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ - ٦٤٤ - ﴿تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الحميص، تعس عبد الحميلة: إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك؛ فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد (٤٢٠٤) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٩٨ - ٩٩) .

(٣) سورة هود آية : ١٥ .

في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة، كان في الحراسة، وإن كان في الساقية، كان في الساقية؛ إن استأذن؛ لم يؤذن له، لأن شفع لم يشفع ﴿(١)(٢)﴾.

وقال الشيخ: "فيه مسائل: الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة. الثانية: تفسير آية هود . الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة . الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط. الخامسة: قوله: " تعس وانتكس ". السادسة: قوله " وإذا شيك؛ فلا انتقش " (٣). السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات (٤) .

وقال الشيخ في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿٥٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾﴾ (٥) .

"وقد ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعل الناس

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير (٢٨٨٧) وكتاب الرقاق (٦٤٣٥) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد (٤١٣٥ ، ٤١٣٦).

(٢) رواه البخاري في (الجهاد ج ٣ - ٢٢٣ ، وفي الرقاق ج ٧ - ١٧هـ).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: "قوله: "تعس وانتكس، وإذا شيك، فلا انتقش": في شرح الطيبي؛ قال: فيه الترقى في الدعاء عليه ؛ لأنه إذا تعس ؛ انكب على وجهه، فإذا انتكس؛ انقلب على رأسه". "فتح الباري" (ج ١١ - ٢٥٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التوحيد، ص ١٠٠ - ١٠١)، وانظر: "الدرر السنية" (ج ٢، ص ٤٢ - ٤٣).

(٥) سورة هود آية : ١٥ .

اليوم ولا يعرفون معناه :

الأول من ذلك: العمل الصالح الذي فعل كثير من الناس ابتغاء وجه الله؛ من صدقة، وصلاة، وإحسان إلى الناس ... ونحو ذلك، وكذلك ترك ظلم أو كلام في عرض ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه بحفظ ماله وتنميته، وحفظ أهله وعياله، وإدامة النعمة عليهم ونحو ذلك، ولا همّة له في طلب الجنة، ولا الهرب من النار؛ فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب، وهذا النوع ذكر عن ابن عباس في تفسير الآية .

وقد غلط بعض مشايخنا بسبب عبارة في "شرح الإقناع" في أول باب النية، لما قسم الإخلاص مراتب، وذكر هذا منها؛ ظن أنه يسميه إخلاصا مدحا له، وليس كذلك، وإنما أراد أنه لا يسمى رياء، وإلا ؛ فهو عمل حابط في الآخرة.

والنوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة، وهو يظهر أنه أراد وجه الله، وإنما صلى أو صام أو تصدق أو طلب العلم لأجل أن الناس يمدحونه ويحل في أعينهم ؛ فإن الجاه من أعظم أنواع الدنيا، ولما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة^(١) في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار، وهم الذي تعلم العلم

(١) رواه مسلم (كتاب الإمارة)، والنسائي (كتاب الجهاد)، وأحمد في "مسنده (ج ٢،

ليقال عالم حتى قيل، وتصدق ليقال جواد، وجاهد ليقال شجاع؛ بكى معاوية بكاء شديدا، ثم قرأ هذه الآية .

النوع الثالث: أن يعمل الأعمال الصالحة، ومقصده بها مال؛ مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، أو يجاهد لأجل المغنم؛ فقد ذكر هذا النوع أيضا في تفسير هذه الآية؛ كما في "الصحيح" أن النبي ﷺ قال: ﴿ **تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم** " **تعس عبد الخميصة...** ﴾^(١) الخ^(٢) وكما يتعلم العلم لأجل مدارس أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم، لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم، لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير العظيم، وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم، وهو العذاب في الآخرة.

النوع الرابع: أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرا يخرج عن الإسلام؛ مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله وتصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر أو كفر أكبر يخرجهم عن الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير (٢٨٨٧) وكتاب الرقاق (٦٤٣٥) ، وسنن ابن

ماجه : كتاب الزهد (٤١٣٥ ، ٤١٣٦).

(٢) رواه: البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا.

الإسلام، وتمنع قبول أعمالهم ؛ فهذا النوع أيضا قد ذكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منه، كما قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(١).

فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمال ما حمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثره ؛ فصارت الدنيا أكبر قصده ؛ فلذلك قيل: قصد الدنيا، وصار ذلك القليل كأنه لم يكن؟ كقوله ﷺ ﴿ **صل؛ فإنك لم تصل** ﴾^(٢). والأول أطاع الله ابتغاء وجهه ؛ لكن أراد من الله الثواب في الدنيا، وخاف على الحظ والعيال ؛ مثل ما يقول الفسقة، فصح أن يقال: قصد الدنيا. والثاني والثالث واضح.

لكن، بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالا كثيرة أو قليلة قاصدا بها الدنيا؛ مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو الواقع كثيرا ؛ فالجواب أن هذا عمل للدنيا والآخرة، ولا ندري ما يفعل الله في خلقه، والظاهر أن الحسنات

(١) سورة المائدة آية : ٢٧ .

(٢) الحديث، رواه: البخاري في (كتب الإيمان والآذان والاستئذان)، ومسلم في (كتاب الصلاة)، وأبو داود في (كتاب الصلاة)، والترمذي (كتاب المواقيت)، والنسائي (افتتاح)، والدارمي (صلاة)، كما رواه أحمد في "مسنده" (ج ٢ ، ص ٤٣٧).

والسيئات تدافعا، وهو لما غلب عليه منهما، وقد قال بعضهم: إن القرآن كثيرا ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص ويسكت عن صاحب الشائبين، وهو هذا وأمثاله، ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال^(١).

فلا بد من الإخلاص، إخلاص القصد والإرادة والنية لله تعالى وفق ما شرعه الله من شريعة رسوله محمد بن عبد الله ﷺ بجميع القربات التي بينها رسول الله ﷺ كلها، ولم يترك منها قربة تقرب إلى الله وإلى ما عنده من الخير، إلا وضحها؛ كما لم يترك شيئا يبعد عن الله ويوقع في الشر؛ إلا وبينها وحذر منها، حتى تركنا على المحجة البيضاء التي لا يزيد عنها إلا هالك، ولذا كانت متابعتة ﷺ في العبادة وعدم عبادة الله بغير ما شرع رسوله ﷺ شرط في قبول الأعمال.

قال الشيخ رحمه الله: "إذا كان عملك صوابا ولم يكن خالصا، لم يقبل، وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا؛ لم يقبل؛ فلا بد أن يكون خالصا صوابا على شريعة محمد ﷺ ولذا قال سبحانه في علماء أهل الكتاب وعبادهم وقرائهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾" (٢).

(١) مؤلفات الشيخ " (القسم الرابع، التفسير، هود، ص ١٢٠ - ١٢٣، والقسم الثالث،

الفتاوى، رقم ١، ص ٥ - ٨).

(٢) سورة الكهف آية: ١٠٣.

وقال تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۖ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٦٠﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٦١﴾ ﴾^(١) .

وهذه الآيات ليست في أهل الكتاب خاصة، بل كل من اجتهد في علم أو عمل أو قراءة وليس موافقاً لشريعة محمد ﷺ؛ فهو من الأخسرين أعمالاً، الذين ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه العزيز، وإن كان له ذكاء وفطنة، وفيه زهد وأخلاق، فهذا العذر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا باتباع الكتاب والسنة، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الإرادة، فالذي يؤتي فضائل علمية وإرادة قوية وليس موافقاً للشريعة بمنزلة من يؤتي قوة في جسمه وبدنه.

وفي "صحيح البخاري" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعلمكم مع علمهم، يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... ﴾^(٢) الحديث. وساق الشيخ أحاديث في شأن الخوارج وعبادتهم وجداهم، وأحاديث في قيام طائفة على الحق، إلى أن قال: "وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة، ومعرفة ما أراد بذلك، كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم، فكل ما يحتاج إليه الناس؛ فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا

(١) سورة الغاشية آية : ٢ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن (٥٠٥٨) ، ومسند أحمد (٦٠/٣) ، وموطأ مالك : كتاب النداء للصلاة (٤٧٧).

كافيا؛ فكيف أصول التوحيد والإيمان؟! ثم إذا عرف ما بينه الرسول ﷺ؛ نظر في أقوال الناس، وما أرادوا بها، فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول ﷺ فإنه الميزان مع الكتاب؛ فهذا سبيل الهدى".

ثم بين الشيخ سبيل الضلال والبدع والجهل، والأدلة على أنها تكون في هذه الأمة كما كانت في الأمم السابقة، وأحاديث في التحذير من التشدد والتعمق ومجاورة السنة واتباع المتشابه، وأحاديث في الحث على التمسك بالسنة وترك الاختلاف، وأحاديث في فضل الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة... إلى أن قال:

"وإذا كانت سعادة الأولين والآخريين هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين؛ وأتبعهم لذلك؛ فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة، والرسول عليهم البلاغ المبين، وقد بلغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله عليه كتابه مصدقا لما بمن يديه من الكتاب ومهيما عليه؛ فهو المهيمن على جميع الكتب، وقد بين أبين بلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيفا، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين؛ فأسعد الخلق، وأعظمهم نعيما، وأعلاهم درجة: أعظمهم اتباعا له وموافقة علما وعملا".^(١)

(١) " الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٧ - ١٢)، و "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٤ - ١٠٧، ورقم ٢٦، ص ١٨٠).

ويقول الشيخ: "فإن قيل؛ فما الجامع لعبادة الله وحده؟! قلت: طاعته بامثال أوامره واجتناب نواهيه^(١) مع كمال المحبة وكمال الخضوع والخوف والذل^(٢) والجمع بين الخوف والرجاء في العبادة"^(٣).

وجميع العبادة بكل أنواعها مبناها على الأمر^(٤) الشرعي الذي هو أمر رسول الله ﷺ وسننه:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٦).

وللبخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: ﴿جاء ثلاثة رهط

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٧٩).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ١٦).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٢٧).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما، ص ٣٤، وكشف الشبهات، ص ١٦٤).

(٥) سورة الأحزاب آية: ٢١.

(٦) سورة الشورى آية: ١٣.

إلى أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا ؛ كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم: أما أنا، فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء النبي ﷺ إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي ؛ فليس مني" (١).

وفي حديث العرياض بن سارية. قال ﷺ ﴿ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ﴾ (٢) رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه .

وفي رواية له: ﴿ تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعيش منكم، فسيرى اختلافا كثيرا ﴾ (٣) ثم ذكره بمعناه.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أما بعد؛ فخير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ﴾ (٤) .

وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي". قيل: ومن أبي؟ قال:

(١) انظر: "صحيح البخاري" (ج ٦، كتاب النكاح، باب ١، ص ١١٦).

(٢) سنن أبي داود: كتاب السنة (٤٦٠٧)، ومسند أحمد (٤/١٢٦).

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (٤٤).

(٤) سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (٤٥).

"من أطاعني؛ دخل الجنة، ومن عصاني، فقد أبي" ﴿^(١)﴾ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ﴾ رواه البغوي في "شرح السنة"، وصححه النووي ^(٢) .

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه مرفوعاً: ﴿ إن الله فرض فرائض، فلا تضيعوها، وحد حدوداً، فلا تعتدوها، وحرم أشياء ؛ فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان؛ فلا تبحثوا عنها ﴾ . حديث حسن، رواه الدارقطني وغيره.

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ما همتكم عنه، فاجتنبوه، وما أمرتكم به ؛ فأتوا منه ما استطعتم ؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ﴾ ^(٣) ^(٤) .

وهذا ما توضحه سورة الفاتحة ؛ فإنها قد اشتملت على أركان العبادة، والإخلاص فيها، والمتابعة، والرد على المبتدعين.

و أركان العبادة ثلاثة؛ هي: المحبة، والرجاء، والخوف. فمن زعم أنه يعبد الله تعالى بالمحبة وحدها؛ فهو لم يعبده ؛ كما هو شأن

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠) ، ومسند أحمد (٣٦١/٢) .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، أصول الإيمان، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ ، وفضل الإسلام، ص ٢٠٧ ، ٢٢٦) ، وانظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية ، ج ٢ ، ص ٧-١٢) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨) ، وصحيح مسلم : كتاب الحج (١٣٣٧) وكتاب الفضائل (٢٢٩٦ ، ١٣٣٧) وكتاب العلم (٢٦٦٦) ، وسنن الترمذي : كتاب القدر (٢١٣٣) وكتاب العلم (٢٦٧٩) ، وسنن النسائي : كتاب مناسك الحج (٢٦١٩) ، ومسند أحمد (٢٤٧/٢ ، ٤٤٧/٢ ، ٤٥٦/٢ ، ٤٨٢/٢ ، ٤٩٥/٢ ، ٥٠٣/٢ ، ٥٠٨/٢ ، ٥١٧/٢) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، أصول الإيمان، ص ٢٦٧ - ٢٦٨) ، وانظر: "الدرر السنية" (الطبعة الثانية ، ج ٢ ، ص ٧-١٢) .

منحرفي الصوفية، ومن عبد الله بالرجاء وحده على زعمه؛ فهو لم يعبد الله؛ كما هو شأن المرجئة، ومن عبد الله بالخوف وحده على وهمه؛ فهو لم يعبده؛ كما هو شأن الخوارج.

وذلك في أولها: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰلَمِيْنَ ﴿۱﴾ اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿۲﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ﴿۳﴾ ؛ هذه الأركان الثلاثة.

فالآية الأولى: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰلَمِيْنَ ﴿۱﴾ فيها المحبة ؛ لأن الله منعم، والمنعم يحب على قدر إنعامه.

والآية الثانية: ﴿ اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿۲﴾ فيها الرجاء، لأن الله الرحمن الرحيم.

والآية الثالثة: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ﴿۳﴾ فيها الخوف ؛ لأن الله مالك يوم الدين، يوم الجزاء والحساب، وحده لا شريك له ولا شفيع، يوم لا تملك نفس. لنفس شيئا والأمر يومئذ لله.

وقول: ﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿۴﴾ ؛ أي: أعبدك يا رب بهذه الثلاثة بمحبتك ورجائك وخوفك، وهذا هو توحيد الألوهية أو العبادة بأركانه .

ومعنى: ﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿۵﴾ أنك تعاهد ربك أن لا تشرك به في عبادته أحدا، لا ملكا ولا نبيا ولا غيرهما.

﴿ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِيْبُ ﴿۶﴾ فيها توحيد الربوبية، وفيها توحيد طلب الإعانة مع التوكل والتبري من الحول والقوة إلا بالله.

وقدم المفعول - وهو إياك - وكرر: ﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِيْبُ ﴿۷﴾ ؛

- (١) سورة الفاتحة آية : ٢ .
- (٢) سورة الفاتحة آية : ٢ .
- (٣) سورة الفاتحة آية : ١ .
- (٤) سورة الفاتحة آية : ٤ .
- (٥) سورة الفاتحة آية : ٥ .
- (٦) سورة الفاتحة آية : ٥ .
- (٧) سورة الفاتحة آية : ٥ .

للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة .

والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين: فالأول: التبرؤ من الشرك. والثاني: التبرؤ من الحول والقوة.

وقوله: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(١) ؛ هو الدعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه ؛ فليتأمل العبد ضرورته له، والهداية المطلوبة هنا التوفيق والإرشاد، وتتضمن العلم النافع والعمل الصالح علي وجه الاستقامة، والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقي الله تعالى.

و (الصراط): الطريق الواضح المستقيم الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وهو صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة ؛ فليس بمستقيم، بل معوج، وفي ذلك الرد على المتبدعين .

وهذه أول الواجبات من هذه الآية، وهو اعتقاد ذلك بالقلب إجمالاً وتفصيلاً، والحذر من خداع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملًا، وتركه مفصلاً، فإن أكفر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن ما خالفه باطل، لكن كذبوا وبغوا بما لا تحوى أنفسهم مما جاء به، كما قال تعالى:

(١) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٦ .

﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾^(١).

وقوله: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(٢)؛ المغضوب

عليهم: العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون: العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، ومعنى هذا الدعاء هو الإقرار بفرضيته دائما في الصلاة حذرا من طريقي أهل هذه الصفات على الداعي. وكل هذا مع استصحاب أركان العبادة والدين، وهي: الحب والرجاء والخوف^(٣) في كل نوع من العبادة .

ويرى الشيخ أن المحبة لله مدار الولاء والبراء؛ لأنها أعظم أعمال القلب، بل هي أصل أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها، وقد عقد الشيخ لها بابا في " كتاب التوحيد " هو باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾^(٤) .

وأورد الشيخ تحت هذا الباب قول الله تعالى:

(١) سورة المائدة آية : ٧٠.

(٢) سورة الفاتحة آية : ٧.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثامنة، بعض فوائد سورة الفاتحة، ص ٣٨٢ - ٣٨٤، والقسم الرابع، التفسير، سورة الفاتحة، ص ٧ - ١٩، والقسم الثاني، الفقه، المجلد الثاني، ص ٧ - ٩).

(٤) سورة البقرة آية : ١٦٥.

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (١) .

وما رواه البخاري ومسلم عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ﴾ (٢) .

وللبخاري ومسلم عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ثلاث من كن فيه؛ وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ﴾ (٣) وفي رواية: ﴿ لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ... ﴾ (٤) إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: ﴿ من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلواته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً ﴾ رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ (٥) ؛ قال: " المودة".

قال الشيخ: "فيه مسائل: الأولى: تفسير آية "البقرة. الثانية:

(١) سورة التوبة آية : ٢٤ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٤٤) ، وسنن النسائي : كتاب الإيمان وشرايعه (٥٠١٣ ، ٥٠١٥) ،

وسنن ابن ماجه : كتاب المقدمة (٦٧) ، ومسنند أحمد (٢٠٧/٣ ، ٢٧٥/٣ ، ٢٧٨/٣) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان (١٦) وكتاب الإكراه (٦٩٤١) ، ومسنند أحمد (١٠٣/٣) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الأدب (٦٠٤١) .

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٦ .

تفسير آية براءة. الثالثة: وجوب محبته ﷺ وتقديمها على النفس والأهل والمال. الرابعة: نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام. الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها. السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها. السابعة: فهم الصحابي للواقع أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا. الثامنة: تفسير ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ (١). التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا. العاشرة: الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه. الحادية عشرة: أن من اتخذ ندا تساوي محبته محبة الله، فهو الشرك الأكبر، (٢).

وهكذا يستدل الشيخ على أن المحبة من العبادة بقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٣)(٤).

(١) سورة البقرة آية : ١٦٦ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٨٨ - ٩٠) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع، ص ٣٨٠ - ٣٨١) .

ولأن المنعم يجب على قدر إنعامه، والله سبحانه وتعالى هو المنعم على الإطلاق؛ فيجب أن يجب على الإطلاق، ولا يعادل حبه شيء آخر، كما في الآية الأولى من سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

ففيها أن الله رب العالمين، وفيها استغراق الحمد له لأنه رب العالمين^(٢). وما يزرع حب الله في القلب مع معرفة صفاته معرفة نعمه على الإنسان، ومن هذه النعم- وهي أعظمها على الإطلاق- ما جرى ذكره من قصة آدم وإبليس، وذلك من صنعه سبحانه بالإنسان وتشريفه، وتفضيله إياه على الملائكة، وفعله بإبليس ما فعل لما أوى أن يسجد له، وخلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسكانه جنته.

وقد خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الموجودين في زمن النبي ﷺ بما فعل مع آبائهم، وذكرهم بذلك، واستدعاهم به، وذكرهم أنه فعله لهم؛ كقوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٣).

وغير ذلك، ويذكر النعم التي هي أصل الشكر الذي هو الدين؛ لأن شكرها مبني على معرفتها وذكرها، فمعرفة النعم من الشكر، بل هي أم الشكر، كما في الحديث: ﴿من أسدي إليه معروف، فذكره، فقد شكره،

(١) سورة الفاتحة آية : ٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، بعض فوائد سورة الفاتحة، ص ٨٢)، وانظر:

(القسم الرابع، تفسير الفاتحة، ص ١٠ - ١١).

(٣) سورة البقرة آية : ٥٠.

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي - الجزء الأول

فإن كتم ؛ فقد كفره ﴿ . هذا في الأشياء التي تصدر من بني آدم، فكيف
بنعم المنعم على الحقيقة والكمال.

واجتمع الصحابة يوماً في دار يتذكرون ما من الله عليهم به من بعثة

محمد ﷺ.

وقوله في الحديث: ﴿ من أسدي إليه معروف... ﴾ إلخ، روي بمعناه عن

ابن عباس، ورواه أحمد في مسنده بمعناه عن عائشة^(١). ويرى الشيخ أن

برهان محبة الله الصحيحة هي اتباع رسول الله ﷺ وشرعه، كما قال الله

تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢)^(٣).

كما قدمنا قبل قليل^(٤).

ويقسم الشيخ المحبة؛ فيقول: "والمحبة تنقسم إلى أربعة أنواع:

المحبة الأولى: محبة شركية، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾^(٥) إلى كقوله: ﴿ وَمَا هُمْ

بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾^(٦).

(١) مؤلفات الشيخ: (القسم الرابع، التفسير، ص ٩١ - ٩٢).

(٢) سورة آل عمران آية : ٣١.

(٣) مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٤٧).

(٤) انظر: (١-٦٥٦هـ)، وما بعدها من هذا البحث.

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٥.

(٦) سورة البقرة آية : ١٦٧.

الحية الثانية: حب الباطل وأهله وبغض الحق وأهله، وهذه صفة المنافقين.

الحبة الثالثة: محبة طبيعية، وهي محبة المال والولد، وإذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تعن على محارم الله؛ فهي مباحة .

الحبة الرابعة: حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك وهي أوتنم عرى الإيمان، وأعظم ما يعبد به العبد ربه^(١) .

وأما ذكر الله تعالى؛ فهو من أفضل العبادات والقرب، والمحبة يدسم ذكر محبوبه، والله عَلَيْهِ تَوَكَّلْ من المحبة أعلاها، وهي حب العبادة الذي يصحبه ذل العابد وانقياده له وعدم نسيانه، وأن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده^(٢) وللذكر ودوامه تأثير عجيب في انشراح الصدر^(٣).

ولكن الشيخ يقتفي في ذلك هدى رسول الله ﷺ ويقول في ذلك: "كان النبي ﷺ أكمل الناس ذكرا لله عَلَيْهِ تَوَكَّلْ بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاده، وكان أمره ونهيه وتشريعه ذكرا منه لله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعدده ووعيده ذكرا منه له، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وتسبيحه وتمجيده ذكرا منه له، وسكوته ذكرا منه له بقلبه؛ فكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائما وقاعدا

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، بعض فوائد سورة الفاتحة، ص ٣٨٢).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٠).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٧٧).

وعلى جنبه، وفي مشيه وركوبه، وسيره ونزوله، وطمعته وإقامته^(١).
ويبحث الشيخ على الاعتبار بأيام الله، مثل قصة الفيل^(٢) وما في قصة موسى وفرعون في سورة القمر والمزمل لهذه الأمة من عبرة^(٣) والاعتبار بأبي لهب، وأن المال والولد وشرف البيت والسيادة يعطاه من هو أكفر الناس، وأن العامة أشربوا حب دينهم، وصبروا على المشقة فيه، مع أنهم لا يعرفون جنة ولا ناراً^(٤) والاعتبار بالبيت الحرام وآيات الله فيه، وكيف ابتدع أهل الأهواء مقامات تضاهيه، وكيف ترك أهل الكتاب تعظيمه مع أن الذي بناه إبراهيم^(٥).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٢٨، ١٥٥، ١٥٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٨٠).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣١٦)، ويشير الشيخ إلى الآيات في سورتي القمر والمزمل قال الله تعالى في سورة القمر: وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَانَ النَّارُ كَذِبًا وَأَبَايَاتًا نَبَاكَ لُمَّا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزُ قَدِيرٍ لِمَ أَهْمَاكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ لَنْ نَجْعَلَ مِنْهُمْ سِيْرًا الْجَمْعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبُرَ. وقال تعالى في سورة المزمل: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَىٰكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَانَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَانُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيْلًا فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٩، وص ٣٧٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣١، ٣٢) وانظر لاستدلال الشيخ رحمه

الله تعالى على التوحيد (١-٤٨٧) وما بعدها من هذا البحث. .

هذا وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه: الدعاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشيه، والإنابة، والا ستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر^(١).

ومن أنواع العبادة أيضا الاستعاذة، والاستغاثة، والخوف، والتأله، والركوع، والسجود، والهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام^(٢) والجهاد في سبيل الله تعالى، والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الإلهية^(٣) وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها وأمر رسوله ﷺ بها كلها وحده لا شريك له.

أما الإسلام ؛ فهو: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام . وهذه هي أركانه الخمسة.

ودليل الشهادة قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ

وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾^(٥).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٧ - ١٨٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٧ - ١٨٩، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٧٩ - ٣٨١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٩٤ - ١٩٦، والقسم الرابع، التفسير، ص ٩٥)، و"مختصر زاد المعاد" (ص ١٩٦ - ٢٢٥).

(٤) سورة آل عمران آية : ١٨.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩ - ١٩٠).

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)(٢).

ودليل الصلاة والزكاة قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٣).

ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٤)(٥).

ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٦)(٧).

(١) سورة التوبة آية : ١٢٨ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٠).

(٣) سورة البينة آية : ٥ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٣ .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٠).

(٦) سورة آل عمران آية : ٩٧ .

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩١).

وأما الإيمان، فهو بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان . وهو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، وهذه هي أركانه الستة، والدليل عليها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (١)(٢) .

ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٣) .
وأما الاحسان؛ فهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (٤) .

وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٥) الَّذِي يَرِنَا حِينَ تَقُومُ ﴿١٨٨﴾
وَتَقْلِبُ فِي السَّجْدِينَ ﴿١١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٠﴾ (٥) .

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٩١) .

(٣) سورة القمر آية : ٤٩ .

(٤) سورة النحل آية : ١٢٨ .

(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٧ .

وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ

إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾^(١).

والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: ﴿ بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ قال: "أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا".

فقال: صدقت. فعجبنا له، يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره". قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".

قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان". قال: فمضى، فلبثنا مليا،

(١) سورة يونس آية : ٦١.

فقال: "يا عمر! أتدري من السائل؟". قلت: الله ورسوله أعلم. قال:
"هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ﴿١﴾".

أما الدعاء؛ فيعرفه الشيخ فيقول: "وهو الطلب بياء النداء؛ لأنه ينادي
به القريب والبعيد، وقد يستعمل في الاستغاثة، أو يأخذ أحواتها من حروف
النداء، فإن العبادة اسم جنس، فأمر الله تعالى عباده أن يدعوه ولا يدعو
معه غيره، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٢).

ومن أدوية الهم والغم والحزن التوسل في الدعاء بأحب الأشياء إلى الله،
وهو أسماءه وصفاته، ومن أجمعها لمعاني الأسماء والصفات ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾
﴿(٣)(٤).

وقال تعالى في النهي عن دعاء غيره: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ
اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ﴿(٥).

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٢) سورة غافر آية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٥٥.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣١٠، والتفسير، البقرة، ص ٣٢،

٣٣، ٣٤، والأعراف، ص ١٠٠، ٩٨، ٧٨).

(٥) سورة الجن آية: ١٨.

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ (٢) إلى قوله: ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَنَافِلُونَ ﴾ (٤) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٨).

(١) سورة المؤمنون آية : ١١٧ .

(٢) سورة الرعد آية : ١٤ .

(٣) سورة الرعد آية : ١٤ .

(٤) سورة الأحقاف آية : ٥ .

(٥) سورة الشعراء آية : ٢١٣ .

(٦) سورة يونس آية : ١٠٦ .

وعن النعمان بن بشير؛ قال: . قال رسول الله ﷺ ﴿ الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: " وقال ربكم ادعوني أستجب لكم " ﴾^(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي .

قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الحديث عن الإمام أحمد: " وهكذا رواه أصحاب السنن والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من حديث الأعمش به، وقال الترمذي: حسن صحيح. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والأعمش كلاهما عن زر به، وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران، حدثنا النعمان بن عبد السلام، حدثنا سفيان الثوري، عن منصور، عن زر [به]، ورواه ابن حبان والحكم في "صحيحيهما"، وقال الحاكم: صحيح الإسناد"^(٢).

وقد روى الترمذي عن أنس، أن النبي ﷺ قال: ﴿ الدعاء مخ العبادة ﴾^(٣).

قال الشيخ: "قال العلقمي في - "شرح الجامع الصغير"^(٤) :

(١) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن (٣٢٤٧) وكتاب الدعوات (٣٣٧٢) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الدعاء (٣٨٢٨) ، ومسند أحمد (٢٧١/٤ ، ٢٧٦/٤).

(٢) " تفسير القرآن العظيم " لابن كثير (ج ٤ ، ص ٨٥).

(٣) سنن الترمذي : كتاب الدعوات (٣٣٧١).

(٤) العلقمي (٨٩٧ - ٩٦٩ هـ) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي القاهري الشافعي، فقيه محدث، تتلمذ لجلال الدين السيوطي، ودرس بالأزهر، ومن آثاره "الكوكب

حديث: " الدعاء مخ العبادة"، قال شيخنا: قال في "النهاية": مخ الشيء خالصه، وإنما كان مخها لأمرين:

أحدهما: أنه امتثال أمر الله تعالى حيث يقول: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ

لَكُمْ ﴾^(١) فهو محض العبادة، وهو خالصها.

الثاني: أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله؛ قطع أمله عما سواه، ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها، وهو المطلوب بالدعاء^(٢).

وقوله: " الدعاء هو العبادة"، قال شيخنا: قال الطيبي: أتى بالخبر المعرف باللام ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء " انتهى كلام العلقمي "^(٣).

قال الشيخ: "إذا تقرر هذا؛ فنحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات، لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله ﷺ... " وأورد الشيخ بعض الأدلة

المنير لشرح الجامع الصغير" المشار إليه في ثلاثة مجلدات، طبع منها المجلد الأول، انظر: "معجم المؤلفين" (ج ١ / ١٤٤) "كشف الظنون" (٤٤٥، ٥٦٠)، و "الأعلام" للزركلي (٦-١٩٥، ١٩٦)، "شذرات الذهب" (٨-٣٣٨)، و"الكواكب السائرة" (٢-٤١)، و "فهرس الفهارس" (٢٠٦) .

(١) سورة غافر آية : ٦٠ .

(٢) انظر: نص كلام ابن الأثير في "النهاية" في (الجزء الرابع، باب الميم مع الخاء).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٤ - ١٠٥).

المتقدمة من القرآن، ثم قال: " وهذا مق معنى لا إله إلا الله " (١).
ومن ذلك طلب الشفاعة؛ فلا تطلب الشفاعة من غير الله تعالى؛ لأن
الشفاعة كلها له سبحانه؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۗ ﴾ (٢).
ولا يشفع أحد في أحد إلا من بعد أن يأذن الله تعالى؛ كما قال: ﴿
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ ﴾ (٣).
وكما قال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ۗ ﴾ (٤).
والله لا يرضى غير التوحيد لله بالعبادة.
وحقيقة الشفاعة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص،
فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود (٥).

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٨، والرسالة السابقة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٧٩، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٦، ص ١٠٤ - ١١٠هـ).

(٢) سورة الزمر آية : ٤٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الشفاعة، ص ٥٢-٥٣).

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١).

وفي الحديث: ﴿إِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ﴾^(٢).

ومعنى الاستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٣) هو سؤال الإعانة من الله، وهو التوكل والتبري من الحول والقوة، فهي من نصف العبد؛ لأن الفاتحة سبع آيات: ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد؛ كما ورد في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)؛ قَالَ اللَّهُ: حَمْدِي عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ: (مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ)، قَالَ اللَّهُ: مَجْدَنِي عَبْدِي. فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، قَالَ اللَّهُ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)، قَالَ اللَّهُ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ﴾^(٤) انتهى الحديث^(٥).

وفعل السبب مع الاستعانة بالله من أكبر الأسباب في حصول

(١) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٨ - ١٨٩، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٨٠).

(٣) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الصلاة (٣٩٥) ، ومسند أحمد (٢/٢٤١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ١٦، ص ٨، والقسم الأول، العقيدة، بعض فوائد سورة الفاتحة، ص ٣٨٤) .

المقصود؛ ففي البسملة إذا قلت: بسم الله؛ فمعناها: أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك باسم الله لا بحولي ولا بقوتي، بل أفعَل هذا الأمر مستعينا بالله، متبركا باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمر تسمي في أوله من أمر الدين أو أمر الدنيا، فإذا أحضرت في نفسك أن دخولك في القراءة بالله مستعينا به متبرئا من الحول والقوة؛ كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب، وطرد الموانع من كل خير، ولذا كان أول اقرأ فيه الاستعانة، وأول المدثر فيه العبادة^(١) والاستعانة بالله من أدوية الكرب والهَم والحزن^(٢).
ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(٥).

(١) مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٩، وص ٣٦٦).

(٢) مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣٠٨، ص ٣١١).

(٣) سورة المائدة آية : ٢٣.

(٤) سورة الطلاق آية : ٣.

(٥) سورة الأنفال آية : ٢.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل: قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ رواه البخاري والنسائي.

وهذه الأدلة قد عقد لها الشيخ بابا في "كتاب التوحيد"، وقال: "فيه مسائل: الأولى: أن التوكل من الفرائض. الثانية: أنه من شروط الإيمان. الثالثة: تفسير آية الأنفال. الرابعة: تفسير الآية في آخرها. الخامسة: تفسير آية الطلاق. السادسة: عظم شأن هذه الكلمة أنها قول إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم في الشدائد"^(٢).

والله حقيق أن يتوكل عليه كل عاقل، والتوكل لا يستقيم إلا خالصاً^(٣) والتوكل واليقين لا ينافي السبب وفعله.

وقد غلط طائفتان في التوكل

إحدهما: زعمت أن التوكل وحده سبب مستقل، فعطلت

(١) سورة الأنفال آية : ٦٤ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٩٣ - ٩٤)، وانظر: (ص ٣٨٠)، وانظر: (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٠٩، ص ٣٣١، وص ٣٦٧، وص ٣٦٩، ومختصر زاد المعاد، ص ٣٠٨ - ٣١١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، الزمر، ص ٣٣١)، وانظر: (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٥٢).

الأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى .

الثانية: قامت بالأسباب وأعرضت عن التوكل^(١).

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾^(٢) إلى آخر

السورة، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾^(٣) إلى آخر السورة.

وعن خولة بنت حكيم، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ من نزل

منزلاً، فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء

حتى يرحل من منزله ذلك ﴾^(٤) رواه مسلم.

قال الشيخ: "إن العلماء يستدلون بالحديث على أن كلمات الله غير

مخلوقة، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك^(٥) .

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ

لَكُمْ ﴾^{(٦)(٧)} .

وقوله تعالى:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، يوسف، ص ١٦٣، والقصص، ص ٢٨٣،

مختصر زاد المعاد، ص ١٢٧).

(٢) سورة الفلق آية : ١ .

(٣) سورة الناس آية : ١ .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨) ، وسنن الترمذي :

كتاب الدعوات (٣٤٣٧) ، ومسند أحمد (٣٧٨/٦).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩، وص ٣٨٠، وكتاب

التوحيد، باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، ص ٤١)، و"مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع،

التفسير، ص ٩، وص ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠هـ).

(٦) سورة الأنفال آية : ٩ .

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩، والأصل الجامع

لعبادة الله وحده، ص ٣٨٠).

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدَكَ نَجْمًا فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

وقوله تعالى: ﴿ أَمَّن تَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ ﴾ (٢) .

يقول الشيخ: "إن الدعاء عام والاستغاثة خاصة (٣) أي: أن الاستغاثة دعاء لكن عند الاضطرار والشدة.

ويفعل السبب مع الاستغاثة بالله؛ كما فعل موسى فيما ذكر الله عنه، فقال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۗ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)(٥) .

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦) .

(١) سورة يونس آية : ١٠٧ .

(٢) سورة النمل آية : ٦٢ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره، ص ٤٢ - ٤٤) .

(٤) سورة القصص آية : ٢١ .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، القصص، ص ٢٨٧) .

(٦) سورة الأنعام آية : ١٦٢ .

وقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَرِّ ۖ ﴾^(١) .

ومن السنة: "لعن الله من ذبح لغير الله"^(٢) .

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ

مُسْتَطِيرًا ۖ ﴾^{(٣)(٤)} .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ

اللَّهُ يَعْلَمُهُ ۗ ﴾^(٥) .

وفي "الصحيح" عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿

من نذر أن يطيع الله؛ فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله؛ فلا يعصه ﴾^(٦) .

(١) سورة الكوثر آية : ٢ .

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، باب ما جاء في الذبح لغير الله، ص ٣٥، ٣٨، وص ١٨٩، وص ٣٨٠) .

(٣) سورة الإنسان آية : ٧ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩، والأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٨٠) .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٧٠ .

(٦) سنن الترمذي : كتاب النذور والأيمان (١٥٢٦) ، وسنن النسائي : كتاب الأيمان والنذور

(٣٨٠٦، ٣٨٠٧، ٣٨٠٨) ، وسنن أبي داود : كتاب الأيمان والنذور (٣٢٨٩) ، وسنن

ابن ماجه : كتاب الكفارات (٢١٢٦) ، وموطأ مالك : كتاب النذور والأيمان (١٠٣١) ،

وسنن الدارمي : كتاب النذور والأيمان (٢٣٣٨) .

قال الشيخ: "فيه وجوب الوفاء بالندر، وإذا ثبت كونه عبادة لله؛ فصرفه إلى غيره شرك، وقد ثبت أنه عبادة بمقتضى مشروعية الوفاء به".
وقد بوب الشيخ لهذا بقوله: "باب من الشرك النذر لغير الله" (١).
ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)(٣).

فإخلاص الخوف لله من الفرائض، ومن فعله له ثواب عظيم، ومن تركه له عقاب كبير، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من التمس رضى الله بسخط الناس؛ رضى الله عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ﴾ رواه ابن حبان في "صحيحه".

ذكر الشيخ هذا الحديث تحت (باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)(٥).

لكن هناك خوف غير مذموم، مثل ما حكاه الله عن موسى:

(١) "مؤلفات الشيخ (القسم الأول، كتاب التوحيد، باب من الشرك النذر لغير الله، ص ٤٠).

(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٥.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩، والأصل الجامع، ص ٣٨٠-

٣٨١).

(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٥.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (كتاب التوحيد، ص ٩١ - ٩٢).

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾^(١) .

وإن مما يخاف منه على المؤمن الاتكال على سعة رحمة الله من قوله ﷺ

لمعاذ: ﴿ لا تبشروهم فيتكلموا ﴾^(٢) متفق عليه^(٣) .

ولا بد من لزوم الخوف من الله وعدم الأمن حتى البشرى عند الموت من

الملائكة^(٤) . ؛ فإن إبراهيم وإسماعيل طلبا من الله أن يرزقهما الإسلام في قوله

تعالى عنهما: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾^(٥) .

والغفلة عن هذا من العجائب، وطلبا من الله أن يتوب عليهما وهما هما؛

ففي ذلك خوفهما من الذنوب^(٦) .

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^{(٧)(٨)} .

(١) سورة القصص آية : ١٨ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير (٢٨٥٦) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (٣٠) .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ص ٩ - ١٠) .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٨٤ - ٨٥ ، ص ١١ ، وص ٢٨٦ - ٢٨٧) .

(٥) سورة البقرة آية : ١٢٨ .

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٢ - ٣٣) .

(٧) سورة الكهف آية : ١١٠ .

(٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩ ، والأصل الجامع، ص ٣٨٠ - ٣٨١ ، والقسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٠) .

ومن أنواع العبادة: الحجرة والتوبة^(١).

والدليل على أن الحجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وأنها باقية إلى أن تقوم الساعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ^ط قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ^ج قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا^ج فَأُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ^ط وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٥٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٥٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ^ج وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٥٩﴾﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٢١﴾﴾^(٣).

يقول الشيخ: "قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان".
والدليل على الحجرة من السنة قوله ﷺ ﴿لَا تَنْقُطُ الْحَجْرَةُ حَتَّى تَنْقُطَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقُطَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا﴾^(٤)^(١).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٣٠٨ - ٣١٠).

(٢) سورة النساء آية : ٩٧.

(٣) سورة العنكبوت آية : ٥٦.

(٤) سنن أبي داود : كتاب الجهاد (٢٤٧٩) ، ومسند أحمد (٩٩/٤).

والجهاد في سبيل الله من أفضل العبادات، وذروة سنام الإسلام وفق منهج رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَىٰكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢)(٣).

ومن أنواع العبادات زيارة قبر النبي ﷺ قال ما معناه: "زيارة قبر النبي ﷺ حسب المشروع من أفضل الأعمال"^(٤).

وعلى العموم، فالشيخ يرى أن زيارة القبور مستحبة، ويعني بها الزيارة المشروعة، ومن غير شد رحل لذلك، وهي التي شرعها رسول الله ﷺ وفعّلها، ﴿ فكان رسول الله ﷺ يزور قبور أصحابه للدعاء لهم والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنّها رسول الله ﷺ وأمرهم إذا زاروها أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية ﴾ وكان يقول ﷺ ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت، وأمر بزيارة القبور من أجل تذكّر الآخرة والدعاء

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٩٣، وص ٣٥٨ - ٣٥٩،

والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٢١١، والقسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص ٣٣٠).

(٢) سورة البقرة آية: ٢١٨.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، ثلاثة الأصول، ص ١٩٦، التوحيد، ص ١٠١، ١٤٢ -

١٤٣)، "مفيد المستفيد" (ص ٢٨٤)، و (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٥٨ - ٢٨٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٦٧).

للميت، وهذا هدي رسول الله ﷺ هدي توحيد وإيمان وإحسان إلى الميت، فأبي المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه إليه، تحريا للاجابة عنده مما هو عكس هديه ﷺ (١).

ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ ﴾ (٢) (٣).

ودليل الرغبة والرغبة والخشوع قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ فِي الْأَخْيَرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ (٤).

وقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ ﴾ (٥).

ودليل الخشية قوله تعالى:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٦٨).

(٢) سورة الزمر آية : ٥٤.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، الأصل الجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٨٠).

(٤) سورة الأنبياء آية : ٩٠.

(٥) سورة آل عمران آية : ١٩٩.

﴿ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾^(١) .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ ﴾^(٢)^(٣) .

وخشية الله جامعة للدين كله^(٤).

ودليل التأله قوله تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ

الرَّحِيمُ ﴾^(٥) .

ودليل الركوع والسجود قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا

وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٦)^(٧) .

وغير ذلك من أنواع العبادة التي شرع الله ورسوله ﷺ وهي كثيرة، لكن

يجمعها شرع الله لرسوله ﷺ؛ فشرع الله جامع مانع، جامع لكل أنواع

العبادة الموصلة إلى رضوان الله تعالى، مانع من دخول

(١) سورة البقرة آية : ١٥٠ .

(٢) سورة المائدة آية : ٤٤ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، الأصل الجامع، ص ٣٨٠ - ٣٨١).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٧).

(٥) سورة البقرة آية : ١٦٣ .

(٦) سورة الحج آية : ٧٧ .

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع، ص ٣٨٠ - ٣٨١، وثلاثة

الأصول، ص ١٨٩).

شيء خارج عن الشريعة مما يحبه الله ويرضاه ؛ فالعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في تعريف العبادة في الشرع: "اختلفت عباراتهم والمعنى واحد؛ فعرفها طائفة بقولهم: هي ما أمر به شرعا من غير اطراد عرقي ولا اقتضاء عقلي، وعرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع، وقال أبو العباس رحمه الله تعالى: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الأدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة... وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمته، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه... وأمثال ذلك؛ فالدين كله داخل في العبادة"^(١) انتهى.

الخلاصة أن جميع أنواع العبادة وأفرادها موضحة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان؛ كما قال تعالى:

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ١٣٨ - ١٣٩) .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) .

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع أو مدحه الشارع أو أثنى على من قام به ؛ فهو عبادة وقربة، وكل أمر ثبت النهي عنه من الشارع أو ذمه الشارع أو ذم من قام به؛ فإن الانتهاء عنه وتركه والبعد عنه عبادة أيضا وقربة، وطاعة الله في جميع ذلك هي توحيد وإيمان وعبادة وإخلاص، وصرفه أو صرف نوع منه أو فرد من أفراده لغير الله شرك وكفر (٢) ؛ فإن الجامع لعبادة الله وحده طاعته بامثال أوامره واجتناب مناهيه، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، وهي حق الله تعالى على عباده، يختص بها دون غيره، ولا يجوز أن يشاركه فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما.

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى ؛ فقد اتخذها ربا وإلهًا وأشرك مع الله غيره، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها؛ لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من العبادة ما لم يكن حالصا له، كما قال تعالى:

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۗ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (٣) .

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

(٢) انظر: قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في حد الشرك في تعليقه على "كتاب التوحيد"

المسمى "القول السديد" (ص ٥٢ - ٥٣) .

(٣) سورة الزمر آية : ٢ .

وبذلك ينتهي هذا الفصل الذي هو تفصيل للركن الأول، وهو الإيمان بالله تعالى من أركان الإيمان الستة، وقد ذكرنا مجمل اعتقاد الشيخ في تلك الأركان في الفصل الذي قبله .

ويلاحظ أن كثرة ما كتبناه من عقيدة الشيخ هو في التوحيد، لا سيما توحيد الألوهية، حتى إننا نرى في كل آثار الشيخ- وإن تطرقت إلى سائر فنون العلم- ترابطا ينظمه توحيد الألوهية، وتنبثق هذه الآثار من توحيد الألوهية المبني على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وذلك أن الشيخ قد تفاعل مع حاجة أهل عصره، ولبى ما يقتضيه الواجب الإلهي نحو مجتمعه ؛ فهو عالم رباني، وطبيب داء الجهل الذي أصيب به الناس في زمانه؛ فسارع بمهارة في تشخيص دائه وتركيب دوائه، وأجاد رحمه الله في ذلك، وحاز مقام الرباني؛ كما قال الإمام ابن قيم الجوزية:

شاف لداء جهالة الإنسان	فألوحى كاف للذي يعنى به
للوحي فوق تفاوت الأبدان	وتفاوت العلماء في أفهامهم
أمران في التركيب متفقان	والجهل داء قاتل وشفأؤه
وطبيب ذاك العالم الرباني (١)	نص من القرآن أو من سنة

ولذا؛ فقد وجدنا تفصيلا من عقيدته في التوحيد، خصوصا توحيد الألوهية، وهو داخل في الإيمان بالله، الركن الأول من أركان

(١) "القصيدة النونية للإمام ابن قيم الجوزية" (فصل في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء ، ص ١٨٩).

الإيمان، أما بقية أركان الإيمان ومباحثه، فلم نجد للشيخ تفصيلاً فيه كما وجدناه له في التوحيد، ولذلك نكتفي بما تقدم ذكره في مجمل عقيدته في ذلك.

وننتقل من عرض العقيدة إلى جانب الدفاع عنها والتحذير من نواقضها، وهو ما يتضمنه الفصل التالي في التحذير من نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كمالها؛ فإلى ذلك، وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا به.

الفهرس

المقدمة	٥
المدخل	٣٥
المبحث الأول في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي.....	٣٧
نجد وأحوالها الدينية والسياسية.....	٣٨
أشرف الحجاز	٤١
الدولة العثمانية في حكم الزوال.....	٤٣
الدولة الصفوية الرافضية.....	٤٥
الدولة المغولية في الهند.....	٤٦
في المغرب الأقصى	٤٧
في غرب إفريقية.....	٤٧
في أواسط آسية.....	٤٨
في الصين.....	٤٨
في إندونيسيا.....	٤٨
الحالة الدينية للمسلمين عموما في أول القرن الثاني عشر.....	٤٨
الواقع الديني كما يشخصه الشيخ محمد بن عبد الوهاب.....	٥٠
تصوير ابن غنام للواقع الديني.....	٦٠
وصف الشيخ عبد اللطيف غربة الدين.....	٧١
كلام ابن بشر عن فشو الشرك.....	٧٣

- ٧٤ قول الشيخ ابن باز عن الحالة الدينية
- ٧٥ كلام الشيخ ابن حميد عن الانحراف الواقع
- ٧٦ ما ذكره الشيخ البسام
- ٧٦ وصف الأمير الصنعاني ظهور البدع وطغيان الضلال
- ٧٩ شهادة الشيخ حسين بن مهدي النعمي
- ٩١ شهادة الإمام الشوكاني
- ٩٦ كلام حافظ وهبة
- ٩٨ كلام الكاتب الأمريكي لوثر روب ستودارد
- ٩٩ تعليق شكيب أرسلان
- ١٠٠ إقرار خصوم الشيخ بالانحراف
- ١٠١ إنكار علماء السنة ما حدث من الانحراف
- ١٠١ رد على من ينكر غلبة الجاهلية قبيل ظهور الشيخ
- ١٠٧ المبحث الثاني حياة الشيخ وخصوصا الناحية العلمية
- ١٠٧ المترجمون للشيخ
- ١٠٧ أ- مراجع أساسية
- ١١٠ ب- مراجع فرعية
- ١١٠ ج- مراجع أعرضت عنها
- ١١٣ نسب الشيخ
- ١٢٠ أسرته العلمية
- ١٢٥ مولده ونشأته العلمية ومواهبه
- ١٢٩ أثر البيئة في توجيه الشيخ علميا

١٣١	توجه الشيخ للرحلة في طلب العلم
١٣٢	رحلاته العلمية
١٤٣	شيوخه وما أخذه عنهم من فنون العلم
١٧٥	رحلات الشيخ لم تتجاوز الحجاز والعراق والأحساء
١٧٨	الشيخ لم يدرس اللغتين الفارسية والتركية
١٨٠	نتيجة رحلاته العلمية وأخذه عن المشايخ
١٨٢	عودة الشيخ من رحلاته العلمية إلى حريملاء
١٨٤	تلاميذ الشيخ ومن أخذ عنه من العلماء
١٩١	مؤلفات الشيخ
٢٣٥	وفاته
٢٣٧	ثناء العلماء وراثاؤهم

الباب الأول

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

٢٤٧	الفصل الأول: منهج الشيخ في عقيدته ودعوته
٢٤٧	توطئة
٢٧٢	منهج الشيخ
٢٩٦	منهجه في الاستدلال
٣٠٩	تقسيم التوحيد
٣١٤	ليس سبب الخلاف بين الشيخ وخصومه تقسيم التوحيد
٣١٥	منهجه في التوحيد
٣١٩	رفضه لمنهج الجاهليين وأهل الكلام

أجوبة الشيخ عما نسب إليه ومسألة التكفير والقتال	٣٣٥
ما يرتكز عليه منهجه	٣٥٠
التقليد والاجتهاد	٣٦٨
موجز ما تقدم في نقاط	٣٧٦
الفصل الثاني: في مجمل عقيدته	٣٧٩
أصول الإيمان	٣٧٩
الإيمان بالله تعالى	٣٨٠
الإيمان بالملائكة	٣٩٩
الإيمان بكتب الله	٤١١
الإيمان بالرسول	٤٢٢
الإيمان بخصوصيات خاتمهم محمد ﷺ	٤٢٩
فضيلة أمة محمد ﷺ	٤٤١
الخلفاء الأربعة وبقية الصحابة	٤٤٢
آل النبي ﷺ	٤٤٦
الموقف عموماً من الصحابة وما شجر بينهم	٤٤٨
كرامات الأولياء والصالحين	٤٥١
الإمامة ومضي الجهاد مع البر والفاجر والسمع والطاعة	٤٥٥
أشراط الساعة	٤٥٨
الإيمان باليوم الآخر	٤٥٩
الإيمان بالقدر	٤٦٨
من مباحث الإيمان	٤٧٤

٤٨٧	الفصل الثالث عقيدة الشيخ في التوحيد
٤٨٨	توحيد المعرفة والإثبات
٥٥٧	توحيد الإلهية والعبادة

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية
وأثرها في العالم الإسلامي

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي

تأليف

د. صالح بن عبدالله بن عبد الرحمن العبود

الجزء الثاني

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي - الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الرابع

التحذير من نقيض عقيدة السلف الصالح أو نقيض كمالها

لما كانت الفصول المتقدمة هي في عقيدة الشيخ التي هي عقيدة السلف الصالح؛ ناسب أن نتبعها بفصل يتضمن التحذير من ما يناقض عقيدتهم، أو يناقض كمالها وينقصه؛ ببيان ذلك المناقض.

وهذا أمر عظيم يستحق الاهتمام، ولذا كان جانباً بناءً من عقيدة الشيخ رحمه الله تعالى، كيف لا وهو بيان ما ينقض البنيان من أساسه للحدّز منه والتحرز عنه؟! قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ﴾^(١).

وما من شك أن بيان النواقض للإيمان أو لكمالها للحدّز منها من الأمور البناءة؛ لأنها حماية للبناء أن ينهدم.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ﴿كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكَنتَ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يَدْرِكَنِي﴾^{(٢)(٣)}.

(١) سورة النحل آية : ٩٢ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المناقب (٣٦٠٦) وكتاب الفتن (٧٠٨٤) ، وصحيح مسلم : كتاب الإمارة (١٨٤٧) .

(٣) صحيح البخاري (ج ٨ ، كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ، ص ٩٢ - ٩٣) .

ولذا؛ فالشيخ يحذر من نواقض الإيمان ومبطلاته، ويبينها ويبيدها عن المسلمين، ويعد المسلمين عنها بكل ما استطاع.

ولقد اهتم بذلك أيما اهتمام، حتى كاد أن يستأثر هذا الجانب بكل همته، كما كاد أن يستأثر بالواقع في بداية الإصلاح، ولأن مشكلة العالم الإسلامي تكمن في هذه الناحية، وكيد الشيطان يتركز على هذا الجانب، حيث يكيد للمسلم ويزين له ما يحبط عمله ويفسده، ثم بعد ذلك يصل الشيطان إلى غرضه؛ فلا يضيره كثرة عمل المسلم وضخامته ما دام أنه على شيء يناقضه ويفسده.

ولذا؛ فالشيخ رحمه الله كرس جهودا عظيمة في بيان هذه النقطة التي هي مفرق الطريق، ومنها يتميز المسلم المستقيم الثابت من الذي ينقض دينه، سواء علم أو لم يعلم.

ولئن كان أبو حيان قد أصاب في مدحه ابن تيمية بقوله:

لما أتانا تقى الدين لاح لنا	داع إلى الله فرد ما له وزر
على محياه من سيما الألى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا	بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم إذ عصت مضر
وأظهر الحق إذ آثاره اندرست	وأحمد الشر إذ طارت له شرر ^(١)

فإن من يصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بهذا الوصف

(١) عن "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" تأليف الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ج ١،

يصيب أيما إصابة، حيث إنه رحمه الله قد أظهر الحق إذ اندرست آثاره، وأخذ الشر بعد أن طار شرره، وقام مقام سيد تيم أبي بكر رضي الله عنه لما ارتد غالب العرب، وعصوا من بعد ما سمعوا، ونقضوا غزلهم، وأفسدوا صلاحهم، وأبطلوا أعمالهم، ففسدت قوتهم العلمية والعملية، كما سبق أن بينا ذلك في وصف البيئة التي ظهر عليها الشيخ رحمه الله^(١).

فكان الشيخ يركز دفاعه على الاحتراز من إفساد هاتين القوتين: القوة العلمية، والقوة العملية.

يقول رحمه الله في استنباطه من قول الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾^(٢).

يقول: "فيها أن الذي أتاهم من الآيات ليست هذه وحدها (يعني: قصة يوسف)، بل كم وكم من آية من الآيات السماوية والأرضية يمرون عليها ويعرضون عن الانتفاع بها، وليس هذا قصورا في البيان؛ فإنه مشاهد، بل القلوب غير قابلة. وفيها المسألة العظيمة، وهي إخباره تبارك وتعالى أن أكثر هذا الخلق لو آمن؛ أفسد إيمانه بالشرك. فهذه فساد القوة العملية، والتي قبلها فساد القوة العلمية. وفيها التنبيه على الاحتراز من اجتماع الإيمان مع الشرك المفسد له،

(١) انظر: (٣٧/١) من هذا البحث.

(٢) سورة يوسف آية : ١٠٥ .

خصوصاً لما ذكر أن هذا حال الجمهور^(١).

هذا وقد بلغت آيات القرآن الكريم التي فيها لفظة الشرك وما تصرف منها في الحكم على الشرك وأهله حسب استقراء ما يقارب مائة وخمسة وستين آية ما عدا الآيات الأخرى التي فيها ذم له بغير لفظه، أما الأحاديث الصحيحة من سنة رسول الله ﷺ فكثيرة جداً.

إذاً؛ فلا غرابة إذا كثرت ألفاظ الشرك في التحذير عنه وذمه ودم أهله والبراءة منه ومن أهله في أعمال الشيخ ومؤلفاته^(٢)؛ ذلك أن الشرك أعظم مفسد للعلم والعمل المبتغى بهما رضوان الله والسعادة، وليس أضر على الإنسان من إفساد عمله وعلمه، ولذا؛ كان من أشد الناس خسرانا من اتصف بالناصية الكاذبة الخاطئة.

ويقول الشيخ: "قوله تعالى: ﴿ نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ ﴾^(٣) فيه الجمع بين الكذب والخطأ في وصف هذه الناصية، فدل على وصفه بفساد القول والعمل"^(٤).

فما من شك أن الاهتمام بهذا الجانب لاجتناب الفساد حق؛ فلنبداً بنواقض الإسلام نبينها؛ لتعرف فتجنب.

نواقض الإسلام العشرة

يقول الشيخ: "اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ١٧٧ - ١٧٨).

(٢) "انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، كشف الشبهات، مفيد المستفيد، والقواعد الأربع، والأصل الجامع) وغيرهما .

(٣) سورة العلق آية : ١٦ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٢).

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى؛ قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ

يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٢).

ومنه الذبح لغير الله؛ كمن يذبح للجن أو للقبر".

وفي "كتاب التوحيد" عقد الشيخ بابا في ذلك، هو (باب ما جاء في

الذبح لغير الله تعالى)، وأورد تحته أدلة؛ منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي

وَدُنُسِي وَحَيَاتِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) لَا شَرِيكَ لَهُ^ط وَبَدَلِكُ أُمِرْتُ وَأَنَا

أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾^(٤).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: ﴿حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع

كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من

آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض﴾^(٥) رواه

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٢) سورة المائدة آية : ٧٢ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٦٢ .

(٤) سورة الكوثر آية : ٢ .

(٥) مسند أحمد (١/٣٠٩، ١/٣١٧) .

مسلم من طرق بمعنى ما ذكره المصنف، وفيه قصة، ورواه الإمام أحمد كذلك^(١).

وقال الشيخ: "فيه تفسير (إن صلاتي ونسكي)، وتفسير (فصل لربك وانحر)، والبداء بلعنة من ذبح لغير الله^(٢).

ويقول الشيخ سليمان في "تيسير العزيز الحميد": "قال النووي: المراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى؛ كمن يذبح للصنم، أو للصليب، أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما وسلم، أو للكعبة... ونحو ذلك؛ فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً، نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبح له غير الله تعالى والعبادة له؛ كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك؛ صار بالذبح مرتداً، ذكره في "شرح مسلم"^(٣) ونقله غير واحد من الشافعية وغيرهم"^(٤).

قال الشيخ: "وقال أبو العباس رحمه الله في كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم" في الكلام على قوله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾^(٥):

(١) "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (ص ١٥٦ - ١٥٧). وانظر: "صحيح مسلم" (ج ٣، ص ١٥٦٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٣٥ - ٣٦).

(٣) "صحيح مسلم بشرح النووي" (ج ١٣، ص ١٤١).

(٤) "تيسير العزيز الحميد" (ص ١٥٧).

(٥) سورة البقرة آية : ١٧٣.

ظاهره أنه ما ذبح لغير الله؛ سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه النصراني للحم وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه؛ كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه؛ كان أذكى مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: بسم الله؛ فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربا به إليه؛ لحرم، وإن قال فيه: بسم الله؛ كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبائحهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن^(١) انتهى.

قال الشيخ معلقا: "فانظر أرشدك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة، وتصريحه أن المنافق يصير مرتدا بذلك، وهذا في المعين؛ إذ لا يتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين"^(٢).

ويذكر الشيخ في جوابه لمن سأله عن الذبح للجن أن العلماء صرحوا أن الذبح للجن ردة تخرج من الملة، وقالوا: الذبيحة حرام، ولو سمى عليها. قالوا: لأنها يجتمع فيها مانعان: الأول: أنها مما أهل به لغير الله. والثاني: أنها ذبيحة مرتد، والمرتد لا تحل ذبيحته، وإن ذبحها للأكل وسمى الله عليها.

(١) انظر: "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٢٥٩).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد، ص ٢٨٥ - ٢٨٦).

وقول العلماء: إنه منهي عنها، أو حرام، أو مكروهة، أو لا تنبغي...
ألفاظ عامة تستعمل في المكفرات والمحرمات التي هي دون الكفر، وفي
المكروهات كراهة التنزيه التي هي دون الحرام.

ومثال استعمالها في المكفرات قوله:

﴿ وَمَا يُنْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (١).

وقولهم: لا تنبغي العبادة إلا لله وحده.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (٢).

قال الشيخ: "وكلام العلماء لا ينحصر في قولهم: يحرم كذا؛ لما صرحوا
في مواضع أخرى أنه كفر، وقولهم: يكره؛ لما هو كفر؛ كقوله تعالى: ﴿
وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٣) إلى قوله: ﴿ كُلُّ ذَلِكُمْ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ
رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ (٤).

وأما كلام الإمام أحمد في قوله: أكره كذا؛ فهو عند أصحابه على
التحريم".

(١) سورة مريم آية : ٩٢.

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥١.

(٣) سورة الإسراء آية : ٢٣.

(٤) سورة الإسراء آية : ٣٨.

والمقصود من هذا هو إزالة شبهة أوردتها السائل، وهي أن قول العلماء: الذبح للجن منهي عنه أو محرم؛ هل يفهم من قولهم هذا أنه دون الكفر والشرك الأكبر؛ لأن هذا القول ليس صريحا بأنه شرك. وقد جادل بهذه الشبهة على أقوال العلماء تلك مجادلون رد عليهم الشيخ بمثل ما قدمت عنه، وكشف الشبهة، وبين حكم الذبح لغير الله وأنه شرك أكبر.

الثاني من نواقض الإسلام: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ كفر إجماعا.

وسئل الشيخ عن قوله في "الإقناع" (باب: حكم المرتد): "أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم؛ كفر إجماعا"^(١). فأجاب بقوله: "وكذلك (أي: يكفر) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم إجماعا، وذكروا أن هذا بعينه هو الذي يفعله أهل زمانهم عند القبور؛ فكيف بزماننا؟ بيّنه لك قول الشارح لما ذكر هذا وذكر بعده أنواعا من الكفر المخرج عن الملة؛ قال: وقد عمّت البلوى بهذه الفرق، وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية... انتهى كلامه في "شرح الإقناع"^(٢).

(١) "الإقناع في فقه الإمام أحمد" للحجاوي (ج ٤، ص ٢٩٧) .

(٢) "كشاف القناع عن متن الإقناع" للبهوتي (ج ٦، ص ١٧٠). "مؤلفات الشيخ" (القسم

الثالث، الفتاوى رقم ١٤، ص ٦٢ - ٦٣) .

الثالث: من نواقض الإسلام: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم، كفر.

الرابع: من نواقض الإسلام: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه؛ فهو كافر.

الخامس: من نواقض الإسلام: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به؛ كفر إجماعاً: والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزَلَ اللَّهُ فَأَحَبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾^(١).

وقد سئل الشيخ عن معنى قوله في (باب حكم المرتد) من كتاب "الإقناع في الفقه الحنبلي": "أو كان مبغضاً لما جاء به الرسول اتفاقاً"^(٢)؟ فأجاب الشيخ: "إن معناه إذا كان مبغضاً لما جاء به الرسول ﷺ وإن لم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه، ودعوة الناس إليه؛ كما هو حال من يدعي العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله ﷺ ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعادون من التفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونهم عند الحكام. وكذلك يقرون أن الرسول ﷺ أتى بالإنذار عن الشرك، بل هو أول ما أنذر عنه، وأعظم ما أنذر

(١) سورة محمد آية : ٩ .

(٢) انظر: "الإقناع في فقه الإمام أحمد" لأبي النجا موسى الحجاوي (طبعة مصطفى محمد، ج ٤، ص ٢٩٧).

عنه، ثم يقولون: خلق الله ما يتيهون، وينصرون الشرك بالقلب واللسان واليد.

والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النهي عن الشرك وأبغض الأمر بمعادة أهله، ولو لم يتكلم ولم ينصر؛ فكيف إذا فعل ما فعل؟!"^(١).

السادس من نواقض الإسلام: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله، أو عقابه، كفر.

والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أِبَاللّٰهِ وَاَيْتِيْهِ وَّرَسُوْلِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُوْنَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوْا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ ﴾^(٢).

وقال الشيخ في كتاب "التوحيد": "باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ وقول الله تعالى:

﴿ وَلِيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُوْلُنَّ اِنْمَّا كُنَّا خُوضٌ وَنَلَعْبُ قُلْ اِبَاللّٰهِ وَاَيْتِيْهِ وَّرَسُوْلِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُوْنَ ﴿١٥﴾ ﴾^(٣).

وعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة (دخل حديث بعضهم في بعض)؛ أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء (يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه القراء). فقال عوف بن مالك:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، رقم ١٤، ص ٦٢) .

(٢) سورة التوبة آية : ٦٥ .

(٣) سورة التوبة آية : ٦٥ .

كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله ! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة تنكب رجله، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ "أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ ! لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم"؛ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

ويقول الشيخ سليمان في "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد":
"هذا الأثر ذكره المصنف مجموعا من رواية ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة، وقد ذكره قبله كذلك شيخ الإسلام، فأما أثر ابن عمر؛ فرواه ابن جرير^(١) وابن أبي حاتم وغيرهما بنحو مما ذكره المصنف، وأما أثر محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة؛ فهي معروفة، لكن بغير هذا اللفظ"^(٢).

قال الشيخ: "فيه مسائل: الأولى: وهي العظيمة: أن من هزل بهذا أنه كافر. الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان"^(٣).

(١) (ج ١٠، ص ١٧٢ - ١٧٣) من "تفسير ابن جرير".

(٢) "تيسير العزيز الحميد" (ص ٥٥٥ - ٥٥٦).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١١٧ - ١١٨).

وقد سئل الشيخ عن قول مؤلف "الإقناع في الفقه الحنبلي" في (باب حكم المرتد): "أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله، أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين... كفر"^(١) ما وصف هذا الاستهزاء المكفر؟ فأجاب بأن العلماء استدلو عليها بقوله تعالى في حق بعض الناس في غزوة تبوك: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضٌ وَنَلْعَبُ﴾^(٢).

قال الشيخ: "فذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول ﷺ. وصفة كلامهم أنهم قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعنون بذلك رسول الله ﷺ والعلماء من أصحابه، فلما نقل الكلام عوف بن مالك؛ أتى القائل يعتذر أنه قاله على وجه اللعب؛ كما يفعل المسافرون، فنزل الوحي، أن هذا كفر بعد الإيمان، ولو كان على وجه المزح، والذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جادا لا لاعبا.

وهذا قول صريح في الاستهزاء بالدين إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء؛ فكثير من الناس يتكلم في الله ﷻ بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب على وجه الجحد، وأنه لا يستحق هذا، وأنه ليس

(١) "الإقناع في فقه الإمام أحمد" لأبي النجا موسى الحجاوي (ج ٤، ص ٢٩٧).

(٢) سورة التوبة آية : ٦٥.

بأكبر الناس ذنبا، وكذلك من يدعي العلم والفقہ إذا استدللنا عليه بآيات الله؛ أظهر الاستهزاء^(١).

وأما صفة الاستهزاء الفعلي؛ فمثل مد الشفة، وإخراج اللسان، أو رمز العين؛ مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة؛ فكيف بالتوحيد؟!^(٢).

ويقول الشيخ في "ملخصه عن ابن تيمية" في الآية: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون): "الآية تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وآياته كفر، وبالرسول كفر، من جهة الاستهزاء بالله وحده كفر بالضرورة، فلم يكن ذكر الآيات والرسول شرطا، فعلم أن الاستهزاء بالرسول كفر، وإلا لم يكن لذكره فائدة، وكذلك الآيات، وأيضا؛ فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم"^(٣).

السابع: من نواقض الإسلام السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.

والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾^(٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٦١، ٦٢، ٦٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٦٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١١٠، ص ١٠٤ - ١٠٦).

(٤) سورة البقرة آية : ١٠٢.

الثامن: من نواقض الإسلام: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

التاسع: من نواقض الإسلام: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام؛ فهو كافر.

العاشر: من نواقض الإسلام: الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (٢).

وهذه النواقض التي ذكرها الشيخ هي مسألة التكفير، لخصها الشيخ من كلام العلماء.

قال الشيخ: "وذكر (أي: الشيخ أبو النجا مؤلف "الإقناع") في "الإقناع" إجماع المذاهب كلها على ذلك" (٣).

(١) سورة المائدة آية : ٥١ .

(٢) سورة السجدة آية : ٢٢ .

(٣) انظر: "الإقناع" (باب حكم المرتد، ج ٤، ص ٢٩٧ - ٣٠٨).

ثم قال: "فإن كان عند أحد كلمة تخالف ما ذكره في مذهب من المذاهب؛ فيذكرها وجزاه الله خيرا"^(١).

والغالب أنه ليس عند أحد علم يخالف ما ذكره، وإنما العناد.

فيقول الشيخ: "وإن كان يبغى يعاند كلام الله، وكلام رسوله ﷺ وكلام العلماء، ولا يصغى لهذا أبدا؛ فاعرفوا أن هذا الرجل معاند ما هو بطالب حق، وقد قال الله تعالى:

﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ

أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٢).

ثم يبين الشيخ أن هؤلاء الذين يعتذرون بالتكفير ليس لأنه مشكل عليهم تكفير أناس بأعيانهم قد اشبهه أمرهم، بل إذا تأمل المتأمل أحوالهم؛ يجد أن هؤلاء أعداء للموحدين يبغضونهم ويستثقلونهم، والمشركين والمنافقين هم ربعمهم الذين يستأنسون إليهم، كما جرى من رجال في الدرعية وفي العيينة الذين ارتدوا وأبغضوا الدين^(٣).

ثم يقول الشيخ بعد أن أورد النواقض العشرة: (ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف؛ إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرا، ومن أكثر ما يكون وقوعا؛ فينبغي للمسلم أن

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٢، ص ٢١٢).

(٢) سورة آل عمران آية : ٨٠.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٢، ص ٢١٢).

يحذرهما ويخاف منها على نفسه"^(١).

إمكان وقوعها من المعينين

ويقرر الشيخ أنها تقع من المعينين، وممكن أن يرتد المسلم ويكفر بعد إسلامه والعياذ بالله من ذلك؛ فقد عرف المرتد في (باب حكم المرتد) بأنه المسلم الذي يكفر بعد إسلامه^(٢)؛ فهذا يفيد الحذر والخوف والاستعاذة بالله.

وقد بين الشيخ لرجل من أهل الأحساء استشكل تكفير المعين لأنه يقول: لا إله إلا الله، وإن عبد الأوثان مع هذا عبادة أكبر من عبادة اللات والعزى، وسب دين الرسول ﷺ بعدما شهد به مثل سب أبي جهل؛ فالشيخ يبين له أحكام هذه المسألة من كلام أهل العلم المتقدمين والمتأخرين، فيقول مخاطباً هذا المستشكل:

"فأول ما أنصحك به أنك تفكر: هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظهر نبيك ﷺ ينهى عنه أهل مكة، أو شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه، أم هذا أغلظ؟ فإذا أحكمت المسألة، وعرفت أن غالب من عندكم سمع الآيات، وسمع كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، وأقر به، وقال: أشهد أن هذا هو الحق، ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب، ثم بعد ذلك يصرح بمسبة ما شهد أنه الحق، ويصرح بحسن الشرك واتباعه وعدم البراءة من أهله؛ فتفكر: هل هذه المسألة

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، نواقض الإسلام، ص ٣٨٥ - ٣٨٧،
والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٢، ص ٢١٢ - ٢١٤)، و "الدرر السننية" (ج ٨،
ص ٨٩ - ٩٠).

(٢) "الإقناع" (ج ٤، ص ٢٩٧).

إلا مسألة الردة الصريحة التي ذكرها أهل العلم في الردة؟!
ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت كأنها أتت ممن لا يسمع ولا
يبصر.

أما استدلالك بترك النبي ﷺ ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم؛ فقد
عرف الخاص والعام ببديهة العقل أنهم لو يظهرون كلمة واحدة أو فعلا
واحدا من عبادة الأوثان أو مسبة التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ؛ أنهم
يقتلون شر قتلة.

فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذي تشهد أنه
دين الرسول ﷺ وتبرأوا من الشرك بالقول والفعل، ولم يبق إلا أشياء خفية
تظهر على صفحات الوجه أو فلتة لسان في السر، وقد تابوا من دينهم
الأول، وقتلوا الطواغيت، وهدموا البيوت المعبودة؛ فقل لي.
وإن كنت تزعم أن الشرك الذي خرج عليه رسول الله ﷺ أكبر من
هذا؛ فقل لي.

وإن كنت تزعم أن الإنسان إذا أظهر الإسلام؛ لا يكفر إذا أظهر عبادة
الأوثان، وزعم أنها الدين، وأظهر سب دين الأنبياء، وسماه دين أهل
العارض، وأفتى بقتل من أخلص لله الدين وإحراقه وحل ماله؛ فهذه
مسألتك، وقد قررتها، وذكرت أن من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا لم يقتلوا
أحدا ولم يكفروه من أهل الملة.
أما ذكرت قول الله تعالى:

﴿لَيْنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ...﴾^(١) إلى قوله:

(١) سورة الأحزاب آية : ٦٠.

﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴾ (١).

وقوله :

﴿ سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوا إِلَى

الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا... ﴾ (٢) إلى قوله: ﴿ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ ﴾ (٣).

واذكر قوله في الاعتقاد في الأنبياء:

﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤).

واذكر ما صح عن رسول الله ﷺ؛ أنه أشخص رجلا معه الراية إلى من

تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله؛ فأبي هذين أعظم؛ تزوج امرأة الأب أو

سب دين الأنبياء بعد معرفته؟!

واذكر أنه هم بغزو بني المصطلق لما قيل: إنهم منعوا الزكاة، حتى كذب

الله من نقل ذلك.

واذكر قوله في أعبد هذه الأمة وأشدهم اجتهادا: ﴿ لئن أدركتهم

لأقتلنهم قتل عاد، أينما لقيتموهم؛ فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرا لمن

قتلهم يوم القيامة ﴾ (٥).

واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعي الزكاة، وسبي ذراريهم، وغنيمة

أموالهم.

(١) سورة الأحزاب آية : ٦١ .

(٢) سورة النساء آية : ٩١ .

(٣) سورة النساء آية : ٩١ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٨٠ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٣٠) ، وصحيح

مسلم : كتاب الزكاة (١٠٦٦) ، ومسنند أحمد (١٣١/١).

واذكر إجماع الصحابة على قتل أهل مسجد الكوفة وكفرهم وردتهم لما قالوا كلمة في تقرير نبوة مسيلمة، ولكن الصحابة اختلفوا في قبول توبتهم لما تابوا، والمسألة في "صحيح البخاري" وشرحه في الكفالة^(١).

واذكر إجماع الصحابة لما استفتاهم عمر على أن من زعم أن الخمر تحل للخوارج مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾^(٢) مع كونه من أهل بدر.

وأجمع الصحابة على كفر من اعتقد في علي مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القادر وردتهم وقتلهم، فأحرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم أحياء، فخالفه ابن عباس في الإحراق وقال: يقتلون بالسيف؛ مع كونهم من أهل القرن الأول، أخذوا العلم عن الصحابة.

واذكر إجماع أهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم، قال ابن القيم:
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قريبان

قال الشيخ: "ولو ذهبنا نعدد من كفره العلماء مع ادعائه الإسلام

(١) "صحيح البخاري" (ج ٣، كتاب الكفالة، باب ١، ص ٥٦)، وانظر: "فتح الباري"

(ج ٤، ص ٤٧٠).

(٢) سورة المائدة آية: ٩٣.

وأفتوا بردته وقتله؛ لطال الكلام، لكن من آخر ما جرى قصة بني عبيد ملوك مصر وطائفهم، وهم يدعون أنهم من أهل البيت، ويصلون الجمعة والجماعة، ونصبوا القضاة والمفتين؛ أجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم...

واذكر كلامه في "الإقناع" و "شرحه" في الردة؛ كيف ذكروا أنواعا كثيرة موجودة عندكم، ثم قال منصور: وقد عمت البلوى بهذه الفرق، وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية. هذا لفظه بحروفه، ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله^(١).

هل قال واحد من هؤلاء الصحابة أو أحد من العلماء إلى زمن منصور: إن هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم؟! "

ثم أخذ الشيخ يبين عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية في تكفير المعين، فيقول: "وأما عبارة الشيخ التي لبسوا بها عليك؛ فهي أغلظ من هذا كله، ولو نقول بها؛ لكفرنا كثيرا من المشاهير بأعيانهم؛ فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة".

ثم أخذ الشيخ يقرر معنى قيام الحجة، وأن معناها أن المعين إن عرف الحق وخالف؛ كفر بعينه، وإلا لم يكفر.

ثم أخذ الشيخ يذكر له من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ما

(١) انظر: "الإقناع" (ج ٤، ص ٢٩٧ - ٣٠٨)، و "كشف القناع عن متن الإقناع" لمنصور البهوتي، فرغ من تأليفه سنة ١٠٤٦ هـ، والمتوفى سنة ١٠٥١ هـ، (ج ٦، ص ١٦٧ - ١٨٧).

يصدق هذا من "اقتضاء الصراط المستقيم" وغيره^(١).

وكما بينا في منهج الشيخ أنه يعتبر قيام الحجة وبلوغها، فمن لم تبلغه الحجة وتقوم عليه؛ فإنه لا يكفره^(٢).

وقد سئل الشيخ عن قوله في "الإقناع": "أو نطق بكلمة كفر ولم يعلم معناها؛ فلا يكفر بذلك"^(٣)؛ هل المعنى: نطق بها ولم يعرف شرحها، أو نطق بها ولم يعلم أنها تكفره؟

فأجاب الشيخ بأنه إذا نطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها صريح واضح أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه؛ أي: فلا يكفر، وأما كونه لا يعرف أنها تكفره؛ يعني: إذا نطق بكلمة الكفر التي يعرف أنها كفر، لكن يظن أنه إذا نطق بالكفر هازلاً أو مازحاً أو يريد مصلحة من المصالح الدنيوية؛ أن هذا لا يكفره؛ قال الشيخ: "فيكفي فيه قوله: ﴿لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾"^(٤)؛ فهم يعتذرون للنبي ﷺ ظانين أنهم حين يقولونها على وجه اللعب أنها لا تكفرهم".

ثم أورد الشيخ أدلة توضح هذه النقطة، وهي: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ

تَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٥).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٣، ص ٢١٦ - ٢٢٤).

(٢) "انظر: (١/٣٣٨) من هذا البحث.

(٣) "انظر: "الإقناع" (ج ٤، ص ٢٩٧).

(٤) سورة التوبة آية: ٦٦.

(٥) سورة الكهف آية: ١٠٤.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم

مُهْتَدُونَ ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهم لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ ﴾^(٢)^(٣).

وهؤلاء الذين ذكرهم الله في هذه الآيات الكريمة كفار، مع أنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ويحسبون أنهم مهتدون.

وكما ذكرنا في منهج الشيخ أن الشيخ يفرق بين الكفر المخرج من الملة والكفر الذي لا يخرج من الملة.

من أطلق الشارع كفره

وقد سئل الشيخ عن قولهم: "ومن أطلق الشارع كفره؛ كدعواهم لغير

أبيهم... إلى آخره؛ فللعلماء فيه أقوال": أيها أقرب إلى الصواب؟

فأجاب: "إن من أطلق الشارع كفره بالذنوب؛ فالراجح فيها قولان:

أحدهما: ما عليه الجمهور؛ أنه لا يخرج من الملة.

والثاني: الوقف؛ كما قال الإمام أحمد: أمروها كما جاءت؛

(١) سورة الأعراف آية : ٣٠.

(٢) سورة الزخرف آية : ٣٧.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٥٨، وص ٦٥ - ٦٦).

يعني: لا يقال: يخرج، ولا: ما يخرج.

وما سوى هذين القولين غير صحيح^(١).

وإذا تأملنا هذه النواقض؛ نجد أنها تدور على الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن من ارتكب ناقضا منها؛ فهو إما لأنه جنى على الألوهية فأشرك بالله تعالى، وإما لأنه جنى على النبوة، وإما لأنه جنى عليهما معا.

غير أن المشكلة التي واجهها الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي الجنائية على الألوهية بالشرك؛ لذا فسيكون بيان الشرك أهم ما في هذا الفصل وأوسع.

بيان ما هو الشرك؟

أما تعريف الشرك؛ ما هو؟

يعرفه الشيخ رحمه الله بقوله: "هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها".
فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى، أو قصد غير الله بشيء من أنواع العبادة؛ فقد اتخذ هذا الغير ربا وإلهما من دون الله تعالى، وأشرك مع الله غيره الشرك الأكبر الذي نهي عنه وأنكره على المشركين، وأخبر أنه لا يغفره، فقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٥٨، ٦٦).

(٢) سورة النساء آية: ٤٨.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ^ط وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾^(١)(٢).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في "قرة عيون الموحدين" ما مضمونه: "إن صرف القصد بالعبادة لغير الله شرك بالله؛ لالتفاته في التعبد إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب؛ فقد خالف ما نفته لا إله إلا الله، وعكس مدلولها، فأثبت ما نفته، ونفى ما أثبتته من التوحيد"^(٣).

فصرف أي نوع من أنواع العبادة التي أمر الله بها عن طريق رسوله محمد ﷺ يعتبر شركا بالله تعالى.

وصرف الشيء من العبادة لغير الله كصرف مجموعها؛ لأن الله سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا، كما قال تعالى:

﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَحْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٤﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٥﴾^(٤)(٥).

(١) سورة المائدة آية : ٧٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ثلاثة الأصول، ص ١٨٦، والجامع لعبادة الله وحده، ص ٣٨١).

(٣) "قرة عيون الموحدين" (باب من الشرك النذر لغير الله، ص ٦٧، الطبعة السلفية بمصر، ضمن مجموعة التوحيد).

(٤) سورة الزمر آية : ٢-٣.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣١٨، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٧، ص ١١١ - ١١٢).

أما صفة إشراك المشركين؛ فيقول عنها الشيخ: "واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ صفة إشراكهم أنهم يدعون الله ويدعون معه الأصنام والصالحين؛ مثل عيسى وأمه والملائكة؛ يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهم يقولون أن الله سبحانه هو النافع الضار المدبر؛ كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ (١).

فإذا عرفت هذا، وعرفت أن دعوتهم الصالحين وتعلقهم عليهم أنهم يقولون: ما نريد إلا الشفاعة، وأن النبي ﷺ قاتلهم ليخلصوا الدعوة لله، ويكون الدين كله لله... وعرفت أن ذلك هو الشرك بالله الذي لا يغفر لمن فعله، وهو عند الله أعظم من الزنى وقتل النفس، مع أن صاحبه يريد به التقرب من الله، ثم مع هذا عرفت أمرا آخر،

(١) سورة يونس آية : ٣١.

وهو أن أكثر الناس ما عرف هذا، منهم الذين يسمونهم العلماء في سدير والوشم وغيرهم، إذا قالوا: نحن موحدون الله، نعرف ما ينفع ولا يضر إلا الله، وأن الصالحين لا ينفعون ولا يضرهم، وعرفت أنهم لا يعرفون إلا توحيد الكفار؛ توحيد الربوبية؛ عرفت كبر نعمة الله عليك، خصوصاً إذا عرفت أن الذي يواجهه الله وهو لا يعرف التوحيد أو عرفه ولم يعمل به أنه خالد في النار، ولو كان من أعبد الناس؛ كما قال تعالى:

﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١)(٢).

وقال الشيخ في "تلخيصه عن ابن تيمية": "المشركون يزعمون أن عبادتهم إما واجبة وإما مستحبة، ثم منهم من عبد غير الله فيتقرب به إلى الله، ومنهم من ابتدع ديناً عبد به الله؛ كما أحدثه النصارى من العبادات، وأصل الضلال في الأرض إنما نشأ من هذين: إما اتخاذ دين لم يشرعه الله، أو تحريم ما لم يحرمه، ولهذا؛ كان الأصل الذي بنى عليه أحمد وغيره مذهبهم أن الأعمال عبادات وعادات؛ فالأصل في العبادات أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله، والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله، وهذه المواسم المحدثة إنما نهي

(١) سورة المائدة آية : ٧٢.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثالثة عشرة، ص ٣٩٩).

عنها لما أحدث فيها من الدين الذي يتقرب به إلى الله" (١).

ويذكر الشيخ من مسائل الجاهلية أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله؛ لظنهم أن الله يحب ذلك، وأن الصالحين يحبونه؛ كما قال تعالى:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٢).

وقال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٣).

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ (٤).

ويقرر الشيخ في "القواعد الأربع" الأمر الذي صار به الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مع أنهم مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، ولكن ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ لجددهم توحيد الله بالألوهية، ويستدل بقول الله تعالى:

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠٠، ص ٩٣ - ٩٤).

(٢) سورة يونس آية : ١٨.

(٣) سورة الزمر آية : ٣.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٣٤).

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ
خَرَجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمَخَرَجَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ
اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١).

وأن هؤلاء المشركين يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القرية
والشفاعة، والدليل على قولهم هذا قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ
زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
كَاذِبٌ ﴾ (٢).

هذا دليل القرية، أما دليل الشفاعة، فقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٣).

ثم إن هؤلاء المشركين متفرقون في عبادتهم: منهم من يعبد الملائكة،
ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار،
ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم،
والدليل قوله تعالى:

﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (٤).

(١) سورة يونس آية : ٣١.

(٢) سورة الزمر آية : ٣.

(٣) سورة يونس آية : ١٨.

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٣.

والدليل على عبادتهم الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ۚ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١).

والدليل على عبادتهم الملائكة قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ ﴾ (٢).

ودليل عبادتهم الأنبياء قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٣).

ودليل عبادتهم الصالحين قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۗ ﴾ (٤).

ودليل عبادتهم الأشجار والأحجار قوله تعالى:

(١) سورة فصلت آية : ٣٧ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٨٠ .

(٣) سورة المائدة آية : ١١٦ .

(٤) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

﴿ أَفْرَاءَ يَتُمُّ اللَّتَّ وَالْعَزَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾^(١).

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه؛ قال : "خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها : ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط... الحديث، قال الشيخ: "رواه الترمذي وصححه وهو كما قال"^(٢).

ويقول الشيخ في تفسير كلمة التوحيد: "ولنختم الكلام بآية ذكرها الله تعالى في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۗ فَامَّا نَجِّنَكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿١٧﴾ ﴾^(٣).

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به، بل يخلصون لله وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء؛ أشركوا، وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسه الضر؛ قام يستغيث بغير الله؛ مثل

(١) سورة النجم آية : ١٩ .

(٢) انظر تصحيح الترمذي في أعلى صحائف "تحفة الأحوذى" (ج ٦، ص ٤٠٧ - ٤٠٨).

(٣) سورة الإسراء آية : ٦٧ .

معروف أو عبد القادر الجيلاني، وأجلّ من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجلّ من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ؛ فالله المستعان، وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة"^(١).

وبعد مقارنة أحوال مشركي زمان الشيخ بأحوال مشركي الجاهلية الأولى يقول الشيخ: "إن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة".

ويدلل أيضا على أن شرك الأولين أخف بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

أما المشركون في زمان الشيخ؛ فشركهم يكون دائما في الرخاء والشدة، ودليله الواقع المشهود^(٣) والذين قاتلهم الرسول ﷺ أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء^(٤).

وخلاصة ما تقدم من تعريف للشرك هو أن يُصرف شيء من أنواع

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، التفسير كلمة التوحيد، ص ٣٦٧ - ٣٦٩).

(٢) سورة العنكبوت آية : ٦٥.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع، ص ١٩٩ - ٢٠٢).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٧١).

العبادة لغير الله تعالى طلبا للزلفى عند الله، وهذه نظرة المشركين إلى شركهم أنه عبادة لله تعالى وقربة إليه، ولذا كان أشبه بهم أهل البدع الذين يتعبدون لله بالبدع، والشرك أكبر البدع في العبادة.

أما حكم الشرك؛ فإنه أعظم ما نهى الله عنه في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا

اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط﴾^(١) وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

الشرك أول المحرمات

والشرك أول المحرمات؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ

رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ^ط إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط﴾^(٢)^(٣).

والله سبحانه يقرن بين الشرك والكذب كما يقرن بين الصدق

والإخلاص، ولهذا في الصحيح. "عدلت شهادة الزور الإشراف بالله"، ثم قرأ

قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ^ج﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ

غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ^ج﴾^(٤).

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥١ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٨ - ٩) .

(٤) سورة الحج آية : ٣٠ - ٣١ .

وقال: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (١) إلى قوله: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢).

وقوله: ﴿ أَيْفَاكَأَ الْهَيْهَةَ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ (٣).

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (٤).

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ ﴾ (٥).

قال أبو قلابة: "هي لكل مبتدع من هذه الأمة إلى يوم القيامة، وكل من كان أقرب إلى الشرك؛ كان أقرب إلى الكذب؛ كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركاً" (٦).

تقسيمه وأفراده

و ينقسم الشرك إلى أكبر وأصغر؛ فالأكبر مخرج من الملة،

(١) سورة القصص آية : ٧٤.

(٢) سورة القصص آية : ٧٥.

(٣) سورة الصافات آية : ٨٦.

(٤) سورة الزمر آية : ٣.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٢.

(٦) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٩٩، ص ٩١ - ٩٢).

والأصغر لا يخرج من الملة^(١).

وقد مثل الشيخ للشرك الأصغر، فقال: "كيسير الرياء والحلف بغير الله، وقول: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا".

قال الشيخ: "وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده"^(٢).

ويمثل الشيخ للشرك الأكبر بطلب الحوائج من الموتى، ودعائهم لذلك، والنذر لهم ليشفعوا عند الله لداعيهم والناذر لهم.

ويقول الشيخ عن هذا: إنه هو الشرك الأكبر الذي بعث الله النبي محمدا ﷺ بالنهي عنه، فكفر من لم يتب منه، وقاتله، وعاداه. ثم يشير إلى ما ذكر في "الإقناع" عن الشيخ تقي الدين أن من دعا علي بن أبي طالب، فهو كافر، وأن من شك في كفره؛ فهو كافر.

ويقول الشيخ: "فإذا كان هذا حال من شك في كفره مع عداوته له ومقتته له؛ فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده؟! فكيف بمن أحبه؟! فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته وتعدر أننا لا نقدر على

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢٨، وص ٣٣، وص ٨٦،

وص ١١٠، وص ١١٣، وص ١٢٣)، و"مفيد المستفيد" (ص ٢٩٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "مفيد المستفيد" (ص ٢٩٥).

التجارة أو طلب الرزق إلا بذلك؟!"^(١).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في كتابه "القول السديد على مقاصد التوحيد": "حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله؛ فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع؛ فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر؛ فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء."

كما أن حد الشرك الأصغر هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة. فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر؛ فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب"^(٢)؛ يعني: "كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وفي "كتاب التوحيد" عقد الشيخ أبواباً كثيرة في بيان أشياء من أفراد الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر مما يناهز التوحيد أو يناهز كماله، وهي كما يلي:

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "مفيد المستفيد" (ص ٢٩٦ - ٢٩٧)،

و"الدرر السنية" (ج ٢، ص ٤ - ٥).

(٢) "القول السديد في مقاصد التوحيد" (ص ٥٢ - ٥٣).

دفعه^(١).

وباب ما جاء في الرقى والتمائم^(٢).

وباب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما^(٣).

وباب ما جاء في الذبح لغير الله^(٤).

وباب من الشرك النذر لغير الله^(٥).

وباب من الشرك الاستعاذة بغير الله^(٦).

وباب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره^(٧).

وباب ما جاء في السحر^(٨).

وباب بيان شيء من أنواع السحر^(٩).

ووجه إدخالهما في ذلك أن كثيرا من أقسام السحر لا يتأتى إلا

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢٧ - ٢٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢٩ - ٣١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٣٢ - ٣٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٣٥ - ٣٧).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٤٠).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٤١).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٤٢ - ٤٤).

(٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧٢ - ٧٣).

(٩) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧٤ - ٧٥).

بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد الساحر؛ فالسحر يدخل في الشرك من جهتين: من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم، وربما تقرب إليهم بما يحبون، والشرك مما يحبون، فيتقرب به إليهم، ليقوموا بخدمته ومطلوبه، ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وهذا من شعب الشرك^(١).

وباب ما جاء في الكهان ونحوهم^(٢).

وباب ما جاء في النشرة^(٣) وهي حل السحر بسحر مثله.

وباب ما جاء في التطير^(٤) وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ

والبقاع وغيرها.

وباب ما جاء في التنجيم^(٥) وهو زعم تأثير الأحوال الفلكية في

الحوادث الكونية.

(١) "القول السديد في مقاصد التوحيد" للشيخ عبد الرحمن بن سعدي (ص ٩٣ - ٩٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧٦ - ٧٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧٩ - ٨٠).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٨١ - ٨٣).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٨٤).

وباب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء^(١) ؛ أي: نسبة السقي وجمي
المطر إليها.

وباب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾^{(٢)(٣)} ؛ فاتخاذ الأنداد التي تجذب بمحبتها عن محبة الله
من الشرك.

وباب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^{(٤)(٥)} ؛ فخوف العبادة من غير الله
تعالى من الشرك.

وباب قول الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^{(٦)(٧)} وقوله: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
الضَّالُّونَ ﴾^(٨) ؛ فالأمن من مكر الله أو القنوط من رحمة الله من
شعب الشرك.

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٨٥ - ٨٧).

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٨٨ - ٩٠).

(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٥ .

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٩١ - ٩٢).

(٦) سورة الأعراف آية : ٩٩ .

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٨١ - ٨٣).

(٨) سورة الحجر آية : ٥٦ .

وباب ما جاء في الرياء^(١).

وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا^(٢).

وباب من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم

الله؛ فقد اتخذهم أرباباً من دون الله^(٣).

وباب قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ

يَكْفُرُوا بِهِ... ﴾^(٤) الآية^(٥)؛ لأن الله تعالى له الحكم القدري، وله الحكم

الشرعي، وكذلك الحكم الجزائي له وحده لا شريك له، فإذا قدم العبد طاعة

الأمرء والعلماء على طاعة الله ورسوله ﷺ وتحاكم إلى الطاغوت، وترك

التحاكم إلى شريعة الله؛ فهذا من شعب الشرك^(٦).

ومن أفراد الشرك أو من أفراد أبوابه ووسائله التي عقد الشيخ لها أبواباً

في كتابه "كتاب التوحيد": باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات^(٧)؛

فذلك من شعب الكفر، ونسبته إلى غير الله من الشرك؛

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٩٨ - ٩٩).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٠٠ - ١٠١).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٠٢ - ١٠٣).

(٤) سورة النساء آية : ٦٠.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٦) انظر: "القول السديد في مقاصد التوحيد" (ص ١٣٠ - ١٣٤).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٠٦ - ١٠٧).

كما قالوا: لا نعرف الرحمن إلا الرحمن الإمامة^(١).

وباب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ

الْكَافِرُونَ﴾^(٢)^(٣)؛ فإنكار نعمة الله بعد معرفتها هو بنسبتها إلى

غيره، وهذا هو الشرك.

وباب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤)^(٥)؛

فجعل الأنداد من الشرك.

وباب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله، وذكر تحته النهي عن الحلف

بغير الله؛ كالحلف بالآباء ونحو ذلك^(٦).

وباب قول: ما شاء الله وشئت^(٧).

وباب من سب الدهر فقد آذى الله^(٨)؛ لأن الله يقلب الليل والنهار.

وباب التسمي بقاضي القضاة ونحوه^(٩).

(١) انظر: "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" للشيخ سليمان (ص ٥١١ - ٥١٢).

(٢) سورة النحل آية : ٨٣.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٠٨).

(٤) سورة البقرة آية : ٢٢.

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١٠٩ - ١١٠).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١١١).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١١٢ - ١١٣).

(٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١١٤).

(٩) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ١١٥).

وباب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ^(١).
وباب قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾^{(٢)(٣)} ؛ أي: فيمن يزعم أن ما أوتيته من النعم والرزق إنما هو بكده وحذقه وفطنته.

وباب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَتْهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^{(٤)(٥)} ؛ أي: يسمونه باسم معبد لغير الله تعالى.

وباب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾^(٦) والمقصود الذين يلحدون في أسمائه؛ أي: يشركون^(٧).

وباب لا يقال: السلام على الله^(٨) ؛ لأن الله هو السلام.
وباب قول: اللهم اغفر لي إن شئت^(٩) ؛ لأن الله لا مكره له.

-
- (١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١١٧ - ١١٨).
 - (٢) سورة فصلت آية : ٥٠.
 - (٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١١٩ - ١٢١).
 - (٤) سورة الأعراف آية : ١٩٠.
 - (٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢٢ - ١٢٣).
 - (٦) سورة الأعراف آية : ١٨٠.
 - (٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢٤).
 - (٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢٤).
 - (٩) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢٦).

وباب لا يقول: عبدي وأمتي^(١) ؛ للبعد عن الألفاظ التي فيها إيهام التشريك.

وباب لا يرد من سأل بالله^(٢) وباب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة^(٣) فإن رد من سأل بالله والسؤال بوجه الله غير الجنة ترك لتعظيم الرب إلى تعظيم من سواه بغير إذنه.

وباب ما جاء في اللو^(٤) ؛ لأن (لو)، تفتح عمل الشيطان.

وباب النهي عن سب الريح^(٥) ؛ لأنها مأمورة، فيستعاذ بالله من شر ما أمرت به.

وباب قول الله تعالى: ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٦) الآية^(٧) ؛ لأنهم لم يوحدوا الله توحيد المعرفة والإثبات في الأسماء والصفات.

وباب ما جاء في منكري القدر^(٨).

وباب ما جاء في المصورين^(٩) الذين يضاهون بخلق الله.

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢٨).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٢٩).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٣٠ - ١٣١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٣٢).

(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٤.

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٣٣ - ١٣٤).

(٨) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٣٥ - ١٣٧).

(٩) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٣٨ - ١٣٩).

وباب ما جاء في كثرة الحلف^(١) ؛ لأن كثرتة من غير داع شرعي استخفاف بحق الله تعالى.

وباب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ﷺ^(٢) ؛ لأن نقضها ترك لتعظيم الله من أجل غيره.

وباب ما جاء في الإقسام على الله^(٣) وباب لا يستشفع بالله على خلقه^(٤) ؛ لأن في الإقسام والتألي على الله أن لا يغفر لفلان وفي الاستشفاع بالله على خلقه سوء أدب؛ فالأول من العجب بالنفس، والثاني من تعظيم غير الله، وهذان من شعب الشرك.

وباب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾^(٥)^(٦) ومن أشرك؛ لم يقدر الله حق قدره.

ولهذا الشرك أسباب ووسائل بينها الشيخ رحمه الله ويهتم ببيانها للحذر منها، وقد عقد في ذلك أبوابا في "كتاب التوحيد" أيضا هي:

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٠ - ١٤١).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٢ - ١٤٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٤).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٥).

(٥) سورة الزمر آية : ٦٧.

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٨ - ١٥١).

الصالحين^(١).

وباب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون

الله^(٢).

وباب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ فكيف

إذا عبده^(٣)!؟

وباب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما^(٤)؛ أي: باب ما جاء فيمن

تبرك...

وباب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله^(٥).

وباب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق

يوصل إلى الشرك^(٦) ويقصد بهذا الباب حماية التوحيد من جانب الأعمال.

وباب آخر يشبهه في العنوان، وهو: باب ما جاء في حماية النبي ﷺ

التوحيد وسده طرق الشرك^(٧) ويقصد بهذا الباب حماية التوحيد من جانب

الألفاظ والأقوال.

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ٥٦ - ٥٩).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ٦٤ - ٦٥).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ٦٠ - ٦٣).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ٣٢ - ٣٤).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ٣٨ - ٣٩).

(٦) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ٦٦ - ٦٧).

(٧) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ص ١٤٦ - ١٤٧).

تحديد أسباب الشرك ومباده

وعن أسباب الشرك أيضا، فالشيخ يبينها في مثل استنباطه من قول الله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١).

قال الشيخ: "في هذه الآية التنبيه على سبب الشرك، وهو أن المشرك بان له شيء من جلاله الأنبياء والصالحين، ولم يعرف الله سبحانه وتعالى، وإلا، لو عرفه؛ لكفاه وشفاه عن المخلوق، وهذا معنى قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾^(٢) الآية"^(٣).

ويقول الشيخ في بيانه سبب الشرك: "لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعاءه، فيعكفون على قبره، ويقصدون ذلك؛ فتارة يسألونه، وتارة يسألون الله عنده، وتارة يصلون ويدعون الله عند قبره، ولما كان هذا بدء الشرك؛ سد النبي ﷺ هذا الباب؛ ففي "الصحيحين" أنه قال في مرض موته: ﴿ لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ يحذر ما صنعوا ﴾^(٤)..."^(٥)، إلخ.

وسياتي هذا الحديث للاستدلال به وبغيره من الأدلة على أن الرسول ﷺ قد سد أبواب الشرك.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: "والغلو في الصالحين لا

(١) سورة الزمر آية : ٦٧ .

(٢) سورة الزمر آية : ٦٧ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٤٥ - ٣٤٦) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٥٤) وكتاب المغازي (٤٤٤٤) وكتاب اللباس (٥٨١٦) .

(٥) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٥) .

شك أنه هو الباب المفضي إلى الشرك قديما وحديثا؛ فالغلو فيهم هو مجاوزة الحد؛ بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء؛ فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارك هو الكمال المطلق، والغنى المطلق، والتصرف المطلق من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه. فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبا من هذه الأشياء؛ فقد ساوى به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك، ومن رفع أحدا من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله بها؛ فقد غلا فيه، وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين.

والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

- ١- أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ولا يقومون بحقوقهم من الحب والموالاتة لهم والتوقير والتبجيل.
 - ٢- وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.
 - ٣- وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرأون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.
- والصالحون أيضا يتبرءون من أن يدعوا لأنفسهم حقا من حقوق ربهم

الخاصة؛ كما قال الله عن عيسى عليه السلام

﴿سُبْحٰنَكَ مَا يَكُوْنُ لِيْ اَنْ اَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقِّكَ﴾^(١).

(١) سورة المائدة آية : ١١٦.

واعلم أن الحقوق ثلاثة:

حق خاص لله لا يشاركه فيه مشارك، وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه؛ حبا، وخوفا، ورجاء.

وحق خاص للرسول، وهو توقييرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحق مشترك، وهو الإيمان بالله ورسله، وطاعة الله ورسله، ومحبة الله ومحبة رسله، ولكن هذه لله أصلا، وللرسول تبعا لحق الله.

فأهل الرسل يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة، فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم... والله أعلم^(١).

وأورد الشيخ تحت (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) أدلة مناسبة من الكتاب والسنة؛ مثل قول الله تعالى:

﴿يَأْهَلْ أَلْكُتَبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٢).

واختصر الشيخ ما في "صحيح البخاري" عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى:

(١) "القول السديد في مقاصد التوحيد" للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، المطبوع بهامش "كتاب

التوحيد" (ص ٧٥ - ٧٩).

(٢) سورة النساء آية : ١٧١.

﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

وَنَسْرًا ﴾^(١).

قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا؛ أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبت".

ثم يقول الشيخ: "وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا؛ عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم".
ويسوق الشيخ حديثا عن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله ﴾^(٢)
أخرجه البخاري في "صحيحه"^(٣).

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى حديثا عن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو ﴾^(٤) رواه أحمد في "المسند" (ج ١ / ص ٢١٥، وص ٣٤٧).

ومسلم عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ هلك

(١) سورة نوح آية : ٢٣.

(٢) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥).

(٣) وهو الحديث الخامس عشر من عشرين حديثا من "صحيح البخاري"، قام بدراسة أسانيدها الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد مع شرح متونها "عشرون حديثا . . ." (ص ١٦٩).

(٤) سنن النسائي : كتاب مناسك الحج (٣٠٥٧).

المنتطعون^(١)؛ قالها ثلاثا.

يقول الشيخ: "فيه أن من فهم هذا الباب وبابين بعده"، ويعني بهما: باب ما جاء في التعليل فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ فكيف إذا عبده؟! وباب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله. قال الشيخ: "من فهم هذه الأبواب الثلاثة؛ تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب، وفيه معرفة أول شرك حدث في الأرض؛ أنه بشبهة الصالحين، وأول شيء غير به دين الأنبياء، وسبب ذلك، مع معرفة أن الله أرسلهم.

وفيه قبول الناس البدع مع كون الشرائع والفطر ترددها، وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل؛ فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أناس من أهل العلم شيئا أرادوا به خيرا، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

وفيه تفسير الآية التي في سورة نوح، وبيان جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

وفيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

وفيه بيان سبب محبة الشيطان للبدعة لمعرفته بما تتول إليه، ولو حسن قصد الفاعل.

وفيه معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يتول إليه.

وفيه مضرّة العكوف على القبر لأجل عمل صالح، ومعرفة النهي

(١) صحيح مسلم : كتاب العلم (٢٦٧٠) ، وسنن أبي داود : كتاب السنة (٤٦٠٨) ،
ومستند أحمد (٣٨٦/١).

عن التماثيل، والحكمة في إزالتها، ومعرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

وفيه فائدة وهي أعجب وأعجب: قراءة بعض أهل الزمان هذه المسألة إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال.

وفيه التصريح بأن هؤلاء الذين دعوا صور الصالحين لم يريدوا إلا الشفاعة من الصالحين، وظنهم أن الناس الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

وفيه البيان العظيم في قوله: ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم

﴾^(١).

فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين، ونصيحته إيانا بهلاك المتنطعين، والتصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم؛ ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقدته، وأن سب فقد العلم موت العلماء^(٢).

وتحت (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من

دون الله) أورد الشيخ أن مالكا روى في "الموطأ"؛ أن رسول

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٥٦ - ٥٩)، وانظر: "تيسير

العزير الحميد في شرح التوحيد" (ص ٢٧٠ - ٢٧٢، ٢٧٥).

الله ﷺ قال: ﴿اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾^(١).

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفْرَاءَ يَوْمَ أَلَّتْ وَالْعَزَى﴾^(٢)؛ قال: "كان يلت لهم السوق، فمات، فعكفوا على قبره"، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: "كان يلت السوق للحاج". ويقول الشيخ في "ملخصه عن ابن تيمية": "سبب عبادة اللات تعظيم قبر رجل صالح، وهذه هي العلة في تغليظه ﷺ في النهي عن اتخاذ قبور الصالحين مساجد، ونهيه عن الصلاة في المقبرة، وقد نبه عليها بقوله: ﴿اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد﴾^(٣) وقد ذكر هذه العلة الشافعي وأبو بكر الأثرم وغيرهما من العلماء، وهي التي أوقعت كثيرا من الأمم: إما في الشرك الأكبر أو ما دونه؛ فإن الشرك بقبر الذي يعتقد نبوته أو صلاحه أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله، ولهذا؛ نجد قوما كثيرا يتضرعون عندها، ويتعبدون بقلوبهم عبادة لا يعبدونها في المسجد ولا في السحر؛ فهذه المفسدة هي التي حسم ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا، وإن لم يقصد بركة البقعة كما يقصد بركة المساجد الثلاثة، كما نهى عن الصلاة وقت الطلوع والغروب والاستواء؛ لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها؛ فنهى المسلم عن الصلاة حينئذ، وإن لم يقصد ذلك الوقت؛ سدا للذريعة، فأما إذا قصد الصلاة عند قبور الصالحين

(١) موطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٤١٦).

(٢) سورة النجم آية: ١٩.

(٣) موطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٤١٦).

متبركا؛ فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن الله به؛ فنهى ﷺ من اتخاذها مساجد، وعن الصلاة عندها، وعن اتخاذها عيدا، ودعا الله أن لا يجعل قبره وثنا يعبد، واتخاذ المكان عيدا هو اعتياد إتيانه لعبادة أو غيرها، وتقدم النهي الخاص عن الصلاة عندها وإليها، وذكرنا ما في دعاء المرء لنفسه من الفرق بين قصدها لأجل الدعاء والدعاء ضمنا وتبعاً^(١).

وينقل الشيخ عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: "وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة: اللات والعزى ومناة، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب؛ فكانت اللات لأهل الطائف، ذكروا أنه كان في الأصل رجلا صالحا يلت السوق للحجاج، فلما مات؛ عكفوا على قبره. وأما العزى؛ فكانت لأهل مكة قريبا من عرفات، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون. وأما مناة؛ فكانت لأهل المدينة، وكانت حذو قديد من ناحية الساحل.

ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادتهم الأوثان، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه، حتى يتبين له تأويل القرآن، فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقى في "أخبار مكة" وغيره من العلماء، ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٩٨، ص ٩٠ - ٩١).

فقال: ﴿الله أكبر، إنها السنن، لتركن سنن من كان قبلكم﴾^(١) فأنكر ﷺ مجرد مشابھتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها أسلحتهم، فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه. إلى أن قال: "فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق؛ مثل مسجد يقال له مسجد الكف، فيه تمثال كف، يقال: إنه كف علي بن أبي طالب، حتى هدم الله ذلك الوثن، وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في البلاد، وفي الحجاز منها مواضع".

ثم ذكر كلام طويلاً في نهيهِ ﷺ عن الصلاة عند القبور، فقال: "العلة لما يفضي إليه ذلك من الشرك، ذكر ذلك الشافعي وغيره، وكذلك الأئمة من أصحاب مالك وأحمد؛ كأبي بكر الأثرم، وعللوا بهذه العلة، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتِكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعُوتُ وَيُعُوقُ وَذَرًّا﴾^(٢) الآية.

ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا؛ عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم. ذكر هذا البخاري في "صحيحه"، وأهل التفسير كابن جرير وغيره.

ومما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد، ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون تراها نجسا، وقال عن نفسه:

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، وسنن الترمذي: كتاب الفتن (٢١٨٠)، وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن (٣٩٩٤)، ومسند أحمد (٤٥٠/٢، ٥١١/٢، ٥٢٧/٢، ٢١٨/٥، ٣٤٠/٥).

(٢) سورة نوح آية: ٢٣.

﴿ اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ﴾^(١)؛ فعلم أن نهيهِ عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ سدا للذريعة؛ لئلا يصلى في هذه الساعة، وإن كان المصلي لا يصلي إلا لله، ولا يدعو إلا الله؛ لئلا يفضي ذلك إلى دعائها والصلاة لها، وكلا الأمرين قد وقع؛ فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب، ويدعوها بأنواع الأدعية، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين، حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وصنف بعض المشهورين فيه كتابا على مذهب المشركين؛ مثل أبي معشر البلخي، وثابت بن قرّة، وأمثالهما ممن دخل في الشرك وآمن بالطاغوت والجبّات، وهم ينتسبون إلى الكتاب؛ كما قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾^(٢) انتهى كلام الشيخ رحمه الله^(٣).

ويختار الشيخ تحليلات جيدة للأمور التي ضل فيها من ضل من المشركين وأشباههم من المتفلسفة، حيث جعلوا ما يجري بين الخلق بعضهم مع بعض من الأسباب هو مثل ما بينهم وبين الخالق تعالى الله

(١) موطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٤١٦).

(٢) سورة النساء آية: ٥١.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "مفيد المستفيد" (ص ٢٨٦ - ٢٨٨)، وقد نقل الشيخ هذا الكلام من "اقتضاء الصراط المستقيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية كما ذكر، وقد اختصره من مواضع من الكتاب. انظر: (ص ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦)، (٣١٨، ٤٠٤، ٤٠٥).

عن ذلك.

فيقول الشيخ في "تلخيصه" لهذه النقطة عن شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن ما بين الخلق من الأسباب الكسبية التي بها يتساءلون ويشفع بعضهم إلى بعض هي من جنس المشاركة، والسبب الآخر الولادة، فالأسباب والصلوات التي بينهم لا تخرج عن سبب خلقي وهو الولادة، أو كسبي من جنس المشاركة والمعاوضة، ولهذا؛ افتتح سورة النساء بقوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَتْقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(١) الآية.

فذكر في السورة حكم الأسباب من هذا وهذا، فذكر ما يتعلق بالولادة من القرابة والرحم، وما يتعلق بذلك من الموارث والمناكح، وكذلك ما يحصل بينهم بالعقود من المناكح والموارث والوصايا على اليتامى؛ فالنسب من الأول، والصبه من الثاني؛ كما قال:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾^(٢).

فافتتحها بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٣) ثم قال: ﴿وَأَتْقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾^(٤)؛ أي: تتعاهدون وتتعاقدون (والأرحام)؛ فدخل في الأول ما بينهم من التساؤل والتعاقد الذي يجمع المعاوضة والمشاركة، وفي الثاني الولادة وفروعها، وقد نزه الله نفسه المقدسة عنهما، فقال:

(١) سورة النساء آية : ١ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٥٤ .

(٣) سورة النساء آية : ١ .

(٤) سورة النساء آية : ١ .

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾^(١).

وقال: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾^(٢).

وقال: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾^(٣).

وقال: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾^(٤) إلى آخرها.

ومن هنا، ضل من ضل من المشركين وأشباههم من المتفلسفة، حيث جعلوا لله ما نسبوه إليه نسب الولادة أو جعلوه كالشريك، ولهذا؛ كانوا يتخذون هؤلاء شفعاء؛ فإنهم يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى، ويتخذوهم وسيطا ووسائل كما يتخذون ذلك عند المخلوقين؛ فهذا أصل مادة هؤلاء الجهلة الضلال ونحوهم، والقرآن قد حسم هذه المادة، وجرّد التوحيد، وبين أنه لا نسبة بين المخلوق والخالق إلا نسبة العبودية المحضّة؛ كما قال: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾^(٥).

(١) سورة الإسراء آية : ١١١ .

(٢) سورة الفرقان آية : ١ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٠٠ .

(٤) سورة الإخلاق آية : ١ .

(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٦ .

وقال: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾^(١) وقال: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾^(٢) " (٣).

وفي قياس الصابئة المشركين طريقتهم في اتخاذ النجوم وسائط معبودة على اتخاذ الحنفاء الرسل متبوعين، ينقل الشيخ ما يفسد هذا القياس من كلام ابن تيمية أيضا، فيقول:

"المشركون من الصابئة ونحوهم لما عبدوا الكواكب والملائكة وجعلوها وسائط بين الله وبين خلقه؛ جادلوا الحنفاء الذين يتبعون الرسل ولا يعبدون إلا الله، فقالوا: نحن نتخذ الروحانيين وسائط، وأنتم تتخذون البشر. فأخذ يعارضهم طائفة كالشهرستاني في "الملل والنحل" وغيره، ويذكرون أن توسط البشر أولى من توسط الروحانيين، فبنوا معارضتهم على أصل فاسد، وهو مقايسة وسائط أولئك بوسائط الحنفاء، وهذا جهل بدين الحنفاء؛ فإنه ليس بينهم وبين الله واسطة في العبادة، وإنما الرسل بلغتهم أمر الله؛ فهم وسائط في التبليغ؛ كدليل الحاج، وإمام الصلاة، وبعض من دخل دين الصابئة

(١) سورة النساء آية : ١٧٢.

(٢) سورة مريم آية : ٩٠.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠٢، ص ٩٥ - ٩٦).

والمشركين ظنوا أن شفاعة الرسول لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التي تفيض على الرسول تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول ولا دعاء منه، ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة؛ فكذلك الفيض لا بد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة، وجعلوا الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه، وقالوا: إن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة، فيقوى تأثيرها. وهذه المعاني ذكرها طائفة من الفلاسفة ومن أخذ عنهم كابن سينا وأبي حامد وغيرهم، وهذه من أصول عباد الأصنام، وهي من المقاييس التي قال فيها بعض السلف: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس"^(١).

وينقل الشيخ أيضا عن ابن تيمية أن أصل كل شرك في العالم إنما حدث برأي أئمة هؤلاء المتكلمين أصحاب المقاييس المعارضة للوحي، فيقول بعد أن ذكر بعض أحوالهم المخالفة:

"كل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم؛ فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك؛ فلم ينع عنه، بل يقر هؤلاء وهؤلاء، وإن رجح الموحدين ترجيحا ما؛ فقد يرجح في غيره المشركين، وقد يعرض عن الأمرين جميعا؛ فتدبر هذا؛ فإنه نافع جدا.

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠٣، ص ٩٦ - ٩٧).

ولهذا؛ كان رءوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك، وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد، بل يسوغون الشرك أو يأمرون به أو لا يوجبون التوحيد، وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم) ما هو أصل الشرك، وهم إذا ادعوا التوحيد؛ فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام؛ لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة، بل لا بد من أن يعبد الله وحده، ويتخذة إلهاً دون ما سواه، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)". انتهى كلام الشيخ ابن تيمية.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "فتأمل رحمك الله هذا الكلام؛ فإنه مثلما قال الشيخ؛ فهو نافع جدا، ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين حال من أقر بهذا الدين، وشهد أنه الحق، وأن الشرك هو الباطل، وقال بلسانه ما أريد منه، ولكن لا يدين بذلك؛ إما بغضا له أو عدم محبته؛ كما هي حال المنافقين الذين بين أظهرنا، وإما إثارا للدنيا مثل تجارة أو غيرها، فيدخلون في الإسلام، ثم يخرجون منه؛ كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾^(١) الآية.

(١) سورة المنافقون آية : ٣.

وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾^(١)

إلى قوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾^(٢).

فإذا قال هؤلاء بألسنتهم: نشهد أن هذا دين الله ورسوله، ونشهد أن

المخالف له باطل، وأنه الشرك بالله؛ غر هذا الكلام ضعيف البصيرة"^(٣).

ويقول الشيخ سليمان في "شرحه": "ولما كان عباد القبور إنما هـوا من

حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة؛ كما قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾^(٤)؛ نوع المصنف التحذير من

الافتتان بالقبور، وأخرجه في أبواب مختلفة؛ ليكون أوقع في القلب، وأحسن

في التعليم، وأعظم في الترهيب"^(٥).

ويقول الشيخ في "ملخصه عن ابن تيمية": "ومما يبين حكمة الشريعة

أنها كسفينة نوح: إن الذين خرجوا عن المشروع خرجوا إلى الشرك، وطائفة

منهم يصلون للميت، ويدعو أحدهم الميت، فيقول: اغفر لي وارحمني،

ومنهم من يستقبل القبر، ويصلي لله مستدبرا

(١) سورة النحل آية : ١٠٦ .

(٢) سورة النحل آية : ١٠٧ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "مفيد المستفيد" (ص ٢٩٩ - ٣٠٠).

(٤) سورة فاطر آية : ٨ .

(٥) "تيسير العزيز الحميد" (ص ٢٧٧).

الكعبة، ويقول: القبر قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة^(١) وهذا يقوله من هو أكثر عبادة وزهدا، وهو شيخ متبوع، ولعله أمثل أصحاب شيخه لقوله في شيخه.

وآخر من أعيان الشيخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد يأمر المرید أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها.

وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع وحضور القلب ما لا يجدونه في المساجد، وآخرون يحجون إلى القبور، وطائفة صنفوا كتباً وسموها مناسك حج المشاهد، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموه منسكا وحجا؛ فالمعنى واحد.

وبعض الشيوخ المشهورين بالزهد والصلاح صنف كتاب الاستغاثة بالنبي ﷺ... وذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة، وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده، ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة،

(١) وقد سمعت عام ١٣٩٨هـ نحو هذه العبارة بل أشد، من رجل يتكلم العربية، وأظنه من الهنود اللاجئين إلى باكستان جاء زائرا إلى المسجد النبوي، وقد رأيت متجها نحو القبر يدعو رافعا يديه من مسافة بعيدة عن القبر منحرفا إليه عن القبلة، فلما نبهته إلى القبلة؛ قال لي مثل هذه العبارة، وزاد بتكفير من يخالفه، وقال يخاطبني: "وهاي كافر"! وهذه الظاهرة نذير خطر من أخطار الشرك، وقد كثرت في هذه الأيام، وأقل ما فيها أنها بدعة منكرة نسأل الله السلامة والاستقامة والهداية، إنه هو السميع العليم.

وجعل هذا من مناقبه!

وبسبب الخروج عن الشريعة؛ صار بعض الشيوخ ممن يقصده القضاة والعلماء قيل عنه: إنه كان يقول: البيوت المحجوجة ثلاثة: مكة، وبيت المقدس، والذي بالهند الذي للمشركين؛ لأنه يعتقد أن دين اليهود والنصارى حق، وجاءه بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته، فقال له: أريد أن أسلك على يدك. فقال له: على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين؟ فقال له: اليهود والنصارى أليسوا كفارا؟ قال: لا تشدد عليهم، ولكن الإسلام أفضل!

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ كعرفات؛ يسافرون إليها وقت الموسم فيعرفون بها، كما يفعل بالمغرب والمشرق.

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله؛ فليسوا على ملة إبراهيم. والاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته موجود في كلام بعض الناس؛ مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان، وهؤلاء لهم صلاح، لكن ليسوا من أهل العلم، بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم وله فضل وعلم وزهد إذا نزل به أمر؛ حطا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات، واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس.

وهؤلاء مستندهم مع العادة قول طائفة: قبر معروف أو غيره ترياق مجرب، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت، فأروه أتى في

الهوى، وقضى بعض الحوائج، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة أو الأنبياء أو الكواكب والأوثان؛ فإن الشيطان يتمثل لهم، ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا من هذا؛ لطال المقال، وقد طاف هذا بجوابه (يعني: الذي ذكر فيه جواز الاستغاثة بالنبي) على علماء مصر ليوافقه واحد منهم؛ فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبتة؛ فما خالفوه، مع أن قوما كان لهم غرض، وفيهم جهل بالشرع؛ قاموا في ذلك قياما عظيما، واستعانوا بمن له غرض من ذوي السلطان مع فرط تعصبهم، وكثرة جمعهم، وقوة سلطانهم، ومكائد شيطانهم^(١).

ويورد الشيخ آثارا في سد ذرائع الشرك فيقول: "وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: ﴿ لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج ﴾^(٢).

قال الشيخ: "رواه أهل السنن".

ويقول الشيخ: "فيه تفسير الأوثان، وتفسير العبادة، وأنه ﷺ لم يستعد إلا مما يخاف وقوعه، وقرنه ﷺ بدعائه أن لا يجعل الله قبره وثنا يعبد إخباره بوعيد اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، وذكر شدة الغضب من الله على ذلك، وفيه ما هو من أهم هذه المسائل، وهو صفة معرفة اللات التي هي من أكبر الأوثان، ومعرفة أنه قبر رجل صالح، وأنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية، ولعنه زوارات القبور، ولعنه من

(١) "مؤلفات الشيخ" (ملحق المصنفات، رقم ١٠٤، ص ٩٧ - ٩٩).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الصلاة (٣٢٠)، وسنن النسائي: كتاب الجنائز (٢٠٤٣)، وسنن

أبي داود: كتاب الجنائز (٣٢٣٦)، ومسند أحمد (٢٢٩/١، ٢٨٧/١، ٣٢٤/١،

٣٣٧/١).

أسرجها"^(١).

قال الشيخ سليمان في شرحه "تيسير العزيز الحميد لكتاب التوحيد":
"أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة أموراً:

الأول: التحذير من الغلو في قبور الصالحين.

الثاني: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها.

الثالث: أنها إذا عبدت؛ سميت أوثاناً، ولو كانت قبور الصالحين.

الرابع: التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد"^(٢).

وتحت (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح؛ فكيف إذا عبده؟!) أورد الشيخ أحاديث، فقال: "في الصحيح (ويعني: في "الصحيحين")^(٣) ﴿ عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح؛ بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله"﴾^(٤).

(١) مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٦٤ - ٦٥). وقوله: "تفسير

الأوثان"؛ أي: في الحديث بيان معنى الوثن.

(٢) (ص ٢٩٣ - ٢٩٤).

(٣) "تيسير العزيز الحميد" (ص ٢٧٧).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٤٣٤).

قال الشيخ: "فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل".

قال الشيخ: "لهما (أي: للبخاري ومسلم) عنها (أي: عن عائشة)، قالت: ﴿ لما نزل برسول الله ﷺ ؛ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها؛ كشفها، فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ؛ يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك؛ أبرز قبره؛ غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً﴾^(١) أخرجاه (أي: البخاري ومسلم).

ومسلم عن جندب بن عبد الله؛ قال: ﴿ سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمي خليلاً؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم؛ كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك﴾^(٢).

قال الشيخ: "فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبن مسجداً، وهو معنى قولها: "خشي أن يتخذ مسجداً"؛ فإن الصحابة لم يكونوا لينوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه؛ فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً؛ كما قال ﷺ ﴿ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً﴾^(٣).

وقال الشيخ: "ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٥٤) وكتاب اللباس (٥٨١٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢).

(٣) سنن النسائي: كتاب المساجد (٧٣٦)، وسنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها

(٥٦٧)، ومسند أحمد (٢/٢٤٠).

مرفوعاً: ﴿ إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد ﴾^(١). ورواه أبو حاتم في "صحيحه".

وقال الشيخ: "فيه ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل، وفيه النهي عن التماثيل، فإذا اجتمع الأمران؛ غلظ الأمر.

وفيه العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك، كيف بين لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق؛ لم يكتف بما تقدم.

وفيه نهي عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر، وبيانه أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، ولعنه إياهم على ذلك، وأن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

وفيه بيان العلة في عدم إبراز قبره، وبيان معنى اتخاذها مسجداً، وأنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته، وذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الشنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد"^(٢).

(١) مسند أحمد (١/٤٠٥، ١/٤٣٥، ١/٤٥٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٦٠ - ٦٢).

ومن أسباب الشرك ووسائله التي يجب القضاء عليها ومنعها: لمس القبر، والتمسح به، وبناء القباب على القبور، والصلاة عندها، وقصدها لأجل الدعاء عندها معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره، أو النذر لله في هذا المكان، ونحو ذلك؛ فهذا ليس من دين المسلمين، بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التي هي من شعب الشرك.

قال الشيخ: "أما بناء القباب على القبور؛ فيجب هدمها، ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر، وكذلك الصلاة عنده (أي: القبر)، وقصده لأجل الدعاء؛ فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك، ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك، فيشتد نكير العلماء لذلك؛ كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾^(١) وذكر العلماء أنه يجب التخليص على هذه الأمور؛ لأنه يفتح باب الشرك؛ كما أنه أول ما حدث في الأرض بسبب ود وسواع ويعوق ونسر، لما عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة، ثم بعد ذلك بقرون عبدوا؛ فكذلك في هذه الأمة؛ كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب؛ لدخلموه ﴾^{(٢)(٣)}؛ فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها من غير شرك، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك، وأول ما جرى من هذا أن أمية لما بنوا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وسعوه واشتروا بيوتا حوله، ولم يمكنهم إدخال بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي فيه قبره

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٤٣٦) وكتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٥٤) وكتاب المغازي (٤٤٤٤) وكتاب اللباس (٥٨١٦)، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١)، وسنن النسائي: كتاب المساجد (٧٠٣)، ومسند أحمد (٦/٢٢٨، ٦/٢٧٥)، وسنن الدارمي: كتاب الصلاة (١٤٠٣).

(٢) مسند أحمد (٢/٣٢٧، ٢/٤٥٠، ٢/٥١١، ٣/٨٤، ٣/٨٩).

(٣) انظر تحريجه في: (١/٢٧١) من هذا البحث.

وقبر صاحبيه، ولكن أدخلوا البيت في المسجد^(١)؛ لأجل توسيع المسجد، ولم يقصدوا تعظيم الحجرة بذلك، لكن قصدوا تعظيم المسجد، ومع هذا أنكره علماء المدينة، حتى قتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب إنكاره ذلك؛ فانظر إلى سد العلماء الذرائع، وأما النذر له (أي: القبر) أو صاحبه ودعاؤه والخضوع له؛ فهو من الشرك الأكبر؛ فتأمل ما ذكره البغوي في تفسير سورة نوح في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ ءِلهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًا ﴾^(٢) الآية، وما ذكره أيضا في سورة النجم في قوله: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ ءَالَّتِ وَءَالْعَزَىٰ ﴾^(٣) أن اللات قبر رجل صالح؛ فتأمل الأصنام التي بعثت الرسل بتغييرها كيف تجد فيها قبور الصالحين^(٤).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: " الممنوع مما يفعل عند القبور نوعان:

أحدهما: محرم ووسيلة للشرك؛ كالتمسح بها، والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها، وكإسراجها، والبناء عليها، والغلو فيها

(١) يعني بيت النبي ﷺ: الحجرة التي ضمت قبره وقبر صاحبيه؛ فهذه قد أحاطوها بثلاثة جدران على شكل مثلث قاعدته جنوبي الحجرة لأنه لا يمكنهم إدخالها في المسجد، أما بقية بيوت أزواجه؛ فأدخلوها.

(٢) سورة نوح آية : ٢٣ .

(٣) سورة النجم آية : ١٩ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٦٠، وص ٦٩ - ٧١). وانظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٦٧ - ٦٨، والقسم الأول، مسائل الجاهلية، ص ٣٤٧ - ٣٤٨).

وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

والنوع الثاني: شرك أكبر؛ كدعاء أهل القبور، والاستغاثة بهم، وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم؛ فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم.

ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله؛ فإن المشركين يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾^(١)، ويقولون ﴿ هَتُّؤَلَاءِ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٢) فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنعف ودفع الضرر، وأن من اعتقد أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم لا يكفر، من زعم ذلك؛ فقد كذب ما جاء به الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة؛ من أن من دعا غير الله؛ فهو مشرك كافر في الحالين المذكورين، سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين، وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام؛ فعليك بهذا التفصيل الذي يحصل به الفرقان في هذا الباب المهم الذي حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل، ولم ينج من فتنته إلا من عرف الحق واتبعه"^(٣).

وتحت (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) يورد الشيخ قول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾^(٤).

(١) سورة الزمر آية : ٣ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

(٣) "القول السديد في مقاصد التوحيد" (ص ٨٢ - ٨٤) .

(٤) سورة التوبة آية : ١٠٨ .

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه؛ قال: ﴿ نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي ﷺ؟ فقال: "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟". قالوا: لا. قال: "فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟". قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ "أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم" ^(١). قال الشيخ: "رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما".

قال الشيخ: "فيه تفسير قوله: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ ^(٢)، والمنع من تخصيص البقعة بالنذر إذا كان فيها وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله، أو كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله، والحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده" ^(٣).

ويذكر الشيخ أن الشيطان - والعياذ بالله منه - أظهر لهؤلاء الغلاة الذين غلوا في الصالحين وفي قبورهم أن دعاءهم أو اتخاذ قبورهم مساجد يدعون عندها ويصلون في صورة المحبة لهؤلاء الصالحين أو القيام بحقوقهم والتعظيم لهم، أما من يخلص لله الدين ولا يغلو في الأولياء والصالحين؛ فقد أظهر الشيطان عمله هذا لهؤلاء الغلاة في صورة تنقص الصالحين، والتنقصير في حقوقهم ^(٤).

(١) سنن أبي داود: كتاب الأيمان والنذور (٣٣١٣).

(٢) سورة التوبة آية: ١٠٨.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٣٨ - ٣٩).

(٤) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ستة أصول عظيمة مفيدة، ص ٣٩٣)،

وانظر: "مفيد المستفيد" (ص ٢٩١).

وتحت (باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما) يورد الشيخ قول الله تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٦﴾ وَمَنْوَةَ الْآخْرَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾^(١).

وعن أبي واقد الليثي؛ قال: ﴿ خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة؛ قلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ "الله أكبر، إنها السنن، قاتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: "اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون"، لتركن سنن من كان قبلكم ﴾. قال الشيخ: "رواه الترمذي وصححه".

يقول الشيخ: "فيه تفسير آية النجم، ومعرفة صورة الأمر الذي طلبوا، وكونهم لم يفعلوا، وكونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه، وأنهم إذا جهلوا هذا؛ فغيرهم أولى بالجهل، وأن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم، وأن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: ﴿ الله أكبر، إنها السنن، لتبعن سنن من كان قبلكم ﴾^(٢)؛ فغلظ الأمر بهذه الثلاث، وفيه الأمر الكبير - وهو المقصود -؛ أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا ﴾^(٣).

(١) سورة النجم آية : ١٩ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦) وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٢٠) ، ومسند أحمد (٤٥٠/٢ ، ٥١١/٢ ، ٥٢٧/٢ ، ١٣٧/٤ ، ٣٤٠/٥).

(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

وأن نفي جعل ذات الأنواط للتبرك والعكوف عندها من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك، ولذا؛ حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة، وفيه أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا، وقولهم: "ونحن حدثاء عهد بكفر": فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك، وفيه سد الذرائع، والنهي عن التشبه بالجاهلية، وأن العبادات مبناهما على الأمر، وأن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين، وما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن تحذير لنا أن نقع فيه، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة؛ لقولهم: "ونحن حدثاء عهد بكفر"^(١).

ويقول الشيخ: "هذه القصة تفيد أن المسلم، بل العالم، قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه: أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان، وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبه على ذلك، فتاب من ساعته؛ أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر؛ فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا؛ كما فعل رسول الله ﷺ"^(٢).

وفي بيان حرص الرسول ﷺ على إبطال أسباب الشرك العملي يورد الشيخ تحت (باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، التوحيد، ص ٣٢ - ٣٤).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٧٥).

وسده كل طريق يوصل إلى الشرك) قول الله تعالى:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ﴾^(٢).

قال الشيخ: "رواه أبو داود بإسناد حسن رواه ثقات".

وعن علي بن الحسين، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: ﴿ لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي؛ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم ﴾^(٣) رواه في "المختارة"^(٤).

قال الشيخ: "فيه تفسير آية براءة، وإبعاده أمتة عن هذا الحمى غاية البعد، وذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته، ونهيه عن زيارة قبره على

(١) سورة التوبة آية : ١٢٨ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب المناسك (٢٠٤٢).

(٣) مسند أحمد (٣٦٧/٢).

(٤) "المختارة": كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على "الصحيحين"، ومؤلفه هو

أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي أحد الأعلام، توفي

سنة ٦٤٣ هـ.

وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال، ونهيه عن الإكثار من الزيارة، وحثه على النافلة في البيت، وأنه متقرر عندهم أنه لا يصلي في المقبرة، وتعليقه ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد؛ فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب، وكونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه^(١).

أما بيان حرص الرسول ﷺ على إبطال أسباب الشرك حتى في الأقوال، فيورد الشيخ تحت (باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك) حديثاً عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه؛ قال: ﴿ انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: "السيد الله تبارك وتعالى". قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً؟ فقال: "قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجربنكم الشيطان" ﷻ^(٢). قال الشيخ: "رواه أبو داود بسند جيد".

وعن أنس رضي الله عنه؛ ﴿ أن ناساً قالوا: يا رسول الله! يا خيرنا وابن خيرنا! وسيدنا وابن سيدنا! فقال: "يا أيها الناس! قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلي الله ﷻ" ﷻ^(٣). قال الشيخ: "رواه النسائي بسند جيد".

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٦٦ - ٦٧).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الأدب (٤٨٠٦).

(٣) مسند أحمد (٢٤٩/٣).

قال الشيخ: "فيه تحذير الناس من الغلو، وما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا، وقوله: "لا يستجربنكم الشيطان"، مع أنهم لم يقولوا إلا الحق، وقوله: "ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي" (١).

ضرر الشرك وخطره

وعن خطورة الشرك وقبحه وضرره؛ فالشيخ يبين ذلك بيانا بليغا من القرآن والسنة، وأن الحكمة في كون الله سبحانه يغفر الكبائر ولا يغفر الشرك هي لأنه أقبح المسبة لله تعالى، وهو الذي لا يبرأ من السوء والنقص والعيب سواه، ولا ينبغي الحمد والثناء مطلقا إلا له سبحانه لكماله؛ فالشرك أعظم الظلم، ولا تسعه المغفرة التي هي صفة كمال له، سبحانه وتعالى عما يشركون (٢).

ويقرر الشيخ أن الشرك إذا دخل في العبادة، بطلت ولم تقبل، وأن كل ذنب يرجى له العفو؛ إلا الشرك، والدليل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٤٦ - ١٤٧).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٤٧، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢٠ - ٢١).

(٣) سورة الزمر آية: ٦٥.

(٤) سورة النساء آية: ١١٦.

وقال تعالى:

﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١)(٢).

ويقول الشيخ في موضع آخر: "إن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة؛ فسدت؛ كالحديث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة؛ أفسدها، وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار؛ عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله تعالى" (٣).

ويقرر الشيخ في موضع ثالث خطورة الشرك ببيان أن الإنسان إذا لم يجتنب الشرك؛ فهو كافر، ولو كان من أعبد هذه الأمة؛ يقوم الليل، ويصوم النهار، قال الله تعالى في الأنبياء: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) وتصير عبادته كلها كمن صلى ولم يغتسل من الجنابة، أو كمن يصوم في شدة الحر وهو يزني في أيام الصوم.

(١) سورة المائدة آية : ٧٢.

(٢) "الدرر السنية" (ج ٢، ص ٣ - ٤).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع، ص ١٩٩ - ٢٠٢).

(٤) سورة الأنعام آية : ٨٨.

ويبين الشيخ أهمية معرفة هذا الشرك قبل معرفة الزنى وغيره من المحرمات^(١).

ولما كان الشرك ناقضا للعبادة ومفسدا لها وظلما عظيما وأقبح مسبة لله تعالى؛ كان أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا؛ رتب الله عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه؛ من إباحة دماء أهله وأموالهم، وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه.

ولما كان الشرك خطيرا مخوفا من وقوعه؛ عقد الشيخ بابا في مؤلفه "كتاب التوحيد" أورد فيه ما جاء من التخويف منه والتحذير، وبيان أنه يقع في الأمة، ولذا؛ يخاف منه المسلم، فقال الشيخ: "باب الخوف من الشرك"، ثم أورد تحت هذا الباب الأدلة من الكتاب والسنة مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢)، وقول الله تعالى عن الخليل: أنه قال يدعو ربه: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٣).

وفي الحديث: ﴿أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه؟ فقال: الرياء﴾^(٤) رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٩٣).

(٢) سورة النساء آية: ٤٨.

(٣) سورة إبراهيم آية: ٣٥.

(٤) مسند أحمد (٥/٤٢٨، ٥/٤٢٩).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ من مات وهو يدعو من دون الله ندا ؛ دخل النار ﴾^(١). رواه البخاري.

ومسلم عن جابر رضي الله عنه؛ ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من لقي الله لا يشرك به شيئاً ؛ دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً؛ دخل النار ﴾^(٢).

قال الشيخ: "فيه الخوف من الشرك، وأن الرياء من الشرك الأصغر، وأنه أخوف ما يخاف على الصالحين، وأن من لقي الله لا يشرك به شيئاً؛ دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً؛ دخل النار، ولو كان من أعبد الناس. وفيه المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام، واعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: ﴿ رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَصَلَّلَنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾^(٣) وفضيلة من سلم من الشرك"^(٤).

إذاً؛ فالشرك خطير؛ ينافي التوحيد، ويوجب دخول النار والخلود فيها، وحرمان الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقق وتكمل السعادة إلا بالسلامة منه، وكان حقا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العفو والعافية منه؛ كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق^(٥).

ولأن عباد القبور الذين يفعلون الشرك يقولون: إنه لا يقع الشرك

(١) صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن (٤٤٩٧).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (٩٣).

(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٦ .

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ١٨ - ١٩، وانظر: ص ٢١)، وانظر: "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (ص ٨٩ - ٩٠)، و "القول السديد في مقاصد التوحيد" (ص ٢٩ - ٣١) .

(٥) انظر: "القول السديد في مقاصد التوحيد" لابن سعدي (ص ٣٠ - ٣١) .

في هذه الأمة المحمدية، وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولو ظهر منهم دعاء الأموات، والذبح لهم، والطواف حول قبورهم، والنذر لهم، والاعتقاد فيهم؛ فهذا ليس شركاً، والشرك لا يقع؛ فقد أراد الشيخ الرد عليهم بالباب الذي عقده في "كتاب التوحيد"، وترجمته: (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان)، وأورد تحته ما يناسب من أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ بين فيها ما يدل على تنوع الشرك في هذه الأمة، ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان، وإن كانت طائفة منها لا تزال على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى^(١).

وهذه الأدلة هي قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّنُوتِ

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾^(٢).

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِندَ اللَّهِ ۗ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَىٰ عَلَيْهِ

وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّنُوتِ ﴾^(٣).

وقوله تعالى:

(١) انظر: "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (ص ٣١٥).

(٢) سورة النساء آية: ٥١.

(٣) سورة المائدة آية: ٦٠.

﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾^(١).

عن أبي سعيد رضي الله عنه ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة"^(٢) حتى لو دخلوا جحر ضب؛ لدخلتموه" قالوا: رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟!!" ﴿ أخرجاه.

ومسلم عن ثوبان رضي الله عنه ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغارها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد! إذا قضيت قضاء؛ فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلکهم بسنة عامه، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها، ويسبي بعضهم بعضا" ﴿^(٣) رواه البرقاني في "صحيحه" وزاد: ﴿ وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فتنام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم، حتى

(١) سورة الكهف آية : ٢١ .

(٢) (القذة)؛ بضم القاف: واحدة القذذ، وهو ريش السهم.

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩) ، وسنن الترمذي : كتاب الفتن

(٢١٧٦) ، وسنن أبي داود : كتاب الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ومسنند أحمد (٢٨٤/٥).

يأتي أمر الله تبارك وتعالى ﴿(١)(٢)﴾.

قال الشيخ: "فيه تفسير آية النساء، وتفسير آية المائدة، وتفسير آية الكهف، وفيها - وهي أهمها - ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت؛ هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟".
يقصد الشيخ أن الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وافقوا المشركين في الظاهر، أما في قلوبهم؛ فيعتقدون بطلانها ويعرفونه، ومع ذلك قالوا: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدي سبيلا من المؤمنين؛ فبمجرد هذه الموافقة للمشركين في الظاهر؛ فقد آمنوا بالجبت والطاغوت^(٣).

(١) سنن أبي داود: كتاب الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، ومسند أحمد (٢٧٨/٥).
(٢) تقدم إيراد هذا الحديث وتخريجه، وترجمة البرقاني أيضا. (انظر: ١ / ٤٣٢) من هذا البحث.
(٣) انظر سبب نزولها في "تفسير ابن جرير الطبري". قال ابن جرير: "حدثنا محمد بن المنفي ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس؛ قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة؛ قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم؛ قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبت من قومه يزعم أنه خيرا منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير منه؟ قال: فأنزلت: / إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ / ٤ ، وأنزلت: / أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ / ٤ إلى قوله: / لَنْ يَخْلَدَ لَهُ نَصِيرًا / ٤ ". ابن جرير "التفسير" (ج ٥، ص ١٣٣). والحديث؛ ذكره الحافظ ابن كثير في "تفسيره" من رواية الإمام أحمد؛ قال: "حدثنا محمد بن أبي عدي به"، وذكر قريبا منه من رواية ابن أبي حاتم، ثم قال ابن كثير: "وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف". (ابن كثير، التفسير، ج ١، ص ٥١٣)، وأخرجه ابن حبان في "صحيحه" كما في "موارد الظمان في زوائد ابن حبان" (ص ٤٢٨).

قال الشيخ: "وفيها مسألة، وهي المقصودة بالترجمة؛ أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة؛ كما تقرر في حديث أبي سعيد. وفيها التصريح بوقوعها (أعني: عبادة الأوثان في هذه الأمة) في جموع كثيرة.

وفيها العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق، وفيه أن محمدا خاتم النبيين، ومع هذا؛ يصدّق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة؛ يعني: فلا يستبعد تصديق من يدعي أن الشرك الأكبر لا يكفر صاحبه إذا كان يقول: لا إله إلا الله؛ كما جرى من المختار.

وفيه البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة، والآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، وأن ذلك الشرط إلى قيام الساعة. وفيها حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين، والتنبيه على معنى عبادة الأوثان"^(١).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٦٨ - ٧١)، "مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد" (ص ٢٩٦ - ٣١٠، وص ٣١١).

ويعلق الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في "القول السديد" على هذا الباب: (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأصنام)؛ فيقول: "مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم أن من قال: لا إله إلا الله، وتسمى بالإسلام؛ أنه يبقى على إسلامه، ولو فعل ما ينفيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم، وسمى ذلك توسلا لا عبادة؛ فإن هذا باطل؛ فإن الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله، لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع، وهو العبادة؛ فإنها حق الله وحده، فمن دعا غير الله أو عبده؛ فقد اتخذه وثنا، وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام؛ فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر ومنافق! والعبرة بروح الدين وحقيقته، لا بمجرد الأسماء والألفاظ التي لا حقيقة لها"^(١).

وقد ذكر الشيخ معنى الطاغوت ورءوس أنواعه وصفة الكفر به، فقال: "الطاغوت عام؛ فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله؛ فهو طاغوت، ورءوسهم خمسة: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله تعالى، والحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والذي يحكم بغير ما أنزل

(١) "القول السديد في مقاصد التوحيد" (ص ٨٩ - ٩٢).

الله، والذي يدعي علم الغيب من دون الله، والذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة. وأما صفة الكفر بالطاغوت؛ فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم"^(١).

وما ذكره الشيخ عن معنى الطاغوت هو ما ذكره ابن جرير الطبري في "تفسيره"، فقال ابن جرير الطبري:

"الجبث والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كائنا ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذا كان كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها؛ كانت معظمة بالعبادة من دون الله؛ فقد كانت جبوتا وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ﷺ؛ فكانا جبثين وطاغوتين"^(٢).

وكذلك ابن القيم ذكر معنى الطاغوت، فقال: "الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، معنى الطاغوت، ص ٣٧٦ - ٣٧٨).

(٢) "تفسير ابن جرير الطبري" (٥/ ١٣٣).

طواغيت العالم، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس؛ رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة، وهم الصحابة ومن تبعهم، ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم في الطريق والقصد معا" (١).

شبهات وكشفها

هذا وللمشركين شبه كثيرة وحجج ومعارضات يتوصلون بها إلى الشرك وإبطال التوحيد، ولو قامت شبههم؛ لقامت الفتنة، وأصبح الدين مفرقا، ليس كله لله تعالى، ولكن الشيخ كشف شبههم واحدة واحدة، ونقضها حتى أبطلها جميعا، وحاصل هذه الشبه يمكن تصويره في سبع شبهات هي:

١- أن الشرك لا يكون فيمن يشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، ولكنه يقصد أولياء الله والصالحين؛ لأن لهم جاه وشفاعة عند الله تعالى وهو مذنب، فيدعوهم ويستغيث بهم ويذبح لهم وينذر لهم ليشفعوا له عند الله تعالى لا غير.

٢- والشرك إنما هو فيمن يعبد الأصنام، والأولياء والصالحون ليسوا مثل الأصنام، فمن يدعوهم؛ ليس مثل من يدعو الأصنام.

٣- أن من يقصد الصالحين والأولياء بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك ليس مشركا، وليست هذه الأمور شركا؛ لأنه وهو يفعل

(١) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" لابن قيم الجوزية (ج ١، ص ٥٥).

ذلك لا يريد منهم، وإنما يطلب من الله شفاعتهم؛ فهذا ليس عبادة لهم، ولا شركا بالله تعالى، بل توسل بهم.

٤- أنه وهو يقصدهم بهذا الفعل إنما يطلبهم مما أعطاهم الله تعالى، وقد أعطاهم الشفاعة والجاه والقرب لديه، ولا سيما رسول الله ﷺ.

٥- قالوا: وقد ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعبسى؛ فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ وكذلك في قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار؛ أن جبريل عرض عليه الإغاثة؛ قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا.

٦- ويقولون: إن المشركين هم الذين نزل فيهم القرآن أولا، وهم لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك المشركين؛ لأننا قصدنا أولياء الله ليشفعوا لنا فحسب؟!

٧- ويقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله... وقال: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله﴾^(١) وأحاديث أخر بهذا المعنى في الكف عن قائلها، فمن قائلها؛ لا يكفر ولا يقتل، ولو فعل ما فعل.

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة (٣٩٣) وكتاب الزكاة (١٤٠٠) وكتاب الجهاد والسير (٢٩٤٦) وكتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٢٤) وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٥) ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان (٢٠ ، ٢١) ، وسنن الترمذي : كتاب الإيمان (٢٦٠٦ ، ٢٦٠٧) وكتاب تفسير القرآن (٣٣٤١) ، وسنن النسائي : كتاب الزكاة (٢٤٤٣) وكتاب الجهاد (٣٠٩٠ ، ٣٠٩١ ، ٣٠٩٢ ، ٣٠٩٣ ، ٣٠٩٥) وكتاب تحريم الدم (٣٩٧٠ ، ٣٩٧١ ، ٣٩٧٢ ، ٣٩٧٣ ، ٣٩٧٤ ، ٣٩٧٥ ، ٣٩٧٦ ، ٣٩٧٧ ، ٣٩٧٩ ، ٣٩٨٢) ، وسنن أبي داود : كتاب الزكاة (١٥٥٦) وكتاب الجهاد (٢٦٤٠) ، وسنن ابن ماجه : كتاب الفتن (٣٩٢٧ ، ٣٩٢٨ ، ٣٩٢٩) ، ومسند أحمد (١١/١ ، ١٩/١ ، ٣٥/١ ، ٤٧/١ ، ٣٧٧/٢ ، ٤٢٣/٢ ، ٤٧٥/٢ ، ٥٠٢/٢ ، ٥٢٨/٢ ، ٣٠٠/٣ ، ٣٣٢/٣ ، ٣٣٩/٣ ، ٣٩٤/٣ ، ٨/٤) ، وسنن الدارمي : كتاب السير (٢٤٤٦).

هذا هو حاصل الشبه التي يشبه بها المشركون ممن يدعي الإسلام، ويريد قلب الحقائق، فيجعل التوحيد إلحادا، والإلحاد توحيدا. وقد كشف الشيخ هذه الشبه ونقضها، فبطلت بكتاب الله المحكم وسنة رسوله ﷺ الحاكمة، والحق القائم الذي أحقه الله بكلماته الكونية كما أحقه بكلماته الشرعية.

ونورد كيف بين الشيخ كشفه لهذه الشبهات، فقال ما معناه: "إن الشبهة الأولى - وهي قولهم: إن الشرك لا يكون فيمن يشهد أن الله هو النافع الضار المدبر ولو دعا غيره واستغاث به وذبح له ونذر له ليشفع له ويقر به عند الله - إن هذه مقالة المشركين الأوائل سواء بسواء، وهم الذين كفرهم الله ورسوله ﷺ وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم، وسبى نساءهم وذرايرهم، مع إقرارهم بأن الله هو النافع الضار الخالق المدبر؛ بدليل قول الله تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾^(١) وغير هذه الآية من الآيات الكثيرة.

وأن هؤلاء المشركين يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب

(١) سورة يونس آية : ٣١.

القربى والشفاعة؛ بدليل قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٢).

وكشف الشيخ الشبهة الثانية - وهي قولهم: إن الشرك إنما هو فيمن يعبد الأصنام، والأولياء والصالحون ليسوا مثل الأصنام، فمن يدعوهم ليس مثل من يدعو الأصنام - بما ذكر الله ورسوله ﷺ في الكتاب والسنة من الحكم بكفر جميع من يدعو غير الله تعالى مهما كان هذا الغير، سواء كان نبيا أو ملكا أو من دونهما، أو دعا طاغوتا أو صنما؛ فالحكم على من دعا غير الله واحدة، ولم يفرق الله ولا رسوله ﷺ بين من يعبد الأصنام وبين من يعبد الصالحين في الحكم، بل الجميع يحكم عليهم بأنهم مشركون بالله. ويقول الشيخ في قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) إلى قوله تعالى: ﴿ سَجَّاهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤).

(١) سورة الزمر آية : ٣ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

(٣) سورة الزمر آية : ٦٤ .

(٤) سورة الزمر آية : ٦٣ .

يقول : "فيه مسائل فيها أنواع من بطلان الشرك وتقييحه:

الأولى: الجواب عن قول المشركين: هذا في الأصنام وأما الصالحون فلا:

قوله: ﴿ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ ۙ ﴾^(١) : عام فيما سوى الله.

الثانية: أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر؛ كفر، ولو كان

باطنه يعتقد الإيمان؛ فإنهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته؛ ففيه بيان لما

يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفا

منهم، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارها له.

الثالثة: أن الجهل وسخافة العقل هو موافقتهم في الظاهر، وأن العقل

والفهم والذكاء هو التصريح بمخالفتهم، ولو ذهب مالك؛ خلافا لما كان

عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل، وذلك

في آخر الآية (أيها الجاهلون)"^(٢).

ويقول الشيخ: "فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو

الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم

وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا؛ فنحن

نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر. فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل

وأمثاله؛ فإنهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك؛ كما

قال الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ

زُلْفَىٰ ﴾^(٣).

(١) سورة الزمر آية : ٦٠.

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٤٤).

(٣) سورة الزمر آية : ٣.

وقال تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١).

وكشف الشيخ الثالثة، وهي قولهم: إن من يقصد الصالحين بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك ليس مشركا، وليست هذه الأمور شركا، بل هي توسل بهؤلاء الأولياء.

فأجاب الشيخ بأن الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحوها مما أمر الله أن يتقرب العبد به إليه؛ فهو عبادة، وكل أنواع العبادة لا يجوز صرف شيء منها لغير الله تعالى، والشرك إنما هو في العبادة وفي أنواعها، وصرف شيء من أنواعها كصرف مجموعها؛ لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك، فمن أشرك معه غيره؛ تركه وشركه، وقولهم: إن التوجه بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحوها إلى غير الله لا يريد منه وإنما يريد من الله بشفاعته ليس عبادة؛ قد أبطله الله بأنه سماه عبادة؛ كما تقدم من قوله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٢)(٣).

(١) سورة يونس آية : ١٨ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كشف الشبهات، ص ١٦٠) وما بعدها .

وقال الشيخ رحمه الله في كشف تسميتهم دعاء الأموات والأولياء بالتوسل ليتوصلوا إلى جوازه:

الدعاء الذي يفعل في هذا الزمان أنواع:

النوع الأول: دعاء الله وحده لا شريك له الذي بعث الله به رسوله ﷺ.

النوع الثاني: أن يدعو الله ويدعو معه نبيا أو وليا، ويقول: أريد شفاعته، وإلا، فأنا أعلم ما ينفع ولا يضر إلا الله، لكن أنا مذنب، وأدعو هذا الصالح لعله يشفع لي؛ فهذا الذي فعله المشركون وقاتلهم رسول الله ﷺ حتى يتركوه، ولا يدعو مع الله أحدا لا لطلب شفع ولا نفع.

النوع الثالث: أن يقول: اللهم إني أتوسل إليك بنبيك أو بالأنبياء أو الصالحين؛ فهذا ليس شركا، ولا نهينا الناس عنه على أنه شرك، ولكن المذكور عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهم أنهم كرهوه، لكن؛ ليس مما تختلف نحن وغيرنا فيه^(١).

وسئل الشيخ رحمه الله عن قول بعض الفقهاء في الاستسقاء: لا بأس ب التوسل بالشيوخ والعلماء المتقين وقولهم: يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح، وقيل: يستحب، وقول أحمد: إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، والفرق بين هذا القول وقول أحمد وغيره في قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق﴾^(٢).

(١) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ٢، ص ٤٣).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨، ٢٧٠٩)، وسنن الترمذي: كتاب الدعوات (٣٤٣٧، ٣٩٦٦)، وسنن أبي داود: كتاب الطب (٣٨٩٨)، وسنن ابن ماجه: كتاب الطب (٣٥١٨)، ومسند أحمد (٢/٢٩٠)، ٣٧٥/٢، ٤٤٨/٣، ٤٣٠/٥، ٣٧٨/٦، ٤٠٩/٦، وموطأ مالك: كتاب الجامع (١٧٧٤)، وسنن الدارمي: كتاب الاستئذان (٢٦٨٠).

الاستعاذة لا تكون بمخلوق؛ فما معنى هذا؟ وما العمل عليه منهما؟
فأجاب بقوله: "قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصلحين،
وقول أحمد: يتوسل بالنبي ﷺ خاصة، مع قولهم: إنه لا يستغاث بمخلوق؛
فالفرق ظاهر جدا، وليس الكلام مما نحن فيه؛ فكون بعض يرخص بالتوسل
بالصلحين، وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ وأكثر العلماء ينهى عن ذلك
ويكرهه؛ فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول
الجمهور أنه مكروه؛ فلا ننكر على من فعله، ولا إنكار في مسائل
الاجتهاد، لكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى،
ويقصد القبر، يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره، يطلب فيه
تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإعطاء الرغبات؛ فأين هذا ممن يدعو الله
مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك
أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو
عنده، ولكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين؛ فأين هذا مما نحن فيه؟!"^(١).
وهكذا كشف الشيخ تلبسهم، حيث جعلوا دعاء غير الله توسلا، ببيان ما
هو التوسل الحقيقي في الدعاء، والفرق بينه وبين دعاء غير الله تعالى، وأن
التوسل مسألة خارجة عن موضوع النزاع، وهو دعاء غير الله تعالى.

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى، ص ٥٩، ٦٠، ٦٨، ٦٩).

وكشف الشيخ الرابعة - وهي قولهم: إنهم يطلبون الأنبياء والأولياء مما أعطاهم الله تعالى، وقد أعطاهم الشفاعة والجاه والقرب لديه، ولا سيما رسول الله ﷺ - بأن الله تعالى وإن أعطاهم ما أعطاهم؛ فقد نهي أن يطلب منهم الشفاعة والزلفى عند الله، وأمر بأن يطلب ذلك منه وحده لا شريك له، فيقول: "اللهم شفّع فيّ نبيك" مثلاً، ذلك أن الشفاعة لله جميعاً، ولا يشفع عند الله أحد إلا من بعد إذنه، والله سبحانه لم يأذن بأن نطلب من الميت ذلك، وأما الحي؛ فالذي يطلب منه دعاؤه، وهذا عام في جميع الصالحين الأحياء القادرين على الدعاء.

والمقصود أن الدعاء والذبح والنذر والاستغاثة ونحوها مما أمر الله أن يعبد به لا بد من أن تؤدي لله خالصة، لا يشركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١).

وغير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التي بينها الشيخ للدلالة على الإخلاص في جميع أنواع العبادة، ومن أنواعها طلب الشفاعة من الله لديه، فيتوجه بذلك الطلب والرغبة والقصد إلى الله مباشرة وبدون واسطة؛ كما قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الجن آية : ١٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٦ .

فلا تطلب الشفاعة من غير الله تعالى؛ لأن الشفاعة كلها له سبحانه،
قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾^(١).

ولا يشفع أحد في أحد إلا من بعد أن يأذن الله تعالى؛ كما قال
سبحانه: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾^(٢).

وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾^(٣).

والله لا يرتضي أن تطلب الشفاعة من أحد إلا بإذنه، وهو سبحانه لا
يرضى إلا التوحيد.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾^(٥) قُلْ إِنِّي لَا
أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ
مُلْتَحَدًا ﴾^(٥).

(١) سورة الزمر آية : ٤٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

(٤) سورة الجن آية : ١٨ .

(٥) سورة الجن آية : ٢٠ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ

مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿٢٢﴾﴾ (٢).

قال الشيخ: "قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به

المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم

يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا

يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (٣)؛ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي

منتفية يوم القيامة؛ كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه

ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ﴿ارفع رأسك، وقل يسمع،

وسل تعط، واشفع تشفع﴾ (٤) وقال أبو هريرة: ﴿من أسعد الناس

بشفاعتك؛ قال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه﴾ (٥)؛ فتلك

الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص،

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٢) سورة سبأ آية : ٢٢ .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

(٤) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن (٣١٤٨) ، ومسند أحمد (٤/١).

(٥) صحيح البخاري : كتاب العلم (٩٩) وكتاب الرقاق (٦٥٧٠).

فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود.

ف الشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها من شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص " اه كلام ابن تيمية.

قال الشيخ: " فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد؛ تبين لك أن الشفاعة كلها لله؛ فاطلبها منه، وقل: اللهم لا تحرمي شفاعة نبيك محمد ﷺ اللهم شفعه في... وأمثال هذا.

وأيضاً؛ فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ فصح أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة؛ فاطلبها منهم، فإن قلت هذا؛ رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت: لا؛ بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله" (١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في "فتح المجيد": "وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته؛ فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصاً به ﷺ بل كل حي صالح يرجى أن يستجاب له؛ فلا بأس أن

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، كشف الشبهات، ص ١٦٥-١٦٦، وكتاب التوحيد، باب الشفاعة، ص ٥١-٥٣، ومسائل الجاهلية، ص ٣٥١، والقسم الخامس، الشخصية، رقم ١٧، ص ١١٢-١١٣، ورقم ٨، ص ٥٢، ٥٤).

يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة؛ كما ﴿ قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك ﴾^{(١)(٢)}.

والحديث؛ رواه الإمام أحمد في "المسند" عن عبد الله بن عمر؛ ﴿ أن عمر استأذن النبي ﷺ في العمرة؛ فأذن له، فقال: " يا أخي! أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا ﴾^(٣).

قال عبد الرزاق في حديثه: فقال عمر: "ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله: يا أخي"^(٤).

وكشف الشيخ الخامسة، وهي قولهم: يستدلون على جواز الاستغاثة بالرسول ﷺ بعد وفاته ودعائه كذلك بأن النبي ﷺ ذكر أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعباس؛ فكلهم يعتذرون، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

ويستدلون كذلك بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لما ألقى في النار؛ عرض جبريل الإغاثة، فلو كانت شركاً؛ لم يعرضها جبريل عليه السلام.

فكشفتها الشيخ ببيان أن المنكر هو استغاثة العباد التي تفعل عند القبر وسائر القبور، أو تفعل في غيبة المستغاث به، والتي يطلب بها ما لا يقدر عليه إلا الله وحده من غير الله تعالى.

(١) سنن أبي داود: كتاب الصلاة (١٤٩٨).

(٢) "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (ص ٥١٥، طبعة راجعها الشيخ عبد العزيز بن باز).

(٣) مسند أحمد (٥٩/٢).

(٤) انظر: "المسند" (ج ١، ص ٢٩، ج ٢، ص ٥٩).

أما استغاثة الناس يوم القيامة بالأنبياء ليدعوا لهم؛ فهذا جائز، بل يجوز في الدنيا وفي الآخرة أن يطلب الشخص من حي صالح حاضر يسمع قوله ويقدر أن يدعو الله له.

وكذلك استغاثة إبراهيم بجبريل لو وقعت؛ فهي في أمر يقدر عليه جبريل عليه السلام؛ فهو كما وصفه الله شديد القوى؛ ففي مقدوره أن يغيث إبراهيم مثل قوي في مقدوره أن يغيث عاجزا بقوته؛ كما فعل موسى بالقبطي إغاثة للذي من شيعته.

وكشف الشيخ السادسة، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟!!

فكشفتها الشيخ ببيان نواقض الإسلام، وبيان أحكام المرتد، وأنه الذي يكفر بعد إسلامه، وبيان أن النواقض للإسلام لا يصح معها إسلام ولا عمل، كما لا تصح الصلاة مع ناقض من نواقض الوضوء؛ فالشرك مثلا يفسد العبادة، ويفسد قول: لا إله إلا الله، مهما كانت العبادة كثيرة، ولو أمثال الجبال؛ فالشرك يفسدها ويحبطها ويجعلها هباء منثورا؛ لأن الإسلام والشرك لا يجتمعان، فمن ادعى بقاء إسلامه مع ممارسته الشرك؛ فهو كاذب؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١).

(١) سورة الزمر آية : ٦٥.

قال الشيخ: "فيها المسألة الكبرى، وهي كشف شبهة علماء المشركين، الذين يقولون: هذا شرك، ولكن لا يكفر من فعله؛ لكونه يؤدي الأركان الخمسة، فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا؛ فكيف بغيرهم؟! وأن الذي يكفر به المسلم ليس هو عقيدة القلب خاصة؛ فإن هذا الذي ذكرهم الله لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله مع كونه يعرف كفرهم ويغضهم؛ فهذا كافر؛ إلا من أكره^(١)."

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ويقول الشيخ: "إنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله في شيء وكذبه في شيء؛ أنه كافر، لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه؛ كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج. ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج؛ أنزل الله في حقهم:

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الرابع، التفسير، ص ٣٤٥).

(٢) سورة الأنعام آية : ٨٨.

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ

غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث؛ كفر بالإجماع، وحل دمه وماله؛ كما

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

وَيَقُولُوا نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (٢).

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض؛ فهو

الكافر حقا، وأنه يستحق ما ذكرت؛ زالت الشبهة.

وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضا: إن كنت تقرر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء،

وجحد وجوب الصلاة؛ أنه كافر، حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا

أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق

بذلك كله؛ لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا؛ فمعلوم

أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ

(١) سورة آل عمران آية : ٩٧.

(٢) سورة النساء آية : ١٥٠.

وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج؛ فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور؛ كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ؛ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم؛ لا يكفر، سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل!

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون ويصلون. فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي. فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ؛ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهاداتتان، ولا الصلاة؛ فكيف بمن رفع شمساً أو يوسف أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة جبار السماوات والأرض؛ سبحان الله! ما أعظم شأنه!.

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ويقال أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما؛ فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟! أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟! أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟!.

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في

(١) سورة الروم آية : ٥٩.

زمان بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون، حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضا: إذا كان الأولون لم يكفروا، إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك؛ فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعا كثيرة، كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها؛ مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضا: الذين قال الله فيهم: ﴿تَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا

كَلِمَةً الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾^(١).

أما سمعت الله كفرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ

ويجاهدون معه، ويصلون، ويزكون، ويحجون، ويوحدون؟

وكذلك الذين قال الله فيهم:

(١) سورة التوبة آية : ٧٤.

﴿ قُلْ أَيْدِي اللَّهِ وَأَيْدِيهِمْ وَرَسُولُهُمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿١﴾.

فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول
الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.
فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون
أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في
هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم
وعلمهم وصلاحتهم؛ أنهم قالوا لموسى:

﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾^(٢) وقول أناس من الصحابة: اجعل
لنا ذات أنواط. فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل: ﴿ أَجْعَلْ
لَنَا إِلَهًا ﴾^(٣) ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم
يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ
اجعل لنا ذات أنواط؛ لم يكفروا.

فالجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك

(١) سورة التوبة آية : ٦٥ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك؛ لكفروا، وكذلك؛ لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ؛ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيهم؛ لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم، بل العالم، قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه؛ أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان. وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبه على ذلك، فتاب من ساعته؛ أنه لا يكفر؛ كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ. وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر؛ فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا؛ كما فعل رسول الله ﷺ... انتهى.

ويقول الشيخ: "إن هذه الشبهة هي من أعظم شبههم؛ فأصغ سمعك لجوابها"^(١)؛ لذا نقلت جوابه بنصه.

وأشير إلى أن الشيخ ألف رسالة أخرى في هذه المسألة، وهي "مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد"^(٢).

وكشف الشيخ الشبهة السابعة، وهو قولهم: إن النبي ﷺ أنكر

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٧١-١٧٥).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد" (ص

٢٧٩-٣٢٩).

على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وكذلك قوله: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله﴾^(١) وأحاديث أخر في الكف عمّن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فكشف الشيخ هذه الشبهة ببيان أن من قالها؛ وجب الكف عنه؛ إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك؛ كدعاء الأولياء وقصدهم فيما هو من حق الله تعالى.

فأما حديث أسامة؛ فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام؛ وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢).

أي: فتبينوا؛ فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام؛ قتل، لقوله تعالى: (فتبينوا)، ولو كان لا يقتل إذا قالها؛ لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكر أن من أظهر التوحيد والإسلام؛ وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال: ﴿أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!﴾^(٣) وقال: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله﴾^(٤) هو الذي قال في الخوارج: ﴿أينما لقيتموهم؛ فاقتلوهم، لئن أدركتهم؛

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٣٩٣) وكتاب الزكاة (١٤٠٠) وكتاب الجهاد والسير (٢٩٤٦) وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٢٤) وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٥)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٠، ٢١)، وسنن الترمذي: كتاب الإيمان (٢٦٠٦، ٢٦٠٧) وكتاب تفسير القرآن (٣٣٤١)، وسنن النسائي: كتاب الزكاة (٢٤٤٣) وكتاب الجهاد (٣٠٩٠، ٣٠٩١، ٣٠٩٢، ٣٠٩٣، ٣٠٩٥) وكتاب تحريم الدم (٣٩٧٠، ٣٩٧١، ٣٩٧٢، ٣٩٧٣، ٣٩٧٤، ٣٩٧٥، ٣٩٧٦، ٣٩٧٧، ٣٩٧٩، ٣٩٨٢)، وسنن أبي داود: كتاب الزكاة (١٥٥٦) وكتاب الجهاد (٢٦٤٠)، وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن (٣٩٢٧، ٣٩٢٨، ٣٩٢٩)، ومسند أحمد (١١/١، ١٩/١، ٣٥/١، ٤٧/١، ٣٧٧/٢، ٤٢٣/٢، ٤٧٥/٢، ٥٠٢/٢، ٥٢٨/٢، ٣٠٠/٣، ٣٣٢/٣، ٣٣٩/٣، ٣٩٤/٣، ٨/٤)، وسنن الدارمي: كتاب السير (٢٤٤٦).

(٢) سورة النساء آية: ٩٤.

(٣) مسند أحمد (٢٠٠/٥).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٣٩٣) وكتاب الزكاة (١٤٠٠) وكتاب الجهاد والسير (٢٩٤٦) وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٢٤) وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٥)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٠، ٢١)، وسنن الترمذي: كتاب الإيمان (٢٦٠٦، ٢٦٠٧) وكتاب تفسير القرآن (٣٣٤١)، وسنن النسائي: كتاب الزكاة (٢٤٤٣) وكتاب الجهاد (٣٠٩٠، ٣٠٩١، ٣٠٩٢، ٣٠٩٣، ٣٠٩٥) وكتاب تحريم الدم (٣٩٧٠، ٣٩٧١، ٣٩٧٢، ٣٩٧٣، ٣٩٧٤، ٣٩٧٥، ٣٩٧٦، ٣٩٧٧، ٣٩٧٩، ٣٩٨٢)، وسنن أبي داود: كتاب الزكاة (١٥٥٦) وكتاب الجهاد (٢٦٤٠)، وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن (٣٩٢٧، ٣٩٢٨، ٣٩٢٩)، ومسند أحمد (١١/١، ١٩/١، ٣٥/١، ٤٧/١، ٣٧٧/٢، ٤٢٣/٢، ٤٧٥/٢، ٥٠٢/٢، ٥٢٨/٢، ٣٠٠/٣، ٣٣٢/٣، ٣٣٩/٣، ٣٩٤/٣، ٨/٤)، وسنن الدارمي: كتاب السير (٢٤٤٦).

لأقتلنهم قتل عاد ^(١)؛ مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكر في جوابه في السادسة وكشفها من قتال اليهود وهم يقولونها، وقاتل الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة، حتى أنزل الله:

﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ ^(٢) وكان الرجل كاذبا عليهم.

قال الشيخ: "وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها وجوب الكف عن قائلها حتى يتبين منه مخالفتها ^(٣).
وبهذا انتهى هذا الفصل، وبنهايته ينتهي الباب الأول، وهو ما يخص عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية.

وحيث قد أتينا على ذكر عقيدة الشيخ من جانبيها: جانب عرضها من خلال بيان منهجه وجملة عقيدته في الإيمان وأركانه؛ في التوحيد من مقاميه: المقام الخبري، والمقام الطلبي، وفي نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كمالها للتحذير من ذلك في هذا

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي (٤٣٥١) وكتاب التوحيد (٧٤٣٢)، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة (١٠٦٤)، وسنن النسائي: كتاب الزكاة (٢٥٧٨) وكتاب تحريم الدم (٤١٠١)، ومسنند أحمد (٦٨/٣، ٧٣/٣).

(٢) سورة الحجرات آية: ٦.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٥-١٨١).

الباب الأول؛ بقي علينا أن نتعرف على أثرها، وذلك ما يتضمنه الباب

الثاني، وهو ما يلي:

الباب الثاني

أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في العالم الإسلامي

الفصل الأول: ظهور دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح وأسباب

ومبادئ تأثيرها.

الفصل الثاني: أثرها في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها آل سعود.

الفصل الثالث: أثرها في الدور الثاني (الإمام تركي وابنه الإمام فيصل).

الفصل الرابع: أثرها في الدور الثالث (الإمام الملك عبد العزيز وأبناؤه

الملوك).

الفصل الخامس: أثرها في خارج سلطانتها.

الفصل الأول

في ظهور دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح وأسباب ومبادئ تأثيرها

لقد اتضح لنا مما سبق بيانه عن الشيخ وعقيدته أنها عقيدة السلف الصالح؛ عقيدة سليمة، تعتمد على الكتاب والسنة غاية ووسيلة، وعلماً وعملاً، ومضموناً ومنهجاً.

ونزيد هنا شيئاً من التوضيح، فنقول: أما الغاية؛ فإنها تتضح من مواقف الإيمان التي وقفها الشيخ بقوة، وكم نراه فيما قدمنا من سيرته وفيما سنذكر إن شاء الله من مواقفه الجهادية وجهوده المرضية في سبيل الله مثلاً للرجل المؤمن بالغيب، القوي في إيمانه بذلك، البعيد عن البدع والمحدثات في دين الله.

ولقد اعتقد الشيخ عقيدة السلف الصالح في حين غربتها، وضعف تأثير أصحابها في المجتمع، كما بينا ذلك في مبحث البيئة التي كانت سائدة في عصر الشيخ، ثم لما قام الشيخ بالدعوة إلى عقيدة السلف الصالح؛ أصبح أثرها ينتشر شيئاً فشيئاً، لا في الجزيرة العربية فحسب، بل في العالم الإسلامي كله، ولا أحد ينكر صحوة نشطة في المسلمين، تنشده سنة الرسول ﷺ والعمل على نشرها،

ونشر ما كان عليه سلفهم الصالح.

وهذا المسلك السلفي الصالح قد اشتهر كأنه تابع خاص بالشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه رحمهم الله تعالى، على الرغم من أنه لا يخص الشيخ، وليس من عنده، وإنما هو ميراث رسول الله ﷺ.

حتى إن الشيخ ملا عمران بن رضوان صاحب لنجة لما تبين له حقيقة معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنه التمسك باتباع النبي محمد بن عبد الله ﷺ؛ قام بتأييده، فلقبوه بالوهابي؛ يشنعون عليه، ومقصدهم لترك اتباع النبي ﷺ ولا ذنب للوهابي عندهم إلا أنه لم تأخذه في اتباع رسول الله ﷺ لومة لائم، فقال الشيخ ملا عمران في الرد على هؤلاء الشائئين منظومة منها:

إن كان تابع أحمد متوهبا	فأنا المقر بأنني وهابي
أنفي الشريك عن الإله فليس لي	رب سوى المتفرد الوهاب
لا قبلة ترجى ولا وثن ولا	قبر له سبب من الأسباب
كلا ولا شجر ولا حجر ولا	عين ولا نصب من الأنصاب
أيضا ولسن معلقا لتميمة	أو حلقة أو ودعة أو ناب
لرجاء نفع أو لدفع بليّة	الله ينفعني ويدفع ما بي
والابتداع وكل أمر محدث	في الدين ينكره أولو الألباب ^(١)

(١) نقلا عن "الهدية السننية"، جمع الشيخ سليمان بن سحمان (ص ١١٩-١٢٠)، طبعة المنار،

سنة ١٣٤٤ هـ، و"الهدية السننية" (طبعة مكة عام ١٣٩٣ هـ، ص ١٤٨-١٤٩).

وما من شك أن تأثير العقيدة واستمرارها يتم إذا توفر لها أسباب هي:

أسباب تأثير العقيدة

أولاً: وقبل كل شيء: توفيق الله تعالى ومنتته بالفضل والهداية.

ثانياً: صلاح النية وسمو الغاية وحسن القصد بالأعمال الصالحة التي

هي من لوازم العقيدة.

ثالثاً: كون العقيدة حقاً ثابتاً في نفس الأمر والواقع لا يأتيه الباطل من

بين يديه ولا من خلفه.

رابعاً: علم صاحب العقيدة وبصيرته.

خامساً: سلامة منهج صاحب العقيدة.

سادساً: الإمارة الراشدة والسلطان الوازع.

سابعاً: استمرار وجودها بوجود حملتها من عالم وارث للميراث النبوي

وسلطان مناصر قوي.

وفيما يلي توضيح ذلك:

أما توفيق الله تعالى ومنتته بالفضل والهداية؛ فهو أمر ظاهر من منتته

سبحانه على أهل هذه الجزيرة العربية خصوصاً وأهل الأرض عموماً بآخري

الرسالات النبوية، بالقرآن العظيم المبين، والرسول العربي الخاتم، وبيت الله

الحرام، وضمانته سبحانه لحفظ دينه ونصرته إلى قيام الساعة، ودليله القرآن

الذي هو كلام الله محفوظاً في الصدور، وامتلاوا بالألسن، ومكتوباً

بالمصاحف، لا يوجد له نظير من

الكلام في جلب الخير ودفع الشر، كما أن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ بشخصه لا نظير له في الأشخاص، وسنته موجودة، ودينه باق، وهديه خير الهدي، وهو مستمر إلى قيام الساعة، ولا نظير له في الهدي، وبيت الله الحرام فيه آيات بينات؛ مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، ولا نظير له في بيوت الله في الأرض.

وكل هذه الخصوصيات التي امتن الله بها على أهل هذه الجزيرة، ووفق من شاء منهم للقيام بحقوقها، كل ذلك له دور كبير في التأثير، وما من شك أن من وفقه الله للقيام بحقوقها؛ فقد حاز نفوذاً وتأثيراً قويا لا نظير له، وللشيخ وأنصاره نصيب من هذا كبير؛ فبناء عقيدته السلفية إنما هو على كلام الله الذي هو خير الكلام، وهدى رسول الله ﷺ الذي هو خير الهدي، وعلى نهج سلف هذه الأمة الذين هم خير هذه الأمة.

وأما سمو الغاية من العقيدة وكون العقيدة حق، ومتانة علم صاحبها، وقوة بصيرته، وسلامة منهجه؛ فقد بيناه فيما سبق من بيان عقيدته ومنهجه وشيء من سيرته، ولا مانع من زيادة توضيح هنا لهذه الجوانب المؤثرة، وفيما يلي أنقل بعضاً من كلمات الشيخ تبين سمو الغاية وتجردها من الحظوظ الدنيوية الزائلة.

يقول الشيخ في مخاطبته لعبد الوهاب بن عيسى: "إن كنت تظن في خاطرك أنا نبغي أن ندهنك في دين الله، ولو كنت أجل عندنا مما كنت؛ فأنت مخالف، فإن كنت تتهمني بشيء من أمور الدنيا؛

فلك الشبهة" (١).

وفي مخاطبته لعبد الوهاب المذكورة ولأبيه مرة أخرى يقول: "أشوف" (٢)
غايتم قريبة، وتحملون الأمر على غير محمله" (٣).

ويقول الشيخ لبعض من توجس منهم غاية قريبة: "إن الخطر عظيم؛
فإن الخلود في النار جزاء الردة الصريحة، ما تسوى بضیعة تريح تومانا أو
نصف تومان" (٤).

ويحيل في هذه المسألة على الإيمان بالله، ويستدل بقول الله تعالى:
﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴾ (٥).

ويقول الشيخ في مخاطبة بعض من أحس منه خمولا عن الموافقة: "إن
كان جاريا مني شيء تنقده، فتراني أحب أن تنبهي عليه؛ لا تترك بيان
شيء في خاطرك من قبلي، وإن كنتم متحرفين على

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٤٠، ص ٢٨٠).

(٢) (أشوف)؛ أي: أرى، وفي "مختار الصحاح": "شاف الشيء: جلاه وبابه قال، ودينار
مشوف؛ أي: مجلو.. إلى أن قال: "وتشوف إلى الشيء: تطلع".

(٣) "مؤلفات الشيخ" (رقم ٤٩، ص ٣١٥).

(٤) (التومان): عملة نقدية. "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٤، ص ٢٢٤).

(٥) سورة العنكبوت آية : ٦٠.

التغير؛ أو جتكم^(١) الفتنة، وودكم ببرد الأرض^(٢)؛ فهذا شيء آخر".
إلى أن قال يذكره بالإيمان والغاية: "فهذا لا ينبغي منك، ولا يطاع أحد في معصية الله، فإن وافقتمونا على الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله؛ فلکم الحظ الأوفر، وإلا؛ لم تضروا الله شيئاً، وقد ذكر النبي ﷺ أن الطائفة المنصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، وسيعلم الكفار لمن عقى الدار، وقد ذم الله الذي لا يثبت على دينه إلا عندما يهواه؛ فقال:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ^ط﴾^(٣) وينبغي لكم إذا عجزتم أو جبتم أنكم ما تلوموننا، ونحمد الله الذي يسر لنا هذا، وجعلنا من أهله، وقد أخبر أنه عند وجود المرتدين؛ فلا بد من وجود المحبين المحبوبين، فقال تعالى:

﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ۚ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ ۚ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ^ط﴾^(٤).

(١) "جتكم الفتنة"؛ أي: "جاءتكم"، وقد عبر الشيخ باللهجة التي يفهمونها ليكون أبلغ في نفوسهم.

(٢) "ودكم ببرد الأرض"؛ أي: "تودون التناقل إلى الأرض والتخلي عن القيام بأعباء الدعوة والجهاد لنصرة دين الله ورسوله؛ زهدا منكم بأجر ذلك في الآخرة، وإيثارا للحياة الدنيا".

(٣) سورة الحج آية : ١١ .

(٤) سورة المائدة آية : ٥٤ .

جعلنا الله وإياكم من الذين لا تأخذهم في هذا لومة لائم^(١).

ولقد كانت هذه الغاية ووسيلتها واضحة تمام الوضوح لدى الشيخ؛ فقد ذكر في الإيمان بالله والإيمان بالرسول أن هاهنا غاية ووسيلة، فأما الغاية؛ فهي الإيمان بالله، وأما الوسيلة؛ فهي الإيمان بالرسول، وقال الشيخ: "الإيمان بالله مثل الماء والإيمان بالرسول مثل الدلو والرشاء"^(٢).

ولقد صدق الشيخ ما يقول، وطبق ما كان ينادي به ويقرره ويدعو إليه؛ لأنه عقيدته، فلما بين أن من أطاع الرسول ﷺ ووجد الله؛ لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب؛ بدليل قوله تعالى:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣)(٤).

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥٠، ص ٣١٩-٣٢٠).

(٢) "الدرر السنية" (الطبعة الثانية، ج ١، ص ١٠٧).

(٣) سورة المجادلة آية : ٢٢.

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٦٨).

وابتلي الشيخ نفسه، ولكنه صبر وثبت، حتى جاوز الامتحان والابتلاء، وما ذلك إلا تأييد الله له بروح منه، وتقويته لإيمانه، وأمثلة ذلك في حياته كثيرة.

ولنأخذ مثلاً من أحوال الشيخ التي وقعت؛ ففي حالة إخراجهم من العيينة طريدا منها، قد افتقد كل حظ من حظوظه الدنيوية المباحة؛ افتقد ثقة الأمير وثقة الناس من حوله به وبما يدعو إليه من عقيدة السلف الصالح، وافتقد المسكن والمكانة والجاه والنفوذ وجميع الحظوظ النفسية والغايات الدنيوية، ومشى وحيدا أعزل من أي سلاح، ليس بيده إلا مروحة من خوص النخل، ولا يأمن مثله على نفسه أن يقتل بأهون قتلة لمن أراد ذلك، ولن يأبه له أحد فيما يظهر من طبائع الأمور المعتادة، لكن كان على ثقة من ربه، والله قد قوى إيمانه حتى صغر في ميزانه أمر صاحب الأحساء، وخذلان ابن معمر له، وفراق الوطن والمال والأهل والزوجة والمسكن، وما بقي لديه سوى الإيمان القوي بصحة عقيدة السلف الصالح، وحسن الظن بالله تعالى، والثقة به سبحانه، وأنه سيجعل له فرجا ومخرجا، وأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته.

وكأني بالشيخ في حالته تلك قد ترك الناس وهو محتاج أحوج ما يكون من أجل الله، ليس لديه منعة من أتباع وجنود، ولا حمية من عشيرة أو حلف ولا غيرهم من أصدقاء وأصحاب ونحوهم، ومع هذا كله؛ مضى ثابتاً على عقيدته وإيمانه بأن الله تعالى سوف يجعل له وللمؤمنين فرجاً ومخرجاً، وإن غاب عنه ذلك، ولم يفكر في استرضاء الأمير، والإبقاء على أي حظ من حظوظ النفس البشرية بالتنازل عن

هذه العقيدة أو المهادنة فيها؛ طلبا للراحة والإبقاء على شيء من حظوظ النفس ورغباتها، ولو إلى أن تحين الفرصة كما يتحين المتربصون، بل مضى في سبيل الله، عليه من الله الرحمة والإيمان، زاده الإيمان القوي بعزيمة الواثق بموعود الله وحده في الغيب، وبصيرة من ميراث رسول الله ﷺ يتأسى برسول الله ﷺ وما جرى عليه من أذى قومه وطرده ثقيف له من الطائف وغير ذلك، لا يطلب غايته العظيمة وعوض ما فقدته في سبيل الله إلا من الله تعالى وحده، وهو الله الأحد الصمد الذي لا يخيب من رجاه.

لقد سار من العينة إلى الدرعية يمشي راجلا ليس معه إلا مروحة من خوص النخل في غاية الحر في فصل الصيف، لا يلتفت عن طريقه، ويلهج بقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾^(١) ويلهج بالتسبيح: سبحان الله وبحمده، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولما وصل الدرعية؛ قصد بيت ابن سويلم العريني، فلما دخل عليه؛ ضاقت عليه داره، وخاف على نفسه من محمد بن سعود، فوعظه الشيخ، وأسكن جأشه، وقال: سيجعل الله لنا ولك فرجا ومخرجا^(٢).

ما أقوى هذا الإيمان والاتكال على الله تعالى في قلب هذا الشيخ رحمه الله في تلك الأحوال والأهوال التي بلغت معها القلوب الحناجر، وتواردت من أجلها الظنون الفواقر، وإيمان الشيخ ثابت في نفسه، قادر على طمأنة الآخرين المتزلزلين وتشبيتهم أيضا، هذا هو

(١) سورة الطلاق آية : ٢ .

(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (١١/١).

الشيخ المؤمن القوي؛ القوي بالإيمان لا بالحديد والنار والدولة والمال؛ فقد ذهب عن هذا كله، ولم يتبعه منها شيء، ولم يبق معه سوى مهفة من خوص المخل، لا رغبة لأحد بها، وأصبح غريباً يستوحش منه؛ فهذا أقرب تلامذته إليه في منفاه إلى الدرعية يضيق به وينزوله عليه ذرعاً، قد خشي عاقبة أداء الحق في ضيافة الشيخ، وهي أدنى الحقوق، وما ذاك إلا لشدة غربة الشيخ، وهوان دعوته على الناس، وطمعهم في الباطل، وإعجابهم بمنفاة الحق أعظم ما يكون، وتسلط الملوك والأمراء على دعاة الخير وأهله تسلطاً ملاً الأفئدة رعباً، وزلزل القلوب عن بصيرتها واستنارتها، ولكن الشيخ ما زال قاعدة صلبة في ثباته على الحق وقوة إيمانه ومضاء عزيمته على المسير فيما دعا إليه من دين الإسلام بالطريقة التي سار عليها رسول الله ﷺ.

يقول الشيخ محمد بن أحمد الحفظي رحمه الله (١١٧٨-١٢٣٧ هـ)^(١).

دعا إلى الله وبالتهليل	يصرخ بين أظهر القبيلة
مستضعفاً وماله مناصر	ولا له معاون موازر
في ذلّة وقلّة وفي يده	مهفة تغنيه عن مهنده
كأنها ريح الصبا في الرعب	والحق يعلو بجنود الرب
قد أذكرتني درة لعممر	وضرب موسى بالعصا للحجر
ولم يزل يدعو إلى دين النبي	ليس إلى نفس دعا أو مذهب
يعلم الناس معاني أشهد	أن لا إله غير فرد يعبد

(١) "الأعلام" للزركلي (١٧/٦) .:

محمد نبيه وعبده رسوله إليكم وقصده
أن تعبدوه وحده لا تشركوا شيئا به والابتداع فاتركوا^(١)

ما أعظمها من عقيدة! وما أسمى غايتها! لقد تطهرت عقيدته، بل
وتجردت غايته، حتى صارت خالصة لله وحده، وبقي إيمانه قويا لم يهن،
ثابتا لم يتزعزع، ماضيا لم يتراجع، حتى كانت له العاقبة، وحتى لقي الله وهو
على عقيدته، لم يتغير بالنصر والظفر والغنيمة، وتلك سنة رسول الله ﷺ في
ثباته وصموده؛ كما قال الله تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢).

قال الشيخ فيها: "إن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ
والتنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرا لو دعا إلى الحق؛ فهو يدعو إلى نفسه،
وأن البصيرة من الفرائض، وأن من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه الله تعالى
عن المسبة، وأن من قبح الشرك كونه مسبة لله تعالى، وإبعاد المسلم عن
المشركين؛ لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك، وهي من أهم ما فيها"^(٣).

(١) "الهدية السنوية" للشيخ سليمان بن سحمان (ص ١٢٤)، وانظر: "الشيخ محمد بن عبد
الوهاب... لأحمد بن حجر آل بوطامي (ص ٨٢-٨٣)، و"تاريخ البلاد العربية السعودية"
للدكتور منير العجلاني (ص ٣٢٧)، و"تذكرة أولي العرفان" لإبراهيم بن عبيد (ج ١/٢٩).

(٢) سورة يوسف آية : ١٠٨.

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٢١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم عنه رحمه الله: "وفيه مشابحة لنبينا ﷺ فيما ناله من الرؤساء والأحبار في ابتداء دعوته؛ فإنه رحمه الله لما أظهر الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة؛ استصرخوا بأهل الحرمين والنجرانيين وبني خالد وغيرهم عليه، وألبت تلك الطوائف؛ فثبته الله ومن آواه ونصره على قلة منهم وضعف، وصبروا على مخالفة الناس، وتحملوا عداوة كل من عادى هذا الدين، بل أشبه أمر الشيخ ما جرى لخاتم النبيين، حتى في مهاجره وأنصاره وكثرة من عاداه وناوأه في حال الابتداء؛ كما هو حال الحق في المبادئ؛ يردده الكثيرون وينكرونه، ويقبله القليل وينصرونه، ثم تكون الغلبة له" (١) اهـ.

ولا شك أن رسول الله ﷺ هو القدوة المثلى والإمام الأعلى لجميع المسلمين، وكل من كان في محبته واتباعه أتم؛ كان في أحواله إليه أقرب ﷺ. وقد أفصح عن هذا الاتباع في هذه الحالة في منشوره إلى علماء الإسلام أنس الله بهم غربة الدين، وأحيا بهم سنة إمام المتقين ورسول رب العالمين ﷺ؛ ففي هذا المنشور شكاً إلى علماء الإسلام ما جرى من الفتنة بسبب نفيه العوام عن عاداتهم الشركية التي نشأوا عليها، وعظمت في نفوسهم أن تنقطع عاداتهم تلك، وساعدهم بعض أدعياء العلم وهم من أبعد الناس عنه؛ إذ العالم من يخشى الله، فتوهموا أن

(١) "الدرر السننية" (٧/١٢).

النهي عن الشرك تنقص للأنبياء والصالحين، وهذا بعينه هو الذي جرى على رسول الله ﷺ لما ذكر أن عيسى عليه السلام عبد مريوب ليس له من الأمر شيء؛ قالت النصارى: إنه سب المسيح وأمه، وهكذا قالت الرافضة لمن عرف حقوق أصحاب رسول الله ﷺ وأحبهم ولم يغفل فيهم؛ رموه ببغض أهل بيت رسول الله ﷺ وهكذا هؤلاء؛ لما ذكر لهم ما ذكره الله ورسوله ﷺ وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف من الأمر بإخلاص الدين لله والنهي عن مشابجة أهل الكتاب من قبلنا في اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله؛ قالوا له: تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء^(١) والله تعالى ناصر لدينه ولو كره المشركون^(٢).

فكان هذا من أعظم ما ساعد على انتشار الغلو؛ لأن بقايا أهل الحق كانوا يرون أنهم إذا أنكروا على الغلاة؛ نسبوا إلى ما هم أشد الناس كراهية له من بغض عيسى وتحقيره، ومقتهم الجمهور، وأوذوا؛ فثبطهم هذا عن الإنكار، وخلا الجو للشيطان، وقريب من هذا حال

(١) ولقد أحسن الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي في كتابه "التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل" حيث قال: "من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، ومن أمضى أسلحته أن يرمي الغالي كل من يحاول رده إلى الحق ببغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم، يرى بعض أهل العلم أن النصارى أول ما غلوا في عيسى عليه السلام، كان الغلاة يرمون كل من أنكر عليهم بأنه يبغض عيسى ويحقره ونحو ذلك" (ج ١/٦).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٦، ص ١٧٦-١٧٧).

الغلاة الروافض، وحال القبوريين، وحال غلاة المقلدين^(١).

ويقول حافظ وهبة: "إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مجدد، داع إلى الرجوع إلى الحق؛ فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة، ولا آراء خاصة، وكل ما يطبق في نجد من الفروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأما في العقائد؛ فهم يتبعون السلف الصالح، ويخالفون من عداهم، وتكاد تكون عقائدهم وعباداتهم مطابقة تمام المطابقة لما كتبه ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم، وإن كانوا يخالفونهم في مسائل معدودة من فروع الدين، وهم يرون فوق ذلك أن ما عليه أكثر المسلمين من العقائد والعبادات لا ينطبق على أساس الدين الإسلامي الصحيح".

إلى أن قال عن الشيخ وأتباعه: "وبالجملة؛ فإنهم يحرصون على العبادات الشرعية أن تكون على السنة التي وردت عن النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقص^(٢)".

هذا وقد شهد للشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه متبع وغير مبتدع وأنه إمام مجدد وداع إلى الله على بصيرة كثيرون من الكتاب والعلماء، لا يحصون كثرة، من الشرق والغرب، من الموالين وغير الموالين، من المسلمين وغير المسلمين.

(١) "التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل" تأليف الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ج ١/٦).

(٢) "جزيرة العرب في القرن العشرين" تأليف حافظ وهبة ص (٣٢٢-٣٢٣).

وقد سبقنا إلى جمع هذه الآراء والشهادات جمع من العلماء والباحثين، ونذكر منهم الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه "الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عقيدته السلفية، ودعوته الإصلاحية، وثناء العلماء عليه"؛ فقد قال: إن العلماء السلفيين والمؤرخين المحققين قد أكثروا من الثناء على الشيخ والتنويه بدعوته القائمة على دعائم الكتاب والسنة. ثم نقل عن اثنين وأربعين عالما وكاتبا وباحثا ومفكرا من المسلمين وغيرهم، ومن الموالين وغير الموالين، ومن مستشرقين وغيرهم، في أزمنة مختلفة وأمكنة متعددة، ومن مصادر مختلفة، واستغرق ما نقله من ذلك إحدى وأربعين صفحة (ص ٨٠-١٢١).

ومن هؤلاء المشايخ الذين سبقونا في جمع هذه الشهادات وتدوينها الشيخ عبد الله بن سعد الرويشد في كتابه "الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ"؛ فقد عقد في الجزء الثاني من كتابه فصلا هو الفصل العاشر في آراء العلماء والباحثين والمفكرين من الشرق والغرب، وذكر من ذلك نقولا عن أربعة وأربعين شخصا تزيد وتنقص عما أورده الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، وهي آراء من أناس كثيرين مختلفي المشارب والمذاهب والأزمنة والأمكنة، وكلها تجمع على أن الشيخ يعتقد عقيدة السلف الصالح، ويذهب مذهبهم، وما خرج عنهم قيد شعرة، واستغرق ما نقله من (ص ٢٧٧-٣٦٠).

وأورد أيضا الدكتور عبد الله عبد الماجد إبراهيم كثيرا من هذه النقول في

بجته الذي قدمه لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد

الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تضمنت كثيرا من كلام العلماء والباحثين من مسلمين وغيرهم، واستغرق ما نقله وجمعه (ص ١٣٩ - ١٦٢).

وقد نقلوا شهادات كثيرة، حتى من الأعداء، تجعلنا نتمثل بقول القائل:
مناقب شهد العدو بفضالها والفضل ما شهدت به الأعداء

والمقصود أن نشير إلى ما توصل إليه من سبقونا في جمع هذه الشهادات المختلفة زماناً ومكاناً وعقيدة، ألا وهو أن جميع هذه الشهادات تتفق من غير تواطؤ وتواعد بين أصحابها على حقيقة واقعية رأوها جميعا على اختلاف رؤيتهم، وهي أن عقيدة الشيخ ومنهجه هو ما يقتضيه الإسلام الخالص، الذي أتى به رسول الله ﷺ وأن أعداء عقيدة الشيخ ومنهجه هم أعداء الإسلام في الحقيقة.

وقد أوردنا فيما تقدم شيئا من هذه الشهادات، وسنورد إن شاء الله تعالى بعضاً من هذه الشهادات والآراء الصحيحة والأقوال السديدة التي تبين أثر عقيدة الشيخ الحسن وانتشارها الواسع، سيما فيما خرج عن سلطان أنصارها^(١).

أما في هذا الفصل؛ فمن أجل استكشاف أسباب ومبادئ تأثير عقيدة الشيخ نستعرض جهود الشيخ وجهاده قبل مناصرة آل سعود له.

كيف أثر الشيخ بعقيدة السلف دون غيره من معاصريه؟

وقبل ذلك أجيب عن سؤال ملح هو: كيف أثر الشيخ في البيئة

(١) انظر: (٣٨٢/٢) وما بعدها من هذا البحث.

من حوله دون سائر مشايخه والمشايخ في عصره؟! وكيف اختص بذلك دون غيره منهم؟!!

والجواب هو: سبق أن بينا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ العلم عن أجل علماء نجد في بلده، كما أخذ العلم عن أجل علماء الحرمين والبصرة، والتقى بعلماء الأحساء وغيرهم من علماء الأقطار التي زارها، وفيهم عدول زمانهم، الذين اتصل بهم سند الشيخ إلى من قبلهم ممن اتصل سنده بالسلف الصالح، وجميع العلماء الذين أخذ عنهم قد أجازوه، وقرروا له التوحيد، واستحسنوا اتجاهه، وأقروه على معرفته النيرة لحقيقة الإسلام الذي بعث الله رسوله محمدا ﷺ به، وحرروا له المعتقد السليم؛ عقيدة السلف الصالح، وشاركوه في مقت الأعمال المنكرة الشائعة في بلاد المسلمين، وأن بعضها قد وصل إلى الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، ولا يصح معه إسلام، ولكن عذرهم عدم المساعد لهم في تحقيق ما تضمنه الكتاب والسنة من إقامة الدين وإخلاصه لرب العالمين، وإلا؛ فهم يدينون لله بأنه لا يستحق العبادة سواه في أنفسهم وأهليهم وما يقدرون عليه، أما إزالة هذه البدع ونهي الناس عما اعتقدوه وعملوه من منافاة الدين؛ فيحتاج إلى سيف قائم وإمام عادل، وكان ذلك متعذرا في وقتهم^(١).

أما علماء السوء الذين آثروا الحظ الأدنى على الحظ الأعلى، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين؛

(١) انظر: "التوضيح عن توحيد الخلاق" (ص ١٩)، وانظر: مقالة الشيخ ابن حميد (ص ٩٠) المطبوعة ضمن "تحفة الناسك ورسائل أخرى" الطبعة السابعة.

فقد جانب الشيخ محمد بن عبد الوهاب طريقهم، وتركهم وترك منهاجهم.
قال ابن غنام عن الشيخ: إنه رحمه الله "رفض منهج الغلول والخيانة،
وأدى من العلم الأمانة، وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون، وفي
قعره العميق راكسون"^(١).

ثم قيض الله للشيخ أميراً راشداً؛ ينصر دعوته إلى عقيدة السلف
الصالح، وينشر دين الله ورسوله بسلطانه وسيفه؛ فالشيخ يبين العلم والأمير
يقوم بتنفيذه، بل إن كلا من الشيخ والأمير قد توحدت جهودهما
وتكاملت، فحصل لكلام الشيخ بالحق نفاذ لم يحصل لمشايخه وغيرهم،
وهذا فضل من الله تعالى أكرمه به، والله يؤتي فضله من يشاء، وتصديق لما
أخبر الله به من نصرته من ينصر دين رسول الله ﷺ وكما هي القاعدة في
كرامات الأولياء حسب ما حققه شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، من أن
الكرامة الخارقة للعادة تحصل عند اشتداد الحاجة إلى إقامة الحجة، وتكون
على يد أتباع رسول الله ﷺ امتداداً لآيات نبوته ﷺ ومعجزاته، وهي في
نفس الوقت كرامة من الله لهم على قدر اتباعهم، والكرامة فعل الله تعالى،
وليست فعلاً لمن وقعت له؛ فله الحمد والشكر..."^(٢) والله أعلم.

(١) "روضة ابن غنام" (ج ١/٢٨).

(٢) انظر: "قاعدة في المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات..." من "قواعد شيخ
الإسلام ابن تيمية" (ص ٢-٣٦، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ، مطبعة المنار).

جهود الشيخ المؤثرة في نشر عقيدة السلف الصالح واستعداده:

عاد الشيخ من رحلاته العلمية المباركة إلى حريملاء، وكان أبوه قد انتقل إليها من العيينة، ولما استقر الشيخ في هذه البلدة مع أبيه وأسرته؛ أخذ يدرس على أبيه، وإن كان مستواه العلمي لا يقل عن مستوى أبيه، إن لم يزد عليه، لكنه من باب أدبه وتواضعه مع والده وشيخه الأول وموجهه^(١) ومع ذلك أخذ ينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال.

قال ابن بشر: "وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات، حتى وقع بينه وبين أبيه كلام، وكذلك وقع بينه وبين أناس في البلد، فأقام على ذلك مدة سنين، حتى توفي أبو عبد الوهاب في سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف، ثم أعلن بالدعوة والإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبعه أناس من أهل البلد مالوا معه، واشتهر بذلك"^(٢).

ويقول ابن غنام يصف دعوته وجهوده بعد عودته من رحلته إلى حريملاء ما معناه: "وانتظم في سلكه رجال فحول، قرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير، وحقق لهم منهج الدعوة إلى الله أتم

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (٨/١)، وانظر: مبحث عودة الشيخ من رحلاته العلمية (١٨٢/١)

من هذا البحث، ومبحث نتيجة رحلاته العلمية (١٨٠/١) من هذا البحث أيضا.

(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (٨/١-٩).

التحقيق، وكان رحمه الله يعلن بالتوحيد ويدعو إليه، وينادي بإبطال دعاء غير الله، وينكر على من يمارسه جهاراً إذ لم يكف الإسرار، وينصح من عدل عن الحق بأسلوب سديد، ويزجر الناس عموماً عن الشرك والفساد، وجد واجتهد في تعليم الواجب، وبذل المناصحة للخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام، وإقامة سنة محمد ﷺ وكشف الشبه، ودحض المفتريات، وتحذير الناس إن داموا على ما هم فيه وقوع النعمة والعذاب، وكل ذلك قيماً بأمانة العلم، رغبة فيما عند الله، وما أعده تعالى للقائمين بذلك، وخشية من الوقوع في الوعيد الوارد في القرآن المجيد:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ (١)(٢).

يقول حافظ وهبة: "عندما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وطنه... جد به العزم أن ينقذ نجداً مما حل بها، فبدأ يدعو الناس أن يعودوا إلى دين الله الصحيح، ويتركوا ما جد من البدع وغيرها مما يتنافى مع نصوص الكتاب والسنة، وفي الوقت نفسه طلب إلى الأمراء ذوي الشأن أن يطبقوا أحكام الشرع، وقد قام بدعوته مسالماً، لا يدعو إلى شدة أو عنف، وراسل علماء عصره في البلاد الإسلامية الأخرى، وأظهر ألمه لما أصاب المسلمين، وحضهم على أن يكونوا من زمرة المصلحين الدينيين، فكان ذلك سبباً طبيعياً لغضب خصومه، أولئك

(١) سورة البقرة آية : ١٥٩ .

(٢) "روضة ابن غنم" (ج ١/ ٢٨-٢٩) .

الذين خافوا على سلطاتهم من دعوته"^(١).

ويصف ابن غنام استعداد الشيخ في دعوته إلى عقيدة السلف الصالح، فيقول ما معناه: وكان الشيخ رحمه الله قد أعطاه الله استعدادا قويا، فلم يخف في الله لومة لائم، وصار له توكل على ربه واعتصام به، فلم يبال بحافل الأعداء، وجهامة الباطل^(٢) وكيد شياطين الجن والإنس، ووحى بعضهم إلى بعض بزخرف القول وغروره، وما رموه به من القوادح والمفتريات، وما صوبوا له من سهام البغي والحسد والتكبر والتجبر، وأقام رحمه الله - كما يذكر ابن غنام - في بلد حرملاء على هذه الصفة سنين، ولم يحددها ابن غنام ولا ابن بشر بعدد، لكنهما ذكراها بصيغة الجمع، وكان الشيخ - على ما يصفه ابن غنام - في تلك المدة يروع كل معاند ومعارض، فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض في حرملاء والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة، وجعل الله لدعوته قبولا في هذه البلدان، وهو لا يزال في حرملاء، فكان له في كل بلد من هذه البلدان أتباع؛ كما أن له معارضين وأعداء حسب سنة الله تعالى؛ فقد جعل لمن يقوم بالحق معارضين وأعداء، حتى الأنبياء؛ فكيف بأتباعهم؟! ولكن الله يجعل العاقبة للمتقين.

ولقد قبل دعوة الشيخ أناس لهم مكانتهم في بلدانهم كالأمير

(١) "جزيرة العرب في القرن العشرين" تأليف حافظ وهبة (ص ٣٢٠).

(٢) قال في "مختار الصحاح": "(الجهام)؛ بالفتح: السحاب الذي لا ماء فيه".

عثمان بن معمر، وكان يفتد إليه الناس من جميع ما حوله ممن سمع به وهو مقيم في حرملاء، ويسمعون بيانه ودروسه، حتى كثر محبوه وتابعوه، وانضم لدعوته جم غفير.

وكلما زاد شأن الدعوة؛ كلما تباين الناس فيه، حتى انقسموا إلى فريقين: فريق فرح بالشيخ وأحبه وأحب دعوته وعاهده على ذلك وبايعه على نشر الإسلام والقيام به، وفريق أنكر عليه وأبغضه وكره دعوته وقام وقعد في الصد عن الإسلام وإلقاء الشبه على القائمين بها ليصدوهم ويشنوا سيرهم الحميد، وفي هؤلاء الفريق المعارض كثير من ذوي العلم والأفهام، ولكن انسلخوا من علمهم، واتبعوا أهواءهم، وركضوا مع الرؤساء الظلمة والجهلة، واستهوتهم الشياطين؛ فقلدهم العوام والطعام - وهم الأكثر-، فاشتدت الحنة، ولكن أتباع الشيخ على بصيرة من الأمر، يعلمون أن هذه سنة الله تعالى في الذين حلوا من قبل، وهي جارية، لا تبدل لها ولا تحويل؛ فمن سنة الله تعالى أن الناس إذا جاءهم بيان الهدى؛ فمنهم من يقبله، وهو من سبقت لهم السعادة، ومنهم من يرفضه، وهو من كتب عليه الشقاء، قال الله تعالى:

﴿ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ اٰتَوْهُ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ

فَهَدٰى اللّٰهُ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لِمَا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِ اللّٰهِ ۗ وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَآءُ

إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿١٠٣﴾ (١).

ولذا؛ كان فريق الشيخ مع قلتهم مصممين على المضي معه في بيان الواجب، حتى لا يخسروا دينهم، مهما كانت النتائج، فأثابهم الله تعالى لما علم صدق نيتهم بأن جعل شأنهم يرتفع وكفتهم ترجح، وكل يوم يمر كان في زيادتهم ونقصان معارضيهم، فكان شأن المعارضين بعد أن بلغ نهايته في البغي ينخفض ويخف، أما أتباع الشيخ؛ فهم يزيدون في قوتهم وعددهم وبصيرتهم وعلومهم ويقينهم بوضوح رشد طريقتهم وهدايتهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١) .

ولكن حرملاء كانت غير صالحة لأن تكون منطلقا للدعوة إلى الله تعالى؛ فقد كان رؤسؤها منقسمين إلى قبيلتين، أصلهما قبيلة واحدة، وكل منهم يدعي أن القول له، وليس للأخرى على الثانية قول، وما كان لحرملاء رئيس يزع الجميع ويجنبهم هذا الاختلاف، وكان في البلد عميد لإحدى القبيلتين، كثير تعديهم وفسقهم، فأراد الشيخ أن يمنعوا عن الفساد، وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يحصل ذلك؛ لعدم وجود الرئيس الوازع، بل إن هؤلاء العبيد المفسدين في الأرض هموا أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سرا، فلما تسوروا عليه الجدار؛ علم بهم أناس، فصاحوا بهم، فهربوا، فانتقل الشيخ بعدها من حرملاء إلى العيينة^(٣).

(١) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

(٢) انظر: "روضة ابن غنام" (١/٢٨-٣٠).

(٣) ابن بشر "عنوان المجد" (١/٩).

والمصادر الأولى - كما قال الدكتور العثيمين - لا تشير إلى سنة انتقال الشيخ من حريملاء إلى العيينة^(١) ويميل الدكتور منير العجلاني إلى أن المدة التي قضاها الشيخ في حريملاء لا تتجاوز أربعة أعوام: سنتين قبل وفاة أبيه، ثم سنتين بعد وفاته^(٢) وإذا علمنا أن والده توفي سنة ١١٥٣ هـ^(٣)؛ فيكون عام ارتحاله هو ما يقارب ١١٥٥ هـ، والله أعلم.

تحليل أسباب انتقال الشيخ بدعوته من حريملاء إلى العيينة:

وبالرغم من القبول الذي جعله الله لدعوة الشيخ إلى الإسلام وهو لا يزال في حريملاء؛ إلا أن حريملاء - كما ذكرنا - ما كانت تنعم برئيس مطاع يزع جميع سكانها إلى الحق والدعوة إلى الإسلام، وإن كان الإسلام حقاً؛ فإنه لا بد لها من أمير مطاع يزع الله به الناس جميعاً، فيكون بمثابة المرجع للجميع، يجد فيه المحق تأييداً وتشجيعاً وضماناً لحقه ورعاية لجهوده، كما يجد فيه المبطل رادعاً قويا يمنعه من الفوضوية والتعدي وتخريب أمن مجتمعه وحياة مواطنيه.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٤).

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. " للدكتور العثيمين (ص ٤٢).

(٢) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٢١١).

(٣) انظر: (١٣٥/٢) من هذا البحث.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٥١.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هَدَمْتَ صَوَامِعَ وَبِيَعٌ
وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١).

ولذا يقول العالم الاجتماعي ابن خلدون في "مقدمته" تحت عنوان
(ضرورة العمران البشري إلى السلطان الوازع بعضهم عن بعض): "إن
الاجتماع الإنساني ضروري... ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر...
وتم عمران العالم بهم؛ فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض؛ لما في
طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم... فيكون ذلك الوازع واحدا منهم،
يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة، حتى لا يصل أحد إلى غيره
بعنوان، وهذا هو معنى الملك، وقد تبين لك بهذا أن للإنسان خاصة
طبيعية، ولا بد لهم منها، وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره
الحكماء؛ كما في الجراد والنحل لما استقرئ فيها من الحكم والانقياد والاتباع
لرئيس من أشخاصها متميز عنهم في خلقه وجثمانه؛ إلا أن ذلك موجود
لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية، لا بمقتضى الفكرة والسياسة ﴿ أَعْطَى
كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (٢)(٣).

(١) سورة الحج آية : ٤٠ .

(٢) سورة طه آية : ٥٠ .

(٣) "مقدمة ابن خلدون"، طبعة مصطفى محمد المصرية، (ص ٤١).

لذلك؛ بعد مواجهة الشيخ للوضع السياسي في حريملاء؛ أدرك رحمه الله أنه لا بد للبناء وال عمران الإسلامي من سلطان يحميه من هدم الآخرين، وأن البناء لا يبلغ تمامه إذا كان يوجد بجانب من يبني أحد غيره يهدم، وأدرك رحمه الله أن السلطان مختل في تلك البلدة، وإذا كان مختلا؛ فلا تصلح لأن تكون مقرا للدعوة؛ لما في طباع البشر من العدوان عند فقد السياسة الشرعية أو السلطة الوازعة، عندئذ؛ تعين لدى الشيخ أن السياسة الشرعية في بناء البيئة الإسلامية وهدم البيئة الجاهلية تقتضي البحث عن أمير قوي لا ينازع، وليس مجرد أمير قوي لا ينازع فحسب، بل مع ما أعطاه الله من السيادة وحسن السياسة وتدير الملك والرعية وجودة الرأي والفكرة، مع هذا يكون بصيرا في الدين، يدين بالإسلام، ويقتنع بصحة الدعوة إليه والقيام بنصرتة.

وحريملاء ليس فيها من هذه صفته، وكان عثمان بن معمر أمير العيينة ممن تتوفر فيهم صفة الأمير، وكان الشيخ قد أبلغه الدعوة إلى الإسلام، فقبل، فكان المرشح من قبل الشيخ لسد الحاجة إلى أمير يحمي منجزات الدعوة بسيفه، وينشرها بقيادته وجهاده ونصرتة، فانتقل إلى العيينة، واختارها منطلقا للدعوة.

قال ابن غنام: "ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها (يعني: حريملاء) والارتحال، والإقامة بالعيينة، فجد في الرحيل والانتقال، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر لقبول هذا الدين الذي أحياه ذو القلب المنور، فدخل منه شيء في قلبه^(١).

(١) "روضة ابن غنام" (٣٠/١).

هذا هو حقيقة سبب انتقال الشيخ من حرملاء إلى العيينة الذي هو كما نرى سعي في مصلحة الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح التي هي الإسلام، وليس خوفا على نفسه من اغتيال أمثال عبید حرملاء، ولا شوقا إلى مسقط رأسه ومرتع صباه العيينة، ولكن هو ما ظهر له من أن العيينة أصلح بلد تنطلق منه الدعوة إلى الله تعالى على نهج السلف الصالح واعتقادهم السليم، ولذلك لما جفاه أميرها وخذله على ما سنيبه بحول الله؛ هاجر من العيينة، وهجر مرتع صباه ومسكنه يبحث عن ضالته في غيرها.

أثر إقامة الشيخ في حرملاء:

لقد كان لإقامة الشيخ في حرملاء تلك المدة أثر كبير فيما يعود على دعوته إلى الله بالفائدة؛ فكانت إقامته وجهوده -خصوصا بعد وفاة أبيه- المرحلة الأولى التأسيسية، وهي مرحلة البيان والنشر؛ فإن الشيخ بعد أن توفي والده أصبح أكبر شخصية علمية في البلدة، والتفتت الأنظار إليه وإلى ما يقول من بيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، مما لا عهد لأكثر الناس به، حيث كانوا في غفلة عن تقرير التوحيد ونقد المجتمع والبيئة في بعدهم عنه والبراءة من الشرك وأهله، حتى ولو كان أهل الشرك من الأقرباء والمعارف والأصحاب، وهذا زاد من انتشار سمعته في المناطق الأخرى، وجعل بعض الأفراد من بلدان العارض المختلفة يفتدون إليه في حرملاء ليستمعوا ما يقول وما يدعو إليه، وبهذه الوسيلة التي هيأها الله له جعل يوضح حقيقة الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ من عند الله تعالى، ويبين ما يضاده

وينقضه من أنواع الشرك والكفر، ثم يقارنه بالواقع من هذه الأمور في البيئة من حوله؛ فانتشرت عقيدة السلف الصالح، وبدأ الناس ينتبهون لما كانوا في غفلة عنه، وبدأ الإحساس يقوى، واليقظة تزيد، ولقيت دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح قبولا وأنصارا في بعض المدن؛ كالعيننة، والدرعية، وقدم عليه طائفة من أهل العارض إلى حريملاء، وكان أعظم رجل كسبه إلى الدعوة إلى الله خلال هذه المرحلة هو أمير العيننة عثمان بن معمر، والذي كان على يديه بداية تطبيق الدعوة عمليا^(١).

أثر عقيدة الشيخ في العيننة:

انتقل الشيخ إلى العيننة، وكان أميرها هو عثمان بن حمد بن عبد الله بن معمر بعد أخيه محمد بن حمد الملقب (خرفاش)، وقد هداه الله تعالى، فاقتنع بدعوة الشيخ، وأعلن ذلك بين رجاله المقربين، وتلقى الشيخ بالقبول وأكرمه، وتزوج الشيخ عمته الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، وكانت ذات مكانة عالية، فقد ذكر المؤرخون أن محمد بن سعود ورفاقه لم ينزلوا من موضع تحصنهم عقب قتل محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الملقب (خرفاش) لزيد بن مرخان إلا بعد أن أعطتهم الأمان سنة ١١٣٩ هـ^(٢).

(١) انظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني (ص ٢١١)، و"الشيخ محمد بن عبد الوهاب... للدكتور العثيمين (ص ٤١-٤٢).
(٢) "عنوان المجد"، ابن بشر، (سابقة سنة ١١٣٩ هـ؛ ج ١/٢٣٤-٢٣٥)، وانظر: الدكتور العثيمين في كتابه "الشيخ محمد... (ص ٤٣).

ولعل الشيخ يترسم بذلك الزواج منها خطى رسول الله ﷺ من خديجة ذات المكانة العالية رضي الله عنها، وما من شك أن العلاقة بالمصاهرة تزداد متانة، سيما وأن الشيخ يرجو نصرة هذا الأمير؛ لأنه رأى بعد ما وجدته في حريملاء أن المتعين اتخاذ سياسة راشدة لحماية منجزات الدعوة ومكاسبها، والقيام بنصرتها؛ لأنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بالسمع والطاعة، والسمع والطاعة إنما تكون للأمير الذي توفرت فيه ملكات الإمارة مع صحة دينه، وكان عثمان هذا من المرجوین لهذا المقام الجليل على حد قول الشاعر:

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل

لذا؛ فإن الشيخ جاء إلى العيينة، وعرض على عثمان هذه الرغبة، وبين خطورة هذا الشأن وأهميته وقيمته العظمى، ورشحه لمقام الإمامة فيه، فقال له بعد أن استعرض ما قام به ودعا إليه من التوحيد ورغب إليه في نصرة دين الله: "إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله؛ أن يظهر الله تعالى، وتملك نجداً وأعرابها"^(١).

ثم بعد ذلك الذي عرضه الشيخ على ابن معمر، ورغبه فيه من أمل الخير لمن ينصر الإسلام في الدنيا ثم الآخرة، قام عثمان وساعد الشيخ، فأعلن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبعه أناس من أهل العيينة^(٢).

قال المؤرخ ابن غنام: "قام معه عثمان وقعد، وساعده على

(١) "عنوان المجد... لابن بشر (٩/١).

(٢) "عنوان المجد... لابن بشر (٩/١).

ذلك واجتهد، وأمر الناس بالاتباع، وعدم المشاققة له والنزاع، وألزم الخاصة والعامّة أن يمتثلوا أمره وكلامه، ويسلكوا سبيل الاستقامة، ويظهروا توقيره وإكرامه، فكان بعد ذلك الأمر والإلزام، وصدور ذلك الاعتناء التام، وشدة الرغبة والاهتمام، وإبداء التعظيم له والاحتشام، تسمع أقواله وتطاع، وتملأ الصدور والأسماع، فصار للزيف ارتداع وقمع وإقلاع، وللحق والهدى أتباع؛ ففشا الدين في بلدان العارض المعروفة، وأكثرهم قلوبهم عن ذلك النور مصروفة، وعلى ما كانوا عليه من الأمور المألوفة ملازمة محبوسة موقوفة.

ولكن لم يصبر على الإقامة بذلك المكان مع مشاهدته فيه الأوثان، فعند ذلك؛ أمر الشيخ محمد الأمير عثمان بهدم القباب والمساجد المبنية في الجبيلة على قبور الصحابة، وقطع الأشجار التي كانت الخلق لها في كل ساعة منتابة؛ فبادر عثمان لذلك وامتل، وخرج الشيخ معه وجماعتهم على عجل، وخرجوا بالمعاول، والكل للأجر آمل؛ فهدموا تلك المساجد، وأزالوا رفيع المشاهد، وأزالوا جميع المحظور عن جميع تلك القبور، وعدلت على السنن المشروع، واندرس الأمر الممنوع، وهدم رفيع ذلك البناء، وبطل ذلك التعظيم لها والاعتناء، وخر شامخ الأحجار، وخر ما في العارض من معبدات الأشجار؛ كشجرة قريوة، وأبي دجانة، والذيب، فلم يكن أحد إلى التبرك بهما ينيب، ولم تسألها من لم تتزوج مثل العادات زوجا حبيب^(١) وليس في تلك الأزمان بغريب، وليس وقع أقبح منه

(١) الصحيح (حبيبا)، وإنما جرى على السجع.

بعجيب.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى هو الذي باشر قطع شجرة الذيب بيده مع بعض أصحابه؛ فنال من ربه جزيل أجره وثوابه، وقطع شجرة قريوة ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وأحمد بن سويلم وجماعة سواهم؛ فأدركوا من الفوز مناهم، فلم يبق وثن في البلدان التي كانت تحت يد عثمان، وشاع ذلك واستبان، ونعم بذلك أهل الإيمان، وصلحوا حالا من ذلك المكان، وانتشر الحق من ذلك الأوان، واشتهر الأمر وبان، وسارت بذلك الركبان^(١) انتهى. وقد نقلته بنصه من "تاريخ ابن غنام"؛ لأنه تضمن وصفاً واضحاً لحماسة الأمير عثمان بن معمر في مناصرة الشيخ، ودقيقاً في ذكره ما تم من تنفيذ أمور العقيدة السلفية، وما كان لها من أثر في انتشار توحيد الله بالعبادة، وزوال الشرك وعقده من أعمال الناس وقلوبهم؛ فإنهم إذا كانوا يعتقدون مثلاً أن قبر الولي يحميهم، وأن الولي فيه سر النفع والضرر، ثم وجدوا هذا الولي غير قادر على حماية مقامه وعظمته في النفوس، ولا حماية القبة المبنية على قبره والثأر ممن هدمها وأهانها؛ عرفوا بأنهم كانوا على خطأ في الاعتقاد بقدرته على النفع والضرر، ومن ثم خشيته ورجائه وتقريب النذور والقرايين إليه، وبذلك تكون الأعمال أمضى في إقناع الناس من الأقوال، وأنفع من كلام لا نفاذ له؛ فرحم الله الشيخ رحمة واسعة.

(١) "روضة ابن غنام" (ج ١/٣٠-٣١).

ونستخلص وصفا للحالة النفسية والمقاومة العملية من خلال ما يذكره المؤرخ ابن بشر من قصة هدم القبة المبنية على قبر الصحابي زيد بن الخطاب رضي الله عنه التي عند الجبيلة: "قال الشيخ لعثمان: دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل، وضل بها الناس عن الهدى. فقال: دونكها؛ فهدمها. فقال الشيخ: أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي. فسار معه عثمان بنحو ست مئة رجل، فلما قربوا منها؛ ظهر عليهم أهل الجبيلة، يريدون أن يمنعوها، فلم رأهم عثمان؛ علم ما هموا به، فتأهب لحرهم، وأمر جموعه أن تتعزل للحرب؛ فلما رأوا ذلك؛ كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها".

وقال ابن بشر: "ذكر لي أن عثمان لما أتاهما قال للشيخ: نحن لا نتعرضها. فقال الشيخ: أعطوني الفأس. فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها، ثم رجعوا، فانتظر تلك الليلة جهال البدو وسفهاؤهم ما يحدث على الشيخ بسبب هدمها، فأصبح في أحسن حال"^(١) انتهى.

لا شك أن هذه الأعمال التنفيذية لعقيدة السلف الصالح حين تأتي في مناسبتها من أعظم وسائل التطهير وإقناع الناس بصحة ما يقوله الداعية من بيان لساني، وإيقاظ الضمائر المتبلدة، وإحياء القلوب المريضة، وتصحيح العقائد السقيمة.

ولا أدل على ذلك التيقظ والإحساس بالحياة من قصة امرأة من

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (١/٩-١٠).

أهل العيننة، استيقظ قلبها بالشعور الغامر بفحش الزنى، والرغبة في الطهارة منه على ضوء شرع الله الذي طهر به الشيخ محمد بن عبد الوهاب العيننة من مظاهر الوثنية بدمها وإهانتها، وإقامة توحيد الله بالخشية والرغبة والمراقبة والتقوى، فما كان من هذه المرأة إلا أن تندفع بصدقها في التوبة وتأتي إلى الشيخ فتعترف عنده بالزنى والإحصان ترغب في تطهير نفسها من هذه الفاحشة؛ لتنال ثواب المطهرات عند الله، فأعرض الشيخ عنها، وتكرر منها الإقرار، فأراد الشيخ تطبيق سنة الرسول ﷺ وكذلك فعل، فلقد التمس هل لها من عذر؟ وسأل عن عقلها؛ فإذا هي صحيحة العقل، وقال: لعلك مغصوبة! وأمهلها الشيخ أياما، فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك، فكانت أقرت أربع مرات في أيام متواليات بما يوجب إقامة الحد الشرعي الذي هو الرجم، فلم يكن للشيخ مندوحة عن الأمر برجمها لإقامة حد من حدود الله تعالى... فخرج الوالي عثمان وجماعة من المسلمين، فرجموها حتى ماتت، وكان أول من رجمها عثمان المذكور، فلما ماتت، أمر الشيخ أن يغسلوها، وأن تكفن، ويصلى عليها^(١)؛ كما جرى من سنة رسول الله ﷺ في مثل هذه الواقعة.

وهكذا كان الشيخ رحمه الله يطبق عقيدة السلف الصالح في بلد العيننة؛ يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويعلم الناس دينهم، ويميت ما قدر عليه من البدع، ويقيم الحدود، ويأمر الوالي بإقامتها،

(١) انظر: "روضة ابن غنام" (٢/٢)، وابن بشر في "عنوان المجد" (١/ ص ١٠).

ويراسل العلماء والزعماء من غير بلدة العيننة، يدعوهم إلى إقامة دين الله، ويرسل الدعاة إلى البلدان النائية لبيان الدين وإرشاد الناس إليه، ومن بين تلك البلدان الدرعية؛ فقد راسل قاضيها عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب، وراسل ثنيان بن سعود وعبد العزيز بن محمد بن سعود وأحمد بن سويلم، وراسل أهل الرياض وابن عبد اللطيف من أهل الأحساء، وغيرهم من أهل البلدان الأخرى.

نهاية معارضة علماء السوء أمام جهاد الشيخ:

إن جهود الشيخ ودعوته إلى عقيدة السلف الصالح قد لقيت معارضة، حتى من علماء! علماء السوء عارضوا دعوة الشيخ، وهي نشر لميراث رسول الله ﷺ وإحياء سنته، واتباع ملته، ولكل قوم وارث؛ فكما أن الشيخ رحمه الله وأتباعه يرثون سنة رسول الله ﷺ فلا بد أن يكون للشيخ أعداء من شياطين الإنس والجن الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، وكلما كان الاتباع لرسول الله ﷺ أتم؛ كلما كانت المشاهدة في تطور الأحوال أشد.

ولقد بدأ أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ من علماء السوء في مقاومة الشيخ والكيد له ولدعوته منذ كان في حريملاء؛ ففي إحدى الرسائل التي بعثها الشيخ من العيننة إلى عبد الوهاب بن عبد الله ذكر الشيخ أن عبد الوهاب هذا منذ خمس سنوات وهو يجاهد جهادا كبيرا في رد دين الإسلام، فإذا جاءه مساعد أو ابن راجح أو صالح بن سليم وأشباه هؤلاء الذين يلقنهم الشيخ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن عبادة المخلوقات كفر، وأن الكفر بالطاغوت فرض؛ قام عبد الوهاب يجاهد

ويبالغ في نقض ذلك ويستهزئ به^(١).

وقال ابن غنام ما حاصله: "وأشر الناس والعلماء إنكارا عليه وأعظمهم تشنيعا وسعيا بالشر إليه سليمان بن سحيم وأبوه محمد؛ فقد أتهم في ذلك وأنجد، وجد في التحريش عليه والتحريض، وأرسل بذلك إلى الأحساء والحرمين والبصرة، وحشر علماء السوء ونادى، وكذب عليه وبهت وزور، وبعث الطروس مترعة بالباطل والمين إلى علماء السوء من تلك الأقطار، فقاموا معه فورا بالإنكار، وأفتوا للحكام والسلاطين والأشرار، بأن القائم بدعوة التوحيد خارجي وأصحابه خوارج، وليس له تثبت في الحق، وجزم كثير من علماء الأمصار - وهم علماء السوء - بأن هذا المبين لآثار السلف الصالح من أقبح الضلال وأشر الخوارج، وحسبوا أنهم إذا حرشوا عليه الحكام يفوزون بقتله وطمس دعوته، مع أن بعض قد عرف أن الذي جاء به الحق ولكنهم لذلك كانوا يكتمون، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فصنفوا المصنفات في تبديعه وتضليله، وزعمهم تغييره للشرع النبوي وتبديله، وعدم معرفته بأسرار العلوم وتجهيله، وسطروا فيها الجزم بكفره وبطلان حجته ودليله، وحكموا بأن الشيخ ساحر وكذاب ومفتري وكافر حلال الدم والمال، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح تلك الأقوال، وأرهفوا أسنة المقال، والكل

(١) انظر: "روضة ابن غنام" (١/١٥٧-١٥٨)، وقارن بما في كتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... للدكتور العثيمين (ص ٤٥).

خاض في الإفك ونال، والذي تولى منهم هذا الأمر الكبير واقتحم لجج موجه الخطير، وشمر فيه أعظم التشمير، وتنادى عليه مع أعوانه لأجل التغيير، حسدا وبغيا، بالإضافة إلى سليمان بن سحيم وأبيه محمد من مطاوعة أهل الرياض - كما تقدم - عبد الله بن عيسى المشهور بالمويس، ولد في بلد حرمة من بلدان وادي سدير، وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق من الأحساء^(١).

ولقد عارض الشيخ غير هؤلاء ممن يدعي الرفعة والشأن والقدم الراسخة في العلم والعرفان، مع أن أكثرهم يقر على نفسه ويعترف بأن ما أتى به محمد بن عبد الوهاب هو الحق والصواب، وأن هذا هو التوحيد المطلوب، ومن لم يتحقق به؛ لم يفرق بين الرب والمربوب، لكن أنفت قلوبهم، واستنكفوا، وخشوا أن يكون إقرارهم وموافقتهم سبباً في أن تسلب منهم رئاستهم وديانهم وجاههم بين الناس، فأنكروا بعد المعرفة، وأصبحت ألسنتهم في ذلك مسرفة، ووجوههم عن الحق منصرفة؛ حتى أنكروا من الشرع الأمور المعروفة.

قال ابن غنام: "فذكر لنا عن تحقيق وبقين أنهم أنكروا على عثمان بن معمر أذبه من تخلف عن الصلاة في جماعة المسلمين، وتأديبهم من لم يصل جملة، وجبايته الزكاة، وغير ذلك من أمور الدين، وكان كثير من علماء السوء في نجد يأتون إلى رؤساء البدو ويحذرونهم وقوع الصلاة في حيزهم وسماع الأذان، ويحثونهم على

(١) "روضة ابن غنام" (٣١/١-٣٢) بتصرف واختصار.

التمسك بقبائح تلك الأديان، وما كانوا عليه من الفسق والعصيان"^(١).
وقد أنكروا على الشيخ أمره الوالي بإقامة الحدود، فزعموا أن الشيخ لا
صفة له تحوله الحكم والأمر برجم من استوجبه مثلاً، وقد رد عليهم الشيخ،
وبين لهم أن ما فعله هو حكم الله المؤيد بالسنة والجماعة، ومما قاله الشيخ:
"إن الأئمة من كل مذهب مجتمعون على أن من تغلب على بلد أو بلدان؛
له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس
من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد،
ولا يعرف أن أحدا من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا
بالإمام الأعظم... إلى أن يقول: "ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة
حجة في رد ما لا يقدر على جحدته، كما أني لما أمرت برجم الزانية؛ قالوا
لا بد من إذن الإمام".

قال الشيخ: "فإن صح كلامهم؛ لم تصح ولا يتهم القضاء، ولا الإمامة،
ولا غيرها"^(٢).

هذا وقد مر بنا في مبحث البيئة من حول الشيخ أن نجد لم يدخلها
السلطان العثماني تحت نفوذه قبيل ظهور الشيخ، وإنما كانت نجد مجزأة بين
أمراء متعددين، وكل أمير مستقل بما تحت يده"^(٣).

ومن أسباب مقاومة هؤلاء المخالفين أن الشيخ جاءهم بشيء

(١) "روضة ابن غنام" (٣٧/١-٣٨) بتصرف واختصار.

(٢) "روضة ابن غنام" (٢٠٧/١).

(٣) انظر: (٣٧/١) من هذا البحث.

استغريوه، وخالف ما اعتادوه وألفوه وأشربوه في قلوبهم، ألا وهو: إعلان الشيخ رحمه الله تعالى وجوب التمسك والاعتصام بالكتاب والسنة، والعمل بما جاء من هدي الأصحاب، وبما اختاره الأئمة الأربعة الذين شاعت مذاهبهم في الأمة، فهو وإن كان يختار مذهب الحنابلة؛ فإنه لا يقدمه على النص القاطع، ولا يتعصب له، بل يختار من المذاهب الأخرى مذهب من هو أقرب إلى الدليل والصواب الموافق للشريعة، وقد أسفر كلام الشيخ عن هذا الاتجاه وظهر وشاع؛ فلذا طارت قلوب متعصبة المذاهب والمقلدة في العمى؛ فرقاً من هذا النور، والذي مداره على اتباع ما أمر الله به من الرد في حال التنازع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ^(١).

مع أن الرد إلى الكتاب والسنة هو الصواب المتعين، والحق المطلوب من دين الإسلام بالضرورة، وفيه من أسباب الألفة والاجتماع والتوحيد بين المسلمين ودحر الشر والتفرق ما يغيظ تجار الحروب ومستغلي فرص التفريق والمنازعات ليسودوا ويشروا على أنقاض الدمار والفساد وعبادة الأوثان والأنداد.

وكذلك قد اعتبروا الرد إلى الكتاب والسنة بدعة وإحادا وخروجاً عن الدين، وقد زين لهم الشيطان شبهة أنهم لا يقدرّون على فهم كلام الله ورسوله ﷺ وكلام السلف الصالح، وأن الأخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر^(٢).

(١) "روضة ابن غنام" (١/٣٨، ٣٩، ٤٠).

(٢) انظر: رسالة الشيخ إلى عبد الله بن عبد اللطيف في "روضة ابن غنام" (ج ١/٥٣-٥٧)، وانظر: "تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران" بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي (ص ١١).

ويمكن أن نحصر نقطة الخلاف بين الشيخ وخصومه من علماء السوء وغيرهم في أنه يقول: كل ما يعبد الله به بجميع أنواعه يجب أن يكون خالصاً لله وحده؛ فلا يصرف منه شيء لغيره؛ كالدعاء والذبح والنذر والتوكل والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة وغير ذلك مما ورد به شرع رسول الله ﷺ فبين للناس ذلك، وأمرهم بإخلاصه لله وحده، ونهاهم عن الشرك بذلك، وبين لهم أن من الشرك ما هو واقع من أكثر الناس حين يدعون الأنبياء والأولياء والصالحين، بل وغيرهم من الفسقة والطواغيت والمجانين، من أهل القبور والمقامات والمشاهد، وغيرهم من الأموات والأحياء، يتعلقون بهم، ويذبحون لهم، وينذرون، ويتقربون إليهم بأشياء إنما هي من حقوق الله التي شرعها تعالى لرسوله ﷺ وأمته ليتعبد له بها، وبين الشيخ أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة، الذين يدعون علياً وغيره، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

لذلك؛ لم يستطع العلماء المكابرون الصمود للشيخ في ميدان الحجة والبرهان، وغلبهم بيان الحق وأسكتهم برهانه عن الرد عليه ومناظرته، ودحضت حججهم، وكشفت شبهاتهم، وهم قد أشربوا محبة ما اعتادوه ووجدوا عليه مجتمعهم وكبراءهم وأسلافهم من الآباء والأجداد من الشرك والفسوق وأكل الربا والسحت؛ فلجأوا إلى الافتراء والكذب والمكر والحيل، والاستعانة بتخويف الملوك والحكام

وأصحاب المناصب؛ من فوات حظهم بظهوره، فكتبوا إلى رئيس الأحساء وبني خالد سليمان بن محمد؛ لأن هؤلاء الشياطين والعياذ بالله عرفوا كيف يدخلون على أمير العيينة من جهته؛ فهو يدور في فلكه، وله عنده خراج ومصالح، وينقاد إلى أمره، فقالوا لأمير الأحساء فيما قالوه من الأكاذيب: إن عثمان بن معمر قد آوى مطوعاً^(١) يريد إخراجكم من ملككم وإثارة الناس عليكم، وأقل ما يقوله للعامة: إن المكوس والعشور التي يأخذها الأمراء باطلة لا يقرها الدين، وها هو يرحم امرأة من أجل الزنى بغير إذن منكم... إلى غير هذا من التحريش والبهتان وإثارة الملوك بما يثيرهم ويخوفهم مهما كان.

ويذكر ابن غنام أنه لما جرت قضية إقامة حد الرجم في العيينة؛ كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال، وطارت قلوبهم خوفاً، وداخلهم من حصول تلك القضية ما لم يعاينوا قبله مثله، ولم يسمعوا به منذ زمن، وذلك لما ألفوه من الفواحش، مقارنة لما كانوا عليه من الشرك، ثم لما أعياهم أن يردوا الحكم المشروع بالسنة والإجماع أمام الشيخ وأنصاره؛ لجأوا إلى ردها بالمكر والحيلة، فشكوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بني خالد والحسا، وكان قبحه الله مغرماً بالزنى، مجاهراً به، غير مختلف بذلك، وحكايته في ذلك مشهورة، وقصصه فيه غير محصورة، فأغروه به، وصاحوا عنده، وقالوا: إن هذا يريد أن يخرجكم من ملككم، ويسعى في قطع ما أنتم

(١) (المطوع): اصطلاح في نجد أنه الذي يصلي بالناس ويكون عنده شيء من المعرفة.

عليه من الأمور والأمكاس والعشور"^(١) فلما خوفوه بزوال محبوبه وتفويت مطلوبه، كتب إلى عثمان يأمره بقتله، أو إجلائه عن وطنه؛ وألزم عليه وشدد وهدد.

وكذلك ابن بشر في "تاريخه" يذكر أن قضية الرجم كانت من الأمور التي استغلها أعداء الشيخ في التحريش عليه.

قال ابن بشر: "فلما صدرت منه هذه (أعني: رجم المرأة)؛ اشتهر أمره في الآفاق، فبلغ خبره سليمان بن محمد بن غرير الحميدي قائد الأحساء والقطيف وما حوله من العربان، وقيل له: إن في بلد العيينة عالماً فعل كذا وكذا، وقال كذا وكذا، فأرسل سليمان إلى عثمان كتاباً، وقال: إن هذا المطوع الذي عندك فعل وفعل، وتهدد عثمان وقال: اقتله، فإن لم تفعل؛ قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء. وخراجه عندهم كثير"^(٢).

أما ابن معمر؛ فإنه انهزم أمام تهديد ابن غرير، ولم يثبت على المبدأ والعهد، فخذل الشيخ، واستجاب لداعي الشيطان.

مواصلة الشيخ جهوده رغم خذلان ابن معمر له:

قال ابن غنام: "إن ابن معمر آثر الدنيا على الدين، وسلك منهج

(١) "روضة ابن غنام" (٢/٢-٣).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (١/١٠)، وانظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني (ص ٢١٧)، و"تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ" تأليف حسين خلف الشيخ خزعل (ص ١٤١).

المبطلين، وأمر الشيخ بالخروج، ولم يكن إلى قتله سلم ولا عروج، وذلك لما اقتضته الحكمة الإلهية والعناية الصمدانية من إحياء دارس السنة المحمدية والآثار السلفية، فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية^(١).

ويفصل ابن بشر وصف حالة ابن معمر لما ورد عليه كتاب صاحب الأحساء بقوله: "فلما ورد عليه كتابه؛ ما وسع مخالفته، واستعظم أمره في صدره؛ لأنه لم يعلم قدر التوحيد، ولا لمن نصره وقام به من العز والتمكين في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة، فأرسل إلى الشيخ، وقال له: إنه أتانا خط من سليمان قائد الأحساء، وليس لنا طاقة بحربه ولا إغضابه، فقال له الشيخ: إن هذا الذي أنا قمت به ودعوت إليه كلمة لا إله إلا الله وأركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أنت تمسكت به ونصرته؛ فإن الله سبحانه يظهرك على أعدائك؛ فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك، فإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك به بلاده، وما وراءها وما دونها.

فاستحي عثمان وأعرض عنه، ثم تعاضم في صدره أمر صاحب الأحساء وباع بالآجل العاجل، وذلك لما علم الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى؛ يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير: أن نصر هذا الدين والظهور والغلبة والتمكين يكون لغيره، وعلى يد غيره، فأرسل إلى الشيخ ثانيا وقال: إن سليمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره؛ لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلادنا؛ فشأنك ونفسك وحل

(١) "روضة ابن غنام" (٣/٢).

بلادنا^(١) اهـ.

مما نقلناه عن ابن غنام وابن بشر نتبين أن ابن معمر آثر الدنيا على الدين، وباع العاجل بالآجل، لما تعارض في صدره أمر صاحب الأحساء وأمر الله تعالى، فأمر الشيخ بالخروج، وقد كان الشيخ يهين ابن معمر لأمر عظيم، ويرجوه لمكان جليل وملك عريض، ولكن خاب الظن فيه، ولم ينفذ القتل الذي أمر به، لأن الله تعالى أراد ظهور هذا الدين على يد غيره، وهو العليم الحكيم، يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(٢).

أما الشيخ؛ فإنه كان رغم ما جرى له من خذلان ابن معمر له على ثقة من ربه، وقد قوى الله إيمانه حتى صغر في نفسه وفي ميزان إيمانه بعقيدة السلف الصالح أمر صاحب الأحساء وخذلان ابن معمر له وإخراجه من الوطن والمال والأهل والمسكن، وبقي لديه إيمانه بصحة عقيدة السلف الصالح، وأن الله ناصر دينه، وبقي حسن الظن بالله تعالى والثقة به وحده لا شريك له.

قال الشيخ حسين بن غنام:

فقد جاءنا يدعوا إلى الدين بعدما عفا رسمه والأرض من نوره فقفر
فجادله الأحرار فيما أتى به من الحق والبرهان يكشفه السبر

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (١/١٠-١١).

(٢) سورة آل عمران آية : ١٤٥.

ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه وصار إليه الفلج والورد والصدر
فعودي بغيا واهتضاما ونصرة مللة آباء عليها مضى العمر
وهموا بما لم يدركوا من وقية فما ناله مما أرادوا به ضر
نفته العدا لما جفته أقارب فآواه بل ساواه من خصه البر
فجاهد حتى أطلع الله بديره بآل سعود حين شد له أزر (١)

والآن إلى الفصل الثاني، وهو بحث أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول

من أدوار دولة أنصارها آل سعود.

(١) "روضة ابن غنام" (ج ٢/ص ٢٤٠)، وانظر: "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (طبعة المعارف، ج ١، ص ١٤٥، ١٤٦).

الفصل الثاني

أثرها في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها آل سعود

• الشيخ في الدرعية:

فيما يلي أسوق خلاصة خبر وصول الشيخ إليها وما جرى له. لما وصل الشيخ بلد الدرعية؛ دخلها من أعلاها وقت العصر، فنزل على عبد الله بن سويلم تلك الليلة، فأقام عنده ذلك اليوم، ولعله هو الذي ترم بوجود الشيخ عنده؛ خوفا على نفسه من محمد بن سعود^(١). ثم إن الشيخ انتقل من عنده إلى بيت تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، فعلم به خصائص من أهل الدرعية، فزاروه خفية، ورأوه لا يزال على سبيل الرسول ﷺ ثابتاً، يدعو إلى الله على بصيرة، ويقرر لهم التوحيد الذي هو أساس الدين، والذي وقعت فيه الخصومة، فاستقر التوحيد في قلوب هؤلاء الخصائص، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنصرته، فهابوه، فأتوا إلى زوجته موسى بنت

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... للدكتور العثيمين (ص ٥٤).

أبي وهطان من آل كثير^(١) وأخيه ثنيان الضير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروهما بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فوقر في قلوبهما معرفة التوحيد، وقذف الله في قلوبهما محبة الشيخ^(٢).

اللقاء التاريخي بالأمير الراشد:

وهذه خلاصة أيضا أنقلها عن ابن بشر وابن غنام:

دخل محمد بن سعود على زوجته، فأخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة؛ فاغتنم ما خصك الله به. فقبل قولها، ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري، وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته، وألقى الله سبحانه في قلبه للشيخ محبة، فأراد أن يرسل إليه، فقالوا: سر إليه برحلك في مكانه، وأظهر تعظيمه والاحتفال به، لعل الناس أن يكرموه ويعظموه. فقام محمد بن سعود من فوره، وسار إليه ومعه أخواه ثنيان ومشاري، فدخلوا عليه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، ورحب به، وأبدى غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنع بما يمنع به نساءه وأولاده، وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة. فقال الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين؛ وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها وعمل بها

(١) في الأصل من "تاريخ ابن بشر" بياض، والزيادة من بحث حمد الجاسر "المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (ص ٣-٤).

(٢) انظر: ابن بشر "عنوان المجد... (ج ١/١١-١٢، والطبعة الثالثة، ص ٢٤)، و"روضة ابن غنام" (ج ٣/١).

ونصرها؛ ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى نجدا وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم لبعض؛ فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك.^(١)

وهكذا تم اللقاء التاريخي، وحصلت البيعة المباركة على ذلك كما سيأتي إن شاء الله.

وأما ما يقال عن اختلاف ابن بشر عن ابن غنام في تفصيلات ما حدث للشيخ محمد منذ وصوله إلى الدرعية حتى اتفاه مع أميرها محمد بن سعود^(٢) فهو ليس اختلافا ينقض بعضه بعضا، ولكن غاية أن ابن بشر انفرد بذكر أمور فيها زيادة بيان؛ مثل ذكره خوف ابن سويلم من نتائج حلول الشيخ في بيته، وزيارة بعض كبار أهل البلد له سرا، وإخبارهم زوجة الأمير بالقضية، واشتراكها بإقناع زوجها بأن يستقبله استقبالا حسنا، وهذه الزيادات التي انفرد بها ابن بشر لا تتعارض مع ما اتفقا فيه؛ مثل كون الأمير محمد بن سعود سار إلى الشيخ في بيت ابن سويلم، ورحب به، ووعدته النصر والحماية، وكون الأمير محمد بن سعود اشترط على الشيخ مقابل تأييده له عدم مغادرته بلده، وأن

(١) انظر: ابن بشر "عنوان المجد" (ج ١/١١-١٢)، وطبع وزارة المعارف (ج ١/٢٤)، و"روضة

ابن غنام" (ج ٣/١).

(٢) انظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني (٩٠-٩١)، فقد جعل هذا

الاختلاف سبباً في تضعيف رواية ابن بشر وتبعه على ذلك الدكتور العثيمين "الشيخ محمد... حياته وفكره" (ص ٥٤-٥٥).

الشيخ وافقه على ذلك، وكذلك ما انفرد بذكره ابن بشر، وهو شرط آخر اشتراطه محمد بن سعود على الشيخ، وهو أن يقره على ما اعتاد أن يأخذه من أهل الدرعية. أقول: إن هذه الأمور التي زادها ابن بشر على ما ورد في "تاريخ ابن غنام" ليست معارضة لما اتفقنا على ذكره؛ فلا يسوغ تضعيفها بمجرد انفرد ابن بشر بها عن ابن غنام؛ فإن ابن بشر موثوق، ولا محل لترجيح ما ذكره أحدهما؛ لعدم التعارض بينهما، وكون أمر الشيخ معروفاً لدى خصائص من أهل الدرعية لا ينفي ما ذكره ابن بشر ولا يضعفه^(١).

ولا شك أن أمر الشيخ ودعوته إلى عقيدة السلف الصالح منذ ابتداء به في حريملاء والعيينة من قبل ليس مجهولاً في الدرعية، بل كان فيها من يعرفه معرفة جيدة، وكان له فيها أتباع وتلاميذ، كانوا يترددون عليه في العيينة، ويحضرون حلقات دروسه، ويأخذون عنه، ويكاتبونه، ويجيبهم، من هؤلاء الذين يعرفونه ثنيان ومشاري أخوا الأمير محمد بن سعود، والشيخ أحمد بن سويلم، وجماعة سواهم^(٢) وعبد العزيز بن محمد بن سعود؛ فقد كان يكاتب الشيخ، وكتب له الشيخ تفسير سورة الفاتحة^(٣) وبين له من خلال تفسيره الأمر العظيم

(١) انظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور منير العجلاني (٩٠-٩١)، والشيخ محمد

بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور العثيمين (ص ٥٤-٥٥).

(٢) "روضة ابن غنام" (٣١/١)، وانظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور العجلاني (ص ٩٧).

(٣) "روضة ابن غنام" (٢٢٢/١).

الذي خلق الله لأجله الجن والإنس، وهو عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به في العبادة، وفي ثنايا تفسيره كأن الشيخ يرمز لعبد العزيز بمقام من يقوم بالتوحيد، فيستشهد له ببيت الشعر المعروف والذي هو:
قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل^(١).

ولقد كان أتباع الشيخ في الدرعية يتبعون أخباره ويتشوفون إلى نصرته.

البيعة المباركة:

بعد أن تم لقاء الأمير محمد بن سعود بالشيخ محمد بن عبد الوهاب - كما أسلفت - في بيت ابن سويلم، وسلامه على الشيخ، وذكر الشيخ ما كان عليه رسول الله ﷺ وما دعا إليه، وما عليه أصحابه، وما أعزهم الله به من الجهاد في سبيله، وأغناهم به، وجعلهم إخواناً، ثم ذكر ما عليه أهل نجد في زمانهم من مخالفتهم بالشرك والبدع والاختلاف والجور والظلم.
فتحقق محمد بن سعود معرفة التوحيد وفضله، ورأى بعد الناس في الواقع عنه، فقال للشيخ: يا شيخ! إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكن أريد أن أشرط عليك اثنتين:

الأولى: نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان؛ أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا.

الثانية: أن لي على أهل الدرعية

(١) "روضة ابن غنام" (١/٢٢٣).

قانوناً آخذه منهم في وقت الثمار، وأخاف أن تقول: لا تأخذ منهم شيئاً.
فقال الشيخ: أما الأولى؛ فابسط يدك: الدم بالدم، والهدم بالهدم. وأما
الثانية؛ ففعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو
خير منها^(١).

ويقول الدكتور العثيمين: "إن إجابة الشيخ عن الشرط الثاني غير
حاسمة، ولكن من الواضح أن الشيخ قارن بين المصلحة العامة
لدعوته وبين مسألة جزئية كان واثقاً من حلها مستقبلاً بسهولة، وهو
كما قال"^(٢).

ثم إن محمداً بسط يده، وبايع الشيخ على دين الله ورسوله، والجهاد في
سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
فقام الشيخ، ودخل معه البلد، واستقر عنده، ووقع تحقيق ظن الشيخ؛
فإنه أتى إليهم غنيمة، فقال الشيخ للأمير: هذا أكثر مما أنت أخذته على
أهل بلدك. فتركها بعد ذلك^(٣).

ولا أدل على بركة الإسلام ولله الحمد مما أولاه الله من نعم على هذه
البلاد من المال والأمن منذ ذلك العهد المبارك والبيعة الصادقة إلى يومنا
هذا، وما تخلف شيء من ذلك إلا بسبب المخالفة،

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (١٢/١).

(٢) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب..." (ص ٥٥).

(٣) ابن بشر "عنوان المجد" (١٢/١).

وكلما راجع القوم عهدهم؛ عاد الله عليهم بعائدتهم، والله الحمد والمنة.
ومعنى قول الشيخ: "الدم بالدم والهدم بالهدم"؛ أي: أقبر حيث تقبرون،
ومنزلكم منزلي، وإن طلب دمكم؛ فقد طلب دمي، وإن هدر دمكم؛ فقد
هدر دمي^(١).

وهذا فيه إشارة إلى ما ورد في "سيرة ابن هشام"؛ أن أبا الهيثم ابن
التيهان قال: يا رسول الله! إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإننا قاطعوها (يعني:
اليهود)؛ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك
وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: ﴿ بل الدم بالدم والهدم الهدم،
أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم، وأسالم من سالمتم ﴾^(٢) قال ابن
هشام: ويقال: الهدم الهدم؛ أي: ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم^(٣).

أثر العقيدة السلفية ينشط في الدرعية:

ولما استقر الشيخ في الدرعية، ومنع، ونصر، وجهر بالدعوة إلى الله
تعالى معززا ينشر الإسلام، وساعده على ذلك الأمير محمد بن سعود بكل
ما لديه؛ بلا فتور ولا ضجر، وقام مع الأمير كذلك وزراؤه، وأعوانه، وأنصاره
من أهل الدرعية، وإخوانه، ومن مشاهيرهم: ثنيان ابن سعود، ومشاري بن
سعود، وفرحان بن سعود، والشيخ أحمد بن

(١) انظر: "لسان العرب" (ص ١٨٥).

(٢) مسند أحمد (٣/٤٦٠).

(٣) "الروض الأنف" (٢/١٨٩، ٢١٤).

سويلم، والشيخ عيسى بن قاسم، ومحمد الحزيمي، وعبد الله بن دغيشر، وسليمان الوشيقري، وحمد بن حسين، وأخوه محمد، وغيرهم؛ فجردوا للدعوة همهم وعزائمهم، وقاموا بها من غير كسل ولا تهاون، وكانت بداية هذه القومة في سنة سبع وخمسين ومئة وألف من هجرة المصطفى ﷺ^(١).

وبقي الشيخ رحمه الله على مناصحة الناس، وعرض الحق وبيانه، وكشف الشبه عنه، قريبا من سنتين، وخلال ذلك كان قد تسلل إليه أنصاره الذين في العيينة، ومن ينتسب إلى الدين، ومعهم أناس من رؤساء المعامرة؛ منهم: عبد الله بن محسن وأخواه زيد وسلطان المعامرة؛ معاكسين لعثمان بن معمر على ما يقول ابن بشر^(٢) وعبد الله بن غنام وأخوه موسى، وهاجر مع هؤلاء خلق كثير؛ كما أخذ كثير من أنصار الشيخ وتلامذته في مختلف بلدان نجد يقدمون عليه ويهاجرون إليه^(٣) حتى إن عثمان بن معمر نفسه - على ما يقول ابن بشر - لما علم أن محمد بن سعود آوى الشيخ ونصره، وأن أهل الدرعية فرحوا به، والذين كانوا عنده في بلده هاجروا وتركوه، وأن أمر الشيخ قوي وصار إلى زيادة؛ ندم ابن معمر على ما فعل من إخراجه وعدم نصرته، وخاف منه أمور تفاقم عليه، فركب في عدة رجال من أهل

(١) "روضة ابن غنام" (٤/٣-٢).

(٢) "عنوان المجد" (١٢/١)، و"روضة ابن غنام" (٤/٢)، والمقصود بالمعامرة آل معمر.

(٣) "عنوان المجد" (١٢/١)، و"روضة ابن غنام" (٤/٢)، والمقصود بالمعامرة آل معمر.

العينة ورؤسائها، فقدم على الشيخ في الدرعية، وحاوله على الرجوع معه، ووعدته نصره ومنعه، فقال الشيخ: ليس هذا إلي، إنما هو إلى محمد بن سعود، فإن أراد أن أذهب معك؛ ذهبت، وإن أراد أن أقيم عنده؛ أقمت، ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره؛ إلا أن يأذن لي. فأتى عثمان إلى محمد، فأبى عليه، ولم يجد إلى ما أتى إليه سبيلا، فرجع إلى بلده^(١).

وكان أهل الدرعية في غاية الجهالة، وقد وقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك الأكبر والأصغر والتهاون بالصلاة والزكاة ورفض شعائر الإسلام^(٢) وهم يومئذ في غاية الضعف وضيق المثونة^(٣) فتحوّلهم الشيخ بتعليمهم وتلقينهم التوحيد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأمر بتعلم معنى لا إله إلا الله، وأنها نفي وإثبات؛ ف (لا إله: تنفي جميع المعبودات، (وإلا الله): تثبت العبادة لله وحده لا شريك له، ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الأصول وهي: معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته وإلهيته، كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والأرض وما عليها من الأدلة من القرآن، ومعرفة الإسلام، وأنه تسليم الأمر لله، وهو الانقياد لأمر الله، والانزجار عن مناهيه، ومعرفة أركانه التي بني عليها، وما عليها من الأدلة من القرآن، ومعرفة النبي ﷺ واسمه ونسبه ومبعثه وهجرته،

(١) "عنوان المجد... (١٣/١)"، و"روضة ابن غنام" (٤/٢).

(٢) "عنوان المجد... (١٤/١)".

(٣) "عنوان المجد... (١٣/١)".

ومعرفة أول ما دعا إليه، وهي: لا إله إلا الله، ثم معرفة البعث، وأن من أنكره أو شك فيه؛ فهو كافر، وما على ذلك من الأدلة من القرآن والسنة، ومعرفة دين محمد ﷺ وأصحابه، وهو التوحيد، ودين أبي جهل وأتباعه، وهو الشرك بالله تعالى.

فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد بعد الجهالة، أشرب في قلوبهم محبة الشيخ، وأحبوا المهاجرين، وآوهم^(١).

وكان المهاجرون في أضييق عيش وأشد حاجة، وابتلوا بلاء شديداً، وكان الشيخ ينفق عليهم ما استطاع، ويستدين لذلك، وكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة^(٢).

انطلاق الدعوة وبدء الجهاد:

ثم إن الشيخ كاتب أهل البلدان ورؤساءهم وقضاةهم ومدعي العلم منهم؛ فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذ سخرياً، واستهزءوا به، ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة، ومنهم من نسبه إلى السحر، ومنهم من رماه بأشياء هو بريء منها^(٣).

واستمر الشيخ على المناصحة والدعوة والمكاتبة مدة سنتين، حتى عام ١١٥٩ هـ؛ من غير غزو ولا مقاتلة، وممن قام الشيخ والأمير محمد بن سعود بمناصحته دهام بن دواس رئيس بلد الرياش، فاجتهدا

(١) "عنوان المجد... (١/٤١).

(٢) "عنوان المجد... (١/١٣).

(٣) "عنوان المجد... (١/٤١).

في مناصحته غاية الاجتهاد، ولكن دهما ما لم يقبل الحق، وأعرض عنه، واشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فحملة ذلك على البغي والحسد، فأبطن عداوة أهل الدين رغم إقراره بأنه دين الحق، وأظهر موالاته المبطلين، وكان قد فشا الإسلام والسنة في بلده، ودخل في ذلك كثير منهم، فصار إذا رأى من جماعته من يجب هذا الدين ويفشيه؛ أخذ يصادره ويتعرض له بصنوف الأذى، وإذا رأى عدوا؛ قره وآواه، وجعل يتزايد في العداوة، ويتظاهر بقمع الحق، ويعلن القبائح الشنيعة، وقد كانت أخلاقه القديمة وأفعاله السابقة غير محمودة، ولما جاءه الحق؛ زاد في طغيانه وشره، وحاكى بأفعاله الفاجرة نمرودا وفرعون، فأخاف أهل منفوحة لأنهم دخلوا في دعوة الشيخ وتبعوا الإمام محمد بن سعود، فعدا عليهم صباحاً ومعه بعض البوادي من آل ظفير على غرة وغفلة لأنهم ما كانوا يتوقعون ذلك منه، وهو صديق لمحمد بن سعود فيما يتظاهر به؛ لأن محمد بن سعود سبق أن أعانه على ثورة من أهل الرياض ضده، ولكنه فجأهم، واحتل قصر الإمارة، وقهرهم ساعة، ثم إن الله سبحانه أعقب أهل منفوحة بالنصر والفرج، فكانت الدائرة على دهام وحزبه، وقتل من أشرارهم ورؤسائهم أحد عشر رجلاً تقريباً، وجرح دهام نفسه، وعقر حصانه، فهرب هو ومن معه وقد باء بالفشل، ولكنه قد افتضح بإظهاره عداوة أهل الدين، فزاده ذلك تمادياً، وأعلن محاربة ابن سعود لأجل ذلك، ونذر جزوراً لتاج بن شمسان إن تغلب على ابن سعود^(١).

(١) "روضة ابن غنام" (٦/٢-٧).

عند ذلك أمر الشيخ بالجهاد، وحض عليه^(١) وكان هذا في سنة ١١٥٩ هـ، بعد مضي سنتين من اتفاق الأمير محمد بن سعود مع الشيخ على القيام بالإسلام؛ لأن وقت الجهاد قد حان، وهو من واجبات الدين، والخطر أصبح وشيكاً على النفس والحرمة، والفتنة كائنة على أهل السنة، وليس من ذنب ينقمه العدو إلا الإيمان بالله وإقامة سنة رسوله، وقد قامت عليه الحجة.

والأمر كما قال أبو تمام:

وما هو إلا الوحي أو حد مرهف تميل ظباه أخدعي كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عاقل وهذا دواء الداء من كل جاهل
هو الحق إن تستيقظوا فيه تغنموا وإن تغفلوا فالسيف ليس بغافل^(٢)

وكما قال شوقي يعني رسول الله ﷺ

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل وأحلام وسفسطة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفوا كل ذي حسب تكفل السيف بالجهال والعمم^(٣)

وكما قال شاعر:

وما الدين إلا أن تقام شريعة وتأمين سبل بيننا وشعاب^(٤)

(١) ابن بشر "عنوان المجد" (١/١٤).

(٢) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين" (ص ٨٤)، وابن بشر "عنوان المجد" من تعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف (١/ص ٢٦).

(٣) "الشوقيات" (ج ١/٢٤٢).

(٤) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين" (ص ٨٤).

وأبلغ من ذلك قوله تعالى:

﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا

عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

وقد قال الشيخ في رسالته إلى السويدي: "وأما القتال، فلم نقاتل أحدا إلى اليوم؛ إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكنا^(٢) ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ﷺ بعدما عرفه، والسلام"^(٣). ومنذ بلغ ابن سعود وإخوانه من المسلمين غدر دهام بن دواس، واعتداؤه على أهل الدين؛ حدثوا نفوسهم بالجهاد في سبيل الله تعالى، وحين رآه الشيخ متعينا لمثل غدرات ابن دواس وغيره بأصحاب السنة المحمدية؛ أمر به، وحض عليه، فتعاهدوا على أن تكون أول عدوة يعدونها مبتدئين بها جهاد أعداء الدين على دهام بن دواس في قصره، فكان ذلك، ووفوا بعهدهم^(٤).

فأقاموا علم الجهاد في سبيل الله؛ لأن الجهاد في سبيل الله من

(١) سورة البقرة آية : ١٩٣.

(٢) المعنى: لم يبقوا شيئا ممكنا من أذانا إلا فعلوه.

(٣) "روضة ابن غنام" (١/١٥٤).

(٤) "روضة ابن غنام" (٧/٢)، و"عنوان المجد... لابن بشر (١٧/١-١٨).

الواجبات الدينية، وهو ذروة سنام أمر الدين^(١) وما زالوا على ذلك؛ يجاهدون في سبيل الله، وينشرون دين الله تعالى، ومحمد بن سعود إمامهم، صابر على عداوة الأذنى والأقصى من أهل نجد، ومن الملوك المجاورين من كل جهة، وقتل أولاده فيصل بن محمد وسعود بن محمد، فما زاده إلا قوة وصلابة في دينه على ضعف منه وقلة في العدد والعدة، وكثرة من عدوهم، وفاء بعهدده، والتزاما بوعده، واحتسابا لموعد ربه لمن نصر دينه، وفيما جرى منه شبه بما جرى من الأنصار في بيعة العقبة^(٢).

وليس الأمر كما يزعمه بعض الباحثين في عصرنا هذا جريا مع المستشرقين في زعمهم أن الحروب الإسلامية كان يدفعها جوع المسلمين ومشكلات دنيوية، فزعم هذا الباحث أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يخطط لدعوته مراحل، وأنه أمر بالجهاد لتنتقل دعوته إلى مرحلة جديدة ينال فيها بالقوة ما عجز عنه بطريقة الإقناع والإغراء^(٣) وأن الأمير محمد بن سعود كان مستعدا للقتال من أجل الدعوة، خاصة أنها وسيلة من وسائل توسيع نفوذه، وإمكان تحقيق كثير من النجاح العسكري في بداية الأمر دون تدخل خارجي، وأن إمكانيات الدرعية الاقتصادية محدودة، وكان على قادتها أن يجدوا حلا

(١) انظر آخر رسالة "الأصول الثلاثة" للشيخ.

(٢) انظر: "الدرر السنية" (ج ١١ / ص ٦١-٦٢).

(٣) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور العثيمين (ص ٥٨).

لمشكلة ازدياد الوافدين إليها من أنصارهم الفقراء، وأن هؤلاء الوافدين مؤهلون لأن يلعبوا دوراً كبيراً في تأسيس جيش قوي^(١) فكل هذه الالتواءات والتعليقات مكشوفة، يراد منها أن الشيخ وابن سعود وأتباعهم إنما قاتلوا للظفر والنفوذ وحل المشكلة الاقتصادية، وهذا غير صحيح.

أما أن الشيخ رحمه الله أمر بالجهاد؛ فنعم؛ أمر به حين رأى أن وقت الجهاد قد حان؛ تعبداً لله تعالى، وجهاداً في سبيله بكل أنواع الجهاد وأحواله، التي تحدث لهم بحول الله وتدبيره، والشيخ يرصد حاله وأحوال من معه، وما يجري لها من تغيرات، ويستلهم من شريعة الله أحكام تلك الأحوال المتغيرة، فيقوم بتنفيذها؛ تعبداً لله، وقياماً بالواجب الذي فقهه من دين الله تعالى، وكذلك من كان معه على شيء من فقه الإسلام.

والتحدث عن مقاصد الشيخ ومقاصد أمثاله وأعوانه على ضوء قياسها بمقاصد أهل السياسة الدنيوية والخطط الماكرة في سبيل الدنيا يعتبر ظلماً وتعدياً عليه وقصوراً عن مستوى حسن الظن بالمسلم، ولكن الواجب إذا تحدثنا عن مقاصد الشيخ ونواياه أن نتحدث عنها على ضوء ما يظهره ويدعو إليه، أما السرائر وما لا نعلمه؛ فنكله إلى الله تعالى، مع وجوب حسن الظن فيمن يظهر منه الخير والرشد والصلاح، وكذلك محمد بن سعود، لا نظن به أنه قام بنصرة الإسلام لأنه وسيلة لتوسيع نفوذه أو استقلاله عن سيادة الأتراك؛ كما يقوله

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره" للدكتور العثيمين (ص ٥٨).

صاحب كتاب "الفكر السامي"^(١) فإنه إنما قام بنصرته لأنه دين الله ورسوله ﷺ بالدرجة الأولى؛ كما قال ذلك عند لقائه بالشيخ رحمه الله، وما كانت ظروف الدرعية المشكلة من ناحية الاقتصاد هي الدافع للقتال؛ فإن أولئك القوم تركوا تنمية اقتصادهم مختارين ليقوموا بتنمية دينهم وعلمهم به؛ فكيف ينحرفون لحل مشكلاتهم الاقتصادية بالقتال وسفك الدماء ليأخذوا أموال الناس ويستولوا على أملاك الغير بطريقة جاهلية؟! ألا يمكن حل مشكلتهم الاقتصادية بالتجارة ومزاولة أسباب المعيشة ولو في خارج البلدة لو كانوا إنما أرادوا حل المشكلة الاقتصادية؟! لكنهم بالجهد أرادوا إعلاء كلمة الله، ونشر الإسلام، وما جاءهم من الغنائم من غير أن يقصد؛ قبلوه وتعاملوا به على ما يرضي الله تعالى.

وليس صحيحاً ما يزعمه مؤلف كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي "محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي من أن ابن سعود توصل بنشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأمنيته، وهي الاستقلال والتخلص من سيادة الأتراك"^(٢).

والواقع أن ابن سعود ونجداً كلها لم تكن تحت سيادة الأتراك كما أثبتناه فيما سبق^(٣) وابن سعود كان مستقلاً، ليس لأحد عليه ولاية من الأمراء والسلاطين، حتى إن العداء كان قائماً بينه وبين سليمان بن

(١) "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" (ج ٢، ص ٣٧٤).

(٢) "الفكر السامي... " (٣٧٤/٢).

(٣) انظر: (٣٨/١) من هذا البحث.

محمد زعيم بني خالد ورئيس الأحساء^(١).

محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود :

يتفق الدكتور العجلاني والدكتور العثيمين على استقرار إمارة الدرعية عشرين سنة في يد محمد بن سعود قبل مبايعته للشيخ، مما يدل على حكمة الرجل وحسن سياسته وقضائه على دسائس المنافسين في الداخل والدفاع ضد الأعداء والطامعين من الخارج، ويبدو أنه على صلوات حسنة مع أمير العيينة؛ لأن ابنه عبد العزيز تزوج بنت عثمان بن معمر، وأما أمير الرياض دهام بن دواس، فإنه كان مدينا لمحمد بن سعود ببقائه في الإمارة؛ لأنه أنجده بعدد من الجنود حين ثار عليه أهل الرياض، فاستقر له الحكم^(٢).

وعلى أية حال، فإذا كان ليس كل أحد يصلح للسياسة والحكم^(٣)؛ فإن محمد بن سعود قد امتاز على غيره بما وهبه الله من ملكات الإمارة والحكم، وأنه كما يقول المؤرخ حسين بن غنام: "كان في جاهليته بحسن السيرة معروفاً، وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفاً، مشهوراً بذلك دون من هنالك، وكان من وفائه أن وفي بكفالاته لزيد بن

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب....." للدكتور العثيمين (ص ٥٣).

(٢) "روضة ابن غنام" (٦-٥/٢)، وانظر: "تاريخ البلاد العربية السعودية" للدكتور العجلاني

(ص ٦٣-٦٤)، وانظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب" للدكتور العثيمين (ص ٥٣).

(٣) انظر: "فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام" رسالة ماجستير أعدها صالح العبود (ص

١٢٥-١٢٦).

مرخان وفاء كلفه ثمنا باهظا، أدى إلى قتل عمه مقرن بن محمد لما خفر الأخير ذمة ابن أخيه بقتله زيد بن مرخان غدرا^(١).

ثم إن الأمير محمد بن سعود قد أدرك بصفاء بصيرته وسلامة تفكيره أنه لا مطمع للشيخ في الإمارة ولا في الرئاسة ولا في أي علو في الأرض ولا فساد من دعوته، بل إلى صلاح الدين والدنيا معاً، إلى عقيدة السلف الصالح، وتيقن من خلال ما سمعه من الشيخ ورآه أن نصيحته صادقة وعرضه صحيح، وأن القيام بنصر دين الله ورسوله ﷺ سبب للنصر والعز والتمكين وحصول الملك، وزاد يقين الأمير رسوخا ما بينه الشيخ له من أن الله سيمكن من يقوم بنصر لا إله إلا الله ويعزه ويورثه الملك، وأن الأمة بحاجة إلى إقامة الدين، وإصلاح ما أفسد الناس، وأن هذا واجب عليه، فقبل محمد بن سعود وأصبح هو المؤسس لدولة آل سعود، وهو الذي سن سنة حسنة لبنية بمناصرة دين الله وإكرام علماء السنة^(٢).

وهذا ما يحققه الدكتور العجلاني أيضاً، حيث يقرر أن مؤسس دولة آل سعود هو محمد بن سعود، بمبايعته للشيخ محمد بن عبد الوهاب على إخلاص العبادة لله وحده، واتباع حكم الإسلام الصحيح في سياسة البلاد^(٣) وإقامة علم الجهاد في سبيل الله.

(١) "روضة ابن غنام" (٣/٢).

(٢) انظر: "عنوان المجد"، لابن بشر، (سابقة سنة ١١٣٩، ج ١/٢٣٤-٢٣٥).

(٣) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٤٦-٤٧).

وأقول: إن مبايعته للشيخ على ذلك لدليل على عظيم عقله، وبعد همته، وطموحه، وتوفيق الله له.

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: "وكفى برهاناً على شجاعته وثبات جأشه، وشهامته وإرادته الحديدية وعزمه البات وقوة إيمانه وسائر خصاله الحميدة إيواؤه للشيخ وقيامه بنصرته، وقد رأى وعلم ما وراء ذلك من الأخطار، وتأليب الملوك والأمراء وعامة الناس عليه، ولولا أنه هو الأوحيد فرد زمانه؛ لما نجح في توطيد دعائم ملكه ونشر سلطته على البلدان وتوحيد كلمة التوحيد تحت لوائه بين خطوب سود ونظراء أقياء، وتكالب من جميع أطراف جزيرة العرب؛ فلهو القائد الباسل، والأوحيد الحلال، فما قام بنصرة هذا الشيخ والأخذ بساعده إلا عن اعتقاد راسخ وإيمان قوي"^(١).

ونستطيع أن ندرك من خلال حديث اللقاء والبيعة بينه وبين الشيخ أنه مدرك لحقيقة الإسلام، ومميز لما هو من دين الله ورسوله من غيره بما آتاه الله من صفاء الفطرة ونفوذ البصيرة، وما بلغه من الحججة على يد الشيخ وغيره، فكان من صدقه ووفائه استجابته وعدم استنكافه عن قبول الحق لما جاءه، وإن كان قد جاءه من مستضعف، ثم أدرك شيئاً بعيداً، فاشتراط على الشيخ إن نصرهم الله أن لا يرتحل عنهم إلى غيرهم؛ لأنه رحمه الله ذو فراسة وذكاء ومن أعظم العقلاء، وأنه حين لقي الشيخ ورآه؛ عرف الصدق في وجهه وبديهته، وتحقق في قوله وحاله حلية أولياء الله، وكل عاقل يرغب في أولياء الله وفي قريتهم،

(١) " الدرر السنية" (٢٩/١٢).

وفعلا وقع ما كان يتوجسه محمد بن سعود من مجيء ابن معمر نادما يطلب عودة الشيخ إليه^(١).

وحيث كان شأن العاقل أن ينقاد لأولياء الله؛ فقد انتقاد الأمير محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لأن الأمير من أعظم عقلاء زمانه، والشيخ من أعظم أولياء زمانه.

قال أبو نعيم في "حلية الأولياء": "واعلم أن لأولياء الله تعالى نعوتا ظاهرة وأعلاما شاهرة، ينقاد لموالاتهم العقلاء والصالحون"، وذكر من نعوت هؤلاء الأولياء ما رواه بسنده عن رسول الله ﷺ ﴿ رب أشعث ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس، لو أقسم على الله عز وجل؛ لأبره ﴾^{(٢)(٣)}.

وكان الشيخ في تلك الآونة ضعيفا مستضعفا، أشعث من السفر، قد نبت عنه أعين الناس أهل الدنيا والبأس؛ إلا أنه من أولياء الله، ومن العلماء بشريعة محمد ﷺ الأمناء، فلا ينقاد له ويوافقه إلا ذو عقل صريح؛ كما هو الشأن من موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح؛ فكان بتوفيق الله ومعونته وفضله على أهل الجزيرة أن وفق لأمر عظيم الفراسة كبير القلب راجح العقل، حيث اغتنم أعظم فرصة وغنيمة سيقت إليه، وكانت سبب ارتفاعه وارتفاع ذكره وذكر نسله من بعده وعزه في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى؛ فرحمة الله عليه وعلى

(١) انظر: (١٦٨/١) من هذا البحث.

(٢) مسند أحمد (١٤٥/٣).

(٣) "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" للحافظ أبي نعيم (٧-٥/١).

خلفه من أسلاف صالحين، وبارك في المعاصرين من خلفه، وثبتهم على أسباب رضى رب العالمين الذي هو عزهم وسبب نصرهم آمين.

هذا وما زال الإمام محمد بن سعود وفياً بالعهود حتى لقي ربه.

الإمام عبد العزيز بن محمد، والعلماء في زمنه

وبعد وفاة الإمام محمد بن سعود سنة ١١٧٩ هـ بويع لابنه عبد العزيز بن محمد إماماً للمسلمين، بايعه الخاص والعام، والشيخ محمد هو رأس ذلك النظام^(١).

وللإمام عبد العزيز مكانة خاصة من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية؛ فمنذ أن كان صغير السن كان له اهتمام بعلم الشيخ؛ فلقد كتب للشيخ والشيخ إذ ذاك في العيينة عند ابن معمر يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتب الشيخ ذلك، وقد ضمن تفسير سورة الفاتحة عقيدة السلف الصالح، وأرسلها إلى الأمير عبد العزيز وقد ناهز الاحتلام^(٢) وما من شك أن تلقي العلم في هذه الفترة من العمر له كبير الأثر والرسوخ.

ولذا؛ فقد اجتمع في الإمام عبد العزيز مؤهلات الإمارة وملكاها ومواهبها، مع رسوخه في العلم وسلامة العقيدة منذ نعومة أظفاره؛ فهو ليس أميراً يناصر الحق بقوة السلطان فحسب، بل مع ذلك عالم ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان.

(١) "روضة ابن غنام" (٧٤/٢).

(٢) انظر: "روضة ابن غنام" (ج ١، ص ٢٢٢) وما بعدها، وانظر: (١٦٤ / ٢) من هذا البحث.

ولهذا الإمام رسالة جليلة القدر، لها أثر كبير وواسع في نشر عقيدة السلف الصالح، افتتحها بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ ثم قال:

"من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب..."، ثم أخذ يشرح عقيدة السلف الصالح بالبيان الواضح والأدلة القوية والبراهين العظيمة، فتكلم عن الحكمة من إيجاد الله الخلق، ومعنى كلمة التوحيد والشفاعة والوساطة، وحق الله وحق رسوله ﷺ وأوليائه، وعن خصوم أنصار العقيدة السلفية، خصوصا أنصار الشيخ الإمام، وعن إرادة الله القدرية الكونية وإرادته الشرعية، وأن المشروع للموتى وللنبي ﷺ الدعاء لهم لا دعاؤهم، وبيان ما يفعل عند قبره ﷺ والمأثور من نهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيداً، وحديث شد الرحال، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، وإنكار عبادة القبور بالدعاء وغيره، وبيان كونها شركاً، وأن حقيقة التوحيد تقتضي الإيمان بالله وعبادته وحده، وعدم الشرك به، ووصف دين المشركين، وبيان الشرك الأصغر والأكبر، وبيان التوسل الصحيح، والنهي عن الإقسام على الله بمخلوق، ثم يبين ما هي الوسيلة، ويكمل وجوه الرد على المشبهين بالحديث لتجويز دعاء غير الله تعالى، ويبين أن العادة هي عداوة القبورين لأهل التوحيد، ورميهم إياهم بالعظائم والجرائم، ونسبة كل قبيح إليهم، وتنفير الناس عن الموحدين؛ بأنهم ينتقصون الصالحين، ثم ختام هذه الرسالة بالتوجيه إلى القرآن الكريم، وإلى حديث رسول

الله ﷻ والعمل بهما، والاستغناء بالسنة النبوية عن البدع والشرك والتخرصات والشطحات التي هي وساوس الشيطان والنفوس المتبعة للهوى، وقد استغرقت هذه الرسالة ما يقارب من (٣٤) صفحة كبيرة^(١).

وله رسالة إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم، أرسلها مع رجل منهم، اسمه محمد خلف النواب، وفد عليهم، وأقام عندهم مدة طويلة، وأشرف على ما هم عليه من الدين الحق وما يدعون إليه الناس ويقالونهم عليه ويأمرونهم به وينهونهم عنه، ويقول في تلك الرسالة: "إن حقائق ما عندنا يخبركم بها أخونا محمد من الرأس"، وذكر لهم جملة ما هم عليه من عقيدة السلف الصالح^(٢).

وكتب أيضا إلى أهل المخلاف السليماني بناء على طلب واحد منهم اسمه الشريف أحمد، قدم عليهم، ورأى ما هم عليه، وتحقق صحة ذلك لديه، ثم التمس من الإمام عبد العزيز أن يكتب له ما يزيل الاشتباه ليعرف أهل هذا المخلاف دين الإسلام وعقيدة السلف الصالح، فضمنها ذلك رحمه الله.

ومما قال: "فلما من الله علينا بمعرفة ذلك، وعرفنا أنه دين الرسل؛ اتبعناه، ودعونا الناس إليه، وإلا؛ فنحن قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة أهل القبور والاستغاثة بهم

(١) "الهدية السننية" لابن سحمان، أولها.

(٢) "الدرر السننية" (ج ١، ص ١٤٣-١٤٦).

والتقرب إلى الله بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم، مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات، وارتكاب الأمور المحرمات، وترك الصلوات، وترك شعائر الإسلام، حتى أظهر الله تعالى الحق بعد خفائه، وأحيا أثره بعد عفائه، على يد شيخ الإسلام، فهدى الله تعالى به من شاء من الأنام، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله له في آخرته المآب، فأبرز لنا ما هو الحق والصواب، من كتاب الله المجيد وسنة رسوله ﷺ وكلام الأئمة الأعلام الذين أجمعت الأمة على درايتهم، ثم مضى يبين ما هم عليه من التزام عقيدة السلف الصالح.

وله رسائل أخرى ونصائح رحمه الله موزعة في "الدرر السنية" وغيرها^(١). وطلب الإمام عبد العزيز من الشيخ محمد أن يكتب رسالة موجزة في أصول الإسلام ليتعلمها الناس، فكتب الشيخ "ثلاثة أصول"، وهي: معرفة الرب المعبود والرسول ﷺ ودين الإسلام بالأدلة، مبنية على مسائل القبر الثلاث: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وأرسلها الإمام عبد العزيز إلى جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها في المساجد على يد أئمتها وطلبة العلم، وأن يعملوا بها جميعا بدون استثناء، فصاروا يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة "ثلاثة الأصول"^(٢).

وقد كتب بصيغ مختلفة؛ مطولة ومختصرة، وباللغة الفصحى

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص ١٤٦-١٤٨)، وانظر: (ص ١٥٢، ١٥٣).

(٢) "الدرر السنية" (ج ١/٨٧-٨٩).

وبالعامية، على حسب طبقات الناس، وعلى مستوى كل طبقة وما يناسبها، وكان الشيخ يعلمها الناس في الدرعية، ويأمرهم بتعلمها^(١) وألحق بها شروط الصلاة وأركانها، ونحو ذلك من أمور الدين التي لا يسع أحدا من المسلمين جهله.

وأرسل الإمام عبد العزيز برسائل للشيخ منها "كتاب التوحيد" إلى الوزير سليمان باشا في بغداد نصيحة له^(٢) فأحالها الباشا إلى عبد الله أفندي الراوي البغدادي خطيب المسجد المنسوب للوزير سليمان باشا، فقام الراوي بالرد عليها برسالة مضمونها أن التوحيد مختص بمعنى الربوبية؛ فالإله اسم مختص بالخالق الرازق الضار النافع فحسب^(٣) فرد عليه محمد بن علي بن غريب بالكتاب المسمى: "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق"، وفند شبهه، وكسر تحدياته، وأرسل إليهم في العراق، ووجد مخطوطا في بغداد عند رجل يقال له: الملا دليم، ليس له عنوان، وليس عليه اسم مؤلفه، ثم طبع عام ١٣١٩ هـ بالمطبعة الشرقية بمصر، وجعل اسمه: "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق"، ونسب تأليفه للشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وليس له، وإنما هو لشيخه محمد بن غريب المذكور، ذلك أن في الكتاب

(١) "عنون المجد... " لابن بشر (ج ١، ص ١٤، وص ٩٠-٩١).

(٢) "الدولة السعودية الأولى" للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن (ص ١٩٢).

(٣) انظر: "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق" (ص ١٠، ١٧).

مسائل يبعد أن تصدر من الشيخ سليمان في علمه وتحقيقه؛ مثل قوله: "فالله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو تعالى كما كان قبل أن يخلق المكان"^(١) ومثل هذه العبارة ليست على طريقة السلف في العقيدة؛ فإن المعطلة يقصدون بها نفي استواء الرب على عرشه استواء حقيقياً يليق بجلاله^(٢) بالإضافة إلى أن صاحب "السحب الوابلة" ذكر أن ابن غريب هو الذي رد على أهل العراق.

ويوجد لكتاب "التوضيح" هذا نسخة خطية في المكتبة السعودية بالرياض، ناقصة من الآخر قليلاً، بخط حسن، وعليها تملك الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ عام ١٣١٩ هـ، ثم انتقلت منه إلى أخيه الشيخ محمد بن عبد اللطيف^(٣).

وبغض النظر عن الغلط الموجود في الكتاب كما ذكرنا؛ فهو ذو أثر بالغ في نشر عقيدة السلف الصالح، خصوصاً في بيان معنى التوحيد. ويقول ابن بشر: "وكان عبد العزيز كثير الخوف من الله والذكر؛ أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته، لا يتعاضم عظيماً إذا ظلم فيقمعه عن

(١) انظر: "التوضيح... " (ص ٤٣).

(٢) حاشية بقلم محمد بن مانع على كتاب "تحفة المستفيد" (قسم ٢، ص ١٠٤، حاشية رقم

١). و"علماء نجد خلال ستة قرون" للسام (٣/٩١٥-٩١٦).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٣/٩١٥، ٩١٦).

الظلم وينفذ الحق فيه، ولا يتصاغر حقيرا ظلم فيأخذ له الحق ولو كان بعيد الوطن، وكان لا يكثرث في لباسه ولا سلاحه، بحيث إن بنيه وبني بنيه محلاة سيوفهم بالذهب والفضة ولم يكن في سيفه شيء من ذلك إلا قليلا، وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، ويصلي فيه صلاة الضحى، وكان كثير الرأفة والرحمة بالرعية، وخصوصا أهل البلدان؛ بإعطائهم الأموال، وبث الصدقة لفقرائهم، والدعاء لهم، والتفحص عن أحوالهم".

يقول ابن بشر: "وقد ذكر لي بعض من أتق به أنه يكثر الدعاء لهم في ورده؛ قال: وسمعته يقول: اللهم أبق فيهم كلمة لا إله إلا الله حتى يستقيموا عليها ولا يجيدوا عنها. وكانت الأقطار والرعية في زمنه آمنة مطمئنة في عيشة هنيئة، وهو حقيق بأن يلقب مهدي زمانه؛ لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة أي وقت شاء، شتاء وصيفا، شاماً، شرقاً وغرباً، في نجد والحجاز واليمن وتهامة وعمان وغير ذلك، لا يخشى أحداً إلا الله؛ لا سارقاً، ولا مكابراً، وكانت جميع بلدان نجد من العارض والخرج والقصيم والوشم والجنوب وغير ذلك من النواحي في أيام الربيع يسيبون جميع مواشيهم في البراري والمفالي^(١) من الإبل والخيل الجياد والبقر والأغنام وغير ذلك، ليس لها راعي ولا مراعي، بل إذا عطشت وردت على البلدان، ثم تصدر إلى مفاليها، حتى ينقضي الربيع، أو يحتاج لها أهلها لسقي زروعهم

(١) "عنوان المجد" لابن بشر (ج ١، ص ١٢٤-١٢٥). و(المفالي): جمع مفلى، أي: مراعي بلغة أهل نجد العامية.

ونخيلهم، وربما تلقح وتلد ولا يدري أهلها إلا إذا جاءت وولدها معها؛ إلا الخيل الجياد، فإن لها من يتعاهدها في مفايلها لسقيها وحدها بالحديد. وكانت إبل أهل سدير ونجائبهم ونخيلهم مسيات أيام الربيع في الحمادة وفي أراط والعبلة، ومعها رجل واحد يتعاهدها ويسقيها ويزور أهله ويرجع إليها وهي في مواضعها فيصلح أربطها وقيودها ثم يغيب عنها، وكذلك خيل أهل الوشم ونجائبهم في الحمادة وفي روضة محرقة وغيرهما، وهكذا يفعلون بها، وكذلك خيل عبد العزيز وبنيه وعشيرته في النقعة، الموضع المعروف قرب بلد ضرمي، وفي الشعيب المعروف بقري عبيد في وادي حنيفة، وليس عندها إلا من يتعاهدها لمثل ما ذكرنا، وكذلك جميع النواحي تفعل ذلك.

وكان رحمه الله تعالى من رأفته بالرعية شديداً على من جنى جناية من الأعراب أو قطع سبلاً أو سرق شيئاً من مسافر أو غيره؛ بحيث من فعل شيئاً من ذلك؛ أخذ ماله نكالا أو بعض ماله أو شيئاً منه على حسب جنايته، وأدبه غير ذلك أدباً بليغاً.

ويذكر ابن بشر أن السبل والطرق تأمنت كثيراً في عهد الإمام عبد العزيز، فكان أهل الأسفار يسافرون ويرجعون إلى أوطانهم لا يخشون أحداً من جميع البوادي مما احتوت عليه هذه المملكة؛ لا بحرب ولا سرق، وليس يؤخذ منهم شيء من الإتاوات والقوانين والجوائز التي يأخذها الأعراب على الدروب يحيون بها سنن الجاهلية، فبطلت جميعها والله الحمد، وصار بعض العمال إذا جاؤوا

بالأخماس والزكاة من أقاصي البلاد يجعلون مزاود الدراهم أطنابا لخيמתهم وربطاً لخييلهم بالليل لا يخشون سارقاً ولا غيره، ونمت المواشي والثمار، وساد الأمن جميع البلاد، وهذا من أثر عقيدة السلف الصالح التي أظهرها الشيخ؛ قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

مُهْتَدُونَ ﴾ (١).

وكان الإمام عبد العزيز يوصي عماله بتقوى الله وأخذ الزكاة على الوجه المشروع وإعطاء الضعفاء والمساكين، ويزجرهم عن الظلم وأخذ كرائم الأموال، ويكثر العطاء والصدقات للرعية من الوفود والأمراء والقضاة وأهل العلم وطلبته ومعلمة القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد، حتى أئمة مساجد نخيل البلدان ومؤذنيهم.

وإذا أراد من الناس الغزو معه أو مع ابنه سعود؛ بعث رسله إلى رؤساء القبائل من العربان، وواعد جميعهم يوماً معلوماً على ماء معلوم، فلا يتخلف أحد عن ذلك الموعد؛ لا حقير ولا جليل، لا من بوادي الحجاز ولا العراق ولا الجنوب ولا غير ذلك، فمن ذكر متخلفاً ممن تعين عليه الأمر من راجل أو فارس؛ أدب أدباً بليغاً وأخذ من ماله نكالا، والرجل الواحد أو الاثنان إذا أرسلهم عبد العزيز وابنه سعود إلى البوادي من جميع أقطار جزيرة نجد؛ أخذوا منهم النكال من الأموال والخيل والإبل وغير ذلك، ويضربون الرجال، ويعذبون المحرم بأنواع

(١) سورة الأنعام آية : ٨٢.

العذاب، ولا يتجاسر أحد أن يقول لهم شيئاً، أو يشفع فيه، بل كلهم طائعون مدعنون.

قال ابن بشر: "وهذا الذي ذكرت من جهة الأمن وطاعة الحاضر والباد وغير ذلك اتفق في زمنه وزمن ابنه سعود وصدر من ولاية عبد الله".

ثم مضى ابن بشر يذكر أمراء عبد العزيز وقضاته^(١).

ومن هؤلاء القضاة الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي أخذ عن أبيه، واستكمل فنون العلم، وفاق بالمعرفة أقرانه، حتى صار الخليفة بعد أبيه والقاضي في بلد الدرعية^(٢) وكان له دور كبير في نشر عقيدة السلف الصالح وتأثره بها وتأثيره في الناس لحملها ونشرها وتطبيقها، وله عدة بنين طلبة علم وقضاة.

قال ابن بشر: "ومعرفتي منهم بعلي وحمد وحسن وعبد الرحمن وعبد الملك، فأما علي، فهو الشيخ الفاضل وحاوي الفضائل، العلامة في الأصول الفروع، الجامع بين المعقول والمشروع، كشاف المشكلات، مفتاح خزائن أسرار الآيات، قاضي الدرعية بوجود أعمامه، وخليفتهم فيها إذا غابوا زمن سعود وابنه عبد الله، ثم ولي القضاء لتركي بن عبد الله رحمه الله تعالى في حوطة بني تميم، ثم

(١) "عنوان المجد في تاريخ نجد" (ج ١، ص ١٢٦-١٢٩، وفي طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩٤هـ، ص ١٦٨-١٧٨).

(٢) "الدرر السنية" (١٢/٤٦)، و"مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ٢٨).

كان قاضيا في بلد الرياض عند الإمام فيصل بن تركي أسعده الله تعالى^(١) اهـ.

وذكر ابن بشر أن له اليد الطولى في معرفة الحديث ورجاله، وأنه علق شرحا على "كتاب التوحيد" تأليف جده محمد بن عبد الوهاب^(٢) لكن عبد الرحمن بن عبد اللطيف المعلق على "عنوان المجد" ينكر وجود هذا الشرح^(٣) ولا وجه لإنكاره؛ فقد يكون في زمن مبكر، وله رسائل وفتاوى نشرت مفرقة في "الدرر السننية" التي جمعها عبد الرحمن بن قاسم، وفي "الرسائل والمسائل النجدية" طبع محمد رشيد رضا^(٤).

ومن هؤلاء القضاة أيضا الشيخ الزاهد الورع عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين، الذي طبق بركة علمه الآفاق، وشهد له بالفضل أهل الآفاق، القاضي في ناحية الوشم زمن عبد العزيز وابنه سعود وابنه عبد الله^(٥).

أخذ الفقه في صغره عن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل،

(١) ابن بشر "عنوان المجد... " (٩٣/١).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد... " (٩٣/١).

(٣) هامش (ص ٨٧، رقم ١، من جزء ١) من "عنوان المجد"، طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٨٧هـ.

(٤) "الدرر السننية" (٤٥/١٢)، و"مشاهير علماء نجد" (ص ٤٩).

(٥) ابن بشر "عنوان المجد .. " (٩٤/١)، و"الدرر السننية" (١٢ / ٤٩ - ٥٠).

ثم أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابنه الشيخ عبد الله والشيخ حسين والشيخ حمد بن ناصر بن معمر وخلق غيرهم، له مجالس في التدريس مشهورة، وأوقاته بالعبادة معمورة، وله رسالة في معنى التوحيد وفتاوى، ولي القضاء في الوشم في ولاية الإمام عبد العزيز بن محمد وأول ولاية الإمام سعود، وأخذ عنه عدة من العلماء، منهم الشيخ عبد الله أبا بطين، والشيخ إبراهيم بن سيف، والشيخ غنيم بن مسفر، والشيخ عبد الله بن سيف، والشيخ محمد بن عبد الله الحصين، والشيخ عثمان بن منصور، والشيخ علي بن يحيى بن مساعد، والشيخ عبد الله بن سليمان بن عبيد، والشيخ محمد بن سيف، والشيخ إبراهيم بن حجي، والشيخ عثمان بن عبد المحسن أبا حسين، والشيخ محمد بن نشوان، والشيخ عبد الله القضيبى، ولم يل القضاء، والشيخ عبد الكريم بن معقل، وغيرهم ممن لم يل القضاء الجم الغفير^(١).

الإمام سعود بن عبد العزيز، والعلماء في زمنه

وكان للشيخ عبد العزيز الحصين جهود خاصة في نشر عقيدة السلف الصالح لدى شريف مكة وعلمائها، حيث كان الذي وقع عليه الاختيار من قبل الشيخ والإمام عبد العزيز ليكون مفوضاً عنهما في شرح المعتقد وبيان حقيقة الدعوة بناء على طلب شريف مكة.

يقول السباعي: "في سنة ١١٨٥ هـ طلب الشريف أحمد بن سعيد من

الإمام عبد العزيز بن محمد ومن الشيخ محمد بن عبد

(١) ابن بشر "عنوان المجد..." (١/٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤)، و"الدرر السنية" (١٢/٥٠).

الوهاب أن يرسل إليه فقيها منهم؛ يبين له حقيقة الدعوة بمحضر من علماء مكة، فأرسل الشيخ عبد العزيز الحصين، ووقعت المناظرة مع بعض علماء مكة، منهم مفتي السلطان في مكة، بحضور الشريف أحمد، في ثلاث مسائل:

١- في التهمة المفتراة على الشيخ، وهي: التكفير بالعموم.

٢- هدم القباب التي على القبور.

٣- طلب الشفاعة عند الله من الأموات^(١).

ويذكر ابن غنام أن الإمام عبد العزيز والشيخ محمد كتبوا مع الشيخ عبد العزيز الحصين رسالة إلى الشريف أحمد بن سعيد، يهيبان به أن ينصر الشريعة المحمدية ومن تبعها، وأن يعادي من خرج عنها؛ كما هو الواجب على ولاية الأمور، ويذكران أنهما تجاوبا مع طلبه أن يرسل إليه طالب علم يشرح له ولعلماء مكة عقيدة السلف الصالح التي قاما بنصرتها، فأرسل إليه الشيخ الحصين للحضور مع علماء الحرم في مجلس الشريف، فإن اجتمعوا؛ فالحمد لله، وإن اختلفوا؛ أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة، مع قصد وجه الله، ونصرة رسوله ﷺ وقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمدا ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه؛ فكيف بأمتهم؛ فلا بد من الإيمان به ونصرته، لا يكفي أحدهما عن الآخر، وأحق الناس وأولاهم بذلك أهل البيت الذين بعثه الله منهم، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته ﷺ^(٢).

(١) "تاريخ مكة" للسباعي (ج ٢، ص ٧٧، ١٢٤).

(٢) "روضة ابن غنام" (ج ٢، ص ٨٠-٨١).

وقال ابن غنام: "فذكر لهم الشيخ عبد العزيز الحصين أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا، وأما هدم القباب؛ فهو الحق والصواب، كما هو مقرر بالأدلة في كتب كثيرة، وليس لدى العلماء فيه شك، وأما دعاء الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل، فقد نص عليه الأئمة أنه من الشرك الذي فعله الأولون، ولا يجادل فيه إلا جاهل ظالم. ثم أحضروا من كتب الحنابلة "الإقناع"، فأرأوا عبارته في الوسائط، وحكايته الإجماع، فاقتنعوا وأقروا وتفوهوا بأن هذا دين الله، وانتشر فيما بينهم وشاع، وقالوا: هذا مذهب الإمام أحمد، وانصرف عبد العزيز مبجلاً ومكرماً^(١).

ويبدو أن الشريف قد اقتنع بصحة العقيدة، وأنها عقيدة السلف الصالح، ولكن ثار آل مساعد على عمهم أحمد بن سعيد هذا، وانتزعوا من يده ولاية مكة بالقوة، فأخرجوه منها، ووضعوا مكانه شريفاً آخر، هو ابن أخيه سرور بن مساعد، سنة ١١٨٦ هـ، فمنع أهل نجد من الحج إلا بضريبة، ثم تولى أخوه غالب.

وفي سنة أربع ومئتين وألف للهجرة أرسل غالب الشريف إلى الإمام عبد العزيز كتاباً، وذكر في أثثه أنه يريد إنساناً عارفاً من أهل الدين حتى يعرف حقيقة الأمر، فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز الحصين، وكتب معه الشيخ رسالة يبين فيها عقيدة السلف الصالح

(١) "روضة ابن غنام" (١/٢٠٨).

التي يدعو إليها، ونصها بعد البسملة:

من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام نصر الله بهم سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابعي الأئمة والأعلام، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم، وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، ومع هذا نهيئناهم عن دعوة الصالحين، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسألة، مع ما ذكرنا من هدم البناء الذي على القبور؛ كبر على العامة، وعاضدهم بعض من يدعي العلم لأسباب ما تخفى على مثلكم، أعظمها اتباع الهوى، مع أسباب أخرى، فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها، وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام، فنحن والله الحمد متبعون لا مبتدعون، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

وتعلمون أعزكم الله أن المطاع في كثير من البلدان لو يتبين^(١) بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك، وأنتم تعلمون رحمكم الله أن في ولاية الشريف أحمد ابن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله، وأشرفتم على ما

(١) يتبين بالعمل؛ معناه: يظهر العمل.

عندنا بعدما أحضروا كتب الحنابلة التي عندنا عمدة كـ"التحفة" و"النهاية" عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره، امتثلنا، وهو إليكم واصل، فإن كانت المسألة إجماعاً؛ فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد؛ فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته؛ لا ينكر عليه، وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم أي على دين الله ورسوله، وأني متبع لأهل العلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم ذكر ابن غنام أن غالب أكرم عبد العزيز الحصين لما قدم عليه مكة المشرفة بهذه الرسالة، واجتمع معه مرات عديدة، وعرض عليه رسالة الشيخ المفيدة، فعرف ما بها من الحق والهدى، وما نفته من الباطل والردى، فأذعن بذلك وأقر، ثم بعد مدة؛ تنكر وتمسك بقديم سنته، وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه، فيقف على كلامهم ويسمعه، وينظرهم في أصول التوحيد، فأبوا عن الحضور، وقالوا: هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آباءك وأجدادك، ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك. فطار لبه، وارتعش قلبه^(١) فصار يقاتل أهل التوحيد، ثم لم يربح، بل خسر حيث عاند الحجة التي أقامها عليه الشيخ عبد العزيز الحصين^(٢).

(١) "روضة ابن غنام" (ج ٢، ص ١٤٤-١٤٥).

(٢) انظر: "تاريخ مكة" للسباعي (٢/ ٧٧-٨٠، ٩٢-٩٤، ١٢٣-١٢٤)، و"عنوان المجد.."

لابن بشر (١/ ١٢٢)، و"روضة ابن غنام" (ج ٢، ص ١٤٥-١٥٠).

ومن هؤلاء القضاة في عهد الإمام عبد العزيز الشيخ العالم حمد ابن ناصر بن عثمان بن معمر، ولد في الدرعية، وأخذ عن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب حتى كان فقيهاً محدثاً زاهداً عابداً كثير الخير، له قدم راسخ في الفتوى، وله رسائل وأجوبة تبلغ مجلداً، فرقها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في مواضع من "الدرر السنية" حسب ترتيبه لها^(١) ومن هذه الرسائل رسالة جيدة ألفها الشيخ حمد بعنوان "النبذة الشريفة في الرد على القبورين"؛ جواباً لأسئلة أوردتها بعض المجادلين على الشيخ محمد بن أحمد الحفظي اليمني في جمادى الثانية من شهر سنة سبع عشرة بعد المئتين والألف من الهجرة، فطلب جوابها، واستغرقت ستاً وستين صفحة، وله أيضاً في "مجموعة الرسائل والمسائل" رسالة له في معرفة الدليل والتقليد، واستغرقت ثلاثين صفحة، وعدة رسائل آخر في مسائل فقهية واستغرقت اثنتين وستين صفحة^(٢) وكان قاضياً في الدرعية وغيرها، ثم أرسله الإمام سعود قاضياً ومعلماً في مكة المكرمة، وأقام فيها مدة، وتوفي فيها سنة ١٢٢٥ هـ^(٣).

ويذكر الشيخ حسين بن غنام في حوادث سنة ١٢١١ هـ من

(١) ابن بشر "عنوان المجدد.. " (١/٩٤)، و"الدرر السنية" (١٢/٤٧)، وتوجد في "مجموعة

الرسائل والمسائل النجدية" (ج ٤، ص ٥٩١-٦٦٢).

(٢) انظرها في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (ج ٢) تحت عنوان رسائل وفتاوى الشيخ

حمد بن ناصر بن معمر.

(٣) "الدرر السنية" (١٢/٤٧).

"تاريخه" الجزء الثاني أنه في هذه السنة أرسل غالب الشريف رسلا إلى عبد العزيز يطلب منه علماء من أهل الدين والتوحيد، ويزعم أنه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر، ولينجلي له في مناظرتهم ما كان خافيا عليه، وكان من حسن سيرة عبد العزيز وعظيم فضل الله عليه أنه يدعو إلى الله تعالى بالتي هي أحسن وأحكم، ويرشد العباد للتي هي أقوم، فرأى إجابة الشريف غالب إلى ما طلب، فعسى أن يكون له سبباً للسعادة، وأرسل إليه جماعة من أهل الدين والعلم المشهورين بحسن المحاضرة في المناظرة بالبراهين، وكبيرهم حمد بن ناصر بن معمر ورئيسهم وأميرهم، فلما وصلوا؛ دخلوا مكة معتمرين، ومعهم جزر مهداة من سعود تذبح في الحرم، فنحروها في المروة من شعائر الله، فقابلهم الشريف بالإكرام، وأحضرهم لديه مع علمائهم ليال، وعقدوا للمناظرة مجالس، فكانت الغلبة بالحجة للشيخ حمد بن معمر وأصحابه على علماء الشريف غالب، لكن علماء الشريف غالب أجمعوا على المغالطة في الألفاظ، فأبرموا ذلك، ولكنهم لم يعثروا في حجج الشيخ وما سرده من صحيح السنة القامعة على شيء فيه لبس لدى العلماء المنصفين سوى لفظة جرى اللسان فيها على اللحن في الإعراب، فارتفع من بعضهم عند ذلك التخطئة في الجواب مبادرين ومعاجلين؛ رغم أن الحجة فالجة وقاطعة وملزمة، لكنهم جحدوا وشوشوا !

وصفة ما جرى أنهم حضروا بيت الشريف تجاه بيت الله الحرام، وجرت

المناظرة بينهم في مسألتين: مسألة قتال الموحدين

الناس ما وجهها؟ فطلب من حمد بيان الحجة والدليل والبرهان، فأتى لهم بالنصوص القاطعة، وأصل لهم الأصول الواضحة، وأسمعهم من نصوص الآيات والأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة والوضحة، وأوقفهم على المنصوص في الكتب المعتمدة عندهم، وكانوا من قبل ينكرون وجودها في الكتب أصلاً، وتفوهوا بذلك بحضرة الشريف، فلما أوقفهم حمد عليها؛ خجلوا وخافوا، فأقروا وسلموا لتلك النصوص. ثم تفاوضوا بعد ذلك في مجالس عديدة في دعوة الأموات، فأبدى لهم حمد من النصوص الصحيحة والآثار الراجحة والأقوال السديدة ما أدهش العقول مما لا يسع المنصف إنكاره، ولكنهم جحدوا أن يقع ذلك في الوجود، وأنكروا وجوده في الأقطار، رغم وجوده عندهم واقعا مشهودا، يشهده الخلق عيانا عندهم وجهارا.

ثم يقول ابن غنام: "لا بدع فيما جرى منهم؛ فقد قال كبيرهم أول ما قال وتأهب للمناظرة وجر ذيول المفاخرة: اعلم أي لا أناظرك بالدليل من الكتاب والسنة، ولا أطلبك بما قاله علماء المذاهب، سوى ما قال به إمامي أبو حنيفة؛ لأني مقلد له فيما قال؛ فلا أسلم لغير قوله، ولو قلت: قال رسول الله ﷺ أو قال الله تعالى؛ لأنه أعلم مني ومنك، والأخذ بغير قول الأئمة مهلك".

ويقول ابن غنام: "فلما انقضت تلك الأيام والليالي، وانتهت ساعات الجدل والمناظرة؛ طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر تأصيل ما برهن به واحتج به وقرره، وكتابة ما سجله عليهم أثناء المناظرة؛ فانتدب لذلك، فحرر من الكتب التي عندهم ما أرادوه رسالة أوجز فيها

ما فيه حجة ودلالة تكفي المنصف العاقل للشهادة بفضل محررها وصحة وصدق مضمونها"، ثم أورد الشيخ ابن غنام نصها، وشغلت ما يقارب ثلاثين صفحة من الجزء الثاني من "تاريخ ابن غنام"^(١) وهي في "الهدية السنية" التي جمعها الشيخ سليمان بن سحمان، وشغلت خمسا وثلاثين صفحة^(٢) واستغرقت في "الدرر السنية" ثمانياً وعشرين صفحة^(٣).

وقد أشار إلى هذه المناظرة الشيخ محمد بن علي الشوكاني؛ حيث قال في ترجمة الشريف غالب: "وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين"^(٤).

وطبعت في رسالة مستقلة بمؤسسة النور بالرياض، ويذكر ناشرها أنه سمى أجوبة الشيخ حمد المذكورة "الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب"^(٥).

ومن هؤلاء القضاة في زمن الإمام عبد العزيز: الشيخ سعيد بن حجي؛ رحل إلى الدرعية، فقرأ على الشيخ، وأخذ عن ابني الشيخ حسين وعبد الله، وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وعلى غير

(١) "روضة ابن غنام" (ج ٢، ص ٢٠٣ - ٢٣٢).

(٢) "الهدية السنية" (طبعة المنار، ص ٥١-٨٧).

(٣) "الدرر السنية" (ج ٢، ص ١٧٦-٢٠٤).

(٤) "البدر الطالع" (ج ٢، ص ٧).

(٥) المقدمة (ص ٢-٣).

هؤلاء من علماء الدرعية، وكان قاضيا في حوطة بني تميم زمن عبد العزيز وابنه سعود، وله رسائل في كلمة الإخلاص وفي أجوبة فقهية محررة سديدة نشرت في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية"^(١).

ومن هؤلاء القضاة الشيخ حمد بن راشد العربي القاضي في ناحية سدير زمن عبد العزيز^(٢).

ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن خميس الذي صار عالما وإماما في قصر آل سعود وقاضيا في الدرعية زمن عبد العزيز وابنه سعود^(٣).

ومنهم الشيخ حسين بن عبد الله بن عيدان الذي صار قاضيا في بلد حريملاء زمن عبد العزيز ودرس وأفتى في مقر عمله^(٤).

ومنهم الشيخ محمد بن سويلم الذي صار بسبب الأخذ عن الشيخ محمد عالما وقاضيا في بلد الدلم وناحية الخرج زمن عبد العزيز^(٥).

(١) "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (ج ٤، ص ٨٤٠-٨٧٦، وج ١، ص ٦٠١-٧٢٥). وانظر: "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (١/٩٤)، و"علماء نجد خلال ستة قرون" (١/٢٧٣).

(٢) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (١/٩٤)، و"علماء نجد خلال ستة قرون" (١/٢٢٣).

(٣) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (١/٩٤، ١٢٩، ١٦٩، ١٧٥).

(٤) "عنوان المجد... لابن بشر (١/٩٤)، و"علماء نجد... (١/٢١٤) ٠٠.

(٥) ابن بشر "عنوان المجد... (١/٩٤).

ومنهم الشيخ عبد العزيز بن سويلم العريني الذي صار عالما قاضيا في ناحية القصيم زمن عبد العزيز وابنه سعود وابنه عبد الله، وكان مقره مدينة بريدة وما حولها، فاستمر في القضاء مدة طويلة ودرس وأفتى، فانتفع بعلمه جماعة منهم الشيخ عبد الله بن صقيه، وبقي بعد خراب الدرعية وهو لا يزال القاضي والمدرس في القصيم حتى توفي، فتولى القضاء بعده تلميذه عبد الله بن صقيه^(١).

وغير هؤلاء من القضاة عدد كبير.

وكان القضاة لا يعينون إلا بمشورة من الشيخ محمد؛ لأن منصب القضاء منصب مهم له تأثير كبير، فبالإضافة إلى القضاء يتولون الإمامة والخطابة والتدريس والفتوى والإرشاد، ويكونون أصحاب الكلمة الفاصلة في البلد الذي يتولون القضاء فيه، ولا يخفى ما يكون لهم من أثر كبير وعظيم في نشر عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

وقد كان لخلق كثير وجم غفير أثر في نشر عقيدة السلف الصالح التي تلقوها عن الشيخ محمد زمن الإمام عبد العزيز وبعد زمنه ممن ولي القضاء وممن لم يله من العلماء والأعيان ومن دونهم^(٢).

(١) ابن بشر "عنوان المجد... " (١ / ٩٤)، و"علماء نجد" (٢ / ٤٦٣، ٥٥٩).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد... " (١ / ٩٤ - ٩٥)، و " مجلة الدارة" (العدد الثاني / رجب /

١٣٩٨ هـ، صورة اللوحة من كتاب "رفع العقاب"، رقم ٥٤ و ٧٥، ص ٩٧).

ومن هؤلاء ابن الشيخ؛ الشيخ علي.

قال ابن بشر: "كان عالماً، جليلاً، ورعاً، كثير الخوف من الله، وكان يضرب به المثل في بلد الدرعية بالورع والديانة، وله معرفة في الفقه والتفسير وغير ذلك، وراودوه على القضاء، فأبى عنه، وأبناؤه صغار ماتوا قبل التحصيل؛ إلا محمداً؛ فإنه طالب علم، وله معرفة"^(١) اهـ.

ومنهم أيضاً ابن الشيخ؛ الشيخ إبراهيم.

قال ابن بشر: "رأيت عنده حلقة في التدريس، وله معرفة في العلم، ولكنه لم يل القضاء، قرأت عليه في صغري في "كتاب التوحيد" سنة أربع وعشرين ومئتين وألف"^(٢).

وأبناء الشيخ على العموم ممن حمل ميراث أبيهم ونشره بصفة خاصة، كيف لا وهو عقيدة السلف الصالح وميراث العلماء الصالحين رحمهم الله ورضي عنهم؟!!

قال ابن بشر عنهم: "ولقد رأيت لهؤلاء الأربعة العلماء - حسين وعبد الله وعلي وإبراهيم - مجالس ومحافل في التدريس في الدرعية عندهم من طلبة العلم من أهل الدرعية وأهل الآفاق الغرباء ما يفضي لمن حكاه إلى التكذيب، ولهؤلاء الأربعة المذكورين من المعرفة ما فاقوا به أقرانهم، وكل واحد منهم قرب بيته مدرسة فيها طلبة العلم

(١) عنوان المجد ... " (١/٩٣).

(٢) "عنوان المجد ..." (١/٩٣).

الغرياء، ونفقتهم من بيت المال، ويأخذون عنهم العلم في كل وقت"^(١).
قال محمد الحفظي بعد ثنائه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أولاد
الشيخ: "أولاده مشايخ التحقيق، وسدرة في منتهى الطريق"^(٢).
ومن هؤلاء غير أبناء الشيخ: الشيخ أحمد بن مانع الوهبي التميمي،
انتقل من أشيقر إلى الدرعية في أول عهد الدعوة السلفية، فقرأ على الشيخ
محمد بن عبد الوهاب، وأدرك حظه من العلوم الشرعية، وكان من الموالين
لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المدافعين عنها.
قال ابن بسام: "وقد اطلعت له على رسالة يرد بها على عبد الله المويس
- أحد علماء نجد المعادين لدعوة الشيخ محمد- في ترخيصه للناس في
التخلف عن صلاة الجماعة وتهوين أمرها بحجة أن الإمام من أتباع ابن عبد
الوهاب، فبين أن ابن عبد الوهاب إنما يدعو الناس إلى التوحيد والتبري من
الشرك وأهله، وهذا دين النبي ﷺ؛ فلا يسع المسلم غيره، وبين الأدلة
الشرعية على وجوب صلاة الجماعة على الأعيان، وقد توفي في الدرعية في
شهر رمضان عام ١١٨٦ هـ"^(٣).

(١) "عنوان المجد ... " (١/٩٣).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي (١١٧٨-١٢٣٧ هـ) من أهل عسير. "الدرر
السنية" (١٢/٤٧).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/١٨٣).

وقد كان لبعض المشايخ الكبار الذين ليسوا من تلاميذ الشيخ المتخرجين على يديه جهود طيبة في نشر عقيدة السلف الصالح متأثرين بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ومنهم الشيخ المؤرخ حسين بن غنام، قد التقى بالشيخ محمد ابن عبد الوهاب، واستفاد منه، ودون كثيرا من علم الشيخ ورسائله، وأرخ للشيخ وأنصاره وللإمام من آل سعود تأريخا مباشرا من أشمل التواريخ، ودون كثيرا من أخبارهم؛ فتاريخه من أوثق التواريخ التي كتبت في هذا الشأن، وسبق أن طلب العلم على علماء بلده الأحساء، ولذا لما وصل الدرعية؛ كان أهلا لأن يجلس للتدريس.

قال عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: "نرح من الأحساء إلى مدينة الدرعية، فقدمها على الإمام عبد العزيز بن محمد والشيخ محمد بن عبد الوهاب، فأكرمهم وأنزلهم المنزلة الرفيعة، فاستقر في الدرعية، وجلس فيها لطلبة العلم يقرءون عليه في علم النحو والعروض فقط، فأخذ عنه جملة من علماء الدرعية"، وذكر من فضلائهم: سليمان بن عبد الله بن الشيخ، وعبد العزيز بن حمد بن معمر، وعبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ^(١).

ويعتبر الشيخ حسين بن غنام ممن شهد بالحق لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن الذين ناصروها بالقلم وبيان الحق والعلم؛ فمن ذلك ست قصائد قالها هي:

(١) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ١٤٧) ٠٠

- ١- قصيدة في رثاء الشيخ وذكر محاسنه، وسبق أن ذكرناها^(١).
- ٢- قصيدة بمناسبة جلاء دهام بن دواس ومطلعها:
كشفت الحق ظلمة الأغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس^(٢)
- ٣- وموعظة لبعض من تزعم عن لزوم الحق، ومطلعها:
نفوس الورى إلا القليل ركونها إلى الغي لا يلقى لدين حنينها^(٣)
- ٤- والرابعة رد على قصيدة محمد بن عبد الله بن فيروز، ومطلعها:
على وجهها الموسوم بالشؤم قد خطا عروس هوى ممقوتة زارت الشطا^(٤)
- ٥- والخامسة بمناسبة قتل ثويني وتهنئة الأمير سعود ووالده الإمام عبد العزيز بن محمد حين فتح الأحساء، ومطلعها:
تألأ نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الظهر^(٥)
- ٦- والسادسة بمناسبة تهنئة سعود بن عبد العزيز بالحج، وذكر

(١) انظر: (١/ ٢٣٧) من هذا البحث.

(٢) "روضة ابن غنام" (ج ٢، ص ٨٦ - ٨٨).

(٣) "روضة ابن غنام" (ج ٢، ص ٧١ - ٧٢).

(٤) روضة ابن غنام (ص ١٩٠ - ١٩٢).

(٥) روضة ابن غنام (ص ٢٣٧ - ٢٤٢)، و"عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر، (طبعة وزارة

المعارف، ج ١، ص ١٤٥) وما بعدها.

في أولها مدح الشيخ محمد، ومطلعها:

غياهب ليل الشرك مزقه الفجر فأصبح دين الحق طالعه الغفر^(١)

وله تقريرات حسنة وكشف شبهات يبين بها عن الحق الذي دعا إليه الشيخ محمد ويشهد له، وقد ألف كتابا سماه: "العقد الثمين في شرح أصول الدين"؛ بإشارة من الإمام عبد العزيز كما يقول^(٢) بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا يزال الكتاب مخطوطا، وهو كتاب مفيد، ولكن في مسألة القرآن سلك فيها مسلك الأشعرية، وقد نبه على ذلك تلميذه الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ^(٣) وكذلك الشيخ محمد بن نافع^(٤).

ومن آثار عقيدة الشيخ في عهد الإمام عبد العزيز أن بعض معارضيه- كأخيه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب- بعد أن كان معارضا يؤلف كتبا ضدها؛ اتضح له الحق، وتاب إلى الله، ووفد على أخيه الشيخ محمد في الدرعية، واستقر بها إلى أن توفي. ذكر ذلك الشيخ عبد العزيز بن باز في تعليقه على كتاب: "الشيخ محمد بن عبد

(١) انظر: "عنوان المجد في تاريخ نجد" (طبعة وزارة المعارف، ج ١، ص ١٢٣-١٢٥).

(٢) انظر: "كتاب العقد الثمين في شرح أصول الدين" مخطوط في المكتبة السعودية بالرياض

تحت (رقم ٨٦ / ٥٧، الغلاف ولوحة رقم ١٣).

(٣) "الدرر السننية في الأجوبة النجدية" (ج ١، ص ١٥٧، الطبعة الثانية).

(٤) انظر: حاشية مخطوطة "كتاب العقد الثمين في شرح أصول الدين" المحفوظة بالمكتبة

السعودية بالرياض تحت (رقم ٨٦ / ٥٧، لوحة رقم ٢٨).

الوهاب... " للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، ونص هذا الخبر في "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر في حوادث ١١٩٠ هـ^(١) وفي "روضه ابن غنام" كذلك.

وقال ابن غنام: " وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحن واهتشاءة، فدثر حاله حينئذ وأراشه، ووسع عليه قوته ومعاشه، فكان ذلك سببا لإنقاذ سليمان وصدقه مع أهل الإيمان، وتحققه بهذا الشأن، فقام في هذا الدين بتحقيق وجزم ويقين، وأقر على نفسه واعترف بما قدمه قبل وأسف، ووفى بما عاهد عليه وما أخلف، ومات والله الحمد على حالة رضى بعدما جرى منه ومضى، فلم يوفاه القضا إلا بعدما رفض ما كان عليه وانقضى"^(٢) وتوفي سنة ١٢٠٨ هـ^(٣).

وفي "مصباح الظلام" للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن نص رسالة من سليمان بن عبد الوهاب فيها رجوعه^(٤) وكذلك في كتابه "الضياء الشارق" تأليف سليمان بن سحمان^(٥) وفي كتاب

(١) "عنوان المجد ... " (ص ٦٥).

(٢) "روضه ابن غنام" (ج ٢، ص ٩٦).

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (١/ ٣٠٤).

(٤) "مصباح الظلام" تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ص ٩٦-١٠٣).

(٥) "الضياء الشارق" تأليف الشيخ سليمان بن سحمان (ص ٢٢-٢٥، الطبعة الأولى،

المنار، ١٣٤٤ هـ).

"صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (١).

وفي هذا رد على الشيخ عبد الله بن بسام في قوله: "إن سليمان بقى مصرا على مباينة الدعوة السلفية وأصحابها؛ إلا أنه رضخ لسلطتها وقوتها...".

وقال: "إن الرسالة المذكورة يرجح أنها نسبت إليه لغرض حسن الظن به، وإبعاد المسبة عن أبنائه العلماء الصالحين، أو لغرض الرد على أعداء الدعوة الذين نفروا عنها بحجة أن أقرب الناس إلى أصحابها باينه فيها أو لغير ذلك من المقاصد".

وأمر الترجيح هذا لدى البسام هي باختصار: لأنه قام وقعد بمحاربة الدعوة السلفية مع علماء وقته، وقال: "ولم نر أحدا من هؤلاء رجوع، وكل أتباعها هم تلاميذ الشيخ محمد"، ولذكر ابن لعبون في "تاريخه" المخطوط أنه لم ينزل الدرعية إلا كرها، ولأن ابن بسام لم ير له نشاطا في الدعوة غير هذه الرسالة، ولأن ابن بسام اطلع على جواب تلك الرسالة، وفيها الترحم على الشيخ محمد، مما يدل على أنها كتبت بعد وفاة الشيخ محمد، فلو كانت حقيقة؛ لكان الجواب في عهد الشيخ محمد لا بعده (٢). انتهى ملخصا.

ولا يخفى أن الشيخ البسام عارض رواية الشيخ عبد اللطيف بن عبد

الرحمن بن حسن والشيخ سليمان بن سحمان ودليلهما - وهو

(١) "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص ٤٦٨ - ٤٧٣).

(٢) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ١، ص ٣٠٤-٣٠٦).

الرسالة المذكورة من سليمان-، ولم يذكر البسام رواية ابن بشر وابن غنم، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز قد ذكر رجوعه بناء على ما ذكره ابن بشر، والبسام عارض هذا كله بظنون، والظن لا يبنى عليه شيء؛ فكيف يعارض به روايات الثقات، ويرجح هذا الظن عليها بأمر لا تقوم ولا تتم؟!!

فأما الأمر الأول؛ فما يدر به عن رجوع من رجع وتاب، ثم إنه يجوز ويمكن أن من قام وقعد في محاربة الحق أن يتضح له الحق ويرجع ويتوب، يجوز ذلك في العقل والواقع والشرع، وكونه لم ير له نشاطاً؛ فالنشاط ليس بلازم، وربما كان له نشاط غير ظاهر، مع أن ابن غنم حكى ذلك عنه، وكون ابن لعبون ذكر في مخطوطته التي عند البسام أن سليمان قدم كرها؛ فهذا معارض برواية ابن بشر وابن غنم.

الثانية: ثم لو كان الأمر صحيحاً؛ فلا مانع من كون العاقبة رجوعه إلى الحق؛ أنسي أن من أهل اللجنة من يقاد إليها بالسلاسل؟!!

وكون ابن بسام اطلع على رسالة يذكر كاتبها أنها من هؤلاء الثلاثة الذين كتب لهم سليمان تلك الرسالة المذكورة، وأنها جواب له، وأن تاريخها متأخر بعد موت الشيخ محمد لا بعد موت الشيخ سليمان، بل هي في حياته، فتأخر تاريخها هذا إن صح ليس به ما يبرر أنها مزيفة أيضاً، ما دام أن هذه الرسالة حصلت في حياة الشيخ سليمان، والتي استمرت سنتين بعد وفاة أخيه الشيخ محمد، واستنتاج البسام من هذه الرسالة أن سليمان كان ساكتاً في حياة أخيه على معتقده الأول، ثم بعد وفاة أخيه يعلن رجوعه وموافقته لأخيه، وأن هذا الأمر

من البعيد جدا، فلو صح الاستنتاج؛ لكان من القريب جدا أن سليمان كان في حياة أخيه يجد في نفسه، ثم لما مات؛ زال ذلك الوجد المانع من قبل الحق، فأعلنه، وكم أسلم من أسلم بعد وفاة من كان يدعو إلى الإسلام ويأبى في حياته، وقد قال الإمام أحمد: "قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز"^(١).

وزعمه أن كل أتباع عقيدة الشيخ هم تلاميذه؛ يرده الواقع السلفي. وعلى كل؛ فعقيدة الشيخ محمد السلفية رحمه الله مؤثرة بعد مماته كما كانت في حياته، وربما أكثر؛ لأنها تكشف عنها الشبهات، وتجردت من كل ما يخالف عقيدة السلف الصالح، وأثمرت اتحاد الكلمة، واجتماع الشمل، وائتلاف القلوب، والأمن، والهدى، سيما في عهد الإمام عبد العزيز؛ فلعمر الله قد أصبحت سلفية خالصة لا يشوبها شائبة؛ فما للقلوب النافرة عنها أدنى عذر ولا حجة... والله أعلم.

وأذكر ما يقول ابن بشر معقبا على ما وصف في عهد الإمام عبد العزيز من اتساع دولة أنصار العقيدة وقوتها، وما أنعم الله به عليها من الأمن وطاعة الرعية وانتظام ولايتهم؛ فيقول:

"وهذا الأمر في هذه المملكة شيء وضعه الله تعالى في قلوب العباد من البادي والحاضر في كل ما احتوت عليه هذه المملكة، مع

(١) انظر: تخريج هذه الرواية في (١ / ٢٣٦) من هذا البحث.

الرب العظيم في قلوب من عادى أهله، وذلك - والله أعلم - ومن سببين:
أحدهما: أن الراعي إذا عف؛ عفت رعيته، فإذا عمل الإمام بطاعة الله،
وبذل العدل في الرعية، وصار الغريب والبعيد والغني والفقير والجليل والحقير
في الحق سواء، وكان متواضعا يجب العلماء وطلبة العلم وحملة القرآن
ويعظمهم، ويجب الفقراء والمساكين، ويعطيهم حقهم، ويضع في المسلمين
فيهم؛ جعل الله له الهيبة في القلوب، وتداعى له كل مطلوب.

والسبب الثاني: أن الله جعل لكل شيء ضدا مخالفا له منافيا أو
معاديا، فجعل الشرك ضد التوحيد، والعلم ضد الجهل... إلى غير ذلك من
الأضداد المنافية بعضها لبعض، وأما الأضداد المعادية بعضها لبعض؛ كعداوة
الحية لبني آدم، وعداوة إبليس لهم، وعداوة السباع لأضدادها، وعداوة
البادي لأهل القرى؛ عداوات قديمة طبيعية؛ فلا يصلح هذه العداوة بين أهل
القرى وبينهم بذل المال؛ فإنه إذا بذل لهم؛ أصلح عداوتهم الظاهرة نحو
أسبوع أو شهر، وأما عداوتهم الباطنة؛ كالسرق ونحوه كالحيانة؛ فإنه لا
يصلحها ويصلح الظاهرة معها إلا السيف.

ولما عرف عبد العزيز رحمه الله هذا الداء؛ عرف الدواء، فاستعمل لمن
عاداه منهم السيف، ولمن والاه منهم قوة الجانب والغلظة والشدة، فكان
يأخذ منهم الأموال الكثيرة على السرقة وقطع السيل، ويجعل رؤساءهم في
السجن وأغلال الحديد، حتى إنه جعل

الحميدي بن هذال رئيس بوادي عنزة ورجلا هيتيميا في حديد واحد، وربط وطبان الدويش وابن هذال في حديد واحد، ويأخذ النكال الكثير من أموالهم على من تخلف منهم عن المغزى مع المسلمين من فرس أو ذلول معروفة أو رجل معروف، حتى ذكر لي أنه لم يوجد عند مطير إلا فرس أو فرسان، وذلك لأن بوادي هذه الجزيرة لم يحتاجوا لها؛ لأنهم لم يخافوا من أحد، ولا يخاف منهم أحد، ولا يطمعون في أحد، قد حجز عبد العزيز جميع القبائل، ويأخذ منهم هذه الأموال مع زكواتهم، ويفرقها على أهل النواحي والبلدان...".

إلى أن قال ابن بشر: "فصار البلد الواحد من قرايا نجد بهذا السبب يركب من هذا الغزو معه ومع ابنه سعود سبعون أو ستون مطية أو أقل أو أكثر، وإذا أرسل عماله لقبض الزكاة من الأعراب؛ أمرهم أن لا يأخذوا من الزكاة عقلا حتى يأخذوا لصاحب الدين حقه، ولمن سرق له شيء قيمة ماله والنكال، فقويت البلدان، واشتدت وطأتهم على عدوهم، فصار الأعرابي يرفع يده ولا يخفضها على شيء من مال أهل القرى ولا من مال البوادي، بعضهم من بعض في مفازة خالية فضلا عن غيرها، وصار هذا مطردا سائغا في زمنه وزمن ابنه سعود وصدر من ولاية عبد الله"^(١).

ولما توفى الإمام عبد العزيز بن محمد شهيدا سنة ١٢١٨ هـ؛ تولى بعده

ابنه سعود، فصار هو الإمام، وكان الشيخ محمد بن عبد

(١) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩٤ هـ، ج ١، ص

١٧٠-١٧١).

الوهاب قد أمر أهل بلدان نجد وغيرهم أن يبايعوه، وأن يكون ولي العهد بعد أبيه، وذلك في السنة الثانية بعد المئتين والألف (١٢٠٢ هـ)؛ بناء على أمر الإمام عبد العزيز، فبايعه جميعهم^(١) وهو صاحب السيرة الحسنة في السلم والحرب، يتتبع سيرة السلف الصالح في كل ذلك، ويطبق مقتضى عقيدتهم السليمة، وكان كثيرا ما يذكر رعيته - خصوصا جيوش المسلمين - بما أنعم الله عليهم من الاجتماع على كلمة الإسلام، وأن سببه العمل بطاعة الله والصبر في مواطن اللقاء، وأن النصر لا ينال إلا بالصبر.

يقول ابن بشر: "وكان متيفظا بعيد الهمة، يسر الله له من الهيبة عند الأعداء والحشمة في قلوب الرعايا ما لم يره أحد، وكانت له المعرفة التامة في تفسير القرآن، أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أقام مدة سنين يقرأ عليه، ثم كان يلازم على مجالس الدرس عنده، وله معرفة في الحديث والفقه وغير ذلك؛ بحيث إنه إذا كتب نصيحة لجميع رعاياه من المسلمين؛ أتى فيها بالعجب العجاب، وبهرت عقول أولي الألباب، وكان أول ما يصدر النصيحة بالوصية بتقوى الله تعالى، ومعرفة نعمة الإسلام، ومعرفة التوحيد، والاجتماع بعد الفرقة، ثم الحض على الجهاد في سبيل الله، ثم الزجر عن جميع المحظورات من الزنى والغيبة والنميمة وقول الزور والمعاملات الربوية وغير ذلك، وكل نوع من ذلك يأتي عليه بالأدلة من الكتاب والسنة وكلام العلماء، فمن وقف على شيء من مراسلاته ونصائحه؛ عرف

(١) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (ج ١، ص ٨٣).

بلاغته ووفور علمه، وإذا تكلم في المحافل بنصيحة أو مذاكرة؛ بمر عقل من لم يكن قد سمعه، وخال في نفسه أنه لم يسمع مثل قوله وحسن منطقته، وعليه الهيبة العظيمة التي ما سمعنا بها في الملوك السالفة؛ بحيث إن ملوك الأقطار لا تتجاسر على مراجعته الكلام، ولا ترمقه بأبصارها إعظاما له، وهو مع ذلك في الغاية من التواضع للمساكين وذوي الحاجة، وكثير المداعبة والانبساط لخواصه وأصحابه... " إلخ ما وصفه به من صفات كريمة هي من أثر التمسك بعقيدة السلف الصالح^(١).

وقال الشيخ راشد بن علي الحنبلي في كتابه "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد" عن الإمام سعود بن عبد العزيز: "تولى ملك نجد، وجند منها جنودا تزيد على أربع مائة ألف ما بين فارس وراجل، وأخضع جزيرة العرب، وحاول مناهضة ملوك الدنيا وانتزاع الممالك، وكان مدة حياته لم تهزم له راية، وكان عالما ذكيا، يحسن الخط والقراءة، وعليه من الأبهة والهيبة والجلال ما يبهر العقول، وكان فصيحاً، إذا تكلم؛ أنصت له كل سامع"^(٢).

وعلى الجملة؛ فهو شجاع، فارس، صادق في الحديث، وعالم راسخ في العلم، وتقي دين، سلم لأولياء الله حرب على أعدائه، اجتمعت فيه ملكات الحكم والإمارة، ومواهب العلم والإمامة، رحمه الله تعالى، وقد تم على يديه دخول الحجاز في ولاية

(١) "عنوان المجد في تاريخ نجد" (ج ١ / ١٦٥ - ١٧٦).

(٢) "مثير الوجد ... " (ص ٤٢).

الدولة السعودية الأولى، وكان انتشار عقيدة السلف الصالح في عهده انتشارا مستمرا وواسعا، حتى شمل الحرمين، وساد في أرجاء الجزيرة وما حولها.

وقد قام الإمام سعود بن عبد العزيز بتقديم كتاب كان موجها إلى سليمان باشا يشرح فيه عقيدة السلف الصالح، والتي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود ومن خلفه من أبنائه، وفند مطاعن الأعداء، وكشف شبهاتهم، وأن كل ما قالوه ضد عقيدة الشيخ وأنصاره باطل، وليس لهم حجة إلا من جنس ما يحتج به أعداء الرسل على الرسل وعلى أتباعهم إلى يوم القيامة، فاطلع عليه أهل مكة وعلمائهم، ووقع عليه علماء مكة وقضاؤها وأرباب الفتوى فيها من جميع المذاهب الأربعة، ووقع الشريف غالب بن مساعد على ذلك، وكذلك علماء المدينة المنورة، وكلهم يقولون: نشهد أن هذا الدين الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعانا إليه إمام المسلمين سعود بن عبد العزيز من توحيد الله ﷻ ونفي الشرك الذي ذكره؛ أنه هو الحق الذي لا شك فيه ولا ريب، الذي جاء به النبي محمد ﷺ وأن ما وقع في مكة والمدينة سابقا ومصر والشام وغيرها من البلاد إلى الآن من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب؛ أنه الكفر المبيح للدم والمال، والموجب للخلود في النار، ومن لم يدخل في هذا الدين ويعمل به ويوالي أهله ويعادي أعداءه؛ فهو عندنا كافر بالله واليوم الآخر، وواجب على إمام المسلمين والمسلمين جهاده وقاتله حتى يتوب إلى الله مما هو عليه ويعمل بهذا

الدين.

ومن هؤلاء المشايخ: الشيخ عبد الملك بن عبد المنعم القلعي الحنفي مفتي مكة المكرمة، والشيخ محمد صالح بن إبراهيم مفتي الشافعية بمكة، والشيخ محمد بن محمد عربي البناني مفتي المالكية بمكة المشرفة، والشيخ محمد بن أحمد المالكي، والشيخ محمد بن يحيى مفتي الحنابلة بمكة المكرمة، وغيرهم^(١).

وبهذا؛ كسر الطاغوت وأرغم الشيطان ولله الحمد، نصر من الله وفتح قريب، وهذا النصر العزيز والفتح المبين هو من آثار عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفوقه مدخل إلى الجنة كريم إن شاء الله تعالى.

ومن أشهر العلماء العاملين في زمن الإمام سعود: ابن الشيخ، الشيخ عبد الله العالم الجليل.

قال ابن بشر: "هو الخليفة بعد أخيه حسين، والقاضي في بلد الدرعية زمن سعود، فكان آية في العلم ومعرفته ومعرفة فنونه"^(٢).

وحصل علما كثيرا حيث أوقف حياته على تحصيل العلم وتعليمه ونشره، وأخذ عنه خلق كثير من فطاحل العلماء، وصار مرجع القضاة، وله مؤلفات عديدة وفتاوى كثيرة؛ منها: "رد على بعض علماء الزيدية فيما اعترض به على دعوة التوحيد السلفية"، و "مختصر السيرة

(١) انظر: " الدرر السنية" (ج ١، ص ٣١٨ - ٣٢٠).

(٢) "عنوان المجد... " (١/٩٣).

النبوية" و"الكلمات النافعة"، ورسالة طويلة كتبها حال دخوله مكة المكرمة مع الإمام سعود فاتحا سنة ١٢١٨ هـ، اشتملت على بيان عقيدة شيوخ الدعوة، وما هم عليه، ورد مفتريات أعداء الإسلام.

جاء في هذه الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين.

وبعد؛ فإننا - معاشر الموحدين - لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت في ثامن شهر المحرم الحرام سنة ١٢١٨ هـ، بعد أن طلب أشراف مكة وعلمائها وكافة العامة من أمير الغزو سعود الأمان، وقد كانوا تواطئوا مع أمراء الحجاج وأمير مكة على قتاله أو الإقامة في الحرم ليصدوه عن البيت، فلما زحفت أجناد الموحدين؛ ألقى الله الرعب في قلوبهم، فتفرقوا شذر مذر، كل واحد يعد الإياب غنيمة، وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف، ودخلنا وشعارنا التلبية؛ آمنين محلقين + رؤوسنا ومقصرين غير خائفين من أحد من المخلوقين، بل من مالك يوم الدين، ومن حين دخل الجند الحرم، وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون؛ لم يعضدوا به شجرا، ولم ينفروا صيدا، ولم يريقوا دما؛ إلا دم الهدى أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع، ولما تمت عمرتنا؛ جمعنا الناس ضحوة الأحد، وعرض الأمير رحمه الله على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه، وهو إخلاص التوحيد لله تعالى، وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين :

أحدهما: إخلاص التوحيد لله تعالى، ومعرفة أنواع العبادة، وأن الدعاء من جملتها، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد ﷺ واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد وترك الإشراك، قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة.

والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي لم يبق عندهم إلا اسمه، وانحى أثره ورسمه.

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا، وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة، وقبل منهم وعفا عنهم كافة، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة، ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق، لا سيما العلماء، ونقرر لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا أدلة ما نحن عليه، ونطلب منهم المناصحة والمذاكرة، وعرفناهم بأن صرح لهم الأمير حال اجتماعهم بأنا قابلون ما وضخوا برهانه من كتاب أو سنة أو أثر عن السلف الصالح؛ كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم؛ بقوله ﷺ ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي﴾^(١) أو عن الأئمة الأربعة المجتهدين، ومن تلقى العلم عنهم إلى آخر القرن الثالث؛ لقوله ﷺ ﴿خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم﴾^(٢) وعرفناهم أنا دائرون مع الحق أينما دار، وتابعون للدليل الجلي الواضح، ولا نبالي حينئذ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا، فلم ينقموا علينا أمرا.

فألحينا عليهم في مسألة طلب الحاجات من الأموات إن بقي لديهم شبهة، فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين، فرددناها بالدلائل

(١) سنن الترمذي: كتاب العلم (٢٦٧٦)، وسنن أبي داود: كتاب السنة (٤٦٠٧)، وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (٤٢، ٤٤)، ومسند أحمد (١٢٦/٤)، وسنن الدارمي: كتاب المقدمة (٩٥).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الشهادات (٢٦٥١، ٢٦٥٢) وكتاب المناقب (٣٦٥٠، ٣٦٥١) وكتاب الرقاق (٦٤٢٨، ٦٤٢٩) وكتاب الأيمان والندور (٦٦٥٨، ٦٦٩٥)، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٥٣٣، ٢٥٣٥)، وسنن الترمذي: كتاب الفتن (٢٢٢١) وكتاب الشهادات (٢٣٠٢) وكتاب المناقب (٣٨٥٩)، وسنن النسائي: كتاب الأيمان والندور (٣٨٠٩)، وسنن ابن ماجه: كتاب الأحكام (٢٣٦٢)، ومسند أحمد (٣٧٨/١، ٤٣٤/١، ٤٣٨/١، ٤٤٢/١، ٢٦٧/٤، ٢٧٧/٤، ٤٢٦/٤، ٤٢٧/٤، ٤٣٦/٤).

القاطعة من الكتاب والسنة، حتى أذعنوا، ولم يبق عند أحد منهم شك ولا ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه أنه الحق الجلي الذي لا غبار عليه، وحلفوا لنا الأيمان المغلظة من دون استحلاف لهم على انشراح صدورهم وحزم ضمائرهم أنه لم يبق لديهم شك في أن من قال: يا رسول الله ﷺ! أو: يا ابن عباس! أو: يا عبد القادر! أو غيرهم من المخلوقين؛ طالبا بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ من شفاء المريض، والنصر على العدو، والحفظ من المكروه... ونحو ذلك؛ أنه مشرك شركا أكبر؛ يهدر دمه، ويبيح ماله، وإن كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله تعالى وحده، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء؛ متشفعا بهم ومتقربا بهم لتقضى حاجته من الله بسرهم وشفاعتهم له فيها أيام البرزخ، وأن ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصناما تقصد لطلب الحاجات ويتضرع عندها ويهتف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى.

وكان من جملتهم مفتي الحنفية الشيخ عبد الملك القلعي، وحسين المغربي مفتي المالكية، وعقيل بن يحيى العلوي؛ فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه، ويرجى النفع والضرر بسببه من جميع البناء على القبور وغيرها، حتى لم تبق في تلك البقعة المطهرة طاغوت يعبد؛ فالحمد لله على ذلك.

ثم رفعت المكوس والرسوم، وكسرت آلات التنبك، ونودي بتحريمه، وأحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور، ونودي

بالمواظبة على الصلوات في الجماعات، وعدم التفرق في ذلك؛ بأن يجتمعوا في كل صلاة على إمام واحد، ويكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة رضوان الله عليهم، واجتمعت الكلمة حينئذ، وعبد الله وحده، وحصلت الألفة، وسقطت الكلفة، وأمر عليهم، واستتب الأمر؛ من دون سفك دم، ولا هتك عرض، ولا مشقة على أحد، والحمد لله رب العالمين.

ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد في التوحيد، المتضمنة للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمات والأحاديث المتواترة مما يثلج الصدر، واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام؛ تنشر في مجالسهم، وتدرس في محافلهم، ويبين لهم العلماء معانيها؛ ليعرفوا التوحيد، فيتمسكوا بعروته الوثيقة، فيتضح لهم الشرك، فينفروا عنه وهم على بصيرة آمنين.

وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ما صار حسين بن محمد بن الحسين الإبريقي الحضرمي ثم الحيايني، ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة، ويسأل عن مسألة الشفاعة التي جرد السيف بسببها من دون حياء ولا خجل لعدم سابقة جرم له؛ فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم، بل والأعلم والأحكم؛ خلافا لمن قال: طريق الخلف أعلم". ومضى الشيخ يبين عقيدتهم السلفية في الأصول والفروع في رسالته هذه، وهي طويلة، ونقلت منها ما نقلت لتضمنه وصفا لأثر

عقيدة الشيخ في نشر دين الله ورسوله ﷺ وقد أثنى عليها العلماء وصدقوها وزكوها، وما علمت أن أحدا نفى ما جاء فيها من وصف ما جرى وما هو واقع.

يقول محمد كرد علي الدمشقي في كتابه "القديم والحديث" عن هذه الرسالة: "ورسالة عبد الله بن عبد الوهاب التي كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهد عدل أنه بريء من تلك الافتراءات التي افتروها على عقائده وعقائد أبيه، وبنوا عليها تلك الزلازل والقلاقل، وأن مذهبه عين مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين"^(١). والحق أن الشيخ أنصف، ولم يترك لأحد مقالا، وأحال إلى الواقع الذي لا يقدر أحد أن ينكره.

يقول في رسالته تلك: "ومن شاهد حالنا، وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا؛ علم قطعا أن جميع ذلك وضعه وافتراه علينا أعداء الدين وإخوان الشياطين؛ تنفيرا للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة، وترك أنواع الشرك الذي نص الله عليه؛ بأن الله لا يغفره ويغفر ما دونه لمن يشاء".

ويشير إلى ما كذب عليهم من أنهم مخالفون لعقيدة أهل السنة والجماعة في أي مسألة من مسائل العقيدة^(٢).

(١) نقلا عن هامش "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر، تميمش عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ص ١٦٤، طبعة المعارف، سنة ١٣٩٤ هـ).

(٢) انظر: نص رسالة الشيخ عبد الله كاملا في "الدرر السنينة" (ج ١، ص ١٢٣ - ١٣٤).

ومن هؤلاء القضاة في زمن الإمام سعود:

الشيخ عبد الرحمن بن نامي، الذي صار قاضيا في بلد العيينة، ثم صار قاضيا في الأحساء زمن سعود وابنه عبد الله^(١).

الشيخ محمد بن سلطان العوسجي قاضي المحمل، صار قاضيا في الأحساء زمن "سعود"^(٢) وقد حصل في التوحيد والتفسير والحديث والفقهاء وأصول هذه العلوم، وقام بنشر عقيدة السلف الصالح في الأحساء^(٣).

والشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين، الذي صار قاضيا في حريملاء وبلد الزلفى وغيرهما زمن سعود وابنه عبد الله^(٤).

الأثر العمراني والحضاري

وعن الأثر العمراني والحضاري لهذه العقيدة السلفية التي لا ينسى صاحبها نصيبه من الدنيا، ويحسن كما أحسن الله إليه، يحدثنا المؤرخ ابن بشر عن مثال رآه وشاهده، فيقول :

"ولقد رأيت في الدرعية بعد ذلك في زمن سعود رحمه الله تعالى، وما فيه أهلها من الأموال، وكثرة الرجال، والسلاح المحلى بالذهب والفضة الذي لا يوجد مثله، والخيل الجياد، والنجايب العمانيات، والملابس الفاخرة، وغير ذلك من الرفاهيات؛ ما يعجز عن

(١) "عنوان المجد في تاريخ نجد" (١/ ٩٤) .٠

(٢) "عنوان المجد في تاريخ نجد" (١/ ٩٤) .٠

(٣) "علماء نجد خلال ستة قرون" (٣/ ٨٠٩) .

(٤) "عنوان المجد في تاريخ نجد" (١/ ٩٤) .

عده اللسان، ويكل عن حصره الجنان والبنان، ولقد نظرت إلى موسمها يوما في مكان مرتفع (وهو في الموضع المعروف بالباطن) بين منازلها الغربية التي بها آل سعود والمعروفة بالطريف ومنازلها الشرقية المعروفة بالبجيري التي فيها أبناء الشيخ، ورأيت موسيم الرجال في جانب، وموسم النساء في جانب، وموسم اللحم في جانب، وما بين ذلك من الذهب والفضة والسلاح والإبل والأغنام والبيع والشراء والأخذ والعطاء وغير ذلك، وهو مد البصر، لا تسمع فيه إلا كدوي النحل من النجناج، وقول: بعت وشريت، والدكاكين على جانبيه الشرقي والغربي، وفيها من الهدم والسلاح والقماش ما لا يعرف ولا يوصف" (١).

"وكان قوة هذه البلد، وعظم مبانيها، وقوة أهلها، وكثرة رجالها وأموالها؛ لا يقدر الواصف صفتها، ولا يحيط العارف بمعرفتها، فلو ذهبت أعد رجالها وإقبالهم فيها وإدبارهم قي كتائب الخيل والنجائب العمانيات، وما يدخل على أهلها من أحمال الأموال من سائر الأجناس التي لهم مع المسافرين من أهلها ومن أهل الأقطار؛ لم يسعه كتاب، ولرأيت العجب العجاب، وكان الداخِل في موسمها لا يفقد أحدا من أهل الآفاق من اليمن وتهامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرهم، إلى غير ذلك من أهل الآفاق، ممن يطول عددهم؛ هذا داخل فيها، وهذا خارج منها، وهذا مستوطن فيها، وكانت الدور لا تباع فيها إلا نادرا، وأثمانها سبعة آلاف ريال وخمسة

(١) " تاريخ نجد... " (١٣/١-١٤).

آلاف ريال، والداني بألف ريال وأقل وأكثر، وكل شيء بقدره على هذا التقدير، وكروة الدكان الواحد في الشهر خمسة وأربعون ريالاً، وسائر الدكاكين الواحد بريال في اليوم، وشيء نصف ريال، وذكر لي أن القافلة من الهدم إذا أتت إليها؛ بلغت كروة الدكان في اليوم الواحد أربعة أريل. وأراد رجل منهم أن يوسع بيته ويعمره، فاشترى نخيلات تحت هذا البيت يريد قطعها وتعمير موضعها، كل نخلة بأربعين ريالاً وخمسين ريالاً، فقطع النخل، وعمر البيت، ولكنه وقع عليه الهدم^(١) قبل تمامه. وذكر لي من أثق به أن رجلاً من أهل الدرعية قال له: إني أردت ميزاباً في بيتي، فاشترت خشبة طولها ثلاثة أذرع بثلاثة أريل، وأجرة نجره وبناءه ريال، وكان غلا الحطب فيها والخشب إلى حد الغاية، حتى قيل: إن حمل الحطب بلغ خمسة أريل وستة، والذراع من الخشبة الغليظة بريال، وكل بيوتها مقاصير وقصور، كأن ساكنيها لم يكونوا من أبناء ساكني القبور، فإذا وقفت في مكان مرتفع، ونظرت موسمها وكثرة ما فيها من الخلائق، وتزايدهم فيه، وإقبالهم وإدبارهم، ثم سمعت رنتهم ونجناجهم فيه؛ فكأنه دوي السيل القوي إذا صب من عالي جبل^(٢).

اهد.

لا شك أن هذا الوصف يصور تطوراً عمرانياً وحضارياً متفوقاً على جميع الأقطار من حولهم، حيث كان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن وتهمامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية

(١) يعني: هدم الدرعية على يد إبراهيم باشا.

(٢) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (ج ١، ص ٢١٤).

الشام ومصر وأناس من حاضرهم ... إلى غير ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عددهم ... إلخ كلام ابن بشر الذي رأى ذلك زمن الإمام سعود.

الإمام عبد الله بن سعود

وأما الإمام عبد الله بن سعود؛ فيقول الشيخ راشد بن علي الحنبلي في كتابه "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد" بعد أن ذكر وفاة الإمام سعود بن عبد العزيز سنة ١٢٢٩ هـ؛ قال :

"لما توفي الإمام سعود؛ تولى الإمامة بعده ابنه عبد الله بن سعود، فسار سيرة والده؛ إلا أن إخوته لا يوافقونه على إرادته، وكان لا يخالفهم، ونازعه أخوه فيصل بن سعود، فكان يأمر ويفصل يأمر، ففرقت شوكتهم، ونفر منهم فقام من العرب، واتسع الخرق في قوتهم، فحاربتهم الدولة المصرية، وانحاز إلى المصريين أكثر العرب من نجد والحجاز واليمن والعراق والشام، وكان عبد الله شجاعا دينا عفيفا كريما سخيا؛ إلا أنه ليس له من الرأي والألمعية كما لوالده؛ فلذلك أضع من سياسة الرعية شيئا عظيما، فوفاه القدر المحتوم، فتوفي في مدينة قسطنطينية سنة ١٢٣٣ هـ"^(١).

وقال ابن بشر: " وهذا الذي ذكرت من جهة الأمن وطاعة الحاضر والباد وغير ذلك اتفق في زمن عبد العزيز وزمن ابنه سعود، وصدر من ولاية عبد الله "^(٢).

(١) (ص ٤٢).

(٢) "عنوان المجد... " (١/١٢٨).

حاصل أثر عقيدة الشيخ في هذا الدور

يمكننا تحصيل أبرز آثار عقيدة الشيخ في هذا الدور من أدوار دولة أنصارها في نقاط هي: إشراق نور الحق من نجد، وإمامة الأئمة والملوك من آل سعود، وتحقيق أن منهج السلف يأتي بالخلافة في الأرض، وتحقيق أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية قامت عليها دولة عظيمة فاقت أهل زمانها، وهي صالحة لأن تقوم عليها دولة عصرية تفوق أهل هذا الزمان بحول الله وقوته.

وهذه النقاط يمكن استعراضها بشكل موجز فيما يلي :

إشراق نور الحق من نجد :

لقد أشرق نور الحق وأضاء نور هدى رسول الله ﷺ بعدما أثار

طواغيت العالم حوله القتام من نجد هذه المرة؛ كما قال حسين بن غنام :

تألأ نور الحق وانصدع الفجر	وديحور ليل الشرك مزقه الظهر
وشمس الأماني أشرقت في سعوها	ولاح بأفق السعد أنجمه الزهر
وجلا ظلام الخطب بيض صنائع	كأن سناها في غياهبه بدر
وأسفر وجه الوقت بعد تعبس	وحالت بصنع الله أحواله الكدر

إلى أن قال:

تشعشع من خمسين عاما ضياؤه ولم تبق أرض ليس فيها له ذكر^(١)

(١) "روضة الأفكار" (ج ٢، ص ٢٣٧، وص ٢٤٠).

ومن عادة المؤرخين أنهم لا يهتمون في تأريخهم بتدوين الحوادث في الأزمنة والأمكنة ما لم تكن لها دولة ذات شأن، ولذا؛ فإن الباحث في أية ناحية من نواحي التاريخ المتعلقة ببلاد نجد وما جاورها في القرون التي تلت القرن الثالث الهجري حتى زمن ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعوزه المصادر، ولا يرى اهتماما من المؤرخين بحوادثها، وكل من كتب من المؤرخين المحدثين يبيّن تاريخه على الشهرة القديمة في صدر الإسلام، ويعول على ما ذكره متقدمو المؤرخين عنها^(١) أما بعد أن أنعم الله على هذه البلاد بظهور دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح، وإصلاح ما فسد وانحرف من عقائد الناس على أيدي الغر الميامين آل سعود؛ فقد عمت بركتها، وشمل يمتها الجزيرة وما جاورها، وبلغت أقصى أقطار المعمورة، وكان ذلك موضع اهتمام المؤرخين والعلماء، فكان همهم الأكبر فهم حقيقة تلك النهضة التي هي حقيقة الإسلام خالصا من كل شائبة.

وكان من أول من قام بتدوين تاريخ قيام هذه النهضة المباركة وتصوير كفاح أولئك الأبطال الذين حموا حوزتها ودافعوا عنها بالنفس والنفيس عالم جليل من بلاد الأحساء، هو الشيخ حسين بن غنام (ت ١٢٢٥ هـ)، فسجل حوادث ما يزيد على نصف قرن من الزمان، وجاء بعده عالم جليل آخر، هو عثمان بن بشر (١٢١٠ - ١٢٩٠ هـ)، فسجل

أهم حوادث أكثر من قرن كامل من الزمان بطريق التسلسل (من

(١) انظر: حمد الجاسر في كتابه "مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ" (ص ٤٥ - ٧٩، ٨٠ -

١٠٠)، ومقدمته لـ "تاريخ بعض الحوادث" لابن عيسى (ص ٥ - ٦).

سنة ١١٥٨ إلى سنة ١٢٦٨ هـ^(١).

ويلاحظ أن ابن بشر قد خصص كتابه لتاريخ تلك النهضة المباركة والدولة الميمونة وما دونه من نتف قبلها اعتبرها سوابق سبقت تلك العصور الزاهرة، وقال: "إنما دونتها ليعرف من وقف عليها نعمة الإسلام والجماعة، والسمع والطاعة، ولا تعرف الأشياء إلا بأضدادها"^(٢).

ويرى الدكتور منير العجلاني أن مبدأ تاريخ نجد الحديث والجزيرة العربية والشرق الأدنى هو من السنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية؛ قال: "ففيها بدأت نجد تكتشف نفسها، وتعي رسالتها، وتصنع وحدتها، وتبني نهضتها، وقبل ذلك، وحتى القرن الثاني عشر، كانت نجد تعبيراً تاريخياً أو جغرافياً في الكتب القديمة، وأما في الواقع؛ فما كان شيء يذكر بوحدها أو وجودها... وإنما كانت هناك مجموعة كبيرة من الإمارات والمشيخات، تنفرد كل واحدة منها بسلطانها، وتعزز باسمها، ولا ترى شيئاً فوقه، وقد تحالف أحياناً لقتال الآخرين، واستباحة ديارهم

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى "عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث والعبر في آخر القرن الثالث عشر والرابع عشر" عام ١٣٧٢ بإشراف عبد الله الحاتم (ص ١٠١)، وانظر: حمد الجاسر مقدمته لـ "تاريخ بعض الحوادث... لابن عيسى (ص ٥-٧)، و"علماء نجد ... " (٧٠٠، ٧٠٣/٣).

(٢) ابن بشر (١/ ١٥٧-١٥٨).

وأموالهم، ولكنها متى فرغت من قتال عدوها؛ عادت تتقاتل فيما بينها ولما يجف مداد عهدها ودم جندها".

إلى أن قال: "فلما تأسست دولة الإسلام في الدرعية؛ أخذت الصفوف تتجمع، والبلدان تتوحد، فنشأت وحدة في العارض، ثم وحدة في نجد، ثم توسع مدلول نجد نفسه، فنشأت دولة نجد الكبرى؛ إن صح هذا التعبير".^(١)

ولقد أيد الدكتور العجلاني هذا الرأي بنقول عن صحيفة "الخليج الفارسي" وعن الدكتور فيليب حتي في كتابه "تاريخ العرب" وعن "دائرة المعارف الإسلامية" النسخة الإنجليزية الطبعة الجديدة^(٢).

وإذا اعتبرنا - وهو اعتبار صحيح يؤيده الواقع التاريخي - أن وجود العلماء والمؤرخين إنما يكون بقيام الدولة الإسلامية؛ لأن من شأنها الاستقرار والعدل والقضاء على الظلم والجهل؛ فإننا نستطيع القول بأن التاريخ أشرق مرة + أخرى بقيام دولة آل سعود بنصر عقيدة السلف الصالح منذ عقد الإمامان المحمدان العهد بينهما على نصرته دين الله ورسوله ﷺ عام ١١٥٨ هـ.

إمامة الأئمة والملوك من آل سعود وتاريخهم

قال الله تعالى:

(١) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤١، ٤٢).

(٢) انظر: (ص ٤٢ - ٤٥) "من تاريخ البلاد العربية السعودية".

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١).

فمن آتاه الله الملك، وسار فيه على النهج السوي؛ كانت له هيبة
مأثورة، ومكانة مرهوبة، وأنساب محفوظة، وتاريخ مجيد، وآل سعود منذ آووا
شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ونصروه في دعوته إلى عقيدة أهل السنة
والجماعة قد جعل الله لهم ملكا قائما وتاريخا مجيدا بالفضائل مشرقا،
ودونت أنسابهم، وسلسلت أعلامهم في مشجرات الأنساب، وحفظت في
تواريخ ومؤلفات.

ومن هذه المؤلفات كتاب: "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد"،
تأليف شيخ من أفاضل السلفيين، هو راشد بن علي الحنبلي، من آل
جريس، من قرية نعام، ومن أهل القرن الثالث عشر، كان معاصرا لصديق
حسن خان، وله ترجمة في "التاج المكلل" لصديق حسن خان^(٢).

ولعل الدكتور منير العجلاني لم يطلع على هذا الكتاب؛ فإنه في بحثه
نسب آل سعود قصر سلسلة نسبهم على مانع الجذ السابع

(١) سورة آل عمران آية : ٢٦.

(٢) انظر: مقدمة محب الدين الخطيب لكتاب "مثير الوجد ..." (الطبعة السلفية بالقاهرة
١٣٧٩ هـ، ص ٣ - ٨)، وانظر: "التاج المكلل" (ص ٥١٧، طبعة الهند عام ١٣٨٢ هـ).

لمحمد بن سعود، وقال: "هذه هي سلسلة النسب التي نجدها في كل كتاب يبحث في تاريخ الدولة السعودية؛ لأنها قريبة العهد، وأما ما فوق مانع من الآباء؛ فبعض المؤلفين يهمله، وبعضهم ينقص منه، وبعض يغلط فيه، ولكن المؤلفين يجمعون على أن مانع يتحدر من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان^(١).

ثم عدد الدكتور العجلاني المراجع التي اطلع عليها وناقش ما ورد فيها من معلومات ومشجرات لهذا النسب، ولم يذكر كتاب "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد" هذا، وهو لعالم من علماء النسب في نجد الأثبات كما يبدو من ترجمته^(٢) وقد ذكر فيه مشجر ربيعة وتميم الذي تضمن ذكر من فوق مانع حتى ربيعة^(٣) وفي ظني أنه مشجر صحيح.

وعلى كل حال؛ فإن ذلك الغموض في تاريخ من فوق محمد ابن سعود يؤكد بأن هذه الأسرة الكريمة لم يظهر صيتها ولم يهتم بها المؤرخون حتى أتى الله آل سعود الملك ببركة اتفاق جدهم محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب على نصرته الإسلام.

يقول الدكتور العثيمين: "إن تاريخ الأسرة السعودية في بلدة

(١) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٦٧).

(٢) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٦٧-٧٩)، و"علماء نجد خلال ستة قرون" للشيخ البسام (١ / ٢٥٧ - ٢٦٠)، و"روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد" لمحمد القاضي (١ / ١٠٤ - ١٠٥)، و"التاج المكمل" لصديق حسن (ص ٥١٧).
(٣) "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد" (ص ٣٠ - ٣٩).

الدرعية يعود إلى منتصف القرن التاسع الهجري، وكان جد هذه الأسرة مانع المريدي مقيما في مكان يقال له: الدرعية، ناحية القطيف، وكان ابن عمه ابن درع مستقرا في حجر اليمامة، ونتيجة لمراسلات بينهما؛ انتقل مانع إلى منطقة نقوذ ابن عمه سنة ٨٥٠ هـ^(١) .

ويقول أيضا: "والمأمل في تاريخ هذه الأسرة خلال أكثر من قرنين ونصف القرن يجد أنه لا يختلف عن تاريخ كثير من الأسر التي كانت في نجد آنذاك على العموم: كانت هذه الأسرة في بدايتها ضعيفة، ثم قويت وتوسعت على حساب جيرانها آل يزيد، وكغيرها من الأسر، قام بين أفرادها صراع حول السلطة والنفوذ، حتى ضعف مركزها، وانتقلت رئاسة بلدة الدرعية إلى رجل من خارج هذه الأسرة، يسمى سلطان بن محمد القبس سنة ١١٠٧ هـ، وعلى أية حال؛ فإن رئاسة البلدة عادت بالقوة إلى أصحابها السابقين بعد ثلاثة عشر عاما، وأصبح موسى بن ربيعة أميراً، لكنه ما لبث أن أبعده عن الإمارة، وحل محله سعود بن محمد بن مقرن، وحين توفي سعود سنة ١١٣٧ هـ؛ لم يتول ابنه محمد الإمارة بعده، وإنما تولها زيد بن مرخان، على أن محمدا كان له تأثير قوي على سير الحوادث في الإمارة، وكان قد حل بالعيينة وباء سنة ١١٣٨ هـ، مات فيه أميرها عبد الله بن معمر، وعدد كبير من رجالها، واستغلالا لذلك؛ أخذ زيد بن مرخان يعد العدة لمهاجمتها، لكن خطته فشلت حين استدرجه أمير العيينة الجديد محمد بن معمر وقتله غدرا في السنة التالية، وحينما عاد بقية من كانوا

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٥١).

معه إلى الدرعية بقيادة محمد بن سعود؛ أصبح هذا الأخير أميراً لها^(١). ويقول الدكتور العجلاني: "وبقي محمد بن سعود رئيساً للدرعية قبل هجرة الشيخ إليها نحو عشرين سنة؛ أي: منذ عام ١١٣٩ هـ إلى عام ١١٥٧ هـ، ولسنا نعرف شيئاً من أخبار هذه الفترة الطويلة، ولعله لم يكن فيها شيء يستحق الذكر"^(٢) اهـ.

هذا هو تاريخ الأسرة السعودية؛ فقبل قيامهم بدين الله على منهج السلف الصالح نجده تاريخاً لا يختلف عن تاريخ أي أسرة من الأسر النجدية الأخرى التي كانت كل واحدة منها دولة، وفي كل بلدة من بلدانها إمارة أو مشيخة.

تحقيق أن منهج السلف الصالح يأتي بالخلافة في الأرض:

لما قام آل سعود بدين الله على منهج السلف الصالح، وفازوا على غيرهم بإيواء حامل لوائه ونصرته، ووفوا بما عاهدوا عليه الله؛ آتاهم الله الملك، واستخلفهم في الأرض؛ كما قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾^(٣).

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب... " (ص ٥٢-٥٣).

(٢) "تاريخ البلاد العربية السعودية" (ص ٦٣).

(٣) سورة النور آية : ٥٥.

فكانت لهم مكانة مرهوبة وهيبه ماثورة وأنساب وتاريخ محفوظ.
ولا غرو في ذلك؛ لأنهم نصرُوا منهج السلف الصالح، وامتازوا بذلك على غيرهم، ومنهج السلف الصالح هو الأساس في بناء الأمة الإسلامية، وهو قطب رحاها؛ فكما أن الأمة الإسلامية وسط بين الأمم، وكذلك منهج السلف الصالح وسط بين المناهج والفرق الإسلامية، والدين الراشد هو الأمر الوحيد الذي ينقاد له العرب، وبالدين يأتيهم الملك؛ كما قرر هذا عالم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون في "مقدمته"، فقال :

"إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض؛ للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية؛ كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله؛ يذهب منهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق؛ تم اجتماعهم، وحصل لهم الملك

والتغلب" (١).

وقال أيضا: "إن الدولة العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين: إما من نبوة، أو دعوة حق، وذلك لأن الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية، واتفاق القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه؛ قال تعالى :

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ

بَيْنَهُمْ ۗ ﴾ (٢).

وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا؛ حصل التنافس، وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق، ورفضت الدنيا والباطل، وأقبلت على الله؛ اتحدت وجهتها، فذهب التنافس، وقل الخلاف، وحسن التعاون والتعاقد، واتسع نطاق الكلمة لذلك، فعظمت الدولة" (٣) اهـ.
وهكذا؛ فإن دولة آل سعود التي عظمت؛ إنما أصلها الدين، أصلها الدعوة إلى الإسلام والسنة، التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقبلوها، وأقاموها خالصة من أي شيء يخالف عقيدة السلف الصالح ونهجهم السليم.

إن الشيخ وابن سعود وأتباعهم قصدوا إقامة دين الله، ونشر

(١) "مقدمة ابن خلدون" (ص ١٥١).

(٢) سورة الأنفال آية : ٦٣.

(٣) "مقدمة ابن خلدون" (ص ١٥٧).

الإسلام، وإقرار السنة، وإماتة البدعة؛ فجعل الله سبحانه وتعالى لهم عاقبة حميدة، ونصرهم في نهاية جهادهم، وأوصلهم ما كانوا يأملون به؛ رغم كثرة الخصوم وشراستهم، وعداوة الأمراء والملوك من حولهم لهم ولما قاموا به، بالإضافة إلى استمرار معارضة علماء السوء- وما أكثرهم-، وابتلاء الأمة بأشخاص عرفوا بالعلم والديانة ثم انسلخوا من أداء الأمانة وقول الصدق وشهادة الحق في شأن الشيخ وأنصاره وما دعوا إليه من الدين، فراحوا يشبهون ويفترون على الإسلام والمسلمين، ولم تحل خشية الله بينهم وبين كتمان ما أنزل الله من البينات، بل لم تحل بينهم وبين افتراء الكذب ولبس الحق بالباطل.

ومع ذلك؛ فإن الله سبحانه وتعالى كتب لدعوة الشيخ النجاح، ولمناصريه العز والتمكين، ولخاذه الذل والإزالة؛ فها هو عثمان بن معمر الذي طرد الشيخ مهابة من ملك الأحساء يجد نفسه وقد ذهبت عنه تلك المهابة وبطل عنه كل ما كان يجد من دون الله تعالى، وما وجد غير أن يأتي إلى الدرعية نادماً تائباً، يرجو من الشيخ أن يعود معه، ثم لما رأى بالبصيرة أن اغتنام بقاء الشيخ قد فاتته، وظفر به ابن سعود^(١)؛ لم يجد بداً من أن ينضوي تحت لواء ابن سعود؛ يجاهد في سبيل الله، وهذا مقتضى العقل وعين الحق الذي لا مفر منه، ثم نلمح الوفاء والكرم من الشيخ ومحمد بن سعود؛ يكرمون هذا العزيز الذي ذل، ويجعلونه أمير الغزو كله؛ بمثابة القائد العام للجيش التي هي عدد الأمة وعدتها، يريدون بذلك إعادة اعتباره بين قومه، والإبقاء على

(١) "روضة ابن غنام" (٢ / ٤).

مكانته، وإشباع طموحه في الزعامة، والذي كان هو سبب ضعفه عن نصرته الإسلام، عسى أن يجد في الإسلام ما فقدته في غيره، وعسى أن يغتبط بهذا الفضل وينسى ما يطمح إليه، وقد قصر عن مستواه^(١) ولكنه ظل متأرجحا بين الحق والباطل، ثم أدركه حب الرياسة والاستقلال، وأعمته الأنفة عن طريقه الذي سلكه، وهو الصواب، ولم يصبر على ما توهم أنه تبعية مذلة لابن سعود وابن عبد الوهاب، فنزعت به نفسه إلى سلوك ما يريب منه ويشينه ويفتح عليه باب المؤاخذة والعقوبة، فيقتله بعض جماعته من أهل العيننة بسبب ذلك^(٢) والعيننة يحرسها الله بولائها للشيخ وابن سعود من استشرى الفتن فيها وتمزيقها لها، فما كان إلا أن تداركها الله بسرعة مجيء الشيخ إليها، وتعيين أمير يخلف الراحل، وتستمر العيننة بأهلها في مسيرتها تحت لواء الدعوة استمرارا يسحق ما يقف في طريقها، حتى ولو كان الواقف في طريقها أميرهم عثمان^(٣) أو قصر آل معمر فيها^(٤).

وفشلت كل معارضات علماء السوء النجديين، وخططهم، وسعائاتهم،

وانكشفت تشبيهااتهم، وزهق باطلهم؛ بانتشار دعوة الحق

(١) ابن بشر "عنوان المجد. . ." (١ / ٢١)، و"روضة ابن غنام" (٢ /

١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد" (١ / ٢٣، ٢٤)، و"روضة ابن غنام" (٢ / ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ٩).

(٣) "روضة ابن غنام" (٢ / ١٤).

(٤) "روضة ابن غنام" (٢ / ٥٧)، وابن بشر في "عنوان المجد ... " (١ / ٤٣).

ودولتها، حتى انهزم أمير الرياض، وافتتحها عبد العزيز بن محمد بعد حروب استمرت حوالي ثمانية وعشرين عاما، تخللتها فترات صلح، يلجأ إليها دهام بن دواس حين يحس بضعف موقفه، فيظهر الطاعة، ثم ينكث، وأخيرا هرب منها، فأدخلوها تحت حكمهم الراشد، وغنموا ما فيها من عائدات الدولة^(١).

وخاضت دولة الدعوة معارك في زمان محمد بن سعود كثيرة مع أعداء كثيرين وشرسين، من أعظمهم في زمان محمد بن سعود ثلاثة أمراء: أمير الرياض، وأمير نجران، وأمير الأحساء، فكانا يشتركان بالهجوم على الدرعية، وينضم معهم كثير من بلدان نجد وبواديها؛ يرمونهم عن قوس واحدة، وكانت نهاية النجراني ومن تبعه الخذلان عام ٨٨ - ١١٨٩ هـ في ولاية عبد العزيز خذلانا عظيما، ويرجع إلى بلاده مقهورا مدحورا هالكا^(٢).

أما أمير الأحساء الذي كان يخشاه ابن معمر؛ فقد هلك بعد أن أذله الله، وقام خلفه عرعر بن دجين، وجمع جموعا من عشائر بني خالد، وعددا كبيرا من بلدان نجد المناوئين من أهل سدير والوشم والرياض والخرج وغيرهم وبواديهم من عنزة والظفير، وتحزبوا أحزابا هائلة، اشرب الباطل لها، ونقضت عهود لأجلها، ووقدت بينه وبين أهل الجبيلة والدرعية عدة وقائع، وقتل من جنده عدة قتلى، ولم يحصل على طائل، فنكس على عقبه؛ قد فشل وفشل من نقض

(١) "روضة ابن غنام" (٢/ ٨٣ - ٨٨).

(٢) "روضة ابن غنام" (٢/ ٨٨ - ٨٩، ٩١ - ٩٣).

العهد لأجله^(١) ثم عاد مع النجراني وأتباعه ليحارب ابن سعود معه، ولكن الله لم يوفق بينه وبين النجراني، فلم يدرك شيئاً مما أرادته، ورجع إلى الأحساء^(٢).

ثم إن سعدون بن عريعر الذي تولى أمر الأحساء بعده جاء ليحارب ابن سعود مساعدة لأعدائه ومعه المدافع، ولم يفز، ورجع إلى بلاده، وترك مدافعه في اليمامة، فغنمها أهل الإسلام، وذلك في سنة خمس وتسعين ومائة وألف^(٣).

ثم في سنة مئتين وألف دب الخلاف والفتن بين بني خالد بما كسبت أيديهم، فصار ذلك لعز الإسلام مقدمة، واستولت دولة الدعوة على الأحساء وما حولها^(٤) ثم تجمعت أحزاب ثويني من بغداد وعلماء السوء لديه فهاجموا الأحساء، فهزمهم الله على يد آل سعود تحت راية التوحيد. وهكذا؛ تم القضاء على بقية الأمراء الذين وقفوا في وجه الإسلام، وطما على بلدانهم ملك أنصاره؛ كما جرى للسابقين الأولين، وكما قال تعالى :

(١) "روضة ابن غنام" (٢ / ٦٨ - ٧٢).

(٢) "روضة ابن غنام" (٢ / ٦٦ - ٦٨).

(٣) "روضة ابن غنام" (٢ / ١١٠).

(٤) " الدرر السنينة" (١١ / ٤٧)، وانظر: "عنوان المجد..." لابن بشر (ص ١٢٤-١٢٨).

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ
لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۗ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۗ ﴾^(١).
والحمد لله رب العالمين.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في نصيحته للإمام عبد الله ابن
فيصل: "تفهم أن أول ما قام به جدك محمد وعبد الله وعمك عبد العزيز
أنها خلافة نبوة؛ يطلبون الحق، ويعملون به، ويقومون ويغضبون له ويرضون
ويجاهدون، وكفاهم الله أعداءهم على قوتهم، إذا مشى العدو؛ كسره الله
قبل أن يصل؛ لأنها خلافة نبوة، ولا قاموا على الناس إلا بالقرآن والعمل به؛
كما قال تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ
لَهُمْ ۗ ﴾^(٢).

وأخذ عمك في الإسلام، حتى جاوز الثمانين في العمر، والإسلام في
عز وظهور، وأهله يزيدون، وحصل لهم مضمون قوله :

﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٣) وصار أهل الأمصار يخافونهم " ^(٤).

وما من شك أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية هي

(١) سورة النور آية : ٥٥ .

(٢) سورة النور آية : ٥٥ .

(٣) سورة النور آية : ٥٥ .

(٤) " الدرر السنية" (١١ / ٤٧)، وانظر: "عنوان المجد..." لابن بشر (ص ١٢٤-١٢٨).

التي قامت عليها هذه الدولة العظيمة؛ فإنه لم يتوف إلا ومنطقة الأحساء تكاد كلها تخضع لها^(١).

وقد استمرت هذه الدولة في تطور عظيم كلما قامت بنشر العقيدة السلفية وحماتها، ولقد يسر الله من يقوم بنشرها من العلماء والأمراء، حتى بعد وفاة الشيخ محمد سنة ١٢٠٦ هـ، كما كانوا في حياته على ما قدمنا ذكره، حتى تمكنت دولة العقيدة السليمة من ضم الأحساء ومناطق كبيرة من الساحل الغربي للخليج العربي وعمان، كما تمكنت من صد حملتين عسكريتين وجههما إليها باشا بغداد، واستطاعت أيضا أن تستولي على الحجاز وما يقع إلى الجنوب منه حتى أواسط اليمن، وتمكنوا من صد الحملة المصرية وهزيمتها في حياة سعود.

وبتلك العقيدة، في أقل من عشرين عاما من وفاة الشيخ، أصبحت مساحة دولة الدرعية تمتد من الشام والعراق شمالا حتى أواسط اليمن جنوبا، ومن البحر الأحمر غربا حتى الخليج العربي وأواسط عمان شرقا، وبذلك تعدى نفوذ سلطانها خارج جزيرة العرب، وأصبحت تشن الغارات داخل الأراضي العراقية والشامية، حتى بات كثير من القبائل الموجودة هناك تدفع إليها الزكاة^(٢).

قال الشاعر :

(١) "عنوان المجد... " (١/ ١٢٨).

(٢) انظر: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره" للدكتور العثيمين (ص ٦٥).

وقد ملكوا نجدا وغورا وأتهموا وشاما إلى البصرى بل الغرب والشرقا
حنيفة في دينها سلفية وكانوا أولي بأس فسل كل من تلقى^(١)

▪ مجمل إصلاحات الشيخ السلفية

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو الذي دعا إلى عقيدة السلف الصالح، وقام معه أنصاره بهذا الدين على حين غربة، فنشره الله في الآق، وبارك الله في جهوده وجهاده؛ فكل امرئ أخذ منه حظه وقسمه، وبعثت العمال لقبض الزكاة بعد أن كانوا يسمون قبل ذلك عند الناس مكاسا وعشارا، ونشرت راية الجهاد بعد أن كانت فتنا وقتالا، وعرف الصغير والكبير التوحيد بعد أن كان لا يعرفه إلا الخواص، واجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن أصل الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها، وتعلمها الصغير والكبير والقارئ والأمي بعد أن كان لا يعرفها إلا الخصاص، وانتفع بعلمه أهل الآفاق؛ لأنهم يسألون عما يأمر به وينهى عنه، فيقال لهم: يأمر بالتوحيد وينهى عن المنكر، ويقال لهم: إن أهل نجد يمتنونكم بذلك؛ فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه، وهدم المسلمون جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة وعمان والأحساء ونجد وغير ذلك، حتى لا تجد في من شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلا عن غيره؛ إلا

(١) "الدرر السنينة" لابن قاسم (١٢ / ٣٠).

الرياء الذي قال فيه النبي ﷺ ﴿ إِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ عَلَى صِفَاةِ سَوْدَاءٍ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ ﴾^(١) وأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحي يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين عن معرفة ثلاثة الأصول: معرفة الله، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة أركانه، وما ورد عليها من الأدلة من القرآن، ومعرفة محمد ﷺ ونسبه، ومبعثه، وهجرته، وأول ما دعا إليه، وهي: لا إله إلا الله، ومعرفة معناها، والبعث بعد الموت، وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وفروض الوضوء ونواقضه، وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد من أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله؛ كالدعاء، والذبح، والندى، والخوف، والرجاء، والخشية، والرغبة، والرغبة، والتوكل، والإنابة... وغير ذلك كما سبق ذكره، وذلك يسأل عنه الناس، ويلزمون بتعلمه؛ كل على قدر مستواه.

وكان الشيخ هو المرجع في أمور الدين وما يتعلق به من الأمور الأخرى؛ فهو المرجع في شئون الإفتاء، وكان هو الذي يختار القضاة ويعينهم، كما كان يرسل المرشدين إلى المناطق المختلفة، ويبعث العلماء لمناقشة من يود أن يعرف ما كان يدعو إليه؛ كما طلب الشريف؛ فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز الحصين وغيره، وقد شرح لعلماء مكة حقيقة الدعوة، وللشيخ دور كبير في تدريس وتخرج كثير ممن أصبحوا قادة في ميادين العلوم الدينية المختلفة، وقاموا بأدوار إصلاحية هامة^(٢) وكان رحمه الله تعالى هو الذي يجهز الجيوش،

(١) مسند أحمد (٤/٤٠٣).

(٢) "الشيخ محمد بن... " للدكتور العثيمين (ص ٧١) بتصرف.

ويبعث السرايا، ويكاتب أهل البلدان ويكاتبونه، والوفود إليه، والضيوف عنده، والداخل والخارج من عنده^(١).

ولم يزل الشيخ مجاهدا حتى أذعن أهل نجد وتابعوا، وعمل فيها بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبايعوه، فعمرت نجد بعد خرابها، وصلحت بعد فسادها، ونال الفخر والملك من آواه، وصاروا ملوكا بعد الذل والتفرق والقتال، وهكذا كل من نصر الشريعة من قديم الزمان وحديثه؛ فإن الله يظهره على أعدائه، ويجعله مالكا لمن عاداه، وما مات إلا وقد قرت عينه بنصر الله لدين الإسلام، فكان كثيرا ما يتمثل شاكرا لربه بثلاثة أبيات هي :

بأي لسان أشكر الله إنه لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباي بالإسلام فضلا ونعمة علي وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادي يوم كشف السرائر^(٢)

ويلهج دائما بقوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

صَلِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ^ط إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٠﴾^(٣).

(١) ابن بشر، "عنوان المجد... " (١ / ٩٠)، و"الدرر السنية" (٣١ / ١١).

(٢) ابن بشر "عنوان المجد... " (١ / ٩١).

(٣) سورة الأحقاف آية : ١٥.

وكان قد ثقل في آخر عمره، فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين رجلين حتى يقام في الصف، فكان لا يزال قدوة حتى وهو في هذه الحال إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

ويمكننا أن نتبين مجمل إصلاحات الشيخ السلفية حسبما ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن ذلك؛ فقال رحمه الله :

"فأتاح الله بمنه في هذه البلاد النجدية والجهات العربية من أحبار الإسلام وعلمائه الأعلام من يكشف الشبهة، ويجلو الغمة، وينصح الأمة، ويدعو إلى محض الحق وصریح الدين، الذي لا يخالطه ولا يمازجه دين الجاهلية المشركين، فنافح عن دين الله، ودعا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وصنف الكتب والرسائل، وانتصب للرد على كل مبطل ومماحل، وعلم من لديه كيف يطلب العلم، وأين يطلب، وبأي شيء يقهر المشبه المجادل ويغلب^(١).

واجتمع له من عصابة الإسلام والإيمان طائفة يأخذون عنه، ويتفجعون بعلمه، وينصرون الله ورسوله، حتى ظهر واستنار ما دعا إليه، وأشرقت شمس ما عنده من العلم وما لديه، وعلت كلمة الله، حتى أغشى إشراقها وضوءها كل مبطل ومماحل، وذل لها كل منافق مجادل، وحقق الله وعده لأوليائه وجنده ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾^(٢).

(١) ابن بشر "عنوان المجد... " (ص ٩٥).

(٢) سورة غافر آية : ٥١.

وقوله:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾^(١) الآية.

فزال بحمد الله ما كان بنجد وما يليها من القباب والمشاهد والمزارات
والمغارات، وقطع الأشجار التي يتبرك بها العامة، وبعث السعاة لمحو آثار
البدع الجاهلية من الأوتار والتعاليق والشركيات، وألزم بإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة وصيام رمضان وحج البيت وبسائر الواجبات، وحث من لديه من
القضاة والمفتين على تجريد المتابعة لما صح وثبت عن سيد المرسلين، مع
الاعتداء في ذلك بأئمة الدين والسلف الصالح المهديين، ونهاهم عن ابتداء
قول لم يسبقهم إليه إمام يقتدى به، أو علم يهتدى به، وأنكر ما كان
الناس عليه في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية التي لم
ينزل في تعظيمها سلطان، ولم يرد به حجة شرعية ولا برهان؛ لأن ذلك فيه
مشاهدة للنصارى الضالين في أعيادهم الزمانية والمكانية، وما هو باطل مردود
في شرع سيد المرسلين.

وكذلك أنكر ما أحدثه جهلة المتصوفة وضلال المبتدعة من التدين
والتعبد باللغو واللعب والمكاء والتصدية والأغاني التي صدهم

(١) سورة النور آية : ٥٥.

بها الشيطان عن سماع آيات القرآن، وصاروا بها من أشباه عباد الأوثان الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾^(١).

وكل من عرف ما جاء به الرسول تبين له أن هؤلاء من أضل الفرق وأخبثهم نخلة وطريقة، والغالب على كثير منهم النفاق وكراهة سماع كلام الله.

وأنكر رحمه الله ما أحدثته العوام والطغام من اعتقاد البركة والصلاح في أناس من الفجار والطواغيت الذي يترشحون لتأله العباد لهم وصرف قلوبهم إليهم باسم الولاية والصلاح وأن لهم كرامات ومقامات ونحو هذا من الجهالات؛ فإن هؤلاء من أضر الناس على أديان العامة.

وأنكر رحمه الله ما يعتقدده العامة في البله والمجازيب وأشباههم، الذين أحسن أحوال أحدهم أن يرفع عنه القلم ويلحق بالمجانين.

وأرشد رحمه الله إلى ما دل عليه الكتاب وسنة رسول الله ﷺ من الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وساق الأدلة الشرعية التي يتميز بها كل فريق، ويعتمدها أهل الإيمان والتحقيق؛ فإن الله جل ذكره وصف الأبرار ونعتهم بما يمتازون به ويعرفون؛ بحيث لا يخفى حالهم ولا يلتبس أمرهم، وكذلك وصف تعالى أولياء الشيطان

(١) سورة الأنفال آية : ٣٥.

من الكفار والفجار، ونعتهم بما لا يخفى معه حالهم ولا يلتبس أمرهم على من له أدنى نظر في العلم وحظ من الإيمان.

وكذلك قام بالنكير على أجلاف البوادي وأمراء القرى والنواحي فيما يتجاسرون عليه ويفعلونه؛ من قطع السبيل، وسفك الدماء، ونهب الأموال المعصومة، حتى ظهر العدل واستقر، وفشا الدين واستمر، والتزمه كل من كانت عليه الولاية من البلاد النجدية وغيرها، والحمد لله على ذلك^(١).

أسباب زوال الدولة وتسليط العدو

ثم إنه حصلت ذنوب من الناس بعد ذلك، وأمور من التقصير والاختلاف، فكانت سببا في تسليط الأعداء على المسلمين؛ ابتلاء وامتحانا، وتمحيصا واختبارا؛ كما هي سنة الله تعالى العزيز الحكيم. وقد تنبه إليها أبناء الشيخ - وهم حسين وإبراهيم وعبد الله وعلي - منذ حدوثها، واستنكروها، ونصحوا كافة المسلمين بمنشورهم إليهم، وحثوا على التوبة منها قبل أن تحل العقوبة وتنزل الكارثة؛ فلا ينفذ حينئذ ندم نادم. ومن هذه الأمور المخالفة: ترك المحافظة على الصلوات الخمس، وهي عمود الإسلام، من حفظها وحافظ عليها؛ حفظ دينه، ومن ضيعها؛ فهو لما سواها أضيع.

ومنها الغفلة عن التفقه في دين الإسلام، حتى إن من الناس من

(١) "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (ج ٤، ص ٤٤٠ - ٤٤١).

ينشأ وهو ما يعرف دين الإسلام، ومنهم من يدخل فيه وهو ما يعرفه ولا يفعل؛ ظنا منه أن الإسلام هو العهد، ومعرفة الإسلام والعمل به واجب على كل أحد، ولا ينفع فيه التقليد.

ومنها أن من الناس من يمنع الزكاة، والذي ما يقدر على المنع يحبسها، والزكاة ركن من أركان الإسلام.

ومنها ظهور عقوق الوالدين وقطيعة الرحم من كثير من الناس.

ومنها ما يجري من بعض الأمراء والعامّة من الغلول من المغنم، ومن لم يستطع؛ يتحيل على الغلول بالشراء، ولا ينقد الثمن.

ومنها ظلم بعض الأمراء؛ يأخذون من أموال الناس بصورة الجهاد، ولا يصرفه في الجهاد، بل يأكله، وبعض الأمراء يأخذ جميع الزكاة ولا يعطي المساكين منها شيئا، وربما يجري من هؤلاء تحميل الناس ما لا يستطيعون.

ومنها اختلاط الجيد بالردىء، وصاحب الدين بالمنافق، ولا يميز هذا من هذا، ووقع بسببه ظهور الكلام الباطل، والذي لو يظهر من أحد في أول أمر هذه العقيدة؛ أدب أدبا بليغا، وعرف أن قائله منافق.

ومنها الظلم، والوقوع فيما حرم الله؛ من الدماء، والأموال، والأعراض، والغيبة، والنميمة، وقول الزور، وبهت المسلم بما ليس فيه، وصار هذا ما يستنكر، فإذا بان كذبه وتزويره؛ ما سقط من العيون.

ومنها الجسرة على ذمة المسلم، فإذا أعطى أحد من المسلمين أحدا من الكفار ذمته؛ خفر في دمه أو ماله، والعجب أن بعض الجهال يفعل هذا ديانة، ويظن أنه معاداة للكفار، واستحلال المحرم أعظم من ارتكابه مع معرفة تحريمه.

ومنها أن بعض الناس يغضب إذا أنكر على رجاله أو من له علاقة إذا فعل المنكر وأنكر عليه، وهذا أمر ما يجل.

ومنها التعاطي بمعاملات من الربا، وبمحق الله الربا.

ومنها التناقل عن الجهاد، ومعصية الإمام في ذلك وغيره، وقد فرض الله الجهاد على المسلمين، وبهذا الجهاد أعزهم الله بعد الذلة، وقواهم بعد أن كانوا مقهورين.

ومنها ما يجري من تطليق على غير السنة؛ يطلق الرجل زوجته بطريقة مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وغير ذلك من الأمور التي تجري من الناس قبيل نكبتهم على يد إبراهيم باشا.

والعلماء من آل الشيخ وغيرهم من حملة العقيدة السلفية ينبهون على ذلك وينصحون وينكرون، وكذلك الإمام سعود وابنه عبد الله لهما في ذلك نصائح، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم هذه النصائح، وأوردها بنصوصها وتفصيلها^(١) وقد اختصرت منها ما ذكرته من تلك الأمور التي كانت أسبابا في التغيير.

قال الله تعالى :

(١) انظر: " الدرر السنية" (ج ١١، كتاب النصائح، ص ٣ - ٢١).

﴿ ذَلِكِ بَأْسٌ لِّمَن لَّمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَيَّ قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾^(١).

نتيجة التغير عن عقيدة السلف الصالح

وأهم هذه الأمور، والتي كأنها نتيجة لتلك الأمور المنكرة المتقدمة، وسراية لها: ما يذكره الشيخ راشد بن علي الحنبلي في رسالته "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد"؛ من تنازع على الإمارة والسلطة واختلاف بسبب ذلك بين القادة، فقال ما نصه عن الإمام عبد الله بن سعود:

"فسار سيرة والده؛ إلا أن إخوته لا يوافقونه على إرادته، وكان لا يخالفهم، ونازعه أخوه فيصل بن سعود، فكان يأمر ويفصل يأمر، فتنفقت شوكتهم، ونفر منهم فئام من العرب، واتسع الخرق في قوتهم، فحاربتهم الدولة المصرية، وانحاز إلى المصريين أكثر العرب من نجد والحجاز واليمن والعراق والشام"^(٢).

ويجمل ابن بشر ذلك بقوله: "إن الدولة المصرية سلطت على المسلمين بسبب الذنوب"^(٣).

والمقصود بيان أثر عقيدة الشيخ السلفية حين تقرر وتطبق، أما إذا جرى أمور تخالفها؛ فيكون الأثر عكسيا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) سورة الأنفال آية : ٥٣.

(٢) "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد" للشيخ راشد بن علي الحنبلي (الطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٧٩ هـ، ص ٤٢).

(٣) "عنوان الحمد..." (١/ ١٢٨).

ولقد أثر العدوان على القائمين بها وخذلانهم دمارا رهيبا يصوره لنا ابن بشر رحمه الله في "تاريخه"، فيقول في سنة حلول النكبة المصرية :
"وكانت هذه السنة قد كثر فيها الاضطراب، والاختلاف، ونهب الأموال، وقتل الرجال، وتقدم أناس، وتأخر آخرون، وذلك بحكمة الله سبحانه وقدرته، وقد أرخها بعض الإخوان من أهل سدير، وهو محمد بن عمر الفاخري، فقال:

عام به الناس جالوا حسبا جالوا ونال منا الأعادي فيه ما نالوا
قال الأخلاء أرخه فقلت لهم أرخت قالوا بماذا قلت غربال^(١)

والشاهد كلمة غربال؛ فإنها بحسب حروف الجمل تساوي ١٢٣٣، وهي السنة التي حصلت فيها النكبة.

ويقول ابن بشر: "انحل نظام الجماعة والسمع والطاعة، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حتى لا يستطيع أحد أن ينهى عن منكر أو يأمر بطاعة، وعمل بالمحرمات والمكروهات جهرا، وليس للطاعات ومن عمل بها قدر، وجرى الرباب والغناء في المجالس، وسفت الدواري على الجامع والمدارس، وعمرت المجالس بعد الأذان في الصلاة، واندرس معرفة ثلاثة الأصول وأنواع العبادات، وسل سيف الفتنة بين الأنام، وصار الرجل في وسط بيته لا ينام، وتعذرت الأسفار بين البلدان، وتطير شرر الفتن في الأوطان، وظهرت

(١) "عنوان المجد... " (ج ١ / ٢١٠).

دعوى الجاهلية بين العباد، وتنادوا بها على رءوس الأشهاد، فلم تنزل هذه المحن على الناس متتابعة، وأجنحة ظلامها بينهم خاضعة^(١).

ويقول الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر من قصيدة نظمها في رثاء أهل الدرعية، وذكر ما جرى لهم وعليهم، وأولها قوله :

إلى أن قال:

عسى وعسى أن ينصر الله ديننا	ويجبر منا ما قد تصدعا
ويعمر للمسحار بوعا تهمت	ويفتح سبلا للهداية مهيعا
ويظهر نور الحق يعلو ضياؤه	فيضحى ظلام الشرك والشك مقشعا
إلهي فحقق ذا الرجاء وكن بنا	رءوفا رحيفا مستجيبا لنا الدعا

إلى أن قال:

ألا أيها الإخوان صبرا فإنني أرى الصبر للمقدور خيرا وأنفعا

(١) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (ج ١ / ٢١٠ - ٢١١).

ولا تيأسوا من كشف ما ناب إنه
وما قلت ذا أشكو إلى الخلق نكبة
فما كان هذا الأمر إلا بقدره
وذلك عن ذنب وعصيان خالق
وقد آن أن نرجو رضاه وعفوه
فيا محسنا قد كنت تحسن دائما
نعوذ بك اللهم من سوء صنعنا
أغثنا أغثنا وادفع الشدة التي
فجد وتفضل بالذي أنت أهله
إذ شاء ربي كشف ذاك تمزعا
ولا جزعا مما أصاب فأوجعا
بما قهر الله الخلائق أجمعا
أخذنا به حيننا فحيننا لرجعا
وأن نعرف التقصير منا فنقلعا
ويا واسعا قد كان عفوك أوسعا
فإن لنا في العفو منك لمطمعا
أصابت وصابت واكشف الضرر وارفعنا
من العفو والغفران يا غيث من دعا^(١)

وبذلك نأتي إلى نهاية هذا الفصل، وقد تضمن ذكر أثر عقيدة الشيخ السلفية في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها التي بحول الله وقوته لا تنقطع أبدا؛ فإلى الفصل التالي، وهو الفصل الثالث من الباب الثاني، باب أثر عقيدة الشيخ السلفية، ويتضمن أثرها في الدور الثاني من أدوار دولة أنصارها.

(١) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (ج ٢، ص ٣٤ - ٣٥، وفي طبعة المعارف ص ٤٣ - ٤٥).

الفصل الثالث

أثر عقيدة الشيخ السلفية في الدور الثاني

قال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف في قصيدة له :

وأقسم قوم أنها دولة مضت وليس لما قد فات عود ولا رد
وقلنا لهم نصر الإله لحزبه به جاء في القرآن والسنة الوعد
فعدت كما كانت بفضل ورحمة من الله مولانا له الشكر والحمد
فهذا إمام المسلمين مؤيداً له النصر والإقبال والحل والعقد^(١)

إنه رغم حلول النكبة وإصابة المصيبة؛ فإن عقيدة الشيخ السلفية لم تمت، ولم تنته ولم تنزل والله الحمد، لقد أتاح الله لعقيدة السلف الصالح عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد ذلك الذي جرى نورا ساطعاً وسيفاً لمن أثار الفتنة قاطعاً، فكشف الله بسببه المحن، وشهره من غمده في رعوس أهل الفتن، الإمام الوافي بالعقود، والمتمم للعهود، تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وذلك بعد سنوات من حلول النكبة، تقارب خمس سنوات أو ستا.

قال ابن بشر عن الإمام تركي: "أطفأ الله به نار الفتنة بعد

(١) "ديوان ابن مشرف" (ص ٤٧).

اشتعال ضرامها، وهان على كثير من الناس دينها وإسلامها، كأنهم لم يكونوا حدثا بإسلام، ولم يجتمعوا على إمام، وتهاون كثير منهم بالصلاة، وأفطروا في البلدان في شهر رمضان، وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى أو شعبان، وتعذرت بين البلدان الأسفار، واتخذوا دعوى الجاهلية لهم شعارا، فحارب البلدان، وقاتل العربان، ودعاهم إلى الجماعة، والسمع والطاعة، حتى ضرب الإسلام بجرانه، وسكنت الأمة في أمنه وأمانه" (١).

وكان من شأن الإمام تركي فيما يتعلق بنصره دين الله، وعطفه على الرعية، وحزمه مع أمرائه؛ ما يذكره ابن بشر؛ قال: "لما خرج من الدهناء؛ نزل على غدير يقال له: وثيلان، فأمر على رؤساء النواحي أن يجتمعوا، فلما حضروا؛ قام فيهم، وذكرهم نعمة الله عليهم بالاجتماع بعد الفرقة، والأخوة بعد العداوة، والغنى بعد العيلة، واعترف عند ذلك بنعمة الله عليه، وضعفه وعجزه وتقصيره، وحقر نفسه، ثم إنه أغلظ الكلام على الأمراء، وتهددهم وتوعدهم عن ظلم الرعايا والأخذ منهم غير الحق، ثم قال: وإنكم إذا ورد أمرى عليكم بالمغزا؛ حملتموهم زيادة لكم، وإياكم وذلك؛ فإنه ما منعي أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب في غزوهم إلا الرفق بهم، وإني ما حملتهم إلا بعض ما حملهم الذين من قبلي، والله تعالى يقول: ﴿ كَم مِّن

فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢).

(١) انظر: تاريخ ابن بشر "عنوان المجد... " (ج ٢، ص ٨).

(٢) سورة البقرة آية : ٢٤٩.

وإنه إذا ورد عليكم أمري؛ فرحتم بذلك؛ لتأكلوا في ضمنه، وصرتم كراصد النخل؛ يفرح بشدة الريح؛ ليكثر الساقطة عليه.
واعلموا أنني لا أبيحكم أن تأخذوا من الرعايا شيئاً، ومن حدث منه منكم ظلم على رعيته؛ فليس أدبه عزله، بل أجليه عن وطنه.
ثم قال للرعايا: أيما أمير ظلمكم؛ فأخبروني، فقام أمير بريدة عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن حسن، فقال: يا إمام المسلمين! خص بقولك ولا تعم به، فإن كنت نقت على أحد منا؛ فأخبره بفعله، فقال: إنما القول فيك وفي أمثالك، تحسبون أنكم ملكتم البلدان بسيوفكم، وإنما أخذها لكم وذلها سيف الإسلام والاجتماع على إمام^(١).

جهود شيخ المسلمين في عهده الشيخ عبد الرحمن بن حسن

وكان من توفيق الله للإمام تركي أن أتاح له شيخاً من شيوخ العقيدة السلفية، هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ، قدم على الإمام تركي من مصر، ففرح به الإمام وأكرمه، ووضعه بالمكان الرفيع، وقربه إليه، فأحيا الله به مدارس العلم بعدما عطلت، وتزينت بدروسه المساجد بعدما أقفرت، وكان الشيخ من أعلام عقيدة السلف الصالح، ومن علمائها العاملين، كان قد أخذ عن جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في صغره، وولي القضاء في الدرعية زمن سعود

(١) تاريخ ابن بشر "عنوان المجد.. " (ج ٢، ص ٤٤).

وابنه عبد الله^(١) ثم أخذ مع من أخذ إلى مصر، ولكن الله تعالى من عليه بالعودة سنة إحدى وأربعين ومئتين بعد الألف، مع ما من به عليه من ثبات على العقيدة، وإتاحة الناصر لها من آل محمد بن سعود، زاده الله في العلم النافع بسطة؛ فاغتبط بطلعته المسلمون؛ خاصهم وعامهم، وبذل وقته لطالبي العلم، وانتفع بعلمه كثير من المستفيدين^(٢).

قال ابن بشر عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "فممن انتفع به وتفقه عليه حتى صار قاضيا يرجع في الفتوى إليه من ذريته وذرية جده محمد بن عبد الوهاب عدد كثير، منهم العالم الفاضل ابنه الشيخ عبد اللطيف، قدم من مصر سنة أربع وستين ومئتين وألف ومعه كتب كثيرة، وانتفع الناس بعلمه، وكان عنده حلقة في التدريس، وكان أخذ العلم عن أبيه في مصر، وأخذ أيضا عن غير أبيه، واستعمله الإمام فيصل قاضيا في الأحساء، ثم كان قاضيا مع أبيه في الرياض، وتفقه على الشيخ عبد الرحمن بن حسن أيضا الشيخ العالم عبد الرحمن ابن القاضي حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان قاضيا في ناحية الخرج، وتفقه عليه أيضا الشيخ العالم الفقيه حسن بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاضي الإمام تركي في الرياض، ولم تطل مدته، مات شابا سنة خمس وأربعين ومئتين وألف، وتفقه عليه

(١) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (ج ١، ص ٩٤، ج ٢، ص ٢٠).

(٢) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (ج ٢، ص ٢٠).

أيضا الشيخ العالم عبد الملك بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في حوطة بني تميم للإمام فيصل، وتفقه عليه أيضا الشيخ حسين بن حمد بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في الحريق للإمام فيصل، وتفقه عليه أيضا الشيخ حسين بن علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في الرياض للإمام فيصل، وتفقه عليه أيضا الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من ذرية الشيخ، وهو الآن في طلب العلم يترقى: حسن بن علي بن حسين، وأبناء الشيخ محمد بن علي ابن الشيخ، وهم: عبد الله وعبد العزيز وعلي وعبد الرحمن، وأبناء القاضي علي بن حسين، وهما: عبد الله وحسن".

وقد أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن من غير قرابته من علماء نجد عدد كثير وجم غفير ممن ولي القضاء وغيرهم؛ فمنهم العالم الشيخ عبد العزيز ابن القاضي عثمان بن عبد الجبار بن شبانه قاضي بلدان منيخ^(١) والزلفى والعاظ للإمام تركي ثم لابنه فيصل، وأخذ عنه أيضا العالم الشيخ عبد الله بن نصير القاضي في الرياض للإمام تركي ثم في ضرما، وأخذ عنه الشيخ ناصر بن عيد القاضي للإمام تركي في بلد الحلوة، وأخذ عنه أيضا الشيخ محمد بن سلطان قاضي بلد عرقة للإمام تركي ثم لابنه فيصل، وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن

(١) منيخ: اسم كان يطلق على الجمعة وما حولها من واديها. "معجم اليمامة" (ج ٢ / ص ٤٠٢).

ابن حمد الثميري القاضي في سدير للإمام تركي ثم كان قاضيا في الزلفى للإمام فيصل، وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن جبر القاضي في منفوحة، وأخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف القاضي في جبل شمر عند ابن رشيد، وأخذ عنه العالم عبد العزيز بن حسن بن يحيى القاضي في حرملاء والمحمل للإمام فيصل، وأخذ عنه الشيخ محمد ابن إبراهيم بن عجلان القاضي في الحريق، وأخذ عنه الشيخ عبد الله ابن علي بن +مرخان القاضي في ضرما للإمام فيصل، وأخذ عنه أيضا الشيخ حمد بن عبد العزيز ابن القاضي محمد بن عبد العزيز قاضي بلد ثادق للإمام فيصل، وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن عدوان.

وأما من أخذ عنه ممن لم يل القضاء؛ فعدد كثير.

ونفع الله الطلبة بعلمه؛ بحيث إن الطالب لا يلبث إلا يسيرا عنده حتى يكون فائقا بفهمه، فضربت إليه أباط الإبل من أقطار نجد والأحساء، وظهرت آثار بركات علمه وتعليمه^(١).

وللشيخ عبد الرحمن بن حسن المؤلفات والفتاوى والرسائل المشهورة، والتي عمرت بها المدارس من بعده؛ مثل "فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد"، وهو تهذيب واختصار لشرح التوحيد المسمى "تيسير العزيز الحميد" للشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ، و"قرة عيون الموحدين"، وردود كثيرة على أهل الشبه وأعوان الباطل.

يقول ابن بشر: "وقد صنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن

(١) ابن بشر "عنوان المجد في تاريخ نجد" (٢/ ٢١ - ٢٢) .٠

مصنفات في الأصول والفروع، أكثرها رد على أهل المقالات ومن غالط منهم في الصفات، وله مصنف فيما يحل ويحرم من الحرير، فمن طالعه؛ دله على علمه الغزير".

ويقول ابن بشر: "كتبت له مرة، ودعوت له في آخر الكتاب، وقلت في ختام الدعاء: إنه على ما يشاء قدير. فكتب إلي، وقال في أثناء جوابه: إن هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد، وهو قول الكثير إذا سأل الله تعالى؛ قال: وهو القادر على ما يشاء، وهذه الكلمة يقصدون بها أهل البدع شرا، وكل ما في القرآن: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١) وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلا؛ لأن القدرة شاملة كاملة، وهي والعلم صفتان شاملتان، تتعلقان بالموجودات والمعدومات، وإنما قصد أهل البدع بقولهم: وهو القادر على ما يشاء؛ أي أن القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت به المشيئة" انتهى.

وقال ابن بشر: " وكتبت إليه مرة أهنيه بقدم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر، وتوسلت إلى الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لا يعلمها إلا هو، فكتب إلي، فقال: وقد ذكرت وفقك الله في وسيلة دعوتك جزاك الله عني أحسن الجزاء عن تلك الدعوات؛ قلت: وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت. فاعلم أيها الأريب الأديب أن الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة، وأما الصفة؛ فيعلمها أهل العلم بالله؛ كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، ففرق هذا الإمام بين ما يعلم من معنى الصفة على ما يليق بالله، فيقال: استواء لا يشبه استواء المخلوق، ومعناه ثابت

(١) سورة المائدة آية : ١٢٠.

لله؛ كما وصف به نفسه، وأما الكيف؛ فلا يعلمه إلا الله؛ ففتنه مثل هذا؛ فالإمام مالك تكلم بلسان السلف".

يقول ابن بشر: " فانظر إلى سعة علومه واطلاعاته ومفهومه، وما لديه من التحقيق والتدقيق، وكان كثيرا ما يتعاهد أهل بلدان نجد بالمراسلات والنصائح؛ يعلمهم ما يجب عليهم من أمر دينهم، ويذكرهم نعمة هذا الدين، واجتماع شمل أهل الإسلام عليه، وما من الله به على أهل نجد في آخبر هذا الزمان"^(١).

ويقول ابن بشر عن رسالة للشيخ عبد الرحمن بن حسن: " وورد علينا منه رسالة بعثها إلى بلدان نجد، وأحببت أن أذكرها في ترجمته؛ لأنه ذكر فيها بدء أمر الشيخ جده محمد بن عبد الله وأول ظهور هذا الدين على يديه في نجد"، وأوردها كما أوردها ابن بشر للغرض نفسه، ولتأكيد وراثته الشيخ عبد الرحمن بن حسن لجده الشيخ محمد في حمل عقيدة السلف الصالح ونشرها والتأثير على الناس في العودة إلى دين الله ورسوله ﷺ؛ كما فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكأنها بيان للخطة التي يسير عليها عالم الدولة في دورها الثاني.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: "بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ﴿٣﴾ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ﴿٤﴾ ﴿٢﴾ وصلّى الله على محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (ج ٢، ص ٢٢-٢٣) .٠

(٢) سورة الفاتحة آية : ٢ .

وبعد: فالذي أوجب هذا الكتاب ذكر ما أنعم الله به عليكم من نعمة الإسلام، الذي عرفكم به وهداكم إليه وتسمون به؛ فلا يعني باسم الإسلام إلا أنتم، وما أعطاكم الله تعالى في هذا الدين من النعم أكثر من أن تحصر، لكن منها نعم كل واحدة منها حصولها نعمة عظيمة؛ لأن المعارض لها قوي جدا : أولها: كون الدعوة إلى دين الإسلام ما قام في بيانها والدعوة إليها إلا رجل واحد، فلما شرح الله صدره، واستنار قلبه بنور الكتاب والسنة، وتدبر الآيات، وطالع كتب التفسير وأقوال السلف في المعنى والأحاديث الصحيحة؛ سافر إلى البصرة، ثم إلى الأحساء والحرمين؛ لعله أن يجد من يساعده على ما عرف من دين الإسلام، فلم يجد أحدا، كلهم قد استحسن العوائد، وما كان عليه غالب الناس في هذه القرون المتأخرة إلى منتصف القرن الثاني عشر، ولا يعرف أن أحدا دعا فيها إلى توحيد الله، وأنكر الشرك المنافي له، بل قد ظنوا جواز ذلك واستحبابه، وذلك قد عمت به البلوى من عبادة الطواغيت والقبور والجن والأشجار والأحجار في جميع القرى والأمصار والبوادي وغيرهم، فما زالوا كذلك إلى القرن الثاني عشر؛ فرحم الله كثيرا من هذه الأمة بظهور شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله، وكان قد عزم وهو بمكة أن يصل الشام مع الحاج، فعاقه عائق، فقدم المدينة وأقام بها، ثم إن العليم الحكيم رده إلى نجد؛ رحمة لمن أراد أن يرحمه بمن يؤويه وينصره، وقدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حرملاء، فبادأهم بالدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك والبراءة منه ومن أهله، وبين لهم الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة

وكلام السلف، فقبل منه من قبل - وهم الأقلون -، وأما الملائم والكبراء الظلمة
الفسقة؛ فكرهوا دعوته، فخافهم على نفسه، وأتى العيينة وأظهر الدعوة بها،
وقبل منه كثير منهم، حتى رئيسهم عثمان بن حمد ابن معمر، ثم إن أهل
الأحساء - وهم خاصة العلماء - أنكروا دعوته، وكتبوا شبهات تبين جهلهم
وضلالهم، وأغروا به شيخ بني خالد، فكتب لابن معمر أن يقتل هذا الشيخ
أو يطرده، فما تحمل مخالفته، فنفاه من بلده الدرعية، فتلقاه محمد بن سعود
بالقبول، وبايعه على أن يمنع مما يمنع منه أهله وولده، وهذه أيضا نعمة
عظيمة، وكون الله أتاح له من ينصره ويؤويه، والذي أقوى من ابن سعود لم
يحصل منه ذلك، وصبر محمد على عداوة الأقصى والأدنى من أهل نجد
والمملوك من كل جهة، وبأداهم دهام بن دواس بالحرب، فهجم على الدرعية
على حين غفلة من أهلها، وقتل أولاد محمد: فيصل وسعود؛ فما زاد محمدا
إلا قوة وصلابة في دينه، على ضعف منه وقلة في العدد والعدة وكثرة من
عدوهم، وذلك من نعمة الله علينا وعليكم؛ فرحم الله هذا الشيخ الذي
أقامه الله مقام رسله وأنبيائه في الدعوة إلى دينه، ورحم الله من آواه ونصره؛
فله الحمد على ذلك.

وفيما جرى من ابن سعود شبه مما جرى من الأنصار في بيعة العقبة.
ثم إن بني خالد وأهل نجد وأهل العراق والأشراف والبوادي وغيرهم
تجردوا لعداوة هذا الشيخ ومن كان آواه ونصره، وأقبلوا على حربهم بجدهم
وجنودهم، فأبطل الله كيد من عاداهم، وكل من رام

من هؤلاء الملوك وأعوانهم أن يطفئ هذا النور؛ أطفأ الله ناره، وجعلها رمادا، وجعل كثيرا من أموالهم فيئا للمسلمين، وهذه عبرة عظيمة ونعمة جسيمة. ثم إن الله بفضله وإحسانه أظهر هذا الدين في نجد، وأذل من عاداه، فعمت النعمة أهل نجد ومن والاهم شرقا وغربا، وحفظ الله عليكم نعمة الإسلام التي رضيها سبحانه لعباده دينا، فلم يقدر أحد أن يقدرها بقوته وقدرته؛ فاشكروا ربكم، وأقبلوا على التوحيد تعلمًا وتعلِيمًا، والأمر بما يحبه من طاعته، والنهي عما نهى الله عنه من المعاصي.

فالواجب علينا وعليكم التواصي بهذه النعمة العظيمة، والتنافس في هذا الدين الذي من الله به عليكم، وهو الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتبه، وأكمل به، ورضيه لعباده، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾^(٢).

فاحذروا نسيان ربكم عما افترضه عليكم، وأقبلوا على توحيدهِ وطاعته، واطلبوا بذلك الجنة والنجاة من النار؛ فكونوا أئمة في هذا

(١) سورة المائدة آية : ٣.

(٢) سورة الحشر آية : ١٨.

الدين، الذي هو معنى لا إله إلا الله، وقد بين الله معناه في آيات كثيرة من كتابه ؛ فإنها دلت على نفي الشرك، والبراءة منه وممن فعله، وإخلاص العبادة لله وحده، وذلك في آي كثير:

فمن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).

فقوله: ﴿ أَقِمَّ وَجْهَكَ ﴾ (٢) فيه الإخلاص، و ﴿ حَنِيفًا ﴾ (٣) فيه نفي الشرك، و

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤) فيه البراءة منهم ومن دينهم.

قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۗ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (٥).

والآيات في معنى: لا إله إلا الله أكثر من أن تحصر ؛ كقوله : ﴿ إِنَّ

الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۗ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٦).

والمراد فتح الباب لكم في معنى التوحيد الذي فيه الفلاح والنجاة وصلاح الدنيا والآخرة؛ فلا تنسوا ربكم بالإعراض عن الهدى فينسيكم أنفسكم، ومن عقوبة الإعراض عمي البصر في الدنيا والآخرة، ولا باق معكم إلا دينكم لمن من الله عليه بحفظه والإقبال عليه والعمل به، وإلا تفهمون أن الدنيا ما للإنسان منها إلا ما كان لله،

(١) سورة يونس آية : ١٠٥ .

(٢) سورة يونس آية : ١٠٥ .

(٣) سورة يونس آية : ١٠٥ .

(٤) سورة يونس آية : ١٠٥ .

(٥) سورة الزمر آية : ٢ .

(٦) سورة يوسف آية : ٤٠ .

وغير ذلك زائل. هذا ما نوصيكم به وندلكم عليه عامة والعلماء والأمراء خاصة.

فيجب عليكم أن تكونوا صدرا في هذا الدين بالرغبة فيه والترغيب، وأن تكونوا سندا وعونا لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ويتفقدون أهل بلدهم في صلاتهم، وتعليمهم دينهم، وكفهم عن السفاهة وما يحرم عليهم؛ لأن الله سألهم عنهم، ومن أحب شيئا؛ أكثر من ذكره... وبالله التوفيق، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين^(١).

وللشيخ عبد الرحمن بن حسن ردود ونصائح ورسائل وفتاوى كثيرة في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" و"الدرر السنية في الأجوبة النجدية" التي جمعها ابن قاسم، وكلها في شرح عقيدة السلف الصالح وبيانها والرد على من عارضها وألصق فيها التهم وشبه عليها.

وقد بارك الله في عمر الشيخ عبد الرحمن بن حسن كما بارك في عمله. قال عبد الرحمن بن عبد اللطيف في تعليقه على "عنوان المجد": "عاصر الشيخ عبد الرحمن بن حسن ستة من ملوك آل سعود الذين تعاقبوا على الحكم، وهم: الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وابنه سعود بن عبد العزيز، وابنه عبد الله بن سعود بن عبد

(١) "عنوان المجد . . ." (ج ٢، ص ٢٣ - ٢٦).

العزیز، ثم الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وابنه الإمام فيصل بن تركي، وابنه عبد الله بن فيصل بن تركي، ومات الشيخ عبد الرحمن في أول حكم عبد الله بن فيصل سنة (١٢٨٥ هـ) رحمه الله تعالى^(١).

جهود الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن

وفي هذه المدة كلها كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وريث جده وشيخه في العلم والعمل، كما كان الإمام تركي وابنه فيصل وريثي جدتهما محمد بن سعود وأبنائه الأئمة في مناصرة دين الله ورسوله ﷺ؛ بعد أن خرب أهل البغي مدينة الدرعية وحضارتها الإسلامية، وبعد أن ظن الناس كل الظن أن لا رجوع لهم؛ فالحمد لله الذي لا إله إلا هو؛ صدق وعده، وجعل العاقبة للمتقين، وصدق رسوله ﷺ؛ فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يقاتل آخرهم الدجال، ويأتي أمر الله، فتنتهي الدنيا، وتقوم الساعة، وتأتي الآخرة، والله المستعان.

هذا؛ وقد ساعده على حمل راية العلم والسنة ابنه الشيخ عبد اللطيف؛ فقد كتب رسائل كثيرة في بيان عقيدة السلف الصالح التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورد ما ألصق فيها من تهم باطلة، وخصص "جامع الرسائل والمسائل النجدية" الجزء الثالث من مجموعة الرسائل والمسائل لبعضها، فبلغت ستا وسبعين رسالة في أربع مئة وثلاث وخمسين صفحة (٤٥٣)، وهي ليست كل رسائله

(١) (هامش ص ٢٦٦ من جزء ١ من "عنوان المجد"، طبعة المعارف سنة ١٣٨٧ هـ).

ومؤلفاته وفتاويه؛ فهي كثيرة موزعة في أجزاء "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" الأخرى، وفي "الهدية السننية" جزء منها، و"في الدرر السننية" منها كثير.

وعلى سبيل المثال ألخص فصلا كتبه الشيخ عبد اللطيف في سيرة جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعقيدته، فقال: "قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة والمقروءة عليه وما ثبت بخطه وعرف واشتهر من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء والنبلاء من أصحابه وتلامذته:

أنه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين وأهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق بها الكتاب العزيز وصحت بها الأخبار النبوية وتلقاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم؛ يشبونها ويؤمنون بها ويمرونها كما جاءت؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والإيمان وسلف الأمة وأئمتها.

وفي توحيد العبادة والإلهية؛ فلا خلاف بين أهل الإسلام فيما قاله الشيخ وثبت عنه من المعتقد الذي دعا إليه؛ فقد دعا إلى أصل الإسلام وقاعدته: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي أصل الإيمان، وأفضل شعبة في العلم والعمل والإقرار بإجماع المسلمين".

ثم أخذ الشيخ عبد اللطيف يفصل هذه الجملة، ويستدل بالآيات الكريمة، ويبين الأنواع التي تدخل في العبادة وضدها، وبين

أن مجرد الإتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلماً، بل هو حجة على ابن آدم، وبين مسألة التكفير، وأن الشيخ فيها على ما كان عليه العلماء قاطبة؛ كما هو مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة، بل إن الشيخ لم يكفر أحداً إلا بما أجمع عليه العلماء، وهو ترك التوحيد، وبين مسائل القدر والجزء والإرجاء والإمامة والتشيع ونحو ذلك من المقالات والنحل، وأن الشيخ فيها على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى والدين، وبين عقيدة الشيخ في القرآن، ورفض الشيخ للبدع الصوفية وغيرها، وبين تقرير الشيخ على شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؛ من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه؛ من تجريد المتابعة، والقيام بحقوق النبي ﷺ من الحب والتوقير والنصرة والطاعة، وتقديم سنته على كل سنة وقول، والوقوف معها حيث وقفت في أصول الدين وفروعه باطنه وظاهره، ثم صار يبين مآثر الشيخ ومناقبه، ثم أورد الشيخ عبد اللطيف ما قاله أبو الحسن الأشعري من جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة من المعتقد^(١).

وقد لخصت هذا عن الشيخ عبد اللطيف في هذا الموضوع لبيان أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيهم، وأنهم حملوها بقوة في العلم والحجة والسلطان رحمهم الله تعالى.

وفي هذا المجال نذكر من قضاة الإمامين تركي وفيصل الشيخ

(١) انظر: "الهدية السننية" (طبعة المنار، الرسالة الرابعة ص ٨٨ - ١٠٠)، وانظر: "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (ج ٣، ص ٣٦٧ - ٣٧٧).

العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين؛ فله مكان كبير من أثر عقيدة الشيخ ونشرها والدفاع عنها تجاه أباطيل المغرضين والأعداء، وله رسائل وفتاوى في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية"، وقد أفرد بعضها؛ مثل "الرد على داود بن سليمان بن جرجيس"، طبع بمطبعة الحلبي سنة ١٣٤٤ هـ، وقد توفي سنة ١٢٨٢ هـ رحمه الله تعالى، وسبق أن عينه الإمام سعود بن عبد العزيز قاضيا على الطائف وملحقاته عام ١٢٢٠ هـ^(١).

جهود الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين

ولا ننسى عالما من علماء عقيدة السلف الصالح، ومن مشايخ الدعوة إليها، وارثي الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن طريق سنده المتصل إليه، ذلك العالم هو الشيخ الإمام العلامة الثقة في العقيدة ذو الهمة والشجاعة حمد بن علي بن محمد بن عتيق: أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبد اللطيف والشيخ علي بن حسين وغيرهم، وبرع في العلوم، وكان له حظ من المعرفة وإقدام وشهامة وعبادة وتهجد وطول صلاة ولهج بالذكر، شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعتة وتصنيفه والحث عليه^(٢) وهو الذي يعنيه

الشاعر محمد بن عثيمين وهو يرثي ابنه الشيخ سعد بن حمد بقوله:
بنى لكم حمد يا للعتيق علا لم يبنها لكم مال ولا خطر
لكنه العلم يسمو من يسود به على الجهول ولو من جده مضر^(٣)

ويقول فيه الشيخ سليمان بن سحمان:

(١) "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ٢ / ٥٦٧-٥٧٣).

(٢) "الدرر السنية..." (ج ١٢، ص ٧٧-٧٩).

(٣) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين" (ص ٤٨٠).

يعز علينا أن نرى اليوم مثله
وللشبهات المعضلات وردھا
فلله من حبر تصعد للعلا
حل عویص المشكلات البوادر
إذا ما تبدت من كفور مقامر
فحل على هام النجوم الزواهر

إلى أن قال:

ويقفو لآثار النبي وصحبه
ويحيي علامات من العلم قد عفت
إمام تزي بالعبادة فاستما
يجدد من منهاجهم كل داطر
ويعمر من بنيانه كل دامر
بما وارتقى مجدا سمي المظاهر

إلى أن قال:

علم بفقہ الأقدمین محقق
وقد حاز في علم الحديث محلة
وقد كان ذا علم بفقہ الأواخر
تسامى بها فوق النجوم الزواهر^(١)

ولي مناصب القضاء في عهد حكم الإمام فيصل بن تركي في الخرج، ثم
في الحوطة، ثم في الأفلاج.

وأخذ عنه العلم: ابنه الشيخ سعد، وابنُه الشيخ عبد العزيز، وابنُه الشيخ
عبد اللطيف، وأخذ عنه الشيخ الحبر عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ
محمد بن عبد اللطيف، والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ
سليمان بن سحمان، وغيرهم خلق كثير^(٢).

(١) "ديوان ابن سحمان" (ص ٢٨٦-٢٨٧).

(٢) "الدرر السنينة" (ج ١٢، ص ٧٨-٧٩).

وله مؤلفات جيدة؛ منها: كتاب "إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد"، وهو حاشية على "كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب، و"بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك"، و"الرد على ابن دعيج"، و"الفرقان المبين بين مذهب السلف وابن سبعين"، وله رسائل ونصائح ومكاتبات مع أعيان البلاد من حكام وعلماء من أجل الدعوة والإصلاح.

وتوفي على رأس القرن، سنة ١٣٠١ هـ^(١) وراثه تلميذه الشيخ سليمان بن سحمان بقصيدة مطلعها:

على الحبر بحر العلم بدر المنابر وشمس الهدى فلييك أهل البصائر

ومنها:

فما حمد في العلم إلا متوج حميد المساعي مشمعل المآثر^(٢)

[جهود الشيخ الشاعر أحمد بن مشرف الأحسائي]

ويحسن أن نذكر في هذا الدور شيخنا من الأحساء وشاعرا مجيدا قد تأثر أثرا طيبا وإيجابيا بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، هو الشيخ الفقيه المحدث الأديب السلفي أحمد بن علي بن حسين ابن مشرف الوهبي، ولد بالأحساء في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، ولما بلغ من النمو أشده، وتلقى العلم في ذلك العهد المبارك، عهد إشراق شمس التوحيد وعقيدة السلف الصالح بدعوة

(١) مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب "إبطال التنديد" بقلم إسماعيل بن سعد آل عتيق (ص ٤).

(٢) "ديوان ابن سحمان" (ص ٢٨٧).

الشيخ محمد ونصرة آل سعود؛ أدرك في سائر العلوم إدراكا طيبا، ونظم مقدمة "رسالة أبي زيد القيرواني"، وهي مقدمة مختصرة مفيدة في عقيدة السلف الصالح، نظمها نظما طريفا ليسهل حفظها على طالبها، واختصر "صحيح الإمام مسلم"، ثم توفي في بلدته الأحساء في سنة ١٢٨٥ هـ^(١).

وهو صاحب الديوان المسمى "ديوان ابن مشرف في العقائد والتوحيد والفقهاء والأدب"، وطبع بمطبعة السنة المحمدية، ونشره إبراهيم المحمد الضبيعي ومحمد العبد الله الحواس عام ١٣٧٠ هـ.

ونورد من ديوانه قطعة من قصيدة جيدة، وسببها أنه في السنة التاسعة والستين بعد المئتين والألف حدث أن استولى عايش بن مرعي العسيري على اليمن، وأرسل بهدية للإمام فيصل بن تركي ومعها قصيدة لقاضيهم علي بن الحسين الحفظي، ومن هذه القصيدة قوله يوصي المرسل:

وأشرف على وادي اليمامة قاتلا	ودمعك سفاحا على الخد والثدي
سلام على عبد العزيز وشيخه	وتابع رشده للإمام المجد
دعا الناس دهرا للهدى فأجابته	فئام فمنهم عالمون ومقتدي
وقفاهما حذوا سعود بسيفه	مميز مجود النقود من الردي
وعرج بها ذات اليمين وقد هوت	على عرصات للرياض بمقصد
وناد بأعلى الصوت بشرى ليفصل	ومن نسل سادات الملوك مسدد

(١) انظر ترجمته بقلم محمد حامد الفقي في أول "ديوان ابن مشرف" (ص - د - و).

إلى آخر القصيدة.

فأجابه عن الإمام فيصل الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بقصيدة كما

ذكرت ضمنها مدح آل سعود على إيوائهم الشيخ ونصرتهم للتوحيد؛ منها:

هو نصرورا التوحيد بالبيض والقنا
وآوا إماما قام لله داعيا
لقد أوضح الإسلام عند اغترابه
وجدد منهج الشريعة إذ عفت
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها
وكم شبهة للمشركين أزاحها
وألف في التوحيد أوجز نبذة (١)
نصوصا من القرآن تشفي من العمى
فوازره عبد العزيز ورهطه
فما خاف في الرحمن لومة لائم
وقفى سعود إثره طول عمره
وقد جاهدوا في الله أعداء دينه

فقال المنى بالنصر كل موحد
يسمى بشيخ المسلمين محمد
وقد جد في إخفائه كل ملحد
فأكرم به من عالم ومجدد
كما قد أمت الشرك بالقول واليد
بكل دليل كاشف للتردد
بها قد هدى الرحمن للحق من هدي
وكل حديث للأئمة مسند
على قلة منهم وعيش منكذ
ولم يثبه صولات باغ ومعتد
إلى حين ووري في الصفيح الملحد
فما وهنوا للحرب أو للتهدد

إلى أن قال:

وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا
وكم هدموا بنيان شرك مشيد

(١) يعني "كتاب التوحيد" الذي ألفه الشيخ.

إلى أن قال:

وكم لهم من وقفة شاع صيتها
وكم فتحوا من قرية ومدينة
وكم ملكوا ما بين ينبع بالقنا
ومن عدن حتى تنيخ بأيلة
وقد طهروا تلك الديار وطردها
بأمر بمعروف ونهي عن الردى
وقد هدموا الأوثان في كل قرية
بها أيّد الرحمن سنة أحمد
ودانت لهم بدو وسكان أبلد
وما بين جعلان إلى جنب مرید
قلوصك من مبدأ سهيل إلى الجدي^(١)
ذوي الشرك والإفساد كل مطرد
وبالصلوات الخمس للمتعبد
كما عمرت أيديهم كل مسجد

إلى آخر القصيدة، وهي طويلة جدا^(٢).

ومما قال رحمه الله في قبة عين نجم بالأحساء بعد أن هدمت بأمر الإمام

فيصل رحمه الله سنة ١٢٧٧ هـ:

فغادروها كبنيان الذين بنوا
بأمر وال طيبب في رعيته
إذا قام يحمي من التوحيد جانبه
لكن أطاع هداة المسلمين بما
على شفا جرف للشك والرين
مبارك الأمر محمود الفعالين
وما أصاخ لأهل الزور والمين
أفتوا وسل حساما ذا غرارين

إلى قوله:

(١) جعلان: بلد في عمان في الجنوب منه، ومرید: يقصد مرید البصرة، وعدن في اليمن والجنوب، وأيلة بالشام، والشيخ الشاعر يذكر حدود مملكة آل سعود من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال.

(٢) انظر: "ديوان ابن مشرف" (ص ٥٦-٥٩).

فقال كم قبة للشرك قد هدمت بسيفنا في عمان والعراقيين
فكيف نرضى بها تبني مشيدة في أرضنا وهي ما بين الخميسين
جزاه ربي بنصر الدين نصرته ونال من رحمة الرحمن كفلين^(١)

وقال في الإمام فيصل سنة ١٢٦٣ هـ قصيدة مطلعها:

إلى الله نشكوا حادثات النوائب ودهرا دهانا صرفه بالعجائب

إلى أن قال:

وسألت هل في دهرنا من مساعد على جبر مطلوب وإسعاف طالب
فلم أرى إلا الألمي أخوا النداء إمام الهدى نسل الكرام الأطياب
كريم المساعي فيصلا من يراعه على طرسه يحكي هتون السحاب
فيممت من أرض هجر عشية وأعلمت عيس اليعملات النجائب

إلى آخرها^(٢).

وقد مدح الإمام فيصل بما هو أهل له من الكرم وتحديد معالم الدين
على ضوء ما فعله أسلافه الميامين^(٣).

وكان عثمان بن سند البصري قد أنشأ قصيدة أقدع فيها بسب
المسلمين وشمتم بهم حين نزل إبراهيم باشا الدرعية، وقال يخاطب إبراهيم
باشا:

(١) "ديوان ابن مشرف" (ص ٢٨-٢٩).

(٢) انظر: "ديوان ابن مشرف" (ص ٣٩ - ٤٠).

(٣) انظر: الديوان (ص ٣٩ - ٤٢، وص ٤٧ - ٥٢، وص ٥٩ - ٦٩، وص ٧٢).

لقد فتحت للدين أعينه الرمذ لدى لاح من بين السيوف له السعد

فأجابه الشيخ أحمد بن مشرف بقصيدة عصماء كبحه بها، وذلك في

عهد الإمام فيصل، ومطلعها:

أليل غشا الدنيا أم الأفق مسود أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو

إلى أن قال:

وقد أقذع البصري في ذم شيخنا
أيهجو إماما هاديا أرشد الورى
ويصرهم نهمج الحججة فاهتدوا
وأنصاره تبالما قاله الوغد
إلى منهج التوحيد فاتضح الرشيد
وأبوا إلى الإسلام من بعد أن صدوا

إلى أن قال:

فلما مضت تلك العصاة لم يقم
ولكن فشا فيها الزنى وبدا الخنا
فكم فتنة عمت وكم طل من دم
وكم قطع السبل البوادي وأفسدوا
فإن كان هذا عنده الدين والهدى
بعدهم من ضمه الشام والسند
فلم تنكر الفحشا ولم يقم الحد
حرام وكم ضلت عصائب وارتدوا
فصاروا بها مثل الذئاب التي تعدوا
فقد فتحت للدين أعينه الرمذ

إلخ^(١).

أسباب نهاية الدور الثاني لدولة أنصار عقيدة الشيخ

لقد حصل خلل في التمسك بعقيدة السلف الصالح؛ من الأمر

بالاجتماع، ونبذ الفرقة والاختلاف؛ بسبب ما جرى من فتنة بين

(١) انظر: الديوان (ص ٤٥ - ٤٧) .

المسلمين، وخورج بعضهم على بعض قد جرت له بيعة وانعقدت له ولاية شرعية في الجملة.

وقد وصف لنا الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن كيف كان أول هذه الفتنة في رسالته إلى الشيخ حمد بن عتيق^(١). وفي غيرها^(٢) وصفا دقيقا حكيما صادقا؛ لأنه رحمه الله عايش تلك الأمور، واتفق أن وقعت الفتنة والشقاق في زمنه، وهو العالم الخبير، وقد أدرك رحمه الله تعالى ببعد فراسته وصدقها أن من وراء تلك الفتنة أصابع الدولة العثمانية، لا بل أصابع أعداء الإسلام المستترين بثياب الناصحين، وكثيرا ما يجري من الماكرين الاستحواذ على السلطات بالمخادعة والنفاق، وهم أعداء ألداء لعقيدة أصحاب السلطة، فكان الشيخ عبد اللطيف رحمه الله في كثير من رسائله يقيم الحجج والبراهين على وجوب معاداة العساكر التي أرسلت باسم الدولة التركية لإبطال التوحيد، ومستشاريهم الذين غايتهم بث الشبه والشكوك في العقيدة، فكان رحمه الله يبين وجوب البراءة من هؤلاء الأعداء ومجاهدتهم وهجرهم ومقاطعتهم وتحريم موالاتهم ومساكنتهم ومساكنة أنصارهم والاجتماع بهم، في كل ذلك يجاهد جهاد دفاع^(٣) وجهاد اتباع يجاهد الابتداء.

ويهمنا في هذه النقطة أن نبين أثر عقيدة الشيخ السلفية حين

(١) "مجموعة الرسائل... " (ج ٣، ص ٢٧٣ - ٢٧٦).

(٢) مجموعة الرسائل... (ص ١٦٢ - ١٧٢، وص ٦٩ - ٧٢).

(٣) مجموعة الرسائل... (ص ١٧٩ - ١٨١، وص ٢٥٦ - ٢٦٢).

تستقر في النفوس، وأثر مخالفتها، فيحسن أن نقتبس من قصيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن أبياتا تصف لنا بدقة أثر مخالفة عقيدة السلف الصالح في تلك الفترة، فقال:

ودارت على الإسلام أكبر فتنة
وذلك رقاب من رجال أعزة
وأضحى بنو الإسلام في كل مأزق
وهتك ستر للحرائر جهرة
وجاءوا من الفحشاء ما لا يعده
وسلت سيوف البغي من كل غادر
وكانوا على الإسلام أهل تناصر
تزورهم غرثى السباع الضوامر
بأيدي غواة من بواد وحاضر
لييب ولا يخصيه نظم لشاعر

إلى أن قال:

وقد جاءهم فيما مضى خير ناصح
وينقذهم من قعر ظلما مضلة
ويجبرهم أن السلامة في التي
فلما أتاهم نصر ذي العرش واحتوى
سعوا جهدهم في هدم ما قد بنى لهم
وساروا لأهل الشرك واستسلموا لهم
ومذ أرسلوها أرسلوها ذميمة
وباءوا من الخسران بالصفقة التي
وصار لأهل الرفض والشرك صولة
وعاد لديهم للواط وللخنا

إمام هدى يبني رفيع المفاجر
لسالكها حر اللظى والمساعر
عليها خيار الصحب من كل شاعر
أكابرهم كنز اللهى والذخائر
مشايخهم واستنصروا كل داغر
وجاءوا بهم من كل أفك (١) وساجر
تهدم من ربع الهدم كل عامر
يبوء بها من دهره كل خاسر
وقام بها سوق الردى والمناعر
معاهد يغدو نحوها كل فاجر

(١) أفك على وزن أشر؛ أي: كثير الإفك.

وشتت شمل الدين وانبت حبله وصار مضاعا بين شر العساكر
وأذن بالناقوس والطبل أهلها ولم يرض بالتوحيد حزب المزامر
وأصبح أهل الحق بين معاقب وبين طريد في القبائل صائر^(١)

إلخ قصيدته رحمه الله.

وإنها تشخيص ممن شاهد الداء ويصف الدواء بقوله: "وكلما حصل لهذه الطائفة قوة وسلطان في جهة أو بلد؛ حصل من الملك والعز والظهور لهم بقدر تمسكهم بما جاء به محمد ﷺ ولذلك؛ صار لشيخنا - شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - ولطائفته وأنصاره من الملك والظهور والنصر بحسب نصيبهم وحظهم من متابعة نبيهم ﷺ والتمسك بدينه، فقهروا جمهور العرب من الشام إلى عمان، ومن الحيرة إلى اليمن، وكلما كان أتباعهم وأنصارهم أقوى تمسكا؛ كانوا أعز وأظهر، وربما نال منهم العدو وحصل عليهم من المصائب ما تقتضيه الذنوب والمخالفة والخروج عن متابعة نبيهم ﷺ وما يعفو الله عنه من ذلك أكثر وأعظم، والمقصود أن كل خير ونصر حصل وعز وسرور اتصل؛ فهو بسبب متابعة الرسول ﷺ وتقدم أمره في الفروع والأصول"^(٢).

استمرار أثر المشايخ رغم ضعف المناصر

ومن المشايخ الذين لهم تأثير حسن رغم ضعف المناصر في

(١) "الدرر السنية" (ج ٧، ص ١٨٩ - ١٩٠).

(٢) "مجموعة الرسائل والمسائل... " (ج ٤، ص ٤٤٣ - ٤٤٤، ج ٣، ص ١٩٨).

شرح عقيدة السلف الصالح في الحجاز الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى،
المتوفى عام ١٣٢٨ هـ، قاضي الجمعة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري،
وصاحب المؤلفات التالية:

١- "الرد على المدراسي والسندي والحلي" في "مجموعة الرد الوافر".

٢- "شرح نونية ابن قيم الجوزية".

٣- "الرد على ما جاء في تاريخ خلاصة الكلام عن الشيخ محمد بن
عبد الوهاب ودعوته لدحلان".

٤- "الرد على شبهات المستعنين بغير الله تعالى"، ألفه عام ١٢٩٤ هـ

بمكة، نشر محمد نصيف، طبع دار مصر للطباعة بدون تاريخ (٦١ ص).

قال عنه الشيخ محمد نصيف في ترجمته له في أول مؤلفه "الرد على
شبهات المستعنين بغير الله تعالى" المذكور: "كان رحمه الله يشتغل إلى
جانب عمله في القضاء بالتجارة، وغالب تجارته في الأقمشة القطنية،
جالس أمير مكة الشريف عون الرفيق ابن محمد بن عون المتوفى عام ١٣٢٣
هـ، فأقنعه بهدم القباب المشيدة على قبور الصالحين في مكة وجدة
والطائف؛ إلا قبة قبر المزعوم أنه قبر حواء أم البشر في جدة، وقبة السيدة
خديجة زوج النبي ﷺ وقبة قبر آمنة المزعوم أنه في مكة، وقبة قبر ابن عباس
بالطائف؛ فإنه لم يهدمها خوفا من السلطان عبد الحميد العثماني أن يعزله
من الإمارة؛ فالسلاطين

والمملوك بينون القباب على قبور الصالحين وقبور أجدادهم، وقد رأيتها في إستانبول وبورصة، والعلماء في كل عصر منهم الخائف من تهمته أنه وهايي، وأما المتصوفة؛ فجاءت على أهوائهم، وفي كل عصر للثمة أنواع، والمسلمون والعرب مظلومون من الأقوياء، سلطهم الله بعضهم على بعض، وجعل بأسهم بينهم شديدا.

وكان يتردد بين جدة ومكة لشراء الأقمشة من الشيخ عبد القادر ابن مصطفى التلمساني -أحد تجار جدة- ومن ذوي الأملاك في القطر المصري، كان يدفع له أربع مئة جنيه ويشترى بألف ويسدد الباقي على أقساط بضمانة الشيخ مبارك المساعد البسام من التجار ومن أهل عنيزة، وقد دام التعامل بينه وبين الشيخ التلمساني زمنا طويلا، وكان لصدقه وأمانته ووفائه بوعده أثر طيب في نفس الشيخ التلمساني، حتى إنه لم ير ضرورة للضامن، وأخذ يبيعه ما يحتاج إليه بوثيقة تسدد فيما بعد على أقساط، وقال له: إني عاملت الناس أكثر من أربعين عاما؛ فما وجدت أحسن من التعامل معك يا وهايي، يظهر أن ما يشاع عنكم يا أهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين بسبب الحروب التي وقعت بينكم وبين أشرف مكة والمصريين والأتراك؛ فقد أشاعوا عنكم أقوالا منكورة. فسأله الشيخ أحمد أن يبينها له؟ فقال الشيخ التلمساني: يقولون: إنكم لا تصلون على النبي ﷺ ولا تحبونه. فأجابه المؤلف: سبحانك! هذا بهتان عظيم! كيف ومن لم يصل عليه في التشهد في الصلاة؛ فصلاته باطلة، ومن لا يحبه؛ فكافر؟! وإنما نحن أهل نجد ننكر الاستغاثة والاستعانة بالأموات، ولا نستغيث إلا بالله وحده، ولا

نستعين إلا به سبحانه؛ كما كان على ذلك سلف الأمة.

وقد استمر النقاش بينه وبين الشيخ التلمساني ثلاثة أيام، وأخيراً؛ هدى الله الشيخ التلمساني للحق، وصار موحدا ظاهرا وباطنا، ثم سأله الشيخ التلمساني أن يوضح له بعض أوجه الخلاف بينهم وبين خصومهم، فقال: إننا نعتقد أن الله فوق سماواته، مستو على عرشه استواء يليق بجلاله؛ من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تأويل، وهكذا في جميع آيات الصفات والأحاديث كما هي عقيدة السلف الصالح، وكما جاء عن الإمام أبي الحسن الأشعري في كتابيه: "الإبانة في أصول الديانة"، و " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين".

وقد دامت المناظرة بينهما خمسة عشر يوماً؛ لأن الشيخ التلمساني كان أشعرياً، درس في الجامع الأزهر كتب العقائد " السنوسية" و "أم البراهين" و "شرح الجوهرة" وغيرها، وقد انتهت هذه المناقشات الطويلة باقتناع الشيخ التلمساني بأن عقيدة السلف هي الأسلم والأحكم والأعلم، ثم صار الشيخ التلمساني داعياً من دعاة العقيدة السلفية، وطبع على نفقته كتباً كثيرة كان يوزعها بالجان؛ مثل: "الصارم المنكي في الرد على السبكي" لابن عبد الهادي، و " القصيدة النونية المسماة الشافية" لابن قيم الجوزية، و " الاستعاذة من الشيطان الرجيم" لابن مفلح، و "المؤمل في الرجوع إلى الأمر الأول" لابن أبي شامة المؤرخ الدمشقي، و "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" لابن تيمية، و " الرد الوافر" لابن ناصر الدين

الدمشقي، مع رسائل أخرى ضمن "الرد الوافر"، و"غاية الأمان في الرد على شواهد النبهاني" لمحمود شكري الألوسي البغدادي، وشاركته في نفقات الطبع، واشترى نسخا من "تفسير الطبري"، ووزعها على بعض الناس رحمهم الله أجمعين.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد هدى الشيخ التلمساني على يد الشيخ أحمد بن عيسى؛ فقد هداني أنا أيضا على يده.... وكان له تلاميذ كثيرون، ومن أشهرهم: الشيخ عبد القادر التلمساني المغربي، والشيخ أبو بكر بن محمد عارف خوقير المكي الكنتي، وأما في نجد؛ فكثيرون^(١) اهـ.

وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى في كتابه هذا بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ "أما بعد؛ فقد وقفت على كراسة لبعض العصريين من أهل العراق سماها "أنموذج الحقائق"، وضمنها كثيرا من الهديان والشقاشق، مضمونها الانتصار للشرك بالله المسمى بالتوسل، وتجويز دعوة الأموات والغائبين من دون الله تعالى واستحبابه، والتشنيع على من يمنع من ذلك وسبابه، فأحبيت أن أبين بطلان ما تضمنته كراسته من الشبهات الواهية والترهات المتناهية، وأن أزيح شبهاته ببراهين التوحيد الساطعة، وأوضح ضلالاته بحجج الكتاب والسنة القاطعة وكلام علماء الإسلام ومصاييح الاهتداء في الظلام.

(١) مقدمة الناشر محمد نصيف (ص ٣ - ٥).

والرسالة المذكورة شبهه لا شيء، لكن ربما يخيل بها إلى بعض قاصري الأفهام، أو لعله يحصل عليهم بها إيهام، ونحن نكتب على بعضها ما تنتقض به شبهاته، وتبطل به خيالاته وترهاته...

وقد تصدى للرد على رسائله التي مضمونها الدعوة إلى الشرك بالله ووسائله، وانتصب لقمع أباطيله وإيضاح تلبيسه وأضاليه، جمع من العلماء، وجل من الأئمة الفهماء؛ منهم: شيخنا العلامة فقيه زمانه وقدوة عصره وأوانه عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، وشيخنا العلامة واللودعي الهمام ناصر الموحدين وقامع الملحدين عبد الرحمن بن حسن، ومنهم شيخنا العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن، ومنهم العلامة المحدث فخر الديار اليمنية الشريف محمد بن ناصر الحازمي، والشيخ العلامة المحقق نعمان بن محمود البغدادي^(١) انتهى باختصار.

ولقد كان لهؤلاء العلماء الصادقين مؤهلات عالية وأفكار صالحة؛ في رأب الصدع، وجمع الكلمة، واتحاد القوة، ودحض الفرقة، ونبد الخلاف. فهذا الشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف الذي سنتحدث عنه وعن سطوع نجمه في عهد الملك عبد العزيز له رسالة إلى المشايخ وكافة الإخوان من طلبه العلم، نتبين منها قوة أثر عقيدة السلف الصالح في علمه وفكره؛ أولها بعد البسملة:

(١) "الرد على شبهات المستعنيين بغير الله" (ص ٦-٧).

"من عبد الله بن عبد اللطيف إلى جناب الفضلاء والأعلام والمشايخ الكرام: إبراهيم بن عبد الله، وحمد بن حسين، وزيد بن محمد، وحمد بن عتيق، وصالح الشثري، ومحمد بن علي، وعلي بن إبراهيم الشثري، وإبراهيم بن عميقان، وسعود بن مفلح، وكافة الإخوان من طلبة العلم ... " إلخ.

وفيه بين الشيخ وجوب النصيحة لله ولكتابه وللأئمة والعامّة من المسلمين بالأدلة من الكتاب والسنة، وحث على التفكير المتزن على ضوء الكتاب والسنة، ومن أجل رضى الله، وابتغاء ما عنده يوم القيامة، وأنه لا بد في التوحيد من العلم به والعمل والدعوة إليه؛ كما هي طريقة الرسول ﷺ وأتباعه في كل زمان ومكان، وهذا واجب على كل إنسان بحسبه، وليس مقصوراً على العالم لعلمه، أو على الفاضل لفضله، بل كل بحسبه ومقداره؛ يجب عليه العلم بالتوحيد والعمل والدعوة، ومع ذلك؛ فالأخوة الإسلامية باقية، لا يشوبها هوى ولا استكبار عن اتباع الحق مع من كان معه، فإن أشكل؛ فالرد بينهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ عند موارد النزاع، والفتن كثيراً ما يلتبس فيها الحق بالباطل، ولكن يجب على المسلم معرفة الحق في ذلك بالبحث والمذاكرة، وإظهار ما يعتقد ويدين به، فإن كان حقاً؛ سأل ربه الثبات والاستقامة، وشكره على التوفيق والإصابة، وإلا؛ رده إلى من هو أعلم منه بحجة؛ يجب المصير إليها، ويقف المرشد عليها، والله عند لسان كل قائل وقصده، ومجازيه بعمله؛ فلا بد من زلة قلم، وعثرة قدم، وفوق كل ذي علم عليم، ولا يحيطون به علماً.

ثم ذكرهم بنعم الله، وأعظمها: بعثة رسول الله ﷺ بالإسلام وظهوره.
ثم شخّص أسباب الكفر وبينها، وأهمها موانع في النفوس من هوى وإرادات ورياسات لا يقوم ناموسها ولا يحصل مقصودها إلا بمخالفة الحق وترك الاستجابة له، وهذا هو المانع في كل زمان ومكان، ولولا ذلك؛ ما اختلف من الناس اثنان، ولا اختصم في الإيمان بالله وإسلام الوجه له خصمان.

ثم تطرق إلى تذكيرهم باختصاص الله إياهم بنعمة التوحيد من بين سائر الأمم وأصناف الناس في هذه الأزمان، فأتاح لهم من أحبار الأمة وعلمائها حبرا جليلا وعلما نبيلًا، فقيها عارفا بما كان عليه الصدر الأول، خبيرًا بما انحل من عرى الإسلام، فتجرد للدعوة إلى الله، ورد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح في باب العلم والإيمان، وباب العمل الصالح والإحسان، وترك التعلق على غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم، والاعتقاد في الأحجار والأشجار، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في الأقوال والأفعال، وهجر ما أحدثه الخلوف والأغيار.

وأثنى الشيخ ابن عبد اللطيف على من وازر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تلك الدعوة من أسلاف آل سعود الماضين، وقال:
"إن الله أظهر لهم من الدولة والصلوة ما ظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة والإمامة رتبة بمجرد السابقة والعادة، لا

ترحمهم فيها العرب العرباء، ولا يتناول إليها بنو ماء السماء، وصالحهم يرجو فوق ذلك مظهرا، وجاهلهم يرتع في ثياب مجد لا يعرف من حاكها ولا درى، فلم يزل الأمر في مزيد، حتى توفى الله شيخ هذه الدعوة ووزيره العبد الصالح رحمهما الله رحمة واسعة، ثم حدث من فتنة الشهوات ما أفسد على الناس الأعمال والإرادات، وجرى من الابتلاء والتطهير ما يعرفه الفطن الحبير، ثم أدرك سبحانه من رحمته وألطفه أهل هذه الدعوة ما رد لهم به الكرة، ونصرهم ببركته المرة بعد المرة، وبعضكم أدرك لهذا ورآه، ومن لم يدركه بلغه كيف كثر الابتلاء والامتحان لأهل هذه الدعوة ثم تكون لهم العاقبة، وذلك سنة الله السابقة في أنبيائه ورسله؛ "أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على قدر دينه"، وله في ذلك حكمة بالغة".

ثم أورد الشيخ ابن عبد اللطيف الأدلة على بعض أفراد هذه الحكمة. ثم يصف تلك المحنة ويقول: "إنها فتنة عم شرها، وطار شررها، وتفرق الناس فيها أحزابا وشيعا؛ ما بين ناكث لعهد، خالغ لبيعة إمامه؛ بغير حجة ولا برهان؛ بغضا للجماعة، ومحبة للفرقة والشناعة، وبين مجتهد لما رأى إمامه صدر مكاتبة للدولة، وبين واقف عند حده يلوح بين عينيه إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان، والرابع ضعيف العنان حوار الجنان، مع هؤلاء تارة ومع الآخرين تارة يتبع طمعه، وكل فرقة من هذه الفرق تضلل الأخرى

وتفسقها أو تكفرها، بل وتنتسب إلى طالب علم تأتم به وتقلده وتحتج بقوله عيادا بالله، والمعصوم من عصمه الله، وحساب الجميع على الله، وهو أعلم بسرائرهم، وسيحكم بينهم سبحانه بعلمه".

ويقول: "ثم أذهب الله ذلك بالعود إلى الجماعة، وتجديد الأخوة الإسلامية، وذهاب الشحناء، وعاد الأمر إلى ما كان عليه من ثبوت الإمامة والدعوة إلى الجماعة، وتجديد العهود والمواثيق على ذلك؛ فحمدنا الله تعالى، وسألناه المزيد من فضله ورحمته، وكنا مغتبطين، وأذهب الله عنا هباء الشبهات، وأطفأ نار تلك الضلالات".

ثم جعل الشيخ ابن عبد اللطيف يحذر هؤلاء العلماء خاصة، وينصحهم من بوادر بدرت تريد المشاققة وفل جميع المسلمين، إلى أن قال محذرا:

"فاستأنف النهار يا ابن جبير قبل أن تنفرج ذات البين بينكم معشر العلماء، ويضل بعضكم بعضا، أو يفسقه، أو يكفره؛ فتكونوا بذلك فتنة لجاهل مغرور، أو ضحكة لذي دهاء وفجور، تستباح بذلك أعراضكم، ولا ينتفع بعلمكم؛ فاعقدوا لكم محضرا، ولو طال منا ومن بعضكم لأجله سفر، للنظر فيما يصلح الإسلام، وتقوم به الحجة، ولو لم يعمل به عامل؛ تسدوا بذلك عنكم باب الفرقة؛ نصحا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ فأنا والله لا أحال الجرح يندمل، ولا الحية تموت؛ إلا أن يشاء ربي شيئا، وذلك لكثرة الطلاب لهذا الأمر؛ فقد وقع والله بكثرتهم البأس وأعزل، واحتاج العاقل للنظر فيما هو الأصلح لدينه والأرضى لربه؛ بالاجتماع على الأسد فالأسد،

والأجد فالأجد^(١) والأصلح فالأصلح؛ فإن الشيطان متكئ على شماله، متحيل يمينه، فاتح حصنه لأهله، يدأب بين الأمة بالشحناء والعداوة؛ عنادا لله ولرسوله ولدينه؛ تأليبا وتأنيبا؛ يوسوس بالفجور، ويدلي بالغرور، ويزين بالزور، ويمني أهل الفجور والشور، يوحى إلى أوليائه بالباطل؛ دأبا له منذ كان، وعادة له منذ أهانه الله في سالف الأزمان، لا ينجو منه إلا من أحب الآجل وغض الطرف عن العاجل وقط هامة عدو الله وعدو الدين باتباع الحق والعمل به، رضي ذلك من رضيه وسخطه من سخطه"^(٢).

هذا هو الشيخ عبد الله؛ ذو الرأي السديد، والعقيدة السليمة، والعقل الرشيد، وقد كان الملك عبد العزيز - كما سيأتي الحديث عنه في الدور الثالث - كان موقفا غاية التوفيق؛ حيث اختاره، وقربه إليه، واعتبره المرجع في بيان منهج السلف الصالح وعقيدتهم، التي صمم العزم على نصرتها واستعادة مكاسبها، كما صمم أسلافه عزمهم وإرادتهم التي تضععت أمامها الممالك والقوى من حولهم.

هذا وما زال مشايخ الدعوة في تلك الفترة - بعد انتهاء الدور الثاني من أدوار دولة آل سعود - ما زال مشايخ الدعوة يحملون عقيدة السلف الصالح، ويثون العلم بها بين الناس؛ رغم ضعفهم وقتلهم وهوانهم على الناس وغيبة الناصر لها؛ لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ دينه، وكما أخبر رسول الله ﷺ من أنه لا تزال طائفة على الحق

(١) انظر: "الدرر السننية"؛ ففيها نص هذه الرسالة كاملا (ج ٧، ص ٢٦٥ - ٢٧٢)، والأجد فالأجد؛ يعني: الأكثر جدا.

(٢) انظر: "الدرر السننية"؛ ففيها نص هذه الرسالة كاملا (ج ٧، ص ٢٦٥ - ٢٧٢)، والأجد فالأجد؛ يعني: الأكثر جدا.

لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة.
وقد أنعم الله سبحانه على هاتين الأُسرتين الكريمتين، فمهما بقيت
عداوة من يعاديهما من أجل عقيدة السلف الصالح والمحافظة عليها؛ فسوف
يبقي الله من هاتين الأُسرتين ما يغيظ أعداءهم الذين ما نعموا منهم إلا أن
يؤمنوا بالله العزيز الحميد، وهذا هو أثر عقيدة السلف الصالح الذي لا
يتخلف أبداً حتى قيام الساعة؛ كما قال تعالى :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ

﴾^(١).

ولذا؛ فقد قيص الله لأهل هذه العقيدة السلفية السليمة الإمام الملك
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.
وبقيام الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يبدأ الدور
الثالث من أدوار دولة أنصار عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية؛
فإلى ذلك في الفصل التالي.

(١) سورة غافر آية : ٥١ .

الفصل الرابع

أثر عقيدة الشيخ السلفية في الدور الثالث الحاضر

إن الله سبحانه وتعالى عاد بعائده - كما جرت به سنته للطائفة المنصورة -، فقيض الله لعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية إماما راشدا وسلطانا نصيرا وملكا حاميا، ألا وهو أبو الملوك، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمهم الله تعالى، الذي سار على سنة آبائه في نصره عقيدة السلف الصالح، وإعزاز أهل الدين الحق، واستعادة مكاسب آبائه من ذلك، وتجديد مجدهم، وإحياء سنتهم الراشدة.

يقول الشاعر الأديب العالم محمد بن عثيمين رحمه الله يخاطبه :

أرضيت آباءك الغر الكرام بما	جددت من مجدهم من بعد ما بانوا
نبهت ذكرا تواری منه حين علا	للمارقين ضباب فيه دخان
فجئت بالسيف والقرآن معترما	تمضي بسيفك ما أمضاه قرآن
حتى انجلي الظلم والأظلام وارتفعت	للدين في الأرض أعلام وأركان

دين وديننا وبأس في الوغى وندى تفيض من كفه بالجود خلجان^(١)

ويقول فيه أيضا:

تألّأت بك للإسلام أنوار إن الذي قدر الأشياء بحكمته
والعبد إن صلحت لله نيته كما جرت بك للإسعاد أقدار
لما يريد من الخيرات يختار لا بد يبدو لها في الكون آثار

إلى أن قال يخاطبه:

تألّفت بك أهواء مفرقة فأصبحوا بعد توفيق الإله لهم
تأججت بينهم من قبلك النار بعد الشقا والجفا في الدين أختيار

إلى أن قال :

كنا نمر على الأموات نغبطهم فالآن طابت به الأيام إذ أخذت
من قبله إذ تولى الأمر أشرار به لأهل الهدى والدين أوتار^(٢).

ويقول فيها أيضا :

إمام هدى للرشد يهدي ويهتدي مقمim سواء بالرعيعة يرفق

إلى أن قال :

(١) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين"، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد (ص ٨٢ - ٨٥).

(٢) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين" ، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد (ص ١٠٨ ، ١٠٩ - ١١٠).

فيا معشر الإخوان دعوة صارخ لكم ناصح بالطبع لا متخلق
يعود لكم ما يمتنيه لنفسه ويعلم أن الحـب في الله أوثق

تحاموا على دين الهدى مع إمامكم
وإياكم والافتراق فإننه
فوالله ثم الله لا رب غيره
لما علمت نفسي على الأرض مثله
وكونوا له بالسمع جند توفقوا
هو الهلك في الدنيا وللدن يوبق
يمين امرئ لا مفتر يتملق
إماما على الإسلام والخلق يشفق(١)

وصدق ابن عثيمين؛ فإن عبد العزيز الإمام؛ لما خرج من الكويت؛ خرج وهو يريد أن يسترد مكاسب العقيدة السلفية التي اكتسبها آباؤه حين تأثروا بعقيدة السلف الصالح وطبقوها، وقد علم يقينا أن مفتاح استردادها هو العمل لنصرتها؛ كما كان آباؤه وأجداده، ولن يصلح آخرهم إلا ما أصلح أولهم، ولا سبيل لبلوغ هذه الغاية إلا التمسك بالشرعية السمحاء، وإقامة حدود الله، والحكم بما أنزل الله، وفي سبيل ذلك لا بد من نشر العلم، والمعرفة بعقيدة سلفنا الصالح، وتعليم فرائض الدين وأحكام الشريعة؛ كما كان هذا هو منهجهم أيضا.

وما أن أظفره الله بالاستيلاء على الرياض؛ إلا وكان أول همته تقريبه العلماء، وتكريمه لآل الشيخ من أجل الشيخ وعهده مع جده، ولأجل ما يتصفون به من علم راسخ وعمل ثابت.

وقد كان الملك يشارك العلماء في البيان والنصيحة وبيان منهج السلف الصالح في تطبيق العقيدة تطبيقا عمليا لرعيته حتى يجنبهم المخاطر ودروب الهلاك والفرقة، مع كونه يجمعهم مع العلماء في

(١) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين"، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد (ص ١٢٢-١٢٣).

بجالس يبينون لهم ويكشفون عنهم الشبه، ومن ذلك مجلس عقده، وفيه جمع من العلماء، وبعده وجه نداء عاما شرح فيه حقيقة ما هو عليه من العقيدة هذا نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود إلى الإخوان وفقنا الله وإياهم إلى فعل الخيرات وترك المنكرات آمين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد ذلك: تفهمون أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بنعمة الإسلام، ومن علينا بأن جعلنا من أهله، ولا يخفى عليكم ما مضى عليه أسلافكم من الأعراب؛ من انحرافهم عن الدين والتقيد بشريعة سيد المرسلين بما يأتونه من ارتكاب الأمور التي تغضب الله ورسوله من استحلال الدماء ونهب الأموال وترك فرائض الإسلام، فأنتم اليوم لما أن الله جل شأنه من عليكم بهدايته لكم على دينه القويم؛ وجب عليكم أن تقيدوا تلك النعمة بالشكر للمنعم تبارك وتعالى، وأعظم الشكر لله هو اتباع أمره واجتناب نهيه على وفق ما جاء به نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، وأن لا تحيدوا عنه ذات اليمين وذات الشمال فتكونوا من المهالكين.

إني أريد أن أشرح لكم حقيقة ما نحن عليه من العقيدة في الدين، التي أشار إليها العلماء في جوابهم السابق في هذا المجلس؛ فاسمعوا واحفظوا عني ما أقوله لكم؛ تنجوا من المهالك:

إن أصل الدين كتاب الله تعالى، وسنة نبيه محمد ﷺ وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان؛ فهم السلف الصالح، ثم الأئمة الأربعة من بعدهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل؛ رضي الله عنهم وعن سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم إلى يوم القيامة؛ فإن هؤلاء الأئمة المقتدى بهم عند جميع المسلمين من أهل الكتاب والسنة؛ فإنه لا خلاف بينهم في أصل الدين؛ من توحيد الله تعالى في ربوبيته وفي ألوهيته وأسمائه وصفاته، وهذا - والحمد لله - ثابت في كتبهم الموجودة بين أيديكم، وإن حصل بينهم اختلاف في الفروع؛ فما ذاك إلا من شدة حرصهم وتمسكهم بكتاب ربهم وما صح عن نبيهم ﷺ واستخراج معانيهما، كل منهم على قدر ما آتاه الله من العلم والفهم في دينه، وكلهم إن شاء الله تعالى على حق ومن سلك طريقهم وحذا حذوهم إلى يوم القيامة.

فهذا الذي ندين الله به، وهو اعتقادنا نحن واعتقاد مشايخنا وأسلافنا، وهو الصراط المستقيم، والميزان العدل، فمن استقام عليه؛ فهو المتبع المهتدي، ومن حاد عنه وهو جاهل؛ فيجب عليه الرجوع والتوبة إلى الله تبارك وتعالى، ومن خالفه معتقدا بطلانه؛ فهذا ليس على شيء من الدين؛ لا أصله ولا فرعه، نعوذ بالله من ذلك، ولا يقال عن هذا: إنه مكذب للمشايع، بل مكذب لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وإن من حضر منكم هذا المجلس المبارك، وسمع كلام العلماء بغير واسطة؛ فقد قامت عليه الحجة، وليس هو بمعذور بما يأتيه من

المخالفة، وعلى الشاهد أن يبلغ الغائب، وإني أحذركم من التفرق في الدين، وتتبع الخلافات فيه؛ فإن هذا من أعظم أسباب الهلاك. وإنكم في زمن قد تشعبت فيه الأمة الإسلامية، وكثرت فيها الفرق، وفشت فيها البدع، ودنس وجه الدين بما ليس منه، وكثرت فيه شبه الضالين المضلين؛ غير أنه بحمد الله لم يخل زمان من قائم لله في أمر دينه؛ ينفي عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين، أولئك هم علماء الدين، وهم ورثة الأنبياء، وهم الحافظون لدين الله تعالى؛ حيث أقامهم لذلك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) وكل يدعي أنه القائم لله بحفظ دينه، ولكن ميزان العدل في ذلك هو اتباع هذا النبي الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٢).

إني أرشدكم إلى أعظم قائم لله تعالى في نصر دينه، بعد الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، وذلك بعد أن كثرت الملل والنحل، وتشعبت الأهواء، وتفرق الناس شيعا كل حزب بما لديهم فرحون، ذلك هو شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام محمد بن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ومن هو على طريقتهم في الدعوة والتحقيق إلى يوم القيامة؛ فقد قام هذان الشيخان بما أوجبه الله على العلماء من بيان الحق، وعدم كتمانها، ولم تأخذهما في الله لومة لائم؛ فقد توفي الشيخ ابن تيمية رحمه الله بينما كان محبوسا في قلعة دمشق، وما ذنبه إلا بيان الحق والدعوة إليه وإبطال ما خالفه من العقائد الزائفة والطرائق الضالة الفاسدة؛ فهذه كتب هذين الشيخين بحمد الله بين أيديكم؛ قد سهل الله نشرها بعد أن كانت مدفونة في زوايا الترك والإهمال؛ فعليكم

(١) سورة الحجر آية : ٩ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٣١ .

بمطالعتها؛ فإنها بأدلة الكتاب والسنة تجلو عن القلوب صداها، وبمآثر الصحابة وهدْيهم تميّط عن الأبصار غشاها.

وهذا شيخنا ذلك الإمام^(١) الوحيد في زمانه، الجليل القدر، رحمه الله تعالى، قد قام بما قام به هذان الشيخان من الدعوة إلى تحقيق التوحيد لله تعالى في أسمائه وصفاته وتوحيده في ألوهيته، بإفراده بالعبادة له وحده لا شريك له بجميع أنواعها، وهذا التوحيد هو أصل بعثة الرسل من نوح إلى نبينا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾^(٢).

وهذا التوحيد هو أصل الأصول للدين، الذي لا يجوز التقليد فيها؛ فعليكم بالتفقه في دينكم، واتباع نبيكم ﷺ وسلفكم الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة.

وقد تقدم لكم البيان بأننا في الأصل على القرآن، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

إن هذا المقام ليس مقام تفصيل وإطالة، بل هو مقام نصيحة وتنبية لكم فيما تأتون من أمور دينكم، بأن تكونوا فيه على بصيرة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(٣).

(١) يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٥.

(٣) سورة الحشر آية : ٧.

وقال تعالى: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر، وقصده في هجرة البداوة وانتسابه إلى الخير طلب رضى الله تعالى والتماس ما عنده من الثواب لمن تاب إليه وأتاب؛ فلا يتمسك أحدكم بأمر دينه برأيه، وليس الدين بالاستحسان؛ فكل طريق إلى الحق غير طريق نبيه ﷺ فإنه مسدود، وكل عمل على غير سنته؛ فهو إلى صاحبه مردود، فاتبعوا ولا تبتدعوا، وقاربوا؛ فمن سار على الدرب وصل.

وهذا ما يجب لكم علينا من النصيحة، فمن خالف ما بيناه لكم بقول أو فعل؛ فذمتنا وذمة المسلمين منه بريئة، ولا يأمن البطش بنفسه وبجلاله، ومن أذدر؛ فقد أعذر.

نرجو الله أن يوفقنا وإياكم للخير، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين" (٢).

وفي موضع آخر يقول الملك عبد العزيز: "على أنه في آخر الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ثم من بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ونفع بهم الإسلام والمسلمين،

(١) سورة النحل آية : ٤٣ .

(٢) "تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها" تأليف صلاح الدين المختار (ج ٢،

ص ١٥٢ - ١٥٥).

وخصوصا محمد بن عبد الوهاب، عندما اندرست أعلام الإسلام، وكثرت الشبهات والبدع، فلما رأى أسلافنا موافقة أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلوا ذلك، وقاموا بما أظهره الله على أيديهم، ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو أن يحمينا على ذلك، ويميتنا عليه، وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد، والعمدة على ما ذكره".

إلى أن قال: "ومن أشكل عليه شيء من الأمور؛ فليرده إلى طالب العلم المنصوب عندكم بأمر الولاية ورضى المشايخ"^(١).

وله رسالة إلى من يراه من علماء المسلمين وإخوانهم المنتسبين في سنة ١٣٣٩ هـ يقرر فيها ما كتبه إليهم المشايخ: حسن بن حسين، وسعد بن حمد بن عتيق، وسليمان بن سحمان، وصالح بن عبد العزيز، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف، وعمر بن عبد اللطيف، وعبد الله بن حسن، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، وكافة آل الشيخ، حيث كتبوا يذكرون بما أظهر الله على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من دين الإسلام والعمل به، ثم ذريته من بعده سلكوا على منواله، وأيدهم الله بولاية الأمر من آل سعود، وآخر من قام بهذا الأمر في زمانهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، ثم يبينون أنه من المتعين على الجميع لزوم الاقتداء بهم، والسلوك على منهاجهم، وأنه لا ينبغي

(١) نجد وملحقاته، و "سيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقتهما"، تأليف أمين الرجائي (الطبعة الثالثة، ص ٤٣٥ - ٤٣٦).

لأحد من الناس العدول عن طريقة آل الشيخ، ومخالفة ما استمروا عليه من أصول الدين؛ فإنه الصراط المستقيم، الذي من حاد عنه، فقد سلك طريق أصحاب الجحيم، وكذلك في مسائل الأحكام والفتوى؛ لا ينبغي العدول عما استقاموا عليه، واستمرت عليه الفتوى منهم؛ لأن الاختلاف بين الناس - خصوصا في جهة نجد - لا بد أن يكون سبب شر وفساد وفتنة، وسد باب الشر والفتن والفساد أمر مطلوب في الشريعة، بل من أعظم مقاصدها؛ كما لا يخفى.

فقرر الملك على ذلك قائلا: "هذا كتاب إخوانكم المشايخ، تشرفون عليه، والعمل إن شاء الله على ما فيه، ثم بعد ذلك ما هو بخافيكم أول منشأ هذا الأمر وتقويمه؛ أنه من الله، ثم أسباب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وأوائلنا رحمهم الله، وما جرى على المسلمين من اختلاف ولايتهم مرارا، وكلما اختلف الأمر وشارف الناس لنقض دين الله وإطفاء نوره؛ أبي الله، وأخرج من ها الحمولتين من يقوم بذلك، حتى إن آخرهم والدنا وشيخنا الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف".

إلى أن قال الملك: "والحمد لله ما حنا^(١) في شك من أمر ديننا، وتفهمون أنه من حين أظهر الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قرن أطيب من وقتنا ورجال أطيب من رجالنا وعلماء أطيب من

(١) "الدرر السنية" (ج ١١، ص ١٣١ - ١٣٤)، ويلاحظ أن الملك يتكلم بلهجة عامة الرعية، وذلك أبلغ في أنفسهم، ومعنى "ما حنا" أي: ما نحن، و "مراوز للشر": هو من يريد موافقة الشر.

علمائنا؛ فسدد الله به، وقام بهذه الكلمة، وجدد الله أمر هذا الأصل، وأنقذ الله بأسبابه الناس من الظلمات إلى النور؛ فبان أمره لأولي الأبصار، وخفي ذلك على كثير من الناس، وعاند من أزاغ الله قلبه وأعمى بصيرته، وقبل هذا الحق ورضيه آباؤنا وأجدادنا وعلماء المسلمين فيما أتى به من الأصل والفروع، ويتعين علينا إن شاء الله أن نفتدي بما اقتدوا به".

إلى أن قال الملك: "فالآن يكون الأمر على ما ذكر المشايخ أعلاه، فمن أفتى أو تكلم بكلام مخالف لما عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده عبد الله وعبد الرحمن وعبد اللطيف وعبد الله بن عبد اللطيف؛ فهو متعرض للخطر؛ لأننا نعرف أنه ما يخالفهم إلا إنسان مراوز^(١) للشر والفتنة بين المسلمين".

إلى أن قال الملك مستثنيا: "إلا إن كان هنا إنسان عنده في مخالفتهم دليل من الكتاب أو السنة..." إلخ ما قاله رحمه الله^(٢).

ومن كلمات الملك عبد العزيز وخطبه قوله: "إني مسافر إلى مكة، لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله، إني مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها؛ فلن يكون بعد اليوم سلطان إلا للشرع".

ثم استطرد قائلاً: "... الذي أبعيه من هذه الديار أن تعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه في الأمور الأصلية، أما في الأمور الفرعية،

(١) "الدرر السننية" (ج ١١، ص ١٣١ - ١٣٤)، ويلاحظ أن الملك يتكلم بلهجة عامة الرعية، وذلك أبلغ في أنفسهم، ومعنى "ما حنا" أي: ما نحن، و "مراوز للشر": هو من يريد موافقة الشر.

(٢) "الدرر السننية" (ج ١١، ص ١٣١ - ١٣٤)، ويلاحظ أن الملك يتكلم بلهجة عامة الرعية، وذلك أبلغ في أنفسهم، ومعنى "ما حنا" أي: ما نحن، و "مراوز للشر": هو من يريد موافقة الشر.

فاختلاف الأئمة رحمة"^(١).

ومن خطبة له بمكة يقول: "أنا بدمتكم وأنتم بدمتي، إن الدين النصيحة، أنا منكم وأنتم مني، هذه عقيدتنا في الكتب بين أيديكم، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فردونا عنه، وأسألونا عما يشكل عليكم فيها، والحكم بيننا كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة".

ويقول: "ما كنا عربا إلا بعدما كنا مسلمين، كنا عبيدا للعجم، ولكن الإسلام جعلنا سادة، ليس لنا فضيلة إلا بالله وطاعته واتباع محمد، ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعريتنا ولا ننسأهما.

كل حرية باطلة إلا حرية الإسلام، والإنسان لا ينفع إلا بالدين، ونحن لا نبغي محاربة أوروبا، وإنما نطلب حقوقنا باتحادنا، فنعتصم بالله، والإسلام أكبر وسيلة وأكبر حصن، هو أكبر مزايا الحسب والنسب، فيجب على المسلم محبة دينه وشعبه ووطنه".

ويقول في خطبة له بمكة أيضا: "يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي؛ باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان ييئها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد؛ فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب

(١) "تاريخ المملكة العربية السعودية" للصف الثالث المتوسط (الطبعة الأولى عام ١٣٩٤هـ، ص

الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة؛ كلهم محترمون في نظرنا"^(١).

ومن خطبتين له في مكة - إحداهما عام ١٣٥٣ هـ - يقول: "هذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله؛ فردونا عنه... والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة. إننا لم نطع ابن عبد الوهاب وغيره إلا فيما أيده بقول من كتاب الله وسنة رسوله، وقد جعلنا الله أنا وآبائي وأجدادي مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة، رجعنا إليه، وتمسكنا به، وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً، أخذنا بقول الإمام أحمد، فهذا كتاب "الطحاوية" في العقيدة الذي نقرؤه وشرحه للأحناف، وهذا "تفسير ابن كثير" وصاحبه شافعي"^(٢). ويقول ابنه بعض المستعمرين: "قد فاتكم أن الراعي مسئول عن رعيته، وقد فاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والإحسان، وقد فاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون إذا

(١) "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز" تأليف خير الدين الزركلي (ص ٢١٧).

(٢) "تاريخ البلاد العربية السعودية" تأليف الدكتور منير العجلاني (ص ٢٢٩).

خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم"^(١).

ولما دخلت بلاد الحجاز في ولاية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود؛ حصل اتفاق بين علماء مكة ونجد، وقد نشرته رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية بعنوان: "البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد"، وقد اشتمل على بيان ما يجب على الأمة الإسلامية اعتقاده من توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، وتحذيرها من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كدعاء غير الله، والاستغاثة والاستعانة بالأموات، وطلب الشفاعة منهم، والذبح والنذر لغير الله، وكالحلف بغير الله، وتعظيم القبور بغير ما شرع الله من البناء عليها واتخاذها مساجد وشد الرحال إليها والطواف حولها والتبرك بها مما عمت به البلوى، وقد سبق نشرها في "جريدة أم القرى" في أجزاء متفرقة في سنة ١٣٤٣ هـ، ثم جمعت في رسالة تحت عنوان: "البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد"، وطبعت عام ١٣٤٤ هـ، ثم ضم إليها مناظرة في نفس الموضوع جرت بين علماء مكة ونجد، نشرتها "جريدة أم القرى" يوم الجمعة ١٥ \ ١٥ \ ١٣٤٣ هـ، وطبعت بمطابع دار الثقافة بمكة عام ١٣٩٨ هـ طبعتها الثانية، وأولها نداء عام من علماء بلد الله الحرام إلى أمتنا الكريمة وإلى شعبنا النبيل، بينوا فيه ذلك المضمون الذي ذكرناه، ووقعه كل

(١) "تاريخ المملكة العربية السعودية" للصف الثالث المتوسط (الطبعة الأولى عام ١٣٩٤ هـ، ص

من: الشيخ محمد المرزوقي قاضي مكة المكرمة، والشيخ عبد الله ابن إبراهيم حمدوه، والشيخ سعد وقاص، والشيخ حسين مكي الكتبي، والشيخ عيسى دهان، والشيخ عبد القادر أبو الخير مرداد، والشيخ محمد سعيد أبو الخير، والشيخ أبو بكر بن محمد خوقير، والشيخ حسين عبد الغني، والشيخ محمد نور محمد الفطاني، والشيخ محمد عرابي سجين، والشيخ عباس المالكي، والشيخ محمد أمين فودة، والشيخ محمد جمال المالكي، والشيخ محمد عبد الهادي كتبي، والشيخ درويش عجمي.

ثم أعقبه خطاب رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن بليهد الذي ألقاه في الاجتماع الذي عقد بين علماء نجد وعلماء مكة المكرمة، ثم ذكر المناظرة التي وقعت بين علماء مكة وعلماء نجد وما توصلوا إليه وانفقوا عليه في بيان نذكر نصه كما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

من علماء حرم الله الشريف وأئمة: الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ عمر باجنيد أبي بكر، والشيخ درويش عجمي، والشيخ محمد مرزوقي، والشيخ أحمد بن علي النجار، والشيخ جمال المالكي، والشيخ عباس الملكي، والشيخ حسين بن سعيد بن محمد بن سعيد عبد الغني، والشيخ حسين مفتي المالكية، والشيخ عبد الله حمدوه، والشيخ عبد الستار، والشيخ سعد وقاص، والشيخ عمر بن

صديق خان، والشيخ عبد الرحمن الزواوي: إلى من يراه من علماء الحكومات الإسلامية وملوكهم وأمرائهم...

أما بعد، فقد اجتمعنا نحن المذكورين مع مشايخ نجد حين قدومهم إلى الحرم الشريف مع الإمام عبد العزيز حفظه الله، وهم: الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، والشيخ عبد الله بن حسن، والشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود، والشيخ محمد بن عثمان الشاوي، والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز، والشيخ إبراهيم بن ناصر بن حسين؛ فجرى بيننا وبين المذكورين والمحترمين مباحثة، فعرضوا علينا عقيدة أهل نجد، وعرضنا عليهم عقيدتنا، فحصل الاجتماع بيننا وبينهم بعد البحث والمراجعة في مسائل أصولية:

منها: أن من أقر بالشهادتين وعمل بأركان الإسلام الخمسة ثم أتى بمكفر ينقض إسلامه قولي أو فعلي أو اعتقادي؛ أنه يكون كافرا بذلك، يستتاب ثلاثا، فإن تاب، وإلا، قتل.

ومنها: من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه، يدعوهم في جلب نفع أو دفع ضرر، أو يقربونه إلى الله زلفى؛ أنه كافر، يحل دمه وماله، ومن طلب الشفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ أن ذلك شرك؛ فإن الشفاعة ملك لله، ولا تطلب إلا منه، ولا يشفع أحد إلا بإذنه؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١).

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥.

وهو لا يأذن إلا فيمن رضي قوله وعمله؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(١).

وهو لا يرضى إلا بالتوحيد والإخلاص.

ومنها تحريم البناء على القبور، وإسراجها، وتحري الصلاة عندها؛ أن ذلك بدعة محرمة في الشريعة.

ومنها أن من سأل الله بجاه أحد من خلقه؛ فهو مبتدع، مرتكب حراما. ومنها أنه لا يجوز الحلف بغير الله، لا الكعبة، ولا الأمانة، ولا النبي، ولا غير ذلك، لقول النبي ﷺ ﴿من حلف بغير الله؛ فقد أشرك﴾^(٢).

فهذه المسائل كلها لما وقعت المباحثة فيها، حصل الاتفاق بيننا وبين المذكورين، ولم يحصل خلاف في شيء، فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين إخواننا علماء أهل نجد، نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه آمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم " انتهى.

وهكذا يحصل الاتفاق على الحق، ويحصل زهوق الباطل، إن الباطل كان زهوقا.

وكتب الملك عبد العزيز إلى الشيخ أبي اليسار الدمشقي وناصر

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

(٢) سنن الترمذي : كتاب النذور والأيمان (١٥٣٥) ، وسنن أبي داود : كتاب الأيمان والنذور (٣٢٥١) ، ومسند أحمد (٢/٦٩ ، ٢/٨٦ ، ٢/١٢٥).

الدين الحجازي نزيل دمشق؛ كتب إليهما في الشام كتابا يعتبر منشورا إعلاميا وبيانا لما عليه الملك عبد العزيز من عقيدة السلف الصالح ونور نصه؛ لأنه وثيقة لا يقدر أحد أن ينكرها.

"بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جناب الأخوين المكرمين الشيخ الفاضل أبو اليسار الدمشقي وناصر الدين الحجازي سلمهما الله تعالى.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو على نعمه التي من أجلها نعمة الإسلام، ونشكره سبحانه إذ جعلنا من أهلها وأنصارها والذابين عنها، ونسأله أن يصلي على عبده ورسوله وحبيبه وخيرته من خلقه محمد وآل وصحبه وحزبه.

وغير ذلك ورد علينا ردكم على عبد القادر الإسكندراني، فرأيناه ردا سديدا وجوابا صائبا مفيدا، وافيا بالمقصود، فحمدنا الله على ما منَّ به عليكم من معرفة الحق والبصيرة فيه، وعرضناه على مشايخ المسلمين فاستحسنوه وأجازوه.

فالحمد لله الذي جعل لأهل الحق بقية وعصابة تذب عن دين المرسلين وتحمي حماه عن زيغ الزائغين وشبه المارقين والملحددين، فلربنا الحمد لا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني به عليه خلقه.

وهذه منة عظيمة، ومنحة جليلة جسيمة، حيث جعلكم الله في هذه الأزمان التي غلب على أكثر أهلها الجهل والهوى والإعراض عن النور والهدى، واستحسنوا عبادة الأصنام والأوثان، وصرفوا لها خالص حق الملك الديان، ورأوا أن ذلك قربة ودينا يدينون به، ولم يوجد من أزمان متطاولة من ينهى عن ذلك أو يغيره، فعند ذلك اشتدت غربة الإسلام، واستحكم الشر والبلاء، وطمست أعلام الهدى، وصار من ينكر ذلك ويجذر عنه خارجيا قد أتى بمذهب لا يعرف، لأنهم لا يعرفون إلا ما ألفتهم طباعهم، وسكنت إليه قلوبهم، وما وجدوا عليه أسلافهم وآباءهم من الكفر والشرك والبدع والمنكرات الفظيعة، فالعالم بالحق والعارف له والمنكر للباطل والمغير له يعد بينهم وحيدا غريبا.

فاغتنموا رحمكم الله الدعوة إلى الله وإلى دينه وشرعه، ودحض حجج من خالف ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من البينات والهدى، وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بالحجة والبيان، حتى يمن الله عليكم بمن يساعدكم على هذا؛ فإن القيام في ذلك من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، وأفضل الأعمال الصالحات، لا سيما في هذا الزمان، الذي قل خيره، وكثر شره.

قال ﷺ ﴿ من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه؛ من غير أن ينقص من أجورهم شيء ﴾^(١).

وقال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ فوالله، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ﴾^(٢).

(١) صحيح مسلم: كتاب العلم (٢٦٧٤)، وسنن الترمذي: كتاب العلم (٢٦٧٤)، وسنن أبي داود: كتاب السنة (٤٦٠٩)، وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (٢٠٦)، ومسند أحمد (٣٩٧/٢)، وسنن الدارمي: كتاب المقدمة (٥١٣).
(٢) صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٧٠١) وكتاب المغازي (٤٢١٠)، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، ومسند أحمد (٣٣٣/٥).

ونحن إن شاء الله من أنصاركم وأعوانكم.

ومن حسن توفيق الله لكم أن أقامكم في آخر هذا الزمان دعاة إلى الحق وحجة على الخلق؛ فاشكروه على ذلك.

واعلموا أن من أقامه الله هذا المقام لا بد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذى والامتحان، فليقتد بمن سلف من الأنبياء والمرسلين، ومن على طريقهم من الأئمة المهديين، ولا يثنيه ذلك عن الدعوة إلى الله؛ فإن الحق منصور وممتحن، والعاقبة للمتقين في كل زمان ومكان.

وهذه^(١) هدية نهديتها إليكم من كلام علماء المسلمين، وبيان ما نحن ومشايخنا عليه من الطريقة المحمدية والعقيدة السلفية، ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه نحن وسلفنا الماضون، نسأل الله لنا ولكم التوفيق، والهداية لأقوم منهج وطريق، والسلام"^(٢).

والهدية السننية التي أشار إليها الملك عبد العزيز وقال إنها تبين حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه نحن وسلفنا الماضون هي "مجموعة رسائل خمس لكبار أئمة نجد وعلمائها" جمع وترتيب الشيخ سليمان ابن سحمان، طبعت بأمر ملك الحجاز وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود، وقف على طبعتها وعلق عليها بعض الفوائد والإيضاحات محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، في سنة ١٣٤٤ هـ، بمطبعة المنار بمصر،

(١) إشارة إلى كتاب "الهدية السننية" للشيخ سليمان بن سحمان المطبوعة بمصر سنة ١٣٤٤ هـ.

(٢) "الدرر السننية" (ج ١، ص ٣٠٣ - ٣٠٥).

وأعيد طبعها في مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة على نفقة فهد بن قاسم بن علي آل ثاني عام ١٣٩٣ هـ، وهي عبارة عن:

رسالة من الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب يشرح فيها حقيقة العبادة ويبين التوحيد والفرق بين حق الله وحق أنبيائه وأوليائه ويحذر من الشرك ويبينه ما هو ليحتمل، وسبق ذكرها في أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها^(١).

والثانية من الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد، وسبق ذكرها في أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها^(٢) وفيها شرح مذهب الشيخ وأنصاره وأتباعه، وأنه مذهب أهل السنة والجماعة، وهي عبارة عن محضر سجل ما وقع بالفعل ووثيقة تاريخية لا يقدر أحد أن ينكرها.

والرسالة الثالثة هي: "الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب" للشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وهي كذلك وثيقة تاريخية، سجلت مناظرة وقعت بين الشيخ حمد بن معمر وأصحابه وبين علماء مكة وأعيانها في دعاء غير الله، وتميز الشرك من التوحيد، وفي حكم تارك الصلاة والزكاة، وفي حكم البناء على القبور،

(١) انظر: (الفصل الثاني من الباب الثاني، ٢ / ١٨٢) من هذا البحث.

(٢) انظر: (الفصل الثاني من الباب الثاني، ٢ / ٢١٧) من هذا البحث.

وسبق ذكرها أيضا في أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها^(١).

والرسالة الرابعة للشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ في نبذة من سيرة جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومجمل عقيدته واتباعه، وهي نبذة أصيلة من مؤتمن لا يشك في أمانته العلمية، فتعتبر أصدق مرجع في زمانها يؤخذ منه حقيقة ما عليه الشيخ محمد وأتباعه وأنصاره، وسبق ذكرها في الدور الثاني من أدوار دولة أنصارها^(٢).

والرسالة الخامسة للشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ تتضمن سجلا بما عمله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن من بعثه هذا الشيخ إلى اليمن وعسير وقحمة لينشر عقيدة السلف الصالح هناك، ويبين التوحيد ليعمل به، والشرك ليحتمل، وهي وثيقة تاريخية جلية لا يقدر أحد أن ينكرها أو أن ينكر صلتها الحاضر بالماضي، وبيانها أن الحاضر لم ينحرف عن الماضي وإنما على سننه؛ كما قال الملك عبد العزيز: "هدية نهديتها إليكم من كلام علماء المسلمين، وبيان ما نحن ومشايخنا عليه من الطريقة المحمدية والعقيدة السلفية، ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه نحن وسلفنا الماضون".

ثم ختامها بقصيدة دالية للشيخ سليمان بن سحمان في جملة عقيدة الشيخ السلفية، وقصيدة من صاحب لنجة في بيان طريقة

(١) انظر: (الفصل الثاني من الباب الثاني، ٢ / ٢٠٠) من هذا البحث.

(٢) انظر: (الفصل الثالث من الباب الثاني، ٢ / ٢٧٠) من هذا البحث.

الشيخ، وأرجوزة للعلامة محمد ابن الشيخ أحمد الحفظي الحجازي اليمني في بيان عقيدة الشيخ، وذكر مآثر آل سعود لما استجابوا لداعي الحق حتى ظهر دين الله وبان منهج الشريعة المحمدية^(١).

ولا شك أن الملك عبد العزيز كان كأسلافه عقيدته سلفية، وكان نصيرا لعقيدة السلف، ويستشير العلماء في أمور الدين، وينفذ أحكامهم، ويعمل بنصائحهم وفتاويهم، مع أنه ذو فكر سديد، وإدراك عميق، واعتقاد سليم، مبني على استقلال في الشخصية، وحرية في الاختيار، وقوة في الإرادة، ومضاء في العزيمة، وسعة في الأفق، ويشاركهم في التوجيه والنصح والإرشاد والدعوة إلى عقيدة السلف الصالح كما ذكرنا^(٢) مما يدل على علمه ورسوخ قدمه في عقيدة السلف الصالح، وأن عليها اعتقاده رحمه الله تعالى، لكنه مع ذلك يدرك أهمية العالم المتخصص المعروف بالديانة والصدق، ويضعه في مكانه، ويعلم أن ذلك هو منهج الصواب.

وكان من أبرز هؤلاء المشايخ الذين استعان بهم هو العلامة التقي الورع شيخ الإسلام الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد

(١) انظر: "الهدية السننية والتحفة الوهابية والنجدية لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية والطريقة المحمدية"، جمع وترتيب الشيخ سليمان ابن سحمان النجدي، طبعت بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود، بمطبعة المنار، الطبعة الثانية سنة ١٣٤٤هـ.

(٢) وانظر أيضا: "الدرر السننية" (ج ١١، ص ١٥٦ - ١٦٠، ص ١٧١ - ١٧٤).

في الأحساء سنة ١٢٦٥ هـ، وقدم بلد الرياض سنة ١٢٧٢ هـ، وأخذ العلم عن أبيه وجدته والشيخ حمد بن عتيق وغيرهم، وبرع في جميع الفنون الأصول والفروع والتفسير والنحو وغيرها، وصار رفيع القدر جم الفضائل، انتهت إليه الرئاسة في العلم والرأي والكرم، له اليد الطولى في التدريس ومجالسه المحفوفة بفحول العلماء والمدرسين وأهل الرأي، وله صدور المجالس والمحافل، وإلى قوله المنتهى في الفصل بين العشائر والقبائل، له رسائل وفتاوى ونصائح كثيرة مفيدة، ورأي راجح في الحوادث المدلّمة، وهيبة ألبسها بين الأمة، وأخذ عنه العلم جم غفير ترعرعوا ونموا في مدرسته، ونالوا من إكرام الملك ونصرته ما تم نموهم وإدراكهم، فكانوا خير عون له، وعلى رأس هؤلاء التلاميذ للشيخ عبد الله علامة الديار النجدية ومفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

وهذه قائمة بأسماء التلامذة الأوائل الذين ضمتهم مدرسة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وأخذوا عنه مباشرة، وقربهم الملك عبد العزيز واستعان بهم:

- ١- الشيخ عبد الملك بن عبد الله.
- ٢- الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله.
- ٣- الشيخ محمد بن عبد الله.
- ٤- الشيخ صالح بن عبد الله.
- ٥- الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن.
- ٦- الشيخ محمد بن عبد اللطيف.

- ٧- الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف.
- ٨- الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف.
- ٩- الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف.
- ١٠- الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن.
- ١١- الشيخ محمد بن إبراهيم.
- ١٢- الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم.
- ١٣- الشيخ عبد الرحمن بن إسحاق.
- ١٤- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف.
- ١٥- الشيخ عبد الملك بن إبراهيم بن عبد الملك.
- ١٦- الشيخ عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن عبد الملك.
- ١٧- الشيخ علي بن عبد العزيز.
- ١٨- الشيخ عمر بن حسن.
- ١٩- الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد.
- ٢٠- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد.
- ٢١- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري.
- ٢٢- الشيخ عبد الله بن فيصل.
- ٢٣- الشيخ عبد العزيز بن بشر.
- ٢٤- الشيخ عبد الرحمن بن سالم.
- ٢٥- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود.
- ٢٦- الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق.
- ٢٧- الشيخ عبد الله بن سليمان السيارى.

- ٢٨- الشيخ عبد الله بن حمد الدوسري.
- ٢٩- الشيخ سالم الحناكي.
- ٣٠- الشيخ محمد الحناكي.
- ٣١- الشيخ عمر بن سليم.
- ٣٢- الشيخ عبد الرحمن بن عودان.
- ٣٣- الشيخ محمد بن عثمان الشاوي.
- ٣٤- الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى.
- ٣٥- الشيخ مبارك بن عبد المحسن.
- ٣٦- الشيخ عبد الله بن زاحم.
- ٣٧- الشيخ عبد الله بن بليهد.
- ٣٨- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله النمر.
- ٣٩- الشيخ سعد بن سعود.
- ٤٠- الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك.
- ٤١- الشيخ إبراهيم بن سليمان بن راشد.
- ٤٢- الشيخ عبد الله بن عتيق.
- ٤٣- الشيخ عبد اللطيف بن عتيق.
- ٤٤- الشيخ إبراهيم بن حسين.
- ٤٥- الشيخ عبد الرحمن بن حسين.
- ٤٦- الشيخ عبد الله بن رشيدان.
- ٤٧- الشيخ سليمان بن حمدان.
- ٤٨- الشيخ محمد بن علي البيز.

٤٩ - الشيخ فالح بن عثمان بن صغير.

٥٠ - الشيخ عبد العزيز الشثري.

٥١ - الشيخ عبد العزيز بن مرشد.

٥٢ - الشيخ حمد بن محمد بن موسى.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: "وأخذ عن الشيخ عبد الله خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى"^(١).

وقد أخذ عن هؤلاء أضعاف مضاعفة ممن صاروا علماء وقضاة ودعاة إلى عقيدة السلف الصالح^(٢).

وتوفي الشيخ عبد الله سنة ١٣٣٩ هـ رحمه الله تعالى، ورثاه العلماء والشعراء.

ومن رثاه الشيخ محمد بن إبراهيم بقصيدة مطلعها:

على الشيخ عبد الله بدر المخافل نريق كصوب الغاديات الهواطل

ورثاه غيره^(٣).

ومن الشعراء الشاعر محمد بن عثيمين، والذي من مرثيته قوله:

شيخ مضى طاهر الأخلاق متبعاً طريقة المصطفى بالله معتصماً

(١) "الدرر السننية" (ج ١٢، ص ٩٨ - ٩٩).

(٢) انظر: تراجمهم في "كتاب علماء نجد خلال ستة قرون" لابن بسام ثلاثة أجزاء، و"مشاهير علماء نجد وغيرهم" للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف.

(٣) انظر: "الدرر السننية" (ج ١٢، ص ٩٦ - ١٠٤)، و"روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد" لمحمد بن عثمان القاضي (ج ١ / ٣٦٢ - ٣٦٣).

بجر من العلم قد فاضت جداوله لكنه سائغ في ذوق من طعما
تشق أصدافه في البحث عن درر تهدي إلى الحق مفهوما وملتما
فكم قواعد فقهه قد أبان وكم أشاد رسما من العليا قد انلما
نعى إلينا العلا والبر مصرعه والعلم والفضل والإحسان والكرما
هذي الخصال التي كانت تفضله على الرجال فأضحى فيهم علما
فليت شعري من للمشكلات إذا ما حل منها عويص يبهم الفهما
وللعوم التي تخفى غوامضها على الفحول من الأبحار والعلمما

إلى أن قال:

لهفي عليه ولهف المسلمين معي لو أن لهفا شفى من لاهف سدا
ولهف مدرسة بالذكر يعمرها ومسجد كان فيه ينشر الحكمما^(١)

ولا ننسى في خضم هذا الأثر علما بارزا من تلاميذه هو الشيخ سليمان بن سحمان، العالم العلامة، حسان زمانه، وشاعر عقيدة السلف الصالح في وقته، المجاهد بنثره ونظمه، والمنافع بجهد وبيانه عن عقيدة الشيخ السلفية، أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن ابن حسن وابنه عبد اللطيف وابنه عبد الله، وكان له دور في التدريس ونشر العلم النافع، وهو من العلماء الذين استعان بهم الملك عبد العزيز في الدعوة إلى التمسك بالعقيدة السليمة وطلب العلم النافع والالتزام بالعمل الصالح وتخرج العلماء وتنشئتهم، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء الذين نفع الله بهم، وله المؤلفات النافعة؛ منها:

(١) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين" (ص ٤٦١ - ٤٦٥).

- ١- "الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق".
- ٢- "الهدية السنوية"، جمعها ورتبها، وفي آخرها "المنظومة الدالية" له.
- ٣- "تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين".
- ٤،٥- "منهاج أهل الحق والاتباع" و "إرشاد الطالب" في مجلد.
- ٦- "الصواعق المرسله".
- ٧- وديوان شعر ومؤلفات وغيرها.

وهو القائل:

حنيفية نسقي لمن غاضنا المرا	نعم نحن وهابية حنيفة
سنصعقه صعقا ونكسره كسرا	ومن هاضنا أو غاضنا بمغيضة
فعاد حسيرا خاسئا نائلا شرا	وكم من أخي جهل رمانا بجهله
نصول على الأعدا فئاظرهم أطرا	بمحكم آيات وسنة أحمد

إلى أن قال:

وألفت كتبا نثرها ونظامها يؤيد أهل الحق أرجو بها الأجر^(١)

وله جهود في جمع وتحقيق رسائل علماء الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح؛ كمجموعة "الرسائل والمسائل النجدية" أربعة أجزاء

(١) "ديوان ابن سحمان" (ص ٥٢، و ص ٥٩، طبعة هندية قديمة)، وانظر: "الدرر السنوية" (ج

١٢، ص ٩٢).

في مجلدات كبار، وقد طبعها الملك عبد العزيز ونشرها ضمن ما أنفق عليه وعلى طبعه من كتب علماء العقيدة السلفية في جميع فنون العلم.

وقال في الانتصار لها الشاعر محمد بن عثيمين سنة ١٣٤٦ هـ:

شموس من التحقيق في طالع السعد تجلت فأجلت ظلمة الهزل والجد
قواطع من آي الكتاب كأنها بأعناق أهل الزيغ مرهفة الحد

إلى أن قال:

كفاناهم من لم يزل متجردا لنصر الهدى والدين أكرم به مهدي
سليمان من سارت فضائل مجده مسير مهيب الريح في الغور والنجد

إلى أن قال:

تمسك بما في محكم النص ظاهرا وبالسنة الغرا عن الصادق المهدي
وطالع تصانيف الإمام محمد وأبنائه أهل الدراية والنقد
فإن بما يطفئ الغلة التي بها من أوار الجهل وقد على وقد
هم قدوة في ذا الزمان وحجة وميزان عدل لا يميل عن القصد^(١)

وكانت وفاة الشيخ سليمان سنة ١٣٤٩ هـ في الرياض رحمه الله

تعالى^(٢).

وقد رثاه حمد الجاسر، ورثى معه سعد بن عتيق، ومن ذلك

(١) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين" (ص ٤٣٧ - ٤٤٢).

(٢) "الدرر السنينة" (ج ١٢، ص ٩٢).

قوله:

مضى عنها سليمان محثا يؤم إمامه قد سار سعد
فأضحى العلم بعدهما يتيما يجاربه كثير وهو فرد^(١)

ومن هؤلاء العلماء الجهابذة الذين حملوا عقيدة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب السلفية، وقربهم الملك عبد العزيز، وصدر عن علمهم، العلم الحافظ الشيخ سعد ابن الشيخ حمد بن عتيق، أخذ العلم عن والده، ثم سافر لطلب العلم نحو تسع سنين، فأخذ عن الشيخ نذير حسين الدهلوي، والشيخ شريف حسين، والشيخ محمد بشير السهسواني، والشيخ سلامة الله الهندي، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي، وكلهم أجازوه، وأخذ عن جماعة من علماء مكة؛ منهم: الشيخ حسب الله الهندي، والشيخ عبد الله الزواوي، والشيخ أحمد أبو الخير، وجم غفير، ولما رجع من رحلته لطلب العلم من الهند ثم من مكة إلى بلده الأفلاج؛ قال الشيخ سليمان بن سحمان فيه:

على بلد الأفلاج أشرق سعده فآبت لها الألفاف من كل جانب
هنيئا لكم أهل العمار^(٢) بمن له مآثر تزهو كالنجوم الثواقب
هنيئا لكم هذا القدوم بعالم سلاله حبر فاضل ذي مناقب^(٣)

(١) "الدرر السننية" (ج ١٢، ص ٩٣).

(٢) "ديوان ابن سحمان" (ص ٢٤٧ - ٢٤٨)، وانظر: "الدرر السننية" (ج ١٢، ص ٩٣ - ٩٦)، و "العمار من قرى الأفلاج جنوب الرياض".

(٣) "الدرر السننية" (ج ١٢، ص ٩٣).

ولما فتح الملك عبد العزيز الرياض عام ١٣١٩ هـ، واستولى على الأفلاج، نقله منها إلى الرياض قاضيا في جميع قضايا البادية وجميع الدماء من القتل فما دونه من أنواع الجراحات، كما عينه الملك عبد العزيز إماما في جامع الرياض الكبير، وفي هذا المسجد الواسع عقد له حلقتين للتدريس: إحداهما بعد طلوع الشمس حتى امتداد النهار، والثانية بعد صلاة الظهر، وكان حريصا على ما يليق من الدروس، شديد الثبت لمعنى ما يقرأ عليه، فلا يلقي درسه ولا يسمعه من الطالب حتى يراجع عليه شروحه وحواشيه وما قاله العلماء عليه، وضبطه لغة ونحوا وصرفا، حتى يجرر الدرس تحريرا بالغا، وقد أوقع الله محبته في القلوب، وأمد به بسعة العلم، وكان كثير الدعاء والابتهاال، متواضعا عند العامة، رفيع القدر عند الخاصة، مجالسه معمورة بالعلماء، مشحونة بالفقهاء والمحدثين، مشتغلا بنفسه وبإلقاء الدروس المفيدة على أصحابها كما وصفنا، وأخذ العلم عنه الجرم الغفير، منهم أبناءه محمد وعبد العزيز وحمد، وأخذ عنه إخوته الشيخ عبد العزيز والشيخ عبد اللطيف والشيخ عبد الله، ومحمد ابن أخيه عبد العزيز، والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ محمد والشيخ عبد اللطيف والشيخ عبد الملك أبناء الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ عبد الله والشيخ عمر ابنا الشيخ حسن بن حسين، والشيخ سعد بن سعود بن رشود، والشيخ عبد الرحمن وإبراهيم ابنا حسين، وعبد الرحمن ابن الشيخ إسحاق، والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ، والشيخ محمد بن

عثمان الشاوي، والشيخ سليمان بن حمدان، والشيخ عبد الله بن حمد الدوسري، والشيخ إبراهيم بن سليمان، والشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك، والشيخ عبد العزيز بن مرشد، والشيخ عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن عبد الملك، والشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري، والشيخ عبد الله بن رشيدان، والشيخ عبد الرحمن بن عودان، والشيخ محمد بن رشيد، والأستاذ حمد الجاسر، وغيرهم خلق كثير^(١).

كما تصدى لنشر العلم بالكتابة والرسائل والنصائح، وحرر الفتاوى والأجوبة على الأسئلة، فرقها الشيخ ابن قاسم في مجموعته المسمى "الدرر السنية"، ونظم مختصر "المقنع" المسمى "زاد المستقنع" حتى كاد أن يتمه، وأتمه الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن سحمان، وطبع بعنوان "نيل المراد بنظم متن الزاد" بمراجعة الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق، وله رسالة سماها "حجة التحريض في تحريم الذبح للمريض" في مكتبة جامعة الرياض برقم (٢١٥)، ورسالة أخرى سماها "عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية"، وقد طبعت، قال فيها بعد أن حمد الله وصلى وسلم على رسوله اللهم صل وسلم على رسولك:

"أما بعد؛ فقد سألتني بعض الأحباب أن أكتب ما أعتقده ويعتقده مشايخي من أهل بلدي فيمن يأتي إلى قبر النبي ﷺ ويقول:

(١) انظر: "الدرر السنية" (ج ١٢، ص ٩٣ - ٩٥)، و "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ١ / ٢٦٦ - ٢٦٩)، و "روضة الناظرين عن مآثر نجد" لمحمد بن عثمان القاضي (ج ١ / ١٠٦ - ١١١).

يا رسول الله أغثني أو اشفع لي أو غير ذلك من أنواع السؤال، وكذلك ما نعتقده في شد الرحل إلى قبر النبي ﷺ وما نعتقده في التوسل بالنبي ﷺ.

ثم أورد عقيدة السلف الصالح: أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، إلى أن قال:

"ونعوذ بالله من كل قول أو فعل يخالف ما شرعه الله ورسوله، ومن يعرف أحوالنا؛ يعلم أننا ينسبه إلينا أكثر الناس لا أصل له، بل هو من البهتان، وسبب ذلك أن الرجل المشهور الذي أقام الله به هذه الملة الحنيفية ونفع بدعوته جمعا غفيرا من الأمة، وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، لما دعا إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله والتخلي من الرسوم العادية والوسائل الشركية؛ شرق بذلك أكثر الناس واستعظموه؛ قائلين ما قال إخوانهم الأولون: ﴿ أَجْعَلُ الْأَهْلَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ءِالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿١﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٢﴾".^(١)

وجنوا عليه وعلى أتباعه بالسب والتكفير، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وسعوا لهم بالغوائل، كل ذلك عند قوله: ﴿ يَأْتُونَكُم بِكُلِّ غُيُوبٍ ﴾.^(٢)

(١) سورة ص آية : ٥ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

كما قال رحمه الله تعالى في تفسير الفاتحة: "ومن عرف البردة ومن فتن بها؛ عرف غربة الإسلام، وعرف أن العداوة واستحلال دمائنا وأبنائنا ونسائنا ليس عند التكفير والقتال؛ فإنهم الذين بدءونا بالقتال، بل عند قوله: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(١).

وعند قوله: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾^(٢).

وعند قوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾^(٣) " انتهى.

وجعل أهل العداوة والحسد - خصوصا بعض علماء السوء - يرمونه بالعظائم، ويلفقون من الأكاذيب ما الله به عليم، ومرادهم بذلك تنفير الناس عنه وعن ما دعا إليه، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، والكلام في هذه المادة على وجه الكمال لا تحتمله هذه الأوراق.

ومما يجب أن يعلم أن أكثر الناس في هذه الأزمان قد غرهم الشيطان ولبس عليهم، حتى وقعوا في الشرك، وغيروا اسمه، وأسموه

(١) سورة الجن آية : ١٨ .

(٢) سورة الرعد آية : ١٤ .

(٣) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

توسلا، فتجدهم يدعون الأنبياء والصالحين من الأموات والغائبين، ويسألونهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ويسمون ذلك توسلا، فيخضعون الجهال بهذه التسمية، ويلبسون على خفافيش البصائر بقولهم: هذا الذي نفعل توسل وليس بشرك والله يعلم وملائكته وعباده المؤمنون أنه هو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ^ط وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١) (٢).

وعلى العموم؛ فكتاباته وفتاواه تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه وحسن تصوره، وهو في عداد كبار علماء نجد المقربين من الملك عبد العزيز، ويعتمد عليه في مهام الأمور الدينية كما ذكرنا، وهو معزز محترم عند علماء الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح؛ يجلونه، ويقدرونه، ويعرفون له حقه ومكانته العلمية ونشاطه في الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح وموالاته أهلها، وما زال على أحواله الكريمة وسجايه الحميدة حتى توفي في الرياض في اليوم الثالث عشر من جمادى الأولى عام ١٣٤٩ هـ، ودفن في مقبرة العود في الرياض، وبكاه الناس، ورثاه الشعراء (٣).

ومن رثاه الشاعر محمد بن عثيمين بالقصيدة التي مطلعها:

(١) سورة المائدة آية : ٧٢.

(٢) "عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية" تأليف الشيخ سعد بن عتيق (ص ٥ - ٢١).

(٣) انظر: "علماء نجد خلال ستة قرون" للشيخ البسام (١/ ٢٦٨ - ٢٦٩).

أهكذا البدر تخفي نوره الحفر ويفقد العلم لا عين ولا أثر

إلى أن قال:

وابك على العلم الفرد الذي حسنت
من لم ييال بحق الله لائمة
بجر من العلم قد فاضت جداوله
فليت شعري من للمشكلات إذا
من للمدارس بالتعليم يعمرها
هذي رسوم الدين تندبه
طوتك يا سعد أياما طوت أوما
إن كان شخصك قد واره ملحده
والأسوة المصطفى نفسي الفداء له
بني لكم حمد يا للعقيق علا
لكنه العلم يسمو من يسود به

بذكر أفعاله الأخبار والسير
ولا يحايي امرءا في خده صعر
أضحى وقد ضمه في بطنه المدر
حارت بغامضها الأفهام والفكر
ينتأجها زمر من بعدها زمر
ثكلى عليه ولكن عزها القدر
كانوا فبانوا وفي الماضين معتبر
فعلمك الجرم في الآفاق منتشر
بموته يتأسى البدو والحضر
لم بينها لكم مال ولا خطر
على الجهول ولو من جده مضر^(١)

ورثاه الشيخ عبد الملك بن إبراهيم بن عبد اللطيف بمريثة مطلعها:

مصاب دهي بالمعضلات النوازل ورزء عظيم قد أهاج بلابل

إلى أن قال:

لذن جاءنا الناعي مساء مخبرا
هو الشيخ سعد من غدا متفردا
بموت إمام العلم زاكي الشمائل
بكل فنون العلم بين القبائل

(١) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين" (ص ٤٧٤ - ٤٨٢).

إمام لعمري ناسك متورع تقى نقى ما له من مماثل
إمام لعمري كان بالعلم عاملا يراقب ربا ليس عنه بغافل
إمام لعمري كان للعلم باذلا يقرر للتوحيد بين المخافل

إلى أن قال:

له مجلس بالعلم يزهر دائما تشد إليه مضمرات الرواحل
يؤمنه الطلاب من كل وجهة تراهم عكوبا بين قار وسائل
فيلقون حبرا للغوامض كاشفا يحل عويص المشكلات المسائل^(١)

رحمه الله رحمة واسعة، ورحم جميع العلماء وسائر المسلمين.

ومن هؤلاء العلماء المحققين المجاهدين ذوي العقول الكبيرة: صاحب
السماحة، ذو العقل الراجح، الطود الثابت، والعالم الراسخ، الشيخ محمد
بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، مفتي المملكة العربية السعودية،
ورئيس قضاتها، ومرجع علمائها، ورئيس رابطة العالم الإسلامي والجامعة
الإسلامية في زمانه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

حفظ القرآن عن ظهر قلب، ثم أخذ في تلقي العلم عن والده الشيخ
إبراهيم بن عبد اللطيف الذي كان قاضيا لمدينة الرياض في مطلع القرن
الرابع عشر الهجري، وقد قرأ على والده في مختصرات الشيخ محمد بن عبد
الوهاب ومبادئ النحو والفرائض، ثم أخذ العلم

(١) "الدرر السنية" (ج ١٢ / ٩٦).

عن عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وقد مر ذكره قبل قليل^(١) قرأ على عمه هذا "كتاب التوحيد" تأليف جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره من كتب عقيدة السلف الصالح كـ "الواسطية" و "الحموية"، وقرأ على عمه أيضا في أصول التفسير والحديث، وقرأ على الشيخ سعد ابن الشيخ حمد بن عتيق في الفقه ومصطلح الحديث، ولازمه ملازمة تامة، وقرأ على الشيخ حمد بن فارس في الألفية وغيرها من المؤلفات النحوية وفي الفقه، وقرأ على الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود في الفرائض، ولم يزل مجدا في طلب العلم، إلى أن صار مرجع العلماء وأبرز الفقهاء ونادرة الأذكياء.

وكان عمه وشيخه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف كما ذكرنا من قبل ممن أعان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل بعلمه وعمله ومحض النصيحة والولاء والإخلاص، فلما مرض مرض موته؛ أوصى الملك عبد العزيز به خيرا، وأخبره بكفاءته العلمية والدينية، وأنه بموجب ذلك يصلح أن يكون خليفة بعده، وتوفي سنة ١٣٣٩ هـ، فعينه الملك عبد العزيز خلفا لعمه في الفتيا وإمامة المسجد والتدريس، فباشر ذلك بكفاءة وإخلاص وعزيمة ومضاء، وفي سنة ١٣٤٥ هـ أرسله جلالة الملك عبد العزيز إلى أهل الغطط لما شددوا تشديدا ينافي الشرع، فمكث عندهم ستة شهور؛ يبين لهم معاني الكتاب والسنة وعبارات رسائل علماء دعوة التوحيد السلفية، ويحذرهم من الغلو ومجاوزة الحدود، ثم رجع إلى الرياض، واستمر في نشر

(١) انظر: (٢/٣١٧).

العلم وتعليمه.

ويقول مؤلف كتاب "مشاهير علماء نجد": "وكان رحمه الله لا يدع طالب العلم المبتدئ يقرأ عليه في الفقه والمطولات حتى يقرأ في مختصرات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهي: "شروط الصلاة وأركانها"، و "أربع القواعد"، و "ثلاثة الأصول"، و "كشف الشبهات"، و "آداب المشي إلى الصلاة"، و "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، فإذا قرأ عليه هذه المختصرات عن ظهر قلب، سمح له في القراءة عليه في "مختصر المقنع" وغيره من كتب الفقه، وفي القراءة في "بلوغ المرام" وغيره من كتب أحاديث الأحكام وشروحها، و "الروض المربع شرح زاد المستنقع"، وهذه قاعدته وقاعدة من تقدمه من علماء دعوة التوحيد السلفية رحمهم الله"^(١).

وما زال الشيخ مستمرا في إمامة مسجد عمه المعروف بمسجد الشيخ وتدريس الطلاب فيه من عام ١٣٣٩ هـ إلى قبيل وفاته رحمه الله. وقد تخرج على يديه أفواج من العلماء كثيرون، شغلوا مناصب القضاء والتدريس والدعوة إلى الله والإرشاد والبحث العلمي، وأذكر اثنين هم أبرزهم:

١- الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز الذي كان نائبه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم أسندت إليه رئاسة الجامعة

(١) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ١٣٩).

بعد وفاة شيخه ورئيسها، ثم أسند إليه منصب رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢- الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله، وكان آخر ما أسند إليه منصب رئيس المجلس الأعلى للقضاء، وقد قضى خمسين عاما من بعد وفاة عمه في الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح والجهاد في سبيل الله والذب عن الإسلام بجد وحزم وصبر.

هذا ومع أعماله الكثيرة التي قام بها وهي تشق على الجماعة من الرجال قد خلف وراءه من الفتاوى ما يبلغ المجلدات الكثيرة، وقد جمع بعضها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، وأكثرها في ملفات دار الإفتاء، ويجري طبعا حاليا، وطبع منها حتى الآن عدة مجلدات، وله نصائح توجيهية عامة وخاصة، ورسائل قيمة كبيرة الفائدة قد طبع كثير منها^(١).

وتوفي رحمه الله عام ١٣٨٩ هـ، ورثي بمراثي كثيرة ما بين شعر ونثر، ومنها قصيدة للشيخ عبد الله بن إدريس تبلغ أبياتها عشرين بيتا، ومطلعها:
ما عاش إلا للعلوم وشرعة الإنصاف وقضى الحياة مكرم الأوصاف

ومنها قصيدة للدكتور كامل الفقي تبلغ اثنين وثلاثين بيتا، ومطلعها:

(١) "عالم جهيد وملك فذ" (ص ١٢ - ١٣).

دهى الجزيرة خطب ليس يحتمل فلتنفطر مهج ولتتهمر مقل(١)

وقد أصدرت صحيفة الدعوة التي تصدر بالرياض عددا خاصا عنه، وذلك عددها (٢٣١) الصادر يوم الاثنين ١٣ شوال عام ١٣٨٩ هـ، يشتمل على سبع وعشرين مقالة نثرا وشعرا(٢).

وقد عني بترجمته وتدوينها أتم ما يعنى بتراجم علماء الأمة الإسلامية الذين هم لأمتهم رواسي ترسيهم أن يجهلوا أو يميدوا، كما هي الجبال أوتاد ورواسي للأرض أن تميد أو تضطرب(٣) أولئك حملة عقيدة السلف الصالح، والمتأثرون بها، والدعاة إليها، وناشروها، ومعلمو أمهم إياها، والذين وصفهم

الشاعر المفلق محمد بن عثيمين بقوله:

الثابتين على الإيمان جهدهم والصادقين فما خانوا ولا ختروا
الصادعين بأمر الله لو سخطوا أهل البسيطة ما بالسوا ولو كثروا
والسالكين على نهج الرسول على ما قررت محكم الآيات والسور
والعادلين عن الدنيا وزهرتها والآمرين بخير بعدما أتمروا

(١) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ١٤٢)، و "علماء نجد خلال ستة قرون" (ج ١، ص ٩٦).

(٢) "عالم جهيد وملك فذ" (ص ١٨ - ٢٢).

(٣) انظر: "علماء نجد خلال ستة قرون" للباسم (ج ١، ص ٨٨ - ٩٧)، و "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ١٣٤ - ١٤٦)، و "روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد" (ج ٢، ص ٣٠٢ - ٣٠٨)، و "عالم جهيد وملك فذ" ترجمتان موجزتان للشيخ محمد بن إبراهيم والملك فيصل رحمهما الله (ص ٧ - ١٧).

لم يجعلوا سلماً للمال علمهم بل نزهوه فلم يعلق به وضر^(١)

إلى أن قال:

هذي المكارم لا تزويق أبنية ولا الشفوف التي تكسى بها الجدر^(٢)

ولقد صدق الشاعر العثيمين في وصفهم؛ فإنهم قد سلكوا منهج الرسول ﷺ وصدعوا بأمر الله، غير مبالين، ولا طامعين في الدنيا بديلاً عن الآخرة.

وذلك الذي ذكرته عن العلماء ونشرهم العقيدة السلفية هو من آثار قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة إلى عقيدة السلف الصالح، وقد كانوا في عهد الملك عبد العزيز وعهد أبنائه من بعده.

وما ذكرناه من ذلك أمثلة يسيرة، ثم لا يعزب عن البال أن الحاضرة من الناس تبع لهؤلاء العلماء، ويصدرون عنهم في عقيدتهم وعبادة ربهم، لا سيما تحت حزم الحكومة على ذلك.

أما ما يختص بالبادية الذين شملهم الله تعالى بنعمة الأمن والاستقرار تحت ولاية الملك عبد العزيز وقيادته وحزمه الموفق؛ فقد شمل إكرامه جميع عشائر البدو الرحل، وسعى في تحضيرهم ولم^٣ شملهم وتشجيعهم على الاستقرار؛ يعاونهم على بناء المدن والقرى - وهي ما يسمى بالهجر - وسكنها؛ لأن حياة البداوة والغزو والسلب والتفرق وسفك الدماء لا تقوم معها حياة دينية ولا دنيوية صحيحة

(١) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين" (ص ٤٧٧).

(٢) "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين" (ص ٤٧٧).

مستقرة، فأخذ يسكنهم هذه المهجر، ويشجعهم على التعلم وتلقي علوم دينهم وأصول عقيدة السلف الصالح ومختصرات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في ذلك على أيدي المشايخ وأئمة المساجد وطلبة العلم، وصار يبعث إليهم من يعلمهم ويرشدهم ويث فيهم عقيدة السلف الصالح بكل عناية وحزم، وذلك ابتداء من سنة ١٣٣٠ هـ تقريبا، حيث كانت هجرة الأرتاوية أول هجرة بنيت سنة ١٣٣٠ هـ^(١).

ويقول حافظ وهبة: "إن من أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبد العزيز مشروع تحضير البادية وإقطاعهم الأراضي للسكنى والزراعة وتعليم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق، ولا شك أنه حصل نجاح عظيم لإصلاحات الملك عبد العزيز، وإقبال على دين الله، خاصة من البدو الرحل؛ فقد أقبلوا على المهجر بينونها بمساعدة الملك عبد العزيز، وبني لهم المساجد، وبعث إليهم المشايخ والأئمة وطلبة العلم؛ يعلمونهم دين الله ورسوله ﷺ حتى تم تهجيرهم، وأقبل الناس على بناء حضارة إسلامية، وأغدق الله عليهم من نعمه الكثيرة في الدين والدنيا والعلم والقراءة والأمن والاستقرار وما لا يحصى من النعم".

ويذكر حافظ وهبة أنه في سنة ١٣٤٧ هـ في ثامن شهر جمادى الأولى أمر الملك بعقد المؤتمر النجدي أو الجمعية العمومية^(٢) وكان مؤتمرا عاما، وفي هذا المؤتمر قال الملك علنا وبصراحة تامة:

(١) حافظ وهبة "جزيرة العرب في القرن العشرين" (ص ٢٨٩).

(٢) "جزيرة العرب في القرن العشرين" (ص ٢٩٨).

"إني لم أطلب منكم أن تجتمعوا اليوم في هذا المكان خشية منكم؛ فإني قد أسست هذه المملكة بقدره الله وحده، الذي عاضدني وساعدني، والذي كتب لي الفوز، وكتب لي التوفيق، وإن خوفي من الله وحده هو الذي حدا بي لأن أجمع شملكم اليوم لتباحث معاً، وقد فعلت ذلك حتى لا أقع في نقيصة الإعجاب بالنفس والكبرياء".

وقال الملك: "أيها الإخوان! تعلمون عظم المنة التي من الله بها علينا بدين الإسلام؛ إذ جمعنا به بعد الفرقة، وأعزنا به بعد الذلة، واذكروا قوله تعالى: ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ۗ ﴾^(١) الآية، إن شفقتي عليكم وعلى ما من الله به علينا، وخوفي من تحذيره سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ ﴾^(٢) كل هذا دعائي لأن أجمعكم في هذا المكان لتذكروا:

أولاً: ما أنعم الله به علينا، فنرى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة.
وثانياً: لأمر بدا في نفسي، وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحد شيء يشكوه مني أو من أحد نوابي وأمرائي؛ بإساءة كانت عليه، أو بمنعه حقاً من حقوقه، فأردت أن أعرف ذلك منكم؛ لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك، وأكون قد أدت ما علي من واجب.

وثالثاً: لأسألكم عما في خواطركم، وما لديكم من الآراء، وما ترونيه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم".

وقال الملك: "إن القوة لله جميعاً، وكلكم يذكر أنني خرجت

(١) سورة التوبة آية : ١٠٥ .

(٢) سورة الرعد آية : ١١ .

عليكم وكنتم فرقا وأحزابا، يقتل بعضكم بعضا، وينهب بعضكم بعضا، وجميع من ولاه الله أمركم من عريي أو أجنبي كانوا يدسون لكم الدسائس؛ لتفريق كلمتكم، وإضعاف قوتكم؛ لذهاب أمركم، ويوم خرجت كنت محل الضعف، وليس لي من عضد وساعد إلا الله وحده، ولا أملك من القوة إلا أربعين رجلا تعلمونهم، ولا أريد أن أقص عليكم ما من الله به علي من فتوح، ولا بما فعلت من أعمال معكم كانت لخيركم، إن تاريخ ذلك منقوش في صدر كل واحد منكم، وأنتم تعلمونه جميعا، وكما قيل: السيرة تبين السريرة.

إنني لم أجمعكم اليوم في هذا المكان خوفا أو رهبا من أحد منكم؛ فقد كنت وحدي من قبل وليس لي مساعد إلا الله؛ فما باليت الجموع، والله هو الذي نصرني، وإنما جمعتمكم كما قلت لكم خوفا من ربي، ومخافة من نفسي، أن يصيبها زهو أو استكبار، جمعتمكم هنا في هذا المكان لأمر واحد، ولا أجزى لأحد أن يتكلم في غيره، ذلك هو النظر في أمر شخصي وحدي، فيجب أن تجتنبوا في هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع، أما الأشياء الخارجة عن هذا، فسأعين لكم اجتماعات خاصة وعامة ننظر فيها.

أريد منكم أن تنظروا أولا فيمن يتولى أمركم غيري، وهؤلاء أفراد الأسرة أمامكم؛ فاختاروا واحدا منهم، ومن اتفقتم عليه؛ فأنا أقره وأساعده، وكونوا على يقين بأنني لم أقل هذا استخبارا؛ لأنني والله الحمد لا أرى لأحد منكم منة علي في مقامي هذا، بل المنة لله وحده، ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنازع

بقوة، ولا يحملني على القول إلا أمران:

الأول: محبة راحتي في ديني ودنياي.

والثاني: أني أعوذ بالله من أن أتولى قوما وهم لي كارهون، فإن أحبتموني إلى هذا؛ فذلك مطلبي، ولكم أمان الله؛ فإن من يتكلم في هذا؛ فهو آمن، ولا أعبته لا آجلا ولا عاجلا، فإن قبلتم طلبي هذا، فالحمد لله، وإن لا تزالوا مصرين على ما كلمتموني به على إثر دعوتي لكم؛ فإني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرع وفي اتباع ما تجمعون عليه مما يؤيد شرع الله".

ثم قال: "ابحثوا في شخصي وأعمالي، من كان له علي أنا عبد العزيز شكوى أو حق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا؛ فليبينه، ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاقه وأمانه أنه حر في كل نقد يبينه، ولا مسئولية عليه، وإني لا أبيع لإنسان من العلماء ولا من غيرهم أن يكتم شيئا من النقد في صدره، وكل من كان عنده شيء؛ فليبينه، ولكم علي أن كل نقد تذكرونه أسمعته، فما كان واقعا؛ أقررت به، وبينت سببه، وأحلت حكمه للشرع يحكم فيه، وما كان غير بين، وهو عندكم من قبيل الظنون؛ فلكم علي عهد الله وميثاقه أنني أبينه ولا أكتم عليكم منه شيئا، وأحكم في كل ما تقدم شرع الله، فما أثبتته؛ أثبتته، وما نفاه؛ نفيتته.

أنتم أيها الإخوان! أبدوا ما بدا لكم، وتكلموا بما سمعتموه وبما يقوله

الناس من نقد ولي أمركم أو من نقد موظفيه المسئول عنهم.

وأنتم أيها العلماء! اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العرض، وستسألون عما سئلتم عنه اليوم، وعما أمنكم عليه المسلمون، فأبدوا الحق في كل ما تسألون عنه، ولا تبالوا بكبير ولا صغير، وبينوا ما أوجب الله للرعية على الراعي، وما أوجب للراعي على الرعية في أمر الدين والدنيا، وما تجب فيه طاعة ولي الأمر، وما تجب فيه معصيته، وإياكم وكتمان ما في صدوركم في أمر من الأمور التي تسألون عنها، ولكل من تكلم الحق عهد الله وميثاقه أنني لا أعاتبه.

إني أكون مسرورا منه، وأن أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء، والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه أيها العلماء، فإني أعمل فيه عمل السلف الصالح، إذ أقبل ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو قول أحد العلماء الأعلام المعتمد عليهم عند أهل السنة والجماعة، وإياكم أيها العلماء أن تكتموا شيئا من الحق تبتغون بذلك مرضاة وجهي، فمن كتم أمرا يعتقد أنه يخالف الشرع، فعليه من الله اللعنة، أظهروا الحق وبينوه، وتكلموا بما عندكم"^(١).

وقد بين الملك لهم أنه فاوض البريطانيين حول المخافر التي بنيت على حدود السعودية من جهة العراق، ولكنهم أصرروا على ذلك، وتمسكوا بمبانيهم؛ بسبب ما افتاتته الدويش عليه، حيث غزاهم بحجة الجهاد من غير إذن الإمام، فقتلوا عمال المخفر وبعض شرطته، وأخذوا أموالهم واستباحوها غير مرة وبدون إذن الإمام؛ فالدويش هو

(١) انظر: "تذكرة أولي النهى والعرفان" للشيخ إبراهيم بن عبيد (ج ٣، ص ١٨٣ - ١٨٦).

المسئول عن فشل المفاوضات التي لولا ما فعله الدويش لنجحت، وعلى كل؛ فالجهاد لا بد فيه من إذن الإمام، فهو يرى ما فيه المصلحة، وهو نائب عن المسلمين، ورأيه لهم خير من رأيهم لأنفسهم.

ولنعد إلى خطبة الملك؛ نتأمل ما ورد فيها على ضوء عقيدتنا السلفية

كما هو موضوعنا:

فهذا الملك قد خرج من الكويت، ممتشقا سيفه، يقطع به رعوس الفتن، ويخضع به كل معاند مستكبر؛ حتى ذلت له كل صعبة، وانقاد له كل مستعص، وأمسك بيده زمام الأمور، حتى أصبح أعظم ملك في زمانه، عندئذ؛ قال كلمة العقيدة السلفية الخالصة؛ قالها من مركز القوة، مركز من يقول ويفعل، لأنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وقالها من مركز التضحية والفداء؛ لأن بذل حظوظ النفس بسخاء هكذا دليل صدق القائل بقوله.

أما مكاسب عقيدة السلف الصالح التي نصرها واستردها من غاصبيها؛ فذلك أمر لا يتنازل عنه بحال، كيف وقد كان يوم خروجه من الكويت يسترد مكاسب عقيدتهم السلفية على ما وصف من القلة والذلة، ومع ذلك لم يبال بالجموع، ولا من بأقطارها من الدول، ثقة بالله وحده، وطمعا في نصره سبحانه لهذه العقيدة المهضوم أهلها، والمستباح بيضتهم من أنفسهم.

ولكنه كان مستعدا لتنازله عن مكاسبه الشخصية وحظوظه

النفسية، وهي وإن كان يستحقها، لكنه يتنازل عنها في سبيل ظهور العقيدة السلفية وانتصارها وعدم المساس بشيء من مكاسبها التي استردها، فحين يحيل في خطابه المؤتمرين إلى أحد أفراد الأسرة ليختاروا منها غيره، هو دليل صدقه في تنازله عن حظوظه الشخصية، مع عدم تفريطه بأي شيء من مكاسب عقيدة السلف الصالح.

والأسرة السعودية هي من مكاسب عقيدة السلف الصالح التي دعا إليها الشيخ، فلم تنعم الجزيرة - كما هو المعروف من التاريخ - بأنصار لعقيدة السلف مثل هذه الأسرة المباركة، كما أن هذه الأسرة لم يكن لها شأن يميزها بالأفضلية قبل أن تنصر عقيدة السلف الصالح، وكأن الكلام الذي جرى بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب "الدم بالدم والهدم بالهدم" هو ترجمان هذا الالتحام المصيري، ومنذ تباعا وتعاهدا وتعاقدا على نصرته دين الله ورسوله؛ كان قد تم ظهور عقيدة السلف الصالح بائتلاف علماء العقيدة السلفية مع أنصارها؛ لأن هذا الائتلاف من ماهية هذه العقيدة ومن ذاتيتها، لا يتخلف إلا إذا تخلفت قلوب الناس عنها.

ولذا؛ فإن حملة العقيدة السلفية لا ينسون لهذه الأسرة تاريخها، ولا يرتابون في صدق وفائها لعهودها وعقودها، ولا يمكن أن تطمئن نفوسهم من خلال تجاربهم التاريخية لغيرهم، وحملة عقيدة السلف الصالح هم أهل الحل والعقد؛ لأن هذه العقيدة هي مركز ثقل المسلمين وثقتهم، وقد جربوا غياب هذه الأسرة عن الحكم، فأروا في غيبتهم ضعف العقيدة والتفرق وعدم الأمن، وهذا ما يفهمه الملك عبد

العزیز راسخا فی نفوس المؤمنین، بل إنه یدهب إلى أبعد من ذلك فی سبیل تحقیق مکاسب عقيدة السلف الصالح، إنه لا يتأخر عن تقديم نفسه وأسرته ضحية فی سبیل ذلك.

قال رحمه الله من خطبة له: "أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ولنشره بين الأقسام.

أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين، أما ما كان غير موجود فيها؛ فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة؛ فأخذ منها ما فيه صلاح المسلمين.

أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين، ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية فی سبیل الله"^(١).

ويقول: "ليس لهذا الملك وعظمته عندي من قيمة، وإنما الذي أحبه وأريده هو رضا الله تعالى".

ويقول: "أرجو الله أن يوفقنا للخير، وافهموا أننا لا نرز أحدا ولا نذل أحدا، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى، ومن التجأ إليه؛ نجأ، ومن اعتر بغيره؛ هلك"^(٢).

(١) "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز" تأليف خير الدين الزركلي (الطبعة الثانية، ص ٢١٦).

(٢) "تاريخ المملكة العربية السعودية" للصف الثالث المتوسط (الطبعة الأولى عام ١٣٩٤هـ، ص ٢١٠).

وقد بين العلماء ونصحوا كما أمرهم الملك الإمام، وقد كانوا من أول الأمر ينصون للراعي والرعية، وما زالوا يسايرون الأحداث ويدأونها بعقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

وكم كان للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف من مواقف حاسمة وإرشادات صحيحة تنبئ عنها مراسلاته للإخوان في عهد الملك عبد العزيز، يحذرهم الضلال والفرقة، ويبين الهدى والجماعة، وهذه المراسلات موجودة في "الدرر السننية" في (الجزء ١٧ من ص ٢٦٥ - ٢٧٨) ومن ذلك قوله في بعضها:

"قد بلغني عن بعض من غره الغرور من الطعن في العلماء ورميهم بالمداهنة وأشباه هذه الأقاويل التي صدت أكثر الخلق عن دين الله وزين لهم الشيطان بسبب ذلك الطعن في الولاية بأمر حقيقتها البهتان والطعن بالباطل"^(١).

وقد كتب هو وعدد من العلماء للملك عبد العزيز رسالة سنة ١٣٣٨ هـ هذا أولها بعد البسملة:

"من عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق ومحمد بن عبد اللطيف إلى جناب عالي الجناب الإمام المفخم والرئيس المقدم عبد العزيز ابن الإمام عبد الرحمن آل فيصل".
ثم ذكروا السبب لتحريره، وأنه محض النصيحة، وبينوا له نعمة

(١) "الدرر السننية" (ج ٧، ص ٢٧٦).

الإسلام، ومن ذلك أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بالسمع والطاعة، كما لا يخفى على الملك، ولا على أحد له معرفة بالإسلام، ومن ذلك منة الله تعالى في آخر هذا الزمان، الذي اشتدت فيه غربة الإسلام، بهداية غالب بادية أهل نجد، خصوصا رؤساءهم، وما جعله الله من حظ وافر للملك عبد العزيز في إعاتتهم ببناء مساجدهم ومدنهم، وفشو الإسلام في نجد جنوبا وشمالا، وعناية الله بعبادة وحكمته لا يعلمها إلا هو، ولكن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ومن معه رأوا أمرا يوجب الخلل على أهل الإسلام، ويدخل التفرق في دولتهم، وهو الاستبداد من دون إمامهم بزعمهم أنه بنية الجهاد، ولم يعلموا أن حقيقة الجهاد ومصالحة العدو وبذل الذمة للعامة وإقامة الحدود أنها مختصة بالإمام ومتعلقة به، ولا لأحد من الرعية دخل في ذلك إلا بولايته، والذي يعقد له راية ويمضي في أمر من دون إذن الإمام ونيابته، فلا هو من أهل الجهاد في سبيل الله... " إلى آخر ما دونه في هذه الرسالة^(١).

وفي رسائل أخرى ومناسبات متعددة كان جميع المشايخ من علماء الدعوة يبينون عقيدة السلف الصالح للناس، ويحثونهم على الجماعة والسمع والطاعة، ويبيّنون حقوق الراعي والرعية، وما يجب لكل وما يجب عليه، ويحذرون من خطر القول على الله وعلى رسوله ﷺ بلا علم، والتحذير من أمور الشيطان التي يدخلها على أهل الدين؛ من المسارعة في التكفير والتهاجر والتقاطع، واتهام علماء

(١) "الدرر السنية" (ج ٧، ص ٢٧٧ - ٢٧٨).

المسلمين بالمداهنة، وإساءة الظن بهم، وعدم الأخذ عنهم، مما هو سبب للحرمان من العلم النافع، وإساءة الظن بولي الأمر، وعدم الطاعة له. وعلى العموم؛ فقد كانت للمشايخ فتاوى سديدة ومواقف حميدة تجاه كل حادثة وفي كل مناسبة، وما قصروا في بيان عقيدة السلف الصالح، واستقصاء ذلك يطول، وحصره يصعب، ومن أراد الاطلاع على شيء من ذلك، فنحيله على مجموعة "الدرر السننية" (ج ١٧ ص ٢٧٧ - ٣٤٥).

وهكذا كان أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية؛ يخدم الفتن، ويداوي الأمراض، ويجمع الأمة تحت راية واحدة، ويلم شعثها على إمام واحد، وينبذ الفرقة والخلاف، ولا يقر الشذوذ والاعتساف، ويميت الهوى والبدعة، ويدعو إلى الائتلاف وإقامة السنة، ولا غرو؛ فعقيدة الشيخ هي مذهب أهل السنة والجماعة وعقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

وما زال أثر عقيدة الشيخ يحمل العلماء والزعماء، وكلما مضى علماء وزعماء؛ ورثهم علماء وزعماء آخرون، حتى وصل إلينا عن طريق علمائنا وزعمائنا المعاصرين، وأذكر منهم بالثناء طبقة الشيخ محمد بن إبراهيم وتلاميذه، الذين كانت لهم حلقات علم في المساجد وغيرها.

وكذلك من تخرج من الكليات الشرعية في جامعات المملكة

وتلقى عقيدة السلف الصالح بالقبول والرضى والعمل.

وأخص بالذكر الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، والتي تحولت إلى جامعة باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتعددت فروعها في أنحاء المملكة، خصوصا معاهدها العلمية؛ فقد كان لها أثر طيب في نشر عقيدة السلف الصالح.

وأذكر بالثناء والولاء والعرفان الزعماء الذين عاصروا أولئك العلماء إلى يومنا هذا آل سعود ومن أزرهم في نشر الإسلام منذ الملك عبد العزيز رحمه الله.

كما ذكرنا جانبا من أثر عقيدة الشيخ السلفية على يديه ويدي من بعده إلى يومنا هذا، وأنه بعد أن توفي الملك عبد العزيز تولى بعده الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله، والذي تم على يديه فتح الجامعة الإسلامية، وكان في المناسبات يشكر الله على ما حبا به الشعب السعودي من نعمة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في السمع والطاعة ولزوم طريق أهل السنة والجماعة.

ويذكر أن أول ما يهم الجميع هو الاعتصام بحبل الله المتين، واتخاذ الوسائل التي تمكن روح التوحيد الخالص في قلوب أفراد الشعب كافة، حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده، والسير في ذلك بهدي الكتاب والسنة، في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في كل مجال، وعلى الأخص في المدارس، ومراقبة ذلك، وحث الناس على كل ما يأمر به الشرع الإسلامي، ومنعهم من كل ما ينهى

عنه؛ لأن في ذلك خير الدنيا والآخرة، ولأنه ليس شيء من الخير إلا أمر به الإسلام، وليس شيء من الشر إلا ينهى عنه الإسلام^(١).

ثم الملك فيصل بن عبد العزيز ذو الأفق الواسع والجهد الصادق في السير مع المسلمين والدول الإسلامية فيما يحقق للمسلمين جميعاً تضامنهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢) وما دام أن العالم الإسلامي يشكل كتلة واحدة تربط أجزاءه وشعوبه عقيدة واحدة؛ كما ورد ذلك في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٣) ويتعرض العالم الإسلامي كله لهجمات سياسية وفكرية من أعدائهم، فكل ذلك يحتم على المسلمين أن يتضامنوا، لا سيما في مقابل تضامن أعدائهم عليهم، من اليهود والصهيونية في كل أنحاء العالم، وأن جمع أكثر من ست مئة مليون مسلم على الشعور بالرابطة الإسلامية وتوحيدهم بذلك كفيل بالوقوف دون أعدائهم أن يستبيحوا بيضتهم، وأن يتسلطوا عليهم ويحتلوا ديارهم، كفلسطين وغيرها.

ولهذا؛ تبنى الملك فيصل رحمه الله الدعوة إلى مؤتمر القمة الإسلامي بالرباط سنة ١٣٨٩ هـ، ثم تلتها مؤتمرات إسلامية أخرى.

ومن خطاب له ألقاه في موسم الحج للدعوة إلى تضامن

(١) انظر: "تاريخ الدولة السعودية عهد سعود بن عبد العزيز" تأليف أمين سعيد، (المجلد

الثالث، ص ١٧ - ١٨).

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣.

(٣) سورة الأنبياء آية : ٩٢.

المسلمين:

"إخواني... إننا اليوم في هذا العصر الذي يتعرض فيه الإسلام إلى امتحان واختبار، نتجه بأفئدتنا إلى العلي القدير، ضارعين أن يثبتنا جميعاً، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن ينير لنا طريقنا القويم.

أيها الإخوة... إن الإسلام هو دين المحبة، دين الأخوة، دين السلام، دين القوة، دين العلم، دين البناء، دين التقدم، دين الفضيلة... لم يبق فضيلة ولا مكرمة إلا دعا إليها، ولم يبق رذيلة إلا حذر منها؛ فحينما نقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى اتباع ما جاء به في كتابه وسنة نبيه؛ فإنما تؤدون واجبا مفروضاً عليكم تجاه ربكم وتجاه دينكم وتجاه أنفسكم، وإن واجب المسلمين أن يتكاتفوا، وأن يثبتوا لما يصيبهم من مكاره، وما يعترض سبيلهم من صعاب، وعليهم أن يسعوا إلى ما يؤلف قلوبهم، ويقرب بينهم، ويبذر بذور المحبة والأخوة والتعاون فيما يصلح دينهم ودنياهم"^(١).

وقال رحمه الله في خطبته التي ألقاها في موسم الحج عام ١٣٨٨ هـ،

وهو يتحدث عن تحرير المسجد الأقصى:

أيها الإخوة المسلمون! نريدها غضبة ونهضة إسلامية، لا تدخلها قومية ولا عنصرية ولا حزبية، إنما دعوة إسلامية، دعوة إلى الجهاد في سبيل الله، في سبيل ديننا وعقيدتنا، دفاعاً عن مقدساتنا

(١) "تاريخ المملكة العربية السعودية" للصف الثالث المتوسط (الطبعة الأولى عام ١٣٩٤ هـ، ص

وحرماننا، وأرجو الله سبحانه وتعالى أنه إذا كتب لي الموت أن يكتب لي الموت شهيدا في سبيل الله" انتهى.

ونرجوا أن يكون قد نال الشهادة التي تمناها^(١).

ومن كلمة له ارتجلها في الحفل الذي أقامته الجامعة الإسلامية بمناسبة زيارته لها؛ قال:

ليس غريبا أن أرى وأسمع وأمس في هذه الجامعة ما يثلج الصدور ويهيج الخاطر من انطلاقة إسلامية كبرى، أرجو لها النجاح، وأرجو أن تؤتي ثمارها في أقطار العالم الإسلامي، لخدمة هذه الدعوة المباركة، والنهوض بها، والسعي إلى نشرها بين أبناء الملة الإسلامية، والدعوة إليها بين أبناء الملل الأخرى، وإني لأرجو لها نجاحا باهرا ما دامت تركز على مثل هذه السواعد ومثل هذه الروح الوثابة المنطلقة بحول الله لنشر هذا الدين والدعوة إليه والجهاد في سبيله.

أيها الإخوة!

إن المسؤولية الملقاة على عواتقكم وعواتق الجميع مسئولية كبرى؛ فاسعوا إلى التفقه في دينكم ومعرفة كل ما يمكن معرفته؛ لتكونوا مسلحين بسلاح العلم وسلاح الفقه وبسلاح المعرفة، حتى تكونوا مستعدين لما يجابهكم من صعاب ومن دعوات مضللة ومن مجهودات يرغب ويأمل أصحابها أن يأخذوا من هذا الدين، وأن يحطوا من قدره، وأن يهاجموه بكل ما أوتوا من قوة، وإني لأرجو الله مخلصا

(١) "عالم جهيد وملك فذ" بقلم عبد المحسن العباد (ص ٢٦ - ٢٧).

أن يهيكلم الصبر والشجاعة والقوة لتكافحوا في سبيل هذا الدين، ولتبصروا الناس بما يحتويه هذا الدين، وما تحتويه هذه الدعوة والشريعة من مزايا ومن مكارم ومن أسس، هي أصلح ما يكون للبناء الذي يهدف إلى صالح البشر وإلى خير الأمة، ولا يهدف إلى التزوير وإلى البدع والمضلالات، وإلى هدم الكيانات البشرية، وإلى هدم الأخلاق وكل ما هو كريم في بني الإنسان.

أيها الإخوة!

إن أمامكم طريقا شاقا وطريقا طويلا وصعبا جمة، وأرجو أن تتسلحوا لها بالعلم والعرفان والنفس المطمئنة الصابرة الحكيمة في الدعوة إلى الله، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ^ط وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ^ع﴾^(١) وجادل الكفرة، وجادل المشركين، وجادل المرتدين والملحدين والمعاندين؛ حتى تلقمهم الحججة وتتغلب عليهم بالحكمة والعقل والصبر؛ فهذا هو السبيل إلى الدعوة، وهذا هو السبيل إلى تنوير أذهان الناس وتبصيرهم فيما تحتويه هذه الدعوة وما يحتويه الشرع الإسلامي والدين الإسلامي من مزايا وخصائص لا يمكن أن تخطر على قلب بشر ولا يمكن أن ينكرها أو يجحدها إلا جاحد أو مكذب".

إلى أن قال: "إن ما نقوم به في سبيل نشر العلم والدعوة إلى الله ونشر الثقافة الإسلامية ما هو إلا قليل مما يجب علينا، ولكننا نسير حسب الإمكانيات، وحسبما يتحمله أو يقتدر عليه مجهود البشر، ولكن ثقوا بحول الله أننا سائرون بكل ما أوتينا من قوة لنصر ديننا

(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .

ولخدمة الإسلام وللدفاع عنه ولتبصير الناس به، فمن أراد الحق ومن أراد الخير؛ فسبيله واضح، ومن أراد غير ذلك؛ استعنا عليه بالله سبحانه وتعالى، ثم بقوة العقيدة والإصرار على التمسك بها، فإن أخشى ما يخشى على المسلمين هو إدخال الشك في نفوسهم من عقيدتهم ومن دينهم، وهذا ما يخشى على المسلمين منه، وإنني أرجو الله مخلصاً أن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه، وأن يحفظنا بالإسلام، وأن يوفقنا لسبيل الحق والصواب"^(١).

ومن كلمات الملك فيصل رحمه الله: "إن غيرنا من الحكام مقلدون وليسوا مبتكرين، ونحن لسنا في حاجة إلى استيراد تقاليدنا من الخارج، وقد كان لنا تاريخ مجيد، وقدنا العالم، ونحن لنا أجداد وأجداد وأجداد وتراث؛ فلماذا نتصل من هذا ونلتفت يمينا وشمالا نتلمس الطريق ونتلمس المبادئ، تراثنا أشرف تراث، وتاريخنا أشرف تاريخ، وأمتنا خير أمة أخرجت للناس، ونحن لا نقبل أبدا أن يقال عن ديننا وعن شريعتنا: إنه دين التأخر والجمود، نحن نريد لأمتنا أن تكون قائمة لا مقودة، وأن تكون في المقدمة لا في المؤخرة، وبإمكاننا أن نتقدم ونمسك الأمر إذا اتبعنا كتاب الله وسنة نبيه"^(٢).

ومن ضمن ما تدعو إليه مفاوضات الملك فيصل مع رؤساء الدول الإسلامية هو التمسك برسالة الإسلام الخالدة نصا وروحا.

(١) "عالم جهيد وملك فذ" بقلم عبد المحسن العباد (ص ٣٢ - ٣٨).

(٢) "تاريخ المملكة العربية السعودية" للصف الثالث المتوسط (الطبعة الأولى عام ١٣٩٤هـ، ص

وقام الملك فيصل برحلات إلى الأقطار الإفريقية والآسيوية وبعض الدول الأوربية لشرح وجهة نظر المملكة من منطلق إسلامي تجاه الخطر الصهيوني على العرب والمسلمين.

وكان فيصل رحمه الله قد تربى في بيت جده لأمه العلامة الحبر الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، والذي تقدم ذكر شيء عنه، وتعهده جده منذ نعومة أظفاره بتلقيه أصول الدين الحنيف ومبادئ العلوم، وحفظ في رحاب أبيه الملك عبد العزيز كثيرا من تجاربه، وقال: "إن والدي هو مدرستي الحقيقية"^(١).

ثم الملك خالد، وكان رحمه الله رجلا فاضلا متواضعا، ذا سجايا حسنة وأخلاق فاضلة، وزامل كبار تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم في الدراسة؛ كالشيخ عبد الله بن حميد، وقد حدثني بذلك الشيخ ابن حميد رحمه الله. وكان مما أعلنه الملك خالد في أول جلسة لمجلس الوزراء بعد توليه الملك شعوره بعظم المسؤولية ومشقتها التي تحملها هو وأعضاء حكومته، وبين أن الواجب هو الاستعانة بالله وحده، والحرص على بذل الجهود، والاهتمام بكل ما من شأنه إسعاد هذه الأمة وحفظ دينها وإصلاح دنياها، وبين أن البلاد السعودية ليست مثل بلاد العالم من الناحية الإسلامية؛ لأن كل المسلمين يتطلعون إليها، وأن أهل هذه

(١) انظر: "تاريخ المملكة العربية السعودية" للصف الثالث المتوسط وفق المنهج الجديد (الطبعة الأولى عام ١٣٩٤هـ، ص ٢٢١ - ٢٩١).

البلاد مغبوطون بشريعة الله وسنة رسوله كما هم مغبوطون بشروتهم المادية. وقد عاضده ولي عهده فهد بن عبد العزيز وإخوانه في تحمل هذه المسئولية، وفي عهده عقد مؤتمر القمة الإسلامي في مكة والطائف، وعن ذلك المؤتمر صدر بلاغ مكة للعالم الإسلامي. ثم الملك فهد بن عبد العزيز أيده الله وأعز به الإسلام، وهو الرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية، وكان في كل مناسبة يحث على التمسك بالعقيدة الإسلامية، ويؤكد أن قوتنا مستمدة من العقيدة الإسلامية وتنفيذ العقيدة الإسلامية حرفياً، ونفتخر بذلك.

ويقول: "هذه الجامعة عندما أسست؛ قصد بها شيء معين في الواقع، هو المساهمة في بث روح العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من الشوائب". ويقول عن نشاط الجامعة في الخارج: "نؤكد أن الأساس هو: كيف يمكن أن تعطي المملكة مجالاً بواسطة الجامعة الإسلامية، وأن تبرز العقيدة الإسلامية في إطارها الصحيح الخالي من الشوائب، وأظن الإخوان يدركون تماماً أنه فاتت مئات السنين، وأدخلت على العقيدة الإسلامية أمور كثيرة، والعقيدة الإسلامية براء منها، وقد أدخل هذه الأمور من أراد أن يبرز العقيدة الإسلامية بأنها عقيدة غير صالحة وغير مفيدة، وأن دورها انتهى، والواقع أن دور العقيدة الإسلامية يتجدد دائماً... كذلك أبانت الطريق وأنارته لما فيه خير المجتمع، سواء

كان من ناحية العبادات، أو من ناحية التشريع، وبهذا يكون البشر سعيدا إذا التزم بمبادئ العقيدة الإسلامية، هذا الباب طرق من مستشرقين غير مسلمين، وأبانوا بشكل أو بآخر التنظيمات والتشريعات التي أنزلها رب العزة والجلال على نبيه على أنها صالحة في هذا العصر وفي هذا الوقت؛ لأن العالم جرب مبادئ وعقائد مادية مختلفة، ووجد أنها غير كافية، ولا تستطيع أن تسعد البشر، ووجد في العقيدة الإسلامية الرأفة والرحمة والمحبة والقوة التي تبنى على الحق؛ فلذلك نأمل أن نوفق ونؤدي واجبنا في هذا الإطار".

إلى أن قال: "الآن -وهذا من فضل الله- أصبحت البلاد الإسلامية وغير الإسلامية حرة، تتمتع بالحرية التامة، وقادة المسلمين فيها هم المسئولون مسئولية مباشرة عن أن يجعلوا العقيدة الإسلامية هي الأساس في تكوينهم، سواء في العبادات أو في أمورهم الخاصة، والعقيدة الإسلامية - والحمد لله - صريحة واضحة المعالم، ومن سلك الطريق الإسلامي على الأسس الصحيحة؛ لا بد أن يصل إلى فضيلتين: فضيلة ما ينعم به الله عليه في هذه الدنيا، والرصيد الأكبر في الآخرة، ربنا أبان لنا الطريق... إنما الدنيا كلها زائلة، ولا يبقى إلا ما قدم الإنسان من عمل صالح".

ثم قال: "بقي شيء واحد، وهو أن أوجه كلمة قصيرة لطلبة الجامعة الإسلامية، هي أن يواصلوا هذا المجهود الحير، سواء في ذلك إخواننا الذين قدموا من جميع البلدان الإسلامية، أو من السعوديين الموجودين فيها، أن يستبصروا في العقيدة الإسلامية التبصر

الصحيح... العقيدة الإسلامية - والحمد لله - أبانت الأمور بشكل غير قابل للنقاش؛ إلا من أراد أن يوهم بأشياء أخرى... الدين الإسلامي وسط... لا رهينة في الإسلام... لأنه يمكن الكثير يعتقد في ناحية التصوف أو النواحي الأخرى التي هي بعيدة عن منطق الإسلام، هذا هو الإسلام، بالعكس الإسلام فيه من المرونة والمحبة والتقوى والعمل والجد والنشاط، لم تأمر العقيدة الإسلامية بالكسل أو التكاسل أو التصوف على غير معنى... لأن هذا البلد - والحمد لله - بلد إسلامي، وكل ما أرجوه أن يكونوا رسل البلاد الإسلامية، الذين شرفوا المملكة العربية السعودية، ورحبت بهم، أن يعودوا إلى أوطانهم دعاة للإسلام في الإطار الصحيح... كلنا نعرف ما أدخل على العقيدة الإسلامية، والسبب من المسلمين أنفسهم... ليس من العقيدة الإسلامية... العقيدة الإسلامية إلى أن تقوم الساعة وهي القمة؛ فلذلك أرجو أن ندرك معنى العقيدة الإسلامية، ولا نقع فيما وقع فيه الغير بواسطة من يريد أن يبعثنا عن مسار العقيدة الإسلامية الصحيح".

إلى أن قال: "وسوف نسير في الخط المستقيم إن شاء الله، ونجعله دائما الهدف الرئيسي... نتمسك بعقيدتنا الإسلامية، وربنا وعدنا بالحق: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(١)".

وكل هذه الكلمات قد سمعناها من الملك فهد خلال لقائه مع منسوبي

الجامعة الإسلامية وغيرهم بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء ١٦

(١) سورة محمد آية : ٧.

محرم ١٤٠٣ هـ^(١).

وعلى العموم؛ فولاة الأمر قد فهموا أن من واجبهم واللازم عليهم أن يكونوا حماة لمهد الإسلام ومكاسب عقيدة السلف الصالح، والتي تحققت على أيديهم، وأن يكونوا أمناء على خدمة الإسلام ونشره بالنفس والنفيس، وأن يكونوا قدوة في التمسك بعقيدة السلف الصالح والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية.

يقول حافظ وهبة في أثر التمسك بعقيدة السلف الصالح: "إن

العقيدة الراسخة عند النجديين -أمرائهم وعلمائهم- أن الله مكنهم في جزيرة العرب، وأن سلطانهم في تلك الجزيرة لإحياء معالم الشريعة وإظهار دين الله، وجعل سلطان التوحيد في الجزيرة هو السلطان الأول، وإزالة كل أثر من آثار الشرك".

ولقد قال الإمام سعود في خطبته بعد دخول مكة سنة ١٢١٨ هـ: "إنا كنا من أضعف العرب، ولما أراد الله ظهور هذا الدين، دعونا إليه، وكل يهزأ بنا ويقاتلنا".

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله في كل مناسبة يشير إلى هذا، ذاكرا

فضل الله عليه وعلى أجداده من قبل، وأن ما وقع على آل سعود

(١) انظر: الكتيب الذي أصدرته وزارة الإعلام، الإعلام الداخلي، بعنوان "الفهد في رحاب الجامعة الإسلامية" (ص ١٠، ١٦ - ١٧، ٢٣ - ٢٤، ٣١، ٣٩، ٤٠). وانظر: الكتاب الذي أصدرته العلاقات العامة بالجامعة الإسلامية في ٣٠ صفر ١٤٠٣ هـ عن لقاء الملك فهد بن عبد العزيز مع أبنائه طلاب الجامعة الإسلامية، وبلغت صفحاته (٢٣٩ص).

في أيامهم الأولى لم يكن إلا عقوبة لهم من الله تعالى؛ لتهاونهم في أمر المحافظة على الدين، والانصراف إلى أمور الدنيا.

ولذا؛ فإن المشايخ من وقت لآخر ما زالوا يقدمون النصيحة لإمامهم، ويوصونه بالمحافظة على الدين، والأخذ على أيدي المتهاونين به، إذا رأوا شيئاً من التراخي والتهاون من ذوي النفوذ والسلطان^(١).

وكما قال حافظ وهبة: "لا يزال العلماء وذوو الحجى في كل عهد يقدمون النصيحة، ولا يتوانون في لفت نظر ولي الأمر منهم إلى ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين، ويذكرونه بعاقبة التفريط، وأن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"^(٢).

وقد ثبت الله بهؤلاء جميعاً الأمة، ونفع بعلم العلماء منهم الناس، وقمع بهم بوادى الفتن، بسطان العلم وسلطان السيف؛ كما قال الشاعر في الملك عبد العزيز:

فجئت بالسيف والقرآن معتزماً تمضي بسيفك ما أمضاه قرآن

وأبلغ من ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣).

(١) "جزيرة العرب في القرن العشرين" تأليف حافظ وهبة (ص ٣٢٨).

(٢) "جزيرة العرب في القرن العشرين" تأليف حافظ وهبة (ص ٣٢٨).

(٣) سورة الحديد آية : ٢٥.

هذا، ومن يتأمل عهد آل سعود، وأثر عقيدة الشيخ السلفية فيه؛ يجده متكامل البناء، متصل الحلقات، وكم لهم من يد طولى في نشر كتب السلف الصالح، وطباعتها، وبذل الأموال الطائلة على التعليم، ونشر الإسلام في الآفاق، وهم بذلك أسبق أمم أهل الأرض في هذا الزمان قاطبة، وأسدهم منهجاً، وأسلمهم طريقاً؛ فمنذ عهد الملك عبد العزيز وكتب السلف تطبع وتنشر وتوزع مجاناً، هذه مجموعة "الرسائل والمسائل النجدية" و "الدرر السنية" و "مجموعة فتاوى ابن تيمية" وكتب ابن القيم وكتب الفقه والتفسير والحديث في ذلك بين أيدينا شاهدة بآثارهم، وغيرها وغيرها مما لا يحصيه إلا الله تعالى، وقد تمت طباعة ذلك ونشره في هذا العهد المبارك، مما كان له أعظم سبب في نشر عقيدة السلف الصالح، ولولا فضل الله تعالى بهذا العهد الميمون؛ ما وصل إلينا من ذلك عين ولا أثر، ونخص رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالذكر، لما لها من اختصاص بهذه الناحية وأعمال جليلة ظاهرة من نشر لكتب السلف ودعوة وإرشاد وإفتاء في عقيدة السلف الصالح رحمهم الله.

انتشار مؤلفات وآثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ويحسن هنا استعراض كيفية انتشار مؤلفات الشيخ محمد بن عبد

الوهاب بصفة خاصة؛ لما لها من أثر في نشر عقيدة السلف

الصالح، وإعادة الناس إليها؛ غير أنه تمشيا مع ما تقتضيه طبيعة الدراسة الجامعية، وهي الإفادة من جهود السابقين إذا كانت جهودا علمية صادقة، وعدم إهدارها أو إغفالها؛ لأن الدراسات العلمية متكاملة، وتهدف إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية؛ فسأكتفي في هذه النقطة بالإحالة على جهود سبقني قد أتى عليها وفرغ من بحثها صاحبه، ألا وهو: دليل بيلوجرافي أصدره الدكتور أحمد الضبيب، وهو عميد شئون المكتبات بجامعة الرياض، في كتاب عنوانه: "آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب: سجل بيلوجرافي لما نشر من مؤلفاته"^(١).

ومقصود مؤلفه أن يجد الباحث بغيته ميسرة، توخى فيه مؤلفه أن يكون كتابا جامعا للمتفرق من أعمال الشيخ، وجميع ما سطره مما وصل إلى علمه مطبوعا؛ يدل على مظاهرها، وتواريخ طبعتها، وأماكن نشرها، وعدد هذه الطبعات، وصورها المختلفة، وجعلها في ثلاثة أبواب: خصص أولها وأضحّمها لما كتبه الشيخ في العقيدة، ذلك أن معظم ما كتبه الشيخ يتعلق بالعقيدة، والثاني لما كتبه الشيخ في الفقه، والثالث لما كتبه الشيخ في التفسير والحديث والسيرة النبوية.

وقسم الباب الأول إلى فصول ثلاثة:

١ - الكتب والرسائل والنبد، ويشتمل على ما كتبه مستقلا في شكل

كتاب، أو عاجله في رسائل قصيرة أو مطولة، أو سطره في هيئة

(١) طبع طبعة أولى في الرياض بالمطابع الأهلية للأوفست في (١٩٩٠ ص عام ١٣٩٧هـ).

نبد قصيرة تتعلق بموضوعات معينة، وقد طبع بعض ذلك مستقلا، وطبع بعضه ضمن مجموعات الدعوة السلفية.

٢- المسائل والأجوبة، وأكثر هذه ردود على أسئلة موجهة للشيخ حول موضوعات معينة في العقيدة، أجاب عنها إجابات تختلف طولاً وقصراً.

٣- المكاتبات، وتشمل رسائله الخاصة التي بعثها إلى أشخاص بأعيانهم، أو منشوراته العامة التي يوجهها إلى أهالي القرى والمدن ومن يراها من المسلمين.

والباب الثاني لما كتبه الشيخ في الفقه، وضمنه فصلين:

الأول: الكتب والرسائل والنبد.

الثاني: الفتاوى والأجوبة الفقهية.

والباب الثالث لما كتبه الشيخ في تفسير القرآن الكريم، والتعليق على بعض آياته، وما ألفه في الحديث والسيرة النبوية، واشتمل هذا الباب على فصلين:

الأول: ما كتبه في تفسير القرآن الكريم، والتعليق على بعض آياته، واستمداد بعض المسائل من هذه الآيات.

والثاني: ما كتبه في الحديث والسيرة النبوية، وتعليقات الشيخ على بعض الأحاديث.

إلا أن الباحث في عقيدة الشيخ السلفية لا يستغني بهذا القسم

الذي سماه الدكتور قسم العقيدة عن ما كتبه الشيخ رحمه الله في التفسير والحديث والسيرة وفروع الدين مما له صلة وثيقة بالعقيدة؛ فإن الشيخ رحمه الله بين الوحدة الموضوعية الجامعة لهذا الدين برسالته العظيمة "الأصول الثلاثة": الرب المعبود والعبادة، ودين الإسلام بمراتبه الثلاث وأدلته من الكتاب والسنة، والرسول بخصائصه وحقوقه ﷺ.

ولذا؛ لا بد من الإمام بجميع ما أثر عن الشيخ بقدر الطاقة.

وقد ألحق الدكتور الضبيب بكتابه فصلا مستقلا يشتمل على بعض ما كتب من شروح على بعض مؤلفات الشيخ، وضم إلى ذلك قائمة ببعض الكتب التي تناولت شخصية الشيخ بالترجمة.

وهذا السجل لا يستوفي جميع ما سطره المجدد ونشر من بعده، وللمؤلف عذره في هذا، لكن فاته مما توخى أشياء:

فإنه مثلا أغفل ذكر "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (الأجزاء ١، ٢، ٣)، وفي الأول منها آثار للشيخ ورسائل، بينما نجده ذكر الجزء الرابع من هذه المجموعة، وذكر جميع أجزاء "الدرر السنية"، حتى جزئي (٩، ١١) رغم خلوهما من ما سطره الشيخ.

ولم يذكر نبذة كتبها الشيخ، وهي موجودة في الجزء الثاني من "الدرر السنية" في (ص ١٢).

كما لم يذكر وجود النبذة التي أولها: "الواجب عليك أن تعرف إرسال الرسل" في "الدرر السنية" (ج ١، ص ٩٥).

ولم يحقق نسبة بعض ما نسب للشيخ من مؤلفات وآثار؛ كما وقع له في كتاب "نصيحة المسلمين بأحاديث سيد المرسلين" ونسبه للشيخ^(١) وهو ليس له، كما حققناه في الكلام على مؤلفاته في المدخل.

وانظر: (المواد ٦٩ - ١٧٤ ص ٣٢ - ٣٣)، و (مادة ٨٨٩ - ١٨٩١ ص ١٥٣ - ١٥٤) من كتابه المذكور.

وجعل لرسالة "قواعد الدين الأربع" عنوانين، للمطولة عنوان، وللمختصرة عنوان آخر، وموضعهما واحد، إلا أن الأولى مطولة، والثانية مختصرة.

ووقع خطأ في ترقيم الصفحات المحال عليها في (المادة ٤٢٩ ص ٨٧). وقد التزم أن يذكر طرفاً من أول كل مادة^(٢) في كتابه، ولم يذكر أول (المادة رقم ٣٤ - ٣٥ ص ٢٧).

وكرر مادة واحدة من غير فائدة؛ فانظر: (مادة ٢٩٧) هي (مادة ٣١١)، و (مادة ٢٩٨) هي (مادة ٣١٢).

وخلط في الإحالة على الصفحات مادة مع مادة في (المادة رقم ٢١٣ ص ٥٢) كلمة: "لا إله إلا الله..."، دمج معها رسالة أخرى، أولها: "اعلم أرشدك الله..."، وكان قد ذكرها تحت (المادة

(١) المقدمة (ص ٩).

(٢) المقدمة (ص ٩).

- ٣٦٦ - ٢١١ \ ص ٥١) بعنوان: كلمة التوحيد، ولم يذكر وجودها في "الدرر السنية" (ج ٢ \ ص ٦٢ - ٦٥).
وحصل خطأ في كتابه تعليق على (مادة ٤٢٢)، وهو إنما يصلح ل (مادة ٤١٦).

وعلى الرغم من ذلك؛ فهو أول دليل يسجل معظم أعمال الشيخ محمد بن عبد الوهاب من مؤلفات وآثار حسب قواعد علم البليوجرافيا الحديثة، وهو نافع في ذلك؛ ففيه مادة لا يستغني عنها باحث جاد في آثار الشيخ، وقد استفدت منه، ونسأل الله أن يجزيه خيرا، والله الحمد والمنة.
سأكتفي بهذه الإحالة فيما يختص بهذه النقطة تفاديا للتكرار والإطالة بذلك، غير أنني أذكر ما جد في هذا الموضوع، وهو ما قامت به جامعة الإمام محمد بن سعود، فقد طبعت جل مؤلفات الشيخ محققة ومقابلة على مخطوطات، وطبعت مؤلفات للشيخ لأول مرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند ذكر مؤلفات الشيخ في المدخل، ثم قامت بتوزيع هذه المؤلفات على كثير من الباحثين في البلدان الإسلامية، ووفرت لديهم ذلك، وهذا له قيمته الواضحة في تأثير عقيدة الشيخ أثرا صحيحا مباشرا من آثار الشيخ الصحيحة الموثوقة، وفي تعريف طلاب العلم على حقيقة عقيدته، والبحث الموضوعي العلمي في ذلك، وعلى أثر ذلك استكثبت الجامعة عددا كثيرا من العلماء والباحثين عن دعوة الشيخ وعقيدته، ثم وصلتها بحوث في ذلك قامت بطبعها أيضا، ولكن على الآلة الكاتبة، وبلغت ما يقرب من ستة

مجلدات، ثم وزعتها على مجموعة كبيرة من طلبة العلم والكتاب والعلماء والمتقنين، ومن ضمن ذلك مصورات جغرافية تبين أماكن انتشار أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإسلامي، بلغت أربعاً وعشرين لوحة، يمكن من أراد ذلك مراجعتها، وهذا عمل يبين مدى أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وما من شك أن هذا الاعتناء والنشر لمؤلفات الشيخ وآثاره يوضح جانباً من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وما كان ليتم بهذا الشكل الجيد ولا يكون لعقيدة الشيخ هذا الأثر لولا ما أنعم الله به على أهل المملكة العربية السعودية رعاة ورعية، وعلى الخصوص ورثة الشيخ في علمه وورثة أنصار الشيخ في قوتهم وسلطانهم.

هذا ومن أعظم ما قامت به حكومة المملكة العربية السعودية تجاه العالم الإسلامي لتعليم العلم النافع والدعوة إلى الخير هو إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ١٣٨١ هـ^(١) وهي مؤسسة علمية ذات فائدة ومنفعة كبيرة في الدين والدنيا، عامة وخاصة، فهي منذ تأسيسها تؤتي ثمارها، ويتخرج منها أفواج من أبنائها، ينتشرون في أنحاء المعمورة، محققين بذلك بحول الله وقوته ما تهدف إليه الحكومة من تأسيسها، فترجوا الله سبحانه أن يفتح بها آذاناً صما عن استماع الحق، وقلوباً غلغلا قد استحکم عليها غلافها حتى صارت بعيدة عن الحق، وأعيننا عمياً عن النظر في الأدلة والبراهين التي نصبها

(١) الشيخ عبد المحسن العباد "عالم جهيد. وملك فذ" (ص ٥).

الله لتدل على وجوده وأنه المستحق للعبادة دون ما سواه.

وكذلك إنشاء رابطة العالم الإسلامي للقيام بمهمة الدعوة لدين الله الحق، والعمل في سبيل الله، والدفاع عن الإسلام، وحث المسلمين على احترام الأخوة الإسلامية، والدعوة إلى التضامن الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة.

وإن ما ينعم فيه أهل البلاد السعودية من نعمة لا مثيل لها في العالم كله في هذا الزمان من أمن في الأوطان وصحة في الأبدان واتحاد تحت راية التوحيد؛ تحت ولاية آل سعود؛ ما هذا إلا من أثر تلك العقيدة السلفية.

وإننا والله الحمد - كما يشهد الواقع - نمتاز في هذه المملكة عن جميع من حولنا ومن في أقطار المعمورة كلها بهذه الميزة، وكلما كنا متمسكين بعقيدة السلف الصالح؛ كلما كانت آثارها من الأمن والهداية أرسخ وأقوى، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (١).

ومن يخالجه شك؛ فليستقرئ الواقع في العالم الإسلامي، بل وفي غيره، وسيجده شاهداً بذلك، وهذا شأن عقيدة السلف الصالح؛ لأنها قطب رحي المسلمين، ويوم يحققونها؛ تكون لهم الإمامة والتمكين، وعد الله لا يخلف الميعاد؛ قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

(١) سورة الأنعام آية : ٨٢.

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَحَلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٠﴾^(١).

ونزل الوحي في الجزيرة العربية، ومن الجزيرة أضاء، والمسلمون جميعا يستقبلون البيت الحرام، ويأتمون بأهل الحرم وحماته وولاته؛ فهم في وحدة مدارها على عقيدة السلف الصالح، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكذلك تنتصر عقيدة السلف الصالح، والله الحمد.

وعلى كل حال؛ فالكلام عن أثر عقيدة السلف الصالح في داخل سلطاتها مهما بلغ من استيعاب ودقة لا يفي بوصف الواقع، كما أن وصف الواقع يعجز عنه جهد الباحث، ويخرج بنا عن حدود ما رسم لهذا البحث من حجم وجهه ووقت، ولكن؛ حسبنا أن نبين صلة هذا الأثر الحاضر بالماضي؛ ليعلم مشاهد هذا البناء الضخم المتناسك في وحدة المملكة العربية السعودية أن سنده وأساسه وأصله هو عقيدة السلف الصالح التي اعتقدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودعا إليها ونصرها الإمام محمد بن سعود رحمه الله تعالى، فأظهرها الله بذلك على ما سواها، وتوارثها بعدهم بنوهم إلى يومنا هذا، ونسأل الله بأنه الأحد الصمد الذي لا إله إلا هو أن يثبتهم على عقيدة السلف

(١) سورة النور آية : ٥٥.

الصالح، وأن يوفقهم لنشرها والقيام بحقوقها، وهو المجيب القريب الجواد الكريم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه. ولعل فيما قدمته من نقول وبيان كفاية في الدلالة على أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في داخل المملكة العربية السعودية، وحيث عرفنا أثر تلك العقيدة السلفية في بناء ذلك السلطان القوي، والذي هو أصل أثرها في خارج سلطانتها، ننتقل إلى تعرف تأثيرها في الخارج، وهو ما يشتمل عليه الفصل التالي.

الفصل الخامس أثرها في خارج سلطاتها

● تمهيد:

من الثابت في الحقيقة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يأت الناس بعقيدة جديدة، بل هو عالم عامل بين عقيدة السلف الصالح وعمل على تطبيقها ووفق بأنصار أحرار ينصرون عقيدة السلف الصالح عن وعي وإدراك؛ كما قال الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله بعد أن ذكر الإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ قال:

"فلما رأى أسلافنا (يعني: آل سعود) موافقة أقوالهم وأفعالهم (يعني: هؤلاء الأئمة) لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ قبلوا ذلك، وقاموا بما أظهره الله على أيديهم، ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجوا الله أن يحيينا ويميتنا عليه"^(١).

والدليل على ذلك أننا نسمع دائما لمر المتمسك بالسنة والمجانِب للبدعة صوفية أو كلامية أو غيرها ليعمل بالسنة؛ فهو وهابي،

(١) "نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز... أمين الريجاني (ص ٤٣٦).

وطريقته وهابية، ولو لم يكن قد أخذ عن الشيخ، أو لقيه، أو عاصره، أو أخذ عمن أخذ عنه، أو درس حتى كتبه.

وهؤلاء الذين يحاولون لمز من يعمل على نشر سنة رسول الله ﷺ بالوهابية - على حد قولهم - إنما يريدون محاربة انتشار السنة والطريقة التي كان عليها السلف الصالح بذلك، فيلمزون كل من عمل بالسنة وجانب البدعة؛ أنه ينشر الوهابية، ويقصد توسيع نفوذ سلطانتها، ومد رقعته، فيحاربونه بهذه الفرية، ويصمون به بأنه عميل يعيش على أموال السعوديين لينشر ما يسمونه بالوهابية، وبأمثال هذه التشنيعات يحاربون سنة رسول الله ﷺ وطريقة السلف الصالح، ومعلوم أن أصل مذهب السلف الصالح هو اتباع سنة رسول الله وسنة خلفائه الراشدين وسبيل المؤمنين، ولم ينفرد به الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحده، ولم ينحصر في دعوته واعتقاده، بل حمله عدول عن عدول في كل زمان، وفي أمكنة متباعدة، ليس في زمان عن زمان، ولا مكان عن مكان.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله صار إماما كغيره من أئمة السنة، وشرف ونبل بذلك، وكذلك أتباعه وأنصاره شرفوا باتباعهم مذهب السلف الصالح، واتخاذ طريقهم في الوسيلة والغاية.

لذلك؛ فإنني في هذا البحث لا أزعم أن كل أثر من آثار عقيدة السلف الصالح هو من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، إلا إذا وجد ما يدل على ذلك؛ لأن السلفية - كما ذكرنا - ليست محصورة إلا من طريق الشيخ؛ فأتباع السلف الصالح لا يزالون في كل زمان ومكان يقومون لله بحجته على خلقه قياما يفيد العلم

اليقيني إلى قيام الساعة، والله الحمد والمنة.

كما أنني لا أزعّم أيضاً أن الدعوات الإصلاحية أو الحركات السياسية في العالم الإسلامي قد تأثرت بدعوة الشيخ وحركته وحركة أنصاره من أجلها ما لم أجد دليلاً يفيد ذلك، سيما وأن أكثر هذه الحركات والدعوات مشوبة بما يخالف عقيدة الشيخ السلفية؛ إما في الوسيلة أو في الغاية، وإن كان ينتسب هؤلاء الدعاة المصلحون والمتحركون السياسيون إلى الإسلام والسنة، فليس اجتماع حركة الشيخ وأنصاره مع غيرها من الحركات في قدر مشترك في الذهن يسوغ لنا أن نحكم بأن تلك الحركات متأثرة بحركة الشيخ؛ لأن الشيخ وأنصاره إنما قاموا بنصرة دين الله، ليس لهم غرض سوى ذلك، لا يتبعون زعامة ولا دنيا، إلا أنهم يريدون رضوان الله وما وعدهم الله به، فإن جاءهم فضل من الله لا منة لأحد فيه أو مكسب لا يمس عقيدتهم وليس على حساب تنازل منهم عن شيء من عقيدة السلف الصالح؛ فهم يقبلونه شاكرين، وليس من عقيدتهم تصدير الحركات السياسية والثورات والاعتقالات في بلدان العالم، ولا من شأنهم التفريق وتشتيت الشمل والتحزبات والشيع، بل إنهم -على العكس من ذلك- دعاة تأليف واجتماع واتحاد على الحق، دعاة إلى الله على طريق رسول الله ﷺ ويسرهم أن يجيب المدعوون داعي الله، وأن يقبلوا هدي رسول الله ﷺ لينجي هؤلاء المدعوون أنفسهم من الهلاك، ويهتدوا إلى الصراط المستقيم، إلى سعادة من أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: "نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم في أي زمان ومكان"، ولا يقول: إن من تبع دين الله ورسوله ﷺ ما يكفيه حتى يجيء عندنا ويوالينا. ولا يقول: إن الذي ما يدخل تحت طاعتي؛ فهو كافر. ولا يقول: إنه مبطل مذاهب أهل السنة والجماعة، وإنه ليس لهم كتب إلا ما بيده، وليس لهم علماء إلا من شهد له بالعلم... لا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا ولا غيره مما وصفه به أعداء الحق، وليس من عقيدته ذلك، بل مراده اتباع دين الله ورسوله ﷺ وإظهاره في أي أرض وطائفة كانت^(١) ومن أي جهة".

وقد سئل أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى: من لم تشمله دائرة إمامتكم، ويتسم بسمة دولتكم؛ هل داره دار كفر وحرب على العموم؟ فأجابوا: الذي نعتقده وندين الله به أن من دان بالإسلام، وأطاع ربه فيما أمر، وانتهى عما نهى عنه وزجر، فهو المسلم، حرام المال والدم؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولم نكفر أحدا دان بدين الإسلام لكونه لم يدخل في دائرتنا ولم يتسم بسمة دولتنا، بل لا نكفر إلا من كفر الله ورسوله، ومن زعم أننا نكفر الناس بالعموم، أو نوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ببلده؛ فقد كذب وافتري^(٢).

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٠، ص ٦٠، ورقم ٩، ص

٥٨، ورقم ١، ص ١٢، ورقم ١١، ص ٦٤).

(٢) "الدرر السننية" (ج ٧، ص ٣٥٥).

وإذا كانت عقيدة الشيخ السلفية هكذا، إنما هي تمسك بالكتاب والسنة، ودعوة إلى الله وحده بهذا التمسك الراشد؛ فكذلك هي ليست مصدر تزمت وترك للدنيا ورفض للمصالح فيها، وإنما هي عقيدة الصلاح والأصلح في الدنيا والآخرة، كيف لا وهي مبنية على أن صريح العقل يوافق صحيح النقل؟!

وعلى ضوء هذا التمهيد وضوء ما قدمت في الفصل الأول من الباب الثاني عن أسباب تأثير عقيدة الشيخ السلفية سأبحث عن أثر عقيدة الشيخ السلفية في خارج سلطاتها سفي هذا الفصل؛ فأقول:

إنه ما من شك أن تطهير البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود، وتطهير الحرمين عموماً من عبادة القبور وأنواع البدع والفجور، والضرب على أيدي العابثين، وتأمين الطرق إليهما من القطار والسراق، مع تعظيم حرمتهما، وخدمة حجاج بيت الله، والعمل على تيسير أدائهم فريضة الحج التي هي الركن الخامس من أركان الإسلام بكل وسائل الأمن والراحة والمعيشة أيضاً، هو أثر من آثار عقيدة السلف الصالح رحمهم الله؛ فهذا شأنهم في ولاية البيت؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءُؤَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾^(١).

وبالتالي؛ فله من الأثر العظيم في انتشار عقيدة الشيخ السلفية في العالم الإسلامي ما لا يستطيع أحد جحده وإنكاره، وكل يدرك بالبداهة أثر ولاية أنصار العقيدة السلفية الطيب المشكور، غير أن تتبع

(١) سورة الأنفال آية : ٣٤.

ذلك الأثر ليس في وسع الباحث، وحسبنا بهذا إشارة إليه.
ونشير إلى سبب آخر، وهو الرسائل التي كان يرسلها أئمة وعلماء
عقيدة السلف الصالح من ورثة الشيخ وورثة أنصاره إلى عموم المسلمين في
الخارج؛ فلها أثر بالغ أيضا.

فمنذ ظهور الشيخ محمد رحمه الله، وتلك الرسائل تتوالى:
فقد أرسل الشيخ نفسه إلى السويدي عالم من أهل العراق يجيبه على
كتاب ورد إلى الشيخ منه، فبين الشيخ في جوابه أنه متبع وليس بمبتدع، وأن
عقيدته ودينه الذي يدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه
أئمة المسلمين؛ مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة^(١).
ورسالة إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام بناء على ما ذكر راشد
بن عريان للشيخ من كلام حسن عن فاضل، وأنه طالب منه المكاتبة بسبب
ما يجيئه من الكلام، فذكر له الشيخ صفة الأمر، وأنه الدعوة إلى
الإسلام^(٢).

ورسلته إلى البكيلي صاحب اليمن^(٣) وإلى إسماعيل الجراعي^(٤) وإلى
عبد الله بن عبد الله الصنعاني^(٥) ورسالته أهل

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥، ص ٣٦ - ٣٨).

(٢) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٤، ص ٣٢ - ٣٣).

(٣) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ١٤، ص ٩٤ - ٩٨).

(٤) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية) (رقم ١٥، ص ١٠٠ - ١٠١).

(٥) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية) (رقم ١٦، ص ١٠٣ - ١٠٧).

المغرب^(١)...

وغير هذه الرسائل من رسائل شخصية ورسائل عامة ومؤلفات شاملة تبعث في كل اتجاه حسب القدرة والطاقة؛ كما فعل الإمام عبد العزيز بن محمد حين بعث "كتاب التوحيد" وغيره إلى والي بغداد^(٢).

كل ذلك لا شك أن له أثر في انتشار عقيدة السلف الصالح وتأثيرها في تلك المواطن خارج سلطاتها.

ومن بعد الشيخ محمد ما زالت الرسائل ترسل، فتلك الرسالة المهمة الجلييلة، رسالة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود التي أرسلها إلى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب؛ يبين فيها حكمة خلق الله الخلق، وأنها ليعبدوه، فأمرهم بها، وحذرهم مخالفته، وأن الجزاء واقع لا محالة، وأخذ يشرح ذلك، ويدلل عليه من الكتاب والسنة، وهي رسالة عظيمة التأثير^(٣).

والرسالة الأخرى التي أرسلها الإمام عبد العزيز بن محمد إلى من يراه من بلدان العجم والروم، وشرح فيها عقيدة السلف الصالح، بعثها مع محمد خلف النواب، الذي قدم الدرعية مع الحاج، وجلس مدة يتعلم العقيدة، فلما فقه، أرسل معه تلك الرسالة، وأحالم عليه

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الخامس، الشخصية) (رقم ١٧، ص ١١٠ - ١١٥).

(٢) انظر (٢ / ١٨٥) من هذا البحث.

(٣) "الدرر السننية" (ج ١، الطبعة الثانية، ص ١٤٣ - ١٤٦).

ليبين لهم.

ورسالته أيضا إلى من يراه من أهل المخلاف السليماني مع الشريف أحمد الذي قدم عليهم ورأى وحقق صحة ما هم عليه، التمس أن يرسل الإمام معه إلى قومه رسالة، فكتبها^(١) وسبق ذكر شيء من ذلك^(٢).

ورسالة الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي كتبها لما مكنهم الله مع الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد من ولاية الحرمين، وقد شرح فيها دعوة الشيخ محمد، وبين عقيدتهم، وأنها عقيدة السلف الصالح، وشرح مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع، ورد المفتريات عليهم بالقول والفعل، وكل يشهد مصداق ذلك، وما من شك أنها تقدم للحجاج والعمار والوافدين من خارج الدولة، فيكون لها تأثير بالغ عظيم، وسبق ذكرها^(٣).

ومن الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد إلى سليمان باشا جوابا على خطاب من سليمان مبني على خطاب سابق من الإمام سعود إلى يوسف باشا؛ يبين فيها الإمام أنهم متبعون ما أمر الله به رسوله وعباده المؤمنين، ويرد عليه افتراءاته وتلبيساته، ويبين له طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم بإحسان^(٤).

(١) "الدرر السننية" (ج ١، الطبعة الثانية، ص ١٤٦ - ١٤٨).

(٢) انظر: (٢ / ١٨٣) من هذا البحث.

(٣) انظر: (٢ / ٢١٨) من هذا البحث.

(٤) "الدرر السننية" (ج ١، ص ٣٠٥ - ٣١٨).

وللشيخ إسحاق ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن رسالة جلييلة في بيان معتقد الشيخ، وكان قد سافر الهند بطلب العلم على أهل الحديث وعلماء السنة هناك، وينشر الحق باستطاعته، ولعله كتبها لمواجهة بعض الإشاعات والترويجات على الشيخ في الهند وغيره، فنشرها بين طلبة العلم، وجاء فيها بعد الثناء على الله سبحانه وبحمده والصلاة والسلام على رسوله ﷺ

"أما بعد؛ فإنه ابتلي من استحوذ عليه الشيطان بعداوة شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومسبته وتحذير الناس عنه وعن مصنفاته لأجل ما قام بقلوبهم من الغلو في أهل القبور، وما نشأوا عليه من البدع التي ملأت الصدور، فأردت أن أذكر طرفا من أخباره وأحواله؛ ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره؛ فلا يروج عليه الباطل، ولا يغتر بجائده عن الحق مائل، مستنده ما ينقله أعداؤه الذين اشتهرت عداوتهم له في وقته، وبالغوا في مسبته".

إلى أن قال: "والذي يقضي به العجب قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم، وذلك أنهم لا يجدون زلة من المنتسبين إليه ولا عثرة إلا نسبوها إليه، وجعلوا عارها راجعا عليه، وهذا من تمام كرامته وعظم قدره وإمامته.

وقد عرف من جهالهم واشتهر من أعمالهم؛ أنه ما دعا إلى الله أحد، وأمر بمعروف، ونهى عن منكر، في أي قطر من الأقطار؛ إلا سموه وهابيا، وكتبوا في الرسائل إلى البلدان، بكل قول هائل يحتوي على الزور والبهتان، ومن أراد الإنصاف، وخشي مولاه وخاف؛ نظر

في مصنفات هذا الشيخ" اهـ.

ثم ذكر الشيخ بعض ما وقف عليه من كلامه، وما عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه، وما ثبت بخطه وعرف واشتهر من أمره ودعوته، وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته؛ أنه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى، ثم سرد عقيدة الشيخ رحمه الله حسب ما ذكر^(١).

وهذا سنلاحظ أثره الواضح في تلك الديار التي سافر إليها في الهند وغيرها، كما في "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" للشيخ محمد بشير السهواني الهندي وغيره فيما يأتي من بحث أثر عقيدة الشيخ السلفية في الهند.

ثم في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن كانت رسائل مثل رسالة محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن إلى من يراه من أهل القرى ورؤساء القبائل من أهل اليمن وعسير وتهامة وشهران وبني شهر وقحطان وغامد وزهران وكافة أهل الحجاز؛ يقول فيها:

"إنه لما كان في سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة، بعثنا الإمام المقدم، والرئيس المفضل المفخم، صاحب السعادة والسيادة، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، أعلى الله سعوده، وأدام للمسلمين وجوده؛ لأجل تعليمكم ما أوجه الله عليكم

(١) "الدرر السننية" (ج ١، ص ٢٥٦ - ٢٦٨).

وتعبدكم به من دين الإسلام، الذي معرفته والعمل به والبصيرة فيه سبب لدخول الجنة، والجهل به والإعراض عنه وعدم قبوله والانقياد له سبب لدخول النار، فلما قدمنا بعض جهاتكم؛ رأينا أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى، وتمادوا في الغي والطغيان والإعراض عن النور والهدى، ورفقوا أمرهم وكانوا شيعاء، وغلب عليهم الجهل وإيثار الشهوات، واستجابوا لداعي الشبهات، فوقعوا في وادي جهل خطير، فهم على شفا حفرة من السعير، وغلب على أكثرهم الاعتقاد في أهل القبور والأحجار والغيران، وتعظيم أهل الصلاح من المقبورين، وهذا هو دين أهل الجاهلية الأولين... " ثم أخذ يشرح عقيدة السلف الصالح ويدعو إليها بالحجج والبراهين^(١).

ورسالة أخرى من الشيخ محمد بن عبد اللطيف إلى من ذكرنا في الرسالة التي قبلها من أهل تلك الجهات، ومنها جهة اليمن، وفي هذه الرسالة يركز الشيخ محمد بن عبد اللطيف على أن عقيدتهم ودينهم هو دين الإسلام، وهو عقيدة أهل الحق؛ أهل السنة والجماعة، وهم السلف الصالح^(٢). وما من شك أن مثل تلك الجهود والرسائل كان لها أثر جيد في جهات اليمن مما خرج عن سلطان أنصارها على ما سنبيته قريبا في مبحث أثرها في اليمن.

ويضاف إلى ما تقدم من الأسباب تشجيع ولاية الأمور في

(١) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٢٨٣ - ٢٩٠).

(٢) "الدرر السنية" (ج ١، ص ٢٩٠ - ٢٩١).

المملكة للوافدين من أجل طلب العلم، وتوفير المنح الدراسية لهم من جميع أنحاء العالم الإسلامي، لا سيما في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أول عاصمة للخلافة الإسلامية.

ويشكل الطلاب الوافدون إليها من خارج المملكة من غير السعوديين من أبناء العالم الإسلامي في شتى أقطار المعمورة وينتمون إلى ٨٨ قطرا، يشكلون ٨٥% من طلاب الجامعة الإسلامية البالغ عددهم ٦٦٦٠ طالبا حسب إحصائيات شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠٣ هـ، وهؤلاء الطلاب الوافدون يتلقون العلم المستمد من الكتاب والسنة وفقا لما كان عليه سلف الأمة الإسلامية.

ولا ننسى ما تسهم به جامعة الإمام محمد بن سعود في هذا المجال، لا سيما بالفروع التي تم فتحها في خارج المملكة، وهي تابعة لها، كمعهد تعليم اللغة العربية بإندونيسيا، والمعهد العلمي برأس الخيمة، والمعهد العلمي في موريتانيا.

وكذلك رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في نشاطها خارج المملكة.

ومن ذلك مبعثوها في سائر أنحاء العالم للدعوة والإرشاد، وهذا له أثر حسن في نشر عقيدة السلف الصالح، وكل ذلك من أثر عقيدة الشيخ السلفية.

أثرها في اليمن

يذكر محمد رشيد رضا أن علماء السنة في اليمن قد بلغهم كل

ما قيل في الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فبحثوا وتثبتوا وتبينوا كما أمر الله تعالى، فظهر لهم أن الطاعنين فيه مفترون لا أمانة لهم، وأثنى عليه فحولهم في عصره وبعد عصره، وعدوه من الأئمة المصلحين المجددين للإسلام ومن فقهاء الحديث؛ كما نراه في كتبهم^(١).

وإذا تذكرنا قصيدة الإمام الصنعاني التي يمدح فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويثني على طريقته، ويؤيد عقيدته ومسلكه، بدا لنا كيف وصل تأثير عقيدة الشيخ إلى هناك، ودورها في نشر عقيدة السلف الصالح. يقول الأمير الصنعاني بين يدي قصيدته الدالية المشهورة التي مطلعها:
سلام على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

قال: "لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له: محمد ابن عبد الوهاب، ووصل إلينا بعض تلاميذه، وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة ١١٦٣ هـ، وأرسلناها من طريق مكة المشرفة، وهي (ثم أوردتها في ديوانه، ويقول فيها):

قفي واسألني عن عالم حل سوحها به يهتدي من ضل عن منهج الرشده
محمد الهادي لسنة أحمد فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله بلا صدر في الحق منهم ولا ورد

(١) مقدمة محمد رشيد رضا لكتاب "صيانة الإنسان..." تأليف محمد بشير السهسواني (ص ١٤ الطبعة الخامسة).

وما كل قول بالقبول مقابل ولا كل قول واجب الرد والطرده
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله فذلك قول جل قدرا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه فإنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادما ومشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود بنس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل وملتمس الأركان منهن باليد

إلى أن قال يصف ما في "دلائل الخيرات" من غلو:

غلو نهي عنه الرسول وبدعة بلا مريّة فاتركه إن كنت تستهدي
أحاديث لا تعزى إلى عالم فلا تساوي فليسا إن رجعت إلى النقد^(١)
وصيرها الجهال للذكر ضرة يرى درسها أركى لديهم من الحمد
لقد سرتني ما جاء لي من طريقه وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

إلى آخر قصيدته الطويلة المفيدة، والتي تدل على أن الأرض لا تخلو من

قائم لله بحجته، غير أن الشيخ رحمه الله رزق بأنصار يبتغون

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "مفيد المستفيد" (ص ٣١٠).

وجه الله وحده، وهذا فضل من الله تعالى.

ويدل كلام الأمير الصنعاني في قصيدته هذه على أن أثر عقيدة الشيخ في إظهار مذهب أهل السنة والجماعة قد وصل إلى اليمن. وانظر الأمير يقول في قصيدته هذه التي قالها في الشيخ ومن أجله وإصلاحه:

سلام على أهل الحديث فإنني نشأت على حب الأحاديث من مهدي
هم بذلوا في حفظ سنة أحمد وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد

إلى أن قال:

إليك طوت عرض الفيافي وطولها فكم جاوزت غورا ونجدا إلى نجد
أناخت بنجد واستراح ركابها وعاد خليا عن رحيل وعن شد
فأحسن قراها بالقراءة ناظما جوابا فقد أضحت لديك من الوفد
وصل على المختار والآل إنهما لحسن ختام النظم واسطة العقد^(١)

وكانت ولادة الصنعاني سنة ١٠٩٩ هـ، ووفاته سنة ١١٨٢ هـ^(٢).

(١) "ديوان الأمير الصنعاني" (ص ١٢٨ - ١٣٢)، وانظر: بعضها في "عنوان المجد في تاريخ نجد" لابن بشر (ج ١، ص ٥٤ - ٥٥)، وانظر: بيتا واحدا منها في "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة)، "مفيد المستفيد" (ص ٣١٠)، وانظر: "تبرئة الشيخين الإمامين من تزويد أهل الكذب والمين" للشيخ العلامة سليمان بن سحمان طبع بأمر الإمام السلطان عبد العزيز آل سعود بمطبعة المنار سنة ١٣٤٣ هـ، وانظر: "روضة ابن غنام" (ج ١، ص ٤٦ - ٤٩).

(٢) انظر مقدمة ديوانه (ص ٥ - ١٢).

ونجد في اليمن عالما جليلا من علمائه الأعلام، هو الشيخ حسين بن مهدي النعمي التهامي، ثم الصنعاني، وفد من مدينة صبيا بتهامة إلى صنعاء لطلب العلم، فأخذ بها في العلوم النقلية والعقلية الفرعية والأصولية، فأقرأ في كتب السنة في صنعاء، وكثر الآخذون عنه من الخاصة والعامة، وعملوا بالسنن؛ من رفع اليدين عند الركوع والرفع، وقبضهما على الصدر، وتأمين الإمام والمأموم، وغيرها من السنن في الصلاة؛ وهو معاصر للأمير الصنعاني، واستمر على الإقراء في كتب السنة، والعمل بها؛ مجللا محترما، وقد أذن له المهدي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان المخالف من خاصة المهدي، وتوفي في سنة ١١٨٧ هـ، وخلفه تلميذه يحيى بن حسن الكبسي، وطريقته طريقة شيخه المذكور. انتهى ملخصا مما نقله سليمان بن عبد الرحمن الصنيع من مخطوط كتاب "نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف"^(١).
وقد عرضت عليه أجوبة علماء الحرم الشريف من مختلف المذاهب، والتي اتفقت أجوبتهم على إبقاء القباب والأضرحة والأبنية على القبور؛ بناء على سؤال رفع إليهم بشأن هدم القباب وتسوية القبور؛ بسبب ظهور أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بذلك، وسعيه في هدم تلك الأضرحة، ومحاربة ما ترتب على وجودها من وثنية وعبادة لغير الله من دونه، فتصدى هذا الشيخ النعمي للرد عليها، وجعله كتابا

(١) انظر: ترجمته في أول كتاب "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" (ص ١٣ - ١٥)، الطبعة الثانية عام ١٣٩٣هـ).

اسمه "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب"، وبإمعان النظر فيه يتضح لنا ما وهبه الله من المقدرة وسعة الاطلاع وقوة اليقين، مما حمله على إعلان الحق، وعدم المبالاة بمخالفة الناس والمفتين وأرباب المناصب والجاه^(١).

قال الشيخ النعمي في مقدمة كتابه هذا: "وبعد؛ فلما كان في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وسبعين ومئة وألف من الهجرة النبوية؛ وقفت على صورة سؤال وغير ما جواب في شأن ما يسر الله هدمه وافتقاده من المشاهد والقباب، وإزالة ما أزيل منها بالتدمير والخراب، لما تفاحشت خطوب مفاستها في هذا الزمان، وضاهت رسوم الجاهلية الجهلاء المنافية للتوحيد والإيمان، مع كون وضع القباب أمرا صادم المأثور الصحيح من النهي الصريح، فهو بمجرد ممنوع شرعا، كما قد شرحت ما جاء فيه ضمن رسالة مستقلة وجيزة أسفرت عن وجهه الصريح، واسمها: "مدارج العبور على مفاسد القبور"، وكان قبل هذا التاريخ بمدة يسيرة ألقى إلي بعض أعيان الزمن بمدينة صنعاء اليمن... كتابا ورد عليه من مكة المشرفة، ذكر فيه ما حاصله أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة، وأنه أجاب فيه مفتو الأربعة المذاهب بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد، وأشار بتخريب تلك المعازل والمعاهد^(٢).

(١) انظر: كلمة الافتتاح للطبعة الثانية لكتاب "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب"

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين (ص ٣ - ١٤).

(٢) "معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب" (ص ٢١).

ثم ذكر أنه اطلع على الأجوبة، وإذا هي أحموقات حرية بالاطراح، وأغاليط خليقة أن يتسلى عنها ويستراح، وأن لا يرفع لبيب إليها رأسا، ولا يتسنم للرد عليها قرطاسا، لأنها لم ترح رائحة التحقيق، ولا تمسكت من تحري السداد بجبله الوثيق"^(١).

ثم قال: "ولولا وجوب النصح والإرشاد ورفع اللبس، لاتبه في السكوت عن فتاويهم إلحاق اليوم بالأمس"^(٢).

وذكر أن المجيبين أضعوا عهد العلم والهدى وأهملوها، وليس سبيل من هذا شأنه إلا التنبيه وإزاحة الضرر عمن لم يعلم ما في مقاله من التمويه، لأنه لم يسلك معك مسلك المحاورات بين أهل التحصيل، بل سد عليك طريق أخذ الحكم من دليله، فما الذي تبغيه عنده بعد؟! وأي سفاهة علمت أقبح مما صنع هؤلاء الجماعة!؟

ويقول: "إن طفقنا نقول لهم: هذا حرام للدلالة هذه الأحاديث الصحيحة على ذلك. أجابوا بأنه صرح به في "المنهاج" وشرحه -وهو الذي فهمه ابن عبد الحق عن عبارة "الروضة"- بالجواز. قلنا: ما هي الحججة على الآخر؟ قالوا: لا يحل لنا ولا لك أن نقول: يحل كذا ويحرم كذا، لقول رسول الله ﷺ كذا، ومحال في زماننا هذا شيء من ذلك، فلم يبق حجة إلا ما ذكر سنان أفندي في كتاب "تبيين المحارم"، والشيخ زكريا في "شرح المنهاج" وحواشيه لنور الدين الزياتي، وما ذكرته مطرح، وأنت عاص بهذا الصنيع...". إلى آخر

(١) "معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب" (ص ٢٢).

(٢) "معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب" (ص ٢٠ - ٢٢).

ما ذكره عنهم من أصلهم الذي حرروه، وهو امتناع أخذ الحكم من دليله، وتعذر ذلك في هذه الأعصار، مع أنهم نقضوه بشيء كثير من كلامهم، فأورد أمثلة من قولهم: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا مرارا كثيرة، وهو من عجيب ما يستظرفه العقلاء، ودليل على بطلان أصلهم بديهة وطبعاً ووضعاً... إلى آخر ما قال^(١).

ثم حصر الكلام في ثلاثة أبواب:

الأول: في أبحاث متفرقة تتعلق بتلك الأجوبة^(٢).

والباب الثاني: في ذكر جملة شافية من الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة الشاهدة بأن وضع القباب والبناء على القبور من أصله وتشريفها والكتابة عليها وتخصيصها واتخاذها مساجد وما يتصل بذلك أمر تقرر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجازم بالنهي عنه والكف عن ارتكابه، وتثبتت القضية في ذلك، ومضت كلمة الحق بسد ذريعتيه؛ تحذيراً لنا أن نسلك سنن من قبلنا، مع قطع النظر عن المفاصد المترتبة على ذلك^(٣).

والباب الثالث: في سوق ألفاظ من ذلك السؤال وتلك الأجوبة، مع

الإشارة إلى ما فيها من فساد^(٤).

(١) انظر: "معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب" (ص ٢٢ - ٢٨).

(٢) (ص ٢٨ - ١٠٥).

(٣) (ص ١٠٥ - ١٣٧).

(٤) (ص ١٣٧ - ٢٥٥).

وهو كتاب عظيم النفع، سديد في جوابه وبيانه، رحم الله مؤلفه، وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين.

ومن بعد الأمير الصنعاني والشيخ حسين النعمي الإمام الشوكاني المولود سنة ١١٧٣ هـ، والمتوفى سنة ١٢٥٠ هـ^(١).

وقد عايش الشوكاني أحداث باشا مصر وما حل من مصائبه، وكان لهذه الأحداث وما يصحبها من إشاعات وبلبله في الأخبار وتضارب أثر في ما يكتبه؛ إلا أنه لا يشك في الإمام سعود ومعتقده؛ فقد قال:

"وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج، وما أظن ذلك صحيحا؛ فإن صاحب نجد وجميع أتباعه يعملون بما تعلموه من محمد بن عبد الوهاب، وكان حنبليا، ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة، فعاد إلى نجد، وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة؛ كابن تيمية وابن القيم وأضرابهما، وهما من أشد الناس على معتقدي الأموات، وقد رأيت كتابا من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات، أجاب به على بعض أهل العلم، وقد كاتبه وسأله بيان ما يعتقد، فرأيت جوابه مشتملا على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة"^(٢).

ويقول: "وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد

(١) انظر: "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" (ج ١، ص ٤٧٨، وج ٢، ص ٢١٤).

(٢) "البدر الطالع" (ج ٢، ص ٦ - ٧).

المناظرة، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين؛ وفي سنة ١٢١٥ هـ وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان، أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام حفظه الله، أحدهما يشتمل على رسائل محمد بن عبد الوهاب، كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة، مشحونة بأدلة الكتاب والسنة، والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة، ذكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وبجماعة من الصحابة، فأجاب عليهم جوابات محررة مقررة محققة تدل على أن المجيب^(١) من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة، وقد هدم عليهم جميع ما بنوه، وأبطل جميع ما دونوه؛ لأنهم مقصرون متعصبون، فصار ما فعلوه خزيا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة، وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه، وأرسل صاحب نجد مع الكتابين المذكورين بمكاتبة منه إلى سيدي المولى الإمام، فدفع حفظه الله جميع ذلك إليّ، فأجبت عن كتابه الذي كتب إلى مولانا الإمام حفظه الله على لسانه بما معناه: إن الجماعة الذين أرسلوا إليه بالمذاكرة لا ندري من هم، وكلامهم يدل على أنهم جهال، والأصل والجواب موجودان في مجموعي^(٢).

(١) ويعني به الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن جوابه لهم المسمى "جواب أهل السنة في نقض كلام

الشيعة والزيدية"، انظره في "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (ص ٤٧ - ٢٢٢).

(٢) "البدر الطالع" (ج ٢، ص ٧).

ويقول الشوكاني عن الإمام ابن سعود: " سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز، ومن دخل تحت حوزته؛ أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم؛ إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً، ولا يقومون بشيء من واجباته، إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين، على ما في لفظهم بها من عوج، وبالجملة؛ فكانوا جاهلية جهلاء؛ كما تواترت بذلك الأخبار إلينا، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها"^(١).

وقد صارت جيوش صاحب نجد في بلاد يام وفي بلاد السراة المجاورين لبلاد أبي عريش، ومن تبعه من هذه الأجناس؛ اغتبط بمتابعته، وقاتل من يجاوره من الخارجين عن طاعته، فبهذا السبب صار معظم تلك البلاد راجعا إليه"^(٢).

ويقول: " وفي سنة ١٢١٧ هـ دخلت بلاد أبي عريش وأشرافها في طاعة صاحب نجد، ثم تزلزلت الديار اليمينية بذلك، واستولى أصحابه على بعض ديار تامة، وجرت أمور يطول شرحها، وهي الآن في سريان، وقد أفردت ما بلغنا من ذلك في مصنف مستقل؛ لأن هذه الحادثة قد عمت وطمت وارتجفت لها أقطار الديار الشامية والمصرية

(١) "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" (ج ٢، ص ٥).

(٢) "البدر الطالع" (ج ٢، ص ٦).

والعراقية والرومية، بل وسائر الديار، لا سيما بعد دخول أصحاب النجدي مكة المشرفة، وطرد أشرافها عنها، والله أمر هو بالغه.

ثم في سنة ١٢٢٢ هـ وصل إلينا جماعة من صاحب نجد سعود ابن عبد العزيز، لبعضهم معرفة في العلم، ومعهم مكاتيب من سعود إلى الإمام المنصور بالله رحمه الله تعالى وإلي أيضا، ثم وصل جماعة آخرون كذلك في سنة ١٢٢٧ هـ، ثم وصل جماعة آخرون كذلك في سنة ١٢٢٨، ودار مع هؤلاء الواردين ومع غيرهم من المكاتبة ما لا يتسع المقام لبسطه^(١).

ويقول في ترجمة الإمام سعود بن عبد العزيز: "وكان جده محمد ابن سعود شيخا لقريته التي هو فيها، فوصل إليه الشيخ العلامة محمد ابن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات، فأجابه، وقام بنصره، وما زال يجاهد من يخالفه، وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية، وصار الإسلام فيها غريبا، ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية، وقام ولده عبد العزيز مقامه، فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية والحسا والقطيف، وجاوزها إلى فتح كثير من البلاد الحجازية، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب، وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود، ثم قام بعده ولده سعود، فتكاثرت جنوده، واتسعت فتوحه، ووصلت جنوده إلى اليمن، فافتتحو بلاد أبي عريش وما يتصل بها، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبي

(١) "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" (ج ٢، ص ٧ - ٨).

عريش، وقد تقدمت ترجمته، وأمدوه بالجنود، ففتح البلاد التهامية؛ كاللحية والحديدة وبيت الفقيه وزيد وما يتصل بهذه البلاد، وما زال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة، ويكتب إلي أيضا مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها، وفي جهة ذمار وما يتصل بها^(١).

ولنذكر قصيدته الجيدة التي رثى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما توفي، ومطلعها:

مصاب دهي قلبي فأذكي غلثلي وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلي

إلى أن قال عن الشيخ:

إمام الهدى ماحي الردى قامع العدا ومرروي الصدى من فيض علم ونائل

وقال عنه:

إمام الورى علامة العصر قد وتى وشيخ الشيوخ الحبر فرد الفضائل
محمد ذو المجد الذي عز دركه وجل مقاما عن لحوق المطاول

(١) "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" (ج ١، ص ٢٦٢ - ٢٦٣). وانظر: "الدرر السنية" (١٢ / ٢٠ - ٢٤)، و "تذكرة أولي النهى والعرفان" لإبراهيم بن عبيد (١ / ٥٠ - ٥٤)، و "أثر الدعوة الوهابية" لمحمد حامد الفقي (ص ٧٨ - ٨٠)، و "الشعر يواكب الدعوة" لابن خميس بحث قدم إلى أسبوع الشيخ (ص ٢ - ٣)، و "الإمام الشوكاني مفسرا" رسالة دكتوراه إعداد محمد حسن بن أحمد الغماري (ص ٣٢) في جامعة أم القرى.

إلى عابد الوهاب يعزى إنه سلاله أنجاب زكي الفضائل

إلى أن قال:

لقد أشرفت نجد بنور ضيائه وقام مقامات الهدى بالدلائل

إلى آخر القصيدة، وهي طويلة، تنيف على المئة بيت، أوردت منها شطرا في ترجمة الشيخ فيمن رثاه رحمه الله، وما أوردته هناك يناسب إيرادها هنا، ولكن تفاديا للتكرار أحيل عليه.

وأما في العصر الحاضر؛ ففي اليمن كثير من أهل السنة والجماعة، وبعضهم كان سبب هدايته إلى مذهب السلف هو ما تلقاه في جامعات المملكة، وما سمعه من مشايخ الدعوة، وما توصل إليه من بحثه في ميراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ فاقتنع اقتناعا حرا بصحة عقيدة السلف الصالح، وصار من الدعاة إليها وإلى نشرها في بلاده.

أثرها في الشام

وفي الشام كان لها أثر جيد، وقد اطلعت على رسالتين صغيرتين: إحداهما بعنوان "النفحة على النفحة" لمؤلفها الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري، وقد شغلت (٥٦ صفحة) من الوسط، والثانية بعنوان "نظرة في النفحة الزكية في الرد على الوهابية" لمؤلفها أبو اليسار الدمشقي الميداني في (٣٤ صفحة) من الوسط، وكأنها ذيل للأولى، وتعليق عليها، طبعتا في مجلد واحد سنة ١٣٤٠ هـ بمطبعة

الترقي بدمشق.

والأولى عبارة عن رد بليغ صدر من عالم محقق يتقي الله ويلتزم في رده الحكمة والموعظة الحسنة والإنصاف في المحاجة، جاء في أولها بعد البسملة والحمد لله والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ؛ أنه بينما كان سائرا في إحدى طرق مدينة دمشق؛ إذ بصر برجل عليه سيما العلم، ويده رسائل يوزعها، فأهداه رسالة وهو يرتحف، ويشير إلى أنه أبدع فيما كتب، فذهب ناصر الدين إلى أحد مساجد البلد، ووجد أحد أهل العلم فيه، فلما أبصره والرسالة بيده؛ هز رأسه وقال: ما هذه الرسالة؟ فأجابه بأنه رأى عنوانها، وأن من حاكها أسماها "النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية"، ومؤلفها يزعم أنه من أكابر علماء دمشق، يقال له الشيخ عبد القادر الإسكندراني، المنتحل لنفسه لقب الكيلاني، فأجابه ذلك العالم الذي في المسجد بأن مدعي هذه الرسالة إنما أغار على كتاب "الفجر الطالع" لجميل صدقي الزهاوي، وعلى ما لفقه الشيخ دحلان، فأخذ ما اختاره منهما، ولم يزد من عنده إلا أحرفا يسيرة، فدهش ناصر الدين، وأخذ الرسالة يتصفحها، ثم رآها على غير قاعدة المحققين، وإنما هي تلفيقات، فانتدب لنقضها بأسلوب العالم المتزن ومسلك المحقق الذي بينه كمنهج لرده، ويمكن تلخيصه بنقاط هي:

١- أن المحققين ينزهون أنفسهم عن السباب والشتيم لمن يردون عليه.

٢- يجعلون نصب أعينهم قوله تعالى:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ

فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١﴾ ۞ .^(١)

٣- وأن من يرد على أحد في كلامه، يأخذ جملة من كلامه فيبين الغلط فيها، ثم جملة، وجملة... حتى يستوفي الكلام بلا تحامل ولا اعتساف.

٤- وأن يتلو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ

تَخْتَصِمُونَ ﴿٢﴾ ۞ .^(٢)

ولكن صاحب الرسالة - كما قال ناصر الدين - لم يسلك في رده ذلك المسلك، فأراد ناصر الدين خدمة الحقيقة، فقال: "إن صاحب النفحة صدر رسالته بما لفته الشيخ أحمد دحلان في آخر "تاريخ أمراء البيت الحرام"، وسلك موطن قدمه حذو النعل بالنعل؛ بلا تأمل ولا تدبر، ولا شك أن الله تعالى يجمع الكل يوم القيامة، ثم ينبتهم بما كانوا يعملون".

قال ناصر الدين: " وقبيح بمؤلف يملأ كتابه بالافتراء والتعدي، وفي قصه الإفك أعظم رادع لمن كان يؤمن بالله ورسوله ويطلب النجاة لنفسه فيحاسبها حالياً ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٣) ۞ ومهما تملق المتملقون، واستتر المرءون؛ فإن الله لا تخفى عليه خافية، ولا بد أن يشف الباطل عن الحق، فيظهر ناصعاً واضحاً، وإليك جملاً من

(١) سورة الحجرات آية : ٦ .

(٢) سورة الزمر آية : ٣١ .

(٣) سورة الذاريات آية : ٢١ .

كلام صاحب الرسالة تدل على افتراءه بما ادعاه".

إلى أن قال: "ومن طبعه الوقوع في أعراض الناس، يرى لذلك لذة، ولا يخلو في ذوقه إلا الغيبة والنميمة واتباع الهوى".

ثم نقل عنه قوله عن محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة؛ فقال ناصر الدين له: "هب أننا سلمنا أنها بلاد مسيلمة؛ فما الذي تراه من ذمها؟! أليست مصر كانت بلاد فرعون وهامان وقارون، وما الإسكندرية إلا من بعض بلاد مصر؟! أليست بابل كانت بلاد نمرود؟! أليست مكة كانت موطن أبي جهل وأبي لهب وأضراجهما؟! أليست فلسطين كانت بلاد قوم لوط؟! هل ضر هذه البلاد شيء من ذلك، أم هل تناقص قدرها؟! ألم تعلم أن أول من أسس هذا القياس من أخبر الله عنه أنه قال: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)؟ وما أخالك يا رعاك الله إلا أنك بعد هذا تتبع الحق وتحسن النظر في القضية.

وقال ناصر الدين عن صاحب الرسالة : "إنه قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: وممن أخذ عنهم الشيخ محمد حياة السندي والشيخ محمد بن سليمان الكردي، وكانا يتفرسان فيه الإلحاد، ويحذران الناس دسائسه". فقال ناصر الدين: "أقول: لو أنصف؛ لعلم أنه يطعن في هذين العالمين، وذلك أن كلا منهما أجاز ابن عبد الوهاب بإجازة مطولة، وأجاز له أيضا الشيخ عبد الله بن إبراهيم نزيل المدينة والمشهور بها؛ كما ذكره صاحب "كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق"، وأخذ أيضا عن

الشيخ إسماعيل العجلوني محدث الديار الشامية، والشيخ علي أفندي الداغستاني، وكلهم أجاز له؛ فكيف يتفرسان فيه الإلحاد ويجيزانه ويمدحانه في إجازتهما؟! وهل هذا إلا مكابرة؟! إلى غير ذلك مما افتراه من غير دليل ولا ثبت، سوى سوء الظن بذلك الرجل، فالله يلهمنا رشدنا ويهدينا سواء السبيل".

وقال ناصر الدين: "ادعى ذلك الكاتب أنه يتعجب من شرذمة تروج في دمشق العقيدة الفاسدة والآراء المضللة..." إلخ.

فقال ناصر الدين: "يا لله العجب! هل من يدعو إلى الله ورسوله ﷺ وإلى عقيدة السلف يعد ضالا مضلا؟! والذي يدعو إلى الترهات يعد صالحا؟! على رسلك! تمهل! وانظر ما كان عليه السلف الصالح والأئمة المجتهدون من الاعتقاد، وتأمل مقالات أبي الحسن الأشعري في "الإبانة"، وعقيدة الإمام الطحاوي، وما قاله الإمام البيهقي في كتاب "الأسماء والصفات"، وما قاله الإمام الذهبي وغيرهم من أساطين العلماء في التوحيد، ثم ارجع إلى نفسك، وقل ما شئت، وتأمل أيضا ما قاله علماء المذاهب الأربعة الموثوق بهم فيما الناس عليه من البدع، ثم احكم بما شئت، ألم يأتك والأنباء + تنمى ما قاله الإمام الشاطبي وابن الحاج في "المدخل" وأبو شامة في كتابه "الباعث" وابن وضاح وغيرهم من الأئمة، فإن كنت تعد أمثال هؤلاء وهابية؛ فيا برد الذي قالت على كبدي".

وهكذا يمضي حتى أجهز على نفحته التي ليست بركية بنفخة أطارها.

وكذلك الرسالة الثانية، والتي عنوانها "نظرة في رسالة النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية"، مؤلفها أبو اليسار الدمشقي الميداني؛ قال:

"إن صاحب هذه النفحة تناول في ذمه النجديين والشاميين، وآذى في سبه وشتمه الأحياء والأموات، وجعل في طليعة نفحته ترجمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ما أظن أن أحدا ممن رزق حظا من التحقيق والمعرفة بحال المترجم وجانبا من الإنصاف يرضى عنها، لا سيما إذا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى".

وقال: "لا أحب أن أخوض معه فيما كتبه عن الوهابيين ومن يتهمه بالانتساب إليهم من الدمشقيين؛ فإن السب لا يعتمد إليه إلا عاجز أو صاحب هوى".

ثم نقل عنه قوله: "فوا حجلتاه كيف يروق للشرذمة المنتسبة إليهم الموجودة في دمشق المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعة لسكان البوادي وتفتتن بعقائدهم البديهيّة البطلان، مع أن فيهم من ينتسب إلى العلم ويدعي الفهم".

إلى أن قال: "كيف افتتنوا بتلك الترهات، وانخدعوا بالموهات، ونهضوا يروجون تلك العقائد الزائفة والأضاليل الباطلة، ويثنون في أفكار العوام هذا المذهب الذي أطبقت عقلاء الأمة على فسادها؟! " اهـ.

قال أبو اليسار: " أقول: هذه جمل من عباراته العالية وآدابه

السامية في وصف إخوانه الدمشقيين - دع النجديين وما وصفهم به -، عرضناها على القارئ الكريم، ليعرف بها مبلغه من الأدب، ودرجته من الحرص على جمع الكلمة والتأليف بين المسلمين في هذا اليوم الأيوم.

وقد نقل لنا غير واحد عن هذا الرجل أنه صار في درسه يذم بعض علماء دمشق وغيرهم من أموات وأحياء، ويصرح بأسمائهم وأسماء بعض محلاتهم وأحيائهم، وينفر ممن أخذ العلم عنهم أو سمع شيئاً منهم".

إلى أن قال: "ثم ليت شعري، كيف يتهم الفئة الدمشقية بالانتساب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعته، ثم يقول بعد: وقد سألت رجلاً منهم (يعني: الدمشقيين) عن مذهبه يوماً: أشافعي أو حنفي؟ فأجابني بأنه أثري؛ يعني: لا ينتسب إلى أحد من المجتهدين رضي الله عنهم اهـ.

فإذا كنت تفسر قوله بأنه أثري بعدم الانتساب إلى أحد من الأئمة المجتهدين أنفسهم رحمهم الله تعالى ورضي عنهم، فكيف تنسبه إلى رجل من أتباع أحمد بن حنبل، وهو محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى؟! وكيف يمكنك أن تطابق بين الدعوى والدليل؟!

ثم كيف جاز لك أن تملأ رسالتك من دعوى أن الوهابيين قاطبة يكفروننا ويزعمون أنا مشركون، وها نحن أولاً نراهم في مساجدنا يصلون خلف أئمتنا مقتدين بهم، ولا تكاد تدخل مسجداً من المساجد

وقت الصلاة، إلا وتجد بعضهم يؤدي الصلاة فيه مؤتماً بإمامه؟! فإذا كانوا يرموننا بالشرك كما زعمت، فكيف يقتدون بنا ويصلون معنا؟! وهب أنه كان التطرف والرمي بالشرك والكفر من بعض جهالهم وغلاتهم؛ فهل يصح أن يؤخذ الكل بذنب البعض، ألم يقل تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١)؟! وهل يمكنك أن تبرئ جهالنا وغلاتنا من مثل هذا التطرف؟! ولم لا تنصح لعوامنا وتندد بهم وتزجرهم عن تكفير غيرهم كما فعلت بأولئك؟! كما فعلت بأولئك؟!!

ثم ما معنى قوله: "كيف يروق للشردمة المنتسبة إليهم الموجودة في دمشق المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعة لسكان البوادي"؟! أي مدخل للتمدن والحضارة فيما نحن فيه؟! أليس الكلام في التوحيد وما دخله من البدع؟! أليست العقائد والعبادات من الدين الذي أكمله الله تعالى على يد رسوله ﷺ؟! أليس مبنى الدين على الاتباع المحض؟! هل يجوز فيه التغيير والتبديل والزيادة والنقصان؟! ما معنى التمدن والحضارة في هذا المقام؟!!

ثم أي تمدن وحضارة تعني؟! إن كنت تعني مدينتنا وحضارتنا في هذا الزمان؛ فالجواب أنا لا نرى أثراً لهذه المدنية بيننا، لا في اختراع، ولا في صناعة، ولا زراعة، ولا تجارة! وإن كنت تريد مدنية أسلافنا؛ فلا يحق لنا أن نفتخر بها ونحن قد أضعناها.

ولقد تذكرت أن أحد الأوربيين كان يذكر لأحد أفاضل المسلمين ما انتهت إليه أوروبا من البسطة في العلم، والسعة في

(١) سورة الأنعام آية : ١٦٤ .

الملك، والاختراع في الفن، وبياهي بذلك. فقال له المسلم: لنا الفخر، لأن هذا الرقي قد أخذتموه عن أساتذتكم العرب، وهم آباؤنا فأجابه الأوربي: لا حق لكم بهذا الفخر، ونحن أحق به منكم؛ لأننا أخذنا علوم سلفكم ونشرناها فكنا بعلمهم عاملين، أما أنتم؛ فقد أضعتموها، وكنتم لها عاقين".

قال أبو اليسار: " وإن كنت ترى المدنية في الافتتان باللباس والتفنن بالطعام والشراب والاستكثار من الوظائف والمرتبات من أجل ذلك؛ فهذا أقبح ما سرى إلى صنف العلماء من الأمور الذميمة، وصددهم عن تخرج الطلاب في العلوم والأدب، وتصنيف الكتب، وإحياء العلوم".

إلى أن قال: " وإن عند كثير من علمائنا الأغنياء من العلم والمال ما يستطيعون أن يخدموا به كثيرا من الطلاب، فلو كانت همهم متوجهة لإحياء العلوم الشرعية والعربية، لقاموا بهذه الوظيفة المقدسة حق القيام، وإذا لازدهرت هاتيك العلوم في هذه الديار أيما ازدهار، وأنتك لتجد بعض الشبان والكهول من المشتغلين المجدين الذين قضوا شطرا كبيرا من حياتهم في الجمع بين المعقول والمنقول والتدقيق في الفروع والأصول يفتشون عن وظيفة علمية تسند إليهم، لينفعوا بعلمهم، ويستزيدوا منه، ويتمرنوا على العمل، وليستعينوا بالمرتب على أمر معيشتهم؛ فلا يجدون إلى ذلك سيلا، ولا من أحد من أهل العلم مساعدة، ولو بالتخلي عن وظيفة ومرتب زائدين عن حاجتهم، فيضطرون هناك إلى الاشتغال بما يقيهم ذل السؤال، والأمر

لله، وقد كان الواجب يتقاضى ممن يزعم الغيرة على الدين وأهله، ويدعي أنه من حماته ودعاته؛ أن يساعدهم بكل ما يمكن؛ رحمة بهم وبمئات الطلاب التي كان يمكن أن تحصل عندهم وتخرج على أيديهم.

من ذا الذي يخدم الدين للدين والعلم للعلم خدمة خالصة من كل شائبة، لا يتقاضى عليها أجرا وليس له في مقابلها شيء؟! ألا ليت أصحاب الوظائف الموكول إليهم أمرها يقومون بها ويوفونها حقها كيلا يأكلوا أجورها من دون عمل وهي لم توقف أو تخصص إلا لمن عمل".

تم يقارن أبو اليسار بين الفريقين، فيقول:

"حالنا وحال النجديين: إذا أردنا أن نقابل بيننا معشر أهل التمدن

والحضارة وبين سكان البوادي النجديين الذين تزعم وتوازن بين سخائنا على نشر العلم وسخائهم وغيرتنا على الدين وغيرتهم، وكانت حالنا ما قدمنا، ورأينا كثيرا من كتب العلم الديني قد طبعها تجارهم، وجعلوها وقفا لله تعالى، ووزعوا الألواف منها على المسلمين في عامة الأقطار، سواء في ذلك أهل البوادي وسكان المدن والأمصار، ولا يزالون دائبين على طبع الكتب النفيسة، حريصين على نشرها مجاناً، يخرجون بها الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة، ولم تكن تلك الكتب من تأليف أهل نجد فحسب، بل معها كتب أئمتنا وأجلنا الدمشقيين وغيرهم، كابن تيمية وابن القيم وابن قدامة، وهم يطبعونها ويوزعونها على المسلمين، لا يريدون منهم جزاء ولا شكورا، فأبي المدنيتين قد عم خيرها وظهر أثرها وحق أن يفخر بها أهلها،

المدنية التي أفسدت عليها ديننا ومرءوتنا وسلبتنا جل أوصافنا الحميدة وأكسبتنا أخلاقا ذميمة كالبخل والكذب والكبر والبذخ والرياء وتقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، أم تلك المدنية الفطرية التي لم تشبها شائبة الفساد؟! بريك أنصف ثم احكم".

وهكذا حتى انتهى منها، فوقع الحق وبطل ما كانوا يأفكون.

وقد نقلت ما نقلت من هاتين الرسالتين لأبين كيف يعاني أصحاب العقيدة السليمة؛ عقيدة السلف الصالح، وكيف يعاني من تأثر بالحق والتزمه؛ حيث لا سلطان له، وكيف يتكلمون بالحق وليس معهم سيف، ولكن الله يؤيدهم بلطفه، ويسر لهم من ينصرهم كما نصر الذين من قبلهم، ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم.

وقد كتب الإمام الملك عبد العزيز كما ذكرنا في الفصل الرابع لهما كتابا يحمد الله فيه إليهما على ما منَّ به عليهما من معرفة الحق والبصيرة فيه، ومعه هدية هي مجموعة "الهدية السنوية"، التي جمعها الشيخ سليمان بن سحمان، ويوصيهما بلزوم الحق والاستمرار والصبر عليه، ويؤيدهما، ويدعو لهما، ويشكرهما على ذلك، وتقدم إيرادنا نص رسالته^(١).

وفي مقدمة هذه المجموعة التي كتبها الشيخ سليمان بن سحمان يقول

بعد البسملة والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

(١) انظر: (٢/ ٣١٢) من هذا البحث.

"أما بعد؛ فقد وقفت على ما كتبه العالمان الجليلان التقيان المنصفان الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري نزيل دمشق، والشيخ أبو اليسار الدمشقي الميداني على ما افتراه... الإسكندراني، مما لفته من الأكاذيب الشنيعة والمفتريات الواهية الوضيعة، أو تلقاه عن جميل أفندي البغدادي^(١) وقد اعتمد هذا وغيره في كل ما افتروه على ما لفته إمام ضلالهم أو بدعتهم أحمد بن زيني دحلان^(٢) من الخرافات والخزعبلات التي لا تصغي إليها إلا القلوب المقفلت: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَصَغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَادُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَّضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾^(٤).

(١) قال محمد رشيد رضا: "هو جميل الزهاوي المتفلسف الذي طعن في الشريعة بأشد مما طعن في المستمسكين بعروتها من أهل نجد، وقد نشر طعنه وإنكاره لتعدد الزوجات وقسمة الميراث في الإسلام في "جريدة المؤيد المصرية"، فكفره بها العلماء الكثيرون".

(٢) قال محمد رشيد: "هو الذي كان مفتيا في مكة في زمن ظهور الدعوة، وكتب ما كلفه كتابته سادته وموظفوه من الأمراء والحكام من غير تبين ولا تثبت فيما جاء به أولئك الفساق الطغام".

(٣) سورة فاطر آية : ٨.

(٤) سورة الأنعام آية : ١١٣.

فلما تصدر وانتصب هذا الرجل لعداوة أهل الإسلام أتباع الملة الحنيفية والطريقة المحمدية، وشرق بهذا الدين الذي من الله به على إخواننا الدمشقيين، لما تبين لهم حقيقة ما عليه أهل الإسلام الموحدين من أهل نجد المشهورين بالوهابية، وأنهم كانوا على ما كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها من إخلاص العبادة لله رب العالمين، وترك عبادة ما سواه مما كان عليه أهل الكفر والشرك برب العالمين، وإنكار البدع المحدثه في الدين، وكتب ردا على الوهابية المستمسكين بالطريقة المحمدية والملة الحنيفية، ورماهم بما هم بريئون منه من هذه الأكاذيب والأوضاع، التي تمجها الطباع، وتستك عند سماعها الأسماع، وبئس ما انتحله من الأكاذيب والأوضاع الوبية، وقد تبع فيها أقوال قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، رد عليه هذان العلمان الجليلان، وغارا لله وللمسلمين من تلفيق أهل الكذب والبهتان، فأزالا بما كتبا من الرد عن القلوب صداها، وأمطا به عن العيون قذاها، فجزاهما الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء، فلما قرأناها وتأملناها، علمنا وتحققنا أن في الزوايا خبايا، وأنه قد بقي من فحول الرجال بقايا، فله الحمد وله الشكر والمنة.

ثم اعلموا أيها الإخوان أنا على ما كان عليه أئمتنا أهل الإسلام، والعلماء الأئمة الأعلام، الذين ينفون عن كتاب الله وسنة رسوله تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين؛ كشيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن

عبد السلام بن تيمية الحراني، وتلميذه شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، والحافظ الذهبي الشافعي، والعماد بن كثير الشافعي، ومحمد بن جرير الطبري، والحافظ الإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي^(١) وغيرهم من علماء أهل الإسلام، الذين هم القدوة، وبهم الأسوة، وقد كان لهم قدم صدق في العالمين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا.

وقد سلك شيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على طريقهم، وسار على منهاجهم وأثرهم في الدعوة إلى الله وإقامة حججه وبياناته، وساعده على ذلك أئمة أهل الإسلام من آل سعود رحمهم الله، فنصروه، وآووه، وجاهدوا في الله حق جهاده، حتى ظهر دين الله، وانتشر في البلاد والعباد، فله الحمد، وله الشكر.

ثم إنا لما تحققنا ما أنتمنا عليه من الحق والتحقيق وسلوك طريقة أهل الهداية والتوفيق؛ أحببنا أن نهدي إليكما، ونخبركما بما كنا عليه من المعتقد، وما ندين الله به، وما كان عليه أئمتنا من مشايخ أهل الإسلام، وما قالوه وما قلناه في ذلك نظما ونثرا، والله المسئول المرجو الإجابة أن يسلك بنا وبكما وإخواننا الموحدين طريق الإصابة، وأن يجزل لنا ولكما الأجر والإثابة؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وإليكما وإلى جميع إخواننا المسلمين ما نهديه ونرفعه؛ ليعلم حقيقة ما كنا عليه

(١) قال محمد رشيد رضا: "إنما خص هؤلاء بالذكر لما في كتبهم المتداولة من النصوص الواضحة".

بعد علم اليقين عين اليقين"^(١) انتهى.

فما من شك ولا ريب أن هذا النشر والبيان لعقيدة الشيخ وأنصاره له أثر كبير في نشر عقيدة السلف الصالح في الشام، وتمكين الله أنصارها في الأرض، ونصرهم لما نصروا دين الله ورسوله ﷺ.

ونجد من علماء الشام الشيخ محمد بهجة البيطار، الذي عينه الملك عبد العزيز رحمه الله مديرا لدار التوحيد بالطائف أول ما أنشئت، ومن مؤلفاته كتاب "حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، محاضرات ومقالات ودراسات"، ونشره المكتب الإسلامي بدمشق عام ١٣٨٠ هـ، ويرد في هذا الكتاب على ألفريد غيوم في كتابه "الإسلام" ترجمة محمد مصطفى هدارة والدكتور شوقي اليماني السكري، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨ م بالقاهرة.

ومن رده عليه رده ما جاء في (ص ١٠٠) من كتابه، وهو قوله: (في المملكة الوهابية؛ حيث يسود المذهب الوهابي" قال محمد بهجة البيطار: "الجواب: ليس للوهابية ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص، ولكنه رحمه الله كان مجددا لدعوة الإسلام، ومتبعا لمذهب أحمد بن محمد بن حنبل"^(٢)).

هذا وللمكتب الإسلامي في دمشق ويبروت نشاط ملموس في

(١) "الهدية السنوية والتحفة النجدية لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الخنيفية والطريقة

المحمدية" جمع الشيخ سليمان بن سحمان (ص ٦ - ٨).

(٢) "حياة شيخ الإسلام ابن تيمية" بقلم محمد بهجة البيطار (ص ٢٠٠).

طبع ونشر مؤلفات الشيخ وسائر مؤلفات السلف الصالح.
ومن تعليق للأمير شكيب أرسلان من أهل الشام على الوهابية - على حد تعبيره- نقتطف من قوله ما نصه: "ولكن المقرر أنها حركة إنابة إلى العقيدة الحق وهدى السلف الصالح، واقتفاء أثر الرسول ﷺ والصحابة، ونبذ الخرافات والبدع، وحظر الاستغاثة بغير الله، ومنع التمسح بالقبور والتعبد عند مقامات الأولياء، ولذلك يسمونها عقيدة السلف، ويلقب الوهابيون أنفسهم سلفيين، وأكثر اعتمادهم في الاجتهاد على الإمام أحمد بن حنبل، والإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية^(١). اهـ.
وشكيب أرسلان عضو من أعضاء الجمع العلمي العربي بدمشق، وكانت له صلة وثيقة بمحمد رشيد رضا، وقد قابل الملك عبد العزيز أثناء رحلته إلى الحجاز سنة ١٣٥٤ هـ^(٢) وقال:
"لله در الملك ابن سعود؛ يقول: ما أخشى على المسلمين إلا من المسلمين، ما أخشى من الأجانب كما أخشى من المسلمين، وهو كلام أصاب كبد الصواب؛ فإنه ما من فتح فتحه الأجانب من بلاد المسلمين؛ إلا كان نصفه أو قسم منه على أيدي ناس من المسلمين، منهم من تجسس للأجانب على قومه، ومنهم من بث لهم الدعاية بين

(١) هامش "حاضر العالم الإسلامي" (ج ١، ص ٢٦٤).

(٢) انظر: "الأعلام" للزركلي (ج ٣، ص ١٧٣ - ١٧٥)، وانظر كتابه: "لماذا تأخر المسلمون

ولماذا تقدم غيرهم" تأليف الأمير شكيب أرسلان (مقدمة، ص ٢٥ - ٢٧).

قومه، ومنهم من سل لهم السيف في وجه قومه، وأسأل في خدمتهم دم قومه".

وقال محمد رشيد رضا مضيفاً إلى ما نقله شكيب أرسلان عن الملك عبد العزيز من كلام صائب؛ أنه في حفل حافل بحجاج الأقطار، وقد طالب مصري أزهرى الملك عبد العزيز بمحاربة الإنكليز والفرنسيين المعتدين على المسلمين، ذاكراً عداوتهم لهم، فقال الملك عبد العزيز: "الإنكليز والفرنسيين معذورون إذا عادونا؛ لأنه لا يجمعنا بهم جنس ولا دين ولا لغة ولا مصلحة، ولكن المصيبة التي لا عذر لأحد فيها أن المسلمين أصبحوا أعداء أنفسهم، وأنا والله لا أخاف الأجانب، وإنما أخاف من المسلمين، فلو حاربت الإنكليز، لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين^(١)".

وهذا محمد كرد علي من أهل الشام في كتابه "القديم والحديث" منتقيات من مقالاته، وهو عضو في الجمع العلمي العربي بدمشق يقول:
"وما ابن عبد الوهاب إلا داعية، هداهم من الضلال، وساقهم إلى الدين السمح، وإذا بدت شدة من بعضهم؛ فهي ناشئة من نشأة البادية، وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم، وقد اخترنا عامتهم وخاصتهم سنين

(١) انظر كتاب "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم" تأليف الأمير شكيب أرسلان (ص ٦٣).

طويلة، فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد غلوة، وما يتهمهم به أعداؤهم؛
فزور لا أصل له"^(١).

أثرها في بلدان الخليج العربي

نجد في قطر أن حكامه آل ثاني كانوا يسهمون إسهاما كبيرا في طبع
مؤلفات علماء السلف الصالح، ولا تنكر صلتهم الوثيقة بأنصار عقيدة
الشيخ من قديم، وكان في قطر من العلماء الذين يحملون عقيدة سلفية
سليمة ولهم دور لا ينكر في ذلك الأثر الحميد؛ كالشيخ محمد ابن عبد
العزیز بن مانع، الذي كان مديرا عاما للمعارف في المملكة العربية السعودية،
ثم طلبه أخيرا حكام قطر ليستفيدوا من علمه، ويشير عليهم بما كانوا
متقبلين له من نصر لعقيدة السلف الصالح، ونشر لكتبهم؛ ك"مجموعة
التوحيد النجدية" وكتب فقه الحنابلة وغيرهم.

وأخيرا، يخرج إلينا كتاب للشيخ أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي
قاضي المحكمة الشرعية بقطر، قدم له وصححه سماحة الشيخ عبد العزيز بن
عبد الله بن باز، وأمر بطبعه الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٣٩٥ هـ،
وهو عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية
وثناء العلماء عليه، وهو كتاب علمي جيد، من أجود ما كتب في هذا
الموضوع، قال في مقدمته:

"إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الداعي إلى توحيد

(١) نقلا عن كتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب" للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي (ص
٩٦)، وانظر "الأعلام" للزركلي (ج ٦، ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

الله تعالى من المجددين العدول والمصلحين المخلصين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ وقام بنبذ البدع والمعاصي وعبادة الأولياء والصلحاء والأشجار والغيران، ويأمر بإقامة شرائع الإسلام المتروكة وتعظيم حرمانته المنتهكة، ومع ذلك؛ فالناس لا زالوا من عصره إلى اليوم بين مادح وقادح".

ثم يبين أن السبب في القدح هو دعاية الأتراك وأشرف مكة في ما مضى ضد ما قام به الشيخ وأنصاره، والتي نالت رواجاً وانتشاراً في الأقطار الإسلامية، وتأثر بها الأكثرون، بالإضافة إلى كتب ألفها بعض أذعياء العلم؛ ينقدون عقيدة الشيخ وأنصاره بما لفق عليها من غير تثبت، وراجت الدعاية لدى الجمهور، وظنوا أنها صحيحة.

وقد جهل أولئك المؤلفون أو تجاهلوا أن الواجب على الشخص - ولا سيما من انتسب إلى العلم - أن لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب أو طائفة حتى يثبت لديه بأنه يسمع من ذلك المنسوب إليه ما أذيع عنه، أو يقرأ كتابه ويتأكد من صحة نسبة الكتاب إليه، وهكذا القول فيما سمعه عن مذهب أو طائفة.

ثم يقول الشيخ أحمد بن حجر: "أما في هذا العصر؛ فقد خفت وطأة تلك الدعاية السيئة، وعرف كثير من العقلاء في سائر الأقطار والبلدان حقيقة دعوة الشيخ وصحتها، وذلك بفضل انتشار العلم والوعي في العالم، وبفضل ما اتصفت واشتهرت به الدولة السعودية من التوحيد، وتحكيم الشرع المبين، وإقامة شعائر الإسلام، وإقامة

الحدود الشرعية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر العدل والأمان، وتمسكها بالسنة الصحيحة والقرآن ومحاربة أهل البدع، والاهتمام بالعلم والتعليم، ونشر المدارس والمعاهد والكليات في سائر أرجاء المملكة العربية السعودية، وفتح الأبواب للطلاب الوافدين من مختلف البلدان، وإعانتهم بالوسائل النافعة الكافية، كما اشتهرت بالكرم والبذل لجميع الوافدين إليها، من غير فرق بين مذهب وبلد وعنصر".

ثم قال الشيخ أحمد: " وبالرغم مما قلنا من انتشار الوعي واتصاف الدولة العربية السعودية بتلك الصفات الكريمة، لا زال كثير من المنتسبين إلى العلم - فضلا عن العوام - يزعمون أن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله لم يكن على الصواب، وأن الفئة الوهابية تكفر المسلمين، ولا ترى للأنبياء مقاما ولا احتراما ولا شفاعة، كما لا تحترم الأولياء والصالحين، ولا ترى زيارة قبر الرسول ﷺ ولا غيره... إلى غير ذلك من الأقاويل الزائفة التي لا تعتمد على الورثة والسماع عن الماضين الجاهلين والاعتزاز ببعض كتب المخرفين".

قال: "فمن أجل ذلك؛ رأيت أن أكتب في سيرة الشيخ المجدد لما اندرس من معالم الإيمان والإسلام وعقيدته ودعوته الإصلاحية مؤلفا وسطا، اعتمدت فيه على ما ذكر المؤرخون لنجد، كابن غنام، وابن بشر، والآلوسي، والريحاني، وغيرهم ممن ذكر الشيخ ودعوته في ثنايا كتبهم، كما اعتمدت على بعض رسائل إمام الدعوة وأبنائه وأحفاده، وسأختمه إن شاء الله بثناء العلماء الراسخين وبعض

المؤرخين المحققين من المسلمين والغربيين على ذلك الإمام الجليل، الذي شغل عصره وبعده بعلومه وآرائه وإصلاحه ودعوته المقيّدة بالكتاب والسنة، والذي دوى صوته بعلومه ودعوته في نجد وفي الخارج، وجادل وناضل بقوة جنانه وفصاحة لسانه وواضح برهانه^(١).

وللشيخ محمد بن حسن المرزوقي القطري رد على النبهاني في تهجمه على شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد رشيد رضا وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(٢).

أما عن أثرها في البحرين

فننقل قصة طريفة جرت إبان نكبة الدرعية والتجاء بعض علماء الدعوة إلى البحرين وإلى عمان وغيرهما.

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب "منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب" تأليف الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر في قصة تأليف الكتاب المذكور ما ملخصه: إن الإنكليز أرسلوا مندوبا إلى البحرين من القسس ليعمل على بث الدعاية النصرانية وشكوكها لفتنة الناس في البحرين عن دينهم؛ كما

(١) "الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي (ص ١٠ - ١٣).

(٢) ترجمة الألوسي في أول كتابه "غاية الأمان في الرد على النبهاني" بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل (ص ١١).

هي سياسة أعداء الإسلام من الصليبيين في الشرق الإسلامي كله، فقام ذلك القسيس بتأليف كتاب ضمنه شبهاتهم حول الإسلام، ودفعه إلى أمير البحرين عبد الله بن خليفة، وطلب منه أن يعرضه على المشايخ ليقولوا رأيهم، فرد عليه الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر بكتابه "منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب"، ودفعه إلى أمير البحرين، ففرح به الأمير أشد الفرح، ودعا القنصل الإنكليزي القسيس، وأعطاه الرد؛ فانددهش جدا؛ لأنه كان يظن عجز علماء البحرين، ثم قال: "هذا الرد لا يكون من هنا، وإنما هو من البحر النجدي"^(١).

ولعل ما نقلناه فيما تقدم يبين لنا مدى أثر عقيدة الشيخ السلفية في نشر الحق والعمل به، واتباع السلف الصالح في منهجهم الإصلاحية، والحكم بعدل وإنصاف على عقيدة الشيخ السلفية في تلك الربوع الخليجية وغيرها.

أثرها في العراق

وإذا جاوزنا الخليج إلى العراق، فإننا نجد مدرسة أهل السنة والجماعة يتصدرها آل الألويسي أمثال العلامة نعمان خير الدين الألويسي والعلامة محمود شكري الألويسي.

أما نعمان خير الدين الألويسي الشهير بابن الألويسي البغدادي:

(١) انظر: "كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب" (الطبعة الثالثة، منشورات دار ثقيف بالطائف، ص ٣ - ٥).

ولد سنة ١٢٥٢ هـ، وولي القضاء في أماكن متعددة في العراق، ثم ترك المناصب، وزار مصر في طريقه إلى الحج، ثم الآستانة، ومكث سنين هناك، ثم عاد يحمل لقب رئيس المدرسين، فعكف على التدريس والتصنيف، إلى أن توفي ببغداد سنة ١٣١٧ هـ، وله مؤلفات كثيرة، ويعيننا منها مؤلفه "شقائق النعمان في رد شقاشق ابن سليمان"، ويعني: داود بن سليمان بن جرجيس، وسيأتي طرف من خبره، وكذلك مؤلفه الآخر المشهور "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية وأحمد بن محمد بن حجر الهيثمي"، وهو دفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية مما اتهمه به وتهجم به عليه أحمد بن حجر، وقد أقذع ابن حجر في السباب والشتم والمهاترة تجاه شيخ الإسلام من غير دليل ولا حجة، ولكن عمى البغي وصمم الهوى يدفعان صاحبهما إلى مجاوزة حدود أدنى العقول^(١).

أما صاحبنا نعمان الألوسي؛ فكما قال فيه بهجت الأثري في كتاب "أعلام العراق": "كان عقله أكبر من علمه، وعلمه أبلغ من إنشائه، وإنشأؤه أمتن من نظمه، وكان جواداً، وفياً، زاهداً، حلو المفاكحة، سمح الخلق"^(٢).

وقد انتهج في انتصاره لشيخ الإسلام ابن تيمية في عقيدة السلف الصالح أسلوب المناقشة في هدوء، وإقامة الدليل، وتوضيح

(١) انظر: "جلاء العينين" (ص ١٦ - ٣٧، وص ١١٩) وغيرها.

(٢) انظر: "الأعلام" للزركلي (الطبعة الرابعة، ج ٨، ص ٤٢)، و "معجم المؤلفين العراقيين" كوركيس عواد (ج ٣، ص ٣٩٩).

الحجة، وسطوع البرهان؛ بروح العالم الراسخ، والعامل الثابت، وهذا منهج يرتضيه علماء السلف الصالح من أهل السنة والجماعة^(١).

وأما العلامة محمود شكري الألوسي أبو المعالي فهو ابن أخي نعمان خير الدين الذي تقدم ذكره، ولد سنة ثلاث وسبعين ومئتين وألف من الهجرة، أبوه عالم أديب وكاتب بارع، اسمه عبد الله بهاء الدين، وأما جده، فهو الإمام محمود شهاب الدين صاحب التصانيف المشهورة، وأشهرها "روح المعاني" في التفسير، وقد أخذ محمود شكري العلم عن أبيه، وتأثر به في حسن السمات، وصفاء الطوية، وحب الأدب والعلم، ولما توفي أبوه عام ١٢٩١ هـ؛ كفله عمه العلامة نعمان خير الدين الألوسي الذي سبق ذكره آنفاً، ثم أخذ العلم من مشايخ بغداد، وجد واجتهد في مواصلة الدرس ومتابعة البحث، وكلف بالتاريخ والسيرة واللغة وزاول الكتابة، له الاطلاع الواسع، والمادة الغزيرة، والتحقيق النادر، والرأي الصائب، وتصدر للتدريس في داره، وفي جامع عادل خاتون، وعين مدرسا رسميا في جامع الحيدرية، ثم في جامع السيد سلطان علي، ثم عين مدرسا في مدرسة مرجان، وجعل رئيس المدرسين، ونفع الله به، وتخرج منها خلق كثير^(٢).

وله نشاط في إحياء الكتب الدينية ونشر مذهب السلف، وله اليد الطولى في إذاعتها ونشرها، وكان يرى أن مذهب السلف هو الوسيلة

(١) انظر: مقدمة "جلاء العينين" للمدني (ص ٢ - ٦).

(٢) ترجمة مؤلف كتاب "غاية الأمان" بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل (ص ٧ - ٨).

الوحيدة لتحرير العقول من رق التعصب الذميمة، ولم يكن يجب الفخر والظهور، وإنما يرمي إلى حصول الغرض من أي طريق، مباشر أو غير مباشر، وكان يحمل على أهل البدع في درسه وفي داره وفي المسجد، ويرد عليهم برسائل، فعاداه كثير من الناس، وسعوا به لدى والي بغداد عبد الوهاب باشا، فكتب عبد الوهاب إلى مرجعه السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، فصدر الأمر بنفيه إلى بلاد الأناضول، فلما وصل إلى الموصل في سنة ١٣٢٥ هـ، قام أعيانها، فمنعوه من تجاوزها، وكتبوا للسلطان يحتجون، فسمح له بالعودة إلى بغداد، فعاد إليها، وقد اتصل بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في نجد عام ١٣٣٣ هـ، وبحث مع الملك بعض الشئون، ثم عاد مكرماً محترماً، ولما كان في سنة ١٣٤٢ هـ، توفي في العراق رحمه الله^(١).

ولأصالتهم في عقيدة السلف الصالح؛ فإننا نجد عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية لديهم يحكيها العلامة أبو المعالي محمود شكري الألوسي في مؤلفه "تاريخ نجد"؛ فقد قال رحمه الله:

"اعلم أن أهل نجد كلهم مسلمون مؤحدون، بل وجميع سكنة جزيرة العرب، وقد دخلوا في الإسلام في العصر الأول عند ظهور أنوار الشريعة الغراء، وهم على عقائد السلف الصالح".

ثم ذكر اعتقادهم في الله تعالى، وذكر اعتقادهم في الرسول ﷺ واعتقادهم في الآل والأصحاب، إلى أن قال:

(١) انظر: ترجمته في كتاب "غاية الأمان" بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل (ص ١٠ -

"والحاصل أن مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة الجماعة، وأن طريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم، بل الأحكم".
ثم ذكر: "وأهم في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه، ولا ينكرون على من قلد أحدا من الأئمة الأربعة، دون غيرهم؛ لعدم ضبط مذهب الغير، كالشيعة، والزيدية، والكرامية، ونحوهم...." إلى آخر ما حكاه في هذا الموضوع.

إلى أن قال:

"وأما ما يكذب عليهم سترا للحق وتلييسا على الخلق؛ بأنهم يفسرون القرآن برأيهم، ويأخذون من الحديث ما وافق فهمهم من دون مراجعة شرح ولا معول على شيخ، وأنهم يضعون من رتبة النبي ﷺ وأنه ليس له شفاعة، وأن زيارته غير مندوبة، وأنهم لا يعتمدون أقوال العلماء، وأنهم يتلفون مؤلفات أهل المذاهب؛ لكون الحق والباطل فيها، وأنهم مجسمة، وأنهم يكفرون الناس على الإطلاق من بعد الست مئة إلى هذا الزمان؛ إلا من كان على ما هم عليه، وأنهم لا يقبلون بيعة أحد؛ إلا إذا أقر عليه أنه كان مشركا، وأن أبويه ماتا على الشرك بالله، وأنهم ينهون عن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنهم يجرمون زيارة القبور المشروعة مطلقا، وأنهم لا يرون حقا لأهل البيت، وأنهم يجبرونهم على تزويج غير الكفاء لهم... إلى غير ذلك من الافتراءات؛ فكل ذلك زور عليهم وبهتان وكذب محض من خصومهم أهل البدع والضلال، بل أقوالهم وأفعالهم وكتبهم

على خلاف ذلك كله، فمن روى عنهم شيئاً من ذلك أو نسبته إليهم؛ فقد كذب عليهم وافتري، ومن شاهد حالهم وحضر مجالسهم وتحقق ما عندهم؛ علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه عليهم وافتراه أعداء الدين وإخوان الشياطين؛ تنفيراً للناس عن الإذعان لإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله على أنه لا يغفره، وأنه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء؛ فإنهم يعتقدون أن من فعل أنواعاً من الكبائر، كالقتل للمسلم بغير حق، والزنى، والربا، وشرب الخمر، وتكرر منه ذلك؛ لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الإسلام، ولا يخلد في دار الانتقام إذا مات موحداً لله تعالى في جميع أنواع العبادة... والذي اعتقدوه في رتبة النبي ﷺ أن رتبته أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره حياة مستقرة، أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل؛ إذ هو ﷺ أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام من يسلم عليه، وأنه تسن زيارته؛ غير أن لا تشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة؛ فلا بأس، ومن أنفق أنفوس أوقاته بالصلاة عليه الواردة عنه؛ فقد فاز بسعادة الدارين، وكفي همه وغمه؛ كما جاء في الحديث، وأنهم لا ينكرون كرامات الأولياء، ويعترفون لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية؛ غير أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادة؛ لا حال الحياة ولا بعد الممات، بل يطلبون من أحدهم الدعاء في حال الحياة، بل ومن كل مسلم، فقد جاء في الحديث: ﴿ دعاء المرء مستجاب لأخيه ﴾ ويشتون الشفاعة

للنبي ﷺ يوم القيامة حيثما ورد، وكذا سائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حيثما ورد أيضا، ويسألونها من الله تعالى المالك لها والآذان فيها لمن شاء من الموحدون الذين هم أسعد الناس بها كما ورد، فإنهم يقولون متضرعين إلى الله تعالى: اللهم شفّع نبينا محمدا ﷺ فينا يوم القيامة أو عبادك الصالحين أو ملائكتك ونحو ذلك، ولا يلزم أن يكونوا مجسمة، وإن قالوا بالجهة، كما ورد الحديث بها، ويقولون فيمن مات: تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عما كانوا يعملون، ولا يقولون بكفر من صحت ديانته واشتهر صلاحه وعلمه وورعه وزهده وحسنت سيرته وبالغ في نصح الأمة، وإن كان مخطئا في هذه المسألة أو غيرها، كابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله، فإنهم يعلمون كلامه في "الدر المنظم"، ولا ينكرون سعة علمه، ولهذا يعتبرون ما بقي من كتبه ك"شرح الأربعين" و"الزواجر" وغيرها، ويعتمدون على نقله.

هذا ما هم عليه، وقد كتبوا في ذلك عدة رسائل، خاطبوا بها من له عقل وعلم، وهو متصف بالإنصاف، خال من الميل إلى التعصب والاعتساف، ينظر ما يقال لا إلى من قال.

وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته، سواء كان حقا أو غير حق، مقلدا، فهو ممن قال: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)، عادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق، فلا يخاطب هذا وأمثاله، فجنود التوحيد بحمد الله منصور، وراياتهم بالسعد والإقبال منشورة.

وما كتبناه في هذا الحاصل هو مضمون رسالة كتبها أحد فضلاء علماء نجد، وهو الشيخ عبد الله ابن العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليهم الرحمة، وقد قرئت عند دخول الأمير سعود بن عبد العزيز في الحرمين الشريفين بمحضر علماء المذاهب الأربعة، وبمسمع منهم، فمن الواجب على طالب معرفة الحق وإدراك الحقائق أن لا يبادر بالإنكار قبل التبصر، ولا يحكم على شيء قبل الوقوف على حقيقة الحال؛ فالخطأ في ذلك عظيم. فلا تحكم بأول ما تراه فأول طالع فجر كذوب

والقصد بما ذكرناه التنبيه على خطأ من نسب إلى القوم ما هم بريئون منه مما يخل بالديانة، حتى أساء الظن بقسم عظيم من الأمة العربية، وانطوى على بغضهم الذي هو من أعظم أسباب النفاق.

وغالب من أشاع ذلك هم أهل البدع والأهواء، الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، وكذبوا بأقوالهم وأفعالهم على الدين المبين، الذي هو بعيد عنهم بمراحل، وهم الدجالون الجالبون على الإسلام كل عار، وإلا، فأهل الإيمان هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه".

ثم ذكر مناظرة جرت بين عراقي ونجدي تحريرا، فقال: "هذه مناظرة اتفقت بين عالم عراقي من سكنة بغداد وبين فاضل كامل وعالم عامل من علماء نجد، كتب بها العراقي إلى العالم النجدي، فأجاب عنها بما سيأتي، ولكونها تزيد الحق وضوحا، والواقع بيانا، أدرجناها على سبيل التلخيص والاختصار، ليتجلى بها الحق المستور، ويرد بها الباطل المشهور، رجاء الفوز بثواب ذلك إن شاء الله تعالى".

ثم ذكرها، ويقصد بالعراقي داود بن سليمان بن جرجيس صاحب "التلبيس"، والذي زار عنيزة، واتصل بالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في اثني عشر ستين ومئتين وألف، وحصلت منه تشبيهات، لينصر دعواه أن وقوع الشرك في الأمة المحمدية مستحيل، ويزعم أن دعاء غير الله طلبا للزلفى عند الله ليس شركا، ثم رد عليها الشيخ عبد الله المذكور بكتاب طبع سنة ١٣٤٤ هـ بمطبعة الحلبي بعنوان: "كتاب تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس"، استوفى مئة وعشرين صفحة، ثم طبع ملخصا بعنوان "الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين"، عني بنشره الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ، وكان طبعه بالمطبعة السلفية بالقاهرة، واستوفى تسعا وثلاثين صفحة، وقد رد عليه أيضا شيخ المسلمين ومفتي ديار نجد الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ، وكذلك ابنه الشيخ عبد اللطيف رد على داود هذا بمؤلف اسمه: "منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس".

والألوسي يعني بالعالم النجدي الشيخ عبد اللطيف؛ فإن من مؤلفاته تتمة لـ "منهاج التأسيس" الذي ألفه الشيخ عبد اللطيف، وقد لخصها الشيخ الألوسي على شكل مناظرة، فيقول: "قال السائل العراقي"، ثم يورد قوله، وبعد نهايته يقول: "قال العالم النجدي"، ثم يورد جوابه وبيانه، حتى أتى على شبهات الخصوم أعداء التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ثم ذكر الألوسي طرفا من معتقد المغالين في

القبور والصالحين، وحقيقة ما هم عليه من الدين المخالف لدين المرسلين،
ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن إن كان الواقف ممن اختصه الله
بالفضل والمن؛ لئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم: تشفعا وتوسلا
واستظهارا، مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق، ثم
أخذ يبين ذلك.

ولما انتهى من البيان؛ أخذ يقص شيئا من سيرة الشيخ محمد ابن عبد
الوهاب، ويذكر طرفا من أخباره وأحواله؛ ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره؛ فلا
يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان وأغواه وبالغ في كفره واستهواه.
ثم مضى في ذلك يقرر الحق، ويبين الرشد، ويقارن أقوال الشيخ بأقوال
من سلف من علماء المسلمين وأئمتهم المهديين، ونقل عبارة أبي الحسن
الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" في نقله جملة ما
عليه أصحاب الحديث وأهل السنة إلى نهايتها، وهي قوله:
"فهذه جملة ما يأمر به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم
نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل"، وانتهى
الألوسي من بحثه هذه المسألة عند ذلك^(١).

هذا وللألوسي رحمه الله مؤلف جيد في نقض شبه المخالفين للرسول
والسالكين غير منهج السلف الصالح من المسلمين والمؤمنين،

(١) انظر: "تاريخ نجد" للألوسي (ص ٤٠ - ٨٧).

هذا المؤلف هو "غاية الأمان في الرد على النبهاني"، وكان قد ألفه ولم يصرح بذكر اسمه عليه، ولكنه كنى عنه بأبي المعالي الحسيني، وزاد عليها: السلامي الشافعي، لئلا يتضح اسمه، خوفا على نفسه.

ويقول محمد رشيد رضا في تقريره: "غاية الأمان في الرد على النبهاني" كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الأعلام، المكنى بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي، رد فيها ما جاء به النبهاني في كتابه "شواهد الحق" من الجهالات والنقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى، وما تعدى به طوره في سب أئمة العلم وأنصار السنة؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية...".

إلى أن قال: "وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية، في التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، والأدب، وما انفرد به بعض المشاهير فأنكره العلماء عليه؛ كالإنكار على الغزالي وابن عربي الحاتمي وغيرهما... فعلى هذا الكتاب نخيل الذين يكتبون إلينا في الشرق والغرب، يسألوننا أن نرد على النبهاني، وكذا من اغتروا بقوله ونقوله، وظنوا أن قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها: إنه لا يوثق بعمله ولا نقله: هو من قبيل السب، وحاشا لله، ما هو إلا ما نعتقد فيه وفي كتبه، بعد النظر في بعضها، وروية ما فيها من الأحاديث الموضوعية، والنقول المكذوبة، والاستنباطات الباطلة، ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهدا، وهو ينكر

الاجتهاد، ويعترف بأنه ليس أهلاً له"^(١) انتهى كلام صاحب "المنار".
ولتأليفه هذا الكتاب دون أن يصرح باسمه عليه قصة ذكرها الشيخ
محمد السبيل في ترجمته للألوسي، فقال:
"عندما عزمت على كتابة هذه الترجمة؛ اتصلت بالعالم السلفي الشيخ
محمد نصيف بجدة، والذي كان له مساهمة فعالة في سبب تأليف الكتاب
وطبعته الأولى؛ فأفاد بما ملخصه: أنه عندما ظهر كتاب النبهاني المسمى
"شواهد الحق"، وقرأه الشيخ محمد نصيف، ورأى ما فيه من التلفيق
والتحريف الواهية، وتهجمه على المحققين من علماء السلف، وتجويزه دعاء
الأموات والاستغاثة بهم وغير ذلك مما يخالف صريح الكتاب وصحيح
السنة، عندما قرأه كتب للعالم العلامة الشيخ محمود شكري الألوسي،
يطلب منه أن يقوم بالرد على النبهاني، ويدحض أباطيله، وينتصر للحق
وأهله، فلم يمض سنة، إلا وقد جاء الرد المسمى "غاية الأمانى في الرد على
النبهاني" للشيخ محمود الألوسي، واتفق الشيخ محمد نصيف والشيخ عبد
القادر التلمساني (من تجار جدة المحسنين والعلماء السلفيين) على أن يقوموا
بطبعه وتكاليف الطبع بينهما نصفين، وكان الشيخ التلمساني آنذاك في
مصر، فاتفقا أن يقوم بطبعه فرج زكي الكردي بمطبعته في مصر، فقام بطبعته
الأولى، وقد وضع المؤلف على طرة الكتاب: "تأليف أبي

(١) (المنار ١٢، ص ٧٨٥) نقلاً عن ترجمة مؤلف كتاب "غاية الأمانى في الرد على النبهاني"
بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل في نفس الكتاب (ج ١، ص ٩ - ١٠).

المعالي الحسيني"، إشارة إلى كنيته ونسبه الحسيني، وزاد عليها السلامي الشافعي؛ لئلا يتضح اسمه خوفا على نفسه، وذلك أن العلماء السلفيين في ذلك العصر يخافون على أنفسهم في معارضة أهل البدع والخرافيين كالنبهاني وغيره، والسبب في ذلك أن السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية قد قرب المشايخ من أهل الطرق من الصوفية أنصار البدع، فلذلك خاف السيد محمود شكري الألووسي من إظهار اسمه على طرة الكتاب، وكذلك صاحب المطبعة فرج الله زكي خاف على نفسه، ولم يذكر اسمه إلا رمزا (ف ج ز) ولا اسم مطبعته، ولا البلد التي فيها المطبعة، وكذلك الشيخ عبد القادر التلمساني والشيخ نصيف خافا على أنفسهما من نفس العلة؛ لأن السلطان عبد الحميد في ذلك الوقت له النفوذ في بغداد ومصر والحجاز، وهي البلدان التي فيها المؤلف والطابع والمطبعة، ولهذا المضايقات والخوف عندما تم طبع الكتاب لم يتمكنوا من توزيعه إلا عندما أخذت حكومة إسطنبول بالقوانين الوضعية الأوروبية، وأعلنت الدستور، وكان الدستور يقضي بحرية العقائد والأديان، فعند ذلك أرسلت حصة الشيخ محمد نصيف من الكتاب إليه في الحجاز، ووزعها، ووضع على كل نسخة وزعها اسم المؤلف بخط يده، وكذلك الشيخ عبد القادر وزع نسخته في مصر وغيرها، ثم إن الشيخ محمد نصيف عندما لم يخف من جراء إظهار الكتاب، أعلن في جرائد بيروت في ذلك الحين أن لديه كتابا في الرد على النبهاني للشيخ الألووسي اسمه "غاية الأمان في الرد على النبهاني"، ثم انبرى بعض

تلامذة النبهاني، وأعلن عن الرد، وحاول أن يحط من قدر الكتاب، ولكن كما قيل:

وقل للعيون الرمذ للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع^(١)

وله مؤلفات كثيرة منها غير ما تقدم في خدمة السنة:

١- "الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رأيته الصغرى"، ألفه ردا على النبهاني لما شن الغارة في سب شيخ الإسلام ابن تيمية ورشيد رضا وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٢- "فتح المنان تنمة منهاج التأسيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ".

٣- "فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب"، طبع بعنوان "مسائل الجاهلية"^(٢).

وهذا في بغداد أحمد بن سعيد البغدادي، قال في كتابه "نديم الأديب"، كما نقله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فقال:

إليك أيها القارئ نص كلام أحمد سعيد منقولا بتمامه من كتاب "نديم الأديب" (ص ١١): وأما حقيقة هذه الطائفة؛ فإنها حنبلية

(١) ترجمة مؤلف كتاب "غاية الأمانى" في نفس الكتاب (ج ١، ص ٨ - ٩).

(٢) انظر: ترجمة مؤلف كتاب "غاية الأمانى في الرد على النبهاني" في أول الكتاب المذكور بقلم محمد بن عبد الله السبيل (ص ١٠ - ١١)، و "معجم المؤلفين العراقيين" تأليف كوكيس عواد (ص ٢٧٤ - ٢٧٥).

المذهب، وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف، وفيه تناقض كلي لمن اطلع عليه بتأمل؛ لأن غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الإفرنجية، فإن كان المؤرخ المنقول عنه صاحب دراية وصادق الرواية، تجد أن من يترجم كتابه يجعل الترجمة على قدر اللفظ، فيضيع مزية الأصل، وإن كان المؤرخ غير صادق الرواية، فمن باب أولى، ومنهم من يقول: إن هذه الطائفة تنهى عن وصف النبي عليه الصلاة والسلام بأوصاف المدح والتعظيم، ويقول: إنها تؤمن بقدم القرآن، وبهذا يظهر بدهية التناقض؛ لأن من يؤمن بقدم القرآن يؤمن بما فيه، وفي القرآن الشريف مدح النبي عليه الصلاة والسلام؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

وآيات غير هذه كثيرة.

أما ما نهي عنه محمد بن عبد الوهاب؛ إنما هو الوصف بأوصاف الألوهية؛ كالقدرة، والإرادة، وعلم الغيب؛ كما وصف النصارى عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام؛ فقد قال عليه

(١) سورة القلم آية : ٤ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٦ .

الصلاة والسلام: ﴿اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد﴾^(١).

ومن أراد أن يعرف جليا اعتقاد هذه الطائفة؛ فليطالع كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فإنه مذهبهم. وأما سبب حرب صاحب مصر لهذه الطائفة؛ فقد ذكره المؤرخ الشهير الموسيو سيديو الفرنساوي، وكلامه هذا محذوف من ترجمة كتابه التي أمر بها المرحوم علي باشا مبارك، وخلاصة معناه هي أن إنكلترا وفرنسا حين علمتا بقيام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود وبانضمام جميع العرب إليهما؛ لأن قيامهما كان لإحياء كلمة الدين؛ خافتا أن ينتبه المسلمون، فينضموا إليهما، وتذهب عنهم غفلتهم، ويعود الإسلام كما كان في أيام عمر رضي الله عنه فيترب على ذلك حروب دينية وفتوحات إسلامية ترجع أوربا منها في خسران عظيم، فحرضتا الدولة العلية على حربهم، وهي فوضت ذلك إلى محمد علي باشا، وحصل ما حصل (ولكل أجل كتاب).

وهذه الطائفة بريئة مما ينسب إليها الجاهلون، ومن سبها يَأْتَم، والله أعلم بغيه وأحكم.

انتهى ما كتبه المذكور في كتابه "نديم الأديب" بكماله^(٢).

أثرها في فارس والهند

وإذا تجاوزنا العراق وعرجنا على فارس في طريقنا إلى الهند؛

(١) مسند أحمد (٢/٢٤٦)، وموطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٤١٦).

(٢) انظر: حاشية كتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب" بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي (رقم

١، ص ٩٧).

فإننا نجد في لنجة - بلد من البلدان الفارسية - الشيخ ملا عمران بن علي بن رضوان يرد على بعض قصائد الملحدين المعادين للشيخ، ويثني خلال ذلك على الشيخ بقصيدة هذا مطلعها:

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدي في سب دين الهاشمي محمد

إلى أن قال:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة
تاجا وشمسانا ومن ضاهاهما
يرجون منهم قربة وشفاة
ورأى لعباد القبور تقربا
ما أنكر القراء والأشياخ ما
بل جوزوه وشاركوا في أكله
فأتاهم الشيخ المشار إليه
يـدعوهم لله أن لا يعبدوا
لا يشركوا ملكا ولا من مرسل
فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا
ما قاله آباؤنا أيضا ولا
إنا وجدنا جملة الآبا على
فالشيخ لما أن رأى ذا الشأن من

يدعون أصحاب القبور الهمد
من قبة أو تربة أو مشهد
ويؤملون كذاك آخذا باليد
بالنذر والذبح الشنيع المفسد
شهدوا من الفعل الذي لم يحمده
من كان يذبح للقبور ويفتدي
بالنصح المبين وبالكلام الجيد
إلا المهيمن ذا الجلال السرمد
كلا ولا من صالح أو سيد
إلا عجيب عندنا لم يعهد
أجدادنا أهل الحجى والسؤدد
هذا فنحن بما وجدنا نفتدي
أهل الزمان اشتد غير مقلد

إلى أن قال:

لو أنصتوا لرأوا له فضلا على

ودعوا له بالخير بعد مماته
لكنهم قد عاندوا وتكبروا
ورموه بالبهتان والإفك الذي
كمقالمهم هو للمتابع قاطع
حاشا وكلا ليس هذا شأنه
ليكافئوه على وفاق المرشد
ومشوا على منهج قوم حسد
هم يعملون به ومنهم بيتدي
بدخول جنات وحوار خرد
بل إنه يرجو بها لموحد

إلى أن قال:

قالوا له يا كافرا يا فاجرا
قالت قريش قبلهم للمصطفى
ما ضره قول العداة الحسد
ذا ساحر ذا كاهن ذا معتدي

إلى أن قال:

هل قال إلا وحدوا رب السما
وتمسكوا بالسنة البيضاء ولا
هذا الذي جعلوه غشا وهو قد
من عهد آدم ثم نوح هكذا
وكذلك الخلفاء بعد نبيهم
منهاجهم هذا عليه تمسكوا
وذروا عبادة ما سوى المتفرد
تتنطعوا بزيادة وتتردد
بعنت به الرسل الكرام لمن هدي
تترى إلى عهد النبي محمد
والتابعون وكل حبر مهتدي
من كان مستننا بهم فليقتد

إلى آخر القصيدة، وهي طويلة مفيدة^(١).

(١) انظر: كتاب "كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام" تأليف الشيخ سليمان بن سحمان (ص ١٣٨ - ١٤٣)، و "كتاب الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد" تأليف الشيخ سليمان بن سحمان (ص ٥٨ - ٦٢)، وانظر: "كتاب الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ" تأليف عبد الله بن سعد الرويشد (ج ٢، ص ٣٥٧ - ٣٥٩)، وانظر: "كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب" تأليف أحمد ابن حجر آل بوطامي (ص ٨٠ - ٨٧).

وقد أوردت في أول هذا الباب للشيخ ملا عمران هذا أبياتا سبعة من قصيدة له أخرى مطلعها:

إن كان تابع أحمد متوهبا فأنا المقرب بأني وهابي^(١)

ومن فارس إلى الهند، فوجد علماء السنة في الهند قد بلغهم ما يقوله دحلان وأمثاله في الشيخ، فبحثوا وتثبتوا وتبينوا كما أمر الله تعالى، وكما هو منهج أهل السنة والجماعة من سلفنا الصالح، فظهر لهم أن الطاعنين في الشيخ مفترون لا أمانة لهم، فأثنى عليه فحولهم في عصره وبعد عصره، وعدوه من أئمة المصلحين المجددين للإسلام، ومن فقهاء الحديث؛ كما نراه في كتبهم، وكما قال محمد رشيد رضا^(٢).

ومن هذه الكتب كتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان"، تأليف العلامة الكبير المحدث الفقيه النحرير محمد بشير السهسواني الهندي. يقول عنه مؤلف كتاب "الياقوت والمرجان في ذكر علماء سهسوان" ما ملخصه: "كان من المجددين، وأحد المحققين المتأخرين، ولد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وتعلم في

(١) انظر: (١١٨ / ٢).

(٢) مقدمة محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية من "صيانة الإنسان..." (ص ١٤) من الطبعة الخامسة عام ١٣٩٥ هـ.

لكنو، ثم ذهب إلى دهلي، فأخذ عن سيد نذير حسين كتب الصحاح والسنن الستة وغيرها سمعا وقراءة، واستجاز من الشيخ حسن بن محسن الأنصاري اليمني والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي نزيل مكة والشيخ محمد السهارنبوي المهاجر بمكة.

وبعد فراغه من الطلب اشتغل بالتدريس، وكان وحيد عصره في سعة المعلومات والاطلاع على مذاهب السلف، يصرف أكثر أوقاته في التدريس والتصنيف والوعظ والإرشاد، وله من المؤلفات "إتمام الحجة على من أوجب الزيارة كالحجة"، وكان الشيخ محمد بشير على جانب عظيم من الورع والتقوى والعبادة وقيام الليل، وكان يغلب عليه في وعظه رقة القلب والخشية حتى تدمع عيناه، وفي ٥ المحرم سنة ١٢٩٥ هـ استدعاه النواب صديق حسن خان بهادر من آكره إلى بهوبال، وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال، وقد أقر له أهل الهند كافة بقوة الاجتهاد والفضيلة العلمية واعترفوا له بها.

تناظر الشيخ محمد بشير والشيخ أحمد دحلان مفتي مكة في مسألة التوحيد، فكتب الشيخ ردا عليه كتابه المسمى "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان"، واشتهر الكتاب، وطبعه علماء نجد، ولم يرد عليه أحد من المخالفين.

وناظر مرزا غلام أحمد القادياني في دهلي بأمر بيكم بهوبال زوجة صديق حسن خان، حتى انقطع القادياني عن المناظرة.

وتوفي رحمه الله سنة ١٣٢٦ هـ عن عمر بلغ أربعاً وسبعين

سنة^(١).

وفي مقدمة كتابه "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان"، قال الشيخ محمد بشير بعد البسملة والحمد له والثناء على الله والشهادتين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

"أما بعد؛ فإني وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ أحمد بن زيني دحلان، أنقذه الله من دحلان الخذلان، وسماها "الدرر السنية في الرد على الوهابية"، ورأيت مؤلفها يدعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية أنه جمع فيها ما تمسك به أهل السنة في زيارة النبي ﷺ والتوسل به من الدلائل والحجج القوية من الآيات والأحاديث النبوية؛ فتعجبت منه التعجب الصراح، كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلا عن الصراح؟! فتأملت فيها تأمل الناقد البصير، لكي أعلم أنه هل صدق في تلك الدعوى أم كَذَبَ كَذِبَ المجادل الضرير، فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين، محلاة بجلية الزور والكذب الباطل المهين؛ فإنه ليس فيها من الأحاديث إلا ما أورده التقي السبكي في "شفاء الأسقام"، وهي دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام: إما موضوعة عملتها أيدي الوضع اللئام، أو ضعاف واهية رواها من وسم بمثل كثرة الغلط والأوهام، أو شيء يسير من الصحيح والحسن في زعمه قاصر عن إفادة المرام؛ كما بين ذلك كله الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في

(١) انظر: ترجمته في أول كتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص ١٨ - ٢٣).

"الصارم المنكي"، وليس فيها من الآيات والأحاديث الصحاح والحسان ما يدل على المطلوب المحكي.

وكان حقا على المؤلف تعاطي واحد مما يذكر؛ لئلا يعد كلامه مما يهجر وينكر، إما إيراد لأحاديث صحيحة أو حسنة دالة على المطلوب غير ما أورد في "الشفاء"، أو الإجابة عما تكلم به عليها صاحب "الصارم" وغيره من الأئمة الأذكياء، وإن لم يفعل هذا ولا ذاك؛ فليس لها فائدة، ولا يقول هذا الطول إلى منفعة وعائدة.

ومن عجائب صنيعه أن المؤلف مع زعمه أنه من جملة المقلدين يستدل بالأدلة الشرعية، وهو منصب المجتهدين.

فعنَّ لي أن أنبه على ما وقع فيه من مساوئ المفاهيم، وزخارف الأقوال، وأراجيف الاستدلال؛ لئلا يغتر بها من يقف عليها ممن لا خبرة له بحقائق علم السنة من المتون والرجال^(١).

ثم صار يورد جملة من كلامه، وبعدها يقوم بردها وبيان زيفها، ولقد انتصر الشيخ المظلوم، وذب عن عرضه، ونصر التوحيد بحجته ومنطقه، وآزر الحق بدلائل القرآن والسنة، وكل ذلك بأسلوب العالم المنصف.

قال عنه محمد رشيد رضا: "ومن فضائل هذا الكتاب ومؤلفه: علو أدبه في عباراته، وتحاميه المبالغة في ذم المذموم ومدح الممدوح؛ فهو لا يطري الإمام المحدد الذي يدافع عنه، ولا يهجو المتجرم الذي

(١) "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص ٢٥ - ٢٦).

يرد عليه هجوا شعريا يدخل في مفهوم السباب المذموم، وإن كان جزءا وفاقا، ومقابلة للسيئة بمثله؛ فتراه يقول في كل فرية من مفترياته على الشيخ نفسه أو نقوله غير المسندة: هذا قول لم تصح به رواية؛ فليأتنا بروايته، وما قيل في تعديل روايتها؛ لنجيب عنها. وجملة ما يقال في هذا الكتاب أنه ليس ردا على الشيخ دحلان وحده، ولا على من احتج بما نقله عنهم من الفقهاء مما لا حجة فيه، كالشيخ تقي الدين السبكي والشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي، بل رد على جميع القبوريين والمبتدعين، حتى الذين جاءوا بعده إلى زماننا هذا^(١).

وفيما يلي أسوق مثالا من كلامه الذي ينصر به الحق، وهو قوله حين يرد على دحلان في افتراءه على الشيخ أنه يكفر الأمة إلا من وافقه.

قال الشيخ السهسواني: "وأما قوله: "فسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها، وقاتلها على ذلك جملة؛ إلا من وافقه على قوله؛ فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب، ووقاحة تامة، وفي الحديث: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح؛ فاصنع ما شئت، وصريح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع الأمة من المبعث النبوي^(٢) إلى قيام الساعة؛ إلا من وافقه على قوله الذي اختص به،

(١) مقدمة محمد رشيد رضا لكتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص ١٦ - ١٧).

(٢) قال محمد رشيد رضا في تعليقه: "وزعم غير هذا المعترض أنه كفر الأمة منذ مئات من السنين، لا من أولها كما اقتضاه إطلاقه، بل منذ فشا فيها تشييد القبور، وبناء المساجد عليها، والطواف بها، ودعاء الموتى، فإن هذا لم يكن في القرون الأولى، ولكن الحق الواقع أن الشيخ لم يكفر الأمة كلها في زمنه، فضلا عما قبله، وإنما كفر من أشرك بالله بغير عذر الجهل، وهو كما قال".

وهل يتصور هذا عاقل عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا إليه؟! بل أهل البدع كالتدرية والجهمية والرافضة والخوارج لا يكفرون جميع من خالفهم، بل لهم أقوال وتفصيل يعرفها أهل العلم.

والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة، ولا عن أهل السنة والجماعة منهم، وجميع أقواله في هذا الباب (أعني: ما دعا إليه من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العمل والعبادات) مجمع عليه عند المسلمين، لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم وعدل عن مناهجهم؛ كالجهمية، والمعتزلة، وغلاة عباد القبور، بل قوله مما اجتمعت عليه الرسل، واتفقت عليه الكتب؛ كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما جاءوا به وتصوره، ولا يكفر إلا على هذا الأصل، بعد قيام الحجة المعتبرة؛ فهو في ذلك على صراط مستقيم، متبع لا مبتدع، وهذا كتاب الله وسنة رسوله وكلام أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف ومشهور، مقرر في محله في حكم من عدل بالله وأشرك به، وتقسيمهم الشرك إلى أكبر وأصغر، والحكم على المشرك الأكبر بالكفر مشهور عند الأمة، لا يكابر فيه إلا جاهل لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل.

وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم، وحكى الإجماع عليها، وأنها من ضروريات الإسلام، كما ذكره تقي الدين بن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن عقيل، وصاحب "الفتاوى البزازية"، وصنع الله الحلبي، والمقرئزي، والشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وغيرهم من أهل العلم^(١)(٢).

ويظهر من مطالعة كتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" أن مؤلفه الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي قد وصلته رسائل كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واطلع على كثير من مؤلفاته ومؤلفات من بعده؛ فهو ينقل عن الشيخ نفسه من كتبه ورسائله، وينقل عن المؤرخ ابن غنم من تاريخه "روضة الأفهام"، وينقل عن ابن الشيخ عبد الله، وينقل عن حفيد ابنه الشيخ عبد اللطيف^(٣).

ولا نغفل ذكر العلامة النواب أمير بهوبال صديق حسن خان، الذي أحيا بمصنفاته السنة، وانتشرت بسببه علومها، المولود سنة ١٢٤٨ هـ، ولما شبَّ، تلقى العلم عن شيوخ جهابذة، كالشيخ أحمد ابن عبد الرحيم المدعو بشاه ولي الله المحدث الدهلوي، والشيخ

(١) قال محمد رشيد رضا: "يعني أن هؤلاء وأمثالهم صرحوا بأن ما عليه كثير من المسلمين الجاهلين من عبادة القبور ودعاء الموتى شرك جلي، وأما أصل المسألة، فقد أجمع عليها الفقهاء قبلهم".

(٢) "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص ٤٢٦ - ٤٢٧).

(٣) انظر مثلاً: "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (٤٠٨ - ٤٢٢)، وص ٤٢٣ - ٤٣١، وص ٤٦٤ - ٤٨٧).

حسين بن محسن السبعي الأنصاري اليمني تلميذ الشريف محمد بن ناصر الحازمي تلميذ الإمام الشوكاني، والشيخ عبد الحق بن فضل الهندي تلميذ الإمام الشوكاني أيضا^(١).

وهو الذي استدعى الشيخ بشير السهسواني صاحب كتاب "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" سنة ١٢٩٥ هـ من آكره إلى بهوبال، وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال^(٢) وكان معجبا بالإمام الشوكاني، ومحصلا لمؤلفاته.

وله كتاب "الدين الخالص" في التوحيد والتحذير من ضده. وجرت من بعض مشايخ الدعوة له مكاتبات؛ كالشيخ حمد بن عتيق، فقد أرسل إليه الشيخ حمد رسالة أولها بعد البسملة: "من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم والشريف المقدم محمد الملقب صديق، زاده الله من التحقيق....". وذكر الشيخ حمد أنه وصله تفسيره، وأثنى عليه، وبين له أموراً لاحظها، وهي بسيطة بجانب ما أحسن فيه من تفسيره^(٣) ورحل إليه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وأخذ عنه في الهند وعن غيره^(٤).

كما ارتحل الشيخ إسحاق ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن

(١) ترجمة صديق حسن خان في أول مؤلفه: "الدين الخالص" (ج ١، ص ز - ح).

(٢) "صيانة الإنسان...." (ص ٢٠، الطبعة الخامسة عام ١٣٩٥ هـ).

(٣) "الدرر السنية" (ج ١٠، ص ١١).

(٤) "الدرر السنية" (ج ١٢، ص ٩٣).

الشيخ إلى بهوبال، وأخذ عن الشيخ محمد بشير السهسواني والشيخ حسين بن محسن الأنصاري شيخ صديق حسن خان^(١) وغيرهما في مدرسة بهوبال السلفية تحت رعاية عالمها صديق حسن خان رحمه الله تعالى، وكذلك الشيخ سعد ابن الشيخ حمد عتيق، رحل إليهم لطلب العلم، ولما سأله عن معتقد مشايخه من أهل بلده، أجابهم، سنة ١٣٠٢ هـ، وكتب لهم في ذلك^(٢).

ومن ألف في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته من كلية ندوة العلماء بالهند: الأستاذ مسعود الندوي، وهو من الأحناف في أول أمره، وتعلم على الدكتور محمد تقي الدين الهلالي من أول سنة ١٣٤٩ هـ إلى سنة ١٣٥٢ هـ في الهند، ثم في بغداد بعد ذلك التاريخ أقام عند الدكتور الهلالي مدة سنة وبصحة الأستاذ عاصم الحداد، وكان أحد رؤساء الجماعة الإسلامية التي يرأسها الأستاذ المودودي، فسجن معه في الباكستان، وبقي سنين في السجن، فلم يجد سيلا إلى التأليف، فعكف على "نيل الأوطار" للشوكاني، فتبين له أن التعصب للمذهب الحنفي من غير حجة لا يرضاه الله ولا يرضاه السلف الصالح، ومنهم الإمام أبو حنيفة نفسه، فرجع عن التعصب، والتزم أتباع الكتاب والسنة^(٣).

(١) "الدرر السنية" (ج ١٢، ص ٨٠).

(٢) طبع تحت عنوان "عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية" انظر المقدمة (ص ٣).

(٣) انظر: مقدمة الدكتور تقي الدين الهلالي على كتاب "محمد بن عبد الوهاب" لمسعود الندوي

(ص ٧ - ٨).

وقد ألف هذا الأستاذ كتابا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما ذكرنا، وعنوانه: "محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه"، باللغة الأردنية، وترجمه منها إلى اللغة العربية الأستاذ عبد العليم بن عبد العظيم البستوي، وقدم له الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، فقال فيه: "وإذا كان الفضل في إخراج هذه الدرة الثمينة يرجع إلى تلميذي مسعود عالم الندوي؛ فإن الفضل في إخراجها من عالم العجمية إلى عالم العربية إلى تلميذي عبد العليم بن عبد العظيم البستوي المتخرج في الجامعة الإسلامية"^(١).

ويقول المترجم - وهو زميلنا عبد العليم بن عبد العظيم البستوي - ما ملخصه: "إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المجددين المجاهدين، ولذا، درست سيرته وتعرفت طريقته في كتب كثيرة ألقت في ذلك، فرأيت كتاب الأستاذ مسعود عالم الندوي رحمه الله يمتاز بأنه ألف لنصرة الحق وأداء الواجب، والتزم الإنصاف فيما ناقشه من قضايا وبحوث، مع الاطلاع على كثير من الكتب حول الشيخ من عربية وأعجمية، وسيجد القارئ في هذا الكتاب سيرة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ودعوته، وأنها سيرة إسلامية ودعوة إسلامية خالصة، وأنها دعوة تحاول أن تعود بالمسلمين إلى الرقي والمجد والازدهار كما كانوا في القرون الأولى، إنها دعوة دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين،

(١) مقدمة الدكتور تقي الدين الهلالي على كتاب "محمد بن عبد الوهاب" لمسعود الندوي (ص

وإن محمد بن عبد الوهاب لم يتدع شيئاً من عنده، ولا خرج عن عقيدة المسلمين التي اتفق عليها أئمة الإسلام كلهم^(١).

وفي الهند جهود مخصصة في خدمة السنة المطهرة، يتحدث عنها زميلنا عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي في كتابه بهذا العنوان الذي نشرته إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية في بنارس بالهند. وحركة الانطلاق الفكري بالهند وجهود الشاه ولي الله الدهلوي وغيرها من نشاطات إسلامية والجامعة السلفية في بنارس بالهند التي أنشئت في سنة ١٣٨٣ هـ تحت إشراف جمعية أهل الحديث الهندية.

وهذه كلها، وإن لم تكن قد أخذت عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية مباشرة، فهي تلتقي معه في عقيدة السلف الصالح على الأغلب، وهذا ما تحرص على أن تؤكد كتاباتهم؛ ففي كتاب بعنوان "حركة الانطلاق الفكري بالهند وجهود الشاه ولي الدهلوي" تأليف محمد إسماعيل السلفي وتعريب مقتدي حسن الأعظمي؛ يقولون:

"إن تسمية ما هم عليه بالوهابية كذب محض وافتراء عظيم، فالمركز الرئيسي للوهابيين الحجاز ونجد"، ويقولون: "إنهم هم الذين أخذوا علم الحديث من الهند، أو استفادوا من العلامة حياة السندي

(١) انظر كتاب: "محمد بن عبد الوهاب" لمسعود الندوي، كلمة المترجم (ص ١١ - ١٢).

والحافظ الشوكاني في الحديث؛ فكأن الوهابيين أيضا قد أخذوا السلفية من الهند أو اليمن والحجاز"^(١).

وكانت تطبع بعض مؤلفات الشيخ بالهند و "تاريخ ابن غنام"، وينتشر هناك ما ينتشر من ذلك، ولهذا أثر كبير في بث الوعي الإسلامي السليم والعقيدة السلفية في الهند.

أثرها في مصر

ونعود من الهند إلى مصر، وما أدراك ما مصر؟!!

إذا تذكرنا الحملة المصرية وما أعقبها من ترحيل من قدروا عليه من آل سعود وآل الشيخ من الدرعية إلى مصر بجرمهم وذرائعهم ومعهم علمهم وعقيدتهم السليمة التي لا تزول وإن زالت الدولة والرواسي، فالعقيدة أمر ثابت يبقى، ولا يزيله حتى الموت ومفارقة الروح الجسد، سيما إذا كانت عقيدة صحيحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومع هذه الحال لا بد وأن يظهر أثر العقيدة، ونلتمس مما كتبه المؤرخ المصري الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ما يبين أثر هذه العقيدة، فنجده ينتقد محمد علي باشا وجميع من شاركه في محاربه، وينتقد احتفالهم الهائل بوصول من قدروا على أسرهم من أنصار العقيدة السلفية وحملتها، ويقول عن احتفالهم:

(١) نقلا عن "مجلة الجامعة السلفية" (صوت الجامعة، السنة السادسة، العدد الأول، شعبان عام

١٣٩٤ هـ، ص ٧٧ - ٧٨).

"وكان ذلك من أغرب الأعمال التي لم يقع نظيرها بأرض مصر وما يقرب من ذلك".

إلى أن قال: "وقد ذهب في هاتين الملعبتين من الأموال ما لا يدخل تحت الحصر، وأهل الاستحقاق يتلظون من الفشل والتفليس، مع ما هم فيه من غلاء الأسعار في كل شيء، وانعدام الأدهان".

إلى أن قال: "وأعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن، فيحجزونه لمطالب الدولة ومطالبهم ودورهم في هذه الولايم والجمعيات"^(١).

وكان قد ذكر زينتهم، ووصف إسرافهم، وألمح إلى أن معظمها كان حيث مساكن الإفرنج والأرمن، فإنهم تقننوا في عمل التصاوير والتمائيل وأشكال السرج وغيرها، وذكر أنها ملاهي وأغاني وتسماعات وقيان وجنك رقاصات"^(٢).

وتظهر العقيدة في مقابلة الباشا المزهو بمرور النصر المؤقت للإمام عبد الله المصاب الصابر، ويحدثنا عن ذلك الجبرتي، فيقول:

"وصل عبد الله الوهابي، فذهبوا به إلى بيت إسماعيل باشا ابن الباشا، فأقام يومه، وذهبوا به في صباحها عند الباشا بشيرا، فلما دخل عليه؛ قام له، وقابله بالبشاشة، وأجلسه بجانبه، وحادثه، وقال له: ما

(١) نقلا عن كتاب "من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي" تلخيص محمد أديب غالب (ص ١٩٤).

(٢) نقلا عن كتاب "من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي" تلخيص محمد أديب غالب (ص ١٩٤).

هذه المطاولة؟ فقال: الحرب سجال. قال: وكيف رأيت إبراهيم باشا؟ قال: ما قصر وبذل همته، ونحن كذلك... حتى كان ما كان قدره المولى. فقال: أنا إن شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان. فقال: المقدر يكون...." (١).

ثم لما قتل الإمام عبد الله شهيدا ومن معه، قال الجبرتي: "فذهبوا مع الشهداء" (٢).

وهذا يعني تأثره بعقيدة السلف الصالح.

وذكر أن ابن الإمام عبد الله هو وخواصه ومن معهم نحو أربع مئة نسمة أسكنوا بدور بالقشلة، ولم يكن على ابن الإمام هو وخواصه حرج، يذهبون ويجيئون، ويترددون على المشايخ وغيرهم، ويمشون في الأسواق، ويشترون البضائع والاحتياجات.

ونجد الجبرتي ينكر بيعهم بعض الأسرى، ويقول: "هم مسلمون أحرار" (٣).

وهذا قدس في أمثالهم؛ فقد باعوا يوسف عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام، ولعل هذا مما دس على الجبرتي؛ إذ الحوادث التي جرت أثناء تلك الحروب مشهورة، وهذا ليس منها في الشهرة.

وما من شك أن مثل هذه الأمور تبين همجية أعداء السلف

(١) نقلا عن كتاب "من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي" تلخيص محمد أديب غالب (ص ١٩٤ - ١٩٥).

(٢) نقلا عن كتاب "من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي" (ص ١٩٧ - ١٩٩).

(٣) نقلا عن كتاب "من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي" تلخيص محمد أديب غالب (ص ١٩٤ - ١٩٥).

الصالح، وبعدهم عن الشريعة الإسلامية، وتبين صفاء العقيدة لدى أصحابها ونقاءها، حتى في الحالات التي قد ذهب عنهم كل شيء، وفسدت دنياهم عليهم، هم لا يزالون مشاعل خير وعلامات رشد تدعو إلى عقيدة السلف الصالح، إن لم يكن بلسان مقالهم وسلطانهم، فبلسان حالهم.

وقد ذكرت قبل قليل كلام أحمد سعيد البغدادي في بحث أثر عقيدة الشيخ السلفية في العراق، ومن كلامه ذلك كلامه عن سبب حرب صاحب مصر لهذه الطائفة، وأنه كما ذكره سيديو الفرنسي، وخلاصته أن إنكلترا وفرنسا حين علمتا بقيام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود وبانضمام جميع العرب إليهما لأن قيامهما كان لإحياء كلمة الدين؛ خافتا أن ينتبه المسلمون، فينضموا إليهما، وتذهب عنهم غفلتهم، ويعود الإسلام كما كان في أيام عمر رضي الله عنه فيترب على ذلك حروب دينية وفتوحات إسلامية ترجع أوروبا منها في خسران عظيم، فحرضتا الدولة العلية على حربهم، وهي فوضت ذلك إلى محمد علي باشا، وحصل ما حصل، (ولكل أجل كتاب)^(١).

ويؤيد ما أفاد به أحمد سعيد الكاتب الأمريكي لوثرروب ستودارد؛ حيث يقول - وبدافع من ولائه للصليبية - عن محمد علي في حملته المشعومة على المسلمين ما نصه:

"وكان هذا المقدام الألباني سيد مصر وأميرها واقفا حق الوقوف

(١) انظر: (٢ / ٤٣١) من هذا البحث.

على قدرة أوربة وشدة بأسها وتفوقها، فدعا إليه ضباطا من أهل الغرب، فنظموا له جيشا قويا، ودربوه تدريبا على الطراز الغربي، وجهاز بمعدات الأسلحة الغربية، وكان غالب هذا الجيش مؤلفا من المقاتلة الألبانيين الأشداء، فسرعان ما أجاب محمد علي نداء السلطان، فأيقن حينئذ أن الوهابيين على شدة غيرتهم الدينية وحماستهم لن يستطيعوا بعد الوقوف في وجه البنادق والمدافع الأوربية، يطلق عيارها جنود مجربون"^(١).

ويذكر الأستاذ مسعود الندوي أن الحكومة البريطانية هنأت إبراهيم باشا على تدميره الدرعية وقضائه على حضارتها^(٢) وهذا تأكيد على أن عدو عقيدة الشيخ وأنصارها هم أعداء الإسلام والمسلمين.

(١) "حاضر العالم الإسلامي" (ج ١ / ٢٦٢)، وأحب أن أوضح بأنه ليس سبب هزيمة المسلمين أمام محمد علي هو قدرة أوربة الصليبية وشدة بأسها وتفوقها كما يقول الكاتب الأمريكي لوثرروب وغيره، ولكنه كما ذكرنا في نهاية البحث في أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في الدور الأول لدولة أنصارها، وخلاصته أنه التغير الذي حصل في نفوس المسلمين عن الاستمساك التام بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية كما كان عليه الشيخ وأئمة آل سعود وعلمائهم؛ فإنهم لما كانوا على حالة مستقيمة على عقيدة السلف الصالح، نصرهم الله، وأعزهم، وجعل لهم الغلبة والتمكين كما كان في عهدهم الأول، ثم لما حصل من التغير ما حصل، تغيرت الأحوال والدولة، قال الله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد: ١٢] ، وانظر: آية ٥٤ من الأنفال. انظر: (٢) انظر: "محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم ومفتري عليه" تأليف الأستاذ مسعود الندوي (ص ١٥٠ - ١٥٤).

وها هو الشيخ الجبرتي المؤرخ المصري المشهور يصف إبراهيم باشا بما هو متصف به من صفات يتصف بها كل أصدقاء السلف الصالح ذوي الإسلام الخالص، فيقول:

"ورجع إبراهيم باشا من هذه الغيبة متعظما في نفسه جدا، وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه، حتى إن المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم عليهم، فلما أقبلوا عليه وهو جالس في ديوانه، لم يقم لهم، ولم يرد عليه السلام، فجلسوا، وجعلوا يهنتونه بالسلام، فلم يجبهم، ولا بالإشارة، بل جعل يحادث شخصا سخرية عنده، وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسرين^(١).

ولا شك أن مثل هذا يكون حافزا للمشايخ وغيرهم من أهل مصر أن يعيدوا النظر في عقيدة السلف الصالح التي يحملها من أوفدوا عليهم، ويعلموا أن إبراهيم باشا المتسلط إنما احتقرهم لأنه إنما كان قد انتصر على أمثالهم؛ فكيف يهنتونه على ذلك لولا هوانهم عند أنفسهم، وقد احتقرهم لأنهم كذلك، وهذا دليل لهم صارخ على أن من حاربهم الباشا من أهل نجد ما حاربهم إلا لأنهم مسلمون من أتباع السلف الصالح من المسلمين، وأن نظرتهم إلى جميع المنتسبين إلى الإسلام واحدة، هي نظرة ازدراء واحتقار لهم ولما تسموا به من الإسلام؛ فهو قد انتصر عليهم بزعمه وعلى دينهم، فلم يبق في نفسه لهم احترام، وإن كانوا من المشايخ العظام، وأصحاب العلوم

(١) انظر: كتاب "من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي" تأليف محمد أديب غالب (ص ٢٠٠) بإشراف دار اليمامة، الطبعة الأولى عام ١٣٩٥ هـ.

والفهوم، وهذا بلا شك يعطي ردود فعل متعاطفة مع أبناء الشيخ العلماء وسائر حملة عقيدة السلف الصالح، خصوصا الذين نقلهم الباشا إلى مصر، ويكون له دور كبير في التأثير، ومؤشره تأثر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي رحمه الله تعالى، والذي ألمحنا لطرف منه هنا.

ونورد ما ذكره عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ في تعليقه على "عنوان المجد" من أسماء آل الشيخ الذين نقلهم الباشا إلى مصر، فيقول ما خلاصته: "إن ابن بشر لم يذكر في "تاريخه" أسماءهم، مع أنهم محدودو العدد، ومشهورو الأسماء، بل هم قادة الدعوة، وزعماء الإصلاح في ذلك الوقت، ولمزيد الفائدة نذكر أسماءهم؛ فهم: الشيخ عبد الله ابن الشيخ وصحبه حرمة وابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله، والشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد وصحبه حرمة وابنه الشيخ عبد اللطيف، وكان عمر الشيخ عبد اللطيف ذلك الوقت لا يزيد عن ثمان سنوات، والشيخ علي ابن الشيخ محمد، والشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد، هؤلاء هم الذين نقلهم الباشا إلى مصر، فأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن، فمكث بمصر ثمان سنوات، ثم رجع إلى الرياض بعد تولي الإمام تركي بن عبد الله الحكم بسنة؛ أي: سنة ١٢٤١ هـ، وأما ابنه الشيخ عبد اللطيف، فبقي بمصر واحدا وثلاثين عاما، ثم رجع إلى الرياض في ولاية الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٤ هـ^(١) وأما الشيخ عبد الله بن

(١) هامش "عنوان المجد" لابن بشر، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (طبعة المعارف، سنة ١٣٩٤ هـ، ص ٢٨٦).

الشيخ، فتوفي بمصر سنة ١٢٤٢ هـ^(١).

ويقول ابن بشر: "وكان لعبد الله المذكور ابن اسمه عبد الرحمن، جلي معه إلى مصر وهو صغير، وذكر لي أنه اليوم في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر، وعنده طلبة علم، وله معرفة تامة ودراية عظيمة^(٢) ولعل ذلك من عوامل نشر عقيدة السلف الصالح وإقامة الحججة بها، وكذا الشيخ علي ابن الشيخ، فقد توفي بمصر في سنة ١٢٤٥ هـ على أغلب الظن، كما يقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف"^(٣).

وكذلك الشيخ إبراهيم ابن الشيخ، فإنه توفي بمصر، ولم يقف ابن قاسم على تاريخ وفاته، لكنه كان موجودا سنة ١٢٥١ هـ في مصر^(٤).
ووجود مثل هؤلاء المشايخ إلى هذا الزمن في مصر، واحتكاكهم بطلبة العلم والمشايخ والعلماء، سيكون له أثر في نشر عقيدة السلف الصالح، وهم أبناء الشيخ المشهود لهم بالعلم والتحقيق، كما قال الحفظي:

(١) "الدرر السننية" (١٢ / ٤٥)، و "مشاهير علماء نجد" (ص ٤٩).

(٢) "عنوان المجد في تاريخ نجد" (١ / ٩٣)، وطبعة المعارف سنة ١٣٩٤ هـ، ص ١١٨ - ١١٩.

(٣) "مشاهير علماء نجد وغيرهم" (ص ٥١)، وانظر: "الدرر السننية" (١٢ / ٤٧).

(٤) "الدرر السننية" (١٢ / ٤٦).

أولاده مشايخ التحقيق وسدرة في منتهى الطريق^(١)

وعلى كل حال؛ فالأثر لم يبد بارزا حتى أعاد الله الكرة لعقيدة السلف الصالح بالإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، عندئذ، وجدنا مطبعة المنار بمصر، و "مجلة المنار" بمصر، وصاحبها محمد رشيد رضا، يقبل الخير، ويتجاوب مع الملك عبد العزيز في نشر مؤلفات وآثار علماء الدعوة، وعلى رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

فهذه "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" أربعة مجلدات كبار، وغيرها، وكثير من كتب السلف الصالح في الفقه والتفسير والحديث، وغير ذلك، بلغ المجلدات الكبار، وبلغ قدرا كبيرا من ذلك، كان له أثر كبير في بث الوعي بين المسلمين، ونشر ضالتهم من الحق في تلك المؤلفات السلفية، ومحمد رشيد رضا يخدمها بالتعليق والإشراف على طبعها، وكانت له مواقف حميدة، وكتابات منصفة، وبيانات للحق ناصعة في مجلته الكبيرة "مجلة المنار" التي بلغت ما يربو على عشرين مجلدا، واستمر صدورها سنين عديدة، وكان ينشر دفاعا مجيدا عن دعوة السلف الصالح، وما يدفعه إلى ذلك إلا تأثره بعقيدة السلف الصالح، وتطلعه إلى نهضة المسلمين إذا استيقظوا من غفلتهم إلى دينهم بهذه العقيدة السليمة.

ومن كتاباته أجد بين يدي طائفة من المقالات نشرت في "مجلة

(١) "الدرر السنية" (١٢ / ٤٧).

المنار" و"جريدة الأهرام"، جمعت وأصدرت بعنوان "الوهابيون والحجاز"، وكانت طبعتها الأولى سنة ١٣٤٤ هـ، وأصبحت كتابا بذلك العنوان، ويضم من الأبحاث أضواء على حقيقة العقيدة السلفية، مثل تسجيله شهادة التاريخ للوهابيين، وبيان عجز الشريف الحسين عن القيام بعقيدة السلف الصالح، وأنه والى الأجنب على العرب، وجعل الحجاز دولة حربية، ونفسه ملكا للعرب، وعزم على إخضاع نجد واليمن بالقوة، مع عداوته لابن سعود، وطعنه في عقيدته السلفية، مما جعلها الله أسبابا لزحف ابن سعود على الحجاز، وتمكينه من ولايته وتطهيره، ثم شخص السبب لعداوة أشرف مكة المستولين عليها لأهل نجد عن مؤرخ مصري، وأنه ليس السبب في غير العقيدة، فأهل نجد يعتقدون عقيدة السلف الصالح، وأولئك على خلافها، ثم ذكر أشهر وقائع تعدي أهل الحجاز على النجديين، ومنها منعهم من الحج، ودسائس الشريف في نجد، وإغراؤه جيرانها بها، وإحباطه مؤتمر الكويت^(١) والوثائق الرسمية لنجد على أهل الحجاز، ثم يتحدث عن صبر سلطان نجد، وأنه صبر لم يعهد له نظير، من قوي يعتدى عليه دينيا وديوبيا، حتى علم هو وأمتة بعد التروي واستفتاء العلماء أن إنقاذ الحرمين من الحسين واجب شرعا، ولو لم يكن لذلك موجب إلا منع

(١) انظر: "الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت" (١٣٤٢ هـ: ١٩٢٣ - ١٩٢٤ م)، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠١ هـ، إعداد ماضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٢ هـ، نشر مؤسسة تامة - جدة.

أهل نجد من الحج؛ لكفى.

ويقول محمد رشيد رضا: "فكيف إذ أضيف إلى ذلك لسائر ما أشرنا إليه فيما أجملناه في "الأهرام" وفصلناه في "المنار" من إحصائه بالظلم لأهل الحرمين والحجاج، وإدخاله للنفوذ الأجنبي في البلاد، وخطره على الأمة العربية وما بقي لها من البقعة الصغيرة المستقلة في جزيرتها، وتكفيره للترك وللمصريين كالنجديين، ثم تنحله منصب الخلافة، أما السلطان عبد العزيز، ففي تصريحه نص قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده بإسلام جميع الشعوب الإسلامية، والرغبة في التعارف والتواد معها، وبأن هؤلاء الأمراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير النجديين والطعن فيهم والتنفير منهم".

وقال محمد رشيد: "وقد استفتينا واستفتي غيرنا في شأن هذا الباغي الشريف حسين في سنة ١٣٤١ هـ، فأفتى بعض علماء الأزهر بأنه من البغاة المتغلبين الذين يجب قتالهم على إمام المسلمين، وكتبنا فتوى مطولة نشرناها في "المنار" الذي صدر في ذي الحجة من تلك السنة (ج ٨ \ م ٢٤ \ ص ٥٩٣ - ٦١٦)، ونشرناها في "جريدة الأهرام" أيضا، أجملنا فيها صفاته وجنباياته، ولكننا استدركنا على من جعل حكمه حكم البغاة؛ متسائلين: أين إمام المسلمين الأعظم الذي يجب عليه قتاله؟ ثم بينا أن إنقاذ الحرمين من بغيه وظلمه يجب على كل من يقدر عليه من جماعات المسلمين وأمرائهم، وأن أقدرهم على ذلك سلطان نجد وإمام اليمن، وذكرنا ما يقال في المانع المشترك لهما من ذلك، وهو الخوف أن يفضي إلى تدخل الإنكليز في الحجاز؛ لأنه

جعله تحت حمايتهم"^(١).

وفي مقالة محمد رشيد رضا يبين نهضة الوهابيين - كما يسميهم - بالإصلاح وما آلوا إليه، وأن آل سعود أهل نهضة إصلاحية إسلامية، وخصوصا السلطان عبد العزيز، السلطان العامل الصامت، بخلاف ملوك الدعاية القوالين، ثم كتب ملخصا لسيرة السلطان ابن سعود، وملخصا لسيرة الشريف، ورد على الدعايات الكاذبة^(٢) إلى آخر ما كتب وبين، فكان لكتابات أثر في تنبيه المصريين خصوصا والمسلمين عموما إلى رشد حملة عقيدة السلف من أهل نجد وصحة عقيدتهم، وإنه لأثر كبير لا شك فيه، سيما والشيخ محمد رشيد رضا عالم محقق، يأمر بالسنة، وينهى عن البدعة، خصوصا بدع القبوريين في العبادة، كما في مقالاته هذه، ويقصد نهضة المسلمين جميعا، ويهدف لمصلحتهم، ومحمد رشيد رضا حين يدعو للملك الإمام عبد العزيز وللعلماء الذين معه، يعلم أن عقيدتهم السلفية هي الأصلح للمسلمين عامة.

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في رسالته التي بعنوان "السنة والشيعية أو الوهابية والرافضة": "ولما رأيت ما رأيت من سوء أمر مؤتمر النجف لشيعه العراق، ومن أمارات نشر الإلحاد في إيران وأفغان، ومن تجديد الشيخ العاملي في تواليفه والشيخ عارف الزين في مجلته الطعن في السنة وتنفير المسلمين من دولتها الوحيدة في إقامتها

(١) انظر: (ص ٤٠ - ٤١) من الكتاب المذكور .

(٢) انظر: "كتاب الوهابيون والحجاز" طبعة سنة ١٣٤٤ هـ.

ونصرها، ومن بث الرفض والخرافات بين المسلمين؛ رأيت من الواجب علي أن أظهر للمسلمين ما يخفى على جمهورهم من الحقائق التي لم يكن العاملي ولا الزين يعلمان بوقوفي عليها، لعلهما يفيئان إلى أمر الله، فكتبت الفصول الآتية بهذه النية".

وتشير الرسالة إلى أن العاملي المسمى محسن الأمين، وهو الراضي المتعصب، ألف كتابا استغرق خمس مئة صفحة، جعل عنوانه "الرد على الوهابية"، ودس فيه ما يبغى من الخرافات القبورية والرفضية، والظعن في حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وعلى ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي والشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ويرد الشيخ محمد رشيد رضا بقوله:

"أقول: أولا: إن الوهابية يدعون بحق أنهم موحدون وحامون لحمى التوحيد من تطرق الشرك، وكان يدعي هذه الدعوى بحق قبلهم شيخ الإسلام (يعني: ابن تيمية).

ثانيا: أن الوهابية لم يدعوا أنهم هم الموحدون وحدهم، وأن غيرهم من جميع المسلمين مشركون، كما افترى عليهم هذا الراضي المتعصب وغيره، بل لم يدعوا أنهم فرقة أو أهل مذهب مستقل... وإنما يقولون كما يقول غيرهم من العلماء بتوحيد الله الذي دعت إليه جميع رسله"^(١).

(١) نقلا عن كتاب "انتشار دعوة الشيخ... تأليف محمد كمال جمعة (ص ١٦٩).

ويأتي من بعد "المنار" وصاحبه جماعة أنصار السنة المحمدية ورئيسها محمد حامد الفقي ومطبعتهم؛ فقد كان لهم دور في بث العقيدة السلفية، ونشر كتب عقيدة السلف الصالح، وبيان الحق، والرد على طوائف الصوفية المنحرفة عن السنة، وكان لرئيس جماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ محمد حامد الفقي نشاط خاص في هذا المجال، وله كتاب سماه "أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها" كتبه وتحدث به في نادي جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، وهذا النادي يحضره كثير من المصريين وغيرهم، وقد نفع الله به، وطبع عام ١٣٥٤ هـ بمطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر.

وقال الشيخ محمد حامد الفقي في مقدمته: "أما بعد، فهذه نبذة لطيفة في بيان حقيقة الدعوة الوهابية وإمامها وشيعتها وأنصارها، وقصة إزاحة الأوهام وإبطال الأكاذيب التي نسجت حولها، وذلك لتخبط الكثير من الناس في شأنها"^(١) وغيرهما، ويتعاون معهم في نشر عقيدة السلف الصالح بدافع من إيمانه وإيمان جماعته بسلامة منهجهم.

ونذكر من أبرزهم شيخنا الدكتور محمد خليل هراس، فقد كتب عن منهج الشيخ وأنصاره، وسمى ما كتبه: "الحركة الوهابية" وهو رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقده للوهابية، وطبعته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦ هـ، وقال في مقدمته ما

(١) "أثر الدعوة الوهابية" لمحمد حامد الفقي (ص ١ - ٢).

ملخصه:

"لأستاذنا الدكتور محمد البهي كتيب نشرته دار الفكر ببيروت، عاجل فيه الفكر الإسلامي في أدواره، وعقد فيه فصلا عن الحركة الوهابية، وملاه بمزاعم لا تتفق مع الحق، ولا سند لها من الواقع، ونقدها نقدا جانب فيه الإنصاف، ولم يراع فيه موازين البحث العلمي"^(١).
ثم إن الدكتور الهواس نقض نقده، ورد عليه ردا منصفًا أجاد فيه وأفاد رحمه الله تعالى.

ولا ننسى محمد منير بن عبده آغا النقلي الدمشقي الأزهرى، صاحب دار الطباعة المنيرية في القاهرة، تفقه في الأزهر سلفيا، وأصبح من علمائه، وأنشأ دار الطباعة المنيرية ١٣٣٧ هـ، ونشر كثيرا من المصنفات القديمة والحديثة، وصنف كتاب "نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة المطبعة المنيرية"، مطبوع، أنجزه في شعبان ١٣٥٨ هـ، وله "إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين"، مطبوع، وتوفي بالقاهرة^(٢) وله "المجموعة المنيرية"، وهي مجموعة رسائل سلفية لشيخ الإسلام ابن تيمية والصنعاني والشوكاني والصابوني وأبو محمد الجويني وغيرهم، وسماها "المجموعة المنيرية"، وله عليها تعليقات، وقد خدم كثيرا من رسائل السلف خاصة ومؤلفاتهم، ومن ذلك مجموعة بعنوان "الأصول الثلاثة وأدلتها، ويليها شروط الصلاة

(١) "الحركة الوهابية" بقلم الدكتور محمد خليل هراس (ص ٧).

(٢) "الأعلام" للزركلي (الطبعة الرابعة، ج ٧، ص ٣١٠).

وواجباتها وأركانها، والقواعد الأربع، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، علق عليها وصحح أصولها وكساها حواشي مفيدة محمد منير الدمشقي، طبعت في القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية؛ بلا تاريخ^(١) ومنها: "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، نشر المكتبة القيمة بمباي والقاهرة دار الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٤ هـ"^(٢) ومنها: "كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب، علق عليه وصححه محمد منير الدمشقي"، وفي ذيله نبذة في الحث على اتباع الكتاب والسنة والعمل بهما للمعلق، طبع القاهرة في إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٥١ هـ"^(٣).

وفي مقدمة "الأصول الثلاثة وأدلتها" يقول الشيخ محمد منير عبده آغا الدمشقي الأزهري بعد الثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ "أما بعد: سألتني كثير من أهل العلم والمعرفة أن أطبع رسالة الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في "الأصول الثلاثة وأدلتها" و "شروط الصلاة وواجباتها وأركانها"، وأنشرها بين المسلمين؛ لا سيما العوام منهم؛ لينتفعوا بها ويعملوا بأحكامها، وهي سهلة موجزة صحيحة على مذاهب أهل السنة والجماعة، فأجبتهم

(١) "آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (سجل ببيوجرافي، مادة رقم ١٨، ص ٢٥ ومادة رقم ٥٢، ص ٣٠).

(٢) "آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (سجل ببيوجرافي، مادة رقم ٩٧، ص ٣٦).

(٣) "آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (سجل ببيوجرافي، مادة رقم ١٩٦، ص ٤٩).

لذلك" (١).

كما نذكر المطبعة السلفية ومكبتها وصاحبها محب الدين الخطيب، وقد طبعت كثيرا من كتب السلف الصالح، مع التحقيق والعناية، من ذلك طبعهم ل "مجموعة التوحيد النجدية" وعنايتهم بها، ولا زالت حتى بعد وفاة مؤسسها تحت إشراف ابنه قصي.

وكذلك مطبعة المدني المؤسسة السعودية في مصر وغيرها من المطابع التي تطبع آثار الشيخ ومؤلفاته وسائر مؤلفات السلف الصالح مما يكون له تأثير في نشر العقيدة السلفية.

وما يزال مدد تأثير عقيدة السلف الصالح في زيادة واستمرار، خصوصا لما نهضت المملكة بالتعليم، واستوفدت مدرسين من مصر لجامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية وغيرها من جامعات المملكة، فإن هؤلاء الأساتذة يعودون بانطباعات يحملونها ويثونها في مجتمعاتهم، وهذا ليس خاصا بمصر، غير أنه في مصر أكثر ظهورا، ونذكر على سبيل المثال أستاذا زائرا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العام الجامعي ١٣٩٥ - ١٣٩٦ هـ، وهو المستشار عبد الحلیم الجندی، والرئيس السابق لإدارة قضايا الحكومة في جمهورية مصر العربية، ورئيس لجنة تجلية مبادئ الشريعة الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو مجمع

(١) (ص ٢) ضمن مجموعة تضم "الأصول الثلاثة" وأدلتها، و "كتاب التوحيد"، و "الأربعين النووية" وغيرها. مطابع الإشعاع - الرياض.

البحوث الإسلامية بالأزهر، وعضو لجنة الشريعة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، جاءنا زائراً، ثم عاد يخرج كتاباً اسمه "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي"؛ يقول في مقدمته:

"ومن أجل الاعتبار بما صنعه ابن عبد الوهاب، وحاجة العصر الحالي إلى التأسّي بكل كلمة قالها، وكل صنيع صنعه، وضع هذا الكتاب، ليذكر كل ذي بصر أن صفحات هذا التاريخ العظيم تتكرر"، ويعني: تاريخ الإسلام.

إلى أن يقول:

"بهذا أصبحت المملكة العربية السعودية دولة رائدة في المجتمع العالمي، معلمة للمجتمع الإسلامي، بانتصار الشريعة على الجريمة والريزلة والتواكل والجهل والفسل، بسيادة العدالة والطمأنينة، وانتشار الجامعات وازدهار الأخلاق الرغيبية والائتمار بالمعروف والتناهي عن المنكر، وبهذا قامت جماعة إسلامية حقاً هي آدى للأمانة، وأكد في التعامل، وأبعد من التبذل، وأصون للحرّمات، تتواصل فيها الطبقات، وتكدح وتجد وتجتهد، وتثبت لعالم تتخاذل دوله وتتسلل شعوبه أن العذاب يحل بالأمم من أنفسها، ولا يصيب الذين ظلموا خاصة، وأن الله صادق وعده، ناصر جنده، وإن غي عن ذلك عبدة القوة أو المادة، أو عمي الآخرون عن رؤية الواقع"^(١).

(١) انظر تقلم كتاب: "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي" (ص ٨ - ٩).

حول ما يقال من تأثير بعض الحركات والدعوات بعقيدة الشيخ السلفية وما قيل من تأثير بعض الحركات والدعوات في خارج سلطان أنصار عقيدة الشيخ، مثل: حركة السنوسي في ليبيا، وحركة أحمد بن عرفان في الهند، وحركة الفرائضيين في الهند، وحركة نزار علي في الهند أيضا، وحركات البدري الثالث في إندونيسيا، وحركة الإخوان المسلمين، وبعض دعاة في البلدان قيل إنهم تأثروا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مثل: الشيخ محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والجمعية الشرعية في مصر، وما قيل أيضا أن الثورات التي انطبعت بطابع ديني تأثرت بدعوة الشيخ، كالثورة المهديّة في السودان، وثورة إيش محمد كول في التركستان، وما قيل من أن إصلاح سلطان المغرب المولى سليمان بن محمد في المغرب وعبد الحميد بن باديس في الجزائر قد تأثرا بدعوة الشيخ^(١)؛ كل ذلك يحتاج إلى دقة

(١) انظر: "دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي" رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة (ص ٤٣٩ - ٤٩١)، و "كتاب انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية" تأليف محمد كمال جمعة، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، وطبع على نفقة وزارة التعليم العالي، (ص ٩٧ - ١٠٥، وص ٢١٣ - ٢٢٠، وص ٢٢٣ - ٢٢٥، الفصول: الثالث، والرابع، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن)، وكتابات الدكتور محمد عبد الله ماضي أستاذ التاريخ بكلية أصول الدين في حاضرم العالم الإسلامي، "النهضات الحديثة في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية" (ص ٦٢ - ٧٠، الطبعة الثانية عام ١٣٧٢ هـ) الحلبي. وانظر: بحث الدكتور محمد سلام مذكور من مصر (ص ١٦ - ٢١)، وبحث الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي من الشام (ص ٢١ - ٤١)، وبحث عبد الفتاح مقلد الغنيمي عن غرب أفريقيا (ص ٣ - ١٩)، وبحث أنور الجندي عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة (ص ٢، ٤ - ٩)، وبحث الدكتور عبد الحلیم عويس (ص ١٤ - ١٩، ٢٠ - ٣١)، وبحث الشيخ عطية محمد سالم (ص ١٤ - ١٦، ٢١ - ٢٢، ٣٥ - ٣٦)، وبحث الدكتور مصطفى محمد سعد هرجس (٨، ١٦ - ١٧، ١٨)، وبحث الدكتور محمد السعيد جمال الدين بعنوان "دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصدائها في فكر محمد إقبال" وكل هذه البحوث قدمت لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فكتبت على الآلة وجمعت في مجلد سمي: "تأثير الدعوات الإصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" ثم وزع على المشتركين في المؤتمر وبعض الحضور والمدعوين، وهو المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ٢١/٤/١٤٠٠ هـ.

وتحقيق ودليل يثبت أن هذه الدعوات والحركات تأثرت بعقيدة الشيخ وحركته ودعوته وقيام أنصاره.

وأغلب ما تعتمد عليه هذه الأقاويل على مصادر غريبة بعيدة معادية لا دقة لديها ولا تحقيق، ولكن تعتمد على الظنون وما تريده من تشويه للصورة الصحيحة حتى لا يفهم الناس الحقيقة.

والحقيقة أن هذه الدعوات والحركات والثورات نابعة من أهلها، وهم بأنفسهم لا يذكرون أنهم من أتباع الشيخ، ولا أنهم تتلمذوا عليه أو قرأوا كتبه ومؤلفاته وأرادوا تطبيقها، ولا أحد يثبت ذلك فيذكره، بل إن هؤلاء لا يعترفون بهذه التبعية، ولا بالتأثر به، وربما أن أكثرهم لا يعرفه، إلا عن طريق أعدائه ودعائياتهم الكاذبة، وبصورة مشوهة غير حقيقية، أو يعرفه بعضهم ولكن لا يعترف بطريقته السلفية، وإن كان

ينتسب إلى السلف؛ كما هو شأن الأشعرية والصوفية وأهل الكلام وأهل السياسة الدنيوية التي تريد العلو في الأرض والرئاسة أو تريد الدنيا ولا تريد الآخرة.

فكل هذه المذاهب وما كان على هذه الشاكلة لا تعترف بعقيدة السلف الصالح، وهي العقيدة التي يعتقدها الشيخ؛ فأصحابها يخالفونها في كثير أو قليل، والأمثلة على ذلك كثيرة: فهذا السنوسي قد سئل عنه أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمهما الله، فقال السائل: السنوسي المغربي مصنف "السنوسية" المعروفة بـ "علم الصفات"، فهل تنقمون عليه شيئاً من ذلك... إلخ؟ فكان جوابهم أن السنوسي ليس من أئمة السنة والجماعة؛ فإن أهل السنة والجماعة هم الذين نعتهم النبي ﷺ لما ذكر أن بني إسرائيل افتقرت على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"^(١) والسنوسي المذكور صنف كتابه "أم البراهين" على مذهب الأشاعرة، وفيها أشياء كثيرة مخالفة ما عليه أهل السنة؛ فإن الأشاعرة خالفوا ما عليه السلف الصالح في مسائل؛ منها: مسألة العلو، ومسألة الصفات، ومسألة الحرف والصوت.... إلخ جوابهم^(٢).

وبعضهم الآخر في نصوص الصفات سلك مسلك من يفوض

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٥٥) من هذا البحث.

(٢) "الدرر السننية" (ج ٣، ص ١٩١).

المعنى والكيف ولا يقول بأن المعنى معلوم والكيف مجهول؛ إذ لا فرق عنده بين المعنى والكيف، ثم صحح مذهب الخلف أهل التأويل المذموم، وهو صرف اللفظ عن معناه الراجح من ظاهره إلى المعنى المرجوح، بحجة فرارهم من التشبيه والتمثيل، وهم قد وقعوا في شر مما توهموه وفروا عنه، ورجح مذهب أهل التفويض، وجعلهم هم السلف^(١) ولم يذكر مذهب السلف الصحيح الذي عبر عنه الإمام مالك حيث قال: "الاستواء معلوم والكيف مجهول"، ففرق بين المعنى والكيف، وأن المعنى معلوم والكيف مجهول، وكذلك الإمام الطحاوي، قال: "العلم علمان: علم موجود، وعلم مفقود"^(٢) فالموجود علم المعنى والمفقود علم الكيف في باب صفات الله المقدسة.

وقد رد الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قول من قال في وسيلة دعوته الله: "وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت. فقال الشيخ عبد الرحمن:

"اعلم أن الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة، وأما الصفة، فيعلمها أهل العلم بالله، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، ففرق هذا الإمام بين ما يعلم منه معنى الصفة على ما يليق بالله، فيقال: استواء لا يشبه استواء المخلوق، ومعناه ثابت لله

(١) انظر: "العقائد" للإمام الشيخ حسن البنا (ص ٧٠ - ٧٨).

(٢) انظر: "العقيدة الطحاوية" شرح وتعليق محمد ناصر الدين الألباني (ص ٣٤).

كما وصف به نفسه، وأما الكيف، فلا يعلمه إلا الله، فتنبه لمثل هذا؛ فالإمام مالك تكلم بلسان السلف"^(١).

ويدعي هذا البعض من أولئك الدعاة أن في نصوص الصفات ما يوهم التمثيل والتشبيه^(٢) بينما أنه ليس في نصوص الصفات ما يوهم ظاهره اللائق بالله تعالى تمثيلاً أو تشبيهاً، ومن توهم شيئاً من ذلك، فهو لأنه لم يعط النص حقه من التأمل والتدبر وإمعان النظر، ولو فعل ذلك، لم يجد في ظاهره اللائق بجلال الله تعالى ما يوهم تمثيلاً أو تشبيهاً، وحاشا أن يكون ظاهر كلام الله وكلام رسوله يوهم ذلك، والسلف والأئمة لم يكونوا يتوهمون أن ظاهرها التمثيل، ولا يرضون بذلك، كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣) وعلى ذلك الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وسائر السلف الصالح.

وفي تعاليمهم أن أركان بيعتهم عشرة، أولها الفهم، ويريدون بالفهم أن يفهم الإسلام في حدود ما يسمونه بالأصول العشرين، وفي أكثرها نظر، ومن ذلك تأصيلهم أن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة

(١) "الدرر السننية" (ج ٣، ص ٢٩٩).

(٢) انظر: "العقائد" للإمام الشيخ حسن البنا (ص ٧٤ - ٧٥).

(٣) انظر: "التدمرية" القاعدة الثالثة (ص ٢٧) ضمن مجموعة نفاثس.

وعبادة^(١).

وهذه كلمات مجملة غامضة، يدخل فيها ما هو من الإسلام وما ليس منه، ولا يفهم منها تحديد للمقصود كما يفهم من تعريف السلف الصالح للإسلام، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ فلما سأله جبريل عن الإسلام، قال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلا"^(٢).

وقال ﷺ ﴿ بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام ﴾^{(٣)(٤)}.

ولما كان أصل هذه المباني هو شهادة أن لا إله إلا الله كما بين الرسول ﷺ ذلك حين بدأ بها وحين بعث معاذًا إلى اليمن، أمره أن يبدأهم بها، وقد ذكر ذلك البخاري في أول كتاب التوحيد من "صحيحه" لذلك. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث

(١) رسالة التعاليم للإمام الشيخ حسن البنا (ص ٣).

(٢) انظر: "صحيح البخاري" (كتاب الإيمان، باب ٣٧، ٣٤، وكتاب الشهادات، باب ٢٦، وتفسير سورة ٣١، ومسلم الإيمان ٥، ٧، ٨) وغيرهما.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٦)، وسنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه (٥٠٠١)، ومسنند أحمد (٢/٢٦، ٤/٣٦٣، ٤/٣٦٤).

(٤) انظر: "صحيح البخاري" (كتاب الإيمان، باب ١، ٢، تفسير سورة ٢، ٣٠)، و"صحيح مسلم الإيمان" (١٩ - ٢٢) وغيرهما.

مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أركان؛ فأركان الإسلام خمسة...! إلخ^(١).

ويرون الاستعانة بالمقبورين ونداءهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر^(٢) بينما هي شرك ينقض الإسلام، وليست مجرد كبائر ومبتدعات على المصطلح في مفهوم الكبائر والمبتدعات التي لا تخرج من الملة...

وهكذا، لا يركزون في دعوتهم على إبعاد الناس عن الشرك، مثل دعاء غير الله والنذر له، طلبا للنفع ودفع الضرر، ليصححوا التوحيد، وهو أول شيء، ولكن يركزون على الحاكمية تركيزا جعل دعوتهم أشبه بدعوة سياسية تطلب الحكم، بينما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تتركز على أنه لا يدعى إلا الله، ولا يذبح إلا له، ولا يصرف شيء من أنواع العبادة المشروعة لغيره؛ فهي دعوة توحيد الله بالعبادة التي شرعها الله لرسوله ﷺ ولأتباعه، ثم طلب من الأمير الموهوب ملكات الإمارة أن ينصر ذلك، وبين له أن الدولة والمملك ثواب لمن نصر ذلك، لا أن الإسلام هو الدولة، كما توهمه تعاليمهم بأن الإسلام دولة ووطن أو حكومة وأمة.

وضياع الحكومة والمملك من المسلمين إنما يكون عقوبة

(١) انظر: "مؤلفات الشيخ" (القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٩)، وما بعدها.

(٢) "رسالة التعاليم" للإمام الشيخ حسن البنا (ص ٦).

للتفريط منهم بدينهم، فإذا عادوا إلى حفظ دينهم وصححوا توحيدهم، عاد الله عليهم بالعز والتمكين، كما في حديث ابن عباس: "احفظ الله يحفظك"، فمشكلة المسلم ليست في نزع الملك من يده، وإنما مشكلة المسلم هي عدم تصحيحه شهادة أن لا إله إلا الله، فإذا صححها وعمل بمقتضاها وصبر على ذلك، ملكه الله بها العرب، ودانت له بها العجم، والله أعلم.

وهذا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في رسالة "التوحيد" التي ألفها لا يذكر تعريف التوحيد الذي هو حق الله على العبيد حين أراد أن يعرف علم التوحيد ويبين معناه، وقد استدرك عليه تلميذه محمد رشيد رضا، فقال: "فات الأستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة، وهو أن يعبد الله وحده، ولا يعبد غيره بدعاء ولا بغير ذلك مما يتقرب به المشركون إلى ما عبدوا معه من الصالحين والأصنام المذكورة بهم، وغير ذلك كالندور والقرايين التي تذبح بأسمائهم أو عند معابدهم، وهذا التوحيد هو الذي كان أول ما يدعو إليه كل رسول قومه، بقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١) (٢)".

وقال شيخنا محمد خليل هراس: "وقد غلط الشيخ عبده في اعتباره توحيد الربوبية والانفراد بالخلق هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن هذا النوع من التوحيد كانت تقر به

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

(٢) "رسالة التوحيد" تأليف محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا (الطبعة ١٢ عام ١٣٦٦هـ،

ص ٤).

الأمم التي بعثت إليها الرسل، ولم يقع فيه نزاع بينهم وبين الرسل، وإنما كان النزاع في توحيد الإلهية والعبادة، ولهذا، لم يجئ على لسان الرسل عليهم السلام الدعوة إلى اعتقاد أن الله وحده هو الخالق، وإن كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، فكل منهم كان مفتح دعوته لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره".

إلى أن قال الشيخ الهراس: "ولعل فضيلة الشيخ عبده في هذا كان متأثراً بالأشعرية الذين جعلوا الانفراد بالخلق هو أخص خصائص الإلهية، واهتموا في كتبهم بإقامة البراهين على هذا النوع من التوحيد، دون أن يشيروا إلى توحيد الإلهية الذي هو أقصى الغايات ونهاية النهايات"^(١).

وغير ذلك من شطحاته في الملائكة والجن ونحو ذلك، كما في "تفسير المنار" نقلا عنه.

وذلك المهدي في السودان رضي أن يطلق عليه المهدي، بل أعلن أنه قد رأى رؤية للنبي ﷺ يدعوه فيه إلى قيادة المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله، وتدافع عليه الآلاف يحلفون له على الطاعة^(٢).

وهذا يدل على أنه اغتر بنفسه أنه المهدي، بناء على إعلانه أنه رأى رؤية للنبي ﷺ ثم إن هذه الرؤية لم يبين هل هي منام أو يقظة؛

(١) "دعوة التوحيد، أصولها، الأدوار التي مرت بها مشاهير دعائها" تأليف محمد خليل هراس (ص ٩ - ١٠).

(٢) "انتشار دعوة الشيخ .." تأليف محمد كمال جمعة (ص ٢٢٤).

كما يدعيه جهلة الصوفية أنهم أو أحدهم يرى النبي ﷺ في اليقظة، ويحضر المولد أو ما أشبه ذلك، وهذا أقبح الغلط، وغاية التلبيس، وأعظم الخطأ المخالف للكتاب والسنة وإجماع أهل العلم، لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا، ومن قال خلاف ذلك، فهو كاذب كذبا بينا، أو غالط ملبس عليه، لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح ودرج عليه أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم بإحسان.

ولو تبين أن هذه الرؤية منام، فعلى كل الاحتمالين هي ليست بصحيحة، لأن رسول الله ﷺ لا يدعو إلى خلاف الحق، ولا يشير ولا يقول بخلاف الحق لا في حياته ولا بعد موته^(١).

وقد تبين أن مهدي السودان ليس هو المهدي الذي يقود المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله، بل لم يخلص حتى أهل السودان من الخرافات ومخالفة التوحيد ومن الاستعمار النصراني، فقد استولى كتشنر الإنكليزي على السودان، وأمر بتدمير قبر المهدي، والتمثيل بجثته، وعرض رأسه في القاهرة^(٢) وكان أتباعه يعتقدون بمعجزة رجوعه^(٣).

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عن الرؤيا

(١) انظر: "التحذير من البدع" للشيخ عبد العزيز بن باز (ص ١٨ - ١٩).

(٢) انظر: "انتشار دعوة الشيخ .." تأليف محمد كمال جمعة (ص ٢٢٤ - ٢٢٥).

(٣) انظر: "انتشار دعوة الشيخ .." تأليف محمد كمال جمعة (ص ٢٢٤ - ٢٢٥).

السارة في المنام؟ فقال: "الرؤيا أرجو أنها من البشرى، ولكن الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره"^(١).

وكل تلك الدعوات والحركات لا تخلو واحدة من سمة تدل على عدم ارتباطها بعقيدة الشيخ دلالة واضحة، فليس في عقيدة الشيخ شيء من هذه الطرق الصوفية ولا الأشعرية ولا القبورية ولا المذاهب السياسية التي تريد التسلط ولا النزعات الثورية، كل ذلك ليس من عقيدة الشيخ السلفية، كما هو ليس من عقيدة السلف الصالح جميعا في شيء، وما وافقوا فيه الإسلام من أمور، فهذه الموافقة ليست دليلا على أنهم تأثروا بالشيخ كما قررنا، وكون أحدهم حج مرة أو مرتين، وحتى لو قابل أحدا من حملة عقيدة السلف الصالح، ليس هذا اللقاء مقتضيا لتأثره ما لم يثبت دليل من أدلة التأثير أو صيغة من صيغ التحمل والاقتناع، هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء لا يقولون بأنهم من أتباع الشيخ كما قررنا، ولا الشيخ وأتباعه وأنصاره يحتضنون شيئا من هذه الدعوات بقصد احتوائهم وجعلهم تبعاً لهم، ولا يطمئنون لبعض طرقهم المخالفة، كالنزعات الصوفية أو الكلامية أو البدع الأخرى، حتى في تعريف العبادة؛ فأكثر هؤلاء لا يعرف أن العبادة مبناهما على الأمر الشرعي، ولا يعرف أن التوحيد من مقامين: مقام توحيد المعرفة والإثبات، ومقام توحيد القصد والطلب، ولا يعرف أن توحيد القصد والطلب الذي هو توحيد الألوهية والعبادة متضمن لتوحيد الربوبية ولا

(١) "مؤلفات الشيخ" (القسم الثالث، الفتاوى رقم ١١، ص ٥١)، وانظر: "روضة ابن غنام" (ج ١ / ١٩٨).

عكس، لكن، توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وكثير منهم إذا عرف التوحيد، إنما يعرفه بأنه توحيد الربوبية، كما ذكرت عن الشيخ محمد عبده وسائر من تأثر بالأشاعرة الذين اشتهر عنهم هذا المنهج في تعريفهم التوحيد، ومعلوم أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي عن الإتيان بلازمه، وهو توحيد الألوهية، وكم من يقر بالربوبية وينكر توحيد الإلهية !

ولعل في ذلك كفاية في بيان عدم صحة الرأي القائل بأن مثل هذه الدعوات والحركات متأثرة بالشيخ ودعوته وحركته وحركة أنصاره من أجل نصرة دين الله ورسوله ﷺ والله أعلم.

وبهذا نأتي على ختام هذا الفصل، وبختامه أختتم الباب الثاني في أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في العالم الإسلامي، ونأتي إلى خاتمة البحث كله، سائلين الله حسن الخاتمة.

الخاتمة

وتشتمل على خلاصة البحث ونتيجته

نحمد الله تبارك وتعالى ونشكره على ما يسر من هذا البحث، وقد أتيت فيه على مقدمة، بدأتها بالثناء على الله بما هو أهله، وثنيت بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ وأشرت إلى خير الحديث وخير الهدي، وحالة الناس حين أرسل الله خاتم الرسل ﷺ وظهور دين الله ورسوله ﷺ على الدين كله، ثم حدوث ما أخبر به الرسول ﷺ من الفتن في الأمة الإسلامية، وبقاء طائفة منها على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة، لتقوم بهم الحجة الرسالية، ومن هذه الطائفة المجددون في الإسلام، ومن هؤلاء المجددين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن ناصره من آل سعود.

وإنني اخترت عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي موضوعاً لرسالة الدكتوراه؛ لأهمية هذا الموضوع، ولأسباب ركزتها في ثلاثة، خلاصتها: أنها عقيدة نعتمدها في ديننا ودياننا، وهي أساس وحدة المملكة العربية السعودية، فأردت

تذكير ناشئة الجيل الجديد بها على هذا المستوى الجامعي؛ ليكون اعتقادنا السليم عن علم واتباع لا عن تقليد وابتداع، وفي ضمن ذلك أردت الرد بأسلوب علمي على أعدائها والمفترين عليها، وذلك عن طريق عرضها عرضاً أصيلاً وصحيحاً من مصادرها الكثيرة الأصلية، وبينت فضائل من سبقني في ذلك، وشكرت من أسدى إلي معروفاً، ودونت خطة البحث ومنهجه.

ثم أتيت إلى المدخل، واشتمل على مبحثين: أولهما: في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي، وثانيهما: في حياة الشيخ، خصوصاً الناحية العلمية.

وقد ذكرت في مبحث البيئة وصفا لها من الناحية السياسية والدينية، وما يتبع ذلك من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من النواحي المتفرعة، وتوصلت إلى أنها بيئة يغلب عليها أمر الجاهلية، من عبادة غير الله تعالى، كالذبح للمقبورين، ودعائهم، والاستغاثة بهم، والنذر لهم من أجل أن يشفعوا لفاعل ذلك عند الله تعالى، ومن فوضى، واضطراب، وتفرق، وعداوة، ونهب، وسلب، وخيانة، ومعاملات كانت كلها سبباً في دمار الاقتصاد وخرابه وفساد في الأخلاق وخوف وقلق وفتن، هذا في الغالب. فبينت أن البيئة بما غلب عليها من غربة لهذا الدين شديدة كانت بحاجة إلى مصلح يعيد للدين ظهوره وانتشاره وعهده بعد غربته، فقيض الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب أبرز هؤلاء المصلحين.

وأما مبحث حياة الشيخ، فقد تضمن ترجمته، ونشأته، ورحلاته

العلمية، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، ووفاته، ورتاءه، وذكرت مصادر ترجمته، وما يعتمد عليه وما لا يعتمد عليه منها، ونسبه، وأسرته العلمية، ونشأته في هذه الأسرة نشأة علمية، ورحلاته من ناحية خط سيرها وزمانها والأمكنة التي رحل إليها، وشيوخه من أهل الحديث وغيرهم في الحرمين والبصرة والأحساء، وذكرت أن نتيجة هذه الرحلات زيادة معرفة الشيخ، وتسليحه بسلاح العلم النافع واليقين الراسخ، وحرر علم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد من الكتاب والسنة على علماء أهل السنة والجماعة في مهابط الوحي إلى رسول الله ﷺ وامتأ وطابه من الآثار وعلم السنة، وبرع في مذهب أحمد ابن حنبل رضي الله عنه ورجع من رحلاته وهو في مستوى علمي يفوق علماء زمانه.

وفي ذكرى لمؤلفاته بينت عدم صحة نسبة بعض المؤلفات إليه، وحققت نسبة بعض منها إليه، وهي التي حصل تشكيك من البعض في نسبتها إليه. هذا مع ذكر شيء عن كل مؤلف وأثر من مؤلفات الشيخ، من ذكر مكان وجوده وصفته وشيء من موضوعه بشكل موجز ومختصر.

ثم وصلت إلى الباب الأول، وهو ما يختص بعقيدة الشيخ السلفية، وقد تضمن أربعة فصول:

أما الفصل الأول؛ فهو في منهج الشيخ في عقيدته ودعوته، وتوصلت إلى أن منهجه هو منهج السلف الصالح في العلم والعمل.

وأما الفصل الثاني، فهو في مجمل عقيدة الشيخ السلفية، وتوصلت إلى أنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره جملة وتفصيلاً كما يؤمن بذلك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، ويقول في الإيمان ما يقولونه، واكتفيت بذكر أدلته من الكتاب والسنة على كل مسألة من مسائل عقيدته؛ لبيان أصالة اعتقاده، وصلته بمذهب السلف الصالح، والتقاءه معهم في المصير والمرجع، كما التقى معهم في المنهج والوسيلة.

وأما الفصل الثالث، فهو في التوحيد من مقاميه: المقام العلمي والعملية، ويكمن فيه الأمر الذي واجه به الشيخ مجتمعه، واستنكره عليه عامة الناس، ثم أظهره الله به على من ناوأه وعاداه.

وأما بقية أركان العقيدة، فلم يحصل فيها من النزاع ما حصل في التوحيد، ولأنها في الحقيقة مبنية على التوحيد، فلذا؛ لم أجد من تفاصيلها ما وجدته في التوحيد، فاكتفيت بما ذكرته منها عن الشيخ في مجمل عقيدته. وقد أتيت في هذا الفصل الثالث على ذكر عقيدة الشيخ في التوحيد من مقاميه: المقام العلمي الخبري، والمقام العملي الطلبي، فالمقام الأول هو توحيد المعرفة والإثبات، ويدخل فيه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، والمقام الثاني: توحيد الطلب والقصد، ويدخل فيه توحيد الألوهية والعبادة.

وتوصلت إلى أن الشيخ يعتقد في كل ذلك عقيدة السلف

الصالح، وما خرج عنها في شيء من ذلك، يتبين هذا من أدلته وبراهينه من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة واتفاق أهل المذاهب الأربعة: مذهب أبي حنيفة، ومذهب مالك، ومذهب الشافعي، ومذهب أحمد ابن حنبل، إمام كل حنبلي في أصول العقيدة السلفية وفي مسائلها الأصلية ودلائلها.

والفصل الرابع تضمن التحذير من نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كمالها، وأتيت فيه على نواقض الإسلام وتفصيل عن الشرك وأقسامه وأفراده وخطره، وإمكان وقوعه، وبيان وسائله وأسبابه، وطرق مقاومته، والحذر الشديد من ذلك، وحماية جناب التوحيد، وتصحيح الاعتقاد بترك الشرك كله وسد ذرائعه، والرد على شبهات المشركين وكشفها. ثم وصلت إلى الباب الثاني، وهو ما يختص بأثر عقيدة الشيخ السلفية في العالم الإسلامي، وقد تضمن خمسة فصول:

فالفصل الأول ذكرت فيه أسباب ومبادئ تأثير عقيدة الشيخ، وأول ظهورها في حريملاء لما رجع من رحلاته العلمية، ثم أثرها في العيينة، وما حصل عليه من آثار في البلدان الأخرى وأتباع في تلك المرحلة قبل قيام دولة العقيدة.

ثم في الفصل الثاني بينت كيف تم لقاء الشيخ بالأمير محمد بن سعود، وكيف تأثر بما عرضه الشيخ محمد من عقيدة السلف الصالح، وحصلت البيعة المباركة، وبينت أن ذلك التأثير دليل على فضل الأمير

وطيب معدنه وخيرته ورجحان عقله وشجاعته، وبينت أنه المؤسس لمكاسب آل سعود من دولة إسلامية بسبب تلك العقيدة السلفية التي من شأنها أنها تأتي بالخلافة والملك الإسلامي، وأن من مكاسبهم صلاح دينهم وديانهم، وظهورهم على الملوك والأمراء، ونصرهم على أعدائهم، واتساع مملكتهم حتى شملت غالب جزيرة العرب وما حولها، وارتفع ذكرهم في الخافقين، وبينت ظهور الدين وانتشاره، واندحار الشرك واختفاءه، وحصول الأمن والأمان.

وفي الفصل الثالث (وهو ما يخص الدور الثاني من أدوار دولة أنصارها) بينت ما تم من أثرها على يد الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وابنه فيصل، وما تم من آثارها العلمية على يد الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه عبد اللطيف وغيرهما من علماء الدعوة وأتباعها.

وفي الفصل الرابع بينت كيف عاد الله بعائده على أهل هذه الجزيرة المرة بعد المرة، وهياً لها الإمام الملك عبد العزيز يستعيد مكاسب عقيدة السلف الصالح التي حققها أجداده وآبؤه، ويعمل على نشر هذه العقيدة، والقيام بما تقتضيه، وهو الدور الثالث الحاضر، الذي لا يزال متصل الحلقات، يرتبط حاضره بماضيه، ويعمل لمستقبله منطلقاً من حاضره، وبينت أبرز ما في هذا الدور من أثر العقيدة، وهو استعادة مكاسبها، وتوحيد البلاد تحت راية واحدة واسم واحد، والتقييد بأحكام الشرع، وتطبيقها، ومحاربة البدع والمنكرات ومظاهر الشرك، والقضاء على الأفكار الإلحادية المنافية للعقيدة،

ودعوة العالم الإسلامي للتضامن، ونشر الدعوة إلى الإسلام، وبذل الجهود في التعليم وبناء المساجد وتعميرها، والاهتمام بخدمة الحرمين الشريفين، وذلك الأمر الوارف الذي لا يوجد في غير هذه المملكة العربية السعودية، كل ذلك من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وأما الفصل الخامس، وهو الأخير، فهو يختص بأثر عقيدة الشيخ في خارج سلطان أنصارها من بلدان العالم الإسلامي، بينت فيه كيف وصل أثرها إلى خارج سلطانها، وأثرها في اليمن، ثم في الشام، ثم في بلدان الخليج والعراق وفارس والهند ومصر، وبينت عدم ثبوت صلتها بالحركات السياسية والدعوات، وإن كانت منتمية إلى الإسلام، مثل حركة السنوسي في ليبيا، والفرائضيين في الهند، وأحمد بن عرفان الشهيد في الهند، والبدري في إندونيسيا، ومثل دعوة محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والإخوان المسلمين، والجمعية الشرعية، وثورة المهدي في السودان، وأيش محمد كول في تركستان، وإصلاح سلطان المغرب، وابن باديس في الجزائر، كل ذلك لم يثبت شيء منه أنه تأثر بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، فبينت ذلك.

والنتيجة العامة التي توصلت إليها من بحثي هي أن عقيدة السلف الصالح قطب رحي المسلمين، وأنها تعود على التمسك بها بالنصر والتمكين في العاقبة، ومن تخلى عن نصرتها، فقد تخلى عن نصرته الإسلام الخالص، وتكون عاقبته الهلاك والزوال، وكلما رجع

المسلمون إلى دينهم، وعادوا إلى عقيدتهم السليمة، كلما عاد الله عليهم بعائده، ورد لهم الكرة بعد الكرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

وأما النتيجة الخاصة، فإني وجدت أن نور الحق والإسلام الخالص قد أشرق بدعوة الشيخ واستجابة آل سعود إلى نصرته عقيدة السلف الصالح، وبسبب ذلك صار ورثة الشيخ من أبنائه وغيرهم الذين ورثوا علمه صاروا مشايخ الدعوة الإسلامية، وصار أنصارها من آل سعود هم الأئمة والملوك، وتحققت أن منهج الشيخ منهج السلف الصالح الذي يأتي بالخلافة والملك الإسلامي في الأرض، كما تحققت أن عقيدة الشيخ السلفية كما قامت عليها دولة سعودية فاقت أهل زمانها، فهي صالحة لأن تقوم عليها دولة سعودية معاصرة تفوق أهل هذا الزمان في الدين والدنيا والعلم والعمران في جميع أقطار المعمورة بحول الله وقوته، كيف لا وهي تحقيق (لا إله إلا الله) التي تميل كفتها بكل كفة؟! وإنما على الطريق إن شاء الله سائرون.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۗ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۗ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الرعد آية : ١١ .

(٢) سورة النور آية : ٥٥ .

والحمد لله رب العالمين.

وَصَلِّ اللّٰهُمَّ وَسَلِّمْ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

قائمة المراجع

* القرآن الكريم.

* السنة الشريفة:

رتبت ما يلي من الكتب حسب حروف الهجاء من أسماء المؤلفين أو المحققين أو الجامعين.

(أ)

* إبراهيم بن صالح بن عيسى:

١- "تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ هـ إلى ١٣٤٠ هـ": أشرف على طبعه وقدم له وحققه ووضع له فهرس حديثة وعلق عليه الأستاذ حمد الجاسر، الطبعة الأولى عام ١٣٨٦ هـ، منشورات دار اليمامة- الرياض.

* إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الفرضي:

٢- "العذب الفاضل شرح عمدة الفارض": المقدمة، الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ، الحلبي، على نفقة الشيخ عبد الرحمن الطبيشي.

* إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن:

٣- "تذكرة أولي النهى والعرفان": الجزء الأول، مطابع النور، الرياض، الطبعة الأولى.

* إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري البغدادي (١٢٣٥ - ١٣٠٠ هـ):

٤ - "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد": ألفه سنة ١٢٨٦ هـ، وصورة مخطوطته بقسم المخطوطات في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية، بخط عبد الرزاق الملا محمد الحاج فليح البغدادي في ٢ جمادى الأولى عام ١٣٥٠ هـ.

* الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٥ هـ):

٥ - "الاعتصام": وبه تعريف العلامة محمد رشيد رضا، مطبعة السعادة.

* أحمد أمين:

٦ - "زعماء الإصلاح في العصر الحديث": عام ١٩٦٥ م، مكتبة النهضة المصرية.

* أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي آل بن علي قاضي الحكمة الشرعية بدولة

قطر:

٧ - "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ عقيدته السلفية، ودعوته الإصلاحية، وثناء العلماء عليه": تقديم وتصحيح الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٥ هـ.

٨ - تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران": طبع بمطابع مؤسسة دار العلوم، الدوحة - قطر.

* الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ):

٩ - "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتألوله على غير تأويله"، ويليهِ "كتاب السنة": تصحيح إسماعيل الأنصاري، نشر رئاسة البحوث العلمية السعودية.

١٠ - "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، وبهامشه "منتخب كنز العمال في سنن الأقوال

والأفعال": تصوير المكتب الإسلامي ودار صادر للطباعة والنشر - بيروت.

* أحمد السباعي:

١١ - "تاريخ مكة": دراسات في السياسة والعلم والاجتماع وال عمران، الطبعة الثانية، مطابع دار قريش بمكة، ١٣٨٢ هـ.

* شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني
(٦٦١ - ٧٢٨ هـ):

١٢ - "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم": تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية عام ١٣٦٩ هـ، مطبعة السنة المحمدية.

١٣ - "التدمرية": ضمن مجموعة نفايس بتحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثالثة عام ١٣٧٤ هـ، مطبعة السنة المحمدية.

١٤ - "رسالة الفتوى الحموية الكبرى": وقف على تصحيحها بقدر الإمكان وتعليق حواشيتها محمد عبد الرزاق حمزة، الطبعة السادسة، مطبعة المدني.

١٥ - "نقض المنطق": حقق الأصل المخطوط وصححه الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، وصححه ووضع عنوانه محمد حامد الفقي بمشورة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكتب مقدمته الشيخ عبد الرحمن الوكيل، وعمل فهارسه رشاد سالم، الطبعة الأولى عام ١٣٧٠ هـ بمطبعة أنصار السنة المحمدية، وهو جواب سؤال عن مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتأخرين؛ ما الصواب منهما؟

١٦ - "العقيدة الواسطية": بشرح وتحقيق الشيخ محمد بن مانع، مطبعة الاقتصاد بالقاهرة وطبعة المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٧ هـ.

١٧ - "قاعدة في المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها" ضمن مجموع الرسائل والمسائل للشيخ: وهي القسم الثالث من أقسام المجموعة، طبعة مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى عام ١٣٤٩ هـ.

* أحمد بن عبد الغفور عطاء:

١٨- "محمد بن عبد الوهاب": الطبعة السادسة عام ١٣٩٧ هـ.

* الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى عام (٤٣٠ هـ):

١٩- "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء": الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠ هـ.

* أحمد بن عطية بن عبد الرحمن الزهراني:

٢٠- "دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي": رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٢ هـ.

* الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣ هـ):

٢١- "تقييد العلم": تحقيق يوسف العث، الطبعة الثانية عام ١٩٧٤م، نشرته دار إحياء السنة النبوية.

٢٢- "كتاب اقتضاء العلم العمل": تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ضمن رسائل أربع من كنوز السنة، نشر وتوزيع دار الأرقم - الكويت.

* الحافظ ابن حجر أحمد بن علي بن محمد بن الكناني العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢ هـ):

٢٣- "فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري": تصحيح وتحقيق وإشراف ومقابلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، طبعة السلفية بمصر، بدون تاريخ الطبع ولا عدد الطبعة.

٢٤- "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة": الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند عام ١٣٤٨ هـ.

* الشيخ أحمد بن علي بن مشرف الأحسائي تلميذ المؤرخ حسين بن غنام:

- ٢٥- "ديوان ابن مشرف": الطبعة الثالثة عام ١٣٧٠ هـ، مطبعة السنة المحمدية.
- * الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧ هـ):
- ٢٦- "كتاب السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة": بقلم محمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠ هـ، المكتب الإسلامي.
- * أحمد محمد شاكر:
- ٢٧- "تحقيق ترجمة الإمام أحمد من تاريخ الإسلام" للحافظ الذهبي، طبع دار المعارف للطباعة والنشر عام ١٣٦٥ هـ.
- * الدكتور أحمد محمد الضبيب:
- ٢٨- "آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب": سجل بيلوجرافي لما نشر من مؤلفاته، الطبعة الأولى عام ١٣٩٧ هـ، الرياض - المطابع الأهلية.
- * أبو المنتهي أحمد بن محمد المغنيساوي الحنفي:
- ٢٩- "كتاب شرح الفقه الأكبر": ضمن مجموعة بعنوان الرسائل السبعة (هكذا) في العقائد، الطبعة الثانية بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن عام ١٣٦٧ هـ.
- * الحافظ ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ):
- ٣٠- "تفسير القرآن العظيم/ تفسير ابن كثير": الطبعة الثالثة، الاستقامة بالقاهرة، ١٣٧٦ هـ.
- ٣١- "البداية والنهاية/ تاريخ ابن كثير": الجزء: ٥ - ٦، المجلد الثالث، طبعة ١٣٩٨، دار الفكر - بيروت.
- ٣٢- "البداية والنهاية/ تاريخ ابن كثير" (ج ١ - ٣): تحقيق ومراجعة وتعليق وتصحيح محمد عبد العزيز النجار، طبعة جديدة منقحة كاملة، يطلب من

مكتبة الفلاح بالرياض، مطبعة الفجالة الجديدة - مصر.

* المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني:

٣٣- "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس":

الطبعة الثالثة عام ١٣٥١ هـ، تصوير دار إحياء التراث العربي - بيروت.

* الشيخ إسماعيل الأنصاري:

٣٤- بحث ضمن مجلد "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية": وهو

عبارة عن بحوث مقدمة لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنعقد في الفترة

من ٢١ / ٤ / ١٤٠٠ هـ إلى نهاية ٢٧ / ٤ / ١٤٠٠ هـ.

* أمين الريحاني:

٣٥- "نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز": الطبعة الثالثة، دار الريحاني للطباعة

والنشر - بيروت، ١٩٦٤ م.

* أمين سعيد:

٣٦- "تاريخ الدولة السعودية": عهد سعود بن عبد العزيز، المجلد الثالث، الطبعة

الأولى، توزيع دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٨٥ هـ.

(ت)

* تركي بن محمد بن تركي بن ماضي أمير أبها سابقاً، توفي رحمه الله:

٣٧- "تاريخ آل ماضي": طبع عام ١٣٧٦ هـ، مطبعة الشبكيشي بالأزهر بمصر.

(ح)

* حافظ وهبة (١٣٠٧ - ١٣٨٧ هـ):

٣٨- "جزيرة العرب في القرن العشرين": الطبعة الخامسة، القاهرة، مطبعة لجنة

التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٧ هـ.

* الإمام حسن البنا:

٣٩- "العقائد": طبع ونشر دار الكتاب العربي بالقاهرة عام ١٣٧١ هـ.

٤٠- "رسالة التعاليم": مطابع دار الثقافة للطباعة - مكة المكرمة.

* حسين خلف الشيخ خزعل:

٤١- "تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب": حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب طبعة أولى ١٩٦٨ م، مطابع دار الكتب، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان.

* الشيخ حسين بن غنام:

٤٢- "تاريخ نجد" المسمى "روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام": جزآن، الطبعة الأولى عام ١٣٦٨ هـ على نفقة الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبا بطين، صاحب المكتبة الأهلية بالرياض، نجد، مطبعة الحلبي بمصر.

٤٣- كتاب "العقد الثمين في شرح أصول الدين"، مخطوط.

* حسين بن مهدي النعمي (ت عام ١١٨٧ هـ):

٤٣- "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب": حققه للمرة الأولى محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية عام ١٣٩٣ هـ بمطابع الرياض.

* الشيخ حمد الجاسر:

٤٤- "مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ": الطبعة الأولى عام ١٣٨٦ هـ من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

٤٥- "للرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب": بحث قدمه إلى أمانة أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٤٦- "جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد": جزآن، الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض.

٤٧- مقدمة وتعليق على "تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد" لإبراهيم بن

صالح بن عيسى، الطبعة الأولى عام ١٣٨٦ هـ، منشورات دار اليمامة-الرياض.
٤٨- "مجلة العرب": الجزء التاسع، السنة الأولى، ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ، ص
٩٥٣-٩٥٧.

٤٩- والجزء التاسع والعاشر والريبعان سنة ١٣٩٨ هـ، ص ١٢٩،
٥٠- "مجلة العرب": الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الثاني، ١٣٩٥ هـ، ص ٩٤١.
٥١- "مجلة العرب": الجزءان التاسع والعاشر، السنة الثانية عشرة (الريبعان سنة ١٣٩٨ هـ)، و"السحب الوابلة ومؤلفها"، "النجديون المترجمون في السحب الوابلة"، ص
٦٤١-٧٣٦.

* الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق توفي سنة ١٣٠١ هـ:

٥٢- "إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد": الطبعة الثالثة عام ١٣٨٨-١٣٨٩ هـ.
٥٣- "مجموعة رسائل الشيخ حمد بن علي بن عتيق": تقديم محمود أحمد غضنفر
السلفي، طبع عام ١٣٩٦ هـ، بلاهور-باكستان.

* حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (ت ١٢٢٥) بمكة المكرمة:

٥٤- "الفواكه العذاب في من لم يحكم السنة والكتاب": تحرير أجوبته على ثلاث
مسائل من علماء مكة المكرمة، طبعت منفردة في مؤسسة النور بالرياض.

(خ)

* خير الدين الزركلي:

٥٥- "الأعلام": قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين، ط ٤، عام ١٩٧٩ م، دار العلم للملايين.

٥٦- "شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز": ط ١، عام ١٣٩٠ هـ، مطابع

دار القلم، بيروت.

٥٧- "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز": ط ٢، على مطابع الشركة العامة للمطابع، بيروت سنة ١٣٩٢ هـ.

(ر)

* الشيخ العالم راشد بن علي بن جريس الحنبلي النجدي من قرية نعام ومن أفاضل القرن الثالث عشر الهجري:

٥٨- "مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد": تقديم محب الدين الخطيب، ط بالمطبعة السلفية ومكنتتها بالقاهرة ١٣٧٩ هـ.

(س)

* ساطع الحصري:

٥٩- "البلاد العربية والدولة العثمانية": دار العلم للملايين - بيروت، ط ٢، ١٩٦٠ م.

* سعد بن حمد بن عتيق (ت ١٣٤٩ هـ):

٦٠- "عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية": كتبها في الهند سنة ١٣٠٢ هـ، طبع بالمطابع الأهلية للأوفست الرياض.

* الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ):

٦١- "المعجم الكبير": حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، ط ١، الدار العربية للطباعة - بغداد.

* الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني:

٦٢- "سنن أبي داود": تعليق أحمد سعد علي ط ١، سنة ١٣٧١ هـ، مطبعة الحلبي بمصر.

* الشيخ العلامة سليمان بن سحمان (١٢٦٨ - ١٣٤٩ هـ):

٦٣- "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية": ٤ أجزاء، طبعة المنار في ١٣٤٤ هـ و ١٣٤٥ هـ.

٦٤ - "الهدية السخية والتحفة الوهايبية النجدية": مجموعة خمس رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها، ط ٢، المنار سنة ١٣٤٤ هـ، وط مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة عام ١٣٩٣ هـ.

٦٥ - "كتاب الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق": الطبعة الأولى، مطبعة المنار سنة ١٣٤٤ هـ.

٦٦ - "الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد": ط ٢ في سنة ١٣٧٦ هـ، مطابع الرياض.

٦٧ - "كتاب تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين": ط ١ بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٣ هـ.

٦٨ - "كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام": ط ٢ عام ١٣٧٦ هـ، مطابع الرياض.

٦٩ - "ديوان ابن سحمان": طبعة هندية قديمة.

* الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان:

٧٠ - "الدر النضيد على أبواب التوحيد": ط ١ عام ١٣٩٦ هـ بالمطبعة السلفية بالقاهرة.

* الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٠-١٢٣٣ هـ):

٧١ - "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد": نشر مكتبة الرياض الحديثة.

* سليمان بن وائل التويجري:

٧٢ - "حصر مخطوطات مكنتات القصيم ومكنتات منطقة حائل": بحث نشر في مجلة

البحث العلمي والتراث الإسلامي، ع ٢ عام ١٣٩٩ هـ، وع ٣ عام ١٤٠٠ هـ.

(ش)

* الأمير شكيب أرسلان عضو المجمع العلمي العربي بسورية:

٧٣- فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث على هامش كتاب "حاضر العالم الإسلامي" للمؤلف الأمريكي لوثروب ستودارد، طبعة سنة ١٣٥٢ هـ، نشر وطبع مكتبة ومطبعة الحلبي بمصر.

٧٤- "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم": منشورات دار مكتبة الحياة بيروت عام ١٩٦٥ م.

(ص)

* صالح بن عبد الله العبود:

٧٥- "فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام": رسالة ماجستير وطبعت بمطبعة المدني الطبعة الأولى، نشر دار طيبة- الرياض- السعودية.

* الأستاذ صالح محمد الحسن:

٧٦- "تعقيب حول مقال الدكتور العثيمين": في مجلة الدارة، ع ١٤ س ٥ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ، ص ٣٥٢-٣٥٨.

* الشيخ صالح بن محمد العمري الشهير بالفلاحي رحمه الله (١١٦٦-١٢١٨ هـ):

٧٧- "إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم عن الابتداع الشائع في القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار": دار نشر الكتب الإسلامية- باكستان، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥ هـ.

* صلاح الدين مختار:

٧٨- "تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها": منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت.

* المستشار عبد الحلیم الجندي في جمهورية مصر العربية:

٧٩- "الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي": نشر دار المعارف.

(ع)

* الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسيني الإدريسي الكتاني الفاسي:

٨٠- "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات": طبع بالمطبعة الجديدة، ج ١، ١٣٤٦ هـ، ج ٢، ١٣٤٧ هـ، (جعله مؤلفه قاموساً عاماً لتراجم المؤلفين في السنة من القرن الثامن إلى أواسط القرن الرابع عشر الهجري).

* الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الشافعي
(٥٩٦-٦٦٥):

٨١- "الباعث على إنكار البدع والحوادث": ٨٩ ص وسط، مطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة بدون تاريخ وعدد للطبع.

* الشيخ عبد الرحمن الأنصاري المدني المولود سنة ١١٣٤ هـ والمتوفى سنة
١١٩٧هـ:

٨٢- "تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب": طبعة تونس سنة
١٣٩٠ هـ.

* عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغربي:

٨٣- "الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب": صححه وأشرف على طبعه الأستاذ إبراهيم محمد الأصيل مطبعة المدني بمصر سنة ١٣٨٢ هـ.

* أبو الفرج الحافظ الإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٧٣٦-٧٩٥ هـ):

٨٤- "غربة الإسلام"، ويسمى: "كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة": تحقيق وتعليق وشرح أحمد الشرباصي من علماء الأزهر، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٣ هـ.

* عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي:

٨٥- "جهود مخلصه في خدمة السنة المطهرة": عني بالطبع والنشر وإدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية بنارس - الهند، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠ هـ

* عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ:

٨٦- تحقيق وتعليق على "عنوان المجد في تاريخ نجد" بأمر من وزارة المعارف، وطبع على نفقة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٤ هـ، الطبعة الثالثة بدون ذكر لاسم المطبعة ولا مكان الطبع.

٨٧- تحقيق وتعليق على كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب": مطبوعات دار الملك عبد العزيز رقم ٢، المطابع الأهلية للأوفست الرياض.

٨٨- "مشاهير علماء نجد وغيرهم": بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الطبعة الأولى عام ١٣٩٢ هـ بالمملكة العربية السعودية.

٨٩- دعوة الشيخ ومناصروها مطبعة المدني بمصر عام ١٣٨٤ هـ.

٩٠- "علماء الدعوة": مطبعة المدني بمصر عام ١٣٨٦ هـ.

* الشيخ الإمام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١١٩٣-١٢٨٥ هـ):

٩١- "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد": تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة التاسعة، مطابع الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٧ هـ، والطبعة الخامسة عام ١٣٩١ هـ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ومخطوطة له بعنوان: "كتاب التهذيب والتحرير لشرح كتاب التوحيد"، ناسخها عبد العزيز بن عبد الله العامر، فرغ من نسخها عام ١٢٩٨ هـ.

* العلامة عبد الرحمن بن خلدون:

٩٢- "مقدمة ابن خلدون": المكتبة التجارية بالقاهرة لصاحبها مصطفى محمد.

* الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (١٣١٩ - ١٣٩٢ هـ):

حقق ورتب وجمع "مجموعة الدرر السنوية في الأجوبة النجدية ورسائلهم).

٩٣ - الجزء الأول: كتاب العقائد.

٩٤ - الجزء الثاني: كتاب التوحيد.

٩٥ - الجزء الثالث: كتاب الأسماء والصفات.

٩٦ - الجزء الرابع: كتاب العبادات.

٩٧ - الجزء الخامس: كتاب البيع.

٩٨ - الجزء السادس: كتاب النكاح.

٩٩ - الجزء السابع: كتاب الجهاد.

١٠٠ - الجزء الثامن: كتاب أحكام المرتد.

١٠١ - الجزء التاسع: كتاب مختصرات الردود.

١٠٢ - الجزء العاشر: كتاب تفسير القرآن.

١٠٣ - الجزء الحادي عشر: كتاب النصائح.

١٠٤ - الجزء الثاني عشر: كتاب تراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة. مجموعها

٢ جزءاً، من مطبوعات دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية الطبعة الثانية عام

١٣٨٥ هـ، الطبعة الثانية طبعت في مطابع المكتب الإسلامي بيروت ما عدا التاسع

والحادي عشر فقد طبعا في مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر، ط ٢ عام ١٣٨٨ هـ

بإشراف وتصحيح الأستاذ عبد العزيز بن سليمان الهيشة، والعاشر والثاني عشر؛ فقد

طبعا بمؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض.

١٠٥ - "مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية": جمع وترتيب، الطبعة الأولى ١٣٨١

مطابع الرياض.

* عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي (ت ١٣٧٦ هـ):

١٠٦ - "القول السديد في مقاصد التوحيد": مؤسسة مكة للطباعة والإعلام توزيع

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

* العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله
(١٣١٣ - ١٣٨٦ هـ):

١٠٧ - "التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل": قام على طبعه وتحقيقه والتعليق عليه محمد ناصر الدين الألباني، طبع على نفقة الشيخ محمد نصيف وشركاه ١٣٨٦ هـ.

* الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم:

١٠٨ - "الدولة السعودية الأولى ١١٥٨ - ١٢٣٣ هـ". الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ١٩٧٥ م، معهد البحوث والدراسات العربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

* الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز: رئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٠٩ - محاضرة بعنوان: "محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته": الطبعة الثانية، الدار السعودية ١٣٨٩ هـ.

١١٠ - مقدمة الطبعة الثانية وتعليقات على كتاب "الشيخ محمد... " بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي.

١١١ - "مقال في مجلة البحوث الإسلامية": المجلد الأول، العدد الثاني. ١١٢ - "التحذير من البدع": طبع في مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، توزيع الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٦ هـ.

* الحافظ أبو محمد المنذري عبد العظيم بن عبد القوي (٨٥١ - ٦٥٦ هـ):

١١٣ - "مختصر سنن أبي داود": تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٧ هـ.

* الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ (ت ١٣٨٦ هـ) رحمه الله:

١١٤ - "مجلة راية الإسلام": العدد الأول.

* الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ
(١٢٢٥ - ١٢٩٢ هـ):

١١٥ - "مجموعه الرسائل والمسائل النجدية": الجزء الثالث، جمعها الشيخ سليمان بن سحمان، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٥ هـ، مطبعة المنار بمصر.

١١٦ - "مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام": تعليق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية - مصر.

* الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن عبد العزيز آل الشيخ:

١١٧ - "البيان الواضح لأسرة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب حتى سنة ١٣٩٣ هـ": طبع بدار بوسلام للنشر بتونس.

* أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦:

١١٨ - "كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ": حققه وقدم له وعلق عليه محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٢ هـ، نشر المكتبة العتيقة - تونس، ومؤسسة الرسالة - بيروت.

* عبد الله بن سعد الرويشد:

١١٩ - "الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ": نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر عام ١٣٩٢ هـ.

* الدكتور عبد الله الصالح العثيمين:

١٢٠ - "الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ حياته وفكره": مطبوع، مطبعة المتوسط، بدون تاريخ نشر، دار العلوم - الرياض.

١٢١ - مقال في "مجلة الدارة": العدد الثالث، س ٤، شوال ١٣٩٨ هـ بعنوان: "نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب"، الحالة الدينية ص - ٣٢ - ص ٤٦.

١٢٢ - "الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب": طبع على الآلة ضمن

مجلد حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية، وهو مجموعة بحوث في ذلك قدمت لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠ هـ.

* الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين المتوفى سنة ١٢٨٢ هـ:

١٢٣ - "تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس": طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٤٤ هـ.

١٢٤ - "الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على الجاحل عن المشركين": المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٨ هـ.

* الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام:

١٢٥ - "علماء نجد خلال ستة قرون": مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى عام ١٣٩٨ هـ.

* الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي المتوفى سنة ٢٥٥ هـ:

١٢٦ - "سنن الدارمي": طبع بعناية محمد أحمد دهمان، وطبع بمطبعة الاعتدال بدمشق عام ١٣٤٩ هـ.

* الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد:

١٢٧ - مقال بعنوان: "الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقائقه دعوته": طبع ضمن هداية الناسك ومعه مجموعة رسائل، الطبعة السابعة سنة ١٣٩٨ هـ.

١٢٨ - "المجموعة العلمية السعودية من درر علماء السلف الصالح": مطبعة النهضة بمكة عام ١٣٩١ هـ.

* الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس:

١٢٩ - "الشعر يواكب الدعوة": بحث قدمه لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب طبع على الآلة الكاتبة ضمن مجلد بعنوان: "تأثير الدعوات الإصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠ هـ.

- * عبد الله بن يوسف الشبل الأمين العام لجامعة الإمام محمد بن سعود:
١٣٠ - "الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: حياته ودعوته": مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- * الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران (ت ١٣٤٦ هـ):
١٣١ - "المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل": قام بتصحيحه ونشره جماعة من العلماء بإشراف إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرتها محمد منير عبده أغا الدمشقي.
- * عبد المتعال الصعيدي (١٣١٣ - ١٣٧٧ هـ):
١٣٢ - "المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر ١٠٠ - ١٣٧٠ هـ": نشر مكتبة الآداب ومطبعتها بمصر دار الحمامي للطباعة.
- * الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد:
١٣٣ - "دراسة حديث: نضر الله امرأ سمع مقالتي... رواية ودراية". الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ.
- ١٣٤ - "عشرون حديثاً من صحيح مسلم؛ دراسة أسانيدھا وشرح متونها". الطبعة الأولى عام ١٣٩١ هـ، المطبعة السلفية بالقاهرة.
- ١٣٥ - "عالم جهبذ وملك فذ": ترجمتان موجزتان للشيخ محمد بن إبراهيم والملك فيصل رحمهما الله، طبع في عام ١٤٠٢ هـ، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة.
- * الشيخ عثمان بز عبد الله بن بشر المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ أو ١٢٩٠ هـ، وكان قد أدرك عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد (١٢١٨ - ١٢٢٩ هـ):
- ١٣٦ - "عنوان المجد في تاريخ نجد": ويتتدىء هذا التاريخ من سنة ٧٠٠ - ١٢٦٧ هـ، طبع بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة ١٣٤٩ هـ.
- ١٣٧ - "عنوان المجد في تاريخ نجد": حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ بأمر من وزارة المعارف بالمملكة العربية

السعودية سنة ١٣٩٤ هـ، مطبوع عام ١٣٩٤ هـ الطبعة الثالثة، لم يذكر مكان الطبع ولا اسم المطبعة.

* الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ:

١٣٨ - "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد": بتحريه الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ، منشورات دار الكتاب العربي - بيروت.
١٣٩ - "موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان": حققه ونشره محمد عبد الرزاق حمزة، تصوير دار الكتب العلمية - بيروت.

* علي بن سلطان القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ:

١٤٠ - "شرح ملا علي بن سلطان القاري الحنفي على الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ٨٠ - ١٥٠ هـ": الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ
١٩٥٥ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

* علي بن سليمان بن يوسف:

١٤١ - "أربح بضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة": طبع على نفقة علي آل ثاني بمشورة محمد بن عبد العزيز بن مانع الطبعة الثانية عام ١٣٧٩ هـ.

* علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٣١-٧٩٢):

١٤٢ - "شرح العقيدة الطحاوية": حققها وراجعها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة عام ١٣٩١ هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

* العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفى

سنة ٩٧٥ هـ:

١٤٣ - "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال": نشر وتوزيع دار اللواء - الرياض، ومكتبة التراث الإسلامي - حلب.

(ك)

* كوركيس عواد:

١٤٤ - "معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي": مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٦٩ م.

(ل)

* لوثرروب ستودارد الأمريكي:

١٤٥ - "حاضر العالم الإسلامي": نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض، وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث بقلم الأمير شكيب أرسلان (أربعة أجزاء)، مطبوع عام ١٣٥٢ هـ، نشر وطبع مكتبة ومطبعة الحلبي وشركاه بمصر.

* الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ٥٤٤ - ٦٠٦:

١٤٦ - "النهاية في غريب الحديث والأثر": تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، طبع الحلبي، الطبعة الأولى عام ١٣٨٣ هـ.

* الحافظ الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٦٧٣ - ٧٤٨):

١٤٧ - "التلخيص على المستدرك على الصحيحين للحاكم": وأقره على ما لا كلام فيه، وتعقب ما فيه الكلام، مطبوع بذييل "المستدرك" للحاكم، تصوير دار الكتاب العربي - بيروت.

* الإمام المعروف بابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب:

١٤٨ - "إعلام الموقعين عن رب العالمين": الطبعة الأولى عام ١٣٧٤ هـ، مطبعة السعادة بمصر.

١٤٩ - "القصيد النونية": تصوير دار المعرفة - بيروت، عن طبعة مطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ.

* محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت بعد ٦٦٠ هـ):

١٥٠ - "مختار الصحاح": طبعة ١٣٦١ هـ، مطبعة الحلبي.

* محمد أديب غالب:

١٥١ - "من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي": بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى عام ١٣٩٥ هـ.

* أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي (١٩٤-٢٥٦ هـ):

١٥٢ - "صحيح البخاري": مطبوع، المكتبة الإسلامية باستانبول، محمد أوزدمير ١٩٧٩ م.

* محمد إسماعيل إبراهيم وزملاؤه:

١٥٣ - "تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط وفق المنهج الجديد": طبعة أولى عام ١٣٩٤ هـ.

* الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني:

١٥٤ - "ديوان الأمير الصنعاني": طبع على نفقة الشيخ علي بن ثاني عام ١٣٨٤ هـ، مطبعة المدني، الطبعة الأولى.

* العلامة محمد إسماعيل السلفي (١٩٠٠-١٩٦٨ م):

١٥٥ - "حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد": تعريب الدكتور مقتدا حسن الأزهرى، مطبوعات الجامعة السلفية (١)، ملتزم الطبع والنشر، إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية بنارس.

* العلامة المحدث الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي (١٢٥٢-١٣٢٦ هـ):

١٥٦ - "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان": الطبعة الخامسة عام ١٣٩٥ هـ، مطابع نجد التجارية - الرياض.

* الشيخ محمد بهجت البيطار:

١٥٧ - "حياة شيخ الإسلام ابن تيمية": منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ١٣٨٠ هـ.

* أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ):

١٥٨ - "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": (تفسير ابن جرير الطبري)، الطبعة الثانية عام ١٣٧٣ هـ، مطبعة الحلبي بمصر.

١٥٩ - "تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك": تحقيق أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م.

* محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، وقد توفي رحمه الله: ١٦٠ - تقديم وتعليق على كتاب "معارج الألباب في مناهج الحق والصواب": تأليف حسين بن مهدي النعمي، لأول مرة الطبعة الثانية عام ١٣٩٣ هـ بمطابع الرياض.

١٦١ - "أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمرائي في جزيرة العرب وغيرها": مطبوع، مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر عام ١٣٥٤ هـ.

* محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي (١٢٩١ - ١٣٧٦ هـ):

١٦٢ - "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي": خرج أحاديثه وعلق عليه عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، الطبعة الأولى عام ١٣٩٦ هـ، دار مصر للطباعة، الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

* محمد حسن الغماري:

١٦٣ - "الإمام الشوكاني مفسراً" رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى عام ١٤٠٠ هـ.

* العالم السلفي الشيخ محمد بن حسين نصيف من أعيان أهل الحجاز رحمه الله:

١٦٤ - ترجمة للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى المتوفى عام ١٣٢٨ هـ في أول كتاب "الرد على شبهات المستعنين بغير الله" للشيخ أحمد المذكور،

مطبوع، دار مصر للطباعة.

* الشيخ العلامة محمد حياة السندي المتوفى (١١٦٣ هـ):

١٦٥ - (تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه السلام، و"الإيقاف على سبب الاختلاف" ضمن مجموعة تضم رسالة أخرى بعنوان "الاتباع" لابن أبي العز الحنفي تحت إشراف المكتبة السلفية بلاهور - باكستان، طبعة أولى عام ١٤٠١ هـ.

* محمد خليل هراس (ت ١٣٩٥ هـ):

١٦٦ - "دعوة التوحيد؛ أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاةها": الطبعة الثانية، مطبعة عاطف بمصر.

١٦٧ - "الحركة الوهابية": رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦ هـ (١٠).

* أبو الفضل محمد خليل المرادي:

١٦٨ - "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر": يطلب من مكتبة المثني ببغداد.

* محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ) منشىء "مجلة المنار بمصر":

١٦٩ - (تاريخ الإمام محمد عبده): مطبوع عام ١٣٥٠ هـ بمطبعة المنار.

١٧٠ - "الوهابيون والحجاز": طائفة من مقالات نشرت في "المنار" و"الأهرام"، الطبعة الأولى عام ١٣٤٤ هـ.

١٧١ - مقدمة "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان".

١٧٢ - "تفسير المنار": الطبعة الرابعة عام ١٣٧٣ هـ.

* محمد زهري النجار:

١٧٣ - "ترجمة مؤلف الدين الخالص محمد صديق حسن" في مقدمته (صفحة ز - ل).

* الدكتور محمد بن سعد الشويعر:

١٧٤ - بحث "من تراثنا: ابن ضويان وآثاره" (١٢٧٥-١٣٥٣ هـ): نشر في مجلة الدارة، العدد الثاني، السلسلة الرابعة، رجب عام ١٣٩٨ هـ، ص ٨٢-٩٩.

* محمد سعيد العامودي وأحمد علي:

١٧٥ - "المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر": تأليف الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٨ هـ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

* العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي:

١٧٦ - "نفثات صدر المكمد وقرّة عين المسعد لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد": الطبعة الأولى عام ١٣٨٠ هـ، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بدمشق.

* محمد شفيق غربال بإشرافه تم تأليف:

١٧٧ - "الموسوعة العربية الميسرة": صورة طبق الأصل من طبعة ١٩٦٥ م، حقوق طبعها محفوظة لمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، دار الشعب بالقاهرة.

* محمد صديق حسن القنوجي البخاري من علماء الهند (١٢٤٨ - ١٣٥٧ هـ):

١٧٨ - "الدين الخالص": مطبعة المدني عام ١٣٧٩ هـ، توزيع مكتبة دار العروبة - القاهرة.

١٧٩ - "التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول": تصحيح وتعليق الدكتور عبد الحكيم شرف الدين، طبع على نفقة علي بن ثاني، المطبعة الهندية العربية ١٣٨٢ هـ.

١٨٠ - "الخطبة في ذكر الصحاح الستة": ألفه سنة ١٢٨٢ هـ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٧ هـ، مطبعة المكتبة العلمية بلاهور.

* شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١-٩٥٢ هـ):

١٨١ - "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع": الجزء السادس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

* الحافظ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٢٨٣-١٣٥٣ هـ):

١٨٢ - "تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي": أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثانية عام ١٣٨٣ هـ.

* محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي (١٢٦٤-١٣٥٤ هـ):

١٨٣ - "الفوائد البهية في تراجم الحنفية مع التعليقات السننية على الفوائد البهية": عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه محمد بدر الدين أبو فراس النعماني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

* محمد ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ:

١٨٤ - ترجمة للشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر في أول "منحة القريب المحيب في الرد على عباد الصليب" للشيخ عبد العزيز بن معمر: الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠ هـ، منشورات دار تقيف - الطائف.

* الشيخ محمد بن عبد الله السبيل:

١٨٥ - ترجمة مؤلف "غاية الأمان في الرد على النبهاني" محمود شكري الألوسي في أول الكتاب المذكور: ص ٦ - ١٢، طبع بمطابع نجد التجارية، الطبعة الثانية عام ١٣٩١ هـ.

* الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الأحسائي الأنصاري:

١٨٦ - "تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد": أشرف على طبع القسم الأول وعلق عليه بعض الحواشي حمد الجاسر، الطبعة الأولى عام ١٣٧٩ هـ بدمشق، المكتب الإسلامي والقسم الثاني بإشراف محمد زهير الشاويش، الطبعة الأولى عام ١٣٨٢ هـ.

* الدكتور محمد عبد الله ماضي:

١٨٧ - "حاضر العالم الإسلامي": النهضة الحديثة في جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية عام ١٣٧٢ هـ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

* الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابوري المعروف بابن البيع والملقب بالحاكم (٣٢١ - ٤٠٥ هـ):

١٨٨ - "المستدرك على الصحيحين" وبذيله "التلخيص" للحافظ الذهبي: تصوير دار الكتاب العربي - بيروت.

* محمد بن عبد الله بن عثيمين (١٢٧٠ - ١٣٦٣ هـ):

١٨٩ - "العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين": جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد؟ مطبوع، دار المعارف بمصر.

* الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ):

١٩٠ - "الرسالة الثالثة: تفسير كلمة التوحيد" ضمن "مجموعة التوحيد النجدية"، الطبعة السلفية بمصر عام ١٣٧٥ هـ، عني بتصحيحها وإخراجها محب الدين الخطيب.

١٩١ - "كشف الشبهات": قام بتفصيله وكتابة الترجمة والمقدمة والتعليق علي الحمد الصالح، وذيله الشيخ عبد الرحمن الحمد الدوسري، الطبعة الثالثة في ١ / ١٢ / ١٣٨٨ هـ، مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض.

مؤلفات الشيخ الإمام:

١٩٢ - القسم الأول: العقيدة، مجلد.

١٩٣ - والقسم الثاني: الفقه، في مجلدين.

١٩٤ - والقسم الثالث: مختصر سيرة الرسول ﷺ والفتاوى، مجلد.

١٩٥ - والقسم الرابع: التفسير ومختصر زاد المعاد، مجلد.

١٩٦ - القسم الخامس: الرسائل الشخصية، مجلد.

١٩٧- وقسم الحديث: خمسة مجلدات.

١٩٨- وملحق المصنفات: مجلد.

هذه اثنا عشر مجلداً جمعتها لجنة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وصنفها وأعدّها للتصحيح تمهيداً لطبعها عبد العزيز بن زيد الرومي والدكتور محمد بلتاجي والدكتور سيد حجاب، وطبعت بمطابع الرياض.

١٩٩- رسالة مخطوطة بعنوان "مسألة في رجل تفقه في مذهب من المذاهب الأربعة...": وهي حول المقلد القاصر إذا تبين له أحاديث تخالف مذهبه، ويظهر أن الشيخ يخاطب عبد الله بن عيسى الملقب بالمويس في أول الأمر، وهذه الرسالة المخطوطة ضمن "مجموعة رسائل مخطوطة"، وفيها قليل من رسائل الشيخ غير هذه، وقد طبعت، وهذه المجموعة المخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان في المغرب، أخذ عنها الشيخ حماد الأنصاري صورة، ومن صورته أخذت.

٢٠٠- "آداب المشي إلى الصلاة": مقرر الفقه للسنة السادسة، القسم الأول والثاني، قرر دراسته وعلق عليه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف العام، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ونشر مكتبة محمد سعيد كمال بالطائف.

٢٠١- "مختصر تفسير المعوذتين" لابن القيم: صورة نقلت عن مخطوطة بالمتحف العراقي وقف إبراهيم فصيح الحيدري.

وانظر تفصيل الكلام عن مؤلفات الشيخ في مبحث حياة الشيخ العلمية من "المدخل" ص ١٥٠-١٨٥.

٢٠٢- "الرسائل المرقومة": مخطوطة الناسخ محمد بن حبيب الحلبي الحنفي، ساكن الأفلاج سنة ١٣١٧ هـ؛ صورة.

* أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي المتوفى عام ١١٣٨ هـ:

٢٠٣- "حاشية السندي على صحيح البخاري": طبعة نور محمد، كراتشي، الطبعة الثانية عام ١٣٨١ هـ.

* الشيخ محمد عبده:

٢٠٤ - "رسالة التوحيد": طبعها وصححها وعلق عليها محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية في سنة ١٣٦٦ هـ، أصدرتها دار المنار.

* محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي:

٢٠٥ - "روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين": الطبعة الأولى عام ١٤٥٠ هـ، مطبعة الحلبي.

* محمد عطاء الله حنيف:

٢٠٦ - ترجمة للشيخ محمد حياة السندي في أول رسالة "تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه السلام" للشيخ العلامة محمد حياة السندي، ضمن مجموعة رسائل له: الطبعة الأولى، جمادى الأولى ١٤٠١ هـ، طبع بالمطبعة العربية بإشراف المكتبة السلفية - لاهور - باكستان.

* محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠):

٢٠٧ - "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع": الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ، مطبعة السعادة محافظة مصر القاهرة، جزآن، تصوير بنشر دار المعارف - بيروت.

٢٠٨ - "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد": عني بنشره وطبعه محمد علي الكتبي الطبعة الأولى سنة ١٣٥٠ هـ، ونشر صورتها ضمن مجموعة باسم الرسائل السلفية للشوكاني، دار الكتب العلمية - بيروت.

* محمد بن علي بن غريب (ت ١٢٠٩ هـ):

٢٠٩ - "التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق" و"تذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب": ونسبة تأليفه إلى سليمان بن عبد الله ابن الشيخ خطأ^(١)، الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣١٩ هـ.

(١) انظر. (١/١٨٥) من هذا البحث.

* أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي الحافظ (ت عام ٢٧٩ هـ):

٢١٠ - "جامع الترمذي في أعلا صحائف تحفة الأحوذى": أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثانية عام ١٣٨٣ هـ.

* محمد كمال جمعة الباحث بدارة الملك عبد العزيز (١٣٩٧ هـ):

٢١١ - "انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية": مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، طبع على نفقة وزارة التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية مطابع نجد التجارية.

* محمد منير عبده أغا الدمشقي الأزهري المتوفى سنة ١٣٦٧ هـ:

٢١٢ - مجموعة الرسائل المنيرية: عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ إدارة الطباعة المنيرية.

* الشيخ محمد بن الموصلي:

٢١٣ - "مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله": تأليف الإمام محمد بن أبي بكر عرف بابن قيم الجوزية الجزء الأول بتصحيح محمد حامد الفقي، والجزء الثاني بتصحيح محمد عبد الرزاق حمزة، طبع بنفقة المطبعة السلفية بمكة المكرمة عام ١٣٤٨ هـ.

* محمد ناصر الدين الألباني:

٢١٤ - "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها": منشورات المكتب الإسلامي.

٢١٥ - تخريج أحاديث "شرح الطحاوية".

٢١٦ - تحقيق رسالة "اقتضاء العلم العمل" للبغدادي ضمن رسائل أربع.

٢١٧ - "إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل في مذهب الإمام أحمد": المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩ هـ.

- ٢١٨- "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم": الطبعة الأولى عام ١٤٠٠ هـ، المكتب الإسلامي.
- ٢١٩- "مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي": الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ، المكتب الإسلامي.
- ٢٢٠- "تخريج أحاديث كتاب إصلاح المساجد من البدع والعوائد" لمحمد جمال الدين القاسمي: الطبعة الثانية عام ١٣٩٠ هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٢٢١- "التوسل: أنواعه وأحكامه": الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، *
- الإمام محمد بن نصر المروزي (٢٠٢-٢٩٤ هـ):
- ٢٢٢- "السنة": مطبوع في مطابع دار الفكر بدمشق بدون تاريخ للطبع، نشر دار الثقافة الإسلامية بالرياض.
- * محمد بن وضاح القرطبي (١٩٩-٢٨٧ هـ):
- ٢٢٣- "البدع والنهي عنها": تحقيق محمد أحمد دهمان، الطبعة الثانية عام ١٤٠٠ هـ، دار البصائر بدمشق.
- * أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفى بمصر عام ٥٢٠ هـ - ٥٢٥ هـ:
- ٢٢٤- "كتاب الحوادث والبدع": تحقيق محمد الطالبي (٢٣١ ص صغير)، دار الأصفهاني وشركاه بجدة بدون تاريخ وعدد للطبع.
- * الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه:
- ٢٢٥- "سنن ابن ماجه": بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، طبع بمطبعة الحلبي عام ١٣٧٢ هـ.
- * أبو المعالي محمود شكري الآلوسي (٢٧٣-١٣٤٢ هـ):
- ٢٢٦- "تاريخ نجد": عني بتحقيقه محمد بهجة الأثري، طبع السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٣ هـ.

٢٢٧- "غاية الأمان في الرد على النبهاني": طبع بمطابع نجد التجارية، الطبعة الثانية عام ١٣٩١ هـ.

* اللواء الركن محمود شيث خطاب:

٢٢٨- بحث بعنوان "الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل": قدم لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠ هـ، مطبوع على الآلة ضمن مجلد "حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية".

* مسعود عالم الندوي رحمه الله:

٢٢٩- "محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه": ترجمة وتعليق عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم الدكتور محمد تقي الدين الهاللي، مطبعة زمزم، الطبعة الأولى ربيع الأول عام ١٣٩٧ هـ.

* الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦- ٢٦١ هـ):

٢٣٠- "صحيح مسلم": خدمة فؤاد عبد الباقي، طبع رئاسة البحوث العلمية السعودية عام ١٤٠٠ هـ.

* الشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (١٠٠٥- ١٠٥١ هـ):

٢٣١- "كشف القناع عن متن الإقناع": مطبعة الحكومة بمكة عام ١٣٩٤ هـ.

* الدكتور منير العجلاني عضو المجمع العلمي العربي بدمشق أستاذ تاريخ الحقوق في الجامعة السورية سابقاً:

٢٣٢- "تاريخ البلاد العربية السعودية": نشر دار الكتاب العربي، مطابع دار الغد - بيروت.

* المودودي أبو الأعلى:

٢٣٣- "موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه أو واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم": الطبعة الأولى، دار الفكر بدمشق.

* أبو النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي المتوفى سنة ٩٦٨ هـ:

٢٣٤ - "الإقناع": تصحيح عبد اللطيف محمد موسى السبكي، المطبعة المصرية بالأزهر سنة ١٣٥١ هـ.

(ن)

* الدكتور ناصر الدين الأسد:

٢٣٥ - "تحرير وتحقيق تاريخ نجد للشيخ الإمام حسين بن غنام": وقابله على الأصل الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مطبعة المدني، الطبعة الأولى عام ١٣٨١ هـ.

* الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري:

٢٣٦ - "النفحة على النفحة والمنحة" وتليها "نظرة في النفحة" لأبي اليسار الدمشقي الميداني: مطبعة الترقى عام ١٣٤٠ هـ.

(ي)

* أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ):

٢٣٧ - "معجم البلدان": تصوير دار صادر - بيروت.

* أبو اليسار الدمشقي الميداني:

٢٣٨ - "نظرة في النفحة... في الرد على الوهابية": مطبعة الترقى عام ١٣٤٠ هـ، طبعت مع النفحة كما تقدم.

الفهرس

الفصل الرابع : التحذير من نقيض عقيدة السلف الصالح أو نقيض

كماها.....	٧
نواقض الإسلام العشرة	١٠
إمكان وقوعها من المعينين	٢٣
من أطلق الشارع كفره	٢٩
بيان ما هو الشرك ؟	٣٠
الشرك أول المحرمات	٣٩
تقسيمه وأفراده	٤٠
تحديد أسباب الشرك ومباده	٥٢
ضرر الشرك وخطره	٨٢
شبهات وكشفها	٩٢

الباب الثاني

أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في العالم الإسلامي

الفصل الأول: في ظهور دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح

وأسباب ومبادئ تأثيرها	١١٧
توطئة	١١٧
أسباب تأثير العقيدة	١١٩
توفيق الله	١١٩
سمو الغاية والعلم وسلامة المنهج	١٢٠
الثبات والصبر	١٢٧
كيف أثر الشيخ بعقيدة السلف دون غيره من معاصريه؟	١٣٢

جهود الشيخ المؤثرة في نشر عقيدة السلف الصالح واستعداده:	١٣٥
في حريملاء	١٣٥
لماذا العيينة	١٤٠
أثر إقامة الشيخ في حريملاء	١٤٣
أثر عقيدة الشيخ في العيينة	١٤٤
نهاية علماء السوء	١٥٠
مواصلة الشيخ جهوده رغم خذلان ابن معمر له	١٥٧
الفصل الثاني: أثرها في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها آل سعود	
.....	١٦١
الشيخ في الدرعية	١٦١
اللقاء التاريخي بالأمير الراشد	١٦٢
البيعة المباركة	١٦٥
نشاط تأثير العقيدة في الدرعية	١٦٧
انطلاق الدعوة وبدء الجهاد	١٧٠
الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود	١٧٧
الإمام عبد العزيز بن محمد، والعلماء في زمنه، ونشرهم الدعوة وثمره ذلك	١٨١
الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد، والعلماء في زمنه، ونشرهم الدعوة وثمره ذلك	٢١٤
.....	٢١٤
الأثر العمراني والحضاري	٢٢٣
الإمام عبد الله بن سعود	٢٢٦
حاصل أثر عقيدة الشيخ في هذا الدور	٢٢٧
إمامة الأئمة والملوك من آل سعود وتاريخهم	٢٣٠

٢٤٣	جملة إصلاحات الشيخ السلفية.....
٢٤٩	أسباب زوال الدولة وتسليط العدو
٢٥٢	نتيجة التغير عن عقيدة السلف الصالح
الفصل الثالث: أثر عقيدة الشيخ السلفية في الدور الثاني (الإمام تركي	
وابنه الإمام فيصل)	
٢٥٧	جهود شيخ المسلمين في عهده الشيخ عبد الرحمن بن حسن
٢٥٩	جهود الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن
٢٧٠	جهود الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين
٢٧٣	جهود الشيخ حمد بن علي بن عتيق
٢٧٣	جهود الشيخ الشاعر أحمد بن مشرف الأحسائي
٢٧٥	أسباب الخلل ونتيجة التغير
٢٨٠	استمرار أثر المشايخ رغم ضعف المناصر
٢٨٣	الفصل الرابع أثر عقيدة الشيخ السلفية في الدور الثالث الحاضر (الإمام
الملك عبد العزيز وأبناؤه الملوك)	
٢٩٥	جهود الملك عبد العزيز في نشر العقيدة.....
٢٩٧	جهود الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف
٣٠٣	جهود الشيخ سليمان بن سحمان
٣١٤	جهود الشيخ سعد بن حمد بن عتيق
٣٢٥	جهود الشيخ محمد بن إبراهيم
٣٣٢	ما يختص بالبادية من الإصلاح
٣٣٧	استمرار الأثر الصالح
٣٤٨	الملك سعود
٣٤٩

الملك فيصل.....	٣٥٠
الملك خالد.....	٣٥٥
الملك فهد.....	٣٥٦
وضوح الشعور بمسؤولية حماية مكاسب العقيدة.....	٣٥٩
الفصل الخامس: أثرها في خارج سلطاتها.....	٣٧١
تمهيد.....	٣٧١
تطهير بيت الله من أسباب انتشار العقيدة في الخارج.....	٣٧٥
الرسائل إلى عموم المسلمين ومواصلتهم من أسباب انتشار العقيدة في الخارج.....	٣٧٦
أثرها في اليمن.....	٣٨٢
أثرها لدى الأمير الصنعاني.....	٣٨٣
أثرها لدى الشيخ حسين النعمي.....	٣٨٦
أثرها لدى الإمام الشوكاني.....	٣٩٠
أثرها في الشام.....	٣٩٥
أثرها لدى الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري ، والشيخ أبي اليسار الدمشقي الميداني.....	٣٩٥
أثرها لدى الشيخ محمد بهجت البيطار.....	٤٠٩
أثرها لدى المكتب الإسلامي في دمشق وبيروت.....	٤٠٩
أثرها لدى الأمير شكيب أرسلان.....	٤١٠
أثرها لدى محمد كرد علي.....	٤١١
أثرها في بلدان الخليج.....	٤١٢
أثرها في العراق.....	٤١٦

٤١٦	أثرها لدى آل الألويسي
٤٢٩	أثرها لدى أحمد بن سعيد البغدادي
٤٣١	أثرها في فارس والهند
٤٣٢	أثرها كما يصوره الشيخ ملا عمران
٤٣٤	أثرها كما يصوره المحدث محمد بشير السهسواني
٤٣٥	أثرها في بهوبال
٤٤٣	أثرها كما يصوره مسعود عالم الندوي من ندوة العلماء
٤٤٤	أثرها عموماً في الهند
٤٤٥	أثرها في مصر
٤٤٥	أثرها كما يصوره الشيخ الجبرتي
٤٥٥	أثرها كما يصوره محمد رشيد رضا
٤٥٨	أثرها لدى جماعة أنصار السنة (الفقي والهراس)
٤٥٩	أثرها لدى محمد منير ومطبعته
٤٦١	أثرها لدى المطبعة السلفية ومطبعة المدني
٤٦١	أثرها عن طريق انطباعات الأساتذة الزائرين
٤٦١	ما يقال من تأثير الحركات والدعوات الأخرى في العالم الإسلامي
٤٧٥	الخاتمة، واشتملت على خلاصة البحث ونتيجته
٤٨٥	المراجع